

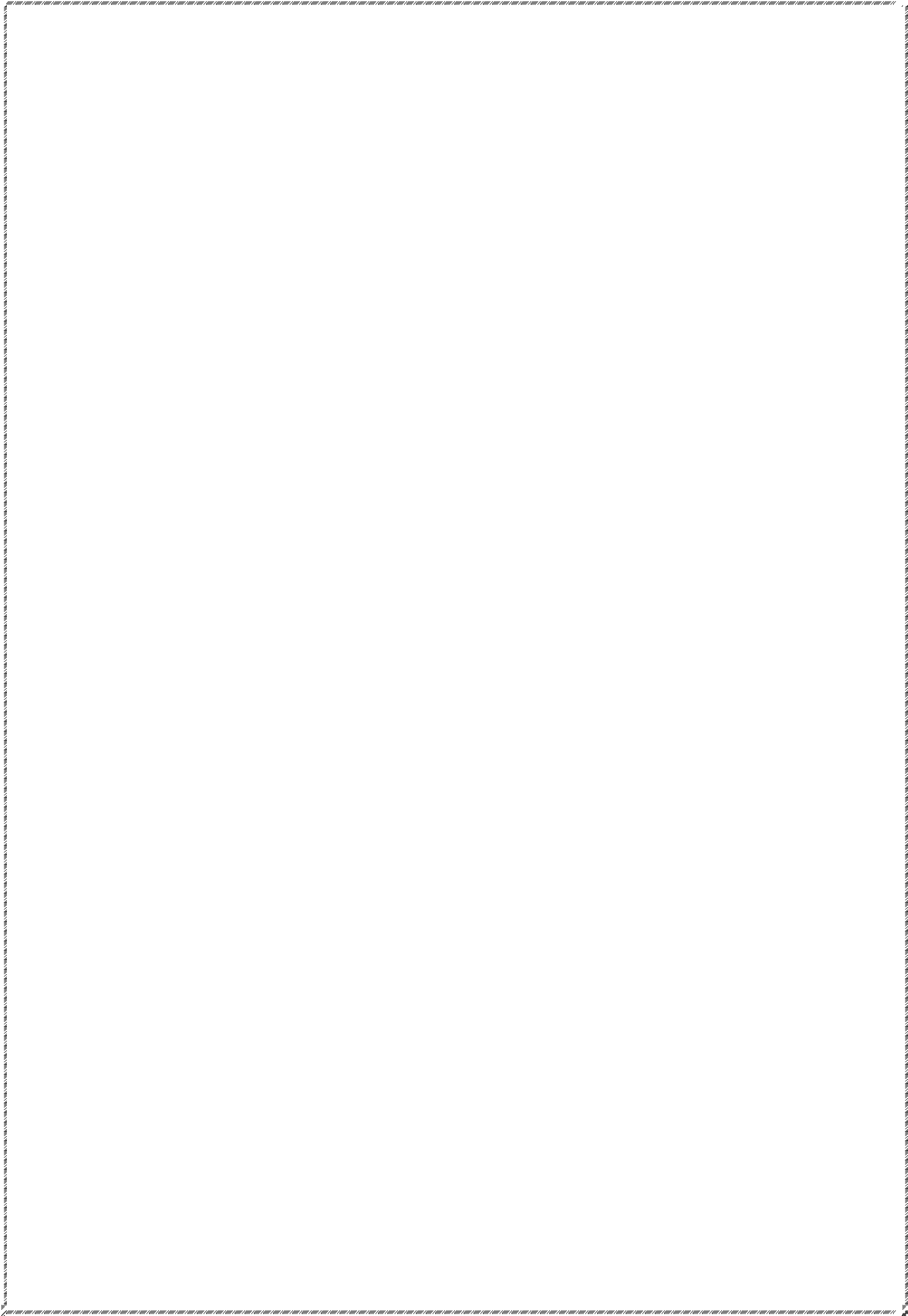
الدين بين العقل والنقل

فقه العلم والمعرفة في الدين والدنيا والآخرة

الجزء الأول

جميل شرف القدسي





الدين بين العقل والنقل

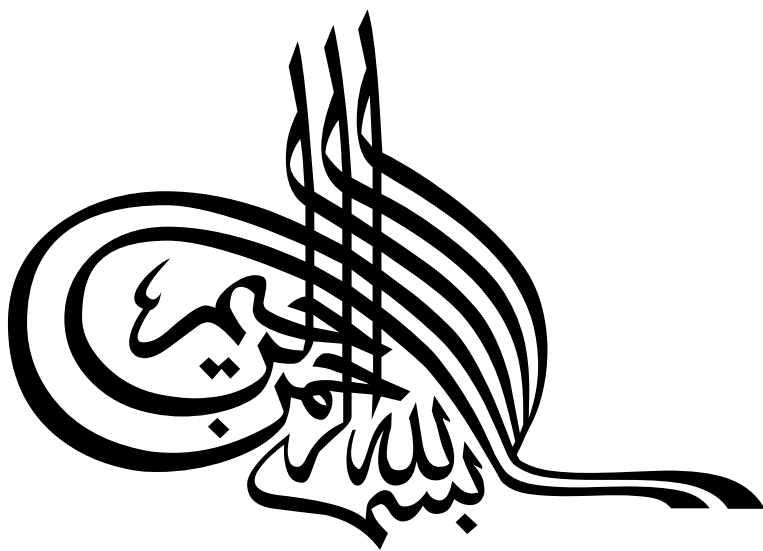
فقه العلم والمعرفة في الدين والدنيا والآخرة

الجزء الأول: (الدين الموجود)

جميل شرف القدسي

اسم الكتاب:	الدِّين بين العقل والنقل
اسم المؤلف:	جميل عبده شرف القدسي – المحامي عضو نقابة المحامين اليمنيين – وعضو اتحاد المحامين العرب
مواضيع	قدس.
المؤهل العلمي	ليسانس كلية الشريعة والقانون – جامعة صنعاء عام 1997م
البريد الإلكتروني:	gamd197025@gmail.com
رقم الإيداع لدى الهيئة العامة للكتاب - صنعاء:	145- حقوق النشر محفوظة للمؤلف.
الناشر:	مكتبة خالد بن الوليد.
الطبعة:	الأولى – سبتمبر 2022م
المراجع اللغوي:	د. عبدالإله القدسي.
طباعة وتنسيق وإخراج:	د. عزيز الدعيس وفيق سلطان الملح

نستقبل آرائكم وملاحظاتكم حول الكتاب على البريد الإلكتروني للمؤلف أعلاه



الإهداء:

إلى

... أخي الإنسان

... أينما كنت

... في الأرض

أو

... في السَّماء

كلمة شكر لأبد منها

لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لمن كان عقله ناضجاً وقلبه مفتوحاً وأخص بالذكر الأستاذ المستشار القانوني شايف حسان والأستاذ الصحفي/ عبدالرحمن بجاش والأستاذ الصحفي/ عبدالباري طاهر والمستشار القانوني الأستاذ/ عبدالملك السنباني ولا أنسى الزملاء المحامين الأستاذ/ محمد السراجي والأستاذ/ زيد السوسوة.

كما أشكر الأستاذ الدكتور/ عزيز الدعيس والأستاذ/ وفيق الملح لما بذلاه من جهد في عمله التنسيق والإخراج.

وأؤكد أن محتوى هذا الكتاب كاملاً صادراً عني وتحت مسؤولتي ولا يتحمل أي شخص أي مسؤولية عن ذلك.

المؤلف: جميل عبده شرف القدسي - المحامي

26 سبتمبر 2022م

قائمة المحتويات

19.....	تصدير (الطبعة الأولى).
21.....	مقدمة الكتاب:
43.....	الجزء الأول فقه تحريف النص الديني المقدس (الدين الموجود)
45.....	الفصل الأول التوراة (العهد القديم) والقرآن - قراءة مقارنة ومقابلة
45.....	التوراة في القرآن الكريم:
47.....	تعريف التوراة وأهم العناوين من (أسفار - توراة العبرانيين):
55.....	نصوص من التوراة والقرآن الكريم - قراءة مقارنة:
81.....	الفصل الثاني أقسام ومباحث التلمود اليهودي (المشأ الشريعة التفصيلية).
81.....	استهلال على مقدمة المترجم:
84.....	مجلد القسم الأول: زراعيم (الزروع) وفيه عدد من المباحث:
88.....	مجلد القسم الثاني: مواعيد (قسم الأعياد) وفيه عدد من المباحث:
92.....	مجلد القسم الثالث: القسم الثالث ناشيم (النساء) وفيه عدد من المباحث:
97.....	مجلد القسم الرابع: نزيقين (الأضرار) وفيه عدد من المباحث:
102.....	مجلد القسم الخامس: قداشيم (المقدسات) وفيه عدد من المباحث:
109.....	مجلد القسم السادس: طهاروت (الطهارات) وفيه عدد من المباحث:
115.....	الفصل الثالث الطوائف والفرق والجماعات اليهودية.
115.....	اليهود:
116.....	اليهودية (السامريون):
117.....	الفريسيون:
117.....	الكتبة الربانيين:
118.....	طائفة القراؤون أو القرائية:
119.....	الغيورين:
119.....	الصدوقيين:
120.....	القبالة (الكابالا):
121.....	طائفة الغنوصية:
121.....	الحريديم:
122.....	الهيرودسين:
122.....	الصهيونية:
122.....	يهود الأشكناز - والسفر دم:

الفصل الرابع إنجيل القرآن والأنجيل المتعددة – قراءة مقارنة - مقابلة	125
الإنجيل في القرآن الكريم:	125
مرجعية الفكر الديني المسيحي (النصراني):	126
ما جاء في الأنجيل:	126
ما جاء في كتاب أعمال الرسل:	131
خرافات الفكر المسيحي على فكر المذاهب الإسلامية:	132
عرض لبعض الطوائف والفرق والكنائس المسيحية:	134
النصارى:	134
الطائفة الكاثوليكية:	135
الطائفة البروتستانتية:	135
طائفة الأرثوذكسية المشرقية:	136
الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية:	136
الفصل الخامس فكر العقائد والأديان القديمة	137
الديانة الزرادشتية: الكتاب المقدس (أفستا):	138
التعريف بـ "أفستا":	138
الفنديدا:	140
أفستا الصغرى والصلوات:	143
روح العقل:	143
كتاب: (خرافة المعراج الزرادشتي):	143
دين الصابئة المندائيين:	146
دين الأيزديين:	157
الفصل السادس عقائد (أديان) الهند وشعوب الصين	163
الديانة الهندوسية:	163
الديانة البوذية:	167
الديانة والحكمة الكونفوشيوسية:	170
ديانة وعقيدة السيخ:	174
الفصل السابع التشريعات الإنسانية القديمة- قوانين بابل	176
تشريعات بابل:	176
الملك أورنمو:	177
قانون لبث – عشتار (1934 – 1924 ق.م):	179
قانون (بلالاما) ملك مملكة أشنونا (العراق القديم 1930 ق.م):	179

180..... شريعة حمورابي – مملكة بابل – العراق القديم.

190..... الفصل الثامن فقه القانون الروماني.

191..... الكتاب الأول: أقسام القانون من حيث علاقتهم بالقانون الخاص:

196..... الكتاب الثاني: عن الملكية والحقوق:

201..... الكتاب الثالث: المواريث غير الإيصائية (أي الشرعية)، وفي الالتزامات:

206..... الكتاب الرابع: الالتزامات الناشئة عن الجرائم والتعدييات والدعاوي بأنواعها والدفع:

208..... الملحق الأول: الخاص بالمواريث:

210..... الملحق الثاني: هذا الملحق من قواعد القانون الروماني العامة.

210..... أولاً: قواعد فقهية عامة:

211..... ثانياً: قواعد فقهية خاصة بالأخلاقيات

211..... ثالثاً: قواعد فقهية خاصة بنصوص القوانين:

212..... رابعاً: قواعد فقهية خاصة بالأموال والملكية وحق الانتفاع:

212..... خامساً: قواعد فقهية خاصة بالالتزامات والمعاهدات:

212..... سادساً: قواعد فقهية خاصة بالتبعات والضمان:

212..... سابعاً: من قواعد فقهية خاصة بالعقود المدنية ك (البيع – الرهن – والوكالة) وغيرها.

212..... ثامناً: قواعد فقهية خاصة بالجرائم:

212..... تاسعاً: قواعد فقهية خاصة بالأحوال الشخصية:

213..... عاشراً: قواعد فقهية خاصة بالنساء:

213..... أحد عشر: قواعد فقهية خاصة بالدعاوي:

213..... اثني عشر: قواعد فقهية خاصة بالقضاء:

214..... الفصل التاسع صناعة المذاهب والطوائف والجماعات الإسلامية (الدين السياسي)

218..... جماعة المعتزلة: الحسن البصري- واصل بن عطاء:

220..... وأصل ابن عطاء (المعتزلة):

222..... المذهب الشيعي (الاثنا عشري):

223..... المذهب الحنفي:

225..... المذهب المالكي:

228..... المذهب الشافعي:

230..... المذهب الحنبلي:

232..... المذهب الظاهري:

232..... مذهب ابن حزم الأندلسي:

233..... جماعة الأشاعرة:

236..... مذهب الإمام زيد:

المذهب الإسماعيلي الفاطمي (الباطني).....	238
طائفة الموحدين (الدروز).....	241
جماعات الصوفية.....	250

الفصل العاشر صناعة جماعات الدين السياسي الحديثة والمعاصرة (الإسلام السياسي) ... 266

جماعة البهائيين:.....	272
جماعة القاديانية (الأحمدية):.....	275
جماعة الدعوة والتبليغ:.....	277
جماعة السلفية الوهابية والجهادية.....	280
جماعة الإخوان المسلمين:.....	288
جماعة الإسلام السياسي الشيعي (النسب الديني المقدس):.....	302

الفصل الحادي عشر فقه تحريف التاريخ العربي الإسلامي: كتاب سيرة النبي لابن هشام أنموذجاً

.....	312
1.11 أهم الأحداث والقصص المحرفة والتي وردت في مزعوم سيرة النبي برواية جماعة ابن إسحاق:..	316
1.1.11 قصة "سد مأرب":.....	316
2.1.11 قصة الملك تبع اليماني.....	317
3-1-11 قصة فيمون من كتاب العهد الجديد:.....	317
4-1-11 قصة ابرهة الحبشي وهدم الكعبة:.....	317
5-1-11 قصة ماء زمزم والحجر الأسود وقصص أخرى:.....	319
6-1-11 قصة المعراج وفرض الصلاة:.....	320
7-1-11 قصة حضور إبليس مع ابن إسحاق:.....	323
8-1-11 وصم الرسول بالإرهاب والغدر والاغتيال:.....	323
9-1-11 غزو يهود بني النضير المزعومة:.....	324
10-1-11 قصة غزو يهود بني قريظة:.....	324
11-1-11 قصة جويرية وحديث الإفك:.....	326
12-1-11 قصة صفية بنت حيي ابن أخطب:.....	327
13-1-11 أحداث وقصص مزعومة من فتح مكة:.....	328
14-1-11 غزوة حنين وتشريع السلب والنهب:.....	330
15-1-11 غزوة هوازن وسبي النساء والجواري والأطفال:.....	331
16-1-11 قصة إرجاع إبرة المخيط:.....	332
17-1-11 قصة لزرع الانشقاق والتفرقة في أجيال المسلمين:.....	333
18-1-11 غزوة تبوك:.....	334

- 19-1-11 335 توريث الرسالة والنبوة لعلي ابن أبي طالب:
- 20-1-11 336 قصة أبي ذر الغفاري والتنبؤ بعلم الغيب:
- 21-1-11 337 قصص وأكاذيب من عام الوفود:
- 22-1-11 337 قصة الردة في الإسلام بطلها (مسيلمة):
- 23-1-11 339 قصة الردة في الإسلام بطلها الأسود العنسي:
- 24-1-11 341 قصة حجز الرسول للنساء بحضائر الإبل:
- 25-1-11 342 قصة الزكاة والجزية مع ملوك حمير:
- 26-1-11 342 ذكر السنة النبوية قبل ظهورها.
- 27-1-11 343 حجة الوداع وما فيها من المناسك والشعائر المندسة المخالفة للحج:
- 2-11 344 غزوات وسرايا النبي ووصفه بالغازي وما له من أبعاد ودلالات في التشويه:
- 1-2-11 345 غزوة زيد ابن حارثة ومصاب أم قرفة:
- 2-2-11 345 غزوة عبدالله بن أنس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي.
- 3-2-11 346 غزوة ابن أبي حدرد وقتل عامر ابن الأصبط الأشجعي:
- 4-2-11 346 غزوة بن أبي حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمي:
- 5-2-11 347 غزوة عبدالرحمن ابن عوف إلى دومة الجندل:
- 6-2-11 347 غزوة أبي عبيدة ابن الجراح إلى سيف البحر:
- 7-2-11 348 سرية زيد ابن حارثة إلى مدين:
- 8-2-11 348 غزوة عمير ابن عدي الخطمي لقتل عصماء بنت مروان:
- 9-2-11 349 سرية كرز ابن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يساراً.
- 10-2-11 350 بعث أسامة ابن زيد إلى أرض فلسطين:
- 3-11 350 التشهير بالنبي وذكر عدد من الزوجات المنسوبة كذباً للنبي محمد صلى الله عليه وسلم:
- 1-3-11 351 خديجة بنت خويلد:
- 2-3-11 351 عائشة بنت أبي بكر:
- 3-3-11 352 سودة بنت زمعة:
- 4-3-11 353 زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية:
- 5-3-11 354 أم سلمة هند، بنت أبي أمية ابن المغيرة المخزومية:
- 6-3-11 354 حفصة بنت عمر ابن الخطاب:
- 7-3-11 354 أم حبيب، واسمها رملة بنت أبي سفيان:
- 8-3-11 354 جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية:
- 9-3-11 354 صفية بنت حيي بن أخطب:

10-3-11	ميمونة بنت الحارث:	354
4-11	قصة سقيفة بني ساعدة:	355
الفصل الثاني عشر فقه تحريف الفقه الإسلامي: كتاب الرسالة للشافعي أنموذجاً		
1-12	كتاب "الرسالة" المقدمة وترجمة السماعات:	360
2-12	تصنيف الناس حال البعثة:	366
3-12	ما جاء في بيانات الشافعي:	374
1-3-12	الناسخ والمنسوخ لدى الشافعي:	375
2-3-12	تعريف الشافعي المحرف للناسخ والمنسوخ:	376
3-3-12	الرد على تعريف الشافعي للناسخ والمنسوخ:	378
4-3-12	التعريف الحقيقي والعمل للناسخ والمنسوخ:	379
5-3-12	الرد على قول الشافعي في نسخ القبلية:	380
6-3-12	الرد على قول الشافعي في نسخ حكم فاحشة النساء:	382
7-3-14	قول الشافعي بنسخ القرآن بالقرآن ثم بالسنة (نسخ الصلاة نموذج)	383
8-3-12	الرد على قول الشافعي في نسخ الصلاة:	384
9-3-12	نسخ القرآن لدى الشافعي بحديث في مسألة المحيض والرد عليه:	384
10-3-12	الناسخ والمنسوخ الذي تدل عليه السنة والإجماع والجزء الثاني:	389
4-12	أحاديث الأحاد والإجماع والقياس عند الشافعي:	391
1-4-12	باب الحجة في تثبيت خبر الواحد:	392
2-4-12	حديث الفريضة للاستدلال بخبر الأحاد: (١)	392
3-4-12	الرد على قول الشافعي حول العمل بخبر الأحاد (الفريضة):	393
4-4-12	دليل الشافعي حول مشروعية أحاديث العننة:	394
5-4-12	حكم الرجم بالحجارة حتى الموت بحديث الواحد والرد عليه:	395
5-12	الإجماع لدى الشافعي والرد عليه:	396
6-12	القياس في استنباط الأحكام من القرآن والسنة لدى الشافعي والرد عليه:	397
7-12	الشافعي والاستحسان والرد عليه:	399
8-12	قول الشافعي حول الاختلاف والرد عليه:	400
الفصل الثالث عشر فقه تحريف مدرسة الحديث		
1-13	تساؤلات وأجوبة:	403
1-1-13	السؤال الأول: هل الرسول أو النبي مؤكل إليه تشريع نص خارج القرآن؟	403
2-1-13	السؤال الثاني: هل القرآن الكريم ناقص لكي تكملة السنة والحديث وأقوال أئمة أهل البيت وغيرهم؟	406

3-1-13	السؤال الثالث: هل جاء القرآن غامضاً أو مبهماً حتى يفسر أو يؤول من المفسرين وأئمة أهل البيت:	407
4-1-13	السؤال الرابع: هل قواعد اللغة العربية شرط أساسي لفهم ومعرفة القرآن الكريم؟	410
5-1-13	السؤال الخامس: هل دعا الإسلام إلى تعدد أنماط حياة الإنسان على الأرض؟	411
6-1-13	السؤال السادس: هل أقر الإسلام حرية الأديان والاعتقاد؟	412
7-1-13	السؤال الأخير: من أين جاءت هذه الطوائف والمذاهب والفرق والجماعات الدينية وتلك الألهة؟	413
2-13	السنة والشيعة النشأة والتأثير:	415
3-13	حقيقة السنة والشيعة:	417
1-3-13	حقيقة مصطلح السنة:	417
2-3-13	حقيقة مصطلح الشيعة:	418
3-3-13	حقيقة مصطلح الحديث:	419
4-3-13	حقيقة أصول الفقه الإسلامي:	422
5-3-13	حقيقة علم الكلام:	424
6-3-13	حقيقة الاجتهاد:	424
الفصل الرابع عشر فقه تحريف أحاديث المذهب الشيعي (الكافي أنموذجاً)		
1-14	الجزء الأول الكافي: التوظيف السياسي للدين:	429
1-1-14	كتاب العقل والجهل:	430
2-1-14	كتاب التوحيد:	431
3-1-14	كتاب حجية الأئمة:	433
4-1-14	الإمامة الدينية والسياسية ليست أصلاً من أصول الدين:	438
5-1-14	الأنفال والفيء من الغنائم و(الخمس):	442
2-14	الجزء الثاني: التقسيم الديني والسياسي للناس	447
1-2-14	كتاب الإيمان والكفر:	448
2-2-14	كتاب التقية والكتمان:	448
3-2-14	الكتمان لدى الكافي:	449
4-2-14	كتاب الدعاء والأبواب المشتملة عليه:	450
5-2-14	كتاب فضل القرآن:	453
6-2-14	كتاب العشرة:	454
3-14	الجزء الثالث من الكافي: تحريف الشعائر والمناسك:	455
1-3-14	كتاب الطهارة وكتاب الحيض:	455

14-3-2	كتاب الجنائز:	457
14-3-3	كتاب الصلاة:	460
14-3-4	كتاب الزكاة:	462
14-4	الجزء الرابع من "الكافي" حول بعض الشعائر والمناسك:	464
14-4-1	كتاب الصدقات:	464
14-4-2	كتاب الصيام:	466
14-4-3	كتاب الحج والعمرة:	467
14-5	الجزء الخامس من "الكافي" الجهاد والمعيشة والنكاح:	472
14-5-1	كتاب الجهاد:	472
14-5-2	كتاب المعيشة: (١)	478
14-5-3	كتاب النكاح:	480
14-6	الجزء السادس: تأصيل الأعمال المدنية بالدين حسب قاعدة الحلال والحرام:	492
14-6-1	كتاب الدواجن:	493
14-6-2	كتاب العقيدة:	494
14-6-3	كتاب الطلاق والأبواب المشتملة عليه:	495
14-6-4	كتاب العتق والتدبير والكتابة:	495
14-6-5	كتاب الصيد:	496
14-6-6	كتاب الذبائح:	498
14-7	الجزء السابع وفيه تحريف واضح لأصول وأحكام الدين:	499
14-7-1	كتاب الوصايا:	499
14-7-2	كتاب المواريث:	500
14-7-3	كتاب الحدود:	501
14-7-4	كتاب الديّات:	507
14-7-5	كتاب القضاء والأحكام - الحاكمية السياسية للإمام:	510
14-7-6	كتاب الإيمان والنذور والكفارات:	512
14-8	الجزء الثامن، روضة "الكافي":	514
14-8-1	روضة الكافي من أحاديث حول أفضلية الشيعة:	515
14-8-2	روضة الكافي وخرافة المهدي المنتظر:	518
الفصل الخامس عشر في تحريف أحاديث السنة (صحيح البخاري أنموذجاً)		
التعريف بالبخاري:		523

526.....	التوظيف السياسي للدين:
531.....	كتاب الخصومات (القضاء):
531.....	كتاب المظالم:
532.....	كتاب الشهادات:
532.....	كتاب بدء الخلق والوحي والعلم والإيمان والتوحيد:
532	كتاب بدء الخلق:
537	كتاب بدء الوحي:
538	كتاب العلم:
541	كتاب الإيمان:
543.....	كتاب التوحيد (والرد على الجهمية وغيرها):
546.....	كتاب القدر:
547.....	كتاب التفسير فضائل القرآن الكريم والسنة وخبر الأحاد:
553.....	كُتب الطهارة والنجاسة والوضوء:
556.....	كتاب الصلاة:
562.....	كتاب الصيام:
565.....	كتاب الزكاة:
566.....	كتاب مناسك الحج والعمرة:
570.....	ما جاء في صحيح البخاري حول فقه المرأة:
575.....	كتاب فقه المواريث والوصية:
577.....	كتاب العبيد (الرق):
579.....	كتاب الحدود:
586.....	كتاب فرض الخمس:
588.....	كتاب الجزية:
589.....	كتاب المغازي:
592.....	كتاب المرتدين وكتاب الإكراه والحيل وكتاب الفتن:
595.....	كتاب التعابير والرؤيا:
596.....	كتاب الفتن:
598.....	كتاب التمني:
598.....	كتاب الأنبياء والصحابة:
601.....	كتاب الإيمان وكتاب النذور وكتاب الآداب:
603.....	كتاب الدعوات (الدعاء):
604.....	كتاب الرقاق (أهوال الموت):
605.....	كتاب الجنائز:

الفصل السادس عشر تأكيد مشروعية التحريف في الفكر الإسلامي - كتاب (الملل والنحل انموذج)

607.....	
----------	--

607	المقدمة الأولى: في بيان أقسام أهل العالم جملة مرسله:
608	المقدمة الثانية: في تعيين قانون بينى عليه تعدد الفرق الإسلامية:
609	المقدمة الثالثة: في بيان أول شبهة وقعت في الخليفة:
610	المقدمة الرابعة: في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية:

تصدير (الطبعة الأولى)

اختص الله جلّ وعلا القرآن الكريم بمجيئة مخاطباً للعقل والفكر بقوله: "أفلا تعقلون" ويخاطب الفكر بقوله: "أفلا تتفكرون" ويدعو للجدل المعرفي عن علم وهدى ويخاطب القلب والفؤاد والسمع والبصر، كل أولئك كان عنه مسؤولاً من أجل إكثار الحق والصراط المستقيم ومن نافلة القول: إن الله سبحانه وتعالى أكد على فقه كلامه وإكثاره بالعقل من خلال آيات متكررة للتحفيز جاءت في سورة القمر وسور أخرى، كدليل صريح على أن كلام الله الثابت المُنزّل بلغات وأسماء متعددة قد جُمع في القرآن فكان حُجة على اللغة وليس العكس وليؤكد لنا أن اللغة العربية ماهي إلا وعاء حامل لكلام الله بمعانيه ومضامينه، لمخاطبة ماضي وحاضر ومستقبل العقل.

- قَالَ اللَّهُ (سبحانه وتعالى): ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (الآية: 17).
- قَالَ اللَّهُ (سبحانه وتعالى): ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (الآية: 22).
- قَالَ اللَّهُ (سبحانه وتعالى): ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (الآية: 32).
- قَالَ اللَّهُ (سبحانه وتعالى): ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (الآية: 40).
- قَالَ اللَّهُ (سبحانه وتعالى): ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ مريم (97).

- قَالَ اللَّهُ (سبحانه وتعالى): ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الدخان (58).

وبهذا اجتهدت في قراءة آيات القرآن وفهمه (فقه)؛ فهو (المبين - والمفصل - والمحكم - والميسر - والكريم - والعظيم - والمجيد - والعربي - غير ذي عوج)، فضلاً عن القراءة المرتلة مع وعي في أن هذا العمل يحتاج لمزيد من الإثراء في الطبقات اللاحقة في المستقبل - إن شاء الله - وبالطريقة نفسها والمنهاج المتبع للوصول لكامل الحقيقة المنشودة واعتذر عن أي خطأ لغوية أو نسيان أو تكرار، فهذا جهدي الشخصي الذي حاولت إخراجهِ للناس... موزعاً في جزئين تسهيلاً للقارئ.

والذي أطمح إليه في أن يكون هذا العمل نذراً خالصاً لله سبحانه وأرخص بنشره واقتنائه إلكترونياً لمن يرغب، باستثناء النسخة الورقية فلا أسمح بنسخها وتداولها إلا بعد أخذ إذن خطي مني حفاظاً على المحتوى واختتم تصدير هذه الطبعة بآية الذكر الحكيم قال تعالى "قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ" (هود: 88).

مقدمة الكتاب:

من المسلم به أن الإسلام هو دين العقل والفكر والتدبر والإدّكار، فقد ارتضاه الله سبحانه أن يكون دينه للنّاس أجمعين وحمل الأنبياء والرّسل مشاعل النور لهذا الدين في كل زمان ومكان على الأرض، ابتداءً بسيدنا آدم الأنثى وزوجه آدم الذكر ومن بعده نوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل ويعقوب وموسى وهارون وداود وسليمان وعيسى ومحمد (عليهم جميعاً الصلاة والسّلام)، فجميعهم حملوا رسالةً واحدةً لدين الإسلام، تحمل في طيّاتها العلم بالفضيلة والإيمان بالله سبحانه والعمل بالمناسك والشعائر وقواعد الأحكام والحلال والحرام والأوامر والنواهي وما جاء من قصص وأمثال ووعظ وإرشاد، للمعرفة بالخالق والمخلوق على منهاج واحد وإن تعدّدت المسمّيات من صحف إبراهيم والتوراة والفرقان والزبور والإنجيل، فكله كلام الله الذي جُمع في القرآن الكريم ليخاطب العقل على مراحل من الزمن حسب التطور المعرفي للإنسان ووفق ديمومية الصراع بين الخير والشر، فكان كلام الله سبحانه المبتدأ التعريف بالعلم والمعرفة بالشيء وبالله خالق الشيء وكلُّ شيءٍ ما دون الله شيء، وهو ليس كمثله شيء - سبحانه، ثم تتابعت مشيئته وإرادته المنفردة في الخلق والتكوين ابتداءً وانتهاءً، فلا يسأل عما خلّق، وهو اللطيف الخبير، فجاء كلام الله - سبحانه - ليبين كيف كان حال الخلق السلف، فوصفهم بأنّهم كانوا أمم أمثالنا، من الدّواب الزاحفة والراجلة والطيور تسري في أجسامهم الدماء، أفسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فحق عليهم الفناء، ثم كيف بدأ خلق البشر كخليفة لذلك الخلق السلف.

وقد كانت تلك الأعمال السيئة من الفساد سبباً محتملاً بفنائهم عن الحياة على الأرض وبقيت آثارهم شاهدة عليهم وقد أطلق على ما قبل خلق البشر بعصر الديناصورات والعصور الطباشيرية وغيرها والمعبرة عن الخلق السلف وهي عصور منفصلة عن خلق البشر تماماً، إذ كانت في الأرض حياة لخلق سلف بعكس ما تقوله كتب العقائد القديمة، ثم شاءت إرادة الخالق أن يخلفهم بخلق آخر، فاختار خلق البشر؛ على قاعدة واحدة من خلقه لكل الأحياء، عبر سلسلة من التحضير والتكوين وفق أمر الكينونة فكان خلقه من مكونات الأرض وتحديداً من الماء والتراب والطين اللزب، ثم صلصال مسنون وصولاً إلى نفخ الروح الوظيفية، فصار بفعل أمر الكينونة بشراً (آدم الأنثى - وآدم الذكر) اللذين كانا مخلوقين كاملين في الخلق والتكوين وخلق من نفس واحدة فكانت النفس المحركة للمادة والقابلة للتناسل والكرثة وعلمه مما يشاء وجعل فيه الإرادة الحرة وزوّده بأدوات المعرفة، فكان العلم محله العقل والفؤاد ليعقل ويدكر وبالسمع والبصر ليفقه.

لقد شهد البشر مراحل متعاقبة من الأحداث والتطورات ابتداءً بتعليم آدم وزوجه كليات العلم بالأسماء وحرية المنفردة في الحركة والانفعال والشعور، مع ظهور معارضة له من إبليس تسببت في نكسته في كوكب جنة عدن، فأصيب بالعصيان والغواية والنسيان، ثم تبعه عصر الخروج من كوكب جنة عدن والهبوط إلى الأرض كعقاب لفعل العصيان ولتبدأ مرحلة

جديدة من الحياة، ثم جاء عصر الحياة والاستقرار والتكاثر والتناسل والانتشار للبشر في الأرض، فكان آدم الأنثى سيد ذلك العصر وأصل التناسل والتكاثر والذي خلق منها زوجها أو جعل منها زوجها (آدم الذكر)، ثم بثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً وعلى إثر ذلك تغيرت حياة البشر عبر مراحل من الأزمان، فمن طور الأسرة إلى طور القبيلة فالمجتمع، ثم ظهرت مسميات أحرّ للأطوار المتعاقبة للفكر والتفكير العقلي، فأطلق على أطوار حياة البشر المتعاقبة بالعصور ابتداءً بعصر الخلق والكمال بكوكب جنة عدن كما أسلفنا، ثم عصر الهبوط والاستقرار في الأرض، ثم حصل النزاع والحروب، فأنحط عقل الإنسان البشري بنسيانه للعلم المتلقى عن الخالق على أرضية كمال الخلوقة الأولى فنسي العلم بكليات الأسماء المتلقى من علم الله سبحانه، فتراجعت مسيرة حياته نحو التدهور إلى العصور الحجرية البدائية، ثم بدأ الإنسان يستعيد بعض العلم والمعرفة بعددٍ من المهن المرتبطة بحياته، فبدأ بتعلّم مهنة الصيد والرعي، ثم تعلم مهنة الزراعة ثم الملكية والتي خلقت جانباً من الاستقرار وتكوين الأسرة وصولاً إلى تشكّل المجتمع فالقبيلة، ثم تطوّر إلى عصر الشعوب والأمم ومعه نشأت الحضارات ومع مسيرة حياة الإنسان كان كلام الله سبحانه مرافقاً لمراحل وأطوار وعصور حياة البشر وفق أرضيتهم المعرفية محذراً من العدو الأول، المتربص في عدائه لمسيرة حياتهم طيلة تلك العصور وحتى قيام الساعة وفق مشيئة قدرها الله سبحانه، فكان كلام الله الموحى به عبر الأنبياء والرُّسل آيات ثابتة محكمة ومفصلة لا يتغير بتغير الأنبياء والرُّسل وقد احتوت هذه الآيات على كثير من قواعد عموم الأحكام وتفصيل الحرام والمناسك والشعائر والأمثال والقصص وبديع الألفاظ والمعاني والصور الإيحائية والخيالية وجمال الصوت في تركيب الألفاظ والتصور الفني والدرامي، كما جاء بأوامر من الأفعال والنواهي والترغيب والتحذير وغيرها، مخاطباً به نفس الإنسان وعقله وحواسه وفق أطوار حياته في العصور المتعاقبة ولندع القرآن الكريم يصف بعض المشاهد الذي مرّ به الإنسان في الفكر والتفكير وفق هذه الآيات المعبرة عن واقع محاكاة تفكيره العقلي، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاقِهِ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾، (إبراهيم: 9) وآية آخر في عهد قوم نوح، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾، (نوح: 7)، تلك المشاهد التي توحى للقاري وصف حال التفكير عند تلك الأقوام وهم أشبه بأناس عديمي البصر والبصيرة، جاحدين عن جهل بإعمال العقل والفكر، فتراهم يلجوا لحركاتهم المادية باستخدام أيديهم وأصابعهم وثيابهم، للتعبير عن مسلمات عقلية وحقائق فكرية تشبهاً بالأطفال.

ومن هنا فكلام الله هو ما خاطب به الملائكة وآدم وزوجه وإبليس وأوحى به للأنبياء والرُّسل ولغيرهم من المخلوقات، كما أوحى به إلى السَّماء والجبال من كونها مادة وأوحى للنحل ولغيرها من المخلوقات في علم الله سبحانه وفق ما جاء بآية القرآن الكريم: قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اانثِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا

طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، (فصلت: 11، 12). ووحيه بصيغة الأمر للجبال من كونها مادة، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ، (سبأ: 10). ووحيه للنحل بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ، (النحل: 68، 69). ووحيه للأنبياء والرُّسل، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا، (النساء: 163). وخاطب إبليس، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ، (ص، 75).

وقد تتابع الوحي بعد ذلك بكلام الله الأزلي الثابت والحادث العالم بالماضي والحاضر والمستقبل وفق مشيئته المنفردة ابتداءً وانتهاءً بصحف إبراهيم وبما كُتِبَ على الألواح لموسى وهارون (التوراة)، (الفرقان) وكلامه الموحى لداوود (الزبور) وكلامه الموحى لعيسى (الإنجيل) وكلامه المنفرد الموحى به لبقية الأنبياء والرُّسل وكلامه لغير بني الإنسان مما خلق الله في الأرض والسموات والملائكة وكل هذا الكلام وإن كان قد أُوحيَ به بعدد من اللغات، فإن مشيئته اقتضت جمع هذا الكلام في كتاب واحد سمَّاه الله القرآن وجعل هذا الكتاب بلسان عربي اللُّغة ووصفه بالمبين والمفصل والمُحكَّم والعظيم والحكيم والمجيد والكريم وفيه شفاء ورحمة وقرآنًا عجبًا وعربيًّا غير ذي عوج والميسر للذكر والإيِّكار وغيرها من بديع الأوصاف والمحاسن، لا يقبل معه التفسير ولا التأويل ولا يحمل أوجه متعدِّدة في الاستدلال، مخاطبًا به عقل الإنسان وفكره، فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى صيغ بألفاظٍ وكلماتٍ وجملٍ ومصطلحاتٍ عربية اللسان، سهولة الفهم والإيِّكار، يُفقه بالعقل والقلب، خالٍ من التعقيد وبيِّن بعضه بعضًا فكان نصًّا ثابتًا يحمل من العموميات والخصوصيات والتفاصيل والأمثال ويتوافق مع العقل والعلم، بل هو العلم ذاته، وهو مع مخاطبة للعقل فوقه ويعلوا عليه يخاطب العقل ويفوقه أحيانًا وبناءً على ذلك، كان لهذا الكلام مكانةً يعلو فيها على ما دونه ولا يعلى عليه، فاستحق القول عنه: إنها آيات سامية بكل معاني السمو والرفعة ومن أجل ذلك اتخذت القرآن قاعدة أساسية للمقارنة والمقابلة مع غيره في هذا المؤلف من النصوص، مثل نص التوراة (العهد القديم) ونص التلمود ونصوص الأناجيل (العهد الجديد) وأعمال الرسل ونص أفسس للزرادشت ونص الكنز رابا للصابئة ونص من ديانة الهندوس ونص من ديانة بوذا ونص أحاديث مذاهب السنة / الشيعية وغيرها من النصوص التي صبغت بالصبغة الدينية المقدسة، متقولين أنه صادر عن الله والرُّسل والأنبياء، والله والأنبياء والرُّسل منه براء.

لقد جاءت فكرة تأليف هذا الكتاب بجزائيه لفضح جماعة تحريف الفكر الديني التي أوغلت في تحريف كلام الله، فخلقت نصوصاً نسبتها إلى لله على السنتهم مدعين أن الله أوحى به للأنبياء والرُّسل، نتج عن ذلك إرثٌ غزيرٌ من فكر العقائد والأديان والملل والنحل

والمذاهب والطوائف والفرق، وهو في الحقيقة تحريفاً وزوراً على الله سبحانه وعلى الأنبياء والرسول وأدلة تحريفها تظهر بوضوح من خلال المقارنة التي تظهر التناقضات في ذاتها ومع بعضها البعض ومع الفطرة السليمة وتتصادم مع العقل والعلم والحقائق الكونية الثابتة في الأرض والسماء، ومن خلال مقارنة تلك الآيات بالقرآن كلام الله، فإن القرآن يسمو ويدحض تلك النص المتناقض والذي يظهر في كل الديانات والعقائد والفرق والطوائف والمذاهب المحرفة بما فيها مذاهب الفكر الإسلامي السنة، الشيعة وغيرها، بل ويفضحها بصورة واضحة، وهو موضوعنا الأساس في هذا المؤلف.

ومعلوم أن القرآن لا يتصادم مع حقائق العلم والعقل، بل يدعو للتفكير والتدبر والإدراك وتلك من مسلمات العلم والمعرفة، كما يدعو للعلم بإجراء البحوث العلمية والتطبيقية لبلوغ الإنسان قدراً من المعرفة به ويحصل الإيمان والعمل الصالح، وهو ما حاولنا إبرازه في محتوى هذا المؤلف الذي يقدم الدين المفقود المغيب في واقعنا المعاصر ويفضح الدين الموجود المحرف لواقعنا والمشوه لعلاقتنا في عموميات الحياة وبمختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية والفنية والعلمية وغيرها.

ومع التأكيد على أن ذلك النص المقدس من صنع جماعات تحريف الأديان والطوائف والمذاهب والفرق وهي صناعة واحدة، فقد عملنا على كشف هذا الزيف والتحريف، الذي دس في الفكر الديني منذ عشرات القرون لمسح شخصية الإنسان المؤمن بالله سبحانه وخلخله عقيدته الإيمانية ونشر الشرك والإلحاد.

ومن المسلم له أن الله سبحانه قد عرفنا بمؤسس هذه الجماعة من خلال مادة خلقه وعمله وبصورة واضحة، فهو إبليس (الشیطان الرجيم)، وهو مخلوق موجود صلب بخاصية التخفي، فهو وقبيله يروننا من حيث لا نراهم وفق قول الله جلّ في علاه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، (الأعراف: 27) وبهذا عُرف هذا المخلوق الصاغر من خلال كثير من محطاته وشواهد الأحداث التي كان له الدور الرئيس فيها وللتعريف به من خلال الوعد والقسم الذي ألزم به نفسه (بعزة الله)، بمعنى ليس له إرادة مطلقة كما قد يصفه البعض، بل يخضع صاغراً للإرادة والمشیئة الإلهية، قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، (ص: 82). والقول هنا: إن زعيم جماعة التحريف إبليس (الشیطان الرجيم)، كان أول المعارضين لخلق البشر بكوكب جنة عدن، ثم على مسيرة حياته على الأرض، إذ تمثل مشروع معارضته في أهداف محددة، منها: إغواء آدم وزوجه، ثم نسله وذريته من الناس أجمعين وقد تعددت أساليبه وفق ما أعلن بقوله: لاحتكن ذريته (نسل آدم وزوجه) على مسيرة حياتهم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنُؤْخِرَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْتِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾، (الإسراء: 62) وأوضح مدى إصراره لتحقيق أهدافه بوسائل وأساليب متعددة، قال الله سبحانه: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، (الأعراف: 17) وعن كيفية أساليبه لتحقيق أهدافه، قال الله سبحانه: ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ

لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِيهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)، (الأعراف: 20).

وهنا جاء الرد من الله سبحانه للتعريف بأساليب أخرى لعمل مؤسس هذه الجماعة، تمثلت باستخدام صوته والمشاركة في الأموال والأولاد والوعد الكاذب والمغرور وفق ما ذكره الله بقوله جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَوْفُورًا وَاسْتَغْفِرُ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾، (الإسراء: 63، 64) وزاد الله - سبحانه وتعالى - أن عَرَفَهُ لِلإِنْسَانِ فِي آدَمَ بِالْعَدُوِّ مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾، (طه: 117). ومع التعريف بخبث هذا المخلوق العنيد الصاغر، الذي استطاع أن يزل البشر عن الحق وفق ما جاء في قوله جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾، (البقرة: 36).

ولمزيد من التعريف بهذا المخلوق الصاغر من مسيرة عمله في إغواء النَّاسِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: 39)، مستثنياً المخلصين من عباد الله، قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾، (الحجر: 40) وبتلقي آدم من ربه كلمات من الدعاء والاستغفار والتضرع تاب عليه، قَالَ تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، (البقرة: 37).

ومع كل ذلك فقد أوضح الله سبحانه أن هدايته للناس سوف تستمر لحماية البشر من إبليس الشيطان الرجيم لضمان عيشه واستقراره على الأرض، قَالَ سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾، (طه: 123) وفي آية آخر، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، (البقرة: 38).

وقد تمثلت هداية الله سبحانه بما أرسل من كلامه عبر الأنبياء والرُّسل وما فرض من أحكام وشعائر ومناسك وعبادات ووصايا للناس جميعاً، ثم بيَّن الحق سبحانه أنَّ عباد الله المخلصين لن يكون للشيطان عليهم سلطة لإغوائهم وإخراجهم من الحق إلا مَنْ اتَّبَعَ إبليس في أعمال الشر والضلالة وأتباع طريق السبل، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾، (الحجر: 42). فتوعد إبليس أنه سيقعد لفعل الشر مع سبق الإصرار والترصد، قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، (الأعراف: 16).

وفي بيان معنى الصراط المستقيم وفق ما جاء بكلام الله سبحانه، فقد جاء ذكر الصراط في أكثر من أربعين آية (نصاً)، نذكر بعض منها، قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ

ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، (الأنعام: 151، 152، 153) وقوله جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾، (آل عمران: 51) وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، (المائدة: 16) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ﴾، (الأنعام: 126) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، (الأنعام: 161) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، (المؤمنون: 73) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، (الملك: 22) وغيرها من الآيات.

غير أن إبليس وجماعته من الإنس والجن عقدوا العزم على تحريف هذه الأوامر والأعمال عن جادة الصراط المستقيم باتباع السُّبُل؛ والسبل هي خلق نص يتمثل أو يتساوى مع كلام الله سبحانه، بل وأحياناً يعلو عليه، مدعياً أنه وحي من الله سبحانه جاء بلسان النبي أو الرسول من كونه لا ينطق عن الهوى، فعملوا من خلاله على تحريف القرآن (كلام الله) وبحجج متعددة منها تفسير الآيات أو تأويله أو تفصيل المجمل وتقييد المطلق فخلقوا نصاً ديني وصفوه بالمقدس مدعين كذباً بلسان النبي أو الرسول.

وقد كان وما يزال هذا النص يحمل من صفات الضعف والتناقض والتحريف للشعائر والعبادات وقواعد الأحكام ويدعو للعنف والإرهاب والظلم والاستبداد والفساد والإفساد والجور ونقض العهود والعقود ونشر الرذيلة وغيرها من الأعمال المضادة للفضيلة وينتهي الحال بمن يربط مصيره بمصير هذه النصوص والأعمال إلى واقع مخزي، كما تصف الآيات من كلام الله سبحانه - من سورة إبراهيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، (إبراهيم: 21، 22) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿كَمْثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (الحشر: 16) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (طه، 124، 125، 126) وغيرها.

وليس الاستشهاد بهذه الآيات من أجل شيطنة أعمال الآخرين وأفكارهم، كما قد يتبادر لأذهان بعض القراء، بل أنني أدعو القارئ الكريم لقراءة متأنية ميسرة خالية من التكلف

اللفظي لكلام الله في القرآن الكريم ومقارنته بغيره من كتب ونصوص الفكر الديني المختلفة (التوراة- الأنجيل - أفسستا - الكنز رابا - التلمود - كتب المذاهب الإسلامية السني / الشيعي وغيرها) وبما يوحي بعضهم لبعض، إذ إنهم صنعوا نصاً نسبوه لله وللأنبياء والرسل وبه زوروا أحكام وشعائر ومناسك الدين وحرفوا الكلام عن مواضعه على مرّ الأزمان من مسيرة تاريخ البشر، بل وسعوا التحريف إلى استبدال كلام الله سبحانه بكلام من عند أنفسهم وبما أوحى إليهم الشيطان زخرفاً من القول غروراً، وهو ما حاولنا إظهاره خلال أجزاء هذا الكتاب.

ومن شواهد الأحداث على مسيرة حياة البشر والتي بيّنها كلام الله سبحانه في القرآن، نذكر منها فعل المعصية والخروج عن مسار الحق والصراط المستقيم الذي دعا إليه سيدنا نوح لتوحيد عبادة الله سبحانه والدعوة لأعمال الفضيلة، فعوقبوا بإغراقهم في الماء، ثم جاء من بعدهم قوم عاد وثمود، فكان للشيطان منهم نصيب، فاستحبوا العمى على الهدى، فأخذتهم صاعقة الهون وعوقبوا بالريح فكانوا كأعجاز نخلٍ خاوية وأصبحوا في دارهم جاثمين.

ومن حبّ الله سبحانه ورحمته بالناس جاء إبراهيم - عليه السلام - بالمعرفة والجدل العقلي في معرفة الخالق والمخلوق، فكان محطةً فارقةً في الإدراك العقلي والمعرفة بالعلم، فقد أسس منهج المعرفة العلمية بالدين (الفلسفة) والتي أصبحت بعد ذلك منهج علوم حياة الأمم والشعوب وما زالت حتى يومنا هذا وستستمر لمستقبل الأيام القادمة، ثم جاء ذكر فرعون ذي الأوتاد وقوم تبع وما بينهما أقوام لا يعلمهم إلا الله، جاءتهم رسلهم بالحق، فكل كذب الرسل، فحقّ وعد الله عليهم بالهلاك.

وهكذا تتابعت الأحداث والسير إلى أن جاء موسى وهارون عليهما السلام بآيات واضحة لفرعون وقومه، في الوقت الذي وقف إبليس (الشيطان) على الجانب الآخر مصطفىاً مع فرعون وبعض من قومه الذين أطاعوه فجازاهم الله سبحانه بالغرق في اليم، ثم كتب الله سبحانه لموسى في الألواح من كل شيء تفصيلاً، هدى ورحمة للمؤمنين على طريق الصراط المستقيم وأمر بالأخذ بأحسنها (الفرقان والتوراة) واصطف إبليس مع جماعة من بني إسرائيل عاقداً العزم معهم التحريف لكلام الله سبحانه المدوّن في الألواح، فجازاهم الله سبحانه بعدد من العقوبات الرادعة، إلا أن بعضهم كانوا أكثر تعنتاً وجدلاً، عاقدين لواء التحالف المستمر والدائم مع إبليس وفق ما جاء في التوراة على سبيل المثال - سفر اللاويين (16) الذي اعترف وأقرّ بسيادة إبليس (الشيطان) ومساواته بالرب في تقديم فداء القربان، يظهر ذلك من خلال عنوان النص: مراسيم يوم الكفارة وتيس عزازيل؛ إذ تقولوا كذباً على الله سبحانه: إنه أمر هارون بتقديم تيس فداء للرب وتيس آخر يطلق في الصحراء فداءً لعزازيل (إبليس الشيطان) وفق ما جاء بالنص التالي: (ويلقي هارون على التيسين قرعتين: قرعة للرب وقرعة لعزازيل 9 ويقرب هارون التيس الذي خرجت عليه القرعة للرب ويعمله ذبيحة خطية 10 وأما التيس الذي خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حيّاً أمام الرب، ليكفر عنه ليرسله إلى عزازيل إلى البرية 11). "سفر اللاويين".

ولا يقف البعض من بني إسرائيل عند هذا النص الفاضح الذي يظهر ارتباطهم بتمجيد الشيطان ومساواته بالله سبحانه وتعالى مبررين ذلك بعدد من الأعذار الجوفاء، بل ذهبوا أبعد من ذلك كما فعل أحد أعلامهم، وهو السامري الذي أخرج لهم عجلاً جسداً له خوار، موهماً إياهم أنه إله يعبد من دون الله سبحانه، فحرّف عقيدة بني إسرائيل المؤمنين بحضرة رسول الله موسى وأخيه هارون وبوقت نزول التوراة والفرقان، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ، فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي، قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ، (طه: 85، 86، 87، 88). إلى آخر هذا الحدث، الذي أقرّ فيه السامري بفعل التحريف الموصوف، بإخراج عجلٍ جسدي له خوار.

وذلك بتقديري عمل أقلّ ما يوصف أنه عمل خارق للعادة، يتضح من خلال شرح السامري لخطوات صنعته للعجل، بقوله بالمفردات اللغوية ذات المعنى العلمي للتجربة والبحث العلمي: بصرت أي (علمت) وقبضت (تجربة من البحث العلمي) وأثر الرسول (المادة) وسولت لي نفسي (الهدف أو القصد) وغيرها، كما ورد في قوله جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ؟ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي، (طه: 95، 96). إلا أنّ جماعة من بني إسرائيل حرّفت هذا الحدث وزعمت أن هارون هو من صنع العجل وليس السامري وفق هذا النص من التوراة الذي يبين التناقض الواضح والمفصوح والمشوه لسيرة النبي هارون عليه السلام؛ «وقال موسى لهارون: ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة؟ 22، فقال هارون: لا يحم غضب سيدي أنت تعرف الشعب أنه في شر. 23، فقالوا لي: اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أضعنا من أرض مصر، لا نعلم ماذا أصابه. 24 فقلت لهم: من له ذهب فلينزعه ويعطني. فطرحته في النار فخرج هذا العجل 25» (سفر الخروج) ومع هذا كله اصطنع بعض من بني إسرائيل طائفة دينية خاصة بالسامري ما زالت قائمة حتى يومنا هذا.

ومن هنا أصبح التحريف سنة متجذرة لدى بعض من بني إسرائيل ومنهم برزت أحداث وقصص أخرى حول تحريف كلام الله، فتلبّس إبليس بجماعة منهم، فأحدثوا التحريف للنص (توراة العبرانيين- التلمود- وغيرها) ليضلّوا به حياة المؤمنين من بني إسرائيل ويخرجونهم عن جادة الحق وقد فعلوا في الكثير منهم، ثم ليضلّوا به الناس أجمعين، من خلال مسيرتهم في التحريف ابتداءً من ذلك الحدث وحتى يومنا هذا وقد جاء ذكرهم ووصفهم في القرآن بلفظ: (الذين هادوا)، وهو لفظ ورد مراتٍ عدة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، قصد منه التعريف بجماعة من اليهود من بني إسرائيل لا غيرهم، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ

لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ، (المائدة: 41)، ثم زاد التعريف بعلمهم وصفاتهم من القساوة وأعمال التحريف لكلام الله وفق ما جاء في هاتين الآيتين، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ، أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، (البقرة: 74، 75). وهذا كلام واضح عن بعض اليهود من لدن خالقهم و(مِنْ) هنا للتبعيض منهم وليس جميعهم، وهو أعلم بحقيقة عملهم، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِالسِّنْتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، (النساء: 46) وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ فِي تَعْمَدِهِمُ التحريف: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُمُ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، (آل عمران: 78).

وهكذا وصف الله سبحانه عمل بعض هذه الجماعة من بني اليهود وقيامهم بتحريف كلام الله وصناعة نصٍ يساوي أو يتفوق في الاستدلال على كلام الله سبحانه، وهو ما توعده به سيدهم الأول إبليس بالعود على صراط الحق، ليصنع الباطل ومن الزيف والكذب والخرافة لبعض بالفضيلة، فتوالت أعمال بعض هذه الجماعة وتعددت وتفرّعت وأصبح لها مناهج وطرق ظاهرة وباطنة.

ومن أخطرها تلك الجماعات الباطنية السرية المنشئة للجمعيات اليمينية المتطرفة دينياً وطائفيًا ومذهبيًا وغيرها والتي دست تحريفها بكل الأديان والطوائف والمذاهب وهدفها واحد هو التحريف عبر مسيرة الأمم والشعوب، فصنعوا عدداً من الكتب أطلقوا عليها مسميات متعدّدة، مثل: تورااة العبرانيين وتورااة السامريين بأسفارها المتعدّدة وعدداً من الكتب الملحقة بها، كما صنعوا التّلמוד والمشناه والجمارا بأقسامه وادّعوا أنها الشريعة التفصيلية للتورااة المنزلة عن الله لموسى ومن موسى للكهنة والحاخامات وكتب أخرى منها المدارش وكتاب آدم وحواء وغيرها.

وقد عُرف عمل هذه الجماعات من خلال ما دسته في هذه الكتب التي احتوت على العنف والإرهاب والأصولية المتطرفة وانتقل عملها لتحريف الإنجيل فصنعت منه قرابة سبعة أناجيل أو أكثر، مع ما أضيف إليها من كتب أخرى، كأعمال الرُّسل وغيرها وقد أطلق عليها: العهدين القديم والجديد وبهما صنعوا فكر العقيدة المسيحية التي يصل عدد أتباعها اليوم إلى (40%) من سكان العالم تقريباً، وهم بالأصل كانوا وما يزالوا مسلمين لله رب العالمين، بخلاف التحريف الحاصل بعقيدة الألوهية الثالوثية الدخيلة على إيمانهم.

واستمرَّ منهج التحريف لكلام الله سبحانه عبر هذه الجماعة من بعض اليهود وغيرهم والتي أحدثت تأثيراً كبيراً في كثير من عقائد النَّاس، كعقيدة الصابئة، التي تمتلئ كتبهم بالخرافات والتناقضات، (كتاب الكنز رابا المقدس) وغيره، إذ يتخذ أتباعها من أحد أنبياء بني إسرائيل (يحيى ابن زكريا) نبياً لهم ومن أورشليم (القدس) عاصمة مقدسة لهم ودين الزرادشت المجوس وصحائف فكرهم الدِّيني الذي جمع بكتاب (أفيستا المقدس) الذي تملؤه الخرافة والأكاذيب ويتشابه مع التوراة من حيث المحتوى والمضمون ودين اليزيدية الذين يعبدون عزرايل (إبليس) ويرمزون له بطاووس ملك، وهو ما يتوافق مع تمجيد اليهود لعزرايل (إبليس) حسب ما جاء بسفر اللاويين من التوراة وكذلك انتقل التحريف إلي صنع الدين الهندوسي الذي تظهر فيه بصمة جماعة اليهود بوضوح في التقسيم الدِّيني الطبقي للمجتمع الهندوسي ونسبهم الإلهي المقدس (براهما - كريشنا)، وهو ما يتوافق مع أدعاء بعض اليهود في هذه الجزئية وفق ما جاء بتوراة العبرانيين من أنهم أبناء الله، بل إن ذلك التقسيم في الديانة الهندوسية أسوأ بكثير مما هو عليه لدى اليهود، إذ قُسم المجتمع الهندي إلى عددٍ من الطبقات الدينية، مثَّلت أقصى حالةٍ من الاحتقار لإنسانية الإنسان، وهو اليوم أشبه بقنبلة موقوتة في المجتمع الهندي قابلة للانفجار بأي وقت، ما لم يتدارك عقلاء وحكماء الهند هذا الجرم بحق الإنسان وبسببه جاءت الديانة البوذية التي خرجت من رحم معاناة الديانة الهندوسية المتشددة؛ فكانت أي الديانة البوذية قريبة الشبه بالديانة المسيحية من حيث المناسبة والسبب والهدف، إذ تُعرف هذه الديانة من خلال تعاليم السيد بوذا الذي حرَّفت له كتب مقدسة ونسبت له، وأخيراً جاء الدور لصناعة عدد من المذاهب في الفكر الدِّيني الإسلامي عقب بعثة النبي محمد عليه السلام، فصنعوا أكبر مذهبين هما السنة والشيعية ومنهما تفرعت مذاهب فرعية وفرق وجماعات مذهبية دينية وصنع لمشروعاتها عدداً من كتب الحديث والفقه والسير، قيل عنها نفس القول عن التلمود وغيره من حيث السبب والمناسبة والهدف كنصوص تشرعن وجودها وأصبحت مساوية في التشريع والاستدلال بآيات القرآن وتقوم مقامه في الكثير من الشعائر والمناسك وقواعد الأحكام وبنفس طريقة التحريف السابقة، ثم جاؤوا مؤخراً بصناعة دين السيخ ودين البهائيين، ثم عدداً من فرق وجماعات الدين السياسي.

ولا شكَّ أن المطلع الفاحص بعين الحق والحقيقة على مشروعية الكتب المقدسة لهذه العقائد والطوائف وفكر المذاهب الإسلامي، يتكشف مدى تأثير جماعة التحريف من اليهود والصابئة والساسانيين والنصارى والمسلمين وغيرهم، في تحريف الفكر الدِّيني وفق ما سبق القول، إذ إنَّ أقل ما يمكن الجزم به في ذلك أن كتب المذاهب الإسلامي بل وكتب العقائد والطوائف جاءت لهدف واحد، وهو تحييد الإنسان عن المسار الصحيح، الذي بيَّنه الله سبحانه من خلال كلام الله سبحانه - القرآن المبين الواضح، بالصراط المستقيم ومن أجل اتِّباع السبل فتفرقت بهم عن طريق الحق، وهو ما يظهر لنا مثلاً من خلال القراءة العادية للنصوص المندسة حول أساس فكرة عبادة البقر، التي أحدثها السامري بفعل التحريف الأول لصنع عجل ذي جسدٍ له خوار، وهو ما يعبدّه الهندوس اليوم، إذ لم يكتفوا بعبادة البقر، بل زادوا عليها بعددٍ من الآلهة وبعض الحيوانات والطيور المختلفة وأضافوا إليها عبادة الكواكب والنُّجوم، كما

وصلوا إلى عبادة القوارض والحشرات والزواحف وغيرها ولم يتوقف الحال على هذا، بل امتدَّ التأثير إلى الديانات الأخرى التي تنوع فيها التحريف، فبوذا مثلاً، قيل عنه: حكيم، ثم نبي، ثم رسول، ثم تجسّد بإلهه، فأصبح إلهاً يعبد وهذه الفكرة مستوحاة من العقيدة المسيحية أو من بعضهما البعض وصحيح أن العقيدة البوذية بدأت قبل ميلاد عيسى - عليه السلام - إلا أنها اكتملت في أواخر القرن الأول الميلادي وعن بقية الديانات الأخرى التي اتخذت من النار المقدسة لليهود والمنحوتات الحجرية المادية وكذلك من الحيوانات، كالثور والكلب والحمار والديك والطاووس والحية وأخيراً عبادة إبليس ذاته (الشيطان الرجيم)، الذي رُمز له بطاووس ملكاً لدى العقيدة اليزيدية ومُجد من قبل تورااة اليهود وفق ما سلف بيانه ولم تتوقف عمل جماعة التحريف، بل استمرت مسيرتهم في اختراق هذه الأديان وعقائد النَّاس، فقسّموا النَّاس إلى طوائف ومذاهب وفِرَق وجماعات، مستخدمين الأساليب والأدوات نفسها، فنقلوا خبرتهم في التحريف لأقوام آخرين من جنسيات الأمم التي اقتفت أثرهم ونهجته نهجهم وقلّدت أفعالهم منذ ذلك العهد وحتى يومنا هذا وقد وصف الله سبحانه أعمالهم بقوله جَلَّ في علاه: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾، (البقرة: 79)، وهو وصف دائم رُبط بفعل حدث التحريف على مسيرة حياة الإنسان وحتى قيام الساعة لمن يكتب بيده من النَّاس، ثم ينسب فعله هذا إلى كلام الله، متقولاً به على لسان الأنبياء والرُّسل أو أحد من البشر، ليضللَّ به النَّاس عبر مراحل التاريخ الإنساني، بمختلف الطرق والأساليب، مستخدماً المكر والخداع والظن وما يغني الظن عن الحق شيئاً، قَالَ جَلَّ في علاه: ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾، (يونس: 36) والظنُّ والباطل صفتان متلازمتان لأعمال نتج عنها أعمال مذمومة في حياة النَّاس وصاحبُ هاتين الصفتين هو إبليس، قَالَ - سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، (سبأ: 20) ولذلك فقد صوّر القرآن الكريم كثيراً من المشاهد التي تصف هذه الأعمال المذمومة من فعل إبليس وجماعة التحريف التي انحازت لهذا المسار المهلك، فقعدت على الصراط المستقيم لصد النَّاس عن هدي الله وذلك بخلق أديان وطوائف ومذاهب محرّفة بفعل الغواية من إبليس وزخرفة القول من شياطين الإنس والجن ونوازع النفس اللوامة، فظهرت حالة التحريف والتبديل والتضليل للإنسان، وهو ما أقسم عليه إبليس وفق ما سلف بيانه لإخراج النَّاس من الهداية إلى الضلال، فكان هذا منهجه عبر مسيرة الأنبياء والرُّسل، فكلما أرسل الله رسالة لهداية النَّاس خرج مَنْ يَحرف هذه الرّسالة عن مسارها بما يوحي من زخرف القول غروراً، فقد وصف القرآن بعض اليهود أيضاً بأهل الكتاب الذين تمادى بعضهم في الزيف والضللال والتحريف ولذلك نجد كثيراً من نصوص القرآن المبين تفصح بعضهم وتبيّن أفعالهم ونحن بصدد ذكر بعض أمثلة من القرآن الكريم على أفعالهم المختلفة في الكفر والضللال والتحريف، قَالَ جَلَّ في علاه: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾، (آل عمران: 69) وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، (آل عمران: 71) وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا

بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ وَاتَّكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، (آل عمران: 72) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾، (آل عمران: 98)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، (آل عمران: 99).

ومع كلِّ هذا الإصرار المتعنّت لبعض اليهود من أهل الكتاب لا زال منهج الله سبحانه قائماً في هداية النَّاس من العهود القديمة، إلى أن جاء محمد - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن الحكيم (القرآن المبين) وقد وصف بعددٍ من الأوصاف والوظائف، منها على سبيل المثال وفق قول الله جَلَّ في علاه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، (النساء: 82) وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: 37) وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾، (الإسراء: 9) وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾، (الإسراء: 88) وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾، (الإسراء: 98) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾، (الإسراء: 106) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾، (النمل: 92) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ القيامة(16: 17: 18: 19).

وقد تعهّد الله - سبحانه وتعالى - بحفظه، وعدم تحريفه، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9)، فكان هذا القرآن الكريم الذي حوى كلَّ كلام الله المنزَّل على الأنبياء والرُّسل لهداية النَّاس وأن كان بعدد من الألسن ألا ان مشية الله سبحانه اقتضت جعله بلسان عربي، فكان وما يزال كلام الله سبحانه، المتضمن قواعد الأحكام والشعائر والمناسك والمواظع والقصص والأمثال والبلاغة من اللغة، وما يحوي من كلام عن عظمة الخالق في خلق المخلوقات، ووصف الكون والأكوان، وجمال الترتيب، وخيال الرؤية، ونغم العبارات، والجرس الصوتي في الكلمات والألفاظ، وما يلحقها من جناسٍ وطباق، لتصنع سياقاً موسيقياً عذباً ذا صور واقعية وأخرى خيالية عن الماضي والحاضر والمستقبل تملأ الوجدان فتسرُّ بها النفس ويشبع الفكر ويفيض منه المعرفة الحقّة بحقيقة الشيء (المادة) وخالق الشيء وعظمة الخالق العظيم في كل شيء وليس كمثله شيء، وقد أبرزت آيات القرآن الكريم المزايا والوظائف والخصائص التي احتواها القرآن العربي الذي علّم العالم ما لم يكن يعلم من حقائق الوجود والعدم، ووصفه الله سبحانه بعددٍ من الصفات، منها: أنه قرآنٌ أُحْكمت آياته ثم فصّلت، وأنه قرآنٌ مبين، وقرآنٌ حكيم، وقرآنٌ عظيم، وقرآنٌ كريم، وقرآنٌ عربي غير ذي عوج، ولسان عربي مبين وميسر للذكر، وغيرها من الأوصاف وبديع المحاسن ودقة البيان وسلامة المحتوى، ومن خلال القرآن الذي فُصِّح كل أنواع التحريف والتضليل التي نحن

بصدد كشفها في هذا الكتاب بجزئيه، إذ لم يستطع أحد أن يخترق القرآن أو يحرفه، وهو اليوم يفضحهم بحقائق من الآيات، المتطابق مع العلم المتوافق مع العقل، وبذلك الآيات التي تتلأأ كدُررٍ مضيئة لتبدد عتمة الجهل والخرافة الدينية، ويبرز الحقيقة من العلم والمعرفة، ويللم شتات الدين الذي حاولت جماعة التحريف تمزيقه لأديان، وطوائف ومذاهب وفرق وجماعات دينية متناقضة، خلافاً لمنهج الله سبحانه الذي يدعو للاعتصام والوحدة على منهجية دعوة ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ديناً حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، مع الاعتراف بتعدد أعراف ونمط حياة وعيش الأقوام والشعوب والأمم في الزمان والمكان على الأرض.

ويأتي القرآن الكريم كلام الله سبحانه منهاج مشروعية لدين الإسلام، كدين بلا طوائف وبلا مذاهب وبلا فرق وبلا جماعات دينية وبلا أحزاب سياسية دينية، من كونه ديناً أممياً وعالمياً، للناس كافة عابراً للحدود الوطنية والإقليمية والدولية، ويحمل من الصفات السامية المجسدة في غرس قيم الفضيلة والعدل والمساواة والحرية والرحمة والخير والحب والتسامح، وحرية الاعتقاد الديني لكل الناس كونهم جنساً بشرياً واحداً، فلا فرق بين أبناء الإنسان مهما كان وكيفما كان، وبهذه الصفات السامية كان لهذا الدين سبق الانتشار والقبول لدى الشعوب والأمم من عهد سيدنا إبراهيم، وحتى بعثة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي أنزل عليه القرآن بما يحمل من إرث وهدى الأنبياء والرسل السابقين، مستذكراً إياهم بالعهود القديمة، ومن كونهم جميعاً كانوا يحملون مشاعل نور واحد ورسالة واحدة وان تعددوا، فكان اختيار الله سبحانه لمحمد نبياً خاتم ورسولاً لحمل هذا الرسالة الإيمانية لهو حدثٌ ذى دلالة كبيرة في المكان والزمان، ووفق مشيئة الله سبحانه واختياره، قَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُلُ اللَّهِ أَغْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سِیُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾، (الأنعام: 124)، لذلك كان اختيار الله للنبي محمد عليه السلام لحمل رسالة السماء لعددٍ من الأسباب، أقواها الإرادة والمشيئة الإلهية حسب ما أشارة إليه الآية السابقة، فقد مثلت بعثة الرسول محمد - عليه الصلاة والسلام - نقطة مضيئة، وعلامةً فارقةً في المكان والزمان، ومن المكان والزمان حمل العرب مشاعل النور والهداية والتسامح الديني، لنصرة الأقوام من الشعوب المقهورة، بسبب هيمنة الحاكمية السياسية الدينية على تلك الشعوب التي دخلت دين الإسلام أفواجا، لما يملك هذا الدين من قيم الحرية الدينية والحرية الفكرية وقيم العدل والخير والحب والسلام لتلك الأمم والشعوب وللناس جميعاً، وبسبب ذلك انتشر عاد الإسلام للإننتشار مرةً أخرى في المكان والزمان على نطاقٍ واسعٍ من العالم خلال النصف الأول من القرن الذي يلي بعثة الرسول محمد - عليه السلام -، وبه قامت الدولة العربية، وتوسّع نفوذها شرقاً وغرباً، جنوباً وشمالاً خلال قرن من الزمن، ومع قيام الدولة العربية الأولى في عصر الخلفاء، ثم الدولة العربية الإسلامية الثانية في عهد الأمويين، والدولة العربية الإسلامية الثالثة في عهد العباسيين، على انقاض الإمبراطوريتان الفرس، وجزء من الإمبراطورية الرومانية (القسطنطينية) على يد العرب.

وقد استمرت الدولة العربية الإسلامية قرابة قرنين من الزمن من القوة، والهيمنة بسطت نفوذها شرقاً إلى حدود الصين، وغرباً إلى حدود فرنسا وسواحل الأطلسي، وشمالاً حتى تخوم البلقان، فتضرر من هذه الدولة شعوب وأديان كثيرة في الوقت الذي كانت جماعة من اليهود تنهياً للزعامة الدينية على العالم في ذلك الوقت من التاريخ، انطلاقاً من إيمان زائف بأمتلاك الحقيقة الدينية ومن كونهم وحدهم دون غيرهم من الناس من يمتلك سُبُل الاتصال والتواصل مع (ياهو) ألهة اليهود، ولذلك كان لمراكز أبحاثهم الدينية واستخدام اللغة العبرية، بعد أن استقرّ بهم المقام في بلاد فارس وبابل - العراق بسبب السبي البابلي المتعاقب عليهم، فكان لوجودهم تأثيراً كبيراً على الأديان القديمة وارتباطهم بتلك الديانات كالزرادشتية، والصابئة، واليزيدية، بل امتدّ تأثيرهم على ديانات الهند، وبالمقابل تأثروا أيضاً بتلك الديانات وبالتشريعات الإنسانية القديمة لحضارة بابل (قانون)، منها شريعة حمورابي، وإرث الديانة الساسانية، ومؤخراً قوانين روما.

وقد عاش اليهود مشنتين في أكناف دولة فارس وروما، وعند انهيار امبراطوريتي فارس وروما على أيدي العرب المسلمين تضرر اليهود وسقط حلم اليهود في الزعامة الدينية على العالم، ولم يستطيع اليهود مواجهة الإسلام لتغلبه عليهم من جوانب عدة، منها: ما يحمل من قيم الفضيلة والعدل والمساواة وحرية الاعتقاد الديني وفق ما سبق بيانه، لذلك لجأ اليهود باعتقادي لأقامة تحالفاً مع بقية العقائد الأخرى الموجودة ببلاد فارس وبلاد الرافدين وبلاد الشام من أمثال الزرادشتيين واليزيديين والصابئة والنصارى والمسيحيين، منتهزين الفرصة المناسبة للانقضاض على الدولة العربية الإسلامية وهدمها من الداخل.

وعندما بدأت ملامح الضعف على الدولة العربية الإسلامية في أواخر عهد العباسيين نشط عمل ذلك التحالف المعارضين وغيرهم، فوثبوا إلى داخل المحيط العربي الإسلامي وأحدثوا هذا الكم من فكر المذهب الإسلامي، والذي جاء متفقاً إلى حد كبير مع فكر وعقائد الأديان القديمة، كنصوص التوراة والتلمود وأعمال الرسل والكنزاربا للصابئة، وتعاليم أفيثسا للزرادشتيين، فضلاً عن اقتباس كثير من تشريعات بابل والقانون الروماني، وغير ذلك وصبغوه بصبغة دينية مقدسة.

لقد مثّل ما سبق وغيره سبباً كافياً للولوج إلى داخل دين الإسلام بعباءة الفقهاء والأئمة لهدمه من الداخل كما قلنا، فصنعوا أصولاً من التشريع لنص الحديث والفقه والسيرة التاريخية المزيفة لسيرة النبي والعرب والمسلمين، وخلقوا فكراً وتراثاً من المذاهب والفرق والطوائف والجماعات، وبفكر هجين من مختلف أفكار العقائد والتشريعات القديمة، وخطوها ببعض المفاهيم والأفكار الإسلامية عبر ما يعرف بتأويل وتفسير آيات القرآن بصورة مجتزأة ومناقضة، مسقطين الآيات من القرآن على المكان والزمان والاشخاص (الجغرافية التاريخية)، بالمخالفة لكلام الله سبحانه، ثم قسّموا كلام الله سبحانه إلى آيات ظاهره وأخرى باطنه، وآيات مجملة وأخرى مطلقة وأخرى مقيدة، وغير ذلك من التقسيمات التي من خلالها - اطلقوا فكرة الشريعة والحقيقة، ثم قاموا بتأسيس الأرضية التشريعية للعقائد الجديدة من نصوص تلك الأحاديث، وفقاً لمبدأ المشروعية.

وقد كان اعتمادهم على المنهج الأول الذي قالت به جماعة تحريف التوراة، فادّعوا مثلاً أن التلمود هو الشريعة المفصلة والمبينة والموضحة للنص الأصلي للتوراة، ثم قالوا أن العهد القديم بأكمله هو الخلفية الفكرية لمعتنقي الإنجيل، وهو نفس السبب والمبرر الذي قالوه بفكر المذاهب الإسلامية عن الحديث وأصول الفقه والسيرة والتفسير والتأويل في الفكر الإسلامي المذهبي، إذ زعموا أن النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) جاء بالحديث ليبين ويوضح، ويقيد ويفصل، وينسخ آيات القرآن تحت عدد من الحجج منها حجة أنه لا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى، ووفق حجة من تفسير وتأويل لفظ (وما اتاكم الرسول)، وهو تفسير وتأويل مخالف ومناقض لكلام الله سبحانه، ثم أوجدوا قواعد لتوظيف الحديث الذي يتشابه وظيفياً مع التلمود، وجعلوا من الحديث أرضية تشريعية لفكر المذاهب يتساوي مع آيات القرآن في الاستدلال، بل ويتفوق عليه، وصنعوا من هذه النصوص مناسك، وشعائر وعبادات مخالفة ومناقضة لما جاء به القرآن أو تحل محلها أو تحرفها وتشوهها كالصلاة والصيام والحج والعمرة والحدود والأحكام والعبادات وغير ذلك، ثم ذهبوا لصناعة مساند الحديث لعدد من المذاهب السنة، والشيعة، وما تفرّع عنهما من فرق وجماعات عقائدية متطرفة، وأخرى متماهية لدرجة الانبطاح، والتسويق.

فكانت هذه المذاهب والفرق والجماعات تتشابه مع نظائر سبق إنتاجها من جماعة التحريف في العقائد الدينية القديمة، على غرار ما فعلوا سابقاً عند تفريخ الطوائف والفرق والجماعات الدينية في الأديان والعقائد القديمة كاليهودية والمسيحية، متقصدين تمزيق المجتمعات البشرية على مراحل مختلفة من التاريخ الإنساني، ومن تلك العقائد القديمة نأتي على ذكر اليهود وتقسيمهم لطوائف كطائفة القرائين والربانيين والفريسيين والصدوقيين، وغيرها، وكذلك نفس الفعل في المجتمعات المسيحية، كطائفة النصارى وطائفة الكاثوليك، وطائفة البروتستانت، والأرثوذكس الشرقية، والإنجيليين، والأميش، والمانوية، وغيره.

وعلى اثر ذلك صنعوا نظائر لهذه الطوائف في المجتمعات العربية المسلمة فصنعوا المذاهب السنيّة والشيعة، والتي خرجت أغلبها من المكان نفسه؛ من بلاد فارس مروراً بالعراق، فضلاً عن الجماعات الدينية الباطنية التي تأخذ منهجية الكتمان، والتقية والسرية في عملها، ونشر أفكارها، ومنها كثير من الجمعيات، والجماعات اليمينية المتطرفة، في الديانتين اليهودية والمسيحية وأخيراً دسوها بين المسلمين.

ويُعزى ذلك على الأرجح إلى مراكز الأبحاث التي أنشأها اليهود منذ الاسر البابلي، فكان لها دور كبير في إخراج فكر الطوائف المسيحية ثم هذا الفكر المذهبي المشبوه للعرب والمسلمين، إذ كان اليهود قد سبق أن أنشأوا هذه المراكز البحثية من أجل المحافظة على اللغة والفكر الديني اليهودي والشريعة التفصيلية (التلمود)، وفي الوقت نفسه كانوا بمثابة حلقة متصلة بأسلافهم الذين تزعم بعضهم حركة التحريف الواسعة عبر مسيرة حياة الأمم والشعوب، والشواهد كثيرة، وكبيرة لأعمال بعض اليهود في التحريف، فالناظر الفاحص لتوراة العبرانيين، وتوراة السامريين، والتلمود، وغيرها من كتبهم، تظهر واقعة التحريف، بوضوح تام لا لبس فيه، وذلك من خلال نصوص الكتب المحشوة بالعنف والإرهاب، والنقول

الفاحش على الأنبياء والرسل، وعلى ذات الله ونفسه سبحانه، إذ ربط بعضهم نسبه الأسري بنسب ديني مقدس، لادّعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، ووفق ما وصفوا أنفسهم كذباً بشعب الله المختار، والمسفهين للأمم والشعوب الأخرى من غير اليهود، والحقيقة أنهم خلق من الناس، والناس جميعاً سواسية، وإن أكرم الناس عند الله تعالى هم أنفعهم للناس وأتقاهم لله سبحانه، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾، (المائدة: 18).

وقد استمرت تلك المراكز في العمل بسرية وصمتٍ خلال تلك الفترة من التاريخ أي منذ عهد السبي البابلي وسيطرة الفرس وحتى بعثة النبي محمد عليه السلام، فكان لهم الدور الكبير في صناعة هذا الفكر الطائفي المذهبي الهائل لكل الأديان ولاتباع النبي محمد عليه السلام، ولوجود الأسباب المهيّئة لفعل التحريف، وفق ما ذكرته سابقاً، وسابقة تخصص بعض اليهود في تحريف عقائد الناس على مر التاريخ الإنساني حسداً من عند أنفسهم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، (البقرة: 109).

ولمزيد من إثراء المعرفة الفكرية والبحث العلمي المقارن حول واقعة عمل التحريف فبإمكان المطلع قراءة محتوى نصوص هذه الأديان مع قراءة المذاهب والفرق والجماعات في فكر المذاهب الإسلامي وسيجد تناسقاً وتقارباً كبيراً بينهما، ومن ثمة مقابلة ومقارنة تلك النصوص أيضاً بكلام الله في القرآن لتتكشف حقيقة التحريف الحاصل في هذه الأديان، والطوائف، وكذا المذاهب والفرق والجماعات في فكر المذاهب الإسلامي وفق ما سبق ذكره، وقياس مقدار حجم الضرر الفادح جراء هذا الشتات الإيماني الحاصل اليوم للناس، وكشف الهدف من هذا التحريف، والذي أدى لصناعة هذا الكم من الكيانات والمسميات الدينية بجماعة التحريف حتى وقت قريب خاصة الوليدة مؤخراً، كديانة الشيخ والديانة البهائية، فضلاً عن تفرخ الجماعات والفرق الدينية بفتراتٍ مختلفة من الزمن، وما زال إنتاجها مستمراً حتى يومنا هذا، وهو ما حاولنا تسليط الضوء عليه في هذا الكتاب بصورة عامة، ودراسة نماذج من نصوص الفكر الديني المذهبي الإسلامي بصورة خاصة، ومن خلال تسليط الضوء على الإنتاج الضخم لعلم الحديث، وأصول الفقه وفقه السيرة، والتفسير، والتأويل مع الإشارة الخاطفة إلى حالات التحريف الحاصلة في معاجم اللغة العربية، بما يتوافق مع منهجهم في التحريف.

فقد ساهمة مراكز البحث اليهودي في شرق بابل، وهو ما يُعرف بالمدرسة الشرقية، والثاني في فلسطين، ويُعرف بالمدرسة الغربية في أمر التحريف وصناعة رجال فكر المذاهب الإسلامي، من فقهاء الحديث والفقه والتفسير وعلماء الكلام، وبطرقٍ متعدّدة في مهارة النقل، والنسخ، والاقتراس، وسنبدأ بتحديد المدرسة الشرقية البابلية التي تتمركز في ثلاث مناطق وهما:

1- نهر دغ في إقليم ما بين النهرين بشمال العراق.

2- بلدة سور القريبة من بغداد.

3- مدينة (عانة) التي كانت تعرف ب (فومباديتا)، وتقع بالقرب من بلدة سورة.

وتتمركز أهم مراكز المدرسة الغربية الفلسطينية، في ثلاث مناطق، تقع جميعها في شمال فلسطين، وهي:

1- طبرية.

2- قيسارية.

3- زوفورية، أو سفورية، وكانت تسمى أيام اليونانيين (سفوريس).

وقد انتشرت مثل هذه المراكز في أماكن تفرق اليهود وشتاتهم في الأرض شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً وقامت بدورها في مختلف الأحداث والأزمان التي مروا بها في صناعة العقول من الرجال الذين يحملون هذا الإنتاج الغزير من فقه الحديث والسيرة وغيره، وانطلقوا به نحو أقاليم الدولة العربية الإسلامية، كل رجل يحمل فقهاً خاصاً يركز بدرجة قوية على الدعم المالي المسخر من الجماعة، وجعلوا من أولى اهتمامهم الارتباط بالحاكم السياسي في الإقليم أو البلدة التي يصل إليها، من أجل سهولة تحقيق أهدافهم مع كل حدث في كل زمان ومكان يصلون إليه، فكان من نتائج عملهم صناعة هذه المذاهب والفرق والجماعات في فكر المذاهب الإسلامي ومنها - فرقة الأشاعرة، والمعتزلة، ثم ما يسمى: مذاهب (آل) أو (أهل) البيت (الشيعية)، المذهب الجعفري (الاثنا عشري)، والمذهب الإسماعيلي والمذهب الزيدي والفرق والطوائف المتفرعة، ثم مذاهب ما يسمى بأهل السنة والجماعة، ومنها المذهب المالكي والمذهب الحنفي، والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي والمذهب الظاهري ومذهب الأشاعرة وغيرها من الفرق والجماعات، ويزعم مرجعيات هذه المذاهب والفرق والطوائف والجماعات أنها متفقة في الأصول الدينية ومختلفة في الفروع الدينية، فكان اختلافها رحمة، وتخفيفاً للعباد حسب زعم مرجعياتهم، غير أن ذلك الزعم خاطئ، إذ لا يمكن أن تكون الرحمة في الاختلاف فذلك عين التناقض.

ولا شك فإن هذا الاختلاف الديني يؤدي إلى الفرقة والبغضاء والشتات والتناقض والتكفير ثم الاقتتال المذهبي الطائفي (السني - الشيعي)، كما جرى في الماضي بين اليهود أنفسهم مملكة يهودا بطوائفها ومملكة إسرائيل بطوائفها، وكذلك بين المسيحيين البروتستانت والكاثوليك ويجري اليوم في العالم العربي والإسلامي الشيعة والسنة، ويمثل حُقة من حُقب التاريخ الأسود للبشرية، وهو نتاج لما صنعتها جماعة التحريف في هدم الفكر الديني السليم، واستبدلته بهذا الكم من الفكر المتناقض الذي خلق حالة من ازدواجية إيمانية في الاعتقاد والفكر والتفكير المناقض للعقل والفطرة السليمة المتوافقة مع كلام الله سبحانه في القرآن الذي يحث على الأعتصام في الدين ونبذ الخلاف، فقد أثر هذا الاختلاف سلباً على السلوك الاجتماعي، لحياة المجتمعات، وخلق حالة من الشتات والفوضى والتناقض في الخطاب الديني ثم الاقتتال، الأمر الذي تسبب بموجة من الإلحاد في مستقبل الأجيال القادمة، على غرار موجة

الإلحاد في أوروبا عقب اندلاع الثورة الفكرية على هيمنة الكنيسة في أوروبا وهو ما تريد جماعة التحريف الوصول إليه حالياً في المجتمعات العربية المسلمة الحالية.

ومن البديهي القول إنَّ خطر هذه المذاهب والفِرَق والجماعات والأحزاب الدينية كان وما يزال فادحاً وعظيماً، فقد خسرت البشرية بسببها عشرات الملايين من البشر عبر سلسلة من الحروب، كان الإنسان وقود هذه الحروب المستعرة حول العالم خلال القرون الماضية، وكان الدور الأكبر في إشعال هذه الحروب حول العالم بسبب الصراع بين الطوائف والمذاهب والفرق والجماعات الدينية، أو الجمعيات السريّة الدينية العالمية البرغماتية، أمثال: (الماسونيين) وكذا جماعات توظيف الدين في المصالح السياسية والاقتصادية، مثل المؤسسات والشركات ذات المصالح التجارية والاقتصادية العابرة للحدود الوطنية، التي وظّفت المعتقد الديني وأشعلت الحروب من أجل مصالحها، وما إن تتوقف الحروب في مكان ما على الأرض حتى تشعلها في مكان آخر، فهم يعيشون على الحروب، التي كان آخرها الحربين العالميتين الأولى والثانية وغيرها، وكما هو حاصل اليوم في العالم، وبعض الدول العربية والإسلامية، وإن لم نُعيد قراءة هذا الفكر الديني وكبح جماح النفس، فستظل مفاهيم هذه الطوائف، والمذاهب والفرق والجماعات الدينية خطراً يُهدد سماء العالم العربي والإسلامي، بل والعالم أجمع، وستبقى تنذر بالحروب والاقتتال بين حين وآخر، ولن يُرى إلا غبار معاركنا الذي أصبح يغطي معظم أقطار أوطاننا في العالم العربي والإسلامي، مخلّفاً ركماً من المدن، وطابوراً طويلاً من ملايين البؤساء (رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخ) يجوبون صحاري وجبال الأرض باحثاً عن وطنٍ آمن وعن السّلام المفقود، كما أن ما يحدث اليوم من القتال المستعر بين المذاهب، والفرق والجماعات والأحزاب الدينية في الشعوب العربية والإسلامية، لن يؤدي استمراره سوى إلى تحقيق الكفر والإلحاد بالدين بالإضافة لهدم الأوطان وتمزيقها، ومن ثمة الاستعمار الاقتصادي والسياسي الداخلي والخارجي، والإفقار الجماعي للناس، وهدم المؤسسات التعليمية، ودعم الجماعات الإرهابية والمذهبية المتطرفة وخلق الصراع الدائم، وابقى أجيال الحروب أجيالاً خالياً من العلم والمعرفة لتعود بها الحروب لحالة من الجهل والفقر، بعيداً عن ثورة التقنيات الرقمية، المتصل بركب الحضارة الإنسانية الذي أخذ في التسابق المحموم نحو غزو الفضاء والكواكب وهو علم المستقبل بقوانينه الجديدة، ذلك ما تناولناه في محتوى هذا المؤلف وفق منهجية من البحث العلمي القائم على القراءة المقارنة والمقابلة والاستنتاج والمقسّم لجزائيين:

الجزء الأول: فقه تحريف الأديان والطوائف والمذاهب وفقه تحريف السيرة (التاريخ)

والحديث وأصول الدين - (الدين السياسي الموجود)،

الجزء الثاني: فقه المعرفة بالخالق والمخلوق والرسالة والرسول والحلال والحرام، وفقه الشعائر والمناسك والحياة والموت والجنة والنار (فقه الدين المفقود).

وستحدث في الجزء الأول عما أحدثه إبليس مع بعض الناس من تحريف الأديان والمذاهب والفرق والجماعات الدينية، عن طريق النص المدوّن وقد حاولنا فيه قراءة بعض

تلك النصوص من الأديان القديمة، ومقابلته مع كلام الله (القرآن الكريم)، ابتداءً من توراة العبرانيين والتلمود والأنجيل وأعمال الرُّسل، ثم عرَّجنا إلى قراءة بعضٍ من نصوص الأديان، مثل الصابئة والزرادشت واليزيديين والهندوسية والبوذية والكنفوشية. وتناولنا أيضاً التشريع الإنساني من نصوص قانون بابل وقانون روما، ثم تحدثنا عن نشأة نصوص المذاهب الإسلامية، ثم تطرَّقنا إلى قراءةٍ ملخّصةٍ لهذا الفكر في مختلف الجوانب، والفرق، والجماعات، والتي تم استنساخها من رحم العقائد والأديان القديمة لصناعة واقع مظلم وإصاقه ببعثة النبي محمد عليه السلام، ثم قدمنا نبذة مقتضبة عن فكر جماعات الدين السياسي (الإسلام السياسي الموجود) التي جرى تكوينها في الثلاثة القرون الماضية من أجل أن تؤدي دوراً معيناً في الحياة والواقع السياسي في سبيل خدمة المصالح السياسية الاقتصادية للحاكم وللدول الاستعمارية، واستمر تفريخ عدد منها، لاسيما في النصف الثاني من القرن الماضي وما زال حتى اليوم.

كما تناولنا في الجزء الأول تحريف النص الديني لدى المذاهب الإسلامية (الدين الموجود) في السيرة والفقه والحديث وفق نماذج ذات مرجعية دينية عليا لمذاهب السنة والشيعة، آخذين نماذج محددة، مثل: كتاب السيرة لابن هشام الذي أظهر مقدرةً كبيرةً في تحريف التاريخ العربي الإسلامي وتشويه سيرة (تاريخ) الرُّسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه والعرب عامة. وكتاب الرِّسالة للشافعي الذي أظهر تحريفاً واضحاً لقواعد أصول الفقه المتعلقة في استنباط الأحكام والشعائر والمناسك، وكتاب حديث الكافي "أنموذج" للمذاهب الشيعية، وكتاب أحاديث البخاري "أنموذج" للمذاهب السنية وبها حرّفت كثيراً من الشعائر من (صلاة - صيام - حج وعمره - الحدود - مناسك - شعائر - وغيرها) والعبادات، وأحكام الحلال والحرام وفقه المعاملات وغيرها، وقد اختتمنا الجزء الأول بكتاب الملل والنحل للشهرستاني الذي أضفى على كل هذه الأعمال المحرفة، وعلى المذاهب والفرق والجماعات الدينية مشروعية تاريخية في التحريف والوجود.

ثم تطرّقنا في الجزء الثاني للتعريف بالدين المفقود من خلال تقديم شرحٍ مقتضبٍ عن حقيقة التعريف بالجدل في الخالق والمخلوق، وماهية الأشياء (فلسفة الشيء) وجدلية المادة، كما تطرّقنا لأركان الدين والحياة من العلم والإيمان والعمل، ثم بيان التعريف بالرُّسول والنبي كوظيفة، والرِّسالة (كلام الله) والمرسل إليهم جماعة من النَّاس أو النَّاس جميعاً، ثم بيان الحلال على المجمل، وذكر قواعد الحرام تفصيلاً، وهو ما بيّن تشريع الله وتشريع الإنسان، ثم سردنا فقه المعاملات بين النَّاس والقائم على العرف والأعراف.

وأكدنا على بيان حقيقة الشعائر والمناسك التعبدية من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحجٍّ، وغيرها من الشعائر التي فرضت على جميع النَّاس، ابتداءً من الخلق الأولي، مروراً بسيدنا إبراهيم الذي بيّن وفصل هذه الشعائر والمناسك، وفق ما جاء في كلام الله سبحانه في القرآن الكريم، ثم فقه الحياة من أحكام الموارِيث، وفقه المرأة وحساب الزمن وفقه الختان وفقه الأعياد والمناسبات وفقه الجهاد وفقه الرق والعبودية، وفقه اليتامى، وفقه الأسرة والمجتمع، وفقه النذر، وفقه العقوبات الجزائية، وفقه العيش في الفضاء، ودين الله، ودولة الإنسان، وفقه

الموت والقيامة وخرافة المهدي المنتظر والمخلص وفقه الجنة والنار ووصف كوكب جنة عدن ووصف النار وغيرها من العناوين المفصلة على مشروعية من آيات القرآن وبذلك قدمنا الإسلام المفقود وفضحنا الإسلام الموجود والمحرّف.

ومن خلال تلك العناوين، بيّنا الدين المحرّف الموجود حالياً والواقع في حياة الناس، بمختلف مسمياته من الصابئة واليهودية والمسيحية والهندوسية والبوذية واليزيدية وغيره، ودين المذاهب والفرق والطوائف الإسلامية الحالي المهيم على مجمل حياة الناس والمسلمين، وفي الوقت نفسه قدمنا الدين الحقيقي وهو الدين المفقود في واقعنا وحياتنا، وهو الدين الذي أنزل عبر الأنبياء والرسل لكل الناس كرسالة واحدة مع تعدد الأنبياء والرسل، لذا كان لازماً علينا السعي من خلال هذا الكتاب البدء بقيام إصلاح الفكر الديني، وهدفنا الأسمى استعادة جوهر الدين المفقود من بين شتات الأديان، والعقائد والطوائف والمذاهب والفرق والجماعات الدينية بمختلف مسمياتها والتي صنعت بقصد لهدم قيم دين الله الواحد، وقد نجحت جماعة التحريف بتحريفه نسبياً وهدم جوانب الإيمان لدى غالبية الناس، وجعلتهم منقسمين بين أديان وطوائف ومذاهب مختلفة ودفعوا البعض نحو الألحاد، على الرغم من أن خطاب الله جاء على مسار واحد، ودين واحد للناس أجمعين، أساسه الاعتصام بكلام الله (حب الله)، وعدم الفرقة في الدين، مع جواز الاختلاف بتنوع نمط حياة الشعوب والأمم، على قاعدة من تنوع الثقافات والعادات والتقاليد في كل مكان وزمان، محدداً بطاقة القبول في الدنيا والآخرة بتقوى الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، (الحجرات: 13)، وهذا الخطاب بما يتميز من مفهوم الأممية والعالمية ويحث الناس أجمعين على قيم الحرية الفكرية، وحرية المعتقد الديني، بعد أن بيّن طريق الحق على هدى ونور من الله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾، (يونس: 108). ومن منطلق الخطاب الأممي التالي الذي يحث على الوحدة والإخاء بين الناس، وينهى عن الفرقة والاختلاف، يقول الله جلّ وعلا: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، (آل عمران: 103)، ليؤكد على إنسانية الإنسان المهتدي للحق بوعي ومسؤولية، لا كقطيع ينساق وراء فتوى كاهن، أو قسيس، أو حاخام أو شيخ أو قول متفقه حشر عقله بين جثث ضحايا الفتن والحروب والاقتتال الديني والطائفي والمذهبي على مرّ العصور.

وعلى الرغم من فضاة تلك الأحداث وغيرها ومن بين بقايا أدخنة تلك المنازل المحترقة بفعل معارك الإنسان الدينية، فقد انطلق نداء الحق والحقيقة الذي حمل مشاعله رسل الله وأنبيأؤه، وأئمة وحكماء ومفكرون مصلحون من كل أبناء الإنسان على مرّ الأزمان، وحتى يومنا هذا؛ من أجل الخروج من نفق الفساد والظلم والضلال والخرافة التي تصادم العقل والعلم، إلى رحاب العلم بالله الواسع، ونقول ألم يحن الوقت لسماع هذا النداء؟ ألم يأن الأوان إلى القيام بإصلاح الفكر الديني ونبذ فكر الطوائف والمذاهب والفرق والجماعات والأحزاب

الدينية !!، فهتك ستر أوطاننا، وأوجعنا حتى أثقلنا بالجراح، وأصبح الموت والحزن مخيمًا علينا، ويتربص بمستقبل أجيالنا.

ان مأساة الانتماء المتلازمة لهويتنا وعقيدتنا وواقعنا وتاريخنا يحتم علينا إعادة قراءة الفكر الطائفي والمذهبي الديني بشيء من العقل وتحكيم آيات القرآن، والتعقل بالعلم، والإدراك لهذا الفكر النقلي الهادم، والبحث بأنجع السبل نحو زحزحة هذا الفكر من التركة الثقيلة جداً بالدعوى إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن والحوار الهادي، من دون مشاحنة أو بغضاء أو مصادمات كلامية أو خلق مذاهب جديدة، إذ إن زحزحة هذا الفكر من عقول الناس ليس بالأمر الهين، بل يحتاج لعقول وجهود مضاعفة، لاسيما وأن جرحنا غائر في العمق، وقد آن الأوان لبعث حركة تحرير العقل الإنساني من الفكر النقلي للأديان والطوائف والمذاهب لكي يفيق الإنسان من دسائس إبليس وأعدائه من الجن والإنس، وبما أوحى بعضهم إلى بعض زخرفاً من القول غروراً، ومن هوى النفس وغرورها والاتجاه نحو دين الإسلام على نهج القرآن الكريم كلام الله الخالد.

ويمثل هذا الكتاب دعوة للضمير الإنساني والعقل والفكر الإنساني والعقل العربي والإسلامي خاصة من أجل الخروج من خرافة الفكر المذهبي الطائفي وفكر الفرق وجماعات الدين السياسي المتقاتل، الذي دُسَّ عن قصدٍ في فكرنا ووعينا الإنساني لخلق حالةٍ من التيه، والتناقض المؤدي لموجةٍ من الإرهاب والأصولية المتطرفة، يقابلها موجةٌ من الإلحاد بين أوساط الشباب في العالم العربي والإسلامي، بسبب تناقض هذا الفكر الديني المذهبي وتصادمه مع العلم والعقل وأسس التفكير السليم، ولكي ننعم بالأمن، وتنعم الإنسانية بالتسامح والعيش الكريم والسلام، علينا بحث ونقد حالة العداء الديني الطائفي والمذهبي ونبذه من واقعنا، والعمل على كسر حاجز الخوف من الآخر، وإحلال ثقافة التسامح والسلام بين الشعوب والأمم، ونشر قيم الفضيلة والحرية والعدل، واحترام الحقوق المدنية، وحرية العقيدة، وحق الإنسان في اختيار دينه وفكره، وفتح باب الحوار والنقد البناء لكل من حولك وفي الوقت نفسه نبذ ازدراء الأديان والعمل على احترامها ولا يمنع ذلك من نقدها بنفس الوقت.

وعلى التوقف كثيراً أمام هذه الآية التحذيرية حول وقائع التحريف وارتباطها بالفساد في الأرض من خلال القرآن الكريم في وصف بعض اليهود على مرّ السنين في الماضي والحاضر ومستقبل أجيال الإنسان، فقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، (المائدة: 64)، غير أن هناك جماعة من اليهود على النقيض من ذلك، كما وصفهم الله، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاهُ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، (آل عمران: 113، 114).

ويشير مدلول هذه الآية إلى أن القرآن الكريم يؤكد على وجود مبدأ الخيرية في كل الأمم والشعوب، بغض النظر عن الاعتقاد الديني؛ بمعنى آخر نفي لغة تعميم الشر المطلق على الجميع أو شيطنة كل أعمال الآخرين، فهناك من أهل الكتاب من اليهود، أمة قائمة يتلون آيات الله سبحانه وهم في حقيقة اعتقادهم بالفضيلة والسلام والخير، كما أن هناك شعوباً من إخواننا المسيحيين يتلون آيات الله سبحانه وفق منهجية علمية لا نظير لها، ووفق قواعد من البحوث العلمية بآيات الله سبحانه في أنفسهم، وفي الأرض وما فيها من بحارٍ وجبالٍ وصحارى، وما أودع الله سبحانه من مخلوقات فيها، وفي السَّماء وما فيها من مخلوقات من كواكب ونجوم، بل والكون والمجرات الضخمة، استشعاراً منهم بعظمة تلك المخلوقات التي تدل على عظمة الخالق، فتراهم يسجدون آناء الليل، موقنين بإيمانٍ صادقٍ بالله وبالיום الآخر، خاصة وأنهم خاضوا من قرون عدة، غمار البحث العلمي، وبتفوق كبير، ليس ذلك فقط، بل ومنهم من يقوم بمناصرة العدل والحرية الدينية وسيادة القانون على الجميع وصون كرامة الإنسان وحقوقه ونصرة المظلوم وينهى عن المنكر والفساد في الأرض، بل ويطبقون ذلك في مجتمعاتهم، التي أصبحت اليوم مثلاً يحتذى به، في تحقيق العدل والحرية السياسية من غير تمييز في الجنس واللون والمعتقد، من أجل حرية وكرامة الإنسان، تحت مظلة القانون، وبذلك أصبحت بلدانهم مقصداً وحلماً لكل من يريد العيش بسلام، ومن أمثلة تلك الدول التي عملت بمنهجية العيش المشترك بين الناس جميعاً، تلك الدول المثالية الحالية في المجتمعات الإسكندنافية في شمال غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وكندا وألمانيا واليابان وفرنسا وأستراليا والكويت، فهذه الدول وغيرها بلغت من التقدم في الحفاظ على حقوق مواطنيها الشيء الكثير في منظوماتها التشريعية ومؤسسات الدولة ومنظمات المجتمع المدني، كما أن هناك دولاً تسعى في نفس الطريق، وذلك هو منهج الله سبحانه في الإدارة والحكم السياسي بين الناس من دون تمييز.

الجزء الأول

فقه تحريف النص الديني المقدس (الدين الموجود)

الفصل الأول

التوراة (العهد القديم) والقرآن - قراءة مقارنة ومقابلة

التوراة في القرآن الكريم:

أحتوى القرآن الكريم على صفح إبراهيم وعلى التوراة والفرقان والزبور ككتاب جامع لكلام الله سبحانه الموحى به للملائكة والبشر والمادة والجن ولبعض نفر من الناس، ولن أجد تعريفاً بليغاً يفي بحق التوراة في القرآن الكريم ومعرفة مكانتها من كونه كتاباً سماوياً أنزل على رسول الله موسى لبني إسرائيل وما زال يتلى بيننا بآيات من القرآن العظيم بنصوص تتلى كدرر مضيئة في الكون والأرجاء، منها ما تضمنته هذه الآية من سورة المائدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، (المائدة: 44)، وقد كتبت التوراة لسيدنا موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل الله سبحانه وتعالى وفق ما جاء بقوله تَعَالَى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾، (الأعراف: 144، 145)، ثم استدرك القرآن الكريم بوصف الألواح عند إلقائها بسبب تعنت بني إسرائيل؛ قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾، (الأعراف: 154)، كما تحوي التوراة على قواعد الأحكام، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، (المائدة: 45).

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى رسول الله موسى صلى الله عليه وسلم أكثر من مئة وثلاثين مرة في القرآن الكريم، فهو صاحب الرقم الأول في ذكر اسمه، وسرد سيرته، كونه رسولاً تحدث القرآن الكريم والتوراة عنه بأحداث وقصص، وقواعد الأحكام التي أنزلت في أيامه وعلى بني إسرائيل والناس أجمعين، كما ذكر القرآن الكريم جميع الرسل من أنبياء بني إسرائيل، ومنهم: موسى وهارون ويوسف وداود وسليمان وزكريا ويحيى وغيرهم، كما تحدثت كثير من الآيات في القرآن الكريم عن تفاصيل من حياة الرسل والأنبياء، وهناك سور من القرآن الكريم سميت بأسماء أحداث وأشخاص من بني إسرائيل، مثل: سورة البقرة، وهي أكبر سورة في القرآن الكريم، وتحدثت عن سيرة وأحداث بني إسرائيل، وفيها قصة ذبح البقرة في حدث يحاكي نفراً من بني إسرائيل، وكذلك سورة آل عمران، وسورة يوسف، وسورة الكهف وسورة مريم ابنة عمران عليها السلام، وأغلب ما في سورة الإسراء، وسورة النمل، وسورة طه تتحدث عن بني إسرائيل، وهو ما يؤكد أن القرآن الكريم كتاب جامع للتوراة، وأحكام التوراة وقصص التوراة، بل إن التوراة جزء من القرآن الكريم عملاً بوحدة الرسالة،

وتعدد الرسل والأنبياء على مسيرة الحياة الإنسانية. وسوف أنسخ بعضاً من آيات القرآن الكريم حول هذا الموضوع.

وأدعو القراء الكرام إلى تفحص آيات القرآن، وستدركون بأنفسكم الكم الكبير من نصوص التوراة التي أنزلت على رسول الله موسى موجودة فيه فهو يحوى تلكم الآيات التي تتحدث عن مضمون التوراة، ليس ذلك فحسب، بل إن القرآن يتحدث عن عهود سبقت زمن موسى وقبل نزول التوراة، كما تذكر الآيات القرآنية تلكم الأحداث والأسماء والقصص التي سنذكر منها النزر اليسير ابتداءً بسيدنا إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ثم يعقوب ثم يوسف عليهم الصلاة والسلام وغيرهم، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، (الصافات: 112)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ عَنْ يَعْقُوبَ: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، (البقرة: 132)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، (البقرة: 133). وذكر سيدنا يوسف بسورة كاملة، سُمِّيَتْ باسمه، تضمنت أحداثاً وقصصاً وقواعد أحكاماً وأحداثاً درامية وصوراً خيالية رائعة، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّائِلِينَ﴾، (يوسف: 7).

أما موسى عليه السلام فقد سبق الإشارة إليه، وعرفنا أنه صاحب الرقم الأول في الذكر بشخصه في القرآن الكريم، إذ إن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ذكر بشخصه أربع مرات تقريباً في القرآن الكريم، ومرة واحدة باسم أحمد، ومن الآيات التوراتية في القرآن التي تتحدث عن موسى كثيرة جداً، وسوف أذكر لكم بعضاً من تلك الآيات التي لها وقع التأثير على العقل والقلب بما تضمنته هذه الآية وهي ذات دلالة عميقة في الاستشهاد عن سنن الخالق في طبيعة المخلوقات وهي تلك الآية التي تتحدث عن فطرة الله التي فطر عليها جميع الخلائق من إنسان وحيوان ونبات، وكل الأشياء التي نعلمها، أو تلك التي لا نعلمها، في محض إجابة موسى العارف بعلم الله سبحانه وتعالى عن سؤال وجهه إليه فرعون مصر، وفق محتوى الآيتين من سورة طه، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، (طه: 49، 50)، ثم الآية التالية عن قوم يحملون الحق على رؤوسهم ليعبروا حدود قومياتهم، إلى رحاب الله الواسعة في الحق والعدل، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾، (الأعراف: 159)، وآية أخرى تتجلى عظمة المشهد بين إله عظيم يخاطب عبده موسى، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النمل: 9)، وآية أخيرة أتخيلها في مشهد تراجمي ترسمه لهفة أم على رضيعها، فتلقيه في اليم خوفاً عليه، إنها أم موسى عليها السلام الوثيقة بربها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذَا فَخَخْتِ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: 7). وعن نبي الله هارون، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ (مريم: 53)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (الصافات: 120). وعن آيات زبور داود في القرآن العظيم قَالَ اللَّهُ

سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: 105) وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (الإسراء: 55)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَنَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾ (سبأ: 10). وعن سليمان قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (النمل: 16). وعن أيوب، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأنبياء: 83)، ثم انظر كيف كان جزاء من أقام العمل بالتوراة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 66). هذه بعض آياتهم في القرآن الكريم الكتاب الذي حوى التوراة والفرقان والزبور بكل تفاصيلهما، وأحداثها وقصص الرسل والأنبياء، إيماناً بحقيقة الرسالة الواحدة، وتعدد الرسل منذ الخليقة الأولى لهداية الناس، فكان هذا هو الطريق المستقيم الذي رسمه الله سبحانه وتعالى للناس، غير أن كثيراً من اليهود، ساء ما يعملون، حرفوا كلام الله، وبدلوا هدى الله تعالى، وحملوا التوراة كما يحمل الحمار الأسفار، وفق ما وصفهم الله سبحانه وتعالى، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة: 5)، ليس ذلك فقط، بل تقولوا على ذات الله سبحانه وتعالى، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (المائدة: 64)، وهناك تقول آخر قالوه عن الله، وهو محض كذب وافتراء، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (آل عمران: 181)، ذلك تقولهم على ذات الله سبحانه، فكيف كان تقولهم على الرسل والأنبياء من بني إسرائيل، وعن الأمم والشعوب الأخرى في كتبهم؟ ذلك ما سنحاول الإجابة عليه في العناوين القادمة.

تعريف التوراة وأهم العناوين من (أسفار - توراة العبرانيين):

يلعب النص الديني دوراً محورياً كبيراً في رسم فكر وعقلية الشخص المنتمي لهذا النص أو ذاك، وعند القراءة الفاحصة لنص التوراة والفرقان في القرآن سالف الذكر والنص الذي استبدله اليهود بالأسفار الخمسة (سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية) وغيرها ويطلق عليها التوراة (العهد القديم) ستجد الفارق كبير في مدى تأثير النص الديني في شحن فكر الشخصية اليهودية بكل أنواع الحقد والكرهية والاستعلاء على الآخرين من الناس، فهم كما يزعمون عن تلكم النصوص أنها كلام الرب وفيها من الشعائر والأحكام والشرائع التفصيلية المنظمة لحياة المؤمنين بها من اليهود، ومن خلال قراءتنا لنصوص التوراة مرة تلو أخرى، وما فيها من دلالات موضوعية لموقع الكلمة والجملة

وتركيب الألفاظ مع الأخذ بالاعتبار، الاختلافات التي قد تبرز هنا وهناك بسبب الترجمة بين اللغة الأصلية واللغة العربية، ومن مقدمة الطبعة (نسخة ورقية) التي بين أيدينا، والمعنون بالكتاب المقدس (كتاب الحياة - ترجمة تفسيرية) العهد القديم بأسفاره الخمسة وملحقاته، والعهد الجديد وأعمال الرسل التي تم جمعها في جي. سي. سنتر (مصر الجديدة - القاهرة) في نهاية القرن الماضي (1989م)⁽¹⁾، وجات بإفادة حول هذه الطبعة، وميزتها بأنها دقيقة وأمينية في تأدية المعاني، ومكسوة بحلة بليغة ومؤثرة، خالية من أي تكلف، أو تعقيد من قبل اللجنة المكلفة بذلك، والتي اتبعت عند الترجمة من النص اليوناني الأصلي إلى اللغة العربية عدداً من القواعد، تمثلت ب: (الأمانة في إيراد النصوص - بلاغة اللغة - وضوح المعاني - سلاسة الأسلوب - بساطة التعبير - الإخلاص) آخذين بعين الاعتبار الترجمات العديدة إلى اللغة العربية التي صدرت خلال السنوات العشرين الماضية، فضلاً عن الترجمات المعروفة في القرون السابقة، ويزيد عددها على مائة، فضلاً عن نسخة الكترونية متوافرة على النت لمطابقتها مع النسخة الورقية من أجل سلامة النسخ للمحتوى المطلوب بصورة أدق، بالإضافة لنسخة الكترونية مطابقة للنسخة الورقية من أجل سهولة النسخ واللصق لبعض النصوص المستشهد بها عند المقارنة في هذا البحث.

وتعرف تورا العبرانيين بالتورا اليهودية الكاملة بالاسم العبري المختصر "تناخ"⁽²⁾، وهذا اللفظ مركب من الحروف الأولى للأجزاء الثلاثة المهمة للتورا، وهي الأسفار الخمسة الأولى - والأنبياء (نفيئيم)، والكتابات (كتوبيم): المزامير وسفر الأمثال ونشيد الإنشاد، وبقية أسفار الحكمة وغيرها)، ويقال: إن موسى تلقى شريعتين: إحداهما مكتوبة، وهي التورا، تلقاها موسى بوحي من الرب، والشريعة الأخرى شفوية، وهي مشنا التلمود وهي تلك الشريعة القولية والتقريرية المفصلة والمفسرة والمقيدة والمطلقة للنص المكتوب وغير ذلك، فالشريعة الأولى هي: التورا، وترمز للأسفار الخمسة الأولى، نذكرها بالترتيب:

- 1- سفر التكوين أو الخلق، وقد ذكر فيه خلق العالم وقصة آدم وحواء.
- 2- سفر الخروج، أي خروج اليهود من مصر، وقصة موسى وفرعون وتلقي موسى للتورا.
- 3- سفر اللاويين، وهم الأحرار والكهنة الأطهار من العترة المقدسة، وفيه حكم القربان والطهارة، وما يجوز أكله، وغير ذلك من الفرائض والحدود والأحكام، كما فيه تمجيد إبليس (عزازيل).
- 4- سفر العدد، وفيه من الشرائع ومن أخبار موسى وبني إسرائيل في التيه وقصة البقرة.
- 5- سفر التثنية، أي إعادة الناموس.

وبحسب زعم اليهود فالتورا أنزلت بالوحي على بني إسرائيل، بواسطة موسى في جبل سيناء، وتشتمل على جملة ما تحوي من شرائع وأحكام وفرائض وغيرها، وقد خاطب بها

(1) انظر العهد القديم والجديد.

(2) انظر كتاب التلمود - د مصطفى عبد المعبود.

موسى بني إسرائيل، وتعتبر هذه من الكتب الأساسية، بالإضافة لكتب أخرى نذكر بعضها – الترجوم باللغة الآرامية والعبرية – الهالاخا كتاب الفقه اليهودي، ويعتمد طرح مواضيعه عن طريق الأسئلة والأجوبة والفتاوى – الكبالا أو القبلا وهو مجموعة التعاليم والفكر الباطني لليهود – والمدراش – وغيرها، وجعلوا هذه الكتب خاصة بهم، إذ تحمل فناءها بذاتها من خلال القراءة الأولية العادية، فمثلاً نجد نصوص من التوراة يخلط بين الخرافة والأساطير ويصادم العقل والفطرة الإنسانية وقوانين الطبيعة، أضف أن القرآن الكريم يؤكد على حقيقة تحريف ما يزعم اليهود أنه توراة، وهو ما سيتضح من خلال مقابلة ومقارنة بعض من تلك النصوص بآيات القرآن الكريم الذي يفصح فعل التحريف بشكل واضح، فضلاً عما في نصوص التوراة من المتناقضات والتقولات والأكاذيب والكراهية والحقد على الآخر، بل وفيها من الإرهاب والعنف المفرط ضد اليهود أنفسهم وغيرهم واستحلال الدماء في الحرب، وإحراق المدن بمن فيها من السكان، وإن كانوا من النساء والأطفال والحيوان، وهي السمة الغالبة في نصوص التوراة التي احتوت على كثير من ذكر الفجور بالفاحشة، وذكر الألفاظ البذيئة ونسبتها للرب وللرسل والأنبياء. وحتى لا أطيل على القارئ سوف أذكر بعض العناوين، وأدعو القارئ لتصفحها من النسخة الورقية المشار إليها سابقاً، أو من أقدم نسخة، أو حتى من النسخ المتوافرة على النت، رغم أنه جرى تهذيب بعض النصوص بالتحريف، في محاولة لطمس بعض الألفاظ، واليهود يزعمون أن كل الكلام الذي ورد في هذا الكتاب (كتاب التوراة -العهد القديم) هو كلام الرب، ومن كتابهم المزعوم دعونا نستعرض بعض ما جاء فيه من النصوص وبقراءة هادئة ومتفحصة، ونسلط الضوء عليه من قريب، ثم نعقد مقارنة أو مقابلة بين نصوص توراة العبرانيين مع نصوص القرآن الكريم للأحداث والشخص نفسه، التي يتحدثان عنها (القرآن وتوراة العبرانيين)، ثم نأخذ كتاب التلمود – المشناً الشريعة التفصيلية (سنة اليهود) ⁽¹⁾ لمزيد من معرفة حقيقة النص ومصادقته من عدمه، ومن بين أهم العناوين نستعرض ما يلي:

عناوين سفر التكوين:

بدء الخلق: وفيه كثير من التناقض والتعارض مع العقل وقوانين العلم والطبيعة، ومع كلام الله في القرآن، ونكتفي بذكر العناوين ونحيل القارئ لمطالعة المحتوى من توراة العبرانيين، وهي:

- خلق السماء وما فيها.
- خلق المرأة من ضلع آدم.
- تسمية المرأة حواء كونها أمّاً لكل حي.
- خرافة الحية وخطيئة حواء.
- الرب يتأسف ويحزن بقلبه لخلق البشر بسبب الخطيئة في عهد نوح.
- أبناء الله يدخلون على بنات الناس في عهد نوح وبسبب هذا الشر وقع الطوفان.

(1) انظر كتاب التلمود . د مصطفى عبدالمعبود.

- نوح يسكر ويتعري، وأبنة حام أبو كنعان يبصر عورة أبيه، ويجازيه نوح بجعله ونسله عبداً لأخوته سام ويافت ويلعن كنعان ويظهر النص عنصرية مقيته.
- نوح يبني مذبح للرب ويحرق على المذبح تقدمات من الطيور والحيوانات.
- إبراهيم يتزوج أخته من أبيه (سارة)، ويستعرض بجمالها أمام ملك مصر، وملك جرار من أجل الحصول على الأموال والمواشي وغيره.
- النبي لوط يفعل فاحشة الزنا بابنتيه.
- يعقوب النبي يسرق بركة أخيه عيسو.
- يعقوب يتزوج أختين بنفس الوقت.
- يعقوب يصارع الرب في فينئيل.
- انتهاك شرف ديانة بنت يعقوب، والانتقام من إخوانها تحت خديعة الختان، ومن خلاله قتلوا جميع ذكور حمور وشكيم، وأحرقوا المدينة. وغيرها من العناوين استخدام العنف المفرط.

عناوين من سفر الخروج: وسنتناول على سبيل المثال العناوين الآتية:

- شريعة الفصح وعيد الفطير، والأبكار، وفيه خصص كل بكر من بني إسرائيل ليكون قرباناً للذبح.
- تشبيه الرب في عمود نار وسحاب.
- أحكام مختصة بالعبيد، وتكريس العبودية.
- تقنين عقوبات القتل والحرق بالنار، والوضع على الخازوق، والصلب، والرجم حتى الموت.
- بيع السارق بسرقة.
- قتل عاق والديه.
- أحكام خاصة بالمواشي، وقتل الحيوان الذي نطح إنساناً أو يرحم.
- أحكام خاصة بالاغتصاب، والزواج من المغتصبة وما فيه من اهانة للمرأة.
- قتل الساحر وكل من ضاجع بهيمة – لا تشتم القضاء – لا تلعن رؤساء شعبك.
- شريعة أو شرائع السبت وقتل منتهكه، وظهور لفظ شريعة في أكثر من موضع.
- موسى وهارون على الجبل، ومعهم سبعون من شيوخ إسرائيل ورؤيتهم لله على الجبل.
- أردية الكهنة والمبالغة فيها.
- هارون يصنع العجل من الذهب.
- تقديس هارون وتغيبب موسى.

عناوين من سفر اللاويين على سبيل المثال:

- شريعة تقديم القرбан وإحراقها بنار المذبح ورش الدم.
- قربات من بكور (كل فاتح رحم) من الإنسان والبقر والغنم.

- موسى خادم لهارون (مسح الكهنة).
- الرب يحرق ابني هارون بالنار.
- الحيوانات الطاهرة والحيوانات النجسة.
- شريعة تطهير نجاسة المرأة وداء البرص.
- عقوبات الخطيئة ما بين القتل والرجم والحرق بالنار، سواء كان الفاعل إنساناً أو حيواناً.
- تشريع الأعياد الدينية (مواسم أعياد الرب) منها: عيد الفصح، عيد الأبواق، عيد المضال وغيرها.
- عقاب المجدف الرجم حتى الموت.
- وأهم عنوان ورد في كتاب (السفر) التقرير بتقديم قربان لعازيل (إبليس الشيطان الرجيم) بإعطائه ذبيحة خطيئة يطلق حياً في الصحراء، وهم بذلك يساوون إبليس بالرب، ويمجدون الشيطان، وفق ما جاء بالنص من سفر اللاويين.

عناوين من سفر العدد: ومنها على سبيل المثال:

- تعليمات بشأن النجاسة وشريعة الشك بارتكاب المرأة الزنا، وفيه امتحان المرأة المشكوك في زناها.
- بعث الحياة في المادة بتفريخ عصا هارون.
- القرابين والتقدمات والنذور والعشور من الأموال والمعادن وحتى عجينة الخبز يعطى منها نصيب لهارون ككاهن أعظم ولأبنائه من بعده، الذين يطلقون عليهم أسماء مخصوصة ك (فينحاس) (العيزر) ونسب ديني مقدس عن غيرهم من اليهود والناس.
- عشور اللاويين وهي استحقاقات مالية تفرض على الناس من اليهود.
- احتلال أراضي الغير، وتوزيعها لأسباط بني إسرائيل كحق إلهي مقدس.
- القضاء على المديانيين بأمر من موسى حسب زعمهم، وتطهير المحاربين، وقتل النساء الأسيرات والأطفال والنهب والسلب والاغتصاب.
- توزيع غنائم الحروب واستفراد الكهنة بالنصيب الأكبر والأوفر.
- التخطيط للاستيطان غربي نهر الأردن، واحتلال أراضي الكنعانيين.

عناوين من سفر التثنية: ومنها على سبيل المثال:

- التّقول كذباً على الله سبحانه بلسان موسى على جبل حوريب وغيره بأن يحتلوا جبل الأموريين ووادي عربة والجبل والسهل والنقب وساحل بحر أرض الكنعانيين ولبنان إلى النهر الكبير نهر دجلة والفرات براً بقسم الرب لأبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولنسلهم من بعدهم حسب زعمهم الكاذب.
- القضاء على الملك سيحون والملك عوج وقتل الرجال والنساء والأطفال.
- التحذير من مخالطة الأمم الأخرى من كون اليهود يزعمون كذباً أنهم شعب الله المختار والمقدس.

- وعد الله بهزيمة الأمم الأخرى وجعلها سخرة لليهود.
- البهائم الطاهرة والبهائم النجسة منها (الجمال - الأرنب - الوبر - الخنزير).
- الحكم والحاكمة لبني إسرائيل دون غيرهم من الناس (الولاء والبراء).
- شرائع حصار وفتح المدن البعيدة، إما بالاستعباد لمن يستسلم أو القتل بالسيف لجميع ذكورها وأما النساء والأطفال والبهائم أسلاب غنائم.
- شرائع حصار وفتح مدن وأرض الغير بالعنف والإرهاب وفق ما جاء " فلا تستبقوا فيها نسمة حية بل دمروها عن بكرة أبيها كمدن الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين".
- كيفية القضاء في القتل المجهول الذي لا يعرف قاتله (القسامة).
- شريعة المرأة الأسيرة وفيها من التحقيق والامتهان للمرأة.
- شريعة توريث الأبناء الذكور وفيه من التمييز الفاضح وحرمان المرأة.
- أحكام في الزنى والاغتصاب والزواج والطلاق وفيه امتهان لحق المرأة.
- أحكام بعدم قتل الأب لقتله ولده.
- عقوبة المرتد عن الدين بمحو اسمه من تحت السماء: (الإعدام، بالسيف، أو الحرق، أو الرجم).
- وفاة موسى ودفنه والتقول كذباً على لسانه بتحديد أرض إسرائيل من جلعاد إلى دان ونفتالي وافرأيم ومنسي وسائر أرض يهوذا الممتدة إلى البحر المتوسط غرباً والنقب ووادي نهر الأردن واريحا وصوغر وغيرها من أراضي الغير.
- عناوين من سفر يشوع: ومنها على سبيل المثال:**

- سقوط أريحا ونجاة راحاب الزانية واحراق المدينة بكل ما فيها من الرجال والنساء والأطفال والبهائم.
- خطيئة نفر من بني إسرائيل (عخان بن كرمي) ومعاقبته مع أهل بيته وأولاده بالرجم بالحجارة حتى الموت ثم حرقهم بالنار وفيه من الإرهاب والعنف.
- خرافة ثبات الشمس وتوقف القمر بمعركة يشوع.
- القتل والسحل تحت الأقدام للملوك الخمسة بمعركة ميروم والعناقين وملوك شرقي وغرب نهر الأردن.
- توزيع الأراضي المحتلة بالقرعة بين أسباط بني إسرائيل كحق ديني مقدس.

عناوين من سفر القضاة: ومن أهم العناوين على سبيل المثال:

- فرض الجزية على غير اليهود.
- أهود يخلص الشعب من الموابين بقتل الملك عجلون غدرًا.
- خرافة شمشون والتشنيع بقتل آلاف الفلسطينيين بفك حمار، وغير ذلك من الخرافات والإرهاب.

عناوين متفرقة من أسفار تورا العبرانيين:

1- من كتاب صموئيل الأول العناوين التالية:

- حول انتحار شاول وأولاده في الحرب (قائد جيش داوود)، وتناقض هذه الرواية مع رواية أخرى ببداية كتاب صموئيل الثاني، وعنوان موت شاول الذي طلب من ابن رجل غريب من العماليق أن يقتله حتى لا يقع بالأسر، فنفذ أمر شاول بقتله، ورواية أخرى فقتله داود أيضاً.
- داود يرقص للرب ويذبح ثور وعجل بكل ست خطوات وفيه من المبالغة والتقول الكاذب.
- داود يحتل عاصمة الفلسطينيين ويقتل صف من كل صفين من الناس وفيه من المبالغة والتقول الكاذب.
- خطيئة داود بالزنا من بثشبع زوجة أوريا الحوري (أحد قادة جيشه)، والتخلص من الزوج بقتله في المعركة.
- أمنون يغتصب ثامار أخت أبشالوم واخته، ومعاشره أبشالوم محظيات أبيه (زوجات أبيه).

2- ومن كتاب الملوك الأول العناوين التالية:

- ثراء سليمان وأمجاده، والمبالغة حد الخرافة والكذب.
- التقول كذباً على نبي الله سليمان إنه تزوج (700) زوجة، و(300) محظية، وكفر سليمان وعبادته لعشتاروث إله الصيدونيين، وملكوم إله العمونيين.

3- ومن كتاب أخبار الأيام الأول العناوين التالية:

- العقاب بالوباء والرب يقتل (70) ألف إنسان من بني إسرائيل انتقاماً بعهد داود.
- خرافة بناء الهيكل باستخدام (3600) طناً من الذهب، و(ألف ألف وزنه) من الفضة، ونحاس وحديد، لا يمكن وزنهما لوفرتهما، والعاج وخشب الأرز، وخشب الزيتون وخشب السرو بأمر الرب حسب زعمهم.

4- من كتاب حزقيال عن الخراء: ونعرض بعضاً ما ورد فيه من بذاءة القول وفحش

العبارات عن براز الإنسان (الخراء) أو الغائط كما في هذا النص الذي يدل على تمادي اليهود على التقول على الله جل جلاله كما في النص التالي: (..... وتأكل كعكاً من الشعير على الخراء الذي يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم 13» وقال الرب: «هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم 14» فقلت: «آه، يا سيد الرب، ها نفسي لم تتنجس ومن صباي إلى الآن لم أكل ميتة أو فريسة، ولا دخل فمي لحم نجس 15». فقال لي: «انظر، قد جعلت لك خثي البقر بدل خراء الإنسان، فتصنع خبزك عليه).

ولليهود العبرانيين واليهود السامريين أسفار خمسة متفق عليها، وبقية الأسفار الأخرى فيها اختلاف بين أغلب طوائف اليهود، وما يهمنا هو الوقوف على مضمون اللغة المستخدمة في تورا العبرانيين، وتأثيرها في صناعة الفكر الديني القديم والسلوك الاجتماعي لليهود، وامتداده إلى فكر الأديان الأخرى وبالذات المذاهب الإسلامية بشقيه السني والشيعي، فبعد أن

عجزوا عن اختراق القرآن الكريم الذي حفظه الله، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 9)، إذ كان القرآن الكريم حصناً منيعاً، عجزت جماعة التحريف عن تجاوزه، وهو اليوم يفضحهم فما يهمننا في هذا المبحث هو معرفة علاقة التشابه بين شريعة توراة العبرانيين، ونصوص المذاهب الإسلامية في استخدام نفس الألفاظ والعبارات والمضمون من التحريف الواضح والمضاد للقرآن الكريم في كتب الحديث - السيرة - الفقه - التفسير وغيرها مما دسته جماعة التحريف عن قصد في فكر المذاهب الإسلامي، وفضح عامل الترابط القائم بينهما والأدوات المستخدمة من خلال النص المحرف، والأحداث والقصص، كما أن جماعة تحريف الأديان استطاعت أن تضلل الناس عن هدى الله تعالى، وقد اصطنعت هذه الجماعة كثيراً من النصوص مدعية أنها من عند الله سبحانه وتعالى، فتعمدت تشييت العقائد الإيمانية للناس على مر العصور والأزمان، بل وتسملت هذه الجماعة إلى داخل الأديان، بالتحالف مع إبليس، كيف لا وهم يمجّدونه كما سبق ذكره في سفر اللاويين، فلبسوا ثوب إبليس ليعطوا الناس بالفضيلة بزخرف من القول غروراً، ولقد بيّن الله تعالى هذا المشهد في القرآن الكريم، بقوله جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: 16، 17)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: 112)، فأبر إبليس بقسمه، فقعّد لبني آدم على الصراط المستقيم، وموضع قعوده يدلل على استعداده الدائم، وعزيمته الأكيدة في تحريف إيمان الناس، والميل بهم عن الصراط المستقيم (طريق الله العزيز الحكيم)، فخلق هذا الكم الهائل من الفكر الديني تحت مسميات متعددة واجتهادات كثيرة، فحلّل وحرّم بما لم يأمر به الله تعالى، واصطنع كما هائلاً من الأديان والعقائد والطوائف والمذاهب والفرق المتناقضة المتصارعة التي جندت كل ما هو شر، ضد بعضها البعض، فأهلكت الحرث والنسل، بل والإنسان نفسه، وما زال إبليس وجماعته متربصين بنا نحن بني الإنسان، وما زال مستمراً بالقعود لبني آدم بكل صراط مع أعوانه من شياطين الإنس والجن، وبكل الطرق والمسميات والسبل الكثيرة الظاهرة منها والباطنة، وما لم نفق لهدى الله سبحانه وتعالى الذي يأمرنا بالإيمان والعدل والحرية وحب الخير للناس جميعاً، مع التأكيد على أن الحرية العقائدية في اختيار المعتقد الديني دون إكراه هي من أهم الأسباب في معرفة الدين الحق، وأن هذه الجماعة تجد أرضية خصبة لعملها في ظل الجهل والفقر وانعدام العلم، وبانعدامه ينعدم الإيمان بالله سبحانه وتنتشر الخرافة.

وعودة إلى أحداث وقصص الأنبياء والرسل في نصوص العهد القديم (توراة العبرانيين) وكتب العهد الجديد، وما جاء به القرآن الكريم عن الأحداث والقصص والشخص نفسها، وعمل مقابلة ومقارنة بينهما، وأخذ نماذج حصرية على سبيل المثال، والتعليق عليها بما أمكن سوف يتضح جرم جماعة التحريف التي سبق التعريف بها، من خلال المقابلة والمقارنة بين ما حرف بتلك الكتب، وما جاء في القرآن الكريم.

نصوص من التوراة والقرآن الكريم – قراءة مقارنة:

قصة خلق آدم وزوجه:

ورد بسفر التكوين كيفية خلق آدم وامرأته بنصوص مجتزأة وضد مبدأ العلم والمعرفة، مبينة خلقهما من نفس، وأن أصل الخلق كان هو شخص آدم الذكر فقط، ومنه خلقت المرأة من ضلعه، وهذه الفكرة فيها من التسفيه لفطرة خلق البشر وتسفيه للحقائق العلمية نقلت إلى كتب فكر المذاهب الإسلامي، وسوف نذكر بعض النصوص، كما وردت على النحو التالي:

كيفية خلق آدم: «وَجَبَلَ الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الْأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً»⁽¹⁾.

أما خلق امرأته: ففيه «فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإلهُ سُبَاتاً عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلَاعِهِ وَمَلَأَ مَكَانَهَا لَحْماً 22. وَبَنَى الرَّبُّ الإلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَخْضَرَهَا إِلَى آدَمَ 23. فَقَالَ آدَمُ: «هَذِهِ الْآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هَذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لِأَنَّهَا مِنْ امْرَأٍ أُخِذَتْ 24»⁽²⁾ والحية وعملها في إغواء امرأة آدم التي بدورها أغوت آدم بمعصية الله تعالى: فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ»¹³. فَقَالَ الرَّبُّ الإلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ»⁽³⁾.

وهكذا قالوا بفعل معصية آدم حلت اللعنة على الأرض، وبفعل إغواء الحية صارت ملعونة من بين جميع البهائم والوحوش، مبرئين النفس وإبليس من فعل الإغواء، غير أن القرآن الكريم أوضح كيفية بدء الخلق بياناً واضحاً، وفق ما أوضحنا بعناوين مستقلة عن الخلق، وخلق البشر خلفاً لهم وقد بيّنا ذلك في عناوين مستقلة من هذا المؤلف بما يتنافى مع هذه التقولات الكاذبة التي تتناقض مع الفطرة وحقيقة الخلق ومع العلم والعقل.

التقول كذباً على خليل الله إبراهيم وزوجته سارة:

وفحواه الطعن في أهل بيت إبراهيم مع فرعون ملك مصر تحت مبرر الغاية تبرر الوسيلة، وفق التالي: (وحدث جوع في الأرض، فأنحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك، لأن الجوع في الأرض كان شديداً 11) ⁽⁴⁾. وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لسارة امرأته: «إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر 12. فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته، فيقتلونني ويستبقونك 13. قولي إنك أختي، ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلي»⁽⁵⁾.

وفي موقف آخر مماثل مع أبيمالك ملك جرار الذي أخذ سارة لجمالها من إبراهيم بعد إدعائه أنها أخته وكسب من ورائها الكثير من الأغنام والماشية وغيرها، كما الرواية المكذوبة

(1) انظر العهد القديم سفر التكوين.

(2) انظر العهد القديم سفر التكوين.

(3) انظر العهد القديم سفر التكوين.

(4) انظر العهد القديم سفر التكوين.

(5) انظر العهد القديم – سفر التكوين.

عن خليل الله إبراهيم. (وقال إبراهيم عن سارة امرأته: «هي أختي»). فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة (1).

ومن القرآن الكريم: ذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ثلاثٍ وستين آية وفي مواضع مختلفة، ووصفه الله سبحانه وتعالى بعدد من الأوصاف والصفات ومنها: الحليم، واتخذ الله خليلاً، وأنه كان أمة، كما يفهم من الآيات التي ذكرت إبراهيم، ومعها تنتفي هذه البذاءة والتقول الفاحش عنه ننسخ بعض منها بالآتي:

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (البقرة: 130). وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران: 67). وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: 125). وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (هود: 75). وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: 120). وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا﴾ (مريم: 41). وَقَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 51) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (الصافات: 109). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (النجم: 37)

تلك هي الأوصاف والصفات التي وصف بها الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولا مجال للمقارنة بين مضمون النصين، وقد أفردنا فصلاً مستقلاً للتعريف بإيمان إبراهيم في الجزء الثاني من المؤلف، ويمكن الرجوع إليه لمزيد من الاطلاع.

التقول كذباً على نبي الله إسماعيل بأنه ابن جارية مصرية:

وقد وردت قصة نبي الله ورسوله إسماعيل ابن خليل الله إبراهيم عليهم السلام في التوراة في أكثر من موضع وبأسفار متعددة، وسردت القصة بصورة مزرية، فيها من السخرية والتحقير بل والعنصرية البغيضة التي لا يصح القول بها بحضرة بيت سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم، ويظهر دور جماعة التحريف فيها بشكل واضح، كما يظهر فيها الكراهية للمصريين، بما يؤكد على أن هذا الكلام دسّ لاحقاً، وفي النص التالي من التوراة كلام عن التحقير: (ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح). 10 فقالت لإبراهيم: «اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق». 11 «فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه». 12 فقال الله لإبراهيم: «لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها، لأنه بإسحاق يدعى لك نسل». 13 «وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك» (2).

(1) انظر العهد القديم – سفر التكوين.

(2) انظر العهد القديم – سفر التكوين.

ومن القرآن الكريم: ذكر نبي الله ورسوله إسماعيل، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، (إبراهيم: 39). ومعلوم أن الأنبياء والرسل كانت لهم زوجة واحدة وفق سنة الله في الزواج بين البشر فكان آدم وزوجه نموذج ذلك الزواج ووفق ما يفهم من النص السابق، وكذلك الناس فطروا على هذه الفطرة وما قصة هاجر إلا من قصص وخرافة جماعة التحريف وان إسماعيل وإسحاق هما مولدين عن زوجة واحدة وفق النص السابق وبتقديري فقد كان حقد اليهود على نبي الله إسماعيل بسبب عيشه بين العرب وتكريمه ببناء الكعبة ببكة مع أبيه إبراهيم عليهم السلام.

التقوّل كذباً بالزنا على نبي الله لوط عليه السلام:

ولك أن تتخيل هذا العنوان ومقدار البذاءة والفحش في لصق هذا القبح الفاجر لجريمة الزنا بنبي الله لوط عليه السلام بابنتيه، كما ورد في هذا النص: (وَصَعَدَ لُوطٌ مِنْ صُوعَرَ، وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ، وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوعَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. 31 وَقَالَتِ الْبُكَرُ لِلصَّغِيرَةِ: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الْأَرْضِ. 32 هَلُمَّ نَسْقِي آبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعْ مَعَهُ، فَنُخَيِّ مِنْ أَبِيْنَا نَسْلًا». 33 فَسَقَتَا آبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَدَخَلَتِ الْبُكَرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا. 34 وَحَدَّثَ فِي الْعَدِ أَنَّ الْبُكَرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدْ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ، فَنُخَيِّ مِنْ أَبِيْنَا نَسْلًا». 35 فَسَقَتَا آبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا، 36 فَحَدَّثَتْ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. 37 فَوَلَدَتِ الْبُكَرُ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُؤَابَ»، وَهُوَ أَبُو الْمُؤَابِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. 38 وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بَنُ عَمِّي»، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ). (1)

وأمام فضاغة هذا النص فأنني مندهش من تصديق هذا القبح من بعض الأخوة المؤمنين بالعهد الجديد (المسيحيين)، فقد دار حوار بيني وبين أحد القساوسة، بجمهورية مصر العربية أثناء زيارتي لأثار دير السيدة العذراء بمدينة أسيوط، منتصف العقد الأول من الألفية الثانية الذي فاجأني بالإجابة عن سؤال وجهته إليه عن مدى مصداقية هذا النص من العهد القديم، ومدى تقبله لدى المؤمنين من المسيحيين، وهل هذه القصة جزء من إيمانه المتصل بالعهد القديم؟ فكان جوابه، نعم وأن هذا الفعل لابنتي لوط يندرج ضمن كونهما من البشر، فأدركت من حينها مدى خطورة الأمر، ومدى تأثير نصوص الفكر الديني في تشكيل وعي الأمم والشعوب في مختلف مراحل التاريخ الإنساني، فكانت تلك محطة مهمة لمزيد من القراءة الفاحصة لأغلب نصوص الفكر الديني لكل المعتقدات الدينية بقلب وعقل فلا يتصور لعاقل أن يحدث مثل هذا القبح من نبي أو رسول وهو مكلف من قبل الله سبحانه بمحاربة الرذيلة في مجتمعه وبين أوساط قومه وبنفس الوقت يمارسها مع أولاده أنه القبح الفاحش والتناقض الفاضح.

(1) انظر العهد القديم – سفر التكوين.

وقد ذكر القرآن الكريم: سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام، في قرابة سبع وعشرين آية، نذكر منها قوله جلّ في علاه: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِءٍ فَاسِقِينَ﴾ (الأنبياء: 74)، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العنكبوت (26) قَالَ اللَّهُ جلّ في علاه: ﴿وَإِنْ لُوطًا لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ الصافات (133) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَنْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود: 81).

بعض من نصوص التوراة تدعو إلى الإرهاب:

ورد في التوراة الكثير من عبارات العنف والإرهاب ضد الآخر، ونجد لذلك مثلاً عقوبة الحرق بالنار التي تكررت كثيراً، وبصيغ متعددة (يحرق بالنار، تحرق بالنار، أحرق بالنار) كفعل وكجزاء عقابي، هذا غير القتل بالسيف، وقد ذكر السيف في أحداث وقصص كثيرة، وكذلك الخنق والاغتيالات غدراً، والإعدامات والرجم بالحجارة حتى الموت، ومنها دست مضامين هذه النصوص لفكر المذاهب الإسلامي وصبغت بها وفيما يلي نوردُ جزءاً من تلك العقوبات التي وردت:

- عقوبة الحرق لزنى المحارم (وإذا اتخذ رجل امرأة وأمه، فذلك رذيلة بالنار يحرقونه وإياهما، لكي لا يكون رذيلة بينكم. 15) (1)
- عقوبة إحراق ابنة الكاهن: (ولما كان نحو ثلاثة أشهر، أخبر يهوذا، وقيل له: «قد زنت ثمار كنتك، وها هي حبلى أيضاً من الزنا». فقال يهوذا: «إخرجوها فتحرق» (2)
- عقوبة القتل والرجم للزنا: (ولكن إن كان هذا الأمر صحيحاً، لم توجد عذرية للفتاة. 21 يخرجون الفتاة إلى باب بيت أبيها، ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت، لأنها عملت قباحة في إسرائيل بزناها في بيت أبيها. فتنزع الشر من وسطك. 22 «إذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل، يقتل الاثنان: الرجل المضطجع مع المرأة، والمرأة. فتنزع الشر من إسرائيل. 23 «إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل، فوجدوها رجل في المدينة واضطجع معها، 24 فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا) (3).
- من صور إذلال وإهانة المرأة زواجها بمغتصبها ويكون بمثابة جائزة له على جريمة الاغتصاب (إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة، فأمسكها واضطجع معها، فوجدوا. 29 يعطي الرجل الذي اضطجع معها لأبي الفتاة خمسين من الفضة، وتكون هي له زوجة من أجل أنه قد أذلها. لا يقدر أن يطلقها كل أيامه) (4).

(1) انظر العهد القديم - سفر اللاويين.
(2) انظر العهد القديم - سفر التكوين.
(3) انظر العهد القديم - سفر التثنية.
(4) انظر العهد القديم - سفر التثنية.

- نص في حلة القتل والحرق بالنار (لأنني قد جعلت وجهي على هذه المدينة للشر لا للخير، يقول الرب: ليد ملك بابل تدفع، فيحرقها بالنار) (1).
- نص آخر عن الإرهاب والقتل الجماعي (وترجمهما الجماعة بالحجارة، ويقطعونهما بسيوفهم، ويذبحون أبناءهما وبناتهما، ويحرقون بيوتهما بالنار) (2).
- وفي إحراق الناس قرباناً للمذبح المقدس (فنادى نحو المذبح بكلام الرب، وقال: «يا مذبح، يا مذبح، هكذا قال الرب: هوذا سيولد لببيت داود ابن اسمه يوشيا، ويذبح عليك كهنة المرتفعات الذين يوقدون عليك، وتحرق عليك عظام الناس) (3).
- وهذا نص عن الإرهاب والذبح بالسيف، وما أكثر ما ورد الذبح بالسيف في التوراة (وأنت يا ابن آدم، فتنبأ وقل: هكذا قال السيد الرب، في بني عمون وفي تعبيرهم، فقل: سيف، سيف مسلول للذبح! مصقول للغاية للبريق. 29 إذ يرون لك باطلاً، إذ يعرفون لك كذباً، ليجعلوك على أعناق القتلى الأشرار الذين جاء يومهم في زمان إثم النهاية. 30 فهل أعيده إلى غمده؟ إلا في الموضع الذي خلقت فيه في مولدك أحاكمك! 31 وأسكب عليك غضبي، وأنفخ عليك بنار غيظي، وأسلمك ليد رجال متحرقين ماهرين للإهلاك. 32 تكونين أكلة للنار. دمك يكون في وسط الأرض. لا تذكرين، لأنني أنا الرب تكلمت) (4).
- كما جاء نص بقصد الإرهاب والتشنيع بالقتل بقوله: (فتجندوا على مدين كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر. 8 وملوك مدين قتلوهم فوق قتلاهم: أوي وراقم وصور وهور ورابع. خمسة ملوك مديان. وبلغام بن بعور قتلوه بالسيف. 9 وسبى بنو إسرائيل نساء مدين وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم، وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. 10 وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم، وجميع حصونهم بالنار. 11 وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم، 12 وأتوا إلى موسى وألغازار الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة إلى المحلة إلى عربات موآب التي على أردن أريحا) (5).
- وهذا النص يدعو إلى قتل الناس من أجل الحصول على الذهب والمال: (وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما فيها، من الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد وجعلوها في خزانة بيت الرب) (6).
- ويتجسد في هذا النص الإرهاب والنهب والسلب: (فأخذ يشوع عخان بن زارح والفضة والرداء ولسان الذهب وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ما له، وجميع إسرائيل معه، وصعدوا بهم إلى وادي عخور. 25 فقال يشوع: «كيف كدرتنا؟ يكدرك الرب في هذا اليوم!». فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة وأحرقوهم بالنار ورموهم

(1) انظر العهد القديم – سفر أرمياء.

(2) انظر العهد القديم – سفر حزقيال.

(3) انظر العهد القديم – سفر ملوك الأول.

(4) انظر العهد القديم – سفر حزقيال.

(5) انظر العهد القديم – سفر العدد.

(6) انظر العهد القديم – سفر يشوع.

بالحجارة، 26 وأقاموا فوقه رجمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم. فرجع الرب عن حمو غضبه. ولذلك دعي اسم ذلك المكان «وادي عخور» إلى هذا اليوم⁽¹⁾.

وهذا نص آخر يدعو للقتل والذبح بالسيف والعنف المفرط: (وكان جميع الساقطين من بنيامين خمسة وعشرين ألف رجل مخترطي السيف في ذلك اليوم. جميع هؤلاء ذوو بأس. 47 ودار وهرب إلى البرية إلى صخرة رمون ست مئة رجل، وأقاموا في صخرة رمون أربعة أشهر. 48 ورجع رجال بني إسرائيل إلى بني بنيامين وضربوهم بحد السيف من المدينة بأسرها، حتى البهائم، حتى كل ما وجد. وأيضاً جميع المدن التي وجدت أحرقوها بالنار)⁽²⁾.

ويظهر في هذا النص الإرهاب والعنف المفرط: (وذبح جميع كهنة المرتفعات التي هناك على المذابح، وأحرق عظام الناس عليها، ثم رجع إلى أورشليم)⁽³⁾.

وهناك كثير مثل هذه النصوص التي تتضمن الأحكام والجزاءات والأفعال والعقوبات والعنف ضد بعضهم وضد الآخرين، ومن هذه اللغة دُسَّ كثير في فقه السيرة والحديث وفكر المذاهب الإسلامي بشقيه السني والشيوعي، وما زال محل جدل حتى يومنا هذا، رغم أن القرآن الكريم في أغلب نصوص العقوبات يحث على تقديم العفو على تطبيق العقوبة، لما فيه من الحث على الرحمة ونشر التسامح والسلام بين الناس.

شريعة تغليظ عقوبة القتل وتعددتها:

تحدثت التوراة عن هذه الأحكام كثيراً، ومن ذلك ننسخ النزر اليسير: «مَنْ ضَرَبَ إِنْسَانًا فَمَاتَ يُقْتَلُ قَتْلًا. 13 وَلَكِنَّ الَّذِي لَمْ يَتَعَمَّدْ، بَلْ أَوْقَعَ اللَّهُ فِي يَدِهِ، فَأَنَا أَجْعَلُ لَكَ مَكَانًا يَهْرُبُ إِلَيْهِ. 14 وَإِذَا بَغَى إِنْسَانٌ عَلَى صَاحِبِهِ لِيَقْتُلَهُ بِغَدْرٍ فَمِنْ عِنْدِ مَذْبَحِي تَأْخُذُهُ لِلْمَوْتِ. 15 وَمَنْ ضَرَبَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا. 16 وَمَنْ سَرَقَ إِنْسَانًا وَبَاعَهُ، أَوْ وُجِدَ فِي يَدِهِ، يُقْتَلُ قَتْلًا. 17 وَمَنْ شَتَمَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ يُقْتَلُ قَتْلًا» (4)

القرآن الكريم يتحدث عن الجزاء والعقاب:

جاء القرآن الكريم وفق ما كتب في ألواح موسى مقدماً العفو: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: 45)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 194). ومن ذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾، (النحل: 126). وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (الحج: 60).

التقوّل كذباً على إسحاق ويعقوب:

(1) انظر العهد القديم – سفر يشوع.

(2) انظر العهد القديم – سفر القضاة.

(3) انظر العهد القديم – سفر الملوك الثاني.

(4) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

وقد ورد ذلك في العهد القديم من خلال اتهام نبي الله يعقوب بأنه يسرق البركة، وأن نبي الله يعقوب يصارع الله في فنيئيل⁽¹⁾ وكفى بمثل هذه العناوين ذكراً دون الخوض في محتواها، ويمكنك أن تدرك مدى التماذي في التقول على أنبياء الله تعالى، بل وعلى ذات الله تعالى، ولك أن تعمل على رصد هذه اللغة الفجة، وكيف انتقلت إلى فكر المذاهب الإسلامي في كثير من الأحاديث والقصص وفي كتب الحديث والسيرة والفقه.

القرآن الكريم يتحدث عن إسحاق ويعقوب:

تحدث القرآن الكريم عن إسحاق ويعقوب ببديع الألفاظ ومحاسن الأوصاف، وقد سبق لنا الإشارة إليها، ونعرض هنا مزيداً من الآيات التي تضمنت الحديث عنهما، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 133). قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: 112). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام: 84). قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ (الأنبياء: 72). قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (العنكبوت: 27). قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (ص: 45). وغيرها من نصوص الذكر الحكيم.

شريعة بني إسرائيل وقصة موسى:

وردت قصة موسى والشريعة في كثير من أسفار العهد القديم (توراة العبرانيين)، منها: سفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد، وسفر التثنية والكتب الأخرى، وهي الجزء الأكبر والمهم في تلك الأسفار، وعند مطالعتك لتلك الأسفار سوف ترصد اللغة والألفاظ المستخدمة في كثير من الأحداث والمشاهد لهذا الموضوع وعند المقارنة ستجد أن هناك تقارباً مع اللغة والألفاظ المستخدمة في أحاديث فكر المذاهب الإسلامي، والتي تظهر ألفاظ التطاول من قبل بني إسرائيل على الرب الإله، وعلى رسول الله موسى وأخاه هارون (عليهما الصلاة والسلام)، كما تظهر لغة الفجاجة في التذمر من الرب، وتصلبهم بالطلبات وإلقاء الملامة عليهم، وعدم الرضا، ورفع الأصوات والصراخ، والتحسر على ما آلت إليه أوضاعهم بسبب خروجهم من مصر، وما إلى ذلك من الكلمات التي أقل ما يمكن أن توصف بأنها لا تصلح لمخاطبة شخص من الناس، فما بالك والمخاطب الله رب العالمين، وفق النصوص التالي: فصرخ موسى إلى الرب قائلاً: «ماذا أفعل بهذا الشعب؟ بعد قليل يرجعونني»⁽²⁾ ونص آخر بقوله: فاشتعل غضب الرب على تلك الأرض حتى جلب عليها كل اللعنات المكتوبة في هذا السفر. 28 واستأصلهم الرب من أرضهم بغضب وسخط وغيظ عظيم، وألقاهم إلى أرض

(1) انظر العهد القديم - سفر التكوين.

(2) انظر العهد القديم - سفر الخروج.

أخرى كما في هذا اليوم⁽¹⁾، ويمكن أن نسجل الحال الذي وصل إليه موسى وهارون مع بني إسرائيل كما جاء في القرآن الكريم، ومن ذلك ما ورد في قول الله جلّ في علاه: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: 24، 25). تُبين هاتان الآيتان ما وصل إليه موسى وهارون عليهما السلام، بسبب موقف بني إسرائيل المتصلبين من دعوتهما، إذ لم يعد في مقدور موسى سوى اللجوء إلى ربه والشكوى إليه، مؤكداً في دعواه لربه طبيعة هؤلاء القوم. ويظهر في خطاب بني إسرائيل لموسى الكفر والجحود والنكران، ويظهر من قراءة محتوى هذا الخطاب حقيقة التنشئة الاجتماعية والأخلاقية، ومدى جراتهم على الله تعالى، وعلى نبيه موسى وهارون عليهما السلام، كما سيتضح من نصوص أخرى في تورا العبرانيين.

السيطرة على أرض الغير من الشعوب وتوزيعها بين أسباط بني إسرائيل:

يأتي إدعاء اليهود بتمييزهم عن غيرهم وإظهار الكراهية وممارسة القتل والطرده لغيرهم من الشعوب واحتلال أراضيهم (فلسطين، لبنان، سورية، الأردن، العراق) كما يحدث في هذا العصر نتيجة التقول كذباً على الله بحمايتهم وإعطائهم هذا الحق وفق هذا النص: (ها أنا مُرْسِلٌ مَلَكَأَ أَمَامَ وَجْهِكَ لِيَحْفَظَكَ فِي الطَّرِيقِ، وَلِيَجِيءَ بِكَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَعَدَدْتُهُ. 21 اخْتَرْتُ مِنْهُ وَاسْمَعُ لَصَوْتِهِ وَلَا تَتَمَرَّدْ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ لَا يَصْفَحُ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، لِأَنَّ اسْمِي فِيهِ. 22 وَلَكِنْ إِنْ سَمِعْتَ لَصَوْتِهِ وَفَعَلْتَ كُلَّ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ، أَعَادِي أَعْدَاءُكَ، وَأَصَابِقُ مُضَابِقِيكَ. 23 فَإِنَّ مَلَكَايَ يَسِيرُ أَمَامَكَ وَيَجِيءُ بِكَ إِلَى الْأُمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِيِّينَ وَالْكَنَعَانِيِّينَ وَالْحَوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، فَأَبِيدُهُمْ..... وَأُرْسِلُ أَمَامَكَ الزَّنَابِيرَ. فَتَطْرُدُ الْحَوِّيِّينَ وَالْكَنَعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ مِنْ أَمَامِكَ. 29 لَا أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، لِئَلَّا تَصِيرَ الْأَرْضُ خَرَبَةً، فَتَكْثُرَ عَلَيْكَ وَحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. 30 قَلِيلاً قَلِيلاً أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ إِلَى أَنْ تُثْمَرَ وَتَمْلِكَ الْأَرْضَ. 31 وَأَجْعَلَ ثُخُومَكَ مِنَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ إِلَى سَاحِلِ فِلِسْطِينَ، وَمِنَ الْبَرِّيَّةِ حَتَّى نَهْرِ الْفَرَاتِ. فَإِنِّي أَدْفَعُ إِلَى أَيْدِيكُمْ سُكَّانَ الْأَرْضِ، فَتَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ)⁽²⁾.

وجاء في نص آخر: (الرَّبُّ إِلَهُنَا كَلَّمَنَا فِي حُورَيْبَ قَائِلًا: كَفَاكُمْ قُعوداً فِي هَذَا الْجَبَلِ، 7 تَحَوَّلُوا وَارْتَحِلُوا وَادْخُلُوا جَبَلَ الْأُمُورِيِّينَ وَكُلَّ مَا يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبَةِ وَالْجَبَلِ وَالسَّهْلِ وَالْجَنُوبِ وَسَاحِلِ الْبَحْرِ، أَرْضَ الْكَنَعَانِيِّينَ وَلُبْنَانَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرَ الْفَرَاتِ. 8 أَنْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكُمْ الْأَرْضَ. ادْخُلُوا وَتَمَلَّكُوا الْأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لِأَبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُمْ وَلِنَسْلِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ)⁽³⁾.

ثم جاء في نصوص أخرى التقول كذباً على الله سبحانه من أنه أعطى الحق لبني إسرائيل في احتلال أراضي الفلسطينيين والكنعانيين وغيرهم وتوزيعها بين أسباط بني إسرائيل وهم سبط رأوبين وشمعون وجاد ويهوذا ويساكر وزبولون ومنسي وأفرايم وبنيامين

(1) انظر العهد القديم – سفر التثنية.

(2) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

(3) انظر العهد القديم – سفر التثنية.

ودان وأشير ونفتالي، وتحديد مدن الملاحي وفق مشروعية من التوراة مدعين ذلك كذباً عن الله سبحانه بالنص: (كلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً: 51 «كلم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، 52 فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع تصاويرهم، وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم. 53 تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها، 54 وتقتسمون الأرض بالقرعة حسب عشائركم. الكثير تكثرون له نصيبه والقليل تقللون له نصيبه. حيث خرجت له القرعة فهناك يكون له. حسب أسباط آبائكم تقتسمون. 55 وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا في أعينكم، ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها. 56 فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم»⁽¹⁾).

وهناك الكثير من النصوص المدعى بها كذباً عن الله سبحانه والتي تضمنت تفاصيل دقيقة في التوزيع بالذراع وتحديد الاتجاهات للأرض المقسمة، ومن الملاحظ في هذه النصوص وغيرها أنهم ادعوا أن الله سبحانه قَسَمَ المدن ودَوَّرَ مسارحها للبهائم والحيوانات وللملاحي وفق النص: (فتكون المدن لهم للسكن ومسارحها تكون لبهائمهم وأموالهم ولسائر حيواناتهم)⁽²⁾.

وهناك نصوص أخرى مكذوبة على الله الرب تقول: (الرب إلها كملنا في حوريب قائلاً: كفاكم قعود في هذا الجبل، 7 تحولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من العربة والجبل والسهل والجنوب وساحل البحر، أرض الكنعاني ولبنان إلى النهر الكبير، نهر الفرات. 8 انظر. قد جعلت أمامكم الأرض. ادخلوا وتملكوا الأرض التي أقسم الرب لأبائكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم)⁽³⁾.

وهذا نص آخر في نفس السياق: (يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم، فترثون شعوباً أكبر وأعظم منكم. 24 كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم. من البرية ولبنان. من النهر، نهر الفرات، إلى البحر الغربي يكون تخمكم. 25 لا يقف إنسان في وجهكم. الرب إلهم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها كما كلمكم)⁽⁴⁾.

ونص آخر (اسمع يا إسرائيل، أنت اليوم عابر الأردن لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك، ومدناً عظيمة ومحصنة إلى السماء)⁽⁵⁾.

وقد زاد على ذلك في صنع نصوص تبعث على الإغراء والتملك لملك ليس بحق، ولأستحقاق حق لمن لا حق له وأدعى كذباً عن الله سبحانه بتقولاً كذوب من أن تلك الأرض تفيض لبناً وعسلاً، فقد سردوا عدداً من النصوص حول هذا العنوان نذكر بعض منها: (ويكون

(1) انظر العهد القديم – سفر العدد.

(2) انظر العهد القديم – سفر العدد.

(3) انظر العهد القديم- سفر التثنية.

(4) انظر العهد القديم - سفر التثنية.

(5) انظر العهد القديم – سفر التثنية.

متى أدخلك الرب أرض الكنعانيين والحثيين والأموريين والحيثيين واليبوسيين التي حلف لأبائك أن يعطيك، أرضاً تفيض لبناً وعسلاً⁽¹⁾، ونص آخر: (وقلت لكم: تترثون أنتم أرضهم، وأنا أعطيك إياها لترثوها، أرضاً تفيض لبناً وعسلاً. أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب)⁽²⁾.

وكل ما في تلك النصوص يتعارض مع سنة الخالق سبحانه الذي لم يخصص أي أرض لأي قوم أو جماعة من الناس، فالأرض تورث للناس اجمعين، ولعباد الله الصالحين، وقد شاءت قدرة الله لبني إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة عقب خروجهم من أرض مصر ألا انهم رفضوا الدخول على التأييد فجازاهم الله سبحانه بالتية ولم يبق من قوم موسى مومنا غير أخيه هارون ورجلان فقط وفق ما جاء بتوراة القرآن الكريم: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: 21، 22، 23، 24، 25، 26).

وهذه آية أخرى من آيات الزبور المضمن بآيات القرآن الكريم عن من يرث الأرض بمعنى يسكنها قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء (105)، وغيرها من آيات القرآن الكريم.

تفضيل العبودية على الحرية لدى بني إسرائيل:

تضمن هذا النص حقيقتهم في عدم تحمل المسؤولية نحو ما أراده موسى لهم وجراتهم في تحميله ما عجزهم: (فَلَمَّا اقْتَرَبَ فِرْعَوْنُ رَفَعَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عُيُونَهُمْ، وَإِذَا الْمِصْرِيُّونَ رَاجِلُونَ وَرَاءَهُمْ. فَفَزِعُوا جِدًّا، وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ. 11 وَقَالُوا لِمُوسَى: «هَلْ لَأَنَّهُ لَيْسَتْ قُبُورٌ فِي مِصْرَ أَحَدُنَا لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا حَتَّى أَخْرَجْتَنَا مِنْ مِصْرَ؟ 12 أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي كَلَّمْنَاكَ بِهِ فِي مِصْرَ قَائِلِينَ: كُفَّ عَنَّا فَتَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ؟ لَأَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدِمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ نَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ»⁽³⁾).

ما جاء في القرآن الكريم حول موقف موسى وفرعون:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ فَارْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ

(1) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

(2) انظر العهد القديم – سفر اللاويين.

(3) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

جَنَاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (الشعراء: الآيات من: 52 إلى: 68).

فجاجة لغة بني إسرائيل في مخاطبة موسى:

تحدثت التوراة عن هذا الموقف: (فَخَاصَمَ الشَّعْبُ مُوسَى وَقَالُوا: «أَعْطُونَا مَاءً لِنَشْرَبَ». فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «لِمَاذَا تُخَاصِمُونَنِي؟ لِمَاذَا تُجَرِّبُونَ الرَّبَّ؟» 3 وَعَطِشَ هُنَاكَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَاءِ، وَتَدَمَّرَ الشَّعْبُ عَلَى مُوسَى وَقَالُوا: «لِمَاذَا أَصْعَدْتَنَا مِنْ مِصْرَ لِنُؤْمِنَ بِتَنَائِدِنَا وَأَوْلَادِنَا وَمَوَاشِينَا بِالْعَطَشِ؟» 4 فَصَرَخَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ قَائِلًا: «مَاذَا أَفْعَلُ بِهِذَا الشَّعْبِ؟ بَعْدَ قَلِيلٍ يَرْجُمُونَنِي»⁽¹⁾).

ما جاء في القرآن الكريم حول هذا الموقف:

ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ مَوْضُوعُ طَلَبِ الْمَاءِ فِي أَكْثَرِ مِنْ آيَةٍ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة: 60). وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: 160).

شريعة أحكام تكريس عبودية الإنسان:

وهذه مجموعة من الأحكام التي وردت في تكريس العبودية، وفق هذا النص التالي: «وَهَذِهِ هِيَ الْأَحْكَامُ الَّتِي تَضَعُ أَمَامَهُمْ: 2 إِذَا اشْتَرَيْتَ عَبْدًا عِبْرَانِيًّا، فَسِتَّ سِنِينَ يَخْدُمُ، وَفِي السَّابِعَةِ يَخْرُجُ حُرًّا مَجَانًّا. 3 إِنْ دَخَلَ وَحْدَهُ فَوَحْدَهُ يَخْرُجُ. إِنْ كَانَ بَعْلُ امْرَأَةٍ، تَخْرُجُ امْرَأَتُهُ مَعَهُ. 4 إِنْ أَعْطَاهُ سَيِّدُهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ بَنِينَ أَوْ بَنَاتٍ، فَالْمَرْأَةُ وَأَوْلَادُهَا يَكُونُونَ لِسَيِّدِهِ، وَهُوَ يَخْرُجُ وَحْدَهُ. 5 وَلَكِنْ إِنْ قَالَ الْعَبْدُ: أُحِبُّ سَيِّدِي وَامْرَأَتِي وَأَوْلَادِي، لَا أَخْرُجُ حُرًّا، 6 يُقَدِّمُهُ سَيِّدُهُ إِلَى اللَّهِ، وَيُقَرِّبُهُ إِلَى الْبَابِ أَوْ إِلَى الْقَائِمَةِ، وَيَتَّقَبُّ سَيِّدُهُ أَدْنَاهُ بِالْمِثْقَالِ، فَيَخْدِمُهُ إِلَى الْأَبَدِ»⁽²⁾.

القرآن يتحدث عن العبودية:

لقد حثَّ القرآن الكريم في كثير من آياته على تحرير العبيد وإلغاء الرق بألفاظ متعددة على سبيل أمر منع الرق والعبودية، سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين، بقول مختصراً، وفق

(1) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

(2) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

قَوْلَهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿فَكَ رَقَبَةً﴾ (البلد: 13)، أو على ضوء المعالجة التدريجية في بعض المجتمعات التي تتطلب ذلك وبعدد من الآيات منها قَوْلَهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: 92). وآية أخرى قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: 89). وآية أخرى قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَمْ نَوْعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: 3).

شريعة القتل عقوبة الزنا في تورااة العبرانيين:

حددت نصوص التورااة عقوبة الزنا بالقتل وبيّنت حالات عدة من الزنا، التي يستحق مرتكبوها هذه العقوبة، وجعلت الإحراق وسيلة من وسائل القتل، وفق ما جاء في هذا النص سفر التثنية (وَلَكِنْ إِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ صَحِيحًا، لَمْ تُوجَدْ عُذْرَةٌ لِلْفَتَاةِ. 21 يُخْرِجُونَ الْفَتَاةَ إِلَى بَابِ بَيْتِ أَبِيهَا، وَيَرْجُمُهَا رِجَالُ مَدِينَتِهَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تَمُوتَ، لِأَنَّهَا عَمِلَتْ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِزَنَاهَا فِي بَيْتِ أَبِيهَا. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ. 22 «إِذَا وَجَدَ رَجُلٌ مُضْطَجِعًا مَعَ امْرَأَةٍ زَوْجَةٍ بَعْلٍ، يُقْتَلُ الْاِثْنَانِ: الرَّجُلُ الْمُضْطَجِعُ مَعَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ إِسْرَائِيلَ. 23 «إِذَا كَانَتْ فَتَاةٌ عَذْرَاءً مَخْطُوبَةً لِرَجُلٍ، فَوَجَدَهَا رَجُلٌ فِي الْمَدِينَةِ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا، 24 فَأَخْرَجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَارْجُمُوهُمَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا. الْفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تَصْرُخْ فِي الْمَدِينَةِ، وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ امْرَأَةً صَاحِبِهِ. فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ» (1).

كما جاء في نص آخر: (وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ، فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةٍ قَرِيبِهِ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ. 11 وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةِ أَبِيهِ، فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَبِيهِ. إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ كِلَاهُمَا. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا. 12 وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ كَنَنَتِهِ، فَإِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ كِلَاهُمَا. قَدْ فَعَلَا فَاحِشَةً. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا. 13 وَإِذَا اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ ذَكَرِ اضْطِجَاعِ امْرَأَةٍ، فَقَدْ فَعَلَا كِلَاهُمَا رَجْسًا. إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا. 14 وَإِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَأُمُّهَا فَذَلِكَ رَذِيلَةٌ. بِالنَّارِ يُحْرَقُونَهُ وَإِيَّاهُمَا، لَكِنِّي لَا يَكُونُ رَذِيلَةً بَيْنَكُمْ. 15 وَإِذَا جَعَلَ رَجُلٌ مَضْجَعَهُ مَعَ بَهِيمَةٍ، فَإِنَّهُ يُقْتَلُ، وَالْبَهِيمَةُ تُمِثُّونَهَا. 16 وَإِذَا اقْتَرَبَتْ امْرَأَةٌ إِلَى بَهِيمَةٍ لِنِزَائِهَا، تُمِثُّ الْمَرْأَةُ وَالْبَهِيمَةُ. إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ. دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا). وهذا نص آخر من سفر التكوين عن عقوبة الحرق للزنا (ولما كان نحو ثلاثة أشهر،

أخبر يهوذا وقيل له: «قد زنت ثمار كنتك، وها هي حبلى أيضاً من الزنا». فقال يهوذا: «أخرجوها فتحرق»⁽¹⁾.

حكم الزنا في القرآن:

تحدث القرآن الكريم عن الزنا وحدد عقوبتها بالجلد منذ الحياة الأولى للناس، وفق ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: 2). وقد نظم القرآن الكريم علاقة المرأة بالرجل كونها علاقة تتميز بالعفة، وعلى جانب كبير من الأخلاق محددات عقوبة من يتجاوز ذلك أي من يتخذ الزنا وظيفة للتكسب المادي أو لنشر الرذيلة في المجتمع بالجلد ومن غير قتل أو رجم بالحجارة أو الإحراق أو غيره من العقوبات البشعة التي دست في فكر المذاهب الإسلامي.

شريعة القتل بسبب المواشي:

«وَإِذَا نَطَحَ ثَوْرٌ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً فَمَاتَ، يُرْجَمُ الثَّوْرُ وَلَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ. وَأَمَّا صَاحِبُ الثَّوْرِ فَيَكُونُ بَرِيئًا. 29 وَلَكِنْ إِنْ كَانَ ثَوْرًا نَطَّاحًا مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ أُشْهِدَ عَلَى صَاحِبِهِ وَلَمْ يَضْبِطْهُ، فَقَتَلَ رَجُلًا أَوْ امْرَأَةً، فَالثَّوْرُ يُرْجَمُ وَصَاحِبُهُ أَيْضًا يُقْتَلُ»⁽²⁾.

شريعة السرقة وبيع السارق بسرقة:

«إِذَا سَرَقَ إِنْسَانٌ ثَوْرًا أَوْ شَاةً فَدَبَّحَهُ أَوْ بَاعَهُ، يُعَوِّضُ عَنِ الثَّوْرِ بِخَمْسَةِ ثِيرَانٍ، وَعَنِ الشَّاةِ بِأَرْبَعَةِ مِنَ الْعَنَمِ. 2 إِنْ وَجِدَ السَّارِقُ وَهُوَ يَنْقُبُ، فَضَرْبٌ وَمَوْتٌ، فَلَيْسَ لَهُ دَمٌّ. 3 وَلَكِنْ إِنْ أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَلَهُ دَمٌّ. إِنَّهُ يُعَوِّضُ. إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ يَبِيعُ بِسَرِقَتِهِ»⁽³⁾.

عقوبة السرقة في القرآن الكريم:

تحدث القرآن عن عقوبة السرقة بأية تمثل قاعدة تشريعية مجردة وعامة قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ المائدة (38) ثم فصل وشرح كيفية تطبيق هذه العقوبة من خلال قصة أخوة يوسف بصورة أكثر تفصيلاً خلصت القصة إلى أخذ أخيه في دين الملك بمعنى الحبس وليس القطع بمعنى بتر اليد قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لظَالِمُونَ﴾ يوسف (79).

ذكر السبب في القرآن الكريم:

جاء ذكر السبب في القرآن الكريم كونه حالة أو حدثاً خاص باليهود قصد به الفترة الزمنية المخصصة للراحة ولا يدخل ضمن تقويم عدد الأيام للناس، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (البقرة: 65)، وَقَالَ اللَّهُ

(1) انظر العهد القديم – سفر اللاويين.

(2) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

(3) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (النحل: 124). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَرَدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ تُلْعَقَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (النساء: 47).

شريعة السبت وقتل من يتعاده:

تحدثت تورااة العبرانيين عن السبت كيوم وقد دس في تقويم تعداد الدورة اليومية الحالية. ووفق كثير من النصوص منها: (وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: 13 «وَأَنْتَ تُكَلِّمُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: سُبُوتِي تَحْفَظُونَهَا، لِأَنَّهُ عَلَامَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فِي أَجْيَالِكُمْ لِتَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي يُقَدِّسُكُمْ، 14 فَتَحْفَظُونَ السَّبْتَ لِأَنَّهُ مُقَدَّسٌ لَكُمْ. مَنْ دَنَسَهُ يُقْتَلُ قِتْلًا (1). ونص اخر: (32) وَلَمَّا كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَجَدُوا رَجُلًا يَخْتَطِبُ حَطْبًا فِي يَوْمِ السَّبْتِ. 33 فَقَدَّمَهُ الَّذِينَ وَجَدُوهُ يَخْتَطِبُ حَطْبًا إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَكُلِّ الْجَمَاعَةِ. 34 فَوَضَعُوهُ فِي الْمَحْرَسِ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْلَنَ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ. 35 فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قِتْلًا يُقْتَلُ الرَّجُلُ. يَرْجُمُهُ بِحِجَارَةٍ كُلُّ الْجَمَاعَةِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ». 36 فَأَخْرَجَهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ وَرَجَمُوهُ بِحِجَارَةٍ، فَمَاتَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى (2).

بينما تحدث القرآن عن السبت كحالة ولم يذكره كيوم وفق ما بيناه في مواضيع مستقلة قادمة.

ما جاء في خطاب القرآن الكريم:

وفي هذا جاء خطاب القرآن واضحاً مفنداً إدعاء اليهود في كثير من الأحداث والمواقف كما في قوله جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (المائدة: 18)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 111).

وعليه فقد خاطب القرآن الكريم الناس على قاعدة واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: 13). وعن الأرض والملك والنبوة فقد أعطى الله قوم موسى ما لم يعط غيرهم في ذلك الزمان والمكان، فقابلوا ذلك بالجحود والنكران، ولم يبق منهم مؤمنين غير موسى وأخوه هارون فقط كما يبين ذلك القرآن الكريم، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ، قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ، قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ

(1) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

(2) انظر العهد القديم – سفر العدد.

فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَاتَّكُمُ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، (المائدة: 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26).

شريعة النسب الديني المقدس (الشعب المقدس):

يمثل إدعاء النسب المقدس في نسب الكهانة لهارون النبي وأبنائه من بعده، وفق ما جاء في هذا النص وغيره: (وَقَرَّبَ إِلَيْكَ هَارُونَ أَخَاكَ وَبَنِيهِ مَعَهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِيَكْهَنَ لِي. هَارُونَ نَادَابَ وَأَبِيهُوَ أَلْعَازَارَ وَإِيثَامَارَ بَنِي هَارُونَ. 2 وَاصْنَعْ ثِيَاباً مُقَدَّسَةً لِهَارُونَ أَخِيكَ لِلْمَجْدِ وَالْبَهَاءِ. 3 وَتُكَلِّمُ جَمِيعَ حُكَمَاءِ الْقُلُوبِ الَّذِينَ مَلَأْتُهُمْ رُوحَ حِكْمَةٍ، أَنْ يَصْنَعُوا ثِيَابَ هَارُونَ لِتَقْدِيسِهِ لِيَكْهَنَ لِي. 4 وَهَذِهِ هِيَ الثِّيَابُ الَّتِي يَصْنَعُونَهَا: صُدْرَةٌ وَرِدَاءٌ وَجُبَّةٌ وَقَمِيصٌ مُحَرَّمًا وَعِمَامَةٌ وَمِنْطَقَةٌ. فَيَصْنَعُونَ ثِيَاباً مُقَدَّسَةً لِهَارُونَ أَخِيكَ وَلِبَنِيهِ لِيَكْهَنَ لِي. 5 وَهُمْ يَأْخُذُونَ الذَّهَبَ وَالْأَسْمَانْجُونِيَّ وَالْأَرْجُونَ وَالْقَرْمِزَ وَالْبُوصَ) (1).

ومن هذا الادعاء بالنسب المقدس لدى اليهود فقد دس هذا الادعاء في الديانة الهندوسية، وكذلك نقل بشكل أو بآخر لديانة المسيحيين بالقول عن عيسى ابن الله، كما جاء دسّه في فكر المذاهب الإسلامي، خاصة في المذهب الشيعي وفروعه الذي يتخذ من إدعاء الانتساب لنسل علي ابن أبي طالب من زوجة فاطمة بنت محمد النبي نسباً دينياً مقدساً لدى إتباعهم، وهذا الادعاء محض كذب وافتراء.

وعن إدعائهم بأنهم شعب الله المقدس فهناك عدد من النصوص حول تمجيد وقدسية الشعب اليهودي على غيرهم من شعوب الأرض بل أنهم يدعون أنهم أولاد الله وغيرها من التقلولات الكاذبة المتناقضة سبق ذكرها، فتارة يوصف الشعب بالقداسة وتارة يوصفون بالشر وفق ما يأتي بنصوص متناقضة حول قدسية الشعب نورد عدداً من تلك النصوص من التوراة منها على سبيل المثال الآتي:

- أنتم أولاد للرب إلهكم. لا تخمشوا أجسامكم، ولا تجعلوا قرعة بين أعينكم لأجل ميت.
- 2 لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض (2).
- وقال الرب لموسى: «رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة» (3).
- فقال هارون: «لا يحم غضب سيدي. أنت تعرف الشعب أنه في شر» (4).
- فرجع موسى إلى الرب، وقال: «آه، قد أخطأ هذا الشعب خطيئة عظيمة وصنعوا لأنفسهم آلهة من ذهب» (5).

(1) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

(2) انظر العهد القديم – سفر التثنية.

(3) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

(4) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

(5) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

- فقال الله لبلعام: «لا تذهب معهم ولا تلعن الشعب، لأنه مبارك» (1).
- وقال الرب لموسى: «حتى متى يهينني هذا الشعب؟ وحتى متى لا يصدقونني بجميع الآيات التي عملت في وسطهم؟ 12 إني أضربهم بالوباء وأبيدهم، وأصيرك شعباً أكبر وأعظم منهم» (2).
- وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين: «لماذا أصددتمانا من مصر لنموت في البرية؟ لأنه لا خبز ولا ماء، وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف». 6 فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة، فلدغت الشعب، فمات قوم كثيرون من إسرائيل» (3).
- أنتم أولاد للرب إلهكم. لا تخمشوا أجسامكم، ولا تجعلوا قرعة بين أعينكم لأجل ميت. 2 لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض» (4).
- وأقام إسرائيل في شطيم، وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب. 2 فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهم، فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهم. 3 وتعلق إسرائيل ببعل فغور. فحمي غضب الرب على إسرائيل» (5).
- اطلع من مسكن قدسك، من السماء، وبارك شعبك إسرائيل والأرض التي أعطيتنا، كما حلفت لأبائنا، أرضاً تفيض لبناً وعسلاً» (6).
- وواعدك الرب اليوم أن تكون له شعباً خاصاً، كما قال لك، وتحفظ جميع وصاياه، 19 وأن يجعلك مستعليّاً على جميع القبائل التي عملها في الثناء والاسم والبهاء، وأن تكون شعباً مقدساً للرب إلهك، كما قال» (7).
- طوباك يا إسرائيل! من مثلك يا شعباً منصوراً بالرب؟ ترس عونك وسيف عظمتك فيتذل لك أعداؤك، وأنت تطأ مرتفعاتهم» (8).
- وكلمني الرب قائلاً: رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة. 14 اتركني فأبيدهم وأمحو اسمهم من تحت السماء» (9).
- صليت للرب وقلت: يا سيد الرب، لا تهلك شعبك وميراثك الذي فديته بعظمتك، الذي أخرجته من مصر بيد شديدة. 27 اذكر عبيدك إبراهيم وإسحاق ويعقوب. لا تلتفت إلى غلاظة هذا الشعب وإثمه وخطيته» (10).
- وغيرها من نصوص التوراة المتناقضة إذ لا يستقيم أن يكون الشعب مقدساً ويعمل كل الآثام ويوصف بالتصّلب والشر والخبث وغيرها من أوصاف الرذيلة.
- موقف القران من النسب الديني المقدس:**

- (1) انظر العهد القديم – سفر العدد.
- (2) انظر العهد القديم – سفر العدد.
- (3) انظر العهد القديم – سفر العدد.
- (4) انظر العهد القديم – سفر العدد.
- (5) انظر العهد القديم – سفر العدد.
- (6) انظر العهد القديم – سفر التثنية.
- (7) انظر العهد القديم – سفر التثنية.
- (8) انظر العهد القديم – سفر التثنية.
- (9) انظر العهد القديم – سفر التثنية.
- (10) انظر العهد القديم – سفر التثنية.

جاءت دعوة الأنبياء والرسول لتخليص الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ويتعزز ذلك من خلال كثير من آيات القرآن وأن الله سبحانه له الحكمة الخالصة في اختيار الرسول والنبي وفق المشيئة والسببية قال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ الأنعام (124)، كما يظهر من خلال كثير من الآيات منها قال الله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾، الزخرف (31).

وهناك كثير من آيات القرآن تؤكد على قاعدة المساواة في الخلق بين الدواب التي تدب على الأرض ومنهم دابة البشر الذي وصفوا بأنهم يمشون على رجلين، نذكر بعضاً منها، قال الله جلّ في علاه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النور: (45)، وقاعدة فرعية أخرى من النسب العائلي لدابة البشر قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ الفرقان (54)، وقاعدة أخرى من المساواة في العمل والتمييز به من خلال التقوى قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13)، وغيرها.

لوظيفة الدينية المقدسة (الكهانة – الأحرار والحاخامات):

جاء في التوراة عن الكهانة، أنهم جعلوا منها حقاً دينياً ونسباً مقدساً وفق ما جاء في عدد من الأسفار وبنصوص كثيرة، ارتبطت بهارون ونسله من بعده كما في النص التالي: والوثياب المقدسة لهارون الكاهن، ووثياب بني الكهانة». (سفر الخروج) (1).

ونص آخر: (والكاهن الأعظم بين إخوته الذي صب على رأسه دهن المسحة، وملئت يده ليلبس الوثياب، لا يكشف رأسه، ولا يشق ثيابه، 11 ولا يأتي إلى نفس ميتة، ولا يتنجس لأبيه أو أمه، 12 ولا يخرج من المقدس لئلا يندس مقدس إلهه، لأن إكليل دهن مسحة إلهه عليه. أنا الرب. 13 هذا يأخذ امرأة عذراء. 14 أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية فمن هؤلاء لا يأخذ، بل يتخذ عذراء من قومه امرأة. 15 ولا يندس زرعه بين شعبه لأنني أنا الرب مقدسه» وكلم الرب موسى قائلاً: 17 «كلم هارون قائلاً: إذا كان رجل من نسلك في أجيالهم فيه عيب فلا يتقدم ليقرب خبز إلهه. 18 لأن كل رجل فيه عيب لا يتقدم. لا رجل أعمى ولا أعرج، ولا أفتس ولا زواني، 19 ولا رجل فيه كسر رجل أو كسر يد، 20 ولا أحذب ولا أكشم، ولا من في عينه بياض، ولا أجرب ولا أكلف، ولا مرضوض الخصي. 21 كل رجل فيه عيب من نسل هارون الكاهن لا يتقدم ليقرب وقائد الرب. فيه عيب لا يتقدم ليقرب خبز إلهه. 22 خبز إلهه من قدس الأقداس... إلخ) (2).

(1) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

(2) انظر العهد القديم – سفر اللاويين.

ويحدثنا القرآن الكريم عن الكهانة (الرهبان، والأحبار) والقساوسة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قِسِيّينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: 82). وقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: 31) وقال جلّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: 34). وفي هذا الأمر قال الله جلّ في علاه: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَافَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: 27).

شريعة التقدّمات والوقف والعشور من أموال الناس:

في هذه الأمور أعلاه حددوا فريضة دائمة من أموال الناس حقاً مقدساً وفقاً للنصوص التالية: (29) - وافرز لي هارون أخاك وأولاده: ناداب وابيهو والعازار وايثامار، من بين بني إسرائيل ليكونوا لي كهنة⁽¹⁾.

ونص آخر يقول: وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ: «وَهَآنَذَا قَدْ أَعْطَيْتُكَ حِرَاسَةً رَفَائِعِي، مَعَ جَمِيعِ أَقْدَاسِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَكَ أَعْطَيْتُهَا، حَقَّ الْمَسْحَةِ وَلِبْنِيكَ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً. 9 هَذَا يَكُونُ لَكَ مِنْ قُدُسِ الْأَقْدَاسِ مِنَ النَّارِ، كُلُّ قَرَابِينِهِمْ مَعَ كُلِّ تَقْدِمَاتِهِمْ وَكُلِّ ذَبَائِحِ خَطَايَاهُمْ وَكُلِّ ذَبَائِحِ آثَامِهِمُ الَّتِي يَرْتُدُّونَهَا لِي. قُدُسٌ أَقْدَاسٌ هِيَ لَكَ وَلِبْنِيكَ. 10 فِي قُدُسِ الْأَقْدَاسِ تَأْكُلُهَا. كُلُّ ذَكَرٍ يَأْكُلُهَا. قُدْسًا تَكُونُ لَكَ. 11 وَهَذِهِ لَكَ: الرَّفِيعَةُ مِنْ عَطَايَاهُمْ مَعَ كُلِّ تَرْيِدَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. لَكَ أَعْطَيْتُهَا وَلِبْنِيكَ وَبَنَاتِكَ مَعَكَ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً. كُلُّ طَاهِرٍ فِي بَيْتِكَ يَأْكُلُ مِنْهَا. 12 كُلُّ دَسَمِ الزَّيْتِ وَكُلُّ دَسَمِ الْمُسْطَارِ وَالْحِنْطَةِ، أَبْكَارُهُنَّ الَّتِي يُعْطُونَهَا لِلرَّبِّ، لَكَ أَعْطَيْتُهَا. 13 أَبْكَارُ كُلِّ مَا فِي أَرْضِهِمُ الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا لِلرَّبِّ لَكَ تَكُونُ. كُلُّ طَاهِرٍ فِي بَيْتِكَ يَأْكُلُهَا. 14 كُلُّ مُحَرَّمٍ فِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ لَكَ. 15 كُلُّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ يُقَدِّمُونَهُ لِلرَّبِّ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ، يَكُونُ لَكَ. غَيْرَ أَنَّكَ تَقْبَلُ فِدَاءً بِكَرِّ الْإِنْسَانِ. وَبِكَرِّ الْبَهِيمَةِ النَّحْسَةِ تَقْبَلُ فِدَاءً. 16 وَفِدَاؤُهُ مِنْ ابْنِ شَهْرِ تَقْبَلُهُ حَسَبَ تَقْوِيمِكَ فِضَّةً، خَمْسَةَ شَوَاقِلَ عَلَى شَاوِلِ الْقُدُسِ. هُوَ عَشْرُونَ جِيرَةً. 17 لَكِنْ بِكَرِّ الْبَقَرِ أَوْ بِكَرِّ الضَّأْنِ أَوْ بِكَرِّ الْمَعْزِ لَا تَقْبَلُ فِدَاءً. إِنَّهُ قُدْسٌ. بَلْ تَرَشُّ دَمَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَتُوقِدُ شَحْمَهُ وَقُوداً رَاحَةً سُرُورٍ لِلرَّبِّ. 18 وَلَحْمُهُ يَكُونُ لَكَ، كَصَدْرِ التَّرْيِيدِ وَالسَّاقِ الْيُمْنَى يَكُونُ لَكَ. 19 جَمِيعُ رَفَائِعِ الْأَقْدَاسِ الَّتِي يَرْفَعُهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لِلرَّبِّ أَعْطَيْتُهَا لَكَ وَلِبْنِيكَ وَبَنَاتِكَ مَعَكَ حَقّاً دَهْرِيّاً. مِيثَاقٌ مِلْحٌ، دَهْرِيّاً أَمَامَ الرَّبِّ لَكَ وَلِزُرْعِكَ مَعَكَ»⁽²⁾.

شريعة صنع صنم العجل "إله" يعبد:

(1) انظر العهد القديم - سفر الخروج.

(2) انظر العهد القديم - سفر العدد.

وهنا يظهر التناقض الفاضح في كون هارون نبي الله ورسول الله، ودست الكهانة إليه لتكون وظيفة دينية أبدية، كما تزعم تورااة العبرانيين، وتدعي في الوقت نفسه أن هارون صنع العجل ليعبد كصنم وثني خلافاً لمقتضى التكليف الذي كُلف به مع أخيه موسى رسول الله عليهم السلام، (وهو ما يعد تناقضاً سافراً) قصدوا به التشكيك والاستهانة بدور الأنبياء والرسل ومنهم هارون، كما هو واضح في هذا النص: وَقَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: «مَاذَا صَنَعَ بِكَ هَذَا الشَّعْبُ حَتَّى جَاءَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ عَظِيمَةٌ؟» 22 فَقَالَ هَارُونُ: «لَا يَحْمَ غَضَبُ سَيِّدِي. أَنْتَ تَعْرِفُ الشَّعْبَ أَنَّهُ فِي شَرٍّ. 23 فَقَالُوا لِي: اصْنَعْ لَنَا إِلَهَةً تَسِيرُ أَمَامَنَا، لِأَنَّ هَذَا مُوسَى الرَّجُلَ الَّذِي أَصْعَدَنَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ. 24 فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ لَهُ ذَهَبٌ فَلْيُنْزِعْهُ وَيُعْطِنِي. فَطَرَحْنَاهُ فِي النَّارِ فَخَرَجَ هَذَا الْعِجْلُ عِنْدُنَا، قَالُوا: هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ»، وعندما شاهد هارون ذلك شيد مذبحاً أمام العجل وأعلن: غدا هو عيد للرب"، فبكر الشعب في اليوم الثاني وأصعدوا محرقات وقدموا قربابين سلام، ثم احتفلوا فأكلوا وشربوا ومن ثم أقاموا للهِو والمجون (سفر الخروج). وجاء في نص آخر: (فَضْرَبَ الرَّبُّ الشَّعْبَ، لِأَنَّهُمْ صَنَعُوا الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعَهُ هَارُونُ) (1).

القرآن يتحدث عن صنع العجل:

جاء القرآن الكريم ليفضح افتراء صنع العجل الذي نسبوه للنبي هارون عليه الصلاة والسلام، وهو منه براء، وأوضح أن صنع العجل كان من فعل السامري، وهناك طائفة من اليهود منبوذة، يطلق عليها الطائفة السامرية نسبة للسامري، والسامري رجل من بني إسرائيل سولت له نفسه القيام بذلك العمل، وقد ذكرت هذه القصة في القرآن الكريم في الآيات التالية من سورة طه: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلَكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ) (طه: 83، 84، 85، 86، 87، 88). وفي السورة نفسها ذكر القرآن الكريم الحوار الذي دار بين رسول الله موسى والسامري الذي بين دوافعه في صناعة العجل، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا إِنَّمَا إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً) (سورة طه: 95، 96، 97، 98).

وفي آيات آخر متصلة، جاء في سورة الأعراف، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ

(1) انظر العهد القديم – سفر الخروج.

وَكَانُوا ظَالِمِينَ، وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (الأعراف: 148، 149).

التقوّل على الله بحرق ابني هارون:

(وَأَخَذَ ابْنَا هَارُونَ: نَادَابُ وَأَبِيهُو، كُلُّ مِنْهُمَا مِجْمَرَتَهُ وَجَعَلَا فِيهِمَا نَاراً وَوَضَعَا عَلَيْهَا بَحُوراً، وَقَرَّبَا أَمَامَ الرَّبِّ نَاراً غَرِيبَةً لَمْ يَأْمُرْهُمَا بِهَا. 2 فَحَرَجَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ وَآكَلَتْهُمَا، فَمَاتَا أَمَامَ الرَّبِّ)(1).

شريعة أكل لحوم الحيوانات:

(وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا لَهُمَا: 2 «كَلِّمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ: هَذِهِ هِيَ الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي تَأْكُلُونَهَا مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ الَّتِي عَلَى الْأَرْضِ: 3 كُلُّ مَا شَقَّ ظِلْفاً وَقَسَمَهُ ظِلْفَيْنِ، وَيَجْتَرُّ مِنَ الْبَهَائِمِ، فَإِيَّاهُ تَأْكُلُونَ. 4 إِلَّا هَذِهِ فَلَا تَأْكُلُوهَا مِمَّا يَجْتَرُّ وَمِمَّا يَشُقُّ الظِّلْفَ: الْجَمَلُ، لِأَنَّهُ يَجْتَرُّ لِكَنَّهُ لَا يَشُقُّ ظِلْفاً، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. 5 وَالْوَبَرُ، لِأَنَّهُ يَجْتَرُّ لِكَنَّهُ لَا يَشُقُّ ظِلْفاً، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. 6 وَالْأَرْزَبُ، لِأَنَّهُ يَجْتَرُّ لِكَنَّهُ لَا يَشُقُّ ظِلْفاً، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. 7 وَالْخَنْزِيرُ، لِأَنَّهُ يَشُقُّ ظِلْفاً وَيَقْسِمُهُ ظِلْفَيْنِ، لِكَنَّهُ لَا يَجْتَرُّ، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. 8 مِنْ لَحْمِهَا لَا تَأْكُلُوا وَجُثَّتْهَا لَا تَلْمِسُوا. إِنَّهَا نَجِسةٌ لَكُمْ) «وَهَذَا تَأْكُلُونَهُ مِنْ جَمِيعِ مَا فِي الْمِيَاهِ: كُلُّ مَا لَهُ زَعَانِفٌ وَحَرَشَفٌ فِي الْمِيَاهِ، فِي الْبَحَارِ وَفِي الْأَنْهَارِ، فَإِيَّاهُ تَأْكُلُونَ. 10 لَكِنْ كُلُّ مَا لَيْسَ لَهُ زَعَانِفٌ وَحَرَشَفٌ فِي الْبَحَارِ وَفِي الْأَنْهَارِ، مِنْ كُلِّ دَيْبٍ فِي الْمِيَاهِ وَمِنْ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي الْمِيَاهِ، فَهُوَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ، 11 وَمَكْرُوهٌ يَكُونُ لَكُمْ. مِنْ لَحْمِهِ لَا تَأْكُلُوا، وَجُثَّتُهُ تَكْرَهُونَ. 12 كُلُّ مَا لَيْسَ لَهُ زَعَانِفٌ وَحَرَشَفٌ فِي الْمِيَاهِ فَهُوَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ. 13 «وَهَذِهِ تَكْرَهُونَهَا مِنَ الطُّيُورِ. لَا تُؤْكَلْ. إِنَّهَا مَكْرُوهَةٌ: الْأَنْسَرُ وَالْأَنْوَقُ وَالْعُقَابُ 14 وَالْحِدَاةُ وَالْبَاشِقُ عَلَى أَجْنَاسِهِ... الخ)(2).

وقد فصل القرآن الكريم ما حرم من الأكل ببيان تفصيلي دقيق جداً، لا يقبل معه الزيادة والنقصان وقد ذكرناه بباب مستقل عن الحلال والحرام في الجزء الثاني من هذا المؤلف.

شريعة نجاسة المرأة:

جاء بالتوراة حول نجاسة المرأة بالآتي: (وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: 2 «كَلِّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: إِذَا حَبَلَتْ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَراً، تَكُونُ نَجِسةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ. كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْثِ عِلَّتِهَا تَكُونُ نَجِسةً. 3 وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْتَنُ لَحْمُ غُرْلَتِهِ. 4 ثُمَّ تُقِيمُ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ يَوْماً فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا. كُلُّ شَيْءٍ مُقَدَّسٍ لَا تَمَسُّ، وَإِلَى الْمَقْدِسِ لَا تَجِي حَتَّى تَكْمُلَ أَيَّامَ تَطْهِيرِهَا. 5 وَإِنْ وَلَدَتْ أُنْثَى، تَكُونُ نَجِسةً أُسْبُو عَيْنٍ)(3).

(1) انظر العهد القديم – سفر اللاويين.

(2) انظر العهد القديم – سفر اللاويين.

(3) انظر العهد القديم – سفر اللاويين.

وفي نص آخر (وَإِذَا كَانَتْ امْرَأَةٌ لَهَا سَيْلٌ، وَكَانَ سَيْلُهَا دَمًا فِي لَحْمِهَا، فَسَبْعَةَ أَيَّامٍ تَكُونُ فِي طَمَثِهَا. وَكُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَكُونُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ. 20 وَكُلُّ مَا تَضَطَّجَ عَلَيْهِ فِي طَمَثِهَا يَكُونُ نَجَسًا، وَكُلُّ مَا تَجْلِسُ عَلَيْهِ يَكُونُ نَجَسًا. 21 وَكُلُّ مَنْ مَسَّ فِرَاشَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ. 22 وَكُلُّ مَنْ مَسَّ مَتَاعًا تَجْلِسُ عَلَيْهِ، يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ. 23 وَإِنْ كَانَ عَلَى الْفِرَاشِ أَوْ عَلَى الْمَتَاعِ الَّذِي هِيَ جَالِسَةٌ عَلَيْهِ عِنْدَمَا يَمْسُهُ، يَكُونُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ.) (1).

تحدث القرآن عن لفظ النجاسة:

لم يرد لفظ النجاسة في القرآن الكريم سوى مرة واحدة، وهو لفظ وُصِفَ به المشركين عابدي الأصنام من دون الله سبحانه، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 28). أما عن تطهر المرأة فقد أفردنا لها عنواناً كاملاً في فقه المرأة في الجزء الثاني من هذا المؤلف، أوضحنا فيه أن الحيض عملية طبيعية بيولوجية لا دخل للنجاسة فيها.

شريعة تطهير المحاربين وقتل النساء الأسيرات:

جاء في التوراة نصوص حول هذا العنوان: «فَخَرَجَ مُوسَى وَالْعَازَارُ الْكَاهِنُ وَكُلُّ رُؤَسَاءِ الْجَمَاعَةِ لاسْتِقْبَالِهِمْ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ. 14 فَسَخَطَ مُوسَى عَلَى وَكَلَاءِ الْجَيْشِ، رُؤَسَاءِ الْأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ الْمِائَاتِ الْقَادِمِينَ مِنْ جُنْدِ الْحَرْبِ. 15 وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أَنْثَى حَيَّةً؟ 16 إِنْ هُوَ لَا عَنْ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ، حَسَبَ كَلَامِ بَلْعَامَ، سَبَبَ خِيَانَةِ لِلرَّبِّ فِي أَمْرِ فُغُورَ، فَكَانَ الْوَبَاءُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. 17 فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الْأَطْفَالِ. وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَرَفَتْ رَجُلًا بِمُضَاجَعَةٍ ذَكَرٍ اقْتُلُوهَا. 18 لَكِنْ جَمِيعُ الْأَطْفَالِ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي لَمْ يَعْرِفْنَ مُضَاجَعَةَ ذَكَرٍ أَبْقُوهُنَّ لَكُمْ حَيَّاتٍ. 19 وَأَمَّا أَنْتُمْ فَانْزِلُوا خَارِجَ الْمَحَلَّةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَتَطَهَّرُوا كُلُّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا، وَكُلُّ مَنْ مَسَّ قَتِيلًا، فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ وَفِي السَّابِعِ، أَنْتُمْ وَسَبْيُكُمْ. 20 وَكُلُّ ثَوْبٍ، وَكُلُّ مَتَاعٍ مِنْ جِلْدٍ، وَكُلُّ مَصْنُوعٍ مِنْ شَعْرِ مَعْزٍ، وَكُلُّ مَتَاعٍ مِنْ خَشَبٍ، تُطَهِّرُونَهُ. 21 وَقَالَ الْعَازَارُ الْكَاهِنُ لِرِجَالِ الْجُنْدِ الَّذِينَ ذَهَبُوا لِلْحَرْبِ: هَذِهِ فَرِيضَةُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ مُوسَى: 22 الْذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنَّحَاسُ وَالْحَدِيدُ وَالْقَصْدِيرُ وَالرِّصَاصُ، 23 كُلُّ مَا يَدْخُلُ النَّارَ، تُحِيزُونَهُ فِي النَّارِ فَيَكُونُ طَاهِرًا، غَيْرَ أَنَّهُ يَتَطَهَّرُ بِمَاءِ النَّجَاسَةِ. وَأَمَّا كُلُّ مَا لَا يَدْخُلُ النَّارَ فَتُحِيزُونَهُ فِي الْمَاءِ. 24 وَتَغْسِلُونَ ثِيَابَكُمْ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ فَتَكُونُونَ طَاهِرِينَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَدْخُلُونَ الْمَحَلَّةَ» (2).

(1) انظر العهد القديم – سفر اللاويين.

(2) انظر العهد القديم – سفر العدد

لقد تحدث القرآن الكريم عن الجهاد: الجهاد بمعنى المقاومة للمعتدين والغزاة، ومنع الاعتداء والاقتيال، وفق ما جاء في سورة التوبة، وغيرها من سور القرآن الكريم، وقد أوضحنا هذا بمبحث مستقل ضمن الجزء الثاني من هذا المؤلف.

شرائع التطرف في الحروب:

جاء في التوراة نصوص كثيرة حول الحرب والقتال والتشجيع بالخصوم ومنها على سبيل المثال الآتي: (حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، 11 فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَقَفَّحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. 12 وَإِنْ لَمْ تُسَالِمَكَ، بَلْ عَمِلْتَ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. 13 وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحِذِّ السَّيْفِ. 14 وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. 15 هَكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنٍ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ هُنَا. 16 وَأَمَّا مُدُنُ هَؤُلَاءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ نَصيبًا فَلَا تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَاءً، 17 بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحَيَّيْنِ وَالْأُمُورَيْنِ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيَّيْنَ وَالْجَوِيَّيْنَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ)(1).

شريعة سبي النساء في تورااة العبرانيين.

وحول هذا العنوان جاء بالنص الآتي على سبيل المثال: (ذَا خَرَجْتَ لِمُحَارَبَةٍ أَعْدَائِكَ وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى يَدِكَ، وَسَبَيْتَ مِنْهُمْ سَبِيًّا، 11 وَرَأَيْتَ فِي السَّبْيِ امْرَأَةً جَمِيلَةً الصُّورَةِ، وَالتَّصَفَّتْ بِهَا وَاتَّخَذَتْهَا لَكَ زَوْجَةً، 12 فَحِينَ تُدْخِلُهَا إِلَى بَيْتِكَ تَخْلُقُ رَأْسَهَا وَتَقْلَمُ أَظْفَارَهَا 13 وَتَنْزِعُ ثِيَابَ سَبْيِهَا عَنْهَا، وَتَقْعُدُ فِي بَيْتِكَ وَتَبْكِي أَبَاهَا وَأُمُّهَا شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَنْزَوِجُ بِهَا، فَتَكُونُ لَكَ زَوْجَةً. 14 وَإِنْ لَمْ تُسَرَّ بِهَا فَأَطْلُقْهَا لِنَفْسِهَا. لَا تَبِيعُهَا بَيْعًا بِفَضَّةٍ، وَلَا تَسْرِقُهَا مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ قَدْ أَذَلَلْتَهَا)(2).

شريعة الاغتالات بالتوراة - (اغتيال اهود للملك غدرًا):

جاء في الاسفار الاخرى عن اغتيال عجلون ملك مواب: (فَدَخَلَ إِلَيْهِ إِهْودُ وَهُوَ جَالِسٌ فِي عُلْيَةِ بُرُودٍ كَانَتْ لَهُ وَحْدَهُ. وَقَالَ إِهْودُ: «عِنْدِي كَلَامٌ لِلَّهِ إِلَيْكَ». فَقَامَ عَنِ الْكُرْسِيِّ. 21 فَمَدَّ إِهْودُ يَدَهُ الْيُسْرَى وَأَخَذَ السَّيْفَ عَنْ فَخْذِهِ الْيُمْنَى وَضَرَبَهُ فِي بَطْنِهِ. 22 فَدَخَلَ الْقَائِمُ أَيْضًا وَرَاءَ النَّصْلِ، وَطَبَقَ الشَّحْمَ وَرَاءَ النَّصْلِ لِأَنَّهُ لَمْ يَجْذِبِ السَّيْفَ مِنْ بَطْنِهِ. وَخَرَجَ مِنَ الْحِتَارِ. 23 فَخَرَجَ إِهْودُ مِنَ الرِّوَاقِ وَأَغْلَقَ أَبْوَابَ الْعُلْيَةِ وَرَاءَهُ وَأَقْفَلَهَا. 24)(3).

شريعة الجزية بالتوراة:

(1) انظر العهد القديم – سفر التثنية

(2) انظر العهد القديم – سفر التثنية.

(3) انظر لعهد القديم – سفر القضاء.

جاء ذكر الجزية وفرضها على الغير وعلى بعضهم البعض في أسفار كثيرة وفي أغلب حياة اليهود منها: (فلم يطردها الكنعانيين الساكنين في جازر. فسكن الكنعانيون في وسط أفرام إلى هذا اليوم، وكانوا عبيداً تحت الجزية) (1)، ونص آخر (وكان لما تشدد إسرائيل أنه وضع الكنعانيين تحت الجزية ولم يطردهم طرداً) (2)، ونص آخر (ونادوا في يهوذا وأورشليم بأن يأتوا إلى الرب بجزية موسى عبد الرب المفروضة على إسرائيل في البرية) (3)، ونص آخر وفي سفر استير (ووضع الملك أحشويروش جزية على الأرض وجزائر البحر) (4)، ونص آخر وسفر أشعيا (ويسقط آشور بسيف غير رجل، وسيف غير إنسان يأكله، فيهرب من أمام السيف، ويكون مختاروه تحت الجزية) (5)، وغيرها.

خرافة توقف الشمس والقمر في معركة يشوع:

جاء في هذا العنوان: (... فَوَقَفَتِ الشَّمْسُ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ، وَلَمْ تَعْجَلْ لِلْغُرُوبِ نَحْوَ يَوْمٍ كَامِلٍ. 14 وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ ذَلِكَ الْيَوْمَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ سَمِعَ فِيهِ الرَّبُّ صَوْتَ إِنْسَانٍ، لِأَنَّ الرَّبَّ حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ) (6).

الأساطير والخرافة- قصة شمشون أنموذج:

جاء في هذا العنوان: (.. 14 وَلَمَّا جَاءَ إِلَى لَحْيٍ، صَاحَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ لِلِقَائِهِ. فَحَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، فَكَانَ الْحَبْلَانِ اللَّذَانِ عَلَى ذِرَاعَيْهِ كَكُتَّانٍ أُحْرِقَ بِالنَّارِ، فَأَنْحَلَّ الْوِثَاقُ عَنْ يَدَيْهِ. 15 وَوَجَدَ لَحْيَ جِمَارٍ طَرِيًّا، فَمَدَّ يَدَهُ وَأَخَذَهُ وَضَرَبَ بِهِ أَلْفَ رَجُلٍ. 16 فَقَالَ شَمْشُونُ: «بِلَحْيِ جِمَارٍ كَوْمَةً كَوْمَتَيْنِ. بِلَحْيِ جِمَارٍ قَتَلْتُ أَلْفَ رَجُلٍ». 17 وَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْكَلَامِ رَمَى اللَّحْيِ مِنْ يَدِهِ، وَسَمِيَ ذَلِكَ الْمَكَانَ «رَمَتَ لَحْيٍ») (7).

التقول كذباً على نبي الله داود عليه السلام بالزنا:

جاء الحديث عن داود بنصوص منها: (وَكَانَ عِنْدَ تَمَامِ السَّنَةِ، فِي وَقْتِ خُرُوجِ الْمُلُوكِ، أَنَّ دَاوُدَ أَرْسَلَ يُوَابَ وَعَبِيدَهُ مَعَهُ وَجَمِيعَ إِسْرَائِيلَ، فَأَخْرَبُوا بَنِي عَمُّونَ وَحَاصَرُوا رَبَّةَ. وَأَمَّا دَاوُدُ فَأَقَامَ فِي أُورُشَلِيمَ. 2 وَكَانَ فِي وَقْتِ الْمَسَاءِ أَنَّ دَاوُدَ قَامَ عَنْ سَرِيرِهِ وَتَمَشَّى عَلَى سَطْحِ بَيْتِ الْمَلِكِ، فَرَأَى مِنْ عَلَى السَّطْحِ امْرَأَةً تَسْتَحِمُّ. وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ جَمِيلَةً الْمَنْظَرِ جِدًّا. 3 فَأَرْسَلَ دَاوُدُ وَسْأَلَ عَنِ الْمَرْأَةِ، فَقَالَ وَاحِدٌ: «أَلَيْسَتْ هَذِهِ بَشَبَعُ بِنْتُ أَلِيْعَامَ امْرَأَةِ أُورِيَا الْحِثِّيِّ؟». 4

(1) انظر العهد القديم - سفر يشوع.

(2) انظر العهد القديم - سفر القضاة.

(3) انظر العهد القديم - سفر اخبار الأيام الثاني.

(4) انظر العهد القديم - سفر استير.

(5) انظر العهد القديم - سفر أشعيا.

(6) انظر العهد القديم - سفر يشوع.

(7) انظر العهد القديم - كتاب القضاة

فَأَرْسَلَ دَاوُدُ رُسُلًا وَأَخَذَهَا، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَهِيَ مُطَهَّرَةٌ مِنْ طَمَئِهَا. ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. 5 وَحَبِلَتِ الْمَرْأَةُ، فَأَرْسَلَتْ وَأَخْبَرَتْ دَاوُدَ وَقَالَتْ: «إِنِّي حُبْلَى» (1).

حديث القرآن عن داود:

لقد برأ القرآن الكريم داود مما قالوا، وبيّن أن داود النبي الذي أوتي كتاب هداية (كتاب الزبور)، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ (النساء: 163). وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ (الإسراء: 55) كما أن داود وعيسى عليهما الصلاة والسلام لعنا الذين كفروا من بني إسرائيل، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (المائدة: 78)، وهو من بين الأنبياء المهتدين قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام: 84)، ويُذكر في مشهد إيماني كبير يتمثل في تسبيح الجبال مع داود عليه الصلاة والسلام، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَفَقَّهُمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: 79)، وفي قوله جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ: 10)، ويُشهد له بالعلم من قبل الله العزيز الحكيم، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النمل: 15) وهناك وصف آخر أكثر روعة بحق داود، قَالَ تَعَالَى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، (ص: 17). ويذكر القرآن الكريم موقف داود في القضاء، ونجاحه فيه، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نَعْجَةٍ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص: 22، 23، 24، 25، 26).

سليمان النبي عليه السلام يسجد لآلهة الصيغونيين:

جاء في هذا العنوان وصف التشنيع والمبالغة بحق نبي الله سليمان عليه السلام بالاتي: (وَأَحَبُّ الْمَلِكِ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بَنَاتٍ فِرْعَوْنَ: مُوَابِيَاتٍ وَعُمُونِيَّاتٍ

وَأُدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ 2 مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لَا تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لِأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ». فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهِؤُلَاءِ بِالْمَحَبَّةِ. 3 وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَّارِيِّ، فَأَمَّا لَتِ نِسَاؤُهُ قَلْبُهُ. 4 وَكَانَ فِي زَمَانٍ شَيْخُوخَةٍ سُلَيْمَانُ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلًا مَعَ الرَّبِّ إِلَهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. 5 فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتَوْرَتِ إِلَهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ، وَمَلَكُومَ رَجِسِ الْعَمُونِيِّينَ. 6 وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنِي الرَّبِّ، وَلَمْ يَتَّبِعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ. 7 حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمْوَشَ رَجِسِ الْمُوَابِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تَجَاهُ أُورُشَلِيمَ، وَلِمَوْلَاكَ رَجِسِ بَنِي عَمُونَ. 8 وَهَكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِذْنَ وَيَذْبَحْنَ لِآلِهَتِهِنَّ⁽¹⁾.

حديث القرآن عن نبي الله سليمان:

جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن سليمان نبي الله عليه السلام ما يبرئه مما تُسبب إليه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص: 30)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص: 40)، وفي مشهد من قصة حاكمة اليمن والأحباش يقر سليمان بشكره وإيمانه المطلق لله سبحانه وتعالى، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل: 40) وغيرها.

خرافة إطعام مئة رجل من عشرة أرغفة:

ويعدُّ هذا العنوان من الخرافات التي تتكرر في كتب الفقه الإسلامي: (وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَغْلٍ شَلِيشَةً وَأَحْضَرَ لِرَجُلٍ لِلَّهِ خُبْرَ بَاكُورَةٍ عِشْرِينَ رَغِيفًا مِنْ شَعِيرٍ، وَسَوِيقًا فِي جَرَابِهِ. فَقَالَ: «أَعْطِ الشَّعْبَ لِيَأْكُلُوا». 43 فَقَالَ خَادِمُهُ: «مَاذَا؟ هَلْ أَجْعَلُ هَذَا أَمَامَ مِئَةِ رَجُلٍ؟» فَقَالَ: «أَعْطِ الشَّعْبَ فَيَأْكُلُوا، لِأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: يَأْكُلُونَ وَيَفْضُلُ عَنْهُمْ». 44 فَجَعَلَ أَمَامَهُمْ فَأَكَلُوا، وَفَضَلَ عَنْهُمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ⁽²⁾.

خرافة بناء الهيكل المزعوم:

جاء في العنوان خرافة المبالغة في بناء الهيكل، وفق هذا النص: (وصية داود لسليمان ببناء هيكل الرب: وها أنا قد كابدت كل مشقة لأعد لبناء بيت الرب: مئة ألف وزنه (نحو ثلاثة آلاف وست مئة طن) من الذهب، وألف ألف وزنه (نحو ستة وثلاثين ألف طن) من الفضة، ونحاساً وحديداً لا يمكن وزنه)⁽³⁾.

السامرة الزانية – تقول الفاحش كذباً على ذات الله:

- (1) انظر العهد القديم – كتاب الملوك الأول.
- (2) انظر العهد القديم – كتاب الملوك الثاني.
- (3) انظر كتاب الحياة – العهد القديم – اخبار الأيام الأول.

جاء في العنوان عن السامرة (وَكَانَ إِلَيَّ كَلَامُ الرَّبِّ قَائِلًا: 2 «يَا ابْنَ آدَمَ، كَانَ أَمْرَاتَانِ ابْنَتَا أُمِّ وَاحِدَةٍ، 3 وَزَنَتَا بِمِصْرَ. فِي صِبَاهُمَا زَنَتَا. هُنَاكَ دُعِدْتَ تُدِيهُمَا، وَهُنَاكَ تَزْغَرُغَتْ تَرَائِبُ عُدْرَتَيْهِمَا. 4 وَاسْمُهُمَا: أَهْوَلَةُ الْكَبِيرَةُ، وَأَهْوَلِيَّةُ أُخْتُهَا. وَكَانَتَا لِي، وَوَلَدَتَا بَنَيْنَ وَبَنَاتٍ. وَاسْمَاهُمَا: السَّامِرَةُ «أَهْوَلَةُ»، وَأَوْرُسَلِيمُ «أَهْوَلِيَّةُ». 5 وَزَنْتُ أَهْوَلَةَ مِنْ تَحْتِي وَعَشِيقَتُ مُحِبَّيَّهَا، أَشُورَ الْأَبْطَالِ 6 اللَّابِسِينَ الْأَسْمَانُجُونِيَّ وَلَاةً وَشَحْنَاءَ، كُلُّهُمْ شُبَّانُ شَهْوَةٍ، فُرْسَانُ رَاكِبُونَ الْخَيْلِ. 7 فَدَفَعْتُ لَهُمْ عَقْرَهَا لِمُخْتَارِي بَنِي أَشُورَ كُلِّهِمْ، وَتَنَجَّسَتْ بِكُلِّ مَنْ عَشِيقَتُهُمْ بِكُلِّ أَصْنَامِهِمْ. 8 وَلَمْ تَنْتَرِكْ زَنَاها مِنْ مِصْرَ أَيْضًا، لِأَنَّهُمْ ضَاغَعُوهَا فِي صِبَاهَا، وَزْغَرُغُوا تَرَائِبَ عُدْرَتَيْهَا وَسَكَبُوا عَلَيْهَا زَنَاها. 9 لِذَلِكَ سَلَّمْتُهَا لِيَدِ عَشَاقِهَا، لِيَدِ بَنِي أَشُورَ الَّذِينَ عَشِيقَتُهُمْ. 10 هُمْ كَشَفُوا عَوْرَتَهَا. أَحَدُوا بَنِيهَا وَبَنَاتِهَا، وَدَبَّحُوهَا بِالسَّيْفِ، فَصَارَتْ عِبْرَةً لِلنِّسَاءِ. وَأَجْرُوا عَلَيْهَا حُكْمًا»⁽¹⁾).

التقول كذباً على ذات الله بالبذاءة:

جاء في هذا العنوان النص التالي: (فَلَمَّا رَأَتْ أُخْتُهَا أَهْوَلِيَّةَ ذَلِكَ أَفْسَدَتْ فِي عَشِيقَتِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا، وَفِي زَنَاها أَكْثَرَ مِنْ زَنَا أُخْتِهَا. 12 عَشِيقَتُ بَنِي أَشُورَ الْوَلَاةِ وَالشَّحْنِ الْأَبْطَالِ اللَّابِسِينَ أَفْخَرَ لِبَاسٍ، فُرْسَانًا رَاكِبِينَ الْخَيْلِ كُلُّهُمْ شُبَّانُ شَهْوَةٍ. 13 فَرَأَيْتُ أَنَّهَا قَدْ تَنَجَّسَتْ، وَلِكَلَّتِيهِمَا طَرِيقٌ وَاحِدَةً. 14 وَزَادَتْ زَنَاها. وَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى رَجَالٍ مُصَوِّرِينَ عَلَى الْحَايِطِ، صُورُ الْكَلْدَانِيِّينَ مُصَوَّرَةً بِمُغْرَةٍ، 15 مُنْطَقِينَ بِمَنَاطِقٍ عَلَى أَحْقَائِهِمْ، عَمَائِمُهُمْ مَسْدُولَةٌ عَلَى رُؤُوسِهِمْ. كُلُّهُمْ فِي الْمَنْظَرِ رُؤَسَاءُ مَرْكَبَاتٍ شَبُهَ بَنِي بَابِلَ الْكَلْدَانِيِّينَ أَرْضُ مِيلَادِهِمْ، 16 عَشِيقَتُهُمْ عِنْدَ لَمَحِ عَيْنَيْهَا إِيَّاهُمْ، وَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِمْ رُسُلًا إِلَى أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ. 17 فَأَتَاهَا بَنُو بَابِلَ فِي مَضْجَعِ الْحُبِّ وَنَجَسُوهَا بِزَنَاها، فَتَنَجَّسَتْ بِهِمْ، وَجَفَّتْهُمْ نَفْسُهَا. 18 وَكَشَفَتْ زَنَاها وَكَشَفَتْ عَوْرَتَهَا، فَجَفَّتْهَا نَفْسِي، كَمَا جَفَتْ نَفْسِي أُخْتَهَا. 19 وَأَكْثَرْتُ زَنَاها بِذِكْرِهَا أَيَّامَ صِبَاهَا الَّتِي فِيهَا زَنْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ. 20 وَعَشِيقَتُ مَعْشُوقِيهِمُ الَّذِينَ لَحْمُهُمْ كُلُّهُمُ الْحَمِيرُ وَمَنْيُهُمْ كَمَنِي الْخَيْلِ. 21 وَافْتَقَدْتُ رَذِيلَةَ صِبَاكِ بِزْغَرَاةِ الْمِصْرِيِّينَ تَرَائِبِكَ لِأَجْلِ تَذِي صِبَاكِ⁽²⁾).

(1) انظر كتاب الحياة – العهد القديم – سفر حزقيال

(2) انظر كتاب الحياة – العهد القديم – سفر حزقيال.

الفصل الثاني

أقسام ومباحث التلمود اليهودي (المشأ الشريعة التفصيلية)

مقدمة:

لم يكن للتلمود ترجمة عربية حتى وقت قريب، غير أن الدكتور مصطفى عبد المعبود سيد منصور قدم لنا ترجمة متن التلمود (المشأ) الطبعة الأولى، عن مكتبة النافذة، الجيزة، جمهورية مصر العربية، وبهذا الجهد الرائع من سعادة الدكتور تكتمل الصورة في معرفة الحقيقة، والدور الكبير الذي لعبه اليهود في تحريف فكر العقائد الدينية القديمة المتعدد، ونسخ ذلك للفكر الإسلامي لما يسمى بأصول الفقه والسيرة والحديث، فأحدثوا هذا الكم الهائل من المذاهب والفرق والجماعات الدينية، ومن خلال هذه الترجمة الفريدة التي مكنتنا من معرفة أهم مصادر النصوص الدينية، بعيداً عن الظنون والتأويلات التي لا تستند إلى مرجع مباشر، فبانت معه الحقيقة ساطعة لهوية اليهود الدينية التي ظلت مستترة لقرون عدة، إلا أن ما ظهر منها من خلال العهد القديم الذي منع المسلمين من قراءته، وفق أحاديث العنينة التي دسوها، لكي لا تنكشف حقيقتهم وحقيقة كتبهم بما تحتويه من تحريف واضح وفاضح، ولما فيه من قصص وأحداث تتصادم مع العقل والفطرة السليمة، وعليه فقد استعرضت لكم مجلدات التلمود بأقسامها المتعددة لأنقل لكم أهم ما جاء فيها على هيئة عناوين مختصرة للمباحث والفصول لكل قسم على حدة، من أجل الوقوف على تأثير التلمود في صناعة فكر مذاهب الفكر الإسلامي مع التعليق ما أمكن.

استهلال على مقدمة المترجم:

عَرَفَ المترجم تلمود المشأ في اللغة والاصطلاح وفق ما هو معهود في تعريفات مصطلحات رجال الفقه المذهبي، وأنا لا أميل إلى تلك التعريفات التي كانت سبباً في عدم الفهم المباشر للشيء المراد معرفته، إذاً فالتعريف بتلمود المشأ هو: مجموعة الأحكام والتعاليم، والتفاسير والفتاوى، والوصايا التشريعية التي تناقلت عبر الأجيال شفاهةً من عهد موسى عليه السلام حتى عهد يهودا هناسي⁽¹⁾. وأضاف المترجم قائلاً: إن المشأ هو أساس التلمود بالإضافة إلى شروحها التي عرفت فيما بعد بالجمارا (الحواشي)، وقد جُمِعَت هذه الشروح معاً تحت مسمى التلمود خلال عشرة قرون؛ خمسة قبل الميلاد، ومثلها بعد الميلاد. وأوضح المترجم بأن المشأ (التلمود): يتضمن أحكاماً وشروحاً وتفسيرات مفصلة للتوراة، كما يشتمل على أحكام وقوانين لم ترد في التوراة وإنما تم استنباطها قياساً عن طريق الحاخامات لتوافق ظروف اليهود، وأحوالهم طبقاً لطبيعة العصر الذي يعيشون فيه. ويضيف المترجم عن أهمية ونشأة المشأ للتلمود: إذ يعد مشأ التلمود ذا أهمية بالغة بحياة اليهودي على كل المستويات،

(1) انظر أقسام التلمود الستة. 1- قسم الزروع أو البذور. 2- قسم المواسم والأعياد. 3- قسم النساء. 4- قسم الأضرار. 5- قسم المقدسات. 6- قسم الطهارات. د مصطفى عبد المعبود. مكتبة النافذة. الطبعة الأولى. 2007 م.

فأصبحت (نصوصه) بنظر فرقة الربانيين مقدسة كونها وحياً من الله تعالى إلى موسى عليه السلام، ثم علمها موسى لخلفائه من بعده من الحاخامات. غير أن هناك فرق أخرى من اليهود لا (تعترف)

بمشنا التلمود، بل هاجمته؛ ومنها: فرقة الصدوقيين وفرقة القرائين، وحديثاً فرقة الإصلاحيين، كما يقول المترجم. وترجع نشأة المشنا إلى سيدنا موسى عليه السلام حسب الزعم، فاليهود يدّعون أنه قد تلقى شريعتين: إحداها الشريعة المكتوبة، وهي التوراة، والأخرى الشريعة الشفهية المفصلة، وهي المشنا (التلمود)⁽¹⁾.

وأرى أن الزعم بوجود شريعتين لدى اليهود هو نفس الزعم لدى فقهاء المذاهب والفرق والطوائف في الفكر الديني الإسلامي التي جعلت من فقه السنة والشيعة مصدراً ثانياً من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، فحشرت كما هائلاً من أحاديث العنينة، في أصول الفقه، وفقه السيرة والتفسير والتأويل، وحلل فقهاؤها وحرّموا، وأنشأوا المذاهب والفرق الجماعات والأحزاب الدينية، وجعلوا لكل منها مرجعيتها الفقهية المستقلة، آخذين بتأويل خاطئ للنص، وعلى أثر ذلك خلقوا نظائر لطوائف و فرق اليهود في الفكر المسيحي ثم في الفكر الإسلامي، كما هو قائم اليوم.

ونعود إلى مقدمة المترجم الذي أوضح فيها أن يهودا هناسي كان له الفضل في إخراج المشنا مرتبة بأقسامها الستة ونذكرها بالترتيب⁽²⁾:

1-مجلد القسم الأول زراعيم: الزروع.

2-مجلد القسم الثاني موعيد: الأعياد.

3-مجلد القسم الثالث ناشيم: النساء.

4-مجلد القسم الرابع نزيقين: الأضرار.

5-مجلد القسم الخامس قداشيم: المقدسات.

6-مجلد القسم السادس طهاروت: الطهارات.

وقد نشطت مراكز البحث الديني اليهودي في وضع الشروح، والتفسير لنصوص هذه المشنا، في المدرستين، المدرسة البابلية والمدرسة الغربية الفلسطينية وقد قبلت هاتان المدرستان المشنا، كما هو، ولكنهما اختلفتا في طريقة تناول نصوصه بالشرح والتفسير، وعرفت تفسيرات المدرستين وشروجهما على نص المشنا باسم "الجمارا"، بمعنى الإكمال أو الإتمام. وأطلق كذلك على حاخامات المدرستين تسمية الأمورائيم، بمعنى: (المتكلمون أو المفسرون)، ومن النصين المشنا والجمارا تكون التلمود. ولمزيد من التوضيح والتأكيد على أن الفقه السني – الشيعي، والتلمود يتشابهان من حيث البناء الشكلي، والموضوعي بتقرير الحلال والحرام، وفيما يجوز وما لا يجوز، والمباح والمنهي عنه، والأحكام التشريعية، مثل: القياس والاقْتباس والإجماع، وأصول استنباط الأحكام لمختلف الشعائر، والعبادات، ثم التوسع في

(1) انظر التلمود - د مصطفى عبد المعبود.

(2) انظر التلمود - د مصطفى عبد المعبود.

إيجاد أحكام صيغت بقالب من النصوص، تحكم حياة الإنسان، واعتقاداته وتفكيره، وجميع أعماله اليومية، وما عليه أن يحب وما يكره، وعلاقته بالآخر، وتقرير مصيره (إلى الجنة أم إلى النار)، وغير ذلك من أمور حياته وآخريته. ويوجد تشابه كبير وواضح في نسق الاتفاق والاختلاف بين فقهاء التلمود الذين لا تجدهم يتفقون على مسألة واحدة ألا في النادر فما يكون حلالاً عند فقيه طائفة، يكون حراماً عند الآخر، وهكذا، وقد جاء فقهاء الفقه السني – الشيعي على نفس النسق مع أحبار وحاخامات اليهود، مع توسع أحبار اليهود في التحريم بصورة كبيرة عن فكر المذاهب الإسلامية، وكذلك التشابه في رواية حديث المشنأ مع أحاديث فكر المذاهب الإسلامية، وكذلك الحال مع محدثين شريعتهم بتوراة العبرانيين، والتلمودية والمفسرين للشريعة ومن أشهر رواتهم⁽¹⁾:

- يهودا هناسي.
- جماعة الحاخامات.
- رابي مائير.
- رابي شمعون.
- رابي يوسى الجليلي.
- مدرسة هليل.
- مدرسة شماي.
- رابي عقيبا، وغيرهم الكثير.

وبالمماثلة ظهر من المسلمين فقهاء وأئمة للحديث، والفقه والسيرة والتفسير على اختلاف مذاهبهم مثل القرطبي وابن كثير وغيرهم، ومن أشهر رواتهم لمذهبي السنة والشيعية على سبيل المثال بالآتي:

- أبو هريرة.
- ابن مسعود.
- ابن عباس.
- أبو عبد الله الحسين.
- أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني.
- جعفر الصادق.

- البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وابن داود والنسائي والشافعي وابن حنبل ومالك ابن أنس، وغيرهم.

وهذا ليس من قبيل الصدفة، أو لأن الأديان بحاجة إلى فقهاء لشرح جوانب مختلفة من النصوص، أو لتفصيل بعض الشعائر والعبادات، أو لأن أصل الأديان واحد، متصل بملة إبراهيم كما قد يرى البعض، أو لأن شرع من قبلنا شرع لنا فكل هذا عار عن الصحة، والحقيقة هي إن كل هذا الغناء من صنع جماعة التحريف وإن اختلفت مسمياتها في اليهودية أو

(1) انظر التلمود . د مصطفى عبد المعبود.

في المسيحية أو في الإسلام، وبه وبغيره فقد أحلوا ما حرم الله سبحانه وتعالى، وحرّموا ما أحل الله سبحانه وتعالى، وزادوا في تفسير وتأويل الآيات بصورة خاطئة ومفرّعة، مخالفين كلام الله، بل ضد منهج الله سبحانه، ولذلك يصدق عليهم القول: إنهم طبقوا منهجية إبليس بعودهم معه على الصراط المستقيم، من أجل الانحراف بالعقيدة الإيمانية للناس عن الحق المبين عبر مسيرة الحياة الإنسانية، وصنعوا ديناً ضد الدين⁽¹⁾، ونصاً ضد النص، وفق ما سبق بيانه وتوضيحه.

وبالعودة إلى المجلدات التي شملت الأقسام الستة من أقسام التّلمود وما تحتوي على عدد كبير من الفصول والمباحث، والعناوين والمواضيع المتصلة بحياة الإنسان اليهودي وتصرفاته، فجعلت منه قالباً جامداً يحركه النص الديني يميناً ويساراً، ويتدخل في جميع شؤون حياته اليومية؛ العامة والخاصة وعلاقته بالآخر من الناس، بل وقيد حركته في كل مناحي حياته، وما سيؤول إليه في آخرته؛ الجنة أو النار، ونقلوا ذلك للمذاهب الإسلامية.

وسوف استعرض فيما يلي أهم ما جاء في المجلدات المترجمة للتلمود، مقتبساً منها عناوين المباحث، والفصول والتعليق عليها، مكتفياً بتعريف موجز لأهم ما جاء فيها، دون الخوض في تفاصيلها الكثيرة حتى لا يرهق القاري، وهناك فصول بدون عنوان، ولهذا سأكتفي بذكر (الفصل الأول، الفصل الثاني) كما ورد لكي يقوم القاري بالمقارنة مع فكر مذاهب العنينة في المذاهب الإسلامي، بالإضافة لمعرفة مصدر التحريف الحاصل بفكر المذاهب الإسلامي وفق التالي:

مجلد القسم الأول: زراعي (الزروع) وفيه عدد من المباحث:

يتناول هذا القسم من التلمود الصلاة والشمعدان، والقوانين الشرعية الخاصة بالزراعة، وما يتعلق بالحقل أو المزروعات، وشرح الأحكام المتصلة بحقوق الفقراء والكهنة في غلال الأرض وحصادها، كما يشرح أنظمة الفلاحة والحراثة وزراعة الحقول والبساتين والسنة السببية، والعشور والمخاليط المحظورة في النبات، والحيوان، ومن المهم عرض أهم ما جاء في هذا القسم والذي يحوي على (11) مبحث وعدداً من الفصول في كل مبحث، في (337) صفحة، نقّتبس أهم ما جاء فيه مختصراً بالآتي:

المبحث الأول: براخوت - البركات وفيه تسع فصول نقّتبس منه الآتي:

لا يتوافق محتوى هذا المبحث مع عنوان القسم الأول (الزروع) نهائياً، وفيه خلط للعناوين، وهذه الطريقة تتشابه في عناوين كتاب البخاري والكافي، وغيرهما من كتب أصول الفقه الإسلامي وفيه يتحدث على سبيل المثال بالآتي:

1- يتحدث عن الصلاة ومواقيتها، وقراءة الشمع، وتحديد مواعيد قراءتها، ووضعية الشخص أثناء قراءتها من كونه متكئاً أو واقفاً، لفقرات مطولة من أسفار التنية والعدد.

(1) انظر علي شريعتي - دين ضد الدين.

2- يُعفى النساء والأطفال والعبيد من قراءة الشمع في الصلاة، كما ورد في الفصل الثالث.

3- في الفصل الرابع حدد أنواع الصلوات وأوقاتها واستقبال القبلة تجاه أورشليم.

4- مجمل محتوى الفصول؛ السادس والسابع والثامن تتعلق في أدعية البركة على ثمار الأشجار، وكرمة الخمر والخضروات، وأدعية البركة على الطعام بعد إخراج عشر التقدمة للهيكل والكاهن، مع ضرورة غسل الأيدي قبل وجبة الطعام، وقول (آمين)، ولا يجوز ترديد كلمة آمين بعد اليهودي السامري⁽¹⁾.

المبحث الثاني: بيئاه زاوية – ركن الحقل: وفيه ثمانية فصول نقتبس منه الآتي:

يتحدث هذا المبحث عن الشرائع التي تحدد وتُعيّن الحدود بين الحقول، والأحكام الخاصة بالحصاد، وجني الثمار، ومجمل فصوله تتحدث بإسهاب عن ترك جزء من الحقل المزروع، للالتقاط من قبل الفقراء والمساكين - وحق الارتفاق بفتح طريق للسير، والماء بين الحقول - والفصل بين المزروعات، - وحال الأرض المشاعة للفقراء - وأنواع الحزم من المزروعات، وإباحة التقاط حبات العنب دون العنقود فإنه من حق صاحب المزرعة - ووقت إباحة الالتقاط من المحصول ومقداره - وإخراج عشر الأرض تقدمه للكاهن من آل هارون، وغيرهم حسب نصوص التوراة والتلمود⁽²⁾.

المبحث الثالث: دماي – إخراج عشره من المحاصيل وفيه سبعة فصول نقتبس منه الآتي:

ويتناول هذا المبحث الأحكام المتعلقة بالمحاصيل الزراعية وحقيقة قيام أصحابها بإخراج العشر منها وبيان أنواع المحاصيل المعفاة من احكام الدماي والمحاصيل الواجب إخراج العشر منها للكاهن.

1- عدد انواع الاشجار والمحاصيل والثمار وبعض انواع البهارات والخضروات بفصول هذا المبحث والتي يتوجب إخراج العشر فيها، تقدمه للكاهن.

2- وكذلك المشتري من عام هارتس واطعام المساكين منها، والتحري علي العشور اثنا البيع والشراء للشخص الامين عليها حتي ولو كان خبز من الخباز، واحكام الحقل المستأجر من الاسرائيلي ومن الغريب أو السامري واحكام العشر وطعام السبت مع الضيف ومن يشتري الخمر ولم يخرج عشره وعشور سلة الثمار واحكام الخلط لأصناف الثمار وغيرها⁽³⁾.

المبحث الرابع: كلايم: المخلوطات وفيه تسع فصول نقتبس منه الآتي:

وفيه عدد انواع المحاصيل الزراعية من الحبوب والخضروات والفواكه وبعض انواع النباتات وكذلك الحيوانات وبياح هجين البهيمة ويحرم به المزوجة ويحرم العمل بنوعين من

(1) انظر التلمود . قسم الزروع – مبحث 1 من ص 27- ص 64.

(2) انظر التلمود . قسم الزروع – مبحث 2 من ص 65 – ص 100.

(3) انظر التلمود . قسم الزروع – مبحث 3 من ص 101 – ص 124.

الحيوانات، وكذلك في الملابس وما يحرم وما لا يجوز اللبس منها وخلط بعضها ببعض وفق ما جاء بالتوراة بسفر اللاويين والتثنية (1).

المبحث الخامس: شفيعات السنة السابعة: وفيه عشر فصول نقتبس منه الآتي:

يتناول هذا المبحث القوانين المتعلقة بإراحة الأرض والإبراء من الديون في السنة السبتية، ويحرم في هذه السنة جني ثمار الأشجار وفق ما جاء بالتوراة سفر الخروج واللاويين والتثنية، وتحتوي فصوله ما يلي:

1- جملة من أحكام الحرام والحلال، وما يجوز وما لا يجوز في حراثة الحقل، وحق المحصول في السنة السابعة وهي سنة راحة الأرض، كي لا تفقد الأرض رطوبتها وما يلزم من تنظيف الأرض.

2- كيفية إخراج السماد من روث الحيوانات، وجعله في ثلاثة أكوام في حفرة وإزالة الأحجار والأشواك وقطع الأخشاب من أشجار الزيتون، وما يجوز للحرفي أن يبيع من الأدوات، وكذلك من البقر والثمار في السنة السابعة، وكذلك المرأة.

3- نبات السذاب أو (الشذاب) ورجل الأوز (نباتات برية)، والرجلة، والكبيرة والبقدونس والجرجير، تعفى جميعها من العشور في السنة السابعة، ويسقط القرض عن صاحبه في السنة السابعة (2).

المبحث السادس: تروموت التقديمات والتبرعات والهبات: وفيه أحد عشر فصل نقتبس منه الآتي:

يتحدث هذا المبحث حول القوانين الخاصة بالتبرعات والنذور من المحاصيل الزراعية التي تقدم للكهنة ونوعية تلك المحاصيل، وشروط صلاحية التقديمات، وفق ما جاء في التوراة سفر العدد والتثنية، وتشمل فصوله ما يلي:

1- مَنْ لا يجب أن يقدم التقديمات وهم: الأبكم، المعتوه، القاصر، ومن يقدم ما ليس له، والغريب عن الإسرائيلي، فهؤلاء لا تعد تقديماتهم صالحة.

2- أنواع التقديمات من الثمار والخضروات، ويجب أن تكون التقديمات طاهرة لا نجسة، لأنها ستقدم للكاهن ولا يجوز أكلها لغير الكاهن، وإذا سها وأكل يعوز، وهذه من القواعد التي لا يجوز مخالفتها، حتى وإن كانت التقديمة في أفواههم فعليهم أن يلفظوها خارج أفواههم.

3- إخراج العشور من الحقول التي زرعت بحبوب التقديمة لفقراء إسرائيل وفقراء الكهنة.

(1) انظر التلمود . قسم الزروع - مبحث 4 من ص 125 - ص 162.

(2) انظر التلمود. قسم الزروع . مبحث 5. من ص 162 - ص 202

4- يُباح أكل بصل التقدمة الذي وضع على العدس المطبوخ لعموم اليهود من غير الكهنة، وإذا أخرج خبز من التتور ساخناً من دون خمر التقدمة، فإنه يجوز أكله لدى البعض، ولا يجوز عند آخرون(1).

المبحث السابع: معسورات العشور وفيه خمسة فصول نقتبس منه الآتي:

يقصد بهذا المبحث تحديدا العشر الاول حيث اعطت الشريعة اليهودية عشر محصول الحقل للكهنة وفقا ما بالتوراة - سفر اللاويين والعدد خصص اليهود عشر ما تنبت الارض مما هو صالح للأكل كقاعدة عامة حال حلول الموسم وبالنسبة للخمر فيجب اخراج عشرها حال ازالة القشرة والبذور منها (2).

المبحث الثامن: معسر شني: العشر الثاني وفيه خمس فصول نقتبس منه الآتي:

1- بعد اخراج العشر الاول للكهنة يكون حق الانتفاع بالعشر الثاني لصاحب المحصول وعائلته للحج

2- ولا يجوز رهن العشر ولا بيعه، ويخصص العشر الثاني ايضا للمأكّل والمشرب والدهان ويجوز ادخال ثمار العشر الثاني إلى اورشليم ولا يجوز ان تخرج منها وفق ما جاء بالتوراة سفر اللاويين والتثنية(3).

المبحث التاسع: حله: قرص العجين وفيه اربعة فصول نقتبس منه الآتي:

تحدث هذا المبحث عن وجوب إخراج قرص العجين للكهنة من الحنطة والشعير، والعلس والجلبان (تستعمل للبهائم)، الشوفان، منها جميعاً يجب إخراج مقدمة قرص العجين، ويحرم الأكل منها إذا كانت حديثة الحصاد قبل عيد الفصح. والعجين المصنوع كطعام للكلاب عندما يأكل منه الرعاة، فيجب إخراج مقدمة قرص العجين منه، ويجوز للمرأة أن تجلس وتقطع قرص عجينها وهي عارية، ولا يجوز لها ذلك بوجود رجل(4).

المبحث العاشر: غرلة - وثمار الأشجار في الثلاث سنوات الأولى وفيه ثلاثة فصول نقتبس منه الآتي:

1- يفهم معني الغرلة الجزء الذي يزال من العضو التناسلي للذكر عند عملية الختان بمعنى أوضح أن اليهود الذين قدموا لاحتلال فلسطين ووجدوا في أرضها أشجار مغروسة فإن ثمارها تعفي من حكم الغرلة وإن كانوا قد غرسوه ولم يحتلوا الارض، فإنها تلزم بحكم الغرلة.

2- ويبحث تحريم أكل الثمار من الأشجار في سنواتها الثلاثة الأولى وإخراج السنة الرابعة زكاة للرب وحلال في السنة الخامسة لصاحب الثمار.

(1) انظر التلمود. قسم الزروع . مبحث 6. من ص 203 - ص 244

(2) انظر التلمود. قسم الزروع مبحث 7 . من ص 245 - ص 264.

(3) انظر. التلمود. قسم الزروع مبحث 8 . من ص 2265 - ص 288.

(4) انظر التلمود . قسم الزروع مبحث 9. من ص 289 - ص 308.

3- ومن يغرس أشجار لأجل الجميع يلزم بالغرلة، وحكم اختلاط غرس الغرلة مع مخلوطات الكرم، وإذا صبغ ثوب بصبغة من قشور ثمار الغرلة فإنه يجب أن يحرق حتى وإن اختلط بغيره من الأثواب فيحرقوا جميعاً وهذا المبحث يحرم فيه أكل الثمار في الثلاثة السنوات الأولى وإخراج ثمار السنة الرابعة زكاة للرب وحلال في السنة الخامسة لصاحب الشجرة وكما جاء بسفر اللاويين(1).

المبحث الحادي عشر: بكوريم - بواكير الثمار وفيه ثلاثة فصول نقتبس منه الآتي:

وفيه ما يجب أن يقدمه اليهودي من بواكير ثمار أرضه الأولى في جميع المحاصيل، التي تؤكل وغيرها بواكير مقدمة للهيكل وفقاً لأحكام وقوانين سنها أحبارهم وحاخاماتهم، ثم يقرأون نص الاعتراف، وقالوا إن بواكير الثمار تعد كمتلكات الكاهن لأنه يشتري بثمنها العبيد والأراضي والبهيمة النجسة، ويأخذها الدائن سداً لدينه، وتأخذها المرأة عن الكتوبا الخاصة بها وفق ما جاء في التوراة سفر الخروج والتثنية.

وخلاصة ما ورد في هذا المجلد، قسم الزروع، نتبين أن تعليمات التلمود في هذا القسم تجعل من الإنسان اليهودي سخرة للكاهن والهيكل اللذين يتشاركان جهده وعرقه في كل شيء يعمل حتى قرص العجين(2).

مجلد القسم الثاني: مواعيد (قسم الأعياد) وفيه عدد من المباحث:

اشتمل هذا القسم من التلمود على اثني عشر مبحثاً، تناولت أحكام السبوت والأعياد، وجميع المناسبات الدينية والطقوس والشعائر التي تنظم الاحتفالات الخاصة بكل عيد ومناسبة دينية، والأحوال التي يجب أن يكون عليها المعبد، واهتم القسم بشرح معرفة التقويم العبراني لتحديد الأشهر القمرية من السنة الشمسية لتعيين الأعياد اليهودية، وفقاً للتوراة وشروح وتفسير الحاخامات، ومن المهم عرض أهم ما جاء في هذا القسم والذي يحوي على (12) مبحث وعدداً من الفصول، في (352) صفحة، نقتبس أهم ما جاء فيه مختصراً على النحو التالي:

المبحث الأول: شبات: السبت: وفيه أربعة وعشرين فصل نقتبس منه الآتي:

- 1- أهمية سبت اليهود لكونه يوماً مقدساً ومخصص لراحتهم، ويبدأ من غروب نهار الجمعة إلى غروب نهار السبت.
- 2- تحريم التوراة على اليهود القيام بأي عمل، حتى ولو كان إشعال مصباح أو غيره.
- 3- عقوبة القتل والرجم حتى الموت لكل من يدان بالعمل يوم السبت لخرقه سبوت الرب المقدس.

(1) انظر. التلمود. قسم الزروع مبحث 10 . من ص 309 – ص 324.

(2) انظر التلمود قسم الزروع. مبحث 11 من ص 325 – ص 340.

4- استثناءات الأعمال التي يجوز القيام به في يوم السبت، ومنها ما تعمله المرأة للبهيمة، وإخراج بذور الأرض، وبعض الأعمال الحرفية، مثل: نسج الخيط وإخراج بيضة، وفلفل وخمر، وخشب الطهي، والضرب بالمطرقة، وما يلزم من تقديم ذبيحة الخطيئة لهذه الأعمال الخاصة جداً⁽¹⁾.

المبحث الثاني: عيروفين: تداخل الحدود ودمجها في السبت وفيه عشر فصول نقتبس منه الآتي:

يعتبر هذا المبحث امتداد للمبحث السابق حول الأحكام الخاصة بالسبت وما يلحق بهذا المبحث مما يجوز وما لا يجوز لليهودي من أعمال تتعلق بحدود ومسافات تحركه وبقل الأشياء من الأماكن الخاصة إلى الأماكن العامة يوم السبت وما يتعلق بالأحكام الخاصة باستخدام مستجمعات المياه من الآبار والأحواض وغيرها⁽²⁾.

المبحث الثالث: بساحيم – عيد الفصح وفيه عشر فصول نقتبس منه الآتي:

وخلاصة ما تحتوي عليه فصول هذا المبحث ما هو آت:

1- يجب على اليهود التخلص من الطعام المخمر (الحاميتين) لغير اليهودي ليلة الرابع عشر من نيسان على ضوء المصباح للاحتفال بعيد الفصح.

2- ما يُحرم شربه في عيد الفصح: اللبن، الرائب البابلي، البيرة، الخل، الجعة المصرية، وغيرها.

3- يجب أن تذبح ذبيحة المحرقة في الساعة الثامنة والنصف، وتقرب في التاسعة والنصف، وتذبح في عشية الفصح الساعة السابعة والنصف، وتُقرب الثامنة والنصف، وما يتبعها من طقوس وشعائر.

4- كيفية شئ قربان الفصح، وطرقه وأدواته، وبهارات ومحاذير، وما ورد فيه من آراء وخلافات.

5- أحكام ذبح قربان من حيث سلامته، ووجوب حد شفرة الذبح، والأكل من قربان عيد الفصح بعد شئيه، وأحكام أكل الزوج والزوجة له في بيت الأب، أو الشخص الذي أكل وهو بالطريق مسافر.

6- أحكام عدم الأكل عشية عيد الفصح من وقت صلاة المنحاة (العصر) حتى حلول الظلام⁽³⁾.

المبحث الرابع: شقاليم – الشواقل وفيه ثمانية فصول ونقتبس منه الآتي:

1- الشواقل هي الهبة السنوية التي يقدمها اليهودي للهيكل ليلة عيد الفصح، وهي لا تقل ولا تزيد عن نصف الشاقل ببداية شهر نيسان من كل عام.

2- يجوز استبدال الشواقل بالدراهم وتقدم للهيكل.

3- أثمان التقديمات كانوا يشترطون بها المحروقات اليومية.

(1) انظر التلمود. قسم الأعياد. مبحث 1 من ص 29 – ص 89.

(2) انظر التلمود. قسم الأعياد مبحث 2 من ص 91 – ص 130

(3) انظر التلمود. قسم الأعياد مبحث 3 من ص 131 – ص 170

4-النقود الزائدة من بقية الشواقل تشتري بها الخمر والزيت والدقيق والربح ويوقف للهيكل (1).

المبحث الخامس: يوما – اليوم (يوم الغفران) وفيه ثمانية فصول نقتبس منه الآتي:

1-استعداد رئيس الكهنة للبدء بطقوس وشعائر الاحتفال بيوم الغفران قبل مواعده بسبعة أيام.

2-من طقوس الاحتفال: المجرمة، وضع البخور على جميع فناء الهيكل.

3-اختيار تيس الغفران؛ من حيث الحجم، والعمر والشكل. وأحكام صيام هذا اليوم.

4-ما يجب أن يقرأه الكاهن عند القراءة أمام النساء.

5-ما يحرم يوم الغفران من الأكل والشرب، ومن الاستحمام والدهان ولبس الصندل (2).

المبحث السادس: سوكة: المضلة وفيه خمس فصول نقتبس منه الآتي:

يتحدث هذا المبحث عن الأحكام والشروط الخاصة بعيد المضال الذي يستمر سبعة أيام تؤدي فيها شعائر وطقوس وصلوات وأدعية، وتعفى النساء والعبيد والقصر من أحكام المضال، وعيد المضال في الخامس عشر من الشهر السابع حسب التقويم العبري، ويأتي إحياء لذكرى خيمة السعف التي أوت اليهود في الصحراء أثناء خروجهم من مصر وزمن التيه في سيناء، وفيه اختلافات كثيرة فيما يجوز فعله وما لا يجوز (3).

المبحث السابع: بيتساه: البيضة (يوم العيد) وفيه خمس فصول نقتبس منه الآتي:

1-ما يجوز وما لا يجوز في اكل البيضة يوم العيد وما يتوجب من اخفاء دم الطائر المذبوح سواء كان من الحمام أو من غيره.

2-ما يجوز وما لا يجوز من اصطياد الاسماك من برك الخضائر في العيد وما يجب ان يضعوا من الطعام.

3-كيفية حمل جرار الخمر علي الاكتاف كتقاليد من تقاليد العيد.

4-أحكام تتعلق بالمباح والحرام والمحظور في مواسم الاحتفالات مع تحديد انواع الاطعمة (4).

المبحث الثامن: روش هشناه: عيد راس السنة وفيه اربعة فصول نقتبس منه الآتي:

يحدد في هذا المبحث التقويم العبري، رأس السنة العبرية في الأعياد، وما يقدم فيها، ومن ذلك:

1-الأول من نيسان لتولي الملوك والأعياد والخروج من مصر.

2-الأول من أيلول عيد لإخراج عشر البهيمة.

(1) انظر التلمود . قسم الأعياد مبحث 4 من ص 171- ص 198

(2) انظر التلمود قسم الأعياد. مبحث 5 من ص 199 – ص 228

(3) انظر التلمود قسم الأعياد . مبحث 6 من ص 229 – ص 250

(4) انظر التلمود قسم الأعياد . مبحث 7 من ص 251- ص 266

- 3-الأول من تشرين رأس السنة لحساب سنوات إراحة الأرض، وغرس الأشجار، وإخراج عشر الثمار.
- 4-الأول من شباط لإخراج عشر ثمار الشجر.
- 5-كيفية رؤية الهلال وإحضار شهود الرؤية، والتأكيد على شهادتهم،
- 6-لا تجوز شهادة لاعب النرد (الشطرنج)، وَمَنْ يقرض الربا ومُطَيِّر الحمام والعبيد والمرأة.
- 7-ما يتوجب على شهود رؤية هلال العيد عند الإدلاء بشهاداتهم أمام المحكمة، وما يتوجب لإيقاد المشاعل والإعلان عنه، وتقديم العشور للكهنة والهيكل وطرق الاحتفال وكيفية النفخ على (البوق) (1).

المبحث التاسع: تعنيت - الصيام وفيه أربعة فصول نقتبس منه الآتي:

تناول هذا المبحث أحكام الصوم وكيفيته وأنواعه وشروطه ومواعيده ومبطلاته ونظام الصلوات والأدعية:

- 1- صلاة الاستسقاء، تقام عند الاقتراب من موسم الأمطار، وإذا تمت الصلاة ولم ينزل المطر ينفخ بالأبواق.
- 2-صيام سبعة أيام لإخراج التابوت.
- 3-يرفع الكهنة أكفهم في ثلاثة أوقات في السنة أربع مرات في اليوم؛ عند صلاة الفجر، وعند الصلاة الإضافية، وعند صلاة المنحاة ما بين الظهر والعصر وعند إغلاق أبواب الهيكل والأوقات الثلاثة هي: أيام صيام الجمهور وفي صلوات الكهنة ورجال الطبقة ويوم الغفران.
- 4-أحكام الصيام لرجال الطبقة أربعة أيام في الأسبوع، من يوم الإثنين حتى يوم الخميس (2).

المبحث العاشر: مجلا - اللفافة (لفافة استير) وفيه أربعة فصول نقتبس منه الآتي:

استنسخ هذا المبحث من سفر استير لأنه يتناول أحكام قراءة قصة استير في عيد البوريم وكيفية الاحتفال بهذا العيد كما ترد بتوقييت محدد في كل عام وهو شهر اذار من التقويم الديني اليهودي وفي أحد الأيام الخمسة التالية ليوم الحادي عشر من الشهر ونزيد توضيح هذا المبحث في الآتي:

- 1- استير بطلة قومية لليهود دست من قبل ابن عم لها يدعى موردخاي في البلاط الملكي الفارسي كيهودية متخفية من أجل أن تكون زوجة للملك بسبب جمالها الفاتن حسب الرواية ولها سفر سمى باسمها بالعهد القديم ويتحدث السفر عن تفاصيل المؤامرة التي حيكت على اليهود ودور استير وموردخاي في تخليص اليهود منها والتي كان

(1) انظر التلمود قسم الأعياد . مبحث 8 من ص 267 – ص 284.

(2) انظر التلمود قسم الأعياد . مبحث 9 من ص 285 – 304.

يقودها هامان بن همدان الاجاجي وزير الملك الفارسي، احشويروش لإبادة اليهود من مملكة فارس.

2- أحكام قراءة لفافة استير داخل المدينة المسورة وعلى هيئة جماعة لا تقل عن عشر في يوم الرابع عشر والخامس عشر من شهر اذار من كل عام.

3- أحكام قراءتها باللغة الأصلية أو بلغة مترجمة طيلة اليوم وتمتد إلى الليل.

4- أحكام عن كيفية قراءتها قائماً أو قاعداً وغيره من الشروط (1).

المبحث الحادي عشر: موعيد قطن - العيد الصغير (أيام تحليل العيد) وفيه ثلاثة فصول نقتبس منه الآتي:

يوضح هذا المبحث الأحكام الخاصة بالأيام التي تقع بين اليوم الأول واليوم الأخير من عيد الفصح والمضال والاحتفالات والطقوس التي يجب أن تقام في تلك الفترة وما يلحقها من أعمال.

1- ما يجوز وما لا يجوز أن يسقوا الحقول أيام تحليل العيد من عين النبع أو مياه الأمطار وكذلك سحب المياه من شجرة لأخرى، وما يجوز من الصيد وما لا يجوز من حفر تجاويف المقابر، وما لا يجوز أن يتزوجوا من النساء أثناء تحليل العيد، وما يجوز من تخطيط الملابس.

2- كما يتحدث عن تفاصيل دقيقة وخاصة مما يجوز ولا يجوز أثناء تحليل العيد مثل عصر الزيتون وإخراج الخمرة من البئر وحفظ الثمار، وما يجوز شراؤه أيام العيد وغيرها (2).

المبحث الثاني عشر: حجيجا - زيارة الهيكل وتقديم العيد، وفيه ثلاثة فصول نقتبس منه الآتي:

يتحدث المبحث عن الأحكام المتصلة بالقرابين التي تقدم في الأعياد وفريضة زيارة الهيكل ثلاث مرات في السنة، ووجوب زيارة الهيكل على الجميع، ما عدا الأصم والمعتوه والقاصر والخنثوي والأعرج والأعمى والمريض والشيخ الكبير، وما يتوجب من تقديم قربان سلامة - وقربان محرقة - ذبيحة سلامة.

وخلاصة هذا القسم أنه جعل الأعياد مناسبات دينية، نص على مشروعيتها بنص من التوراة، رغم أن الأعياد من أعراف الناس ومن عادات وتقاليد الأمم والشعوب (3).

مجلد القسم الثالث: القسم الثالث ناشيم (النساء) وفيه عدد من المباحث:

وفي هذا المجلد اثنا عشر مبحثاً، وتعالج مباحث هذا القسم (المجلد) تفاصيل الأحكام والوصايا المتعلقة بالأسرة والعلاقات الزوجية من خطوبة وزواج وإجراءات الخلع والييوم

(1) انظر التلمود قسم الأعياد . مبحث 10 من ص 305 - 326.

(2) انظر التلمود قسم الأعياد مبحث 11 من ص 327 - 339.

(3) انظر التلمود قسم الأعياد مبحث 12 من ص 340 - 352.

(زواج أرملة الأخ) وكذلك أحكام النذر والوفاء به، وما فيه من خلافات بين الأحبار والحاخامات وآراء متضادة حول ما يحرم وما يباح وما يجوز وما لا يجوز، ومن المهم عرض أهم ما جاء في هذا القسم والذي يحوي على (7) مباحث وعددا من الفصول في (342) صفحة، نقتبس أهم ما جاء فيه مختصراً على النحو التالي:

المبحث الأول: يفا موت – الأرا مل (زوجات الأخوة الذين لم يتركوا ذرية) وفيه ست عشر فصل نقتبس منه الآتي:

يتحدث هذا المبحث عن عدد من أحكام الزواج، وملخصه:

- 1- وجوب زواج أرملة الأخ المتوفى زوجها ولم يخلف ذرية منها، وينسب أول مولود منها لأخيه.
- 2- إذا رفض أخ الزوج المتوفى الزواج من أرملة أخيه تسري في حقه إجراءات الخلع (الحالوتسا) فتتقدم زوجة أخيه أمام عدد من القضاء وتخلع حذاءه وتثقل (تبصق) في وجهه ويراه الكاهن، وتتلّى عبارات مقدسة فيكون بيته معروفاً ببيت مخلوع النعل؛ لأنه رفض أن يقيم بيت أخيه.
- 3- أحكام في محارم الزوج والزوجة.
- 4- يحرم زواج المطلقة والمخلوعة من الكاهن الكبير.
- 5- الحاخام هو من يُحرّم الزوجة على زوجها لنذر لها.
- 6- أحكام من يضاجع امرأة أخيه سهواً أو ضاجعته هي سهواً، أو كانت المضاجعة منهما الاثنان عمداً.
- 7- أحكام تتعلق بالزوجة والزوج الغائب في بلاد ما وراء البحر وقت السلم والحرب.
- 8- أحكام تتعلق بأخ الزوج البالغ من العمر تسع سنوات ويوم واحد إذا ضاجع زوجة أخيه الأرملة (1).

المبحث الثاني: كتوفات – عقود الزواج – وفيه ثلاثة عشر فصل نقتبس منه الآتي:

يختص هذا المبحث بإجراءات الزواج وتوثيقه وبيان الحقوق والواجبات المتعلقة به، وما يتوجب فعله إذا رفض الأب الزواج، وملخص ما تضمنته فصوله:

- 1- أحكام تتعلق بكتوفات (مهر المرأة) العذراء ضعف الأرملة.
- 2- أحكام تتعلق بالمرأة التي تمتنع عن مضاجعة زوجها، يخصم مقدار معين من كتوفاتها (مهرها).
- 3- تفرض غرامة من يضاجع: الابنة غير الشرعية. اليهودية السامرية. المتهودة. الأسيرة التي يقل عمرها عن ثلاث سنوات. أخت العمة. أخت الخالة. أخت الزوجة. زوجة العم الحائض.
- 4- مَنْ لا يُفرض عليهم غرامة من مضاجعتهم الفتيات: (المتهودة، الأسيرة، الجارية) اللاتي تم فداؤهن أو تهودن أو تحررن وأعمارهن أكبر من ثلاث سنوات ويوم واحد.

- 5- أحكام تتعلق بحالات اغتصاب المرأة والزواج بها من الغاصب لها.
 - 6- أحكام تتعلق بتعويض المغتصبة عبر المحكمة، وما يحكم به من تعويض ولمن يولى.
 - 7- أحكام تتعلق بالمعاشرة (المضاجعة) الزوجية والأوقات التي يتوجب فيها القيام بالمضاجعة، حسب الأعمال، وهي: - العاطلون عن العمل: يومياً - العاملون: مرتين في الأسبوع - الحمارون: مرة واحدة في الأسبوع - الجمالون: مرة واحدة في الشهر - البحارة: مرة واحدة كل ستة شهور.
 - 8- أحكام تتعلق بمال الزوجة، وحق الزوج في الانتفاع بأرباح هذا المال.
 - 9- أحكام تتعلق بكتوفات المرأة (مهرها)، إذا كان الرجل متزوجاً من أربع نساء⁽¹⁾.
- المبحث الثالث: نذاري - النذور وفيه احد عشر فصل نقتبس منه الآتي:**

يبين هذا المبحث الأحكام الخاصة بالنذور من حيث شكلها ونوعها وكيفية أدائها أو إلغائها وما يترتب على ذلك، كما يتحدث عن طريقة نذور النساء وأنواعها وكيفية تنفيذها بواسطة الحاخام أو إبطالها عن طريق الأب أو الزوج، ونوجزها فيما يلي:

- 1- تنفذ جميع النذور بمجرد التلفظ بها.
- 2- من ينذر على زوجته بالقول: أنت علي كظهر أمي يبحثون له عن مخرج.
- 3- يسري الحكم الأشد بالنذر المجرد.
- 4- أبطل الحاخامات نذور التحفيز ونذور المبالغة، ونذور الخطأ والنذور الاضطرارية.
- 5- أحكام الممنوع من النذر.
- 6- أحكام من ينذر بشيء من الأكل أو الشراب أو العمل وما يباح له.
- 7- أحكام ما يحرم على من ينذر.
- 8- إذا نذرت الفتاة المخطوبة فلأبيها وزوجها أن يبطلا نذرها.
- 9- أحكام النذور الأبدية⁽²⁾.

المبحث الرابع: نازير - النذر - الناسك وفيه تسع فصول نقتبس منه الآتي:

أهم ما جاء في هذا المبحث هو أن رجل الدين اليهودي جعل من الحرام والحلال، وما يجوز وما لا يجوز عمل روتني يومي يطلقه متى يشاء وكيف عنه متى شاء سواء كانت هذه الأفعال والأعمال على نفسه أو على الأشياء المتناولة له في حياته وفقاً لنذر أو نسك قام به.

- 1- تعد كل كفايات النذر كالنسك.
- 2- ينفذ كل ما ينسك به أو بما تلفظ به.
- 3- ينعقد التنسك بمجرد التلفظ به.
- 4- من تلفظ خطأ بأن يوقف للهيكل فإنه ينعقد ويلزم بذلك.
- 5- تحرم على الناسك النجاسة والحلاقة وكل ما ينتج من الكرامة (العنب).
- 6- الكاهن والناسك لا ينتجسان من أجل موتى أقاربهما.

(1) انظر التلمود. قسم النساء. مبحث 2. من ص 99 - ص 152.

(2) انظر التلمود. قسم النساء. مبحث 3 من ص 153 - ص 202.

7- ليس على الغريب من الجويم نسك ولا على النساء والعبيد(1).

المبحث الخامس: سوطا - الخائنة (التي يشك زوجها في سلوكها) وفيه تسع فصول نقتبس منه الآتي:

يركز هذا المبحث على قضية حساسة تتعلق بعلاقة الشك بين الزوج وزوجته، واتهامها بالفاحشة، حيث يقوم بتحذيرها أمام شهود، ثم يقوم بسقيها ماء اللعنة المر والعقوبة القاسية البشعة في معالجة هذا الأمر، أن يقوم بربطها من أعلى صدرها بحبل مصري، ويقوم الكاهن بتطبيق العقوبة وفقاً لما ورد بالتوراة أمام شهود وقضاة على أنها خائنة لمجرد الشك بها فقط، ثم يتحدث عن أحكام مباركة الكهنة للجمهور. ويليه عرض أحكام الخروج للحرب، ويذكر في آخر فصول هذا المبحث أحكاماً تتعلق بالمقتول الذي وجدت جثته قرب المدينة أو المحل، ولا يعرف القاتل، وهي ما تعرف بالقسامة بفقهاء المذاهب الإسلامي، ويلخص بالنقاط التالية.

1- على الرجل الذي يغار على زوجته أن يحذرهما من الاختلاء أمام شهود.

2- تسقى ماء اللعنة المر أمام القضاء، وينفذ فيها الحكم بشهادة واحد أو اثنين بأنها قد تنجست.

3- الكاهن الممسوح للحرب يتحدث للشعب باللغة المقدسة.

4- تتلى فقرات العجلة مكسورة الرقبة (أنثى العجل) باللغة المقدسة في حالة وجود قتيل لا يعلم قاتله(2).

المبحث السادس: جطتن - وثائق الطلاق وفيه تسع مباحث نقتبس منه الآتي:

يتعلق هذا المبحث بالأحكام التي تخص وقوع الطلاق وشروطه وكيفية توثيقه وكتابته بأي حبر أو علامة تصلح لكتابة الأحرف، وما يجوز من التلفظ بالطلاق، وما لا يجوز، ومواعيد الطلاق وأنواع الطلاق دون مراعاة لرأي المرأة، وإخراج مهر المرأة من أدنى ما يملك الزوج من الأرض ولا يجوز طلاق الرجل البائن من الموت والطلاق الضمني أو الطلاق بالإشارة وجاء في أحكام الطلاق:

1- من يحضر وثيقة طلاق من وراء البحر، يجب أن يشهد أنها كتبت أمامه ما لم فتعد باطلة.

2- يتساوى أمر وثائق طلاق النساء، ووثائق تحرير العبيد، من حيث حملها من مكان لآخر.

3- تعد أية وثيقة طلاق يشهد عليها سامري باطلة.

4- للزوج أن يرجع عن طلاقه، كما يحق له الرجوع عن تحرير عبده.

5- من أرسل وثيقة الطلاق لزوجته، وأعقبها بمبعوث فإنها تبطل.

6- من كان نصفه عبداً، ونصفه الآخر حراً؛ فإنه يخدم سيده يوماً ونفسه يوماً.

7- من يطلق زوجته لسوء السمعة فلا يردها، وإن طلقها من أجل النذر فلا يردها.

(1) انظر التلمود. قسم النساء. مبحث 4 من ص 203 - ص 236.

(2) انظر التلمود. قسم النساء مبحث 5 من ص 237 - ص 280

- 8- من يطلق زوجته لكونها عاقراً فلا يردها.
- 9- تُخرج الرهونات والديون والتعويضات من أجود الأرض بينما كتوفا المرأة (المهر) من أدناها.
- 10- أحكام تسليم وثيقة الطلاق عبر المبعوث بها.
- 11- لا يعول على طلاق المريض ولا على شرط.
- 12- يحرم الطلاق الضمني⁽¹⁾.

المبحث السابع: قدوشين - الخطبة وفيه أربعة فصول نقتبس منه الآتي:

ورد في بداية الفصل الأول من هذا المبحث أن المرأة تُقَتَّى (تتكح) لزوجها بثلاث طرق: الأولى: بالنقود (المال). الثانية: بالوثيقة (عقد الزواج). الثالثة: بالدخول بها، ولو غصباً. وتخطب المرأة لنفسها مباشرة أو عبر مندوب لها. وحدد حق الزواج في إطار ما يجوز لكل فئة من فئات المجتمع اليهودي ومستواها الطبقي الذي يحدد ما يجوز لها ولغيرها، كزواج الكهنة واللاويين، وزواج غيرهم من الإسرائيليين وفئات الحلالين والمتهودين والمحمرين والأبناء غير الشرعيين والناثنيين ومجهولي النسب واللقطاء، كما تحدث هذا المبحث عن مراسيم الخطبة، وما يترتب على الخطبة من أحكام وحقوق وواجبات. وفيه أحكام اقتناء العبيد والأراضي والعقارات والحيوانات بعقود شرعية، ويمكن تلخيص ما ورد فيه بالنقاط التالية:

- 1- تُقَتَّى المرأة بثلاث طرق، بالمال، ووثيقة الكتوفا عقد الزواج، والدخول بها.
- 2- يُقَتَّى العبد والأمة العبراني والكنعاني بالمال وبوثيقة البيع.
- 3- تشتري البهيمة الضخمة عن طريق الإمساك بها، والهزيلة عن طريق السحب.
- 4- تشتري الممتلكات الثابتة ذات الضمان بالنقود، أو بوثيقة البيع أو بالحيازة.
- 5- يخطب الرجل المرأة بنفسه أو عن طريق مبعوث، حتى ولو كان بتمرة أو بكاس الخمر أو بدينار.
- 6- أحكام خطبة المرأة لأكثر من شخص (الخطبة على الخطبة).
- 7- يجوز زواج الكهنة واللاويين والإسرائيليين من بعضهم البعض.
- 8- يجوز زواج اللاويين والإسرائيليين والحلالين والمتهودين والمحمرين من بعضهم البعض.
- 9- يجوز زواج المتهودين والمحمرين والأبناء غير الشرعيين والناثنيين ومجهولي النسب واللقطاء من بعضهم البعض.
- 10- مَنْ يُحَرِّم دخولهم في جماعة الرب يجوز لهم أن يتزوجوا من بعضهم البعض.
- 11- ابن الحلال الذي ينجبه الكاهن من امرأة لا تحل له، وإذا تزوج الإسرائيلي من الحلالة فإن ابنته تصلح للزواج من طبقة الكهنة⁽¹⁾.

(1) انظر التلمود. قسم النساء مبحث 6 من ص 281- ص 318

مجلد القسم الرابع: نزيقين (الأضرار) وفيه عدد من المباحث:

قسم نزيقين (الأضرار)، هو رابع قسم في التلمود جاء في أوله تعريف كلمة نزيقين الأرامية وتعني الأضرار، التي تنتج عن التعاملات بين الأفراد. ثم تحدث في بقية المباحث، وما فيها من فصول عن أنواع المحاكم والقضاء، وتشكيل المحكمة العليا والاختصاصات المنوطة بها، وما يشتمل كذلك على تحديد العقوبات: كالرجم والحرق والخنق والجلدات وأيضاً المباحث الخاصة بالحلف والإيمان والشهادات والعبادات الوثنية والإباء، والقرارات ومجموعة من الوصايا، والتعليقات واقتناء التوراة، ويعالج في مجمله جانبين: جانب مدني وآخر عقابي، ومن المهم عرض أهم ما جاء في هذا القسم والذي يحوي على (10) مباحث وعدداً من الفصول في (341) صفحة، نقتبس أهم ما جاء فيه مختصراً على النحو التالي:

المبحث الأول: بابا قاما - وفيه عشر فصول نقتبس منه الآتي:

(بابا قاما): كلمة أرامية معناها الأحكام الخاصة بالأضرار التي يسببها الشخص لغيره عن طريق شيء يملكه، كما هو معروف بقواعد القانون المدني التعدي باستخدام الحق. ويمكن أن نوجزه فيما يلي:

1- التعويض عن الضرر يكون من أطيب ما يملك محدث الضرر من أرضه، سواء كان فعل الضرر من الشخص نفسه، أو من بهيمته المشهودة، ويعود تقدير الضرر بالنقود للمحكمة.

2- ذُكِرَ في هذا المبحث تفاصيل دقيقة لنوع الضرر وحجمه الذي يسببه الإنسان أو الحيوان، ومنها: من نطح الثور - قفز الديكة - الضأن الماعز وقيامها بالتخريب - من يشعل النار بملك غيره - خروج شرار النار من ضرب المطرقة - من يحفر بئراً دون أن يغطيها - ترك القدر في الملكية العامة - إخراج القش - إخفاء الزجاج والشوك - طرح روث البهائم - نطح ثور بقرة أو ثيران آخرين - وإذا كان الثور مقدساً - وإذا كان ثور الإسرائيلي - وإذا كان ثور الغريب أو المتهود أو المعتوه أو الأصم - وإذا نطح الثور إنساناً، وغيرها مما ورد في الفصل الأول حتى الفصل السادس. واختتم هذا المبحث بما جاء من خلافتات أحبار وحاخامات اليهود حول أحكام هذه الفصول المتعددة.

3- تعويضات الضرر المضاعفة بضعفين أو ثلاثة أو أربعة إضعاف أو بخمسة أضعاف، وركز في قيام مفهوم الضرر على: مقدار الضرر - مقدار الألم من الضرر - العلاج من الإصابة من الضرر - التعطيل بسبب الضرر - الضرر من خدش الحياة يرتبط بمكانة من يقع عليه: كالأعمى والنائم. (2)

(1) انظر التلمود. قسم النساء. مبحث 7 من ص 319 - ص 342.

(2) انظر التلمود. قسم الأضرار. مبحث 1 من ص 31 - ص 68

المبحث الثاني: بابا مصيعا - الباب الأوسط وفيه عشر فصول نقتبس منه الآتي:

بابا مصيعا: كلمة آرامية الأصل، ومعناها الأحكام الخاصة بحقوق المستأجر والمؤتمن والمستعير ومسؤولياتهم، وأهم ما جاء في هذا المبحث:

1- في الفصل الأول والفصل الثاني أحكام خاصة باللقطة: مَنْ يجد اللقطة فهو أحق بتملكها، ويجوز التعريف بها. ومن أنواع اللقطات: الشال (قطعة قماش) - سند الدين - وثيقة طلاق أو خلع - فاكهة مفروطة - خبز - نقود - إناء في قمامة - حمار - بقرة - ثور - مألوف وغير مألوف.

2- أحكام خاصة بالوديعة، سواء كانت بهيمة، أو مال (نقود) وغيره.

3- قواعد تبادل المعادن والنقود؛ الذهب يقتني الفضة. الفضة لا تقتني الذهب. النحاس يقتني الفضة. الفضة لا تقتني النحاس. فالغالي يقتني الرخيص، والنقود الرديئة تقتني الصالحة، والعملة المحققة تقتني العملة المنقوشة، والعملة المنقوشة لا تقتني العملة المحققة، وهكذا.

4- أحكام الغش التجاري في عقود البيوع وتبادل النقود والمعادن والثمار، وخطل الخمر بالماء.

5- أحكام الربا والمرابحة، والاقتراض والتعاملات التجارية بين اليهود، ومع الغريب والمتهود.

6- أحكام خاصة بالعمال والحرفيين وأجورهم، والبهائم: (حمار، ثور، بقرة) بضمان أو بدون ضمان.

7- أحكام خاصة بالاستئجار والإعارة، سواء كانت بقرة أو حقلاً للزراعة.

8- أحكام خاصة بالأضرار غير المباشرة، وفعل السببية في سقوط المنزل أو حائط على ساكنيه. (1)

المبحث الثالث: بابا بترا - الباب الخير وفيه عشرة فصول نقتبس منه الآتي:

بابا بترا: كلمة آرامية وتعني الأحكام المالية والتجارية بين الأفراد والملكيات المشتركة وأحكام المواريث والسندات، وأهم ما ورد في هذا المبحث:

1- أحكام بشأن حائط البناء بين الجيران والحدائق والحقول ومداخل السكن وحفر الآبار والمغارات. شروط غرس الأشجار جوار الآبار، ووضع برج الحمام، وحقوق الملكية بالحيازة والإرث والشراء.

2- أحكام عقد البيع لجميع أنواع البيوع من المنازل وملحقاتها، الآبار، المغارات، السرايب، الحقول والمزارع، بيع المدن وغيرها.

3- أحكام بيع المنقولات وما يتبعها، مثل: السفن وما يتبعها، البقرة والعجل، الأتان والجحش، مقلب القمامة، النحل، برج الحمام، الأشجار داخل الحقل، بيع رأس البهيمة دون الأرجل، القمح، الخمر.

(1) انظر التلمود. قسم الأضرار. مبحث 2 من ص 68 - ص 106.

- 4- أحكام المواريث: من يرث، من يورث، من لا يرث، من يُحجَب من الميراث، نصيب الابن البكر. لا ميراث للبنات بوجود الولد. إذا كانت الممتلكات كثيرة (التركة)، فالأبناء يرثون والبنات يتعيشن (ولا يرثن)، وإذا كانت الممتلكات قليلة (التركة)، البنات يتعيشن والأبناء يتسولون.
- 5- أحكام خاصة بالوصية، منها: جواز تقسيم المورث لتركته أثناء حياته. الوصية نافذة بحق الموصى لهم من الورثة. للصغار من الأولاد والبنات حق الزواج مثل الكبار.
- 6- أحكام الوثائق والعقود، منها: الوثيقة المستقيمة والمربوطة وأنواعها، وثيقة الطلاق، والخطبة والدين⁽¹⁾.

المبحث الرابع: السهدرين - المحكمة العليا وفيه أحد عشر فصل نقتبس منه الآتي:

السهدرين، كلمة يونانية، يرى بعض علماء اليهود أنها: آرامية، ومنهم من يرى أنها: عبرية، وتعني مجلس الشيوخ، المحكمة العليا، مجلس القضاء الأعلى. ومما ورد في هذا المبحث:

- 1- أحكام تتعلق بتشكيل المحاكم المكونة من ثلاثة قضاة واختصاصاتها، ومن القضايا التي تختص بها: قضايا الأموال، قضايا السلب والتخريب، قضايا الأضرار والعقوبات المضاعفة، قضايا الاغتصاب، قضايا تنفيذ عقوبات الجلد، قضايا كبس الشهر القمري، والسنة القمرية، قضايا أرملة الأخ وخلعها حذاء أخ زوجها المتوفى.
- 2- أحكام تتعلق بتشكيل المحاكم المكونة من ثلاثة عشر قاضياً واختصاصاتها، ومن القضايا التي تختص بها: الإعدام لمن يضاجع البهيمة، الثور، الثور المرجوم، صاحب الثور المشهور بالضرر الذي تسبب بالقتل.
- 3- أحكام تتعلق بتشكيل المحاكم المكونة من واحد وسبعين قاضياً، واختصاصاتها، ومن القضايا التي تختص بها: إعدام من يدان بالوثنية، إعدام النبي الكاذب، الإذن بشن الحروب التوسعية لليهود.
- 4- أحكام خاصة بالكاهن، منها: يقاضي غيره ويقضى ضده، يشهد له أو عليه، لا يتزوج أرملة أخيه، لا يخرج بجنابة قريب له.
- 5- أحكام خاصة بالملك، منها: لا يتقاضى له ولا ضده، لا يشهد له ولا عليه. لا ينفذ إجراءات الخلع ولا يُزوج زوجته لأخيه. يتزوج الملك أرملة الملك. لا يخرج من باب قصره لموت قريب له. يخرج للحرب بإذن المحكمة العليا. يتزوج من النساء ثماني عشرة امرأة. لا يركب أحد حصان الملك أو يجلس على كرسيه.
- 6- أحكام تتعلق بتنفيذ بعض العقوبات، منها:
- عقوبة الرجم: تنفذ برجم المتهم من مسافة عشرة أذرع، ويجوز أن يعلق للرجم كما تعلق الجزور على لوح، ولا يجوز تعليق المرأة.

(1) انظر التلمود. قسم الأضرار. مبحث 3 من ص 107- ص 146.

- عقوبة الحرق: يغرس المدان في القمامة حتى ركبتيه ويربط عنقه بشال ويفتح فاه بملقط، رغما عنه ويشعل أحدهم النار بالفتيل ويلقيه فيه فتتنزل إلى معدته فتحرق معدته وأمعاءه.

7- ما سيؤول إليه اليهودي بعد وفاته: من لا يدخلون الجنة، ومنهم: منكر التوراة، من ينطق اسم (الله) بحروفه، الملوك الثلاثة (يربعام، أخاب، منسي)، جيل الطوفان، أهل المدينة المارقة.⁽¹⁾

المبحث الخامس: مكوت: الجلدات وفيه ثلاثة فصول نقتبس منه الآتي:

يضم هذا المبحث أحكام الجلد، ضمن الجانب العقابي الجنائي، وكيفية تنفيذ العقوبة، ومقدار العقوبة وتعداد الجرائم وأنواعها، ومنها:

1- عقوبة الجلد بالضرب أربعين جلدة على عدد من الحالات، منها: شاهد الزور - من يضاجع أخته وأخت أبيه (عمته) وأخت أمه (خالته) وأخت زوجته، وزوجة أخيه وزوجة أخ ابنه - الحائض - الكاهن الكبير إذا تزوج أرملة - الكاهن العادي إذا تزوج مطلقة - الإسرائيلي إذا تزوج ابنة زنا أو وثنية - الإسرائيلية إذا تزوجت النتن أو ابن زنا - النجس الذي يأكل من الأشياء المقدسة، ومن يدخل الهيكل وهو نجس، ومن يأكل الشحم أو الدم - من يأكل خميراً في عيد الفصح - من يقوم بعمل بعيد الغفران - من يخلط زيتاً مقدساً وبخوراً مقدساً ومن يمسح بالدهن المقدس - من يأكل من الحشرات والزواحف - من يأكل من محصول لم يخرج عُشره - من يأكل من بواكير ثماره دون أن يقرأ عليها - من يحلق رأسه صلماً أو يقلم جانبي لحيته حزناً على ميت - من يكتب وشماً على جلده - من يحرق بثور وحمار مكرسان للرب - من يزرع بذوراً مختلفاً بحقل واحد.

2- يتم الجلد بسوط من جلد العجل مطوياً مرتين (سوط)، له مقبض بعد أن يقيد المدان على عمود من الناحيتين، ويجلد بيد واحدة، وبكل قوة ثلث من أمامه على صدره، والثلث من خلفه على كتفيه، وهو مائل، ويطرحه القاضي، ثم يتلو من الشريعة المكتوبة.

3- أحكام بعقوبة النفي وأماكن المنفي نذكر منها: ثلاثة أماكن شرق نهر الأردن، وثلاثة أماكن في أرض كنعان، وذلك لمن يقتل خطأ، ومن تسبب في قتل آخر، ومن سب أباه وأمه⁽²⁾.

المبحث السادس: مبحث شفوعوت - الإيمان وفيه ثمانية فصول نقتبس منه الآتي:

أهم ما فيها: اليمين، والتأكد من صحة الحلف، كفارة الحلف كل، وأحكام الحلف الكاذب واللغو بالإيمان، وإجراءات الحلف أمام المحكمة، وأحوال حلف الأصم والأبكم والصغير، وأحكام حلف الحراس وغيرهم.⁽¹⁾

(1) انظر التلمود . قسم الأضرار . مبحث 4 من ص 147- ص 190.

(2) انظر التلمود . قسم الأضرار . مبحث 5 من ص 191 - ص 208.

المبحث: السابع: عيديوت - الشهادات وفيه ثمانية فصول نقتبس منه الآتي:

- 1- اتفاق غالبية الأحبار على أن حفظ الشريعة يكون من قبل الأغلبية وأن قول الفرد لا يعول عليه ما لم يقر من المحكمة وفيه خلاف واسع بينهم.
- 2- خلافات شديدة وتضاربات بين مدارس اليهود المختلفة والحاخامات وشهاداتهم حول ما يحرم وما يحلل وما يجوز، وما لا يجوز في المسائل منها نذكر الآتي: نجاسة المرأة بروية الحيض - كاب القمح الذي يقدم قربان - نجاسة الجثة - فك السليع من نقود - سقوط غطاء رأس العروس - المصاب بالسيلان ونجاسته - حكم الزوجة التي تأتي من وراء البحر مدعية بموت زوجها - من كان نصفه عبداً ونصفه الآخر حراً - جلد البهيمة المقدمة للهيكل - البيضة المخفوقة والبيضة على شكل قبة - من ينظف قريح يوم السبت - باطن البطيخ - الحصير الخشن يتنجس بالميت - الكتكوت إذا خرج من البيضة - من ينذر ألا يجامع زوجته - دم الجيفة من حيث نجاسته أو طهارته - الصغيرة الإسرائيلية إذا تزوجت كاهنا ولم يضاجعها وغيرها(2).

المبحث الثامن: عهوداه زراراه - العبادة الوثنية- وفيه خمسة فصول نقتبس منه الآتي:

- يختص هذا المبحث بالأحكام المتعلقة بالوثنيين وشعائهم وطقوسهم وأعيادهم وكيفية التعامل معهم وهو ما سنوضح بعضاً منه في الآتي:
- 1- يحرم التعامل مع الجويم (الغريب) بالبيع والشراء أو الإعارة والإقراض كما يحرم التعامل معهم قرب أعيادهم بثلاثة أيام.
 - 2- الشك والريبة من التعاملات مع الجويم من كونهم يسفكون الدماء ويضاجعون النساء ويأتون البهيمة فلا يجوز للإسرائيليين أن ترضع طفل الجويم أو تولد نساء الجويم لأنها ستولد ابناً للأوثان وتعتبر أشيائهم محرمة تحريم انتفاع مثل الخمر - الخل - جلود البهائم - على اليهودي.
 - 3- الصور والرسومات والأشكال الطبيعية المصورة كالشمس والقمر والعصافير والتمائيل المنحوتة وصور الجبال كل هذه الصور تعد محرمة(3).

المبحث التاسع: آفوت - الآباء وفيه ست فصول نقتبس منه الآتي:

- هذا المبحث يتحدث عن المواعظ والوصايا الأخلاقية التي تناقلتها الأجيال الآباء للأبناء الخلف عن السلف، وهو ما سنوضح بعضاً منه في الآتي:
- 1- الإشارة إلى أن موسى تلقى التوراة عن الله من سيناء وسلمها ليشوع بن نون وسلمها يشوع للشيوخ ومنهم للأنبياء، ومن الأنبياء سلمت لرجال الكنيسة الكبرى والمأثورة عنهم ثلاثة أمور - تأنوا في الحكم- وربوا طلاباً كثيرين - وجعلوا للتوراة سياجاً، ثم تناقلت التوراة عبر كبارات علماء اليهود أمثال شمعون الصديق - وانطيجتوس

(1) انظر التلمود . قسم الأضرار . مبحث 6 من ص 209 - 240.

(2) انظر التلمود . قسم الأضرار . مبحث 7 من ص 241 - 276.

(3) انظر التلمود . قسم الأضرار . مبحث 8 من ص 277 - 298.

- رجل سوخو - ويوسي بن يوعيزر رجل صريفة - ويوسي بن يوحنان رجل اورشليم - ويهوشوع بن براحيا - ونتاي الاربيلي وغيرهم الكثير.
- 2- بعض من نصائح الأبحار والحاخامات والمدارس الفقيه حول الآتي: الخوف من الله - تعلم التوراة وحسن الخلق - عدم الاقتراب من سلطة الحكم - اعلم من أين جئت وإلى أين تصير وأنت محاسب وإلى التراب تصير حيث العفن والدود وأنتك مسائل أمام ملك الملوك القدوس تبارك - إذا جلس عشرة واشتغلوا بالتوراة فإن روح القدس تظلهم - من تسبق مخافة خطيئته لحكمته فإن حكمته قائمة - ومن رضى عنه الخلق فقد رضى الله عنه - الضحك والطيش يقودان للزنا - من زادت حكمته عن عمله كان كالشجرة كثيرة الأغصان قليلة الجذور - أعد نفسك لعبور دهليز الدنيا حتى تدخل حجرة استقبال الآخرة - ساعة سرور في الآخرة أفضل من كل حياة هذا العالم.
- 3- بعض من المتمثلات في الأقوال والحكم والعقوبات: سبعة أمور تدل على الأحمق وسبعة تدل الحكيم - سبعة أنواع من الجزاءات تحل بالعالم على سبعة آثام منها من امتنع عن إخراج العشور فسيحل الجوع والقحط والجذب و..... إلخ. - أربع درجات للمتصدقين - كل من له ثلاثة صفات من هذه (الكرم - الحلم - التواضع).
- 4- كان من تلاميذ ابينا إبراهيم ومن به الثلاثة الأخرى وهي (الحسد - التهور - الغرور) فإنه من تلاميذ البلعم الشرير (يقصد الشيطان).
- 5- فضل اقتناء وتعلم التوراة: يستحق العالم أجمع - حبيب الله - يتحلى بالحكمة - التوراة نوراً لليهودي في الآخرة(1).

المبحث العاشر: هورايت - القرارات وفيه ثلاثة فصول نقتبس منه الآتي:

ويختص بما تصدره المحكمة من قرارات عن طريق الخطأ وأحكام اتباع الجمهور لهذه القرارات وما يترتب علي مخالفتها سواء كانت هذه القرارات تتعلق بالأمور المالية أو الاحكام الخاصة بالعبادات الوثنية أو ما يرتكبه الكاهن بمفرده أو امام الجمهور من أخطاء، وما يتوجب عليه من تقديم قربان خطيئة من الكاهن أو الملك أو القائد وسواء كان القربان عنزاً أو ثوراً أو تيساً(2).

مجلد القسم الخامس: قداشيم (المقدسات) وفيه عدد من المباحث:

يختص هذا القسم من التلمود بموضوعات القرايين والتضحيات المتعلقة بالهيكل، وما يخص الكهنة من هذه القرايين، وطقوس وشعائر تقديمها. ومعظم الأحكام الواردة في مباحث هذا القسم مرتبطة ارتباطاً شديداً بوجود الهيكل، وفقاً لما أورده مترجم التلمود، كما يشمل هذا القسم جوانب عدة، ومن المهم عرض أهم ما جاء في هذا القسم والذي يحوي على (11)

(1) انظر التلمود .قسم الأضرار . مبحث 9 من ص 299- 330

(2) انظر التلمود .قسم الأضرار .مبحث 10 من ص 331- 340

مباحث وعددا من الفصول في (413) صفحة، نقتبس أهم ما جاء فيه مختصراً على النحو التالي:

- 1- حياة اليهود سخرة من أجل خدمة الكهنة، إذ يتقاسم الكاهن أعشار رزقهم وحقلهم وبواكير بهائمهم من البقرة والأتان (أنثى الحمار) والماعز والضأن وحتى طحيته وعجينه وخمره.
- 2- معظم طقوس الهيكل تتسم بالتعطش لدماء الضحية، سواء كان من البشر أو من الحيوانات، وإراقتها ورشها على أروقة المذبح، والهيكل المقدس من أجل إرضاء إله اليهود (ياهو) حسب ما يزعمون.
- 3- مجمل شعائر اليهود ومناسباتهم وأعيادهم الدينية تغطي عليها طقوس الذبح للضحية، وتقطيعها وإحراقها تقرباً لياهو إله اليهود.
- 4- تتنوع قربان التضحية، ومنها: البقرة والثور والضأن والماعز، والحمل والدجاجة والطائر والبيضة.
- 5- يعد الإنسان أحد قربان التضحية التي يجب على اليهود تقديمها للذبح، ورش دمها على الهيكل والمذبح المقدس وفقاً لما ورد في التوراة، كما في هذا بالنص: (1) وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: 2 «قَدِّسْ لِي كُلَّ بَكْرٍ، كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ. إِنَّهُ لِي (1). ويرد في نص آخر: (12) أَنْتَ تَقْدِّمُ لِلرَّبِّ كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ، وَكُلَّ بَكْرٍ مِنْ نِتَاجِ الْبَهَائِمِ الَّتِي تَكُونُ لَكَ. الذُّكُورُ لِلرَّبِّ (2). وفي النص التالي: (وقال الرب لموسى: ها إني قد أفرزت اللاويين من بين بني إسرائيل بدلاً من أبكار الشعب، فيكون اللاويون خاصتي، لأن كل بكر من شعب إسرائيل هو لي، فقد أفرزت لي كل بكر في إسرائيل من الناس والبهائم منذ أن أهلك كل بكر في ديار مصر لي يكونون أنا الرب (3)، وغيرها من النصوص الواضحة.

افتداء ذبح بواكير أبناء اليهود بذبح بواكير بهائمهم كما يرد في بعض نصوص التوراة وبعض ما ورد بهذا القسم من متن التلمود، ونذكر أيضاً نص آخر في هذا الشأن: (13) وَلَكِنَّ كُلَّ بَكْرٍ حِمَارٍ تَقْدِيهِ بِشَاةٍ. وَإِنْ لَمْ تَقْدِهِ فَتَكْسِرُ عُنُقَهُ. وَكُلُّ بَكْرٍ إِنْسَانٍ مِنْ أَوْلَادِكَ تَقْدِيهِ (4) وكذلك في هذا النص: (15) كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ يُقَدِّمُونَهُ لِلرَّبِّ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ، يَكُونُ لَكَ. غَيْرَ أَنَّكَ تَقْبَلُ فِدَاءَ بَكْرِ الْإِنْسَانِ. وَبَكْرُ الْبَهِيمَةِ النَّجِسَةِ تَقْبَلُ فِدَاءَهُ (5)، ويرد في هذا الشأن كثير من النصوص في متن التلمود، ومن المهم عرض أهم ما جاء في هذا القسم والذي يحوي على (11) مبحث وعدد من الفصول في (413) صفحة، نقتبس أهم ما جاء فيه بالآتي:

-
- (1) انظر العهد القديم – سفر الخروج
 - (2) انظر العهد القديم – سفر الخروج
 - (3) انظر العهد القديم – سفر العدد
 - (4) انظر العهد القديم – الخروج
 - (5) انظر كتاب الحياة – العهد القديم – سفر العدد

المبحث الأول: زباحيم - الذبائح وفيه أربعة عشر فصل نقتبس منه الآتي:

ويتحدث هذا المبحث عن أحكام القرايين من البهائم، والطيور المختلفة، وطرق تقديمها، كونها ذبائح مقبولة، وكيفية ذبحها، وطرق رش دمها، وإحراق بعض أجزائها ومن هذه الأحكام:

- 1-أنواع الذبائح، منها: ذبيحة قربان الفصح، الخطيئة، قربان الإثم، ذبيحة قربان السلامة، وغيرها.
- 2-تبطل جميع الذبائح لأسباب كثيرة، منها: إذا استقبل دمها أحد غير الكاهن أو كاهن حزين لوفاة قريب له، أو الغاطس نهاراً يريد التطهر، أو من تنقصه الثياب المقدسة.
- 3-تعد الذبيحة صالحة حتى من الذين لا يصلحون للذبح من غير الكهنة من النساء، والعبيد ومن الأنجاس، بشرط ألا يلمس الذابح لحم الذبيحة.
- 4-تقول مدرسة شماي: كل الدماء التي تنتثر على المذبح الخارجي إذا نثرت مرة واحدة، فقد كفرت عن مقدمها، أما في حالة ذبيحة الخطيئة فيجب أن تنتثر الدماء مرتين.
- 5-أكثر الذبائح قداسة التي تذبح شمال المذبح، ويجب أن تنتثر دماؤها بين العاضتين اللتين تحملان التابوت، وعلى ستارة قدس الأقداس، وعلى المذبح المقدس.
- 6-أحكام ذبح الطيور، يجب ذبح الطائر أسفل الخط الأحمر الفاصل في المذبح، وإذا قدمت أعلى الخط تعد باطلة.
- 7-أحكام اختلاط الذبائح الصالحة بالذبائح التي تركت لتموت، كالثور الذي ضاجع امرأة، أو البهيمة التي ضاجعها رجل.
- 8-أحكام ترتيب تقديم القرايين؛ تُقدم القرايين المستمرة والدائمة على القرايين الإضافية وهكذا.
- 9-يجوز للكهنة أن يأكلوا أجزاء من القرايين بعد رش الدم، وإحراق أجزاء منها، ويخول لهم أن يغيروا في أكلها، ليأكلوها مشوية، أو مسلوقة أو مطبوخة، ويضعوا عليها توابل عادية أو توابل تقدمة.
- 10-أحكام الكاهن الذي تنثر دم ذبيحة الخطيئة عليه؛ يجب عليه الغسل، ولا يشارك الكاهن الغاطس نهاراً الذي تنجس وأكل الأشياء المقدسة مساء.
- 11-أحكام من أحرق بقرة ذبيحة الخطيئة (الحمراء)، خارج حفرتها، وكذلك التيس الطليق في الخارج، فإنه يعفى حيث ورد، وليس عند مدخل خيمة الاجتماع⁽¹⁾.

المبحث الثاني: مناحوت: تقدمات الدقيق وفيه ثلاثة عشر فصل نقتبس منه الآتي:

هذا المبحث يتحدث عن تقدمة الدقيق والعجين ومنها مناقشة إعداد تقدمات الطعام وكذلك الشراب وقواعدها وأنواعها، كخبز التقدمة وعيد الحصاد ونورد أهم ما جاء فيها في الآتي:

- 1-كل تقدمات الدقيق التي حفنت تعد صالحة من قبل الكاهن حيث أنها تبطل إذا حفنت بواسطة أحد غير الكاهن أو بواسطة كاهن حزين.

(1) انظر التلمود .قسم المقدسات . مبحث 1 من ص 33 – ص 94.

2- كل تقدمات الدقيق تقدم غير مختمرة، وتعطي بقاياها للكهنة وتقدم الدقيق الفاخر والمخبوز علي الصاج وعلى المقلاة والأقراص والرقائق وتقدمه دقيق الجويم والنساء والمذنب.

3- تقدم كل قرابين الجماعة والفرد من المحاصيل التي تنمو في الأرض وخارج الأرض.

4- أحكام خاصة بالمكاييل للأشياء الجافة في الهيكل عشر الايفة ونصف العشر يقول رابي منير العشر وعشر آخر ونصف العشر وفيما كان يستخدم العشر كانت تكال به كل تقدمات الدقيق، وفيما يستخدم الكاهن الكبير المخبوزة على الصاج، وسبعة مكاييل للسوائل في الهيكل.

5- أحكام خاصة بكيفية تحضير خبز تقدمه الكاهن الكبير داخل ساحة الهيكل(1).

المبحث الثالث: حولين- الذبائح الدنيوية وفيه اثني عشر فصل نقتبس منه الآتي:

يتحدث هذا المبحث عن الذبائح الدنيوية التي تذبح في المناسبات العادية فيوضح ما يحل وما يحرم منها وطرق الذبح الشرعية في الديانة اليهودية والمأخوذة من الأجزاء التي تجيز الشريعة أكلها، كما يتعرض المبحث للأحكام الخاصة بالفريسة وهبات الكهنة وكيفية تقديمها حسب ما أورده المترجم.

1- يجوز ان يقوم الكل بالذبح وبكل ادوات الذبح من غير منجل الحصاد والمنشار والاسنان وما عداء ذبح الاصم والمعتوه والقاصر.

2- يجوز اكل جنين البهيمة متعسر الولادة أو جزء منه مع مشيمته ولا يجوز ذبح البهيمة وابنها بيوم واحد ويجب تغطية دم الذبيحة بالتراب ويحرم اكل عرق النساء ويعطى للغريب ويحرم طهي اللحم باللبن.

3- حكم اعطاء الكهنة اجزاء من الذبيحة منها الساعد – والفكين – والكرش – واول حزة للصوف من الاغنام(2).

المبحث الرابع: بكوروت – الأبكار وفيه تسعة فصول نقتبس منه الآتي:

في هذا المبحث أحكام وقوانين متعلقة بالمواليد البكر من الحيوانات المختلفة، ومن الإنسان ومنها:

1- أحكام بكور الإنسان اليهودي: تكون للرب قرباناً، إله (ياهو) وفقاً لما ورد في بعض نصوص التوراة مع وجود نصوص من التوراة افتدت قربان بكور أبناء اليهود بما يقدمونه من البهائم.

2- أحكام بكور الحيوانات من: أتان الحمار، والبقرة والضأن والماعز. ومن كل أنواع البهائم التي تلد مثيلاتها تكون قرباناً للرب، وإذا اختلف مواليدها تعفى من التقديم، وعلى اليهودي الاعتناء به، وتسليمه بكر بهيمته للكاهن بعد ثلاثين يوماً من غير أن يكون به عيب وإذا ظهر به عيب يباع.

(1) انظر التلمود. قسم المقدسات. مبحث 2 من ص 95- 156.

(2) انظر التلمود. قسم المقدسات. مبحث 3 من ص 157 – 202.

3-شروط قبول الشخص بوظيفة (الكاهن)، منها: ألا يكون مطرق الرأس أو أصلع، ولا أفتس ولا ذا شفتين متدليتين، ولا متضخم القضيب، ولا منفوخ الخصيتين، ولا أعرج، ولا أسود ولا أحمر ولا أمهق، ولا طويل القامة أو قزم، ولا أصم أو معتوه أو أبرص(1).

المبحث الخامس: عراخين – التقديرات: وأهم ما ورد فيها الآتي:

1-جواز تقديم جميع الكهنة والأوبيين والإسرائيليين والنساء والعبيد نذورهم ونذور الآخرين للهيكل عن طريق الآخرين بأنفسهم، لا يقل النذر عن النفس عن سميع، ولا يزيد عن خمسين سميعاً.

2-أحكام الناذر والمنذور (القرايين)، ووقت التقديم وافتراضات النذور، وعلى من أنذر نذراً أن يفي بما أنذر، كأن ينذر أحدهم نذراً وزنه ذهب أو فضة أو أي شيء آخر وهكذا.

3-أحكام تقدير ممتلكات الأيتام؛ ويتم عن طريق المحكمة، وفي غضون ثلاثين يوماً، أما تقديرات الحقل المكرس للهيكل يتم في غضون ستين يوماً، والملاك يدفعون (الخمس).

4-الوقف: يجوز للإنسان أن يوقف للرب من ضأنه، ومن بقره ومن عبيده، وإمائه الكنعانيين، ومن حقله الموروث، ومن يوقف للرب ابنه أو ابنته أو عبده أو أمته من العبريين، أو حقله المشتري فجميعهم لا يعد موقوفاً؛ لأنه لا يجوز أن يوقف الإنسان شيئاً ليس له، ولا يجوز أن يوقف الكاهن واللاويون للرب شيئاً؛ لأن الأوقاف هي في الأصل لهم.

5-لا فداء للأوقاف التي يستخدمها الكهنة، وإنما تمنح لهم والأوقاف المجردة دون شرط تمنح لخزينة الهيكل؛ لأن كل وقف هو قدس أقداس الرب، ويجوز للكهنة. (2)

المبحث السادس: تموراه – البذل (العوض) وفيه سبعة فصول نقتبس منه بالآتي:

1-أحكام استبدال جميع البهائم العادية والمقدسة من جميع الرجال والنساء ويجوز للكهنة استبدال ما يخصهم من الإسرائيليين من ذبيحة الخطيئة والأثم والبكر، كما يجوز استبدال أنواع القرايين البقر بالمعاز والضأن بالبقر والذكور بالإناث ولا يصلح استبدال الأعضاء بالأعضاء وهكذا.

2- أحكام خاصة بقرايين الفرد وقرايين الجماعة وذبائح السلامة وتقدمة الخمر وتقديم الصدر والفخذ من الذبيحة للكاهن، ويجوز تقديم مولود ذبيحة الشكر ويجوز تقديم بدل بكر البهيمة وعشرها.

3-أحكام خاصة بالبهائم التي يحرم تقديمها للهيكل منها:

أ- الثور الذي ضاجع امرأة.

ب- البهيمة التي ضاجعها رجل.

(1) انظر التلمود. قسم المقدسات. مبحث 4 من ص 203 - 246.

(2) انظر التلمود. قسم المقدسات. مبحث 5 من ص 247 - 278

ج- البهيمة التي ذبحت لصنم أو عبادة وثنية.

د- البهيمة الناتجة من هجين⁽¹⁾.

المبحث السابع: كريتوت - القطع وفيه ستة فصول نقتبس منه الآتي:

1- هناك ستة وثلاثين حالة (عقوبة) قطع وردت في التوراة نذكر منها الآتي:

أ- من يضاجع أمه.

ب- من يضاجع زوجة أبيه، ومن يضاجع كنته (حماته).

ج- من يضاجع ذكراً مثله.

د- من يضاجع بهيمة، ومن يضاجع امرأة وابنتها.

هـ- المرأة التي تضاجع ثوراً.

و- ومن يضاجع أخته.

ز- من يضاجع عمته أو خالته.

ح- من يضاجع أخت زوجته أو زوجة أخيه.

ط- ومن يجدف علي اسم الرب.

ي- ومن يعبد الأوثان.

ك- ومن يدنس السبت.

ل- ومن يأكل شحم بهائم المحرقات أو يأكل الدم.

وهناك والدات يأتين بقربانا يؤكل عن طريق الكهنة وهناك من يأتين بقربانا لا يؤكل وهناك من يأتين بقرابين غالباً ما يكونون بسبب أمراض السيلان والأبرص وهناك من يأتي بقربان تعمدهم الخطيئة من يضاجع جارية والنذير الذي تنجس ومن يكذب في يمين الشهادة ومن يكذب في يمين الوديعة ومن أكل الشحم فعليه احضار ذبيحة الخطيئة.

القياس: أحكام القياس وردت في كثير من القضايا والتي قام الأحبار بتطبيق القياس لعقوبات تم تنفيذها على اشخاص اقترفوا جرائم بحق غيرهم كمن يضاجع عدت مرات بسهولة واحد أو من يذبح خمس ذبائح بسهولة واحد وغيرها⁽²⁾.

المبحث الثامن: معيلا - تدنيس الاشياء المقدسة وفيه ستة فصول نقتبس منه الآتي:

1- أحكام تتعلق بتدنيس الذبائح التي ذبحت في الجهة الجنوبية من ساحة الهيكل أو في الجهة الشمالية من الهيكل أو التي ذبحت نهاراً ونثرت دماؤها ليلاً وهكذا.

2- أحكام تتعلق بتنظيم مقدسات المذبح، وكذلك المقدسات الخاصة بخزانة الهيكل وتشمل أكثر من خمسة أشياء في المحرقة معاً اللحم والشحم والدقيق الفاخر والخمر والزيت والخبز وتقديم العشر الثاني والعشر المشكوك والعجين وبواكير الثمار ويوجب عليها تقديم الخمس، وتتضمن جميع الذبائح الفاسدة والجيف تتساو نجاسته.

(1) انظر التلمود. قسم المقدسات. مبحث 6 من ص 279 - 302

(2) انظر التلمود. قسم المقدسات. مبحث 7 من ص 303 - 330.

3- إذا دنس المبعوث الأشياء المقدسة فإن صاحب البيت يدان وغيرها من الاشتراطات(1).

المبحث التاسع: تاميد - التقديم اليومية وفيه سبعة فصول نقبس منه الآتي:

وفي هذا المبحث يستعرض أماكن الهيكل المقدس ومكوناته وتقسيماته من حجرة وأروقته وساحاته وحراسته وطقوس اشعال البخور وأهم حجرة هي - حجرة افطيناس حيث يشعلون البخور - حجرة الذهب - وحجرة التدفئة وأخيراً المطهر (المغتس) الذي يظهر الكاهن الذي يتنجس.

1- تظهر وظيفة لشخص يطلق عليه (المشرف)، وهو كاهن وما يقوم بالقرعة للكهنة لمن يفوز بأعمال نظافة رماد المذبح المقدس.

2- كما يقوم المشرف بفتح الباب الصغير ويدخل الكهنة خلفه وفريق منهم يتجه شرقاً والآخر يتجه غرباً، ثم يبدأون برفع كومة الرماد عن المذبح المقدس.

3- المشرف هو من يقترح لمعرفة من يذبح ومن يرش الدم ومن ينظف رماد المذبح، وللقيام بكل أعمال احضار حمل الفحص ثم بيان مفصل بكيفية الذبح ورش الدم وتقطيع الذبيحة وأخذ الشحم والكراعين للحرق.

4- يصل الفائز إلى الباب الصغير الشمالي وكان للباب الكبير بابان صغيران أحدهما في الشمال والآخر في الجنوب ولم يدخل من باب الجنوب أحد على الاطلاق وعنه يفسر حزقيال: وقال لي الرب: سيضل هذا الباب موصداً لا يفتح ولا يدخل منه إنسان، لأن الرب إله إسرائيل قد اجتاز منه، لذلك يضل موصداً.

5- قال المشرف لهم: باركوا بركة واحدة وهم يباركون، قراءوا الوصايا العشر والشمع "وقال الرب، لموسى (وباركوا الشعب ثلاث مرات " الحقيقة والأمان وخدمة الهيكل، وبركة الكهن).

6- وطقوس المشرف مع الكهنة مستمرة بإدخال كهنة جدد ويسلموا الكهنة الذين لم يفوزوا ملابسهم لخادمي الهيكل ومن فاز بتقديم البخور ومن فاز بالمجمرات الفضية يبدأ بعمل الطقوس.

7- وإذا وصلا الكاهنان بين الرواق والمذبح يأخذ أحدهما اللاغون ويرمي بين الرواق والمذبح لا يسمع أحد صوت صاحبه ومن بعد خروج المشرف وبقية الكهنة يبدأ الكاهن الكبير ومن معه من الكهنة طقوسهم من احراق التقديمات اليومية وطقوس الشوي وتقديم الخمر ونشيد اللاويين ثم الفخ بالبوق والسجود(2).

المبحث العاشر: ميدوت - المقاييس وفيه خمسة فصول نقبس منه الآتي:

يتحدث هذا المبحث عن الجانب المعماري للهيكل وتقسيماته ومن الذين يقومون بحراسته من اللاويين ووظيفة مراقب الهيكل والمحافظة على بقاء النار مشتعلة على الدوام وأبواب

(1) انظر التلمود. قسم المقدسات. مبحث 8 من ص 331 - ص 352.

(2) انظر التلمود. قسم المقدسات. مبحث 9 من ص 353 - 374.

الهيكل المتعددة بالاتجاهات ولكل باب وظيفة وما يشتمل عليه الهيكل من حجرة منها للتدفئة والقربان وتقديمات الدقيق والخبز والغطس والتطهير ثم يتكلم عن المساحة الإجمالية للهيكل وساحة النساء ومساحة المذبح وتكويناته ووصف الهيكل المطلي بالذهب والأشياء المستخدمة في بناءه(1).

المبحث الحادي عشر: قنيم- الاعشاش (ذبائح الطيور) وفيه ثلاثة فصول نقتبس منه الآتي:

يتحدث هذا المبحث عن تقديمات الفقراء الذين لا يستطيعون تقديم الذبائح والمقرر على الفقراء تقديم قرابين من الطيور، وقد حدد أين يذبح الطير ويرش دم الطائر بمكان مخصص ما لم، لن يقبل كتقدمة(2).

مجلد القسم السادس: طهاروت (الطهارات) وفيه عدد من المباحث:

ويتحدث هذا القسم من التلمود عن أهمية أحكام التطهر، وكثرة طقوسها عند اليهود، وغايتها الجوهرية حماية المقدس من النجاسات، وضمان دخول الأطهار، وصور النجاسة وأنواعها عند اليهود كثيرة، إذ لا تكاد تجد شخصاً منهم غير معرض للنجاسة. ويُعد لمس جثة الميت أحد أهم مصادر النجاسات فضلاً عن كثير من الحيوانات تعد مصدراً للنجاسة، كما ورد في نصوص التوراة – العهد القديم، ومن تلك النصوص: (مِنْ هَذِهِ تَتَنَجَّسُونَ. كُلُّ مَنْ مَسَّ جُثَّتَهَا يَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ، 25 وَكُلُّ مَنْ حَمَلَ مِنْ جُثَّتِهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. 26 وَجَمِيعُ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَهَا ظِلْفٌ وَلَكِنْ لَا تَشْقُهُ شَقًّا، أَوْ لَا تَجْتَرُ، فَهِيَ نَجِيسَةٌ لَكُمْ. كُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَكُونُ نَجِسًا. 27 وَكُلُّ مَا يَمْشِي عَلَى كُفُوفِهِ مِنْ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ الْمَاشِيَةِ عَلَى أَرْبَعٍ، فَهُوَ نَجِسٌ لَكُمْ. كُلُّ مَنْ مَسَّ جُثَّتَهَا يَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. 28 وَمَنْ حَمَلَ جُثَّتَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. إِنَّهَا نَجِيسَةٌ لَكُمْ. 29 «وَهَذَا هُوَ النَّجْسُ لَكُمْ مِنَ الدَّبِيبِ الَّذِي يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ: ابْنُ عَرِسٍ وَالْفَأْرُ وَالضَّبُّ عَلَى أَجْناسِهِ، 30 وَالْجَرَذُونُ وَالْوَرَلُ وَالْوَرَعَةُ وَالْعِظَايَةُ وَالْحَرَبَاءُ. 31 هَذِهِ هِيَ النَّجِيسَةُ لَكُمْ مِنْ كُلِّ الدَّبِيبِ. كُلُّ مَنْ مَسَّهَا بَعْدَ مَوْتِهَا يَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ، 32 وَكُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ وَاحِدٌ مِنْهَا بَعْدَ مَوْتِهَا يَكُونُ نَجِسًا. مِنْ كُلِّ مَتَاعٍ خَشَبٍ أَوْ ثَوْبٍ أَوْ جِلْدٍ أَوْ بَلَاسٍ. كُلُّ مَتَاعٍ يُعْمَلُ بِهِ عَمَلٌ يُلْقَى فِي الْمَاءِ وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ ثُمَّ يَطْهَرُ. 33 وَكُلُّ مَتَاعٍ خَرَفٍ وَقَعَ فِيهِ مِنْهَا، فَكُلُّ مَا فِيهِ يَتَنَجَّسُ، وَأَمَّا هُوَ فَتَكْسِرُونَهُ. 34 مَا يَأْتِي عَلَيْهِ مَاءٌ مِنْ كُلِّ طَعَامٍ يُؤْكَلُ يَكُونُ نَجِسًا. وَكُلُّ شَرَابٍ يُشْرَبُ فِي كُلِّ مَتَاعٍ يَكُونُ نَجِسًا. 35 وَكُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ وَاحِدَةٌ مِنْ جُثَّتِهَا يَكُونُ نَجِسًا. أَلْتَنُورُ وَالْمَوْقِدَةُ يُهْدَمَانِ. إِنَّهَا نَجِيسَةٌ وَتَكُونُ نَجِيسَةً لَكُمْ(3).

ولا تقتصر صور النجاسة عند اليهود فهي متعددة، ولا تقتصر على الإنسان، بل تمتد لتشمل الحيوانات والأطعمة والأشربة والأماكن والأشياء والأمتعة والمرأة عند حيضها، ونفاسها، ونوع المولود، ونجاسة الختان، ومن يخالف الختان يقطع من المجتمع لكونه نجساً. ويوجد تشابه كبير في أحكام النجاسات بين نصوص التلمود والتوراة، ونصوص أفسستا(4) ومن

(1) انظر التلمود. قسم المقدسات. مبحث 10 من ص 375 – 398.

(2) انظر التلمود. قسم المقدسات. مبحث 11 من ص 399 – 412.

(3) انظر العهد القديم – سفر اللاويين.

(4) انظر الكتاب المقدس للزرادشت أفسستا.

المهم عرض أهم ما جاء في هذا القسم والذي يحوي على (12) مبحث وعلى عددا من الفصول، في (551) صفحة، نقتبس أهم ما جاء فيه بالآتي:

المبحث الأول: كليم - الأدوات وفيه ثلاثين فصل نقتبس منه الآتي:

يناقش هذا المبحث الشرائع والأحكام الخاصة بالأدوات والأواني والأمتعة التي تنتجس، وأحكام نجاستها التي تتوزع في فصول المبحث، متناولاً أدق التفاصيل وأقل الأشياء أهمية، ومنها:

1- سرد درجات النجاسة والشرائع الخاصة بالأواني الفخارية والأدوات الخشبية والجلدية والعظمية والزجاجية.

2- نجاسة من لمس جثة الدابة من الحيوانات التي وردت في سفر اللاويين، ومن لمس جثة الميت وبعض الطيور.

3- ذكر الأشياء التي تنتجس ومنها:

- التنور وموقد الطهي، ومدخنة تنور الخبازين، ووجود إبرة المخيط في قعر التنور.

- الأواني المصنوعة من روث المواشي والأواني الحجرية ومن عظام الأسماك.

- الأواني المعدنية المسطحة والمجوفة نجسة إلا إذا انكسرت.

- الخاتم الذي يلبسه الإنسان والعارضة المعدنية والسلسلة المعدنية التي تطوق عنق السجين، والصناديق الخشبية والمعدنية.

- السيف والسكين والخنجر والرمح والمنجل والمجرفة والمكحلة وسن قلم الكتابة.

- الأواني المعدنية والدست وغلاية الماء وعتلة البناء وإزميل النجارين وأجزاء العربة.

- السلال الخشبية والفرش والوسادات سلال الطعام الحقائق الجلدية كيس روث البقرة لوح النحل.

- الفراش والحبل وخيوط العقدة والحشية والوسائد والأكياس والحصير.

- رافدة النوال السفلى والعليا، والمشط والخيط على بكرة الصوف، إذا لمس لحمة النسيج.

- المنضدة إذا سقطت قوائمها وكسرت الحمام.

- التروس المقوسة والعربات وأوعية العجين، ووعاء المكيال، وأنواع من الفوط والقفازات.

- صندل العمقي المصنوع بقرية عمق، والسلة المصرية، وصندل الأديكى، نسبة لمدينة لوديكا بسوريا.

- ويتنجس القماش بخمسة أشياء: إذا استخدم للحشو، ولسد ثقب في الحمام، واستخدامه ضماد للجراح، وغطاء للكتب والرأس.

- خيوط الملاءة والوشاح، والعمامة والقبعة، والمعطف والبرقع، والرداء والشال إذا ارتبطن معاً.

- الأواني الزجاجية المجوفة نجسة، أما إذا كانت مسطحة فإنها تعد طاهرة، أو كسرت تعد طاهرة.

- جميع الأواني الخشبية والجلدية والعظمية، الخاصة بأهل البيت، وتطهر إذا شُرخت، والقربة و سلال الخبز إذا ثقبت بمقدار حبات الرمان الكبيرة، أو المتوسطة أو الصغيرة كل له حكم. (1)

المبحث الثاني: أوهالوت - الخيام وفيه ثمانية عشر فصل نقتبس منه الآتي:

ويفترض هذا المبحث وجود جثة في الخيمة أو المسكن، ويتناول كل أحكام النجاسة التي تترتب على تلك الخيمة، وكيفية انتقال النجاسة للإنسان والجماد تحت سقف واحد، وقد أحصى ما يزيد عن مئتين وثمانية وأربعين عضواً في الإنسان يمكنه نقل النجاسة، وطرق نقلها مع تحديد طرق تجنب نجاسة الأمتعة والأدوات من الجثة. ومعرفة حكم وفاة المولود أثناء الولادة، ومعرفة أحكام المقابر، ومما تناله ومنها:

- 1- مدة النجاسة بالجثة سبعة أيام لمن لمسها مباشرة، وحتى المساء لمن لمس الملامس للجثة.
 - 2- الأشياء التي في الخيمة تكون نجسة، ومنها الجثة حتى ولو كانت بحجم حبة زيتون من جثة متفسخة.
 - 3- من الممكن أن يصبح الإنسان والأواني كالخيام في نقل النجاسة.
 - 4- النجاسة في الحائط والأجزاء المائلة للخيام.
 - 5- بعض الأشياء تجلب النجاسة وتجنبها، وبعضها تجلبها ولا تجنبها، وبعضها تجنبها ولا تجلبها، والبعض لا تجلب ولا تجنب.
 - 6- أحكام نجاسة خلية النحل، وموضعها من باب البيت، وارتفاعها عن الأرض، وفتحها للخارج.
 - 7- أحكام نجاسة انشقاق البيت، ووجود سرداب في البيت، ووضع لوح على تنور.
 - 8- أحكام النجاسة في منفذ الإنارة، وبروايز حائط البيت، والماسورة التي تغلو مدخل البيت.
 - 9- أحكام نجاسة المعطف السميكة، وجميع الأشياء المتحركة التي تجلب النجاسة. (2)
- ### المبحث الثالث: نجاعيم - البرص وفيه أربعة عشر فصل نقتبس منه الآتي:

يتناول هذا المبحث البرص، ويعدّه حالة من حالات النجاسة، إلى جانب كونه مرضاً، وفيه عدد من الأحكام لكل لون من ألوان البرص (الأحمر والأبيض والثلجي)، وأكثر من عشرة أنواع من البرص التي تظهر في بشرة الإنسان. ثم يتكلم عن كيفية انتقال البرص إلى ثياب الشخص، ويناقش أحكام ضربات البرص في المنازل، وكيفية التطهر من البرص. وما يترتب عن خلع الأحجار ونقل الأتربة وفق طقوس وشعائر. (3)

(1) انظر التلمود. قسم الطهارات. مبحث 1 من ص 47- 162

(2) انظر التلمود. قسم الطهارات. مبحث 2 من ص 163 – 234.

(3) انظر التلمود. قسم الطهارات. مبحث 3 من ص 235- 294.

المبحث الرابع: باراه - البقرة وفيه اثني عشر فصل نقتبس منه الآتي:

يختص هذا المبحث بالأحكام المتعلقة بالبقرة الحمراء التي تحرق لغرض التطهر برمادها، إذ يجب بحث مواصفات البقرة وصلاحياتها، من حيث السن والعيوب، ويجب أن يعد لها الكاهن مراسيم خاصة للحرق من بدايتها إلى نهايتها، ويبين مبطلات الذبح والحرق بجبل الزيتون، ويتكلم عن مياه الخطية وأنواعها وكما يناقش أحكام رماد حرق البقرة، ويسرد النجاسات التي تبطل ذبيحة البقرة، وكل هذه الطقوس تتشابه مع طقوس الهندوس⁽¹⁾.

المبحث الخامس: طهاروت - التطهيرات وفيه عشر فصول نقتبس منه الآتي:

يتحدث هذا المبحث عن النجاسات البسيطة التي تنتهي بغروب شمس اليوم، وعن نجاسة الأطعمة والأشربة وأحكام الشك في النجاسة، على مستوى الملكية العامة، ونجاسة عام هآرتس، ونجاسة الزيتون والعنب في مراحل عصرهما خمرأ، وطهارة المعصرة والعاملين وغيرها⁽²⁾.

المبحث السادس: مقفاوت - المطاهر- الآبار وفيه عشر فصول نقتبس منه الآتي:

وقد خصص هذا المبحث عن طهارة المياه وأنواع المياه الصالحة منها للشرب، والصالحة للتطهر من النجاسة، وكما ذكر أن جثة الميت ومريض السيلان أكثر نجاسة، ويتكلم عن أحكام الشك في طهارة المغطس والبرك، وهطول الأمطار ومياه البحار، والحد منها للتطهر من الجنابة، ومظاهر اليهود خاصة، ويختتم بتعريف أهمية تعميم الجسد بالمياه، والمواضع التي لا يشترط وصول المياه إليها، وشرح كيفية تغطيس الأدوات والأواني والأمتعة التي لحقت بها النجاسة⁽³⁾.

المبحث السابع: نده - الحيض وفيه عشر فصول نقتبس منه الآتي:

يتضمن هذا المبحث الأحكام الخاصة بنجاسة النساء أثناء فترة الحيض ومدته وألوان الدم، وحالات الإجهاض والولادة المتعسرة، ونجاسة الدم، سواء كان رطباً أو جافاً، ووجود دم الحيض على الأمتعة والملابس، وتحديد علامات البلوغ، وزواج الطفلة، ونذكر بعضاً منها فيما يلي:

- 1- أحكام خاصة بنجاسة المرأة بمجرد رؤية الدم أو القيام بالفحص.
- 2- تعد المرأة أثناء فترة حيضها المقدرة بسبعة أيام نجسة، وكل الأدوات التي تلمسها نجسة.
- 3- تعد النساء دائماً في حالة طهارة لأزواجهن عندما يأتون من السفر!
- 4- المرأة التي تجهض تعد نجسة.
- 5- بنات اليهود السامريين حائضات من مهدن، والسامريون اليهود ينجسون المضجع السفلي كالعلوي!!

(1) انظر التلمود. قسم الطهارات. مبحث 4 من ص 295- 238.

(2) انظر التلمود. قسم الطهارات. مبحث 5 من ص 239- 384.

(3) انظر التلمود. قسم الطهارات. مبحث 6 من ص 285- 418.

- 6- بنات اليهود الصدوقيين كالسامريات عندما ينتهجن نهج آبائهن!
- 7- ابنة الثلاثة أعوام ويوم واحد يمكن أن تخطب للزواج!
- 8- إذا جامع طفل عمره تسعة أعوام ويوم واحد أرملة أخيه فقد تزوجها!
- 9- دم الحائض ولحم الميت رطبان وجافان ينجسان.
- 10- الطفلة التي تزوجت وهي دون ثلاث سنوات ويوم واحد، ولم يحن وقت حيضها يترك لها أربع ليالٍ لدم عذريتها، وبعدها يعد حيضاً⁽¹⁾.
- المبحث الثامن: مكشرين - إعداد الأطعمة لقبول النجاسة وفيه ستة فصول نقتبس منه الآتي:**

ويختص بإعداد الحبوب والفاكهة والثمار ويعد سقوط السوائل على الأطعمة نجاسة، مستنداً إلى فقرة من سفر اللاويين، ويبين حكم تجفيف الأطعمة التي تتنجست، ويسرد أحكام السوائل السبعة، وهي: الندى والمياه والخمر والزيت والدم واللبن والعسل⁽²⁾.

المبحث التاسع: زابيم - السيلان وفيه خمسة فصول نقتبس منه الآتي:

يعالج هذا المبحث أحكام النجاسات الناشئة عن الإفرازات التي تسيل من بعض الناس بحالات المرض، وطرق فحصها ووقت رؤيتها، ويبين طرق نقل النجاسة من مريض السيلان ونذكر منها ما يلي:

- 1- أحكام من يرى السيلان مرة واحدة أو مرتين.
- 2- يتنجس جميع الرجال بالسيلان، والمرأة تتنجس بدم الحيض.
- 3- المصاب بالسيلان نجس لذاته ومنجس لكل من جلس بجواره، سواء على السفينة أو على ظهر بهيمة.
- 4- يقول رابي يشوع: يتنجس الطاهر الجالس بقرب الحائض على فراش واحد، والقبة التي على رأسها تتنجس، ولو جلست على سفينة، فإن الأواني التي تعلو سارية السفينة تتنجس.
- 5- إذا طرق مريض السيلان على الباب أو مزلاج الباب أو القفل، أو دفة السفينة أو وعاء الرحي، أو شجرة أو سلّم مصري، أو عارضة خشبية، فإنها تُعد جميعاً نجسة⁽³⁾.

المبحث العاشر: طبول يوم - الغاطس نهراً وفيه أربعة فصول نقتبس منه الآتي:

يتناول هذا المبحث الاغتسال من النجاسة نهراً، وبعد غروب الشمس، ويسرد أنواع الأطعمة التي تقدم للهيكل، وعن السوائل التي يلمسها الغاطس نهراً، والقواعد التي تحكم تعامله مع الأشياء المقدسة أو الدنيوية⁽⁴⁾.

(1) انظر التلمود. قسم الطهارات. مبحث 7 من ص 419 - ص 456.

(2) انظر التلمود. قسم الطهارات. مبحث 8 من ص 457 - ص 484.

(3) انظر التلمود. قسم الطهارات. مبحث 9 من ص 485 - ص 504.

(4) انظر التلمود. قسم الطهارات. مبحث 10 من ص 505 - 520.

المبحث الحادي عشر: يدايم: اليدان وفيه أربعة فصول نقتبس منه الآتي:

يناقش هذا المبحث قواعد غسل اليدين ونجاسة اليدين، وكمية المياه المستخدمة لتطهير اليدين، وأنواع المياه وصلحياتها، وإذا شرب منها حيوان أو تغير لونها، وكيفية الغسل وعدد مرات الغسل، والشك في غسل اليدين، وطرق تنجسهما، ويختتم بذكر نجاسة الكتب المقدسة لليدين وآراء الحاخامات في ذلك⁽¹⁾.

المبحث الثاني عشر: عوقصين: سيقان النباتات وقشورها وفيه ثلاثة فصول نقتبس منه الآتي:

يتحدث هذا المبحث عن نجاسة الألياف والقشور وسيقان الثمار، وتكرر بعض الأحكام عن النجاسة سبق التطرق إليها، ويسرد سريان النجاسة على أوراق الزيتون وحبّة الزيتون، وقشرة البيض وقشرة البصل، ونجاسة ألبان الحيوانات وأقراص عسل النحل والخلية⁽²⁾.

(1) انظر التلمود .قسم الطهارات.مبحث 11 من ص 521 – 538.

(2) انظر التلمود.قسم الطهارات.مبحث 12 من ص 539 – 550.

فصل الثالث

الطوائف والفرق والجماعات اليهودية

مقدمة:

إن التأمل الفاحص للتناقض الحاد في الفكر العقائدي لعقيدة بني إسرائيل يدرك دور التناقض الحاد في بروز العديد من الطوائف التي مثلت مرآة عاكسة لتلك التناقضات، والتصادمات في الطوائف والفرق المتعددة، ومن أجل الوصول لمعرفة حقيقة هذه الطوائف، ننوه إلى أن جماعة التحريف هي من أنتجت هذه الطوائف والمذاهب والفرق والجماعات في الفكر الديني لبني إسرائيل، ومنها استنسخت نظائر مشابهة لها في الفكر الديني المسيحي والفكر الديني الهندوسي والفكر الديني البوذي، والفكر الديني الإسلامي، وغير ذلك، فخلقت انقساماً حاداً ومتعددًا في العقيدة الإيمانية للناس في كل الديانات على مر التاريخ.

كما خلقوا نصوص وصفوها بالمقدس لا اعتقاد أنهم ذو نسب ديني مقدس، وأنهم شعب الله المختار متعالين بذلك على الشعوب الآخرة، وقد أنقسم بني إسرائيل لعدد كبير من الطوائف والفرق منها على سبيل المثال اليهودية، جماعة قمران، العبرانيين، والفريسيون، والصدوقيون، والسامريون، والغيورون، والقراؤون، والإسينيين، والحسيديم، والمحافظون، والاصلاحيين، والقبلانية، والغنوصيون، والربانيون، والصهيونية، والحريديوم، والأشكناز، والسفرديم، وغيرها، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا...﴾، (الأعراف: 160). وبذكر مختصر لأهم هذه الطوائف والفرق نوضح بالآتي:

اليهود:

ينسب اليهود إلي يهوذا بن يعقوب ومن الملاحظ عدم انتسابهم ليهوذا مدة وجودهم بمصر، وقد ظهرت اليهودية في الألف الثاني قبل الميلاد على خلفية المعتقدات المتعددة، وقد ورد لفظ اليهود في العهد القديم، سفر التكوين، والعدد، وغيره، وكذا في العهد الجديد، إنجيل متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، وأعمال الرسل، ويتشكل اليهود في طوائف متعددة منها: اليهود الأرثوذكس وهم الذين يعترفون بكل التوراة والتلمود، ويقبلون النواميس، ويعتقدون أن الله أوحى بذلك كله إلى موسى مباشرة في جبل سيناء وكانوا يعتقدون ذلك إلى وقت قريب إلى أن ظهر الحركة اليهودية الإصلاحية، واليهود الإصلاحيين بدأوا في القرن التاسع عشر، ومع ظهورهم شككوا بالكتاب المقدس، وانتهوا إلى أن التلمود عمل بشري غير موحى به، ولا يؤمنوا إلا بالتوراة، ولا يولون أهمية للطقوس، ومن أهم تصنيفات رجال الدين لديهم (الحاخامات) و(الرهبان) (الأحبار) وقد عمد أحبار اليهود على تحديد اسم ألتهتهم بأسم مستنسخ من مسميات ألهة الساسانيين، أيام السبي البابلي " إذن، باستطاعتنا أن نقول " إن الأحبار الذين تأمروا مع فارس أن أخذوا منه الإله، وإذا ما عرفنا أن إله الخير لدى الفرس يُسمى أهورامزدا

والإلهة ياهي، فصاغوا من الاسمين اسماً واحداً (يهوه) " (1)، وقد ذكر في العهد القديم مرات عدة في سفر التكوين، والخروج، والقضاء، والمزامير، وأشعياء، وارميا، وحزقيال، وهوشع، وعاموس، منها: (15). وقال الله أيضاً لموسى: «هكذا تقول لبني إسرائيل: يهوه إله آبائكم، إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم. هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور» (2) ونص آخر (18) ويعلموا أنك اسمك يهوه وحدك، العلي على كل الأرض (3).

"هذا هو التيار اليهودي السائد الذي انتصر على التيار الإيليني الذي لا يلائم أخلاق اليهود واحتياجاتهم، ولهذا صار يهوه إله اليهود، وصار هذا الإله يبتلع الآلهة الأخرى في التوراة ويحلّ محلها، ومن هنا بدأ انطلاق الكهنة بتسمية خاصة لمن تبعهم، سموهم باليهود، وقد حار الناس في تسمية اليهود، فمنهم من أرجعهم نسبة إلى يهوذا بن إسرائيل أحد الأسباط" (4)، وفق ما سبق الإشارة إليه.

"وأعلنوا أن اليهودية هي مذهب أخلاقي شامل، وجعلوا العبادة اليهودية قريبة من الممارسة البروتستانتية في شكلها الخارجي، مع وجود صلة وثيقة بين اليهودية والصهيونية" (5).

اليهودية (السامريون):

يرى السامريون أنفسهم من السلالة المباشرة لقبيلتي إفرام وماناسة، وتحفظ هذه الطائفة من الكتابات السامرية نسخة من التوراة معدلة بعض الشيء كما تدعي، وتعود الإشارة التاريخية الأولى للسامريين إلى عصر النفي البابلي، وفق التلمود، ويجب أن يُعامل السامريون معاملة اليهود في المسائل التي توافق فيها ممارساتهم الاتجاه السائد، وما عدا ذلك فيجب معاملتهم كأنهم ليسوا يهوداً، "والسامريون ينظرون إلى اليهود بأنهم كافرون متخاذلون منقسمون على أنفسهم، ويعتدّ اليهود أن السامريين قوم لا يمتنون إلى بني إسرائيل بصلة، وإنما أصولهم تعود إلى أقوام أسكنهم الآشوريون مكان بني إسرائيل، "والفرقة السامرية اليهودية تنسب إلى مدينة السامرية القديمة التي كانوا يعيشون حولها والتي قامت على أنقاض مدينة نابلس" (6)، وقد تضاعف عدد السامريين، إذ أصبح الآن إجمالي عددهم سبعمئة فرد تقريباً، ويستوطنون جبل جرزيم في نابلس، الضفة الغربية من فلسطين، وهم أول فرقة ثارت ضد اليهود المخالفين لموسى، وسميت مملكتهم مملكة الأسباط العشرة أو المملكة الشمالية (مملكة السامرة) وسميت توراتهم بالتوراة السامرية، ويرى السامريون أن التوراة التي في أيدي اليهود ليست التوراة التي نزلت على موسى، وأنها حُرِّفت وبُدِّلَت، وغيّرت، وأن التوراة الصحيحة

(1) انظر الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات - عبد المجيد همو ص. 30.

(2) انظر كتاب الحياة - العهد القديم - سفر الخروج.

(3) انظر كتاب الحياة - العهد القديم - المزامير.

(4) انظر الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات - عبد المجيد همو . ص 32.

(5) انظر الفرق والمذاهب في الديانات - محمد غالب بركات ص 35.

(6) انظر الفرق والمذاهب في الديانات - محمد غالب بركات ص 46.

هي التي في أيدي السامريين دون غيرهم،⁽¹⁾، والسامريون لم تذكرهم التوراة بل ذكروا في معظم الإنجيل وأعمال الرسل.

الفريسيون:

وهم جماعة دينية سياسية ترجع نشأتها إلى القرن الثاني قبل الميلاد داخل المجتمع اليهودي، ويتبعون مذهباً متشديداً للحفاظ على الشريعة والسنن الشفهية التي استنبطوها، وكانوا على خلاف دائم مع الصدوقيين والأسينيين، ويعتقد الفريسيين بالقدر ويؤمنون بخلود النفس وقيامه الجسد ووجود الأرواح، وحصروا الصلاح في طاعة الناموس، وقد ذكرهم العهد الجديد في الكثير من المواقف ابرزها وصف السيد المسيح عليه السلام لهم بأولاد الأفاعي: (34) يا أولاد الأفاعي! كيف تقدر أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟⁽²⁾، وقد تصدوا للسيد المسيح بكل قوة وعنف.

"ويعتقد الفريسيون في البعث وقيام الأموات، ويؤمنون بالملائكة والعالم الآخر، ويرى الفريسيون أن التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة التي يعتمد عليها، وإنما هنالك بجانب التوراة روايات شفوية، بل إنها بحد ذاتها أقدم من التوراة، وأقدس، وتلك الروايات حينما دُونت سُميت بالتلمود، وقد وقف الفريسيون في وجه أي دعوة إصلاحية، وحاربوها، وكانوا السبب في أكثر من كارثة لليهود"⁽³⁾.

الفريسيون "يمثلون غالبية اليهود، ولهم حزب سياسي هو حزب "الليكود" الذي يسيطر عليه الحاخامات، وهم أشد اليهود تعصباً، يؤمنون بوحدانية الله، وبجميع كتب العهد القديم والتلمود، "يعتقدون أن الحاخامات معصومون من الخطأ، وأقوالهم كالشريعة"⁽⁴⁾.

الكتبة الربانيين:

وهم نساخ الشريعة ومفسروها، ومطبقوها، وهم خبراء الناموس، ويشار إليهم أحياناً بالناموسيين، وكانوا مكرسين حياتهم لشرح الوصايا الناموسية وتنفيذها، لذلك كان هناك ارتباط قوي بينهم وبين الفريسيين، ويعدون من الفريسيين، وكان من ينال رتبة عالية من الكتبة يسمى رُبيّ، مثل: غملائيل ونيقوديموس، إذ قيل: إنهما يجلسان على كرسي موسى كونهما مفسرين للناموس، وتسمى الربانية أيضاً "اليهودية الحاخامية" أو "اليهودية التلمودية" أو "اليهودية الكلاسيكية" أو «اليهودية المعيارية»، وقد انبثقت من اليهودية الفريسية، حيث تؤمن بأن أساس الاعتقاد أن النبي موسى تلقى من الله التوراة المكتوبة (التوراة الخمس) في جبل سيناء فضلاً عن التفسير الشفهي الذي يعرف باسم "التوراة الشفهية" التي نقلها موسى إلى الشعب، وهي العقيدة اليهودية التي سادت لدى معظم الجماعات اليهودية في العالم، ابتداءً من القرن

(1) . الفرق والمذاهب في الديانات – محمد غالب بركات ص 47.

(2) . كتاب الحياة – العهد الجديد – إنجيل متى

(3) . الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات – عبد المجيد همو. ص 56 .

(4) . الفرق والمذاهب في الديانات – محمد غالب بركات ص 42 .

التاسع الميلادي تقريباً وحتى نهاية القرن الثامن عشر. وهي عبارة استخدمها اليهود الفريسيون ليؤكدوا أن النسق الديني الذي يؤمن به الفريق الديني المعادي لهم لا يتمتع بالمطلق، وإنما هو ثمرة جهود الحاخامات الفقهاء، أو ما يسمون المفتون الذين فسروا التوراة (الشريعة المكتوبة)، وابتدعوا الشريعة الشفهية (التوراة الشفهية أو التلمود)، وجعلوها الأساس الذي تستند إليه رؤيتهم الدينية، والمحور الذي تدور حوله، وذلك تمييزاً لها عن اليهودية التوراتية التي تستند إلى التوراة (الشريعة المكتوبة) المرسلّة من الإله (ياهو). ويذكر أن القرائين متشددون في أحكام الطهارة، فغير الطاهرين (كانوا رجالاً أو نساءً) يأكلون على طاولة منفصلة، ويجب أن يظلوا منعزلين ولا يدخلون المعبد، وتستمر نجاسة الحيض لدى النساء سبعة أيام فقط.

طائفة القراؤون أو القرائية:

يُعرف أتباع القرائية باسم العنانيين أو القرائين، ويرتبط ظهور القرائية كحركة دينية بشخصية الحاخام "عنان بن داود" بالعراق في القرن الثامن ميلادي، وأنهم لا يقبلون تفسير الحاخامات أو الصلاحيات الربانية المطلقة للمقرئ التي يطلقون عليها "التوراة الشفهية" وهم يلتزمون فقط بالتوراة المكتوبة ويُعرف القراؤون بمسميات أخرى، مثل أصحاب المقرئ وأصل التسمية مشتق من الأصل العبري (ق. ر. أ)، ولا يؤمنون بأن التوراة الشفهية ربانية، ويُسمون أيضاً "العنانيون" نسبة إلى اسم الجماعة القرائية الأولى التي انفصلت رسمياً عن الربانية، واستمدت اسمها من زعيمها "عنان بن داود".

وتؤمن القرائية بالله كإله فقط، وبأنبياء التناخ كرسول وبأقوالهم فقط كأقوال الرب. وهي تعارض التوراة الشفهية وأي مذهب جاء بعد العهد القديم، وهي لا تقبل التوراة والأنبياء كتشريع إلهي مباشر أو موثق، وترى أن المكتوبات ليست سوى حكم حياتية مستندة من التوراة، ولا ينكر القراؤون ضرورة تفسير التوراة، لكنهم يزعمون أن التفسير يجب أن يكون مبنياً على تفسير التوراة، وأن الرب لم ينزل تفسيراً للتوراة المكتوبة في جبل سيناء؛ أي التوراة الشفهية (التلمود)، وفي مقابل الفترات السابقة التي كانت فيها شروح القرائين - بوجه عام - أكثر صرامة ودقة، مما في المذهب الرباني، نجد في الوقت الراهن توجهات أكثر يسراً، بل إن هناك من زعماء القرائين من يشبهون زعماء الربانية، وعلى الرغم من أن الاجتهاد الشخصي من أساسيات القرائية، فإنها لم تكن ذات طابع فوضوي؛ إذ ترأس القرائين زعماء روحانيون يُطلق عليهم: "الحكماء"، وهم أصحاب اطلاع وخبرة بالمقرئ، وبفكر القرائية وقد غدوا زعماء للطائفة ومرشدين ومعلمين وقضاة لها، "وهم يخالفون سائر اليهود في أعيادهم، ويقولون أن الإنجيل ليس كتاباً منزلاً، ويؤمنون بالأسفار الخمسة، والصلاة عندهم عبارة عن طهارة جسدية وغسل ووضوء... الخ" (1).

الغيورين:

وتُعدُّ طائفة الغيورين طائفة خرجت من المجتمع اليهودي وأغلبهم يتفقون مع الفريسيين في معظم عقائدهم، ويقال: إن يهوذا الجليلي هو مؤسس هذه الجماعة سنة 6م، امتازوا بعدم التسامح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحزم وقوة، فلا يخضعون لأى سلطة سوى سلطان الله⁽¹⁾، حيث جعل من "فينحاس بن العازر" مثلاً أعلى لهم، بسبب غيخته على الرب، حيث مدح الرب هذه الغيرة، وقد نادى يهوذا بعدم جواز إعطاء الجزية للرومان.

الصدوقيين:

يرجح اسم الصدوقيين إلى صدوق من أكبر الكهنة في عهد النبي سليمان عليه السلام والذي جعله رئيس الكهنة ورئيس السنهدريم، وقد ذكر في العهد القديم مرات عديدة منها: (32) وقال الملك داود: «ادع لي صادق الكاهن ونathan النبي وبنياهو بن يهوياذا». فدخلوا إلى أمام الملك⁽²⁾، وهم جماعة أو حزب ديني نشأ ضمن المجتمع اليهودي، وقد ذكر أيضاً في العهد الجديد مرات عديدة منها: ("6 وقال لهم يسوع: «انظروا، وتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين»⁽³⁾). ونص آخر: (27) وحضر قوم من الصدوقيين، الذين يقاومون أمر القيامة، وسألوه⁽⁴⁾، وينكرون قيامة الأموات والحياة الأبدية، ويرفضون الاعتراف بالملائكة والشياطين، وعرف عنهم التمسك بالمنطق وعدم الإيمان بالغيبات.

ينحدر الصدقيون في الغالب من عائلات كهنوتية عريقة، وهم على علاقة قوية مع الرومان، وبوصفهم طبقة كهنوتية مرتبطة بالهيكل فقد كانوا يتلقون كثير من النذور وبواكير المحاصيل التي تفرض على كل يهودي ويحصلون أيضاً على ضرائب الهيكل وضرائب عينية وهدايا، وقد حولهم ذلك إلى طبقة ارستقراطية وراثية تؤلف كتلة قوية داخل السنهدرين، وقد اختفت هذه الجماعة بهدم الهيكل سنة (70م).

ثم أنّ طائفة الصدوقيين والفريسيين طائفتان متخاصمتان في اليهودية. والصدوقيون فرقة صغيرة، مؤلفة من رؤساء الكهنة، والأرستقراطية الكهنوتية، وجل أتباعها من الأغنياء وذوي المكانة المرموقة، فقد اتبعت كثيراً من الأفكار الهيلينية الفلسفية الوثنية ويُرى أن اسمها مأخوذ من صادق رئيس الكهنة، وفي عائلته حفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المكابيين، فسُمّي خلفاؤه وأنصاره صدوقيين. وبخلاف الفريسيين الذين كانوا يؤكدون تقليد الشيوخ، حصر الصدوقيين تعاليمهم في نص الكتاب قائلين: إن حرف الناموس المكتوب وحده ملزم حتى إن قاد الناموس إلى شدة في المقاضاة، وأدعوا أن أصل الصدوقيين الحقيقي ونشوتهم يعود إلى أسرة صادق الكهنوتية التي كانت تقود الشؤون الكهنوتية في القرنين الرابع والثالث ق. م، وكانت تضع الاعتبارات السياسية فوق الدينية، وكان عدد كبير من الكهنة محباً للثقافة

(1) انظر الفرق والمذاهب في الديانات - محمد غالب بركات ص. 49

(2) انظر كتاب الحياة - العهد القديم - ملوك الأول

(3) انظر كتاب الحياة - العهد الجديد - إنجيل متى

(4) انظر كتاب الحياة - العهد الجديد - إنجيل لوقا

اليونانية، وكان رؤساء الكهنة من الداعين إلى الهيلينية ضد الشعب إلى جانب المكابيين، للذود عن نقاوة الدين اليهودي.

"وقد نشبت حروب طاحنة بينهم وبين أعدائهم الفريسيين، كانت في نهايتها الغلبة لأعدائهم، ولكون الصدوقيين لا يؤمنون بالبعث والحساب وينكرون تعاليم التلمود، وينكرون ظهور المسيح ويقولون أن عزيز ابن الله، ويعترفون بقدسية التوراة (أسفار موسى الخمسة)"(1).

وحول فكرة الجبرية، قالوا بحرية الإرادة المطلقة، وأنا قادرون على أعمالنا وإننا سبب الخير، وإننا نتقبل الشر من أجل حماقة أفعالنا، ولا دخل لله في صنعنا الخير أو إعراضنا عن الشر، وكذلك رفضوا كل تقاليد الشيوخ والشرعية الشفهية وأسفار العهد القديم، ولم يقبلوا منها سوى أسفار موسى الخمسة، وهم في هذه النقطة يشبهون السامريين، وأما عن اتجاهاتهم الدينية فقد كانوا يصرون على تنفيذ عقوبة "عين بعين وسن بسن" حرفياً، وفي حالة الشهادة الزور، كان الصدوقيين يرون تنفيذ الحكم في شاهد الزور متى أعدم البريء، في حين رأى الفريسيون إعدام شاهد الزور بمجرد النطق بحكم موت البريء، وعندهم يعاقب صاحب العبد لما اقترفه عبده من ضرر، وعند الفريسيين العبد مسؤول عن خطئه، وتساهل الصدوقيون في حق الابنة في الميراث، بينما تشدد الفريسيون في ذلك، ورأى الصدوقيين إمكانية تقديم الذبائح اليومية من العطايا التطوعية، وأصر الفريسيين على تقديمها من خزانة الهيكل، ودقق الصدوقيين في مواصفات البقرة الحمراء، وسخروا من مبالغة الفريسيين في طقوس الاغتسال ورأى الصدوقيين أن الله لا يتدخل مباشرة في أمور الناس، وبالتالي رفضوا فكرة سبق التعيين وأن الخير والشر ينحصران في دائرة إرادة الإنسان الحرة، بينما اعتقد الفريسيين بأن بعض الأفعال هي نتيجة العناية الإلهية، وبعضها نتيجة إرادة الإنسان الحرة.

القبالة (الكابالا):

مجموعة من معتقدات الفكر اليهودية المعقدة، وشروحات روحانية صوفية فلسفية تفسر الحياة والكون والربانيات، وهي فلسفة تفسر العلاقة بين الله اللامتغير والأبدى والسرمدى، وبين الكون المتهالك والمحدود، فهي إذا فلسفة تفسر الباطنية في الدين، وبخاصة بواطن التوراة والتقاليد اليهودية، ويعتقد أتباعها أن تعاليم القبالة أقدم من التاريخ، وقد تأثروا بالآراء الشرقية ودين زرادشت، وتعرف لدى اليهود بالقبالة نسبة لكلمة آرامية تعني القبول والتصوف، وتعتبر القبالة عن الشكل البدائي للباطنية اليهودية، ثم تطورت في القرن العشرين فيما يسمى بالتجديد اليهودي، ويعتقد القبالة أن لله مظهرين: الأول هو المتعالي المستتر السرمدى والذي هو البساطة الألهمية ويسمونه "عين صوف" والثاني هو الظاهر المتصل بالإنسانية، فهو فيض عن الله ويأخذ أشكال يمكن للإنسان أن يستوعبه، إذ أن الفيض هو طريقة لظهور الأسرار المستورة، يعتقد القباليون أن الله اعتمد اللغة العبرانية كلغة لخلق

(1) انظر الفرق والمذاهب في الديانات – محمد غالب بركات ص. 45

الكون، وبالتالي توسعوا في منهاج التأويل وتفسير النصوص، ويعتمد القبايليون كتاب (الزوهار) كتاب مقدس لديهم،" الذي وضعه موسى الليوني الذي عاش 1250م – 1305م والكلمة آرامية تعني النور والضياء،⁽¹⁾ "وتعاليم القبالة عبارة عن أسرار على أعلى درجة من القداسة والخصوصية، علّمها يهوه بنفسه لجماعة منتقاة من الملائكة لا لكل الملائكة"⁽²⁾.

طائفة الغنوصية:

وقد ظهرت أثناء فترة الحكم الفارسي والروماني، وتأثرت الغنوصية بالعديد من الفلسفات والأفكار، مثل أفلاطون، ويؤمنون برسالة موسى، ولا يهتمون بالتلمود، ويؤمنون بالله والملائكة والجن ويولون بعض الكواكب قدسية خاصة، ويؤمنون بأن يحيى نبي مرسل وهو المسيح المنتظر ويمجدونه في صلواتهم اليومية، أخذوا عن يوحنا (يحيى) عليه السلام – شريعة التعميد وقدسية الزواج وتحريم الطلاق وتحريم تعدد الزوجات، وأخذوا عن الطقوس المسيحية القربان المقدس، ولهم أساطير دينية كثيرة معظمها يتعلق بالصلة بين البشر والكواكب كما يتعلق بعضها بالطوفان والأمطار⁽³⁾، فضلاً عن تأثرها بالدين الزرادشتي والصابي.

الحريديم:

تعرف الحريديم بالتقى والأعترال في العبادة، فهم جماعة من اليهود المتشددون الأصوليين المعنيين في تطبيق الطقوس الدينية الدقيقة لشريعة التوراة، ومن أهم مظاهرهم الشكلية أنهم يتميزون بأرتداء الثياب المميز بهم وهي عادة من أزياء يهود شرق أوروبا، وهو المعطف الطويل الأسود والقبعة السوداء، ويضيفون إليه الطاليت، ويرسلون ذقونهم إلى صدورهم، وتتدلى على آذانهم خصلات من الشعر المقصوع، وترتدي النساء أحياناً البرقع الذي يشبه النقاب إلى حدٍ بعيد، وهم لا يتحدثون العبرية على قدر استطاعتهم (بكونها لغة مقدّسة) ويفضلون التحدث باليديشية، وتتميّز عائلات الحريديم بزيادة عددها، لأنهم لا يمارسون تحديد النسل، كالعلمانيين الذين يحجمون عن الزواج والإنجاب، ومن مميزاتهم الدينية أنها تتبنى أكثر التفاسير غلواً في الفكر الديني، والتشدد في أداء العبادات والطقوس الدينية، بما يدفعهم إلى الانعزال عن اليهود غير المتقيدين بحذافير التعاليم الدينية، لذلك يرى الحريديم أن على غيرهم من اليهود الاحتذاء بهم، لأنهم يلتزمون بتعاليم الكتاب المقدس وهم بشكل عام ينتظرون مجيء المخلص المنتظر ليخلصهم من متاعب الحياة، ويقيم لهم مملكة الرب على الأرض التي ستتحد مع مملكة السماء. واليهودية الحريدية طائفة محافظة من اليهودية الأرثوذكسية، تنقسم هذه الطائفة إلى عدة مجتمعات لا يوجد بينها توافق كامل على أسلوب الحياة، والعقائد، لكن جميعها

(1) انظر الفرق والمذاهب اليهودية – عبد المجيد همو . ص 121

(2) انظر الفرق والمذاهب اليهودية – عبد المجيد همو . ص. 125

(3) انظر الفرق والمذاهب اليهودية – عبد المجيد همو . ص. 72

تتميز بالتمسك التام بالشرائع وتقاليد اليهودية الدينية، ورفضهم للعلوم العلمانية واجهزة التقنيات الحديثة إلا وقت الحاجة، مع التمسك بالثياب التقليدية.

الهيرودسين:

وهم ليسوا طائفة يهودية كما يقال عنهم، لا تعود نشأتهم إلى زمن نشأة الفريسيين والصدوقيين، بل هم مجموعة ظهرت في زمن هيرودس الكبير، فوالته وساندته، إذ رأت فيه المسيا المنتظر، كما رأت في حكمه ما يحمي الأمة من جور روما الوثنية. ومع أن الهيروديسين كانوا موالين سياسياً لروما، ويتبعون بعض عاداتها الوثنية إلا أنهم عارضوا الخضوع لها، وكان هيرودس قد استقل باليهودية بالاتفاق مع السلطات الرومانية لما كان يربطهم به من صداقة. وتقدير رأى الهيرودسيون في استقلال الأمة ضرورة لعظمتها في المستقبل، ودافعوا عن حكم هيرودس رغم معارضة الفريسيين له كونه آدومياً، وقد منحهم مساندتهم لهيرودس نفوذاً واسعاً، ولأنهم كانوا يقنعون الشعب بموالاة هيرودس والرومان، ودفع الجزية لقيصر، كرههم اليهود، وفي أيام السيد المسيح كانوا موالين لهيرودس أنتيباس بصفة خاصة، وقد انحصر مفهوم المسيا عند اليهود بين الفريسيين (الميتاتورن والميمرا) والصدوقيين.

الصهيونية:

تشتق الصهيونية نسبة لجبل صهيون الذي يقع في مدينة القدس المحتلة، وتعد الصهيونية حركة قومية يهودية سياسية حديثة نشأت في أوروبا، ساهم في تشكيلها عدد من المفكرين ايهود، أما فكرة الصهيونية في حد ذاتها فقد تطورت في الجيتوهات اليهودية طيلة قرون عديدة، والصهيونية الدينية مرتبطة بفكرة الحنين بالعودة إلى صهيون (كناية عن أورشليم)، ذلك الحنين المشحون بالمعتقد الإسخاتولوجي الأخروي، والخلاص بعد ظهور المسيح المخلص لكن الصهيونية السياسية التي اعتمدت على مؤلف تيودور هرتزل (الدولة اليهودية) لقيت رواجاً واسعاً أدى إلى قيام دولة يهودية على أرض فلسطين 14 مايو 1948م، " وتبنى الصهاينة الفكرة العنصرية بالتميز المتفرد للأمة اليهودية العالمية، ورأت الصهيونية أن من شأن هذه الفكرة مواجهة روح معاداة الساميين المتأصلة في كل الشعوب الأخرى"(1).

يهود الأشكناز - والسفرديم:

يهود الأشكناز: يطلق عليهم بيهود الشتات الذين تجمعوا في الحقبة الرومانية في نهاية الألفية الأولى، ويتحدثون اللغة اليديشية واللغة العبرية إلى جانب اللغات المكتسبة للشعوب التي عاشوا معها، " انتقل الأشكنازيون في أوروبا في القرون الوسطى، وأخرج الأشكناز من إنكلترا في نهاية القرن الثالث عشر، ومن فرنسا في نهاية القرن الرابع عشر، ومن ألمانيا في نهاية القرن الخامس عشر، وذهب معظمهم إلى أوروبا الشرقية، وشكّل الأشكناز في أوروبا الشرقية

(1) انظر الفرق والمذاهب في الديانات - محمد غالب بركات ص. 64

حتى مطلع القرن العشرين أكبر تجمع سكاني يهودي، يمتد من بحر البلطيق إلى البحر الأسود، وكانوا يُشكّلون نصف يهود العالم⁽¹⁾.

وكان سبب أخراجهم من دول أوروبا الشرقية لجشعهم وسيطرتهم على سوق الأراض، مما خلق حالة من الاحتكار ونمو الإقطاع الرأسمالي لهم على حساب غيرهم من السكان الأصليين في تلك الدول، ولم يحد أخراجهم من القيام بنفس العمل عند قدومهم لدول شرق أوروبا مثل ليتوانيا وبولونيا وروسيا.

ويهود السفردم: وهم جماعة عرقية استوطنت شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا- البرتغال)، ثم هربوا من محاكم التفتيش الإسبانية، وأصبحوا من رعايا الدولة العثمانية بحوض المتوسط، ولغتهم مزيج من اللاتينية والعبرية، كما يتحدثون لغة الشعوب التي عاشوا معها كالتركية والعربية والإيطالية، وقد عمل نفس أعمال الأشكناز في أوروبا، ولعل من أسباب إنهيار الدولة العثمانية يعود للتأمر الذي قام به يهود السفردم، ويهود الدونمة.

والأشكناز والسفردم يهود غربيين وشرقيين، إلا إن الأشكناز اليهود الغربيين هم الأوفر حظ في السيطرة على القرار بالدولة العبرية المقامة على أرض فلسطين المحتلة.

والسؤال الذي يفرض نفسه: هل يتدارك المؤمنون من بني إسرائيل واليهود والعبرانيين والمتهودين حقيقة الوقوف على تصحيح الفكر الديني من عدمه؟

(1) انظر الفرق والمذاهب اليهودية – عبد المجيد همو . ص . 137

الفصل الرابع

إنجيل القرآن والأنجيل المتعددة - قراءة مقارنة - مقابلة

الإنجيل في القرآن الكريم:

من المسلّم به عند أهل الإيمان أنّ القرآن الكريم احتوى على الإنجيل بتعاليمه ووصاياه وورد في إنجيل القرآن قصة خلق عيسى كحقيقة إيمانية ناصعة وجزء من النسيج الإيماني الذي لا يكتمل إيمان الإنسان المسلم إلا بها.

وعندما نتكلم عن الإنجيل في القرآن فإنه غالباً ما يذكر مع التوراة، ومَنْ ثَمَّ فنحن بحاجة إلى إحصاء آيات الذكر الحكيم حول الإنجيل وحقيقة ذكر عيسى ابن مريم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتداءً بميلاده ومعجزة نطقه بالحكمة وهو وليد ومعجزاته المتعددة مثل: (إحياء الموتى وشفاء المرضى والعلم بالادخار، وإنزال مائدة من السماء) والمؤيد بها من قبل الله سبحانه وانتهاء بمعجزة وفاته ورفع الله سبحانه إليه.

وعن خلق عيسى عليه السلام فقد أفردنا بحثاً مستقلاً عن ذلك في الجزء الثاني من هذا المؤلف فقد ذكر في آيات القرآن الكريم أكثر من عشرين مرة وكذلك أمه مريم عليها السلام، كما جاء ذكر الإنجيل أكثر من عشر مرات الذي استبدل بعدد من الأنجيل بمختلف روايات العنينة والقلقلة، وما يهمننا هنا هو تسليط الضوء على آيات الإنجيل في القرآن الكريم، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: 46)، ومن هذه الآية نأتي للتعريف بالإنجيل كونه يتطابق مع التوراة، بما يحمل من صفات الهدى والنور، فضلاً عن موعظته للمتقين، وهذه الخاصية الزائدة في الإنجيل عن التوراة التي تعدّ وظيفة الإنجيل، ومن آيات القرآن التي يحث بها الله على الحكم بالإنجيل قوله تَعَالَى: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: 47)؛ والمقصود بأهل الإنجيل هنا كل من يؤمن بالإنجيل، ومما لا شك فيه أننا نؤمن الإنجيل كما نؤمن بالتوراة؛ الكتابين اللذين جُمعا في القرآن الكريم لتتأكد حقيقة أن التوراة والإنجيل في القرآن رسالة خالدة لهداية الإنسان، وأن الهداية من الله قائمة على مسار واحد، كما بين الله تعالى في هذه الآية التي نستشهد بها: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: 111).

وهنا نسوق مثلاً آخر من أمثلة التصوير البلاغي في المماثلة، والمقاربة بين الرسل والأنبياء، تحمله هذه الآية التي تصوّر هذا المشهد المعزز لوحدة الترابط واللحمة لوظيفة

الرسول والأنبياء، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: 29). والحديث عن الإنجيل حديث مُتَّسِع، وقد رأيت الإيجاز وترك مساحة للقارئ للبحث عن مواعظ الإنجيل في القرآن الكريم الكتاب الجامع لكل كلام الله سبحانه.

مرجعية الفكر الديني المسيحي (النصراني):

يستند الفكر المسيحي إلى إرث متعدد من الكتب المقدسة التي استبدلت الإنجيل (كلام الله) بعدد من الأناجيل عن طريق روايات العنونة والقلقة ومنها: كتب الأناجيل الأربعة المعترف بها وهي: إنجيل متى. إنجيل مرقس. إنجيل لوقا. إنجيل يوحنا. وغيرها من الأناجيل، التي لم يُعترف بها، كإنجيل برنابا وإنجيل يهوذا اللذين اكتشفا مؤخراً وغيرهما من الأناجيل. يليها أعمال الرسل؛ وهي الكتب المعترف بها لدى طوائف المسيحيين والنصارى والكنائس المسيحية في العالم، فضلاً عن كتب أخرى وأناجيل غير مُعترف بها، ما زال بعضها يكتشف حتى اليوم.

وسيكون اعتمادنا على الطبعة الورقية التي بين أيدينا، المعنونة باسم الكتاب المقدس (كتاب الحياة – العهد الجديد)، ترجمة تفسيرية للعهد القديم والجديد، والذي تم جمعه في جي، سي، سنتر (مصر الجديدة، القاهرة) بداية التسعينيات من القرن الماضي والتي أفادت اللجنة المكلفة بذلك أن هذه الطبعة تتميز بأنها دقيقة وأمينة في تأدية المعاني ومكسوة بحلة بليغة ومؤثرة وخالية من أي تكلف أو تعقيد، وأكدت أنها اتبعت عند الترجمة من النص اليوناني الأصلي إلى العربية عدداً من القواعد، هي: أمانة النصوص وبلاغة اللغة ووضوح المعاني وسلاسة الأسلوب، وبساطة التعبير والإخلاص لروح الإنجيل، آخذة بعين الاعتبار الترجمات العديدة في اللغة العربية، التي صدرت خلال السنوات العشرين الماضية، فضلاً عن الترجمات المعروفة في القرون السابقة، ويزيد عددها على مئة ترجمة، وهذه الكتب معتمدة لدى غالبية المذاهب المسيحية، ومن أهم هذه المذاهب: المذهب الكاثوليكي والمذهب البروتستانتي والمذهب الأرثوذكسي والمذهب الإنجلي. والكنائس المسيحية. ومن محاسن هذه الطبعة أنها تحوي على ملحق للخرائط والموضوعات التي وردت فيها، بالإضافة لنسخة الكترونية مطابقة للنسخة الورقية من أجل سهولة النسخ واللصق لبعض النصوص المستشهد بها عند المقارنة في هذا البحث، وعلى النحو التالي:

ما جاء في الأناجيل:

جاء في مقدمة التعريف بالأناجيل من أنه كلمة الله التي أوحى بها للرسول بواسطة روح القدس، وفيه يعلن لجميع البشر بشاراة المحبة والنعمة والخلاص والحياة الأبدية، والملفت

للانتباه أن كل إنجيل يختلف عن الآخر فكيف يصدق القول عليها: إنها كلمة الله مع وجود هذه الاختلافات والتناقضات كما في إنجيل متى الذي يتضمن الموضوعات الآتية:

زيارة المجوس (1، 2، 12). هروب يسوع إلى مصر (2، 13، 15). قتل أطفال بيت لحم (2، 16، 18). الرجوع بيسوع إلى الناصرة (2، 19، 23). سجن يوحنا وذهاب يسوع إلى كفر ناحوم (4، 13، 16). شفاء أعميين وأخرس مسكون (9، 27، 35). الحصاد كثير (9، 36، 38). شفاء كثيرين (15، 29، 31). يسوع يؤدي الضريبة للهيكل (17، 24، 27). مثال العمال وأجرتهم (1، 16، 20). مثل الابنين (21، 28، 32). مثل وليمة عرس ابن الملك (1، 14، 22). بكاء يسوع على أورشليم (23، 37، 39). مثل العذارى (1، 13، 25). مثل الوزنات (14، 25، 30). فضل الأبرار عن الأشرار (25، 31، 46) وغيرها. (1).

وهي موضوعات لم ترد في الأناجيل الثلاثة الأخرى، وغيرها من الموضوعات وردت في إنجيل يوحنا ولم ترد في إنجيل مرقس، وهكذا، فهل كلمة الله تتغير من إنجيل لآخر؟ وما يهمننا في هذا المبحث هو تسليط الضوء على الموضوعات التي احتوتها كتب الأناجيل الأربعة وتقدر ب (177) عنواناً، وتأثيرها على الفكر والفقه الإسلامي، وفيما يلي نورد بعضها مع التعليق عليها بما أمكن:

يعدُّ النقول بأن عيسى ابن الله من الأخطاء الكبيرة التي وقعت فيه جماعة تحريف العقائد في الفكر المسيحي والنصراني وقد ورد ذلك في كثير من نصوص الاناجيل منها هذا النص: (هذه بداية إنجيل يسوع المسيح ابن الله)، (2) وفي نصر آخر: (فقالَت مريم للملاك: «كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟» 35 فأجاب الملاك: «الروح القدس يحل عليك، وقوة العلي تظلك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله)، (3) وهذا باعتقادي أبشع قول يمكن أن يتقول به بشر بحق الله سبحانه وتعالى، وقد استعرض القرآن الكريم هذه التقولات في عدد من النصوص، ووصفها بالآفك الكاذب، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (التور: 11)، وقالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهمْ لَيَقُولُونَ﴾، ﴿وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الصافات: 151، 152)، وقالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يونس: 68)، ومنها قوله اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (مريم: 35). وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (مريم: 92) وأخيراً، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (الإخلاص: 3).

(1) انظر العهد الجديد – الملحق الأخير من الكتاب .

(2) انظر العهد الجديد – إنجيل مرقس.

(3) انظر العهد الجديد – إنجيل لوقا .

ومن المعلوم أن القرآن الكريم قد ذكر قصة خلق عيسى بآيات غاية في الإبداع والإقناع العلمي والعقلي، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (آل عمران: 59)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران: 45). وعن كيفية خلقه فقد بيّن القرآن الكريم ذلك بياناً بديعاً واضحاً لا جدال فيه، كما جاء في سورة مريم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا. قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعِلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا. فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جُذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا نَسِيًّا. فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَهَزَيَ إِلَيْكِ بِجُذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا، قَالَتْ بِهِ قَوْمُهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أخت هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا. ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ. مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، (الآيات من سورة مريم: من 16 إلى 37).

وذلك هو موقف المسيح من الشريعة، قال: (لا تظنوا أنني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء ما جئت لألغي بل لأكمل 18 فالحق أقول لكم: إلى أن تزول الأرض والسماء لن يزول حرف واحد، أو نقطة واحدة من الشريعة حتى يتم كل شيء 19)(1).

ولا يمكن أن يتصور عاقل أن يكون السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قد قَبِلَ ذلك الغناء المدوّن بالتوراة (العهد القديم) أو قَبِلَ ما جاء فيه من كلمات وعبارات وألفاظ تتسم بالإرهاب والعنف والتشنيع بسيدنا نوح وإبراهيم وأهل بيته، ونسبة الزنا لنبي الله لوط ونبي الله داود عليهما الصلاة والسلام، وكذا تطبيق عقوبات بشعة بحق الناس من الحرق والجلد والرجم حتى الموت وغير ذلك من العقوبات البشعة والقصص الكثيرة بما فيها من التناقضات، والكلام الفاحش على ذات الله سبحانه وتعالى، والتعالي على الناس كما أسلفنا؟

أما في موضوع نسب السيد المسيح عليه السلام، فقد جاء في إنجيل متى: أن يسوع المسيح يُنسبُ إلى سيدنا إبراهيم خليل الله عليه السلام، وجملة الأجيال من إبراهيم إلى داود (14) جيلاً، ومن داود إلى السبي البابلي (14) جيلاً، ومن السبي البابلي إلى المسيح (14) جيلاً، إجمالي عدد الأجيال (42) جيلاً، وفي إنجيل لوقا يحدد عدد الأجيال التي تصل نسبه إلى آدم عليه السلام بما يقارب من (75) جيلاً، وبمقارنة أسماء الأجيال في إنجيل (متى ولوقا) ستجدها مختلفة، وقد نُقل هذا الأسلوب حول سرد النسب إلى كتب الحديث والسيرة بفكر المذاهب الإسلامي للتعريف بنسب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي تُسبب إلى الفرع العدناني المتصل بسيدنا إسماعيل ابن إبراهيم، والتطرق للأنساب خاصة للأنبياء والرسول هراء لا قيمة له غير أن جماعة التحريف وظفت هذا النسب توظيفاً خبيثاً، مع العلم أن الله سبحانه وتعالى يضع رسالته حيث يشاء من الناس، ويختار من يشاء لرسالته من دون اعتبار للنسب ثم كيف يكون للمسيح نسب وهو حسب زعمهم ابن الله؟

وقد دار في هذا الأمر جدل بين الأمم السابقة مع أنبيائهم حول مسألة النسب ذكر الله في القرآن الكريم بعض من ذلك الجدل، كجدل قوم فرعون مع موسى عليه الصلاة والسلام، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف: 52)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي جَدَلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 247)، وتكرر الأمر عند بعثة النبي محمد عليه السلام، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: 31)، وفي هذا الموضوع جعل الله تعالى اختياره لشخص الرسول أمراً خاصاً به، وليس وفق نسب محدد أو عرق معين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ (الأنعام: 124).

(1) انظر العهد الجديد – إنجيل متى

ويعُدُّ تجسيد الأنجيل لشخصية المسيح عيسى عليه السلام بعدد من الشخصيات المتناقضة، كشخصية العراف الذي يطرد الشياطين، وشخصية المحارب الذي جاء من أجل الحرب والسيف والفتن بين ذوي القرابة وكل ذلك من آثار التحريف، فقد نسب له قول في بعض نصوص الإنجيل حسب هذا النص: (لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً. 35 فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنة ضد حمايتها. 36 وأعداء الإنسان أهل بيته) (1). وفي أقوال أخرى من أنه صانع السلام، وهذا يعد تناقضاً واضحاً، وقد ظهرت هذه التناقضات بأكثر من موقف في الأنجيل، خلافاً لكونه رسولاً يحمل رسالة من الله سبحانه لبني إسرائيل، مؤيداً بمعجزات محددة كما بين ذلك القرآن الكريم، ومن الواضح أن هذه المعجزات لم تكن بفعل شخص عيسى، وإنما أيده الله سبحانه بها من عنده حسب كثير من النصوص منها: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّورَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: 110)، ولمزيد من التوضيح، نورد قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 49).

وتلك المعجزات المحددة بالنص المؤيد بها رسول الله عيسى عليه السلام، كانت جميعها بإذن من الله لا بإرادته المنفردة، فهو بشر مخلوق لا حول له ولا قوة، غير أن جماعة التحريف أظهرت أن المسيح يقوم بالعديد من الأفعال الخرافية، فقالوا: إنه يطعم خمسة آلاف شخص ومرة أربعة آلاف شخص من بضع أرغفة الخبز، فيكفيهم جميعاً، وكذا خرافة المشي على الماء، ورد العاصفة في البحر وهو إدعاء ورد في كتبهم، ونُقِلَ إلى كتب الأحاديث في الفقه الإسلامي في مماثلة فعل النبي محمد صلى الله عليه وسلم بإطعام عشرات بل مئات من الناس من إناء واحد، وقصة الشاة العجفاء التي مسح النبي على ضرعها وحلبت لعشرات الأشخاص فشربوا وشبعوا منها.

ومن الخرافات التي تُنسبُ إلى المسيح خرافة خروجه من القبر لتلامذته، وقيامه بمشاركة الأكل والشراب، كما في هذا النص: (وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم، وقال لهم: «سلام لكم!» 37 فجزعوا وخافوا، وظنوا أنهم نظروا روحاً. 38 فقال لهم: «ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكار في قلوبكم؟ 39 انظروا أيدي ورجلي: إني أنا هو جسوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي». 40 وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه. 41 وبينما هم غير مصدقين من الفرح، ومتعجبون، قال لهم: «أعندكم ههنا طعام؟» 42 فنأولوه جزءاً من سمك مشوي، 43 فأخذ وأكل قدامهم. 44 وقال لهم: «هذا

هو الكلام الذي كلمتكم به، وأنا بعد معكم: إنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في شريعة موسى والأنبياء والمزامير⁽¹⁾.

وَيُبَيِّنُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كَيْفِيَّةَ وَفَاةِ عِيسَى وَرَفْعِهِ إِلَيْهِ، وَفَقَ حَقِيقَةُ تَنْتَابِقِ مَعَ إِيمَانِ الْعَقْلِ بِإِرَادَةِ الْحَقِّ، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَقِّكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (آل عمران: 55). أما حَقِيقَةُ صَلْبِهِ، فَقَدْ بَيَّنَّهَا الْقُرْآنُ بَيَانًا يَغْنِي عَنْ الْجَدَلِ، وَيُسَلِّمُ لَهَا الْعَقْلَ إِيمَانًا بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: 157، 158).

ما جاء في كتاب أعمال الرسل:

إنَّ كتاب أعمال الرسل ورسائل بولس وبطرس ويعقوب ويوحنا ويهوذا ورواية يوحنا، كلها كتب متشابهة ومكررة لما ورد في الأنجيل فضلاً عما أُضيفَ فيهما ما لم يأتِ في كتب الأنجيل، كما عُذِّلَ في بعض ما كررته، فكان كل هؤلاء الاتباع من الرسل يقومون باسم يسوع المسيح بكل معجزاته، بل وأكثر من ذلك، نذكر من تلك المعجزات والكرامات التي كانوا يمنحونها باسم يسوع المسيح، كما ورد في كتاب أعمال الرسل، في الآتي:

1-بطرس يشفي الكسبيح وعلمه بأسرار قصة حنانيا وزوجته سفيرة اللذين ماتا هلعاً من علمه بذلك.

2-خروج الرسل من السجن رغم أن أبواب السجن كانت مغلقة بإحكام.

3-فليس ومعجزاته مع وزير ملك الحبشة: (ولما صعدا من الماء، خطف روح الرب فيلبس، فلم يبصره الخصي أيضاً، وذهب في طريقه فرحاً 40 وأما فيلبس فوجد في أشدود، وبينما هو مجتاز، كان يبشر جميع المدن حتى جاء إلى قيصرية) أي أن ملك الحبشة كان مرافقاً له في الطريق وفجأة اختفى عنه، وظهر في مكان آخر لكرامة يملكها فيلبس! (2) ونُسخت هذه الخرافات في أعمال شيوخ الصوفية لابن عربي والبسطامي والجنيد وغيرهم.

4-معجزة بطرس لشفاء مشلول اسمه اينياس باسم المسيح، وفتاة في مدينة يافا اسمها طابيثا مرضت وماتت فأحياها بعد موتها، كما في هذا النص: (فأخرج بطرس الجميع خارجاً، وجثا على ركبتيه وصلى، ثم التفت إلى الجسد، وقال: «يا طابيثا، قومي!» ففتحت عينيها. ولما أبصرت بطرس جلست، 41 فناولها يده وأقامها) (3).

(1) انظر العهد الجديد – إنجيل لوقا

(2) انظر العهد الجديد – أعمال الرسل

(3) انظر العهد الجديد – أعمال الرسل

- 5-معجزة بولس يخرج روح عرافة باسم المسيح، ويخرج من السجن المحكم الإغلاق بعد أن كان بولس وسيلا يصليان ويسجدان لله.
- 6-معجزة بولس في غيقاف العاصفة في البحر، وجنوح السفينة أثناء سفره لمالطة وروما.

ومن المعروف أن جماعة العقيدة المسيحية اعتبرت أعمال الرسل فكراً دينياً أساسياً وبهذا الفكر الديني وغيره أنشأت لها كياناً جديداً تحت مسمى الكنيسة، فكرست عمل الكنيسة لحفظ كيان هذه الجماعة، كما ورد في تعاليمها، وما خطّه باباواتهم وقساوساتهم ورهبانهم من بعدهم، إذ أخذوا بنهج أسلافهم من اليهود فزادوا وأسرفوا في الزيادات فجعلوا من الكنيسة جهازاً يتدخل بكل كبيرة وصغيرة في شؤون المجتمعات، ثم قسموا الكنيسة بعدد مذاهبهم وفرقهم وطوائفهم حسب ما هو حاصل اليوم في العالم المسيحي المتعدد كنائسياً.

خرافات الفكر المسيحي على فكر المذاهب الإسلامية:

لقد كان لهذا الفكر المشبع بالمبررات الدينية أثر كبير في تبني هذه الادعاءات في بعض الأحاديث بفقه الحديث والسيرة في المذاهب الإسلامية، ومن مؤثراته ما يُعرف بكرامات الأولياء والأئمة ومعجزاتهم، كما هو لدى الفرق الصوفية التي استمدت من هذا الفكر كثيراً مما تدعيه من الكرامات التي تُسبب لشيوخ الصوفية، وفق ما نجد في بعض الأحاديث وغيرها من القصص، والتي تتشابه في البناء الشكلي والموضوعي والجرس الصوتي في كتب المذاهب الإسلامية منها على سبيل المثال نذكر القليل منها في الآتي:

1. (فإن كان عضو واحد يتألم، فجميع الأعضاء تتألم معه. وإن كان عضو واحد يكرم، فجميع الأعضاء تفرح معه)، من الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنتوس. مقولة تتشابه مع حديث: "مثلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له بقية الجسد بالسهر والحمى".⁽¹⁾
2. (لتصمت نساؤكم في الكنائس، لأنه ليس مأذون لهن أن يتكلمن، بل يخضعن كما تقول الشريعة أيضاً. 35 ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً، فليسألن رجالهن في البيت، لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في كنيسة) من الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنتوس، وهو قول فيه تشابه مع عدد من الأحاديث الخاصة بكلام النساء في المساجد، وإذا أرادت الكلام في المسجد فعليها أن تصفق بدل الكلام لأن صوتها عورة وفيه خدش للحياة.⁽²⁾
3. (وكونوا لطفاء بعضكم نحو بعض، شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح)⁽³⁾، وهذه المقولة تتشابه مع حديث حق المسلم على المسلم "لا يبغيضه ولا يشتمه ولا يحقره وكونوا عباد الله إخواناً أو كما قيل في هذا السياق.

(1) انظر العهد الجديد - أعمال الرسل - كورنتوس الأولى .

(2) انظر العهد الجديد - أعمال الرسل - كورنتوس الأولى .

(3) انظر العهد الجديد - أعمال الرسل - الرسالة إلى مؤمني أفسس .

4. (أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب، 23؛ لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة، وهو مخلص الجسد 24 ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح، كذلك النساء لرجالهن في كل شيء) (1)، وتتشابه هذه المقولة مع حديث: "لو أمرت المرأة أن تسجد لغير الله لأمرتها أن تسجد لزوجها".
5. جاء في هذا النص: (لتتعلم المرأة السكوت في كل خضوع. 12 ولكن لست أذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل، بل تكون في سكوت، 13؛ لأن آدم جبل أولاً ثم حواء، 14 وآدم لم يغو، لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي) (2) وهذه المقولة تتشابه مع أحاديث الشؤم في المرأة والدابة، وأن المرأة أساس الغواية وغيرها.
6. جاء في رسالة العبرانيين: (تعلمون أنه من خالف شريعة موسى كان عقابه الموت دون رحمة، على أن يؤيد مخالفته شاهدان أو ثلاثة 29، ففي ظنكم كم يكون أشد كثيراً ذلك العقاب، الذي يستحقه من يدوس ابن الله) (3)، وهذه المقولة تتشابه مع أحاديث قتل المرتدين عن دين الإسلام بكتب الحديث.
7. جاء في رسالة يعقوب: (من كان فقيراً وأخاً مؤمناً فليسر بمقامه الذي رفعه الله إليه، وأما الغني فعليه أن يسر بأن ماله لا يغنيه عن الله؛ لأن نهايته ستكون كنهاية الأعشاب المزهرة، فعندما تشرق الشمس بحرّها المحرق تيبس تلك الأعشاب فيسقط زهرها، ويتلاشى جمال منظرها، هكذا يذبل الغني في طريقه!). وهذه المقولة تتشابه مع أحاديث الفارق الزمني بين الأغنياء والفقراء، في دخول الجنة وأن الغني يمشي حبواً إلى الجنة.
8. جاء في رسالة يعقوب: (إن شرارة صغيرة تحرق غابة كبيرة واللسان كالنار خطراً)، وهذه المقولة تتشابه مع أحاديث "إنما تكب الناس على رؤوسهم في النار إلا حصائد ألسنتهم".
9. جاء في رسالة بطرس الأولى: (سلوك المؤمنين: "أيها الأحباء ما أنتم إلا غرباء تزورون الأرض زيارة عابرة"). وهي مقولة تتشابه مع حديث: حياة المؤمن كعابر سبيل، أو حديث: عش كأنك غريب مفارق أو كأنك تستظل تحت شجرة، إلخ.
10. جاء في رسالة يوحنا الأولى: (يا أولادي، أكتب إليكم هذا كي لا تخطئوا. وإن اخطئ أحد فلنا شفيع عند الأب، يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً). وهذا النص يتشابه مع أحاديث الشفاعة والشرب من الحوض ومن يد رسول الله محمد عليه السلام.
11. جاء في رسالة يوحنا الأولى: (إن الله لم يره أحد من الناس قط، ولكن حين نحب بعضنا بعضاً، نبين أن الله يحيا في داخلنا، وأن محبته قد اكتملت في داخلنا). وهذا النص يتشابه من أحاديث: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، وإن لم تره فإنه يراك. أو أن الله يتجسد في مخلوقاته وفق منهج التصوف.

(1) انظر العهد الجديد – اعمال الرسل – الرسالة إلى مؤمني أفسس .

(2) انظر العهد الجديد – اعمال الرسل – الرسالة إلى تيموثاوس .

(3) انظر العهد الجديد – اعمال الرسل – رسالة العبرانيين .

عرض لبعض الطوائف والفرق والكنائس المسيحية:

من نافلة القول أنَّ النصارى والمسيحيين يعتنقون تعاليم الأنجيل الأربعة وأعمال الرسل، ويسمونها: بالعهد الجديد، إضافة إلى كتاب العهد القديم.

كما أنهم يعدون التوراة بمثابة الخلفية العقائدية الإيمانية لأتباعهم، إذ يرى غالبية المسيحيين أن عقيدتهم الإيمانية جزء من عقيدة أتباع العهد القديم، ومنهم من يرى غير ذلك، وقد امتد أثر الانقسامات في العقيدة اليهودية إلى عقيدة المسيحيين، فخلق انقسامات حادة في الفكر المسيحي، أدت إلى خلافات في العقيدة نفسها، فبرز نتيجة ذلك عدد من المذاهب والفرق والطوائف والجماعات مناظرةً للمذاهب والطوائف والفرق اليهودية، لينعكس أثر ذلك على الكنيسة وتبعيتها ليصل عددها إلى خمسين كنيسة حول العالم تقريباً.

وسنعمد إلى ذكر بعض من تلك المذاهب والطوائف بالاعتماد على مع التلخيص والتعليق ما أمكن ذلك في الآتي:

النَّصَارَى:

تطلق تسمية النَّصَارَى على المسيحيين، رغم رفضهم لها؛ لأنها حسب قولهم طائفة من اليهود لا تؤمن بألوهية عيسى وهم يهود بالباطن ومسيحيون في الظاهر، ويعزى ذلك إلى أن لفظ نصاري أو الناصر لقب جاء من إحدى التسميات التي أطلقت على يسوع نسبة لمدينة الناصرة التي عاش فيها، وهي بلدة في الجليل بفلسطين، وقد أطلق اليهود اسم (نصارى) على أتباع النبي عيسى، لأنهم رفضوا الاعتراف بكونه المسيح المنتظر، ويطلق اسم النصارى غالباً على جماعة تتبع التقاليد المسيحية السريانية وتعيش في ولاية كيرالا في الهند وتتبنى هذه الطائفة العديد من التقاليد المسيحية اليهودية، في حين يرى آخرون أن النصاريين هم طائفة يهودية آمنت بأن عيسى النصاري كان رجلاً عادياً ونبياً من الأنبياء، ولكنه ليس هو المسيح المخلص المنتظر، كما رفضت تأليه عيسى ورفضت اعتبار بولس الطرسوسي رسولاً، وأنكرت يوم الأحد والأنجيل الكنسية الأربعة، وحافظت على التوراة ويوم السبت.

وهناك من يقول إن النصارى هم أتباع الديانة المسيحية على العموم.

أما الحديث عن ورود كلمة "النَّصَارَى" في كتب العهد القديم والجديد، فليس لهذا اللفظ وجود في أي نص من نصوص العهدين على الإطلاق. ولكنها أي كلمة "النَّصَارَى" وردت في القرآن الكريم الذي ذكر النصارى باعتبارهم جماعة من اليهود لم تؤمن برسول الله عيسى عليه السلام كما تخبرنا هذه الآية قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ المائدة (14)، كما جاء ذكرهم في عدد من الآيات الأخرى ومنها هذه الآية التي تثبت صحة القول أن النصارى هم مسيحي اليوم الذين يؤمنون بألوهية عيسى قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِنُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ التوبة (30)، ومن هنا

فالمسألة واضحة في حقيقة الاعتقاد وفق ما أشارت إليه الآية، وليس للشكليات في لفظ التسمية هنا وهناك.

وإذا أتينا لآية أخرى تبين لنا جوانب الجدل (القديم – الجديد – والمستمر إلى يوم القيامة) والدائر حول حقيقة الحق والاعتقاد بين اليهود والنصارى (مسيحي اليوم) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ البقرة (113).

وبالرغم من كل ذلك تبرز أمامنا حقيقة صفوة من الناس من الذين آمنوا بالنبى والرسول عيسى عليه السلام عبر وحي من الله سبحانه إليهم مباشرة وهم الحواريون الذين لم يتبق منهم أحد، كما تذكره لنا هذه الآية الكريمة قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمَنُوا بِى وَبِرَسُولِى قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ المائدة (111)، وهناك آيات أخرى من القرآن الكريم تصف الحوارين بالمسلمين وهم أتباع نبينا وسيدنا عيسى عليه السلام وهي: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ الصف (14) وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران (52).

الطائفة الكاثوليكية:

تأتى الطائفة الكاثوليكية المنتمية إلى المذهب الكاثوليكي بحسب انتشارها في العالم، في مقدمة الطوائف المسيحية، إذ تضم الغالبية العظمى من مسيحي العالم، وهم أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ذوى التقليد الطقسي اللاتيني. وقد انفصل عن هذه الكنيسة ست كنائس تُعرف بالكنائس الكاثوليكية المستقلة، التي انفصلت عن الكرسي الرسولي، وهي: كنيسة الفلبين المستقلة، الجمعية الوطنية الكاثوليكية في الصين، الكنيسة الرسولية البرازيلية، الكنيسة الرسولية الفلبينية، والكنيسة الكاثوليكية القديمة، والكنيسة الكاثوليكية الوطنية البولندية.

الطائفة البروتستانتية:

تنتمي هذه الطائفة إلى مذهب البروتستانتية ثاني مذاهب الدين المسيحي، وينتشر أتباعه في أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية وفي أفريقيا وفي أوروبا وفي آسيا وفي أستراليا، وكما يتوزع البروتستانت بين الكنائس البروتستانتية التاريخية والكنائس البروتستانتية الإنجيلية، ومجملها سبع كنائس هي: الأدفنست والأنجليكانية والمعمدانية وكنائس الإصلاح واللوثرية وميثودية والخمسينية والبروتستانتية الخط الرئيس أو البروتستانتية التقليدية، وهو مصطلح شائع في الولايات المتحدة لوصف الكنائس البروتستانتية التقليدية، التي تشمل سبعة مذاهب وهي: المشيخية، الأبرشانيون، الأسقفيون، الميثودية، اللوثرية، والمعمدانيون وغيرها، ولهذا المذهب قاعدة اجتماعية عريضة راسخة في الطبقات الوسطى والعليا ذات النفوذ الاقتصادي والسياسي والثقافي وأكبر الطوائف المذهبية البروتستانتية هي:

الحركة الخمسينية، والكنيسة المعمدانية، والكنيسة الأنجليكانية والكنائس الإصلاحية أو الكالفينية والميثودية واللوثرية والكنائس الأفريقية المستقلة وأدفتست للأطفال وتجديدية العماد – الأميش - والمناوية، ولكل من هذه الطوائف أتباع مستقلون من حيث الارتباط العقائدي والطقوس.

طائفة الأرثوذكسية المشرقية:

يدلُّ مصطلح الأرثوذكسية المشرقية على العقيدة التي تؤمن بها كنائس مسيحية أرثوذكسية شرقية، لا تعترف إلا بشرعية المجامع المسكونية الثلاث الأولى (نيقية، قسطنطينية، أفسس)، وتعرف برفضها القاطع للعقيدة التي أقرها مجمع خلقيدونية، وتعرف بالكنائس الشرقية القديمة، مع وجوب التمييز بينها وبين الكنائس الشرقية الأرثوذكسية والكنائس الشرقيّة القبطيّة والأرمنيّة والسريانيّة، وترى هذه الطائفة أن المجامع المسكونية أربعة، وهي: مجمع نيقية، مجمع القسطنطينية الأول، مجمع أفسس، ومجمع أفسس الثاني. وفقاً للكنيستين الرومانيّة والبيزنطيّة، كما ترى أن مجمع خلقيدونية المجمع المسكوني الرابع أحد المجامع المسكونية السبعة.

الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية:

تعدُّ الكنيسة الأرثوذكسية ثاني أكبر الكنائس المسيحية بعد الكنيسة الكاثوليكية في العالم؛ وتتخطى المذاهب البروتستانتية مجتمعة، ومصطلح الكنيسة الأرثوذكسية، (يشمل الأرثوذكسية الشرقية والأرثوذكسية المشرقية) وهناك كنائس شبه مستقلة، أكبرها: كنيسة موسكو وكنيسة أوكرانيا، وكنيسة مولدوفا، ثم الكنيسة الأرثوذكسية في مقدونية. أما الكنائس الأرثوذكسية غير المعترف بها، وأكبرها: جماعة المؤمنين القدماء، والبطريركية الأرثوذكسية التركية المستقلة. ومن الكنائس الأرثوذكسية المشرقية الكنائس الوطنية، وهي:

- 1-كنيسة التوحيد الأرثوذكسية الإثيوبية، مركزها في أثيوبيا.
- 2-كنيسة الأقباط الأرثوذكس، مركزها في مصر.
- 3-الكنيسة الرسولية الأرمنية في أرمينيا.
- 4-كنيسة التوحيد الأرثوذكسية الإريترية، مركزها في إريتريا.
- 5-كنيسة السريان الأرثوذكس ومركزها في سوريا.
- 6-كنيسة مالانكارا اليعقوبية السريانية، الأرثوذكسية في الهند.
- 7-الكنيسة الهندية الأرثوذكسية، وتُعرف أيضاً بكنيسة مالانكارا السريانية الأرثوذكسية. مركزها الهند.

والسؤال الذي يفرض نفسه: هل يتدارك المؤمنون من النصارى والمسيحيين بمختلف الطوائف حقيقة الوقوف على تصحيح الفكر الديني من عدمه؟

الفصل الخامس

فكر العقائد والأديان القديمة

مقدمة:

يمثل الإيمان بالله والعمل الصالح مقياس رضا الله سبحانه وتعالى، يؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 62). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (المائدة: 69). وقوله جلّ في علاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج: 17).

ومن خلال آيات الذكر الحكيم أعلاه نجد ذكر جلّ في علاه الذين هادوا (اليهود) والصابئون أو الصابئين مع اختلاف اللفظ بحسب موقعه في الجملة واتفق المعنى وكذلك النصارى والمجوس، وأضاف الذين أشركوا مع الله إلهاً آخر، وقصد من هذه الآيات الإشارة إلى أناس آخرين كثر، وبيّن سبحانه وتعالى أنه سيفصل بينهم يوم القيامة، وهو ما يؤكد ضمناً وصراحة على استمرار عقائدهم إلى يوم القيامة، كما يؤكد حرية العقيدة الدينية، ونحن معنيين بهذا الخطاب الذي يفهم منه صراحة وجوب أن نحيا حياة مشتركة في الأرض تقوم على حرية الاعتقاد والحرية الدينية ونشر قيم الخير والفضيلة والمودة والرحمة دون صراع أو طغيان على الآخر نتيجة لاختلاف العقيدة كما يفهم من الآيات وعدم التعدي على الآخر المختلف معك في العقيدة، وليس على المؤمنين بدين معيناً إجبار الآخر على الإيمان بمعتقدهم عن طريق التبشير أو استغلال حاجات الإنسان بمقابل إدخالهم المعتقد الديني أو المذهبي؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يفصل في هذه المسألة يوم القيامة، وأن مقياس قبول الإنسان عند الله هو العمل الصالح والإيمان.

ومن هنا فنحن معنيين بالعيش المشترك على الأرض، وتبادل المنافع وتجنب الضرر، ومن الأهمية الاطلاع عن كثب على هذه المعتقدات لمزيد من الوضوح في الرؤية، ولمزيد من الفائدة المعرفية في تأثر هذا النص بذاك، ومعرفة مصدر بعض التشريعات، وعلينا احترام المعتقدات مهما كانت، ومن هذه القناعة نحاول جاهدين قراءة بعض من نصوص العقائد الدينية في هذه المباحث، لإيصال المعلومة الصحيحة للقارئ حول تلك الأديان والعقائد، حسب ما تيسر لنا جمعه من المعلومات في المصادر والمراجع الأساسية، من أجل وضع محتوى هذه العقائد أمام القارئ؛ ليسهل عليه عمل المقارنة بين نصوص هذه الأديان والمعتقدات، ونصوص الفقه الإسلامي لمعرفة مدى التداخل والتأثير والتأثر، ومقارنة ومقابلة كل ذلك بآيات القرآن الكريم، لقوله سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ
بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (الكهف: 29).

لذا اتجهنا هنا إلى عرض بعض أهم الديانات الأخرى في الآتي:

الديانة الزرادشتية: الكتاب المقدس (أفستا)

التعريف بـ"أفستا":

أعد الدكتور/ خليل عبدالرحمن مع مجموعته هدية فكرية قيمة مترجمة لـ أفستا (الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية)، الطبعة الثانية 2008م، عن دار روافد في دمشق، سوريا، وهي أول ترجمة لهذا الكتاب تقريباً⁽¹⁾.

وقد استهل الكتاب بمقدمة وافية، عرّف من خلالها بـ أفستا ذات العمر الربيعي المقدر بثلاثة آلاف سنة، فكانت موسوعة وثائقية معبرة عن حضارة الشعوب الآرية، وبصفة خاصة: الكرد، والأرمن والفرس والطاجيك والأفغان، كما تعبر عن الفكر العقائدي والإنساني الذي تناقله الإنسان شفاهة ونصّ مكتوب عبر أجيال متعاقبة، وترجمة (أفستا) للعربية تمثل لنا صيحة الديك المقدس على لسان الدكتور خليل عبدالرحمن من أجل أن ينبلج الفجر، وتسطع شمس الحق والحقيقة، وتصحو عقولنا من غفلة ما علق بنا طيلة قرون مضت من الاختلاف والافتتال الديني والمذهبي، وكما تُعد ترجمة أفستا عملاً وجهداً جباراً يدعو إلى الفخر بمن أنجزه والثناء الوافر له، لما تقدمه هذه الترجمة من ثمار المعرفة التي تكشف عور جماعة الأبالسة بحسب وصف أفستا، الذين حرفوا الحقيقة في الفكر الإيماني لعقيدة الإنسان عبر التاريخ، باقتباس البناء الشكلي للكتاب المقدس أفستا، والتي تتكشف كثيراً من مواضيعها التي تحوي عدداً من الأساليب التي ظهرت بها أفستا، ومنها: الأسلوب القانوني وأسلوب الاستطراد، وأسلوب التكرار والاستفهام، فتداخلت أفستا في الفكر الديني اليهودي، وهذا التداخل واضح في التلمود (المشناً)، وكذلك في الفكر المسيحي، كما يظهر تمازج هذه العقائد في فكر المذاهب الإسلامية، وهو ظاهر بجلاء في المذهب الشيعي بكل تفرعاته، وبعض المذاهب السنية.

وحقاً فإن ترجمة (أفستا) تفصح جماعة التحريف الأبالسة الذين قَسَمُوا دين الله إلى أديان وعقائد ومذاهب وفرق وجماعات تتقاتل عبر التاريخ من أجل امتلاك الإله الواحد والحقيقة الواحدة، وتعد (ترجمة أفستا) طريق جينيفات (الصراط) لإدراك دس جماعات التحريف في الفكر الإيماني والعقائدي للناس، ومن أجل معرفة الحقيقة الغائبة طيلة القرون الماضية، وهو ما نحاول به هنا أن نزيل الزيف والتحريف، إذ من أفستا نشتم رائحة الكراهية الموجهة نحو أصناف من الناس، بدءاً بالتركي والعربي والرومي، بينما تظهر أفستا الود لليهود المتسترين بين جنباتها، وهذا يعني أن اليهود مروا من هنا، فكانت لهم بصمة واضحة فيها.

(1) انظر الكتاب المقدس (أفستا) – د. خليل عبد الرحمن

ومن (أفستا) الكتاب المقدس للزرادشت الساسانيين، {وقيل إن زرادشت أو " زورآستر " هو الاسم الذي شاع أكثر عند اليونان، فقد وصلتنا تعاليم زرادشت في سبع عشر ترنيمة من ترانيمة المسماة (جاثا)،} (1) نقتبس أهم ما جاء فيه لتسليط الضوء على جماعة التحريف التي دست كثيراً من الأحكام والشرائع في عقائد الناس المتعاقبة خاصةً فقه المذاهب الإسلامي بنفروعاته من الحديث والفقه وغيره، واعتبر ذلك الدس من أحكام الله تعالى لتضل الناس عن الهدى في محاولة إطفاء نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

النسك الأول: ياسنا - ترانيم وانشيد الصلوات:

وقد تضمن هذا الجزء المهم مجموعة ترانيم وصلوات دينية مؤلفة من اثنين وسبعين فصلاً، يسمى كل منها ب (هايتي) أساس العبادات الزرادشتية، التي يقوم بها الكهنة الزرادشتين أمام النار المقدسة، وأثناء تحضير شراب الهاوما المقدس، ويعد الكات الجوهرة الثمينة في الياسنا، وهي أناشيد النبي زرادشت نفسه، حسب وصف المؤلف، والتي أرسى أسس الديانة، وتتألف تلك الأناشيد من سبعة عشر نشيداً في خمس مجموعات (2).

النسك الثاني: فيسبرد - طقوس القرابين:

ويحوي هذا النسك على الطقوس المقدسة في تقديم القرابين من قبل الكاهن، وبداية تقديم الشراب المقدس الهاوما من قبل الكاهن، وهو ما يعرف ب (كردة)، وفي هذا النسك ثلاث وعشرون كرده (3).

النسك الثالث: فيندايد - أناشيد العبادات:

وتعرف هذه الأناشيد ب: ياشت، وتعني العبادة، وأناشيد العبادة، ويذكر أسماء الإله (أهورامازدا) في الديانة الزرادشتية، وهي لا تتجاوز عشرين اسماً، وأضيف لها خمسين اسماً، ثم اثنين وسبعين اسماً، باستثناء اسم (أهورامازدا) والعدد يتطابق مع خيوط الحزام المقدس كوشتا، ويتوجب على متبع الديانة الزرادشتية قراءة ياشت يومياً بعد صلاة الصبح، وأثناء تغير مكان الإقامة، وينصح بقراءته قبل النوم أيضاً، ومن ضمن هذه الأدعية ترنيمة الشمس والصلاة لها، وترنيمة القمر وترنيمة نجمة سيروس "الشعري" (سهيل اليماني)، ونشيد ميتر وسراوشاش، وترنيمة الأرواح (الروح المقدس)، ونشيد إله الحرب والنصر، وترنيمة آشي الخيرة إلهة السعادة والقدر، ونشيد هفارانو، ومطير الروح بعد الموت (4).

النسك الرابع: ياشت - قوانين الطهارة:

ويتضمن قانوناً ضد الأبالسة والأرواح الشريرة (فنديداد) وكرس للطهارة الجسدية، والروحانية للإنسان والحيوان والمخلوقات الخيرة، كما يتضمن الأحكام التي يجب اتباعها للتخلص

(1) انظر المعتقدات الدينية للشعوب القديمة - جفري بارندر - ص 90

(2) انظر افستا - ترجمة د خليل عبد الرحمن .النسك الأول من ص 53 - ص 208 .

(3) انظر افستا - ترجمة د خليل عبد الرحمن . النسك الثاني من ص 209 - ص 228 .

(4) انظر.افستا - ترجمة د خليل عبد الرحمن . النسك الثالث من ص 229 - 384 .

من النجاسة والوقاية منها والقيام بمراسيم الطهارة وتجديد الطهارة الجسدية والروحية(1).

الفنديد:

نجد في الفنديد بداية الطب الزرادشتي وعلم الفقه والعلوم الطبيعية والجغرافية، ورغم أن الفنديد كُتب مؤخراً إلا أن مضمونه يشير إلى جذور موغلة في القدم تصل إلى التقاليد الآرية، وقوانينه صارمة جداً كما أنها مملة ومبهمّة ومعقدة، وهذا لا يتطابق مع معرفتنا عن الزرادشتيين عشاق السعادة والأعياد واللهو والشراب والحرية وحب الحياة، ويعد الكتاب وثيقة مهمة في الأنثروبولوجيا القديمة، وهذا الكتاب قد دس في ديانة الهندوس ككتاب مقدس أثناء غزو القبائل الآرية للهند.

ويتألف الفنديد من اثنين وعشرين فصلاً، يسمى ب (فاركارد)، ويعني في البهلوية (الجزء) أو فصل من كتاب، تقرر العقوبة على صيغة أسئلة فرضية من السائل للإله، أهم ما فيه العقوبات الجنائية على الأفعال المجرمة، وهي تشريع منظم لحياة الفرد والمجتمع، فيبدأ بترتيب الجرائم، وتقسيمها إلى ستة عقود، هي:

1- عقد كلام.

2- عقد باليد.

3- عقد على مقدار من الأغنام.

4- عقد على مقدار من الثيران.

5- عقد على ما يعادل رجلاً.

6- عقد على ما يعادل حقلاً مثمراً وافر المحصول.

ثم يحدد عقوبات من ينتهك تلك العقود فيقرر المسؤولية على أنسابه لفترات خرافية، تبدأ من ثلاثمائة سنة، وتصل إلى ألف سنة، ثم يقرر الجزاء التأديبي أيضاً المتمثل في الجلد بسوط الحصان إلى جانب الجلد بسرّاوش جارنا (عقوبة إضافية)، وتدرج هذه العقوبة أيضاً عن الأفعال المنتهكة لتلك العقود وغيرها، ابتداءً من ثلاثمائة جلدة وانتهاء بألف جلدة وهكذا، ثم يقرر الجلد عقوبة رئيسة على بقية الأفعال المجرمة، كالاغتداء على سلامة الجسم وغيرها، وتبدأ من خمس جلدات حتى تصل إلى مئتي جلدة، بحسب تكرار الفعل المجرّم، كما قرر عقوبة الكذب بسبعمئة جلدة بسوط الحصان وبسرّاوش جارنا.

وتأتي موضوعات فنديد في الآتي:

• قوانين الطهارة من نجاسة الجثث وطقوسها:

- حدد القانون كيفية وضع الجثة، فأوجب أن يكون وجهها باتجاه الشمس، وهناك جثث مدنسة تتطهر من بحر إلى بحر، وأن (دوج ناسو، شيطانة الجثة) تطوق الجثة،

(1) انظر افستا - ترجمة. د خليل عبد الرحمن. النسخ الرابع من 385 - 586 .

- وتصيبها بالدمار والتلوث، وتصنع النجاسة والشر في جسد الميت، وتتعدد إصابة جثث الموتى بدوج ناسو، ابتداءً بالإنسان والكلب وغيرهما.
- عند ولادة المرأة، يجب أن تكون بعيدة عن النار المقدسة، والماء المقدس بمقدار عدد من الخطوات.
- عندما تطهر المرأة، يغسل جسدها وملابسها ببول الثور، وتبقى منعزلة الليالي التسع، ثم تغتسل بالماء.
- أحكام تتعلق بنجاسة الجثة وكيفية التطهر منها.
- أحكام حول نجاسة الأرض التي يموت فيها إنسان أو كلب.
- أحكام استراحة الأرض بعد النجاسة.
- أحكام بشأن الجثة المتفسخة.
- أحكام بشأن وضع جثث الموتى على قمم الجبال حتى تلتهمها الكلاب والطيور.
- أحكام تثبيت الجثث بالجص أو الخشب ناظراً للشمس.
- أحكام تطهير الإنسان من نجاسة الجثة ببول الثور والفرك بالتراب والماء.
- أحكام تطهير الثوب إن كان نسيجاً بغسله ببول الثور، وفركه بالتراب الخ.
- أحكام التطهر من نجاسة جثة الكلب والإنسان.
- أحكام وأجور من يقوم بشفاء الأمراض والتداوي والمعالجة.
- أحكام تطهير الأواني إذا لامست جثة الميت من الكلب والإنسان.
- أحكام تطهير الأواني الذهبية والفضية والنحاسية وغيرها ببول الثور والتراب والماء.
- أحكام تطهير البقرة التي أكلت من جيفة الكلب.
- أحكام الاغتسال ومراسيم الدفن.
- أحكام وطقوس نظافة النيران.
- أحكام التخلص من الجثة بأسرع وقت لنجاستها.
- أحكام تتعلق بتطهير الإنسان لنفسه من لمس نجاسة جثة الميت.
- أحكام التطهر ببول الثور وحفر عدد من الحفر والدعاء والصيغ الخاصة لتطهير أشياء عديدة (يطلق عليه بالرقية الشرعية اليوم).
- أحكام لتطهير المنزل - النار - الماء - الأرض - البقر النباتات المؤمنة المؤمنة النجوم الشمس النور - وجميع الأشياء المراد تطهيرها وذلك بترديد كلمات (أهونا - فايرياً - خمس مرات لأنها تصون الإنسان وتطهره).
- لتطهير النار تقول الكلمات بصوت عالٍ (نازك).
- لتطهير الماء تقول الكلمات بصوت عالٍ (نبجل مياهك مياه).
- لتطهير الأرض تقول الكلمات بصوت عالٍ (هذه الأرض نبجلها.... إلخ).
- لتطهير البقرة تقول الكلمات بصوت عالٍ (سننجز أفضل الأعمال... إلخ).
- لتطهير الرجل والمرأة والنباتات.
- **تفضيل النفس (فترة الحداد لمختلف الأقارب):**

- أحكام الحداد على: الابن، البنت.
- أحكام الحداد على: الأب، الأم، الأخ، الأخت.
- أحكام الحداد على: الحفيد، الجد، الجدة، ابن الأخ وغيرهم.
- أحكام الحداد على: التقى، الأثم.
- أحكام تطهير البيت بعد الموت.

• أحكام بشأن الكلب:

يحتل الكلب أهمية كبيرة هنا، إذ يعد في المرتبة الثانية في القداسة بعد الإنسان، ويُخص الكلب بتبجيل لا يسمو إلى مرتبته غيره من الحيوانات، فالكلب حارس قطيع الماشية، وهو مخلوق لروح القدس الذي يخرج لقتل آلاف من مخلوقات روح الشر في منتصف الليل وحتى شروق الشمس:

- أحكام مَنْ يضرب الكلب.
- أحكام بشأن كلب القطيع وكلب الصيد.
- أحكام بشأن غذاء الكلب.
- أحكام بشأن الكلب المسعور.
- أحكام الكلب الذي يعادل طبائع: الكاهن، المحارب، المزارع، العبد، الوحش، العاهرة، الطفل.

• أحكام الخطايا التي لا تغتفر:

- 1- تعليم دين آخر وقانون آخر أو تعلم عقيدة وضعية.
- 2- إعطاء الكلب عظماً صلبة أو طعاماً ساخناً.
- 3- ضرب الكلب والجري خلفه.
- 4- تعثر الكلب في جرف.
- 5- أحكام قيام الزواج من أقارب الدم.
- 6- أحكام قيام علاقة الجماع مع امرأة، في حالة السيلان الأبيض أو الحيض.
- 7- أحكام بشأن جماع الرجل للمرأة الحامل.
- 8- أحكام بشأن الزنا بالفتاة وهي عند أهلها.
- 9- أحكام بشأن إجهاض الفتاة ومن ساعدها (القتل العمد).
- 10- أحكام ولادة الكلبة في: إسطبل الخيل، زريبة البقر، حظيرة الأغنام.
- 11- أحكام الاعتناء بجراء الكلبة، ومن يقتل الجراء يطبق بشأنه أحكام القتل العمد.

• قوانين الطهارة المتعلقة بالطمث والأظافر:

- 1- أحكام المرأة الحائض ومقدار قربها من النار والماء.
- 2- أحكام طعام المرأة الحائض وشرابها.
- 3- أحكام بقاء المرأة منعزلة.
- 4- أحكام تطهير المرأة الحائض بعد تسعة أيام.
- 5- أحكام الرجل الذي يجامع المرأة الحائض.

6- أحكام قص الشعر والأظافر، والقيام بحفر حفرة في الأرض ودفنهما كتقدمة للطائر اشو.

• أحكام أخرى:

- 1- أحكام بشأن الرجل يبول واقفاً ويترك أثر البول عليه.
- 2- أحكام بشأن الاحتلام.
- 3- أحكام من يبلغ خمس عشرة سنة، ويمشي من دون حزام وقميص مقدسين.
- 4- أحكام عقوبة ألف رأس من الماشية الصغيرة لمن جامع امرأة حائضاً، ويأتي بأخشاب معطرة ويقتل ألف أفعى وألفاً من نمل حاملة الحبوب، ويشيد ثلاثين جسراً على الأنهار ويجلد ألف جلدة(1).

أفستا الصغرى والصلوات:

هورد أو أفستا الصغرى، وتشتمل على مجموعة أدعية وصلوات زرادشتية يومية مأخوذة من نصوص أفستا الكبرى، وهي:

- 1- ثلاث صلوات رئيسة للديانة الزرادشتية.
- 2- صلوات يومية تقرأ أثناء ربط كوستي (الحزام المقدس).
- 3- نياشي وكرست لليزيديين.
- 4- (كاه) ويعني الوقت: (الوقت وهو أقسام اليوم) خمس صلوات مطابقة لأقسام اليوم الخمسة: (الفجر، الظهر، العصر، المغرب، العشاء).
- 5- صلوات لحماية الأيام الخمس.
- 6- البركة، وتعني الاستحسان والزيادة(2).

روح العقل:

تحدث أفستا تحت هذا العنوان عن خلق العقل، ومداركه ووظائفه وتركيبه وخصائصه وإعماله وكل ما يتعلق به، وذلك بصيغة السؤال الموجه من الحكيم إلى روح العقل وبدور روح العقل يجيب على كل الأسئلة وهي كثيرة.

كتاب: (خرافة المعراج الزرادشتي):

ويعد هذا الكتاب من الأدب الشعبي الزرادشتي الأكثر انتشاراً وقراءة، ليس فقط بين الزرادشتيين المعاصرين، بل بين أتباع العقائد والمذاهب المختلفة، وقد ترجم الكتاب إلى عدد من اللغات: السنسكريتية والفارسية والإنكليزية، والفرنسية والألمانية والروسية، وأخيراً يترجم للعربية وفي هذا المؤلف الذي ورد ب (34) صفحة، وتحديداً من (870 - 904) من كتاب أفستا، ويُفهم منه كيف استطاعت جماعة التحريف دس خرافة المعراج في الحديث والفقه

(1) انظر أفستا . ترجمة د خليل عبد الحمين . النسخ الرابع من ص 385 – 586 .

(2) انظر أفستا. ترجمة د خليل عبد الرحمن . من 707 – 715 .

الإسلامي، وأصبح يعمل له أعياد سنوية، وفيه فرضت مشروعية الصلاة وأمور أخرى، وقد جاء في موضوع المعراج الزرادشتي ما يلي:

بعد أن هاجم الإسكندر المقدوني فارس (إيران) واحتلها سنة (331) ق.م، وبعدها قرر المجمع الكهنوتي الزرادشتي الأعلى إرسال رسول إلى الإله لكي يجددوا إيمانهم بديانة الأجداد، ويعيدوا بناء البلد الروحية في الزمن الصعب للديانة الزرادشتية لمواجهة الغزاة المحتلين من المقدونيين والرومان، وفي الاجتماع وقع الاختيار على أفضل كاهن يتميز بالصدق، والصلاح، والأمانة وهو الكاهن الصالح (آردا فيراز ناماك) الذي تعرض لاختبار الصدق، بغرز الرمح في جسده ثلاث مرات دون أن يصاب بأي أذى، ومن ثمّ قام بطقوس الطهارة والصلوات بمعبد نار (فارنباي)، وشرب النبيذ مع شراب الهاوما المقدس، وبعدها غط في نوم عميق لسبعة أيام بلياليها وأثناء نومه فارقت روح فيراز ناماك جسده، وانطلقت نحو السمو، نحو جسر جينفات (الصراط)، حيث تقوم برحلة في العالم الآخر فتزور الجنة، وتزور جهنم (النار) بمرافقة ملاك الطاعة (سراوش)، وإله النار (آدور) وعادت في اليوم السابع، ودخلت الجسد من جديد، نهض فيراز وتحدث عما رآه برحلة معراجه نحو السماء، نقتبس من المشاهد التي رآها فيراز الصالح في الجنة والنار ما يلي:

مشاهد من الجنة:

- رأيت فتاة رائعة هيفاء ذات نهدين منتصبين، وأصابع طويلة، وجسد منير، ذات نظرات هادئة وجذابة، هذه الفتاة تجسد إيمان الإنسان الصالح.
- رأيت أرواح البشر تقف بمكان يسمى المطهر، وفيه يتم فرز الأرواح الخيرة والأرواح الشريرة.
- رأيت أرواحاً بمدرج النجوم والقمر، عملوا أعمال خير أفضل من الصلوات، ومن التمسك بزواج الأقارب.
- رأيت أرواحاً بمدرج الشمس ممن تقلدوا زمام الأمور الملكية، وأداروا دفة الحكم بشكل خيّر.
- قابلت إله النار: آدور وسجدت له.
- رأيت موكب أرواح الكرماء الساطع، وأرواح الكهنة على جبل من نور.
- رأيت أرواح الحكام والملوك الصالحين، وقد فاحت منهم رائحة العظمة، والخير والمجد والنصر.
- رأيت أرواح النساء المطيعات لأزواجهن وأظهرن لهم الرضى، وآمنّ بدين مازداياسنا وأبدن المثابرة في الأعمال الخيرة، وامتنعن عن ارتكاب الذنوب.
- رأيت أرواح المزارعين، والحرفيين وأرواح المدافعين الفقراء ومحبي السلام... إلخ.

مشاهد من جهنم (النار):

- رأيت روح امرأة تاكل القذارة ومخلفات البشر.

- رأيت روح إنسان وقد سلخ جلده من رأسه حتى أخصص قدميه، وآخر يأكل التراب مع الرماد وآخر تلسعه الأفاعي، وآخر معلقاً من لسانه.

- رأيت روح امرأة معلقة في الجحيم من صدرها، وأخرى معلقة من لسانها.

- رأيت روح إنسان واقفاً في جهنم على شكل أفعى ورأسه رأس إنسان.

- رأيت روح امرأة تحفر الجبل بنهديها، وعلى رأسها حجر طاحون.

- رأيت أرواح رجال ونساء معلقين من أقدامهم في جهنم، والأفاعي والعقارب تلتهمهم.

- رأيت روح إنسان يمشط لحمه بمشط من حديد، وروح امرأة قطعت نهديها بمشط حديدي.

- رأيت أرواح رجال ونساء برزت لسانهم من أفواههم؛ لأن الأفاعي كانت تلتهم أفواههم.

- رأيت أرواح نساء شربين من دم حيضهن، وأخرى قطعن نهودهن بأياديهن وأسنانهن والتهمت الكلاب بطونهن،

- رأيت نساء كثر وهن يعذبن امرأة اقتلعت عيناها وقطع لسانها، والتهمت الكلاب مخها، والعقارب والأفاعي، وأخرى وسم لسانها كياً بالنار، وأخرى وسم صدرها كياً بالنار، وأخرى زحفت أفعى على جسدها، ودخلت في فمها، وأخرى قطعت جسدها ووجهها بمشط حديدي... إلخ.

وبعدها نقلني النبيل سراوش والإله: "أدور من هذا المكان المظلم المخيف، والفضيع إلى مقر النور اللانهائي حيث ماوي الإله: أومازد، وقال لي: أهلاً وسهلاً بك أيها النبيل الصالح فيرزا رسول المازداياسنيين!! عد، إلى العالم المادي وأخبر الأحياء هناك بكل صدق عما رأيت وعرفت. قل يا فيرزا الصالح للمازداياسين على الأرض: بأن هناك طريقاً واحدة للصالح... إلخ. وعندما تكلم الإله: أومازد: أصابني الدهول لأنني رأيت نوراً ولم أر جسداً!" (1)

خرافة عودة (مازداياسنا) المخلص ومعركة آخر الزمان:

وقد جاء ذلك عندما سأل زرادشت الإله: أومازد عن عودة دين مازداياسنا، الخير وهلاك الأبالسة. فكانت إجابة الإله أومازد: "سيأتي الأشرار الذين يملكون الأسلحة والأعلام الحمراء والقبعات الحمراء، وستظهر علامات من الشمس والقمر بإرسال ألوان وأضواء مختلفة، وستزداد الزلازل وهبوب الرياح بعنف، وسيزداد الحرمان والبؤس في العالم، وسيكثر الأبالسة والسفلة بالمئات والآلاف، وأعداد لا تحصى، وسيهاجمون البلدان الآرية، وسيصلون إلى ضفاف (أرفاندا ونهر الفرات)، وحتى مساكن اليونانيين الذين يعيشون في بلاد آشور، وستكون هناك ثلاث معارك: المعركة الأولى جرت في زمن كاي كايسا بين الأبالسة والملائكة. المعركة الثانية عندما أنت يا زرادشت اعتنقت الدين والتقيت بي. المعركة الثالثة ستجري في المستقبل، عندما تحل نهاية الفيتك يازرادشت، وذلك عندما يجتمع الثلاثة "التركي والعربي" و"الرومي" في وادي "بنشاناك"، وستصير الكهوف منازل الآريين، وسيولد الملك

(1) انظر افستا . ترجمة عبد الرحمن خليل . خرافة المعراج من ص 856 – 870 .

الذي تبشر به النجوم، وعندما يبلغ سن الثلاثين من عمره سيأتي بأعلام كثيرة، وجيش جرار وسيصلون إلى بخارى، وقواد كثيرون يسلحون الجيش، ويرفعون الأعلام في صاغاستان (سمرقند)، وفارس وخورستان بتلك الأراضي التي يعرف أهلها عن المولود الجديد، وبهذه الجيوش الجرارة والمحاربين سيتم سحق جيش الأعداء الجبار عند يادسكافاراكاز إضافة إلى ذلك سيأتي جيش شرقي لنجدة البلدان الآرية بأعلام من جلود النمر، كما أن الإله سيرسل الملك (نيريوساكن) والملك (سراوش) من أجل إعادة بناء العقيدة، ونشر النور على النار والماء، ومع مرور الزمن ستضيئ النار من جديد في البلدان الآريا، وفي نهاية مئة شتاء من زمنا لن يأتي الشر أبداً في الزمن القادم، وستهدم معابد الأوثان، وسيظهر العالم من البخل والشهوة والكراهية، والغضب والغلة والحسد، والشر، كما أنه في عصر أوشيدار، وعندما يصير عمره ثلاثين سنة سيقم علاقة متينة مع الإله، وعندئذ يستطيع أن يأمر الشمس بالتوقف، وستتوقف لمدة عشرة أيام بلياليها، وعندها سيعتنق كل الناس ديانة مازداياسنا الخيرة، ثم يأمر أورشيدار ابن زرادشت أن تسير فتتحرك الشمس بخطوات أسرع من الخيل، يدخل الجميع بديانة مازداياسنا الطيبة، بما فيهم الأتراك والعرب والروميين والسفلة، بطواعية، ومن لا يفعل سيطرده حتى نهاية العصر⁽¹⁾.

دين الصابئة المندائيين:

تُعرف الديانة الصابئة بأنها إحدى العقائد الدينية القديمة، ولا يزال الآن بعض اتباعها موجودين في العراق، وفي إقليم الأحواز في إيران، وتدعو العقيدة الصابئة إلى الإيمان بالله وبوحدانية مطلقاً، لا شريك له، واحد أحد، وله من الأسماء والصفات المطلقة ويطلق على الصابئة في اللهجة العراقية "الصبة"، ولهذا يقال: إن معنى الصابئة المصبوغين بنور الحق والتوحيد والإيمان. ويقول البعض: إن كلمة صابئة جاءت من جذر الكلمة الآرامية المندائية (صبا)، أي بمعنى (تعمد، اصطبغ، غط، غطس)، وهي تطابق أهم شعيرة دينية لديهم، وهي طقس (المصبتا - الصباغة - التعميد)؛ لذلك نرى أن كلمة صابئ تعني (المصبغ أو المتعمد بالماء) أما كلمة مندائي فهي آتية من جذر الكلمة الآرامية (مندا)، بمعنى المعرفة أو العلم، وعليه تعني المندائي العارف أو العالم بوجود الخالق الأوحد، ومن كتاب الكنز رابا المقدس سوف نتعرف على فكر الديانة القديمة ببلاد بابل بلاد ما بين النهرين القديم، ومعرفة تأثير نصوص عقيدة الصابئة على مذاهب الفكر الإسلامي في الكثير من المضامين والمفاهيم العقائدية في النفس والروح.

الفكر الديني للصابئة:

يعتقد الصابئة بأن شريعتهم الصابئة الموحدة تتميز بعنصري العمومية، والشمول فيما يختص ويتعلق بأحكامها الشرعية المتنوعة، التي عالجت جميع جوانب وجود الإنسان على أرض الزوال، ودخلت مفاهيمها في كل تفاصيل حياة الإنسان، ورسمت لهذا الإنسان نهجه فيها، فتميزت هذه الشريعة بوقوفها على مفردات حياة الإنسان الصابئ، فاستوعبت أبعادها،

(1) انظر افستا. ترجمة خليل عبد الرحمن. خرافة المخلص

وشخصت تطورها، وأدركت تكاليفها، ودخلت في تفاصيلها، فهي كما قيل في كتبهم: "شريعة الله الحي القيوم، وشريعة أول أنبيائه (آدم وشيث ونوح وسام ابن نوح وإدريس ويحيى)، وعندهم: الإنسان الصابي المؤمن التقي يدرك تماماً أن (القوة الغيبية) هي التي تحدد سلوكه وتصرفاته، ويعلم أن أي إنسان مؤمن ضمن الإطار العام لهذا الكون الواسع يشاطره هذا الإدراك، والعلم به وتعد الصابئة من أقدم الديانات، وإذا تفحصنا مجمل هذه الديانة ندرك تأثير بصمة اليهود فيها من خلال علاقتهم بالنبي يحيى ابن زكريا، والملك سليمان وذكر أورشلين كمدينة مقدسة لديهم، وهو لا يتوافق مع صحة القول بأقدمية هذه الديانة من عهد آدم ووفق ما سيأتي بيانه:

أصول الصابئة وموطنهم:

يرجع الكثير من الصابئة المندائيين إلى شعب آرامي سومري بابلي قديم، ولغته هي اللغة الآرامية الشرقية المتأثرة كثيراً بالأكادية استوطنوا وسط العراق، وبالأخص المنطقة الممتدة من بغداد إلى سامراء من ناحية دجلة، وفي العهد البابلي الأخير تبنت شعوب المنطقة اللغة الآرامية لغة رسمية لأسباب كثيرة، واستخدمت بكثرة في بابل والقسم الأوسط من العراق القديم، وكانت اللغة المهيمنة في القسم الجنوبي من بلاد ما بين النهرين، وفق ما يعرف الآن ببلاد خوزستان في إيران هي اللغة التي يستخدمها الصابئة المندائيين اليوم في كتبهم، ونصوصهم الدينية، وكان أكثر أهل المدائن في (طيسفون) عاصمة الفرس الساسانيين الشتوية من الآراميين والمندائيين والسومريين، وفيها معابد عديدة لهم، وازدادت أعدادهم في الفترة الساسانية، لاسيما في شرق دجلة وضاف الكرخة، والكارون فاستوطنوا ديزفول (عاصمة بلاد عيلام) والأهواز والخفاجية والبساتين والمحمرة، وكان أغلب سكان شوشتر من المندائيين الصابئة، كما أصبحت الطيب (طيب ماثا) أهم حاضرة لهم. وتفوقوا في صناعة الذهب، والفضة والأحجار الكريمة التي كانت تجلب من مملكة آراتا في المرتفعات الإيرانية. أما القسم الأكبر منهم فقد امتنهن الفلاحة، وزراعة الأرض واستوطنوا الأهواز وضاف الأنهار، وقاموا بتنظيم قنوات الري في أرض السواد، وأسسوا لهم حواضر مهمة، مثل: كوثا وسورا، وقد أطلق عليهم العرب تسمية أنباط أو (نبت) كونهم ينبتون الأرض، وجاء في الكتب الصابئة المقدسة عدة أسماء في وصف الصابئة، أقدمها الكوشطيون، وتعني الصابئة أصحاب الحق، أو دعاة الحق، و(كشطا تعني حق). الناصورائين، وتعني الموحدين والمندائيين وهي صفة بمعنى العارفين بوجود الله واليحيويين، نسبة إلى النبي يحيى ابن زكريا. والآدميين نسبة إلى آدم والمغتسلة المصبوغين المتنورين، أصحاب الزي الأبيض، وهناك صفات أخرى تقترب من اسم الصابئة.

مناطق تواجدهم وعددهم:

موطن الصابئة في العراق أو الأصح (بلاد ما بين النهرين)، ويسميه العراقيين بالعامية «الصبة»، ويعيشون على ضفاف الأنهار وخاصة دجلة، وهم جزء من سكان العراق الأوائل عبر تاريخه الحضاري، ويشكلون أقلية دينية ما زالت تمارس طقوسها إلى الآن، وقد ذكر في

كتب المؤرخين العرب القدماء بأن الصابئة كانوا يسكنون بطائح العراق، وفي أماكن أخرى غير بلاد وادي الرافدين، ومنها حران وفلسطين والشام وهم عموماً يسكنون على ضفاف الأنهار بسبب الماء وأهمية الماء للطهارة في حياتهم الإيمانية.

أما الآن فمركز الطائفة هو مدينة بغداد، وتواجدتهم في أغلبية المحافظات العراقية، مثل: العمارة والبصرة والناصرية، والكوت وديالى، والديوانية، فضلاً عن تواجدهم في مدينة الأهواز والمحمرة في إيران، ولهم وجود في الأحداث السياسية والاقتصادية، وقد تعرضوا للقتل والظلم الذي اجتاحت المنطقة في السنوات الأخيرة، وقد اضطر الصابئة المندائيين إلى الهجرة إلى البلاد الأوروبية، وأمريكا وكندا، ولقد شكلوا بتجمعاتهم الجديدة جمعيات تعنى بشؤونهم، ويحاولون جاهدين إلى الآن، المحافظة على تراثهم وهويتهم، ويبلغ تعدادهم الآن في العالم (سبعين ألف) نسمة تقريباً.

صابئة حران:

صابئة حران هم اتباع عقيدة تقوم على تقديس الكواكب والنجوم كانت منتشرة في منطقة حران شمال سورية وجنوب تركيا، وعقيدتهم تختلف عن عقيدة الصابئة المندائية الموجودة في العراق وإقليم الأهواز.

تاريخ الصابئة المندائيين:

يلف تاريخ الصابئة المندائية الغموض في أغلب جوانبه، باعتراف كثير من الباحثين في المجال المندائي، ويرجع السبب إلى انغلاقهم الشديد، منذ القدم نتيجة الاضطهاد الذي تعرضوا له في فترات متعاقبة، وجعلهم يفضلوا الانزواء والانغلاق، حفاظاً على فكرهم وعقيدتهم التي لم تكن تبشيرية، ولا تسمح لغيرهم بالدخول إليها، ومن الصعوبة الحصول على كتبهم الدينية. ويتفق الباحثون على أن الصابئة المندائية كانت منتشرة في بلاد وادي الرافدين، وفلسطين قبل المسيحية، أي قبل أكثر من ألفي سنة تقريباً.

المندي: بيت العبادة أو المعبد على ضفة النهر

من حيث المبدأ يعتقد الصابئة بوجود الإله الخالق الواحد الأزلي الذي لا تناله الحواس، ولا يفضي إليه مخلوق، ولكنهم يجعلون بعد هذا الإله (360) شخصاً خلقوا ليفعلوا أفعال الإله، وهؤلاء الأشخاص ليسوا بالآلهة ولا ملائكة، يعملون كل شيء من رعد، وبرق، ومطر، وشمس، وليل ونهار، وهؤلاء يعرفون الغيب، ولكل منهم مملكته في عالم الأنوار، وهؤلاء الأشخاص الـ(360) ليسوا مخلوقين كبقية الكائنات الحية، ولكن الله ناداهم بأسمائهم، فخلقوا وتزوجوا نساء من صنفهم ويتناسلون، وقيل إذا لفظ أحدهم بكلمة ما أمام امرأته فإن امرأته تحمل فوراً، وتلد واحداً منهم حسب ما جاء في فكرهم الديني.

المندي (المعبد): هو معبد الصابئة، وفيه كتبهم المقدسة، ويجري فيه تعميم رجال الدين، يقام على الضفاف اليمنى من الأنهار الجارية، له باب واحد يقابل الجنوب، بحيث يستقبل

الداخل إليه نجم القطب الشمالي، ولا بدّ من وجود قناة فيه متصلة بماء النهر، ولا يجوز للنساء دخوله، ولا بدّ من وجود علم النبي يحيى ابن زكريا فوقه في ساعات العمل.

الأنبياء، يؤمن الصابئة المندائيين بأن أول نبي ومعلم لهم هو آدم وابنه شيث (شيثل)، وسام ابن نوح، ويحيى ابن زكريا (يوحنا المعمدان) الذي يدعى في لغتهم المندائية ب (يهيا يوهنا)، وعرفوا فيما بعد ب (ناصرائي أد كوشطا)؛ أي حراس العهد الذين أسسوا بيوت النور والحكمة، (بيت مندا أو بيت المعرفة) فيما بعد على ضفاف الأنهار في وادي الرافدين لعبادة ماراد ربوثا (الله رب العظمة)، واتخذوا من الشمال الذي دعاه السومريون (نيبورو) قبلة لهم لوجود عالم النور (الجنة)، وقد ارتبطت طقوسهم، ولاسيما طقوس الصباغة المصبتا، بمياه الرافدين فاعدوا نهري دجلة والفرات نهريين مقدسين يطهران الأرواح والأجساد، فاصطبغوا في مياههما كي تنال نفوسهم النقاء، والبهاء الذي يغمر عالم النور الذي إليه يعودون، وورد مفهوم الاغتسال والصباغة في عدد من النصوص المسمارية، وهو دليل على تأثر العقائد العراقية في الحضارات الأكادية والبابلية والسومرية والاشورية بالعقيدة المندائية، ودليل قاطع على أن العقيدة المندائية أقدم العقائد.

الكتب المقدسة للصابئة:

للصابئة المندائيين كتابهم المقدس، يسمّى (كنزا ربا)؛ أي الكنز العظيم، باللغة المندائية، وقد ترجم للعربية من قبل رئاسة الديانة عبر د/ يوسف متى قوزي ود / صبيح مدلول السهيري سنة 2000م، ويحتوي هذا الكتاب على سبعة عشر كتاباً تفرعياً، ويضم قسمين. القسم الأول: من جهة اليمين، ويتضمن سفر التكوين وتعاليم (الحي العظيم)، والصراع الدائر بين الخير والشر والنور والظلام، وتفاصيل هبوط (النفس) لجسد آدم، وفيه تسبيحات الخالق وأحكاماً فقهية ودينية. والقسم الثاني: من جهة اليسار، ويتناول قضايا (النفس)، وما يلحقها من عقاب، وثواب، فضلاً عن تراثيل وتعاليم ووصايا⁽¹⁾. ولدى الصابئة المندائيين كتب أخرى، منها: كتاب (دراشا أد يهيا)، أي تعاليم النبي يحيى ابن زكريا، وكتاب الكزاربا الذي تم ترجمته مؤخراً إلى اللغة العربية. وللصابئة مجموعة من الكتب التي تنظم طقوسهم وشعائهم، وتنقسم إلى ثلاثة مجموعات:

المجموعة الأولى: أجزاء تعاليم العقيدة، ومنها:

1. الجنزا ربا (الكنزاربا: الكبير) يمين ويسار.
2. دراشا إد يهيا (دروس يحيى).
3. ديوان أبائر (ديوان الملاك أبائر).
4. ألما ريشاياربا وآلما ريشايا زوطا، وفيهما شرح عن العالم الكبير الأول، والعالم الصغير الأول.

المجموعة الثانية: الأجزاء التي تتناول المراسيم والطقوس الدينية وهي:

(1) انظر كتاب الكنزبا المقدس ترجمة - د/ يوسف متى قوزي و د / صبيح مدلول السهيري.

1. سيدرا إد نشماتا (كتاب الأنفس): يُعنى هذا الجزء بشكل رئيس بطقوس المصبتا (الصباغا)، ومراسيم الزواج، وبعض النصوص تُعنى بالمسقتا.
 2. القلستا: وهو كتاب حول الأدعية والتراتيل والصلوات، ويشمل كل ما جاء في تراتيل ونصوص الصباغة الصابئية، وتراتيل الزواج والمسقتا.
 3. ألف وتريسار شِيالة: ويتضمن الأخطاء التي يرتكبها رجل الدين، ويتناول في جزء منه التقويم المندائي السنوي، وجزء منه يتحدث عن مراسيم الزواج، طقوس الصباغة والمسقتا.
 4. ديوان ملكوتا إيثا، وطراسة تاغا إد شيشلام ربا: ويتناولان شرح مراسيم تكريس رجل الدين.
 5. ديوان مصبتا وشرح مصبوتا ربا: ويتناولان شرح طقوس الصباغة.
 6. شرح إد قابين إد شيشلام ربا: وهو شرح مراسيم الزواج.
 7. شرح بروانايا: وهو شرح عما يتم عمله في أيام البروانايا الخمسة "البنجة".
 8. شرح طاباهاتا: وهو شرح لمراسيم مسقتا الآباء الأولين.
- المجموعة الثالثة: أجزاء المعرفة والعلم والتاريخ نذكر منها:**

1. سفر ملواشة أو كتاب تحديد أوقات الشر التي يواجهها الناس.
 2. حران كويثا، يتضمن هجرة بعض الناصوريين. وبعض تواريخ الأحداث الفلكية السابقة واللاحقة.
- وهذه الكتب محصور تداولها بين أفراد الطائفة؛ لانغلاق عقيدة الصابئين بصورة خاصة.

أركان العقيدة الصابئية:

أركان العقيدة الصابئية (خمسة أركان)، وهي: (الشهادة والتوحيد. الصباغة. الصلاة. الصدقة. الصيام). وللتعريف بهذه الأركان نتناول بالشرح الموجز لكل ركن:

الركن الأول: الشهادة والتوحيد:

الاعتراف بالحي العظيم؛ خالق الكون، واحد أحد، لا شريك لأحد بسلطان الله الرب العلي سبحانه، وقيل في نصوص كتابهم: هو ملك الأنوار العلي لكل العوالم الذي كله نور، كله حياة، كله حق، كله رحمة، كُلُّهُ غفران، كله بصر، كله حسن وجمال، كله معرفة وجلاء وعلم، كل أسمائه جلال ووقار، وهذا ما ذكرته كتب الصابئة في مجمل نصوصها بسم الحي العظيم، هو الحي العظيم، البصير القدير العليم، العزيز الحكيم، هو الأزلي القديم،... لا حد لبهائه ولا مدى لضيائه المنتشرة، قوته العظيمة وقدرته، وهو العظيم الذي لا يرى ولا يُحد، لا شريك له في سلطانه، ولا صاحب في صولجانه من يتكل عليه فلن يخيب، ومن يسبح باسمه فلن

يستريب، ومن يسأله فهو السميع المجيب ما كان لأنه ما كان، ولا يكون لأنه لا يكون، خالد فوق الأكوان لا موت يدنو منه، ولا بطلان، هو الأول منذ الأزل وهو خالق كل شيء.

الركن الثاني: (مصبتا - الصباغة):

يُعدُّ هذا الركن من أهم أركان العقيدة الصابئية، واسمها مرتبط بهذا الركن، وفق ما جاء في عقيدتهم، وهو فرض عين وواجب على الصابئي، ويرمز للارتباط الروحي بين العالم المادي والروحي والتقرب من الله.

والمصبتا: الصباغة، كما هو ثابت في شريعتهم الصابئية هو طقس الدخول من العالم السفلي إلى العالم العلوي (عالم النور)، ولا يقصد بهذه الشعيرة غسل الذنوب والخطايا، بل هي التزام بسنة نبيهم يحيى (يوهانا موصبانا) الذي صبغَ أو اصطبغ، وقد انقضى من عمره (ثلاثون يوماً)، وقد أقيمت أو جرت مثل هذه الصباغة للكثير من أطفال الصابئية، وفق ما قال الله الحي القيوم في كتابهم المقدس كنزاربا، حسب اعتقادهم، ويجب أن يتم في المياه الجارية والحية، لأنه يرمز للحياة والنور الرباني. وللإنسان حرية تكرار الصباغة متى يشاء، حيث يمارس في أيام الأحاد والمناسبات الدينية وعند الولادة والزواج، أو عند تكريس رجل دين جديد. وقد استمد المسيحيين هذا الطقس من الصابئية، ويسمونه التعميد، وقد حافظ طقس الصباغة على أصوله القديمة، حيث يعتقد المسيحيون بأنه هو نفسه الذي ناله عيسى ابن مريم (المسيح) عند صباغته من قبل النبي (يهانا) الصابغ بالدين الصابئي، يحيى ابن زكريا يوحنا المعمدان.

الركن الثالث: (براخا - الصلاة):

وهو فرض واجب على كل فرد مؤمن، وغايته التقرب من الله، حيث ورد في كتابهم المقدس (وأمرناكم أن اسمعوا صوت الرب في قيامكم وقعودكم وذهابكم، ومجيئكم، وفي ضجعتكم، وراحتكم، وفي جميع الأعمال التي تعملون)، ويختلف الصابئية عن غيرهم من الأديان بعدم وجود صلاة جماعية، كما عند المسلمين والمسيحيين واليهود، وعلى الصابئي قبل تأدية الصلاة أن يقوم بالاغتسال، ويسبق الصلاة طقس صغير يقام بالماء الجاري يدعى (الرشاما - الرسامة)، وهو عبارة عن غسل الأعضاء الرئيسة في الإنسان والحواس، بالماء الجاري مع ترتيل مقطع ديني صغير، فعند غسل الفم يقول المصلي: (ليمتلئ فمي بالصلوات والتسبيحات)، وعند غسل الأذن: (أذناي تصغيان لأقوال الحي)، وهكذا إلى آخره. والوضوء الذي يتكون من (13) فرضاً، تتم حسب هذا الترتيب: (الرخصة "النية"، غسل اليدين، غسل الوجه، رشم: "ارتسام جبهة الوجه" [الجبين]، غسل الأذنين، غسل الأنف، تثبيت الرشم [الارتسام]، طرد النجاسة، غسل الفم، غسل الركبتين، غسل الساقين، وضع اليدين في الماء، غسل القدمين، فرض الترتيب) وهذه الطقوس تمارس أيضاً لدى طائفة اليهود السامريين وانتقلت للمذاهب الإسلامية تحت مسمى الوضوء بالمخالفة لما جاء به القرآن.

ويتم أداء الصلاة حسب ما جاء في كتاب الكنز أربا عن أوقات الصلاة التي حددت على الصابئي أن يؤديها فيها، ولا يجوز شرعاً تأخيرها عن أوقاتها، وقالوا: إن كل صلاة تتأخر عن ميقاتها، تبقى عند باب بيت الحي، لا تصعد حتى يفتح بابُ أباثر العظيم، فإذا فُتح صعدت منها الصلاة، وإن الذين لا يقيمون الصلاة في أوقاتها سيُسألون في بيت أباثر، وتعداد صلواتهم خمس صلوات: (ثلاث في النهار وصلاتان في الليل)، وهي على الترتيب: (صلاة الصبح، صلاة الظهر، صلاة العصر، صلاة المغرب، صلاة العشاء)، ولا يجوز الجمع بين صلاة وأخرى في وقت واحد، أو القيام بالصلاة التي (سَهَا) الصابئي القيام بها في وقتها المُحدّد، ويتجه الصابئية المندائيين في صلواتهم، نحو القبلة، وهي جهة الشمال، لدى ممارستهم جميع شعائرهم لا اعتقادهم أن عالم الأنوار (الجنة) يقع في ذلك المكان المقدس من الكون الذي تعرج إليه النفوس في النهاية، لتتعم بالخلود إلى جوار ربها، ويستدل على اتجاه الشمال بواسطة النجم القطبي. والشمال كما أسلفنا قبلة الصابئية، حيث يعتقدون أن عرش الخالق هناك، والجنة موطن الملائكة الصالحين، والصديقين المؤمنين، ودلائهم في ذلك، أنها منابع الأنهار، ومنها دجلة والفرات من الشمال إلى الجنوب، والشمال أصل الجهات الأربع، الجنوب والشرق والغرب، كذلك الريح القادم من جهة الشمال، والبوصلة يتجه عقربها دائماً نحو الشمال. وجاءت الشريعة الصابئية لتلزم الصابئي بأن يتجه دائماً صوب قبلته الكائنة في عالم النور، جهة الشمال عند صلاته، ونومه، وإجراء طقوسه الدينية من زواج وذبح (نحر).

الركن الرابع: زدقا (الصدقات - الزكاة):

يشترط فيها السر وعدم الإعلان عنها، لأن في ذلك إفساداً لثوابها، وهي من أخلاق المؤمن، وواجباته تجاه أخيه الإنسان. حيث جاء في كتابهم: (أعطوا الصدقات للفقراء، واشبعوا الجائعين، واسقوا الظمآن، واكسوا العراة، لأن من يعطي يستلم، ومن يقرض يرجع له القرض)، كما جاء: (إن وهبتم صدقة أيها المؤمنون، فلا تجاهروا، إن وهبتم بيمينكم فلا تخبروا شمالكم، وإن وهبتم بشمالكم فلا تخبروا يمينكم، كل من وهب صدقة وتحدث عنها كافر لا ثواب له). والصدقة في الدين تشمل الكثير من أوجه القيام بها، على أن يتم أدائها سرا وألا يعلن عنها. وهي واجبة على كل صابئي في الشريعة الصابئية لما فيها من رحمة للأنفس.

الركن الخامس: (صوما ربا - الصيام):

الصيام الركن الخامس في عقيدة الصابئية، وجاء فيها، فقد شرّع الله الحي القيوم الصيام، ليهذب (النفس: النشماثا) عند الإنسان الصابئي، فعلى الصابئي أن يحذر من الأعمال التي تخدش الصيام من قبل نفسه، حتى يتحقق الغرض والهدف من الصيام. (صوموا الصوم الكبير، صوم القلب والعقل والضمير لتصم عيونكم، وأفواهكم، وأيديكم لا تغمز ولا تلمز، لا تنظروا إلى الشر ولا تفعلوه والباطل لا تسمعه ولا تنصتوا خلف الأبواب ونزوها أفواهكم عن الكذب والزيف، لا تقربوه، أمسكوا قلوبكم عن الضغينة، والحسد والتفرقة، أمسكوا أيديكم عن القتل، والسرقه، أمسكوا أجسادكم عن معاشره أزواج غيركم، فتلك هي النار المحرقة، أمسكوا

ركبكم عن السجود للشيطان وللأصنام الزيف، أمسكوا أرجلكم عن السير إلى ما ليس لكم، إنه الصيام الكبير فلا تكسروه حتى تفارقوا هذه الدنيا).

الصيام الكبير (صوما ربا):

هو صيام الامتناع عن كل الفواحش والمحرمات وكل ما يسيء إلى علاقة الإنسان بربه، ويدوم طوال حياة الإنسان. حيث جاء في كتابهم: (صوموا الصوم العظيم ولا تقطعوه إلى أن تغادر أجسادكم، صوماً كثيراً لا عن مأكّل ومشرب هذه الدنيا، صوموا صوم العقل والقلب والضمير).

الصيام عن تناول الأطعمة والأشربة:

فإنه يقتصر على عدم تناول اللحوم، والامتناع عن تناولها مقيدا بأيام محددة ومسماة، ومذكورة، وعددها ثلاثة وثلاثون يوماً، موزعة على أيام السنة، وهي تسبق أعيادهم الدينية، أو تكون بعدها، ويطلق عليها المبطلات، وهناك من يصنفها بمبطلات خفيفة ومبطلات ثقيلة، وموزعة على أشهر السنة الصابئية وأعيادهم.

المحرم في العقيدة الصابئية:

من المحرمات في العقيدة الصابئية، التجديف باسم الخالق (الكفر)، عدم أداء الفروض بالعقيدة الدينية، الارتداد عن عقيدة الصابئي بسم الحي العظيم. إني أقول لكم أيها الكاملون: لا تمرّقوا من شريعة ربكم، ولكن لتدركوا أيها المؤمنون، إنهم يفعلون هذا لغرض معلوم: يريدون خلط شريعتهم بشريعة الله، تلك الشريعة التي تعوّج أرواح المؤمنين، وتجعل قلوبهم متعثرة، منحرفة، وينشرون كذلك المروق من الدين، ذلك لأنهم ارتكبوا المعاصي ويدعون أنهم عقلاء [ذوؤ فطنة]، لأنهم فاشلون، إذا مات أحد منهم أحرّقه بنار مُستعرة ذات لهب، من أولئك عبدة الكواكب الذين يختانون أنفسهم، تخرج جميع شعوب وبوابات الظلام، من يمارس أعمالهم يصبح غير صالح لدار الحياة: يا أيها الكاملون والمؤمنون لا تحيدوا عن شريعتكم، ولا تحبّوا الإثم المحرم والباطل، والقتل والزنا من الكبائر المؤدية إلى النار، السرقة والكذب، وشهادة الزور وخيانة الأمانة والعهد، الحسد، النميمة، الغيبة، والتحدث والإخبار بالصدقات المُعطاة، والقسم الباطل، وعبادة الشهوات، والشعوذة والسحر، والختان والتغيير في الخلقة، والعلة في تحريم الختان والتغيير في خلقة الله سبحانه، كما يعتقد الصابئية، أن الله الحي القيوم مسبح اسمه خلق الإنسان كاملاً.

الخمّر والبكاء على الميت:

جاء في النص الديني عن الخمر: ليعلموا أن الخمرة يوضع شاربها في قيود وأقفال، وتتقل عليه السلاسل، والأغلال، إياكم وتعصير الوجوه، والسكر لا تقربوه، والظلم المرّ تجنبوه، إنها من رجس الشيطان. كل منقوع (التمر، الزبيب، الفواكه بأنواعها) إذا مر عليها (24) ساعة يحرم شربه لاحتمال فساده بالتخمّر، فالعقيدة الصابئية تأخذ بعلة السكر، مهما كانت كمية الخمر.

ويحرم البكاء على الميت، ولبس السواد؛ لا تبكوا موتاكم، ولا تقيموا عليهم الأحزان، إن من مزق ثيابهم على ميت فقد دنسها، ومن قلع شعرة على ميت فسيربط بحبل الظلام، بحبل لا يبيد، كلما طالت أعماركم زادت خطاياكم، فلا تحزنوا على النفوس إذا فارقت الحياة، فمن الحزن تولد الأرواح الشريرة، من أحب موته فليطلب لأنفسهم الرحمة وأقيموا عليهم الصلاة والتسبيح وأقرأوا الابتهالات أيها الفقراء والبؤساء والمضطهدون اذهبوا وابكوا على أنفسكم، فما دمتم تحيون في هذا العالم ستزداد خطأيكم، كل من فقد نفساً لا يحزن عليها بل يفرح لها، ويسبح لدهيها، وبالصلاة يتقرب إليها، طوبى لمن سمع فأمّن، إنه يصعد ظافراً إلى بلد النور، هو الخبز والماء والمأوى لبني البشر المتعبين، وللمضطهدين، وكونوا عادلين وتحابوا صادقين.

من المأكولات المحرمة:

- أكل الميت، والدم، والحامل، والجراح والكاسر، من الحيوانات والذي هاجمه حيوان مفترس.

- لا تؤكل الذبيحة إلا أن تذبح بيدي رجال الدين وبحضور الشهود، ويقوم الذابح بعد أن يتوضأ بغمسها في الماء الجاري ثلاث مرات، ثم يقرأ عليها أذكراً دينية خاصة، ثم يذبحها مستقبلاً قبلة الشمال، ويستنزف دمها حتى آخر قطرة، ويحرم الذبح بعد غروب الشمس أو قبل شروقها إلا في عيد البنجة.

الزواج والطلاق:

يحرم الصابئة في الزواج يحرم الدين الصابئي زواج الصابئي ذكراً أو أنثى من الكافر بعقيدة الصابئي، والمشارك به، والذي يتخذ شريكاً لله في عبادته وتوحيده وسلطانه سبحانه، وتجزئة توحيده، ولا يجوز شرعاً التزوج بالمرتد المارق عنه، ولا بأبنائهم ولا ببنايتهم (ولا تتزوجوا بغير الصابئات). والصابئة ملتزمون بما بينته نصوص شريعتهم الصابئية من حلال وحرام بوضوح لا يقبل التأويل حسب قولهم واعتقادهم.

مرتبات رجال الدين:

1-الحلالي: يسير في الجنازات، ويقوم سنن الذبح للعامة، ولا يتزوج إلا بكرة، فإذا تزوج ثيباً سقطت مرتبته، ومنع من وظيفته، إلا إذا تعمد هو وزوجته (360) مرة في ماء النهر الجاري.

2-الترميذة: فقه الحلالي الكتابين المقدسين سدرة إنشمانا والنياني أي كتابي التعميد والأذكار فإنه يتعمد بالارتماس في الماء الموجود في المندي، ويبقى بعدها سبعة أيام مستيقظاً لا تغمض له عين حتى لا يحتلم، ويترقى بعدها، هذا الحلالي إلى ترميذة، وتنحصر وظيفته في العقد على البنات الأبقار.

3-الأبسيق: (الترميذة) الذي يختص في العقد على الأرامل يتحول إلى أبسيق ولا ينتقل من مرتبته هذه.

4-**الكنزبراء:** الترميزة الفاضل الذي لم يعقد على الثيبات مطلقاً يمكنه أن ينتقل إلى كنزبراء، وذلك إذا حفظ كتاب الكنزرباً فيصبح حينئذٍ مفسراً له، ويجوز له ما لا يجوز لغيره، فلو قتل واحداً من أفراد الطائفة لا يقتص منه؛ لأنه وكيل الرئيس الإلهي.

5-**الريش أمه:** أي رئيس الأمة، وصاحب الكلمة النافذة فيها، ولا يوجد بين صابئة اليوم من بلغ هذه الدرجة، لأنها تحتاج إلى علم وفير وقدرة فائقة.

6-**الرباني:** وفق هذه الديانة لم يصل إلى هذه الدرجة إلا يحيى ابن زكريا عليه السلام، كما أنه لا يجوز أن يوجد شخصان من هذه الدرجة في وقت واحد، والرباني يرتفع ليسكن في عالم الأنوار، وينزل ليلبغ طائفته تعاليم الدين ثم يرتفع كرة أخرى إلى عالمه الرباني النوراني.

الأعياد المندائية:

يقول عيد الخليفة العلوي: ويقع في آذار مارس، وهي ذكرى الخلق وتكوين عوالم النور والأرواح الأثيرية الأولى، وفيه تفتح بوابات النور، وتنزل الملائكة والأرواح الطاهرة فيعم نورها الأرض لتصبح جزءاً من عالم النور وتعدُّ الخمس (الأيام البيض) أسرار البداية المقدسة، وفجر الحياة الأولى التي أوجدها الحي العظيم. وعلى الصعيد الدنيوي، فهو يمثل اكتمال النبتة التي تعطي ثمارها في الصيف.

العيد الكبير عيد الخليفة المادي: جاء في الفكر العقائدي الصابئي عن العيد الكبير: (دهواربا) وفيه نجدت الكواكب في السماء والشمس والقمر، وجمدت الأرض، ويستمر ثلاثة أيام، وتسبقة (الكرصة)، أي التجاء المندائيين إلى الانزواء في بيوتهم، وعدم الخروج منها لمدة (36) ساعة، حيث يتقرر خلالها مصير الإنسان، وانتصار قوى النور على قوى الظلام والشر، يخرجون بعدها فرحين بهذا الانتصار الكبير، ويعد العيد الكبير بداية السنة المندائية، ويقع في شهر تموز من العام، ويعقبه مباشرة (عيد شوشيان) يوم واحد، وهو ذكرى حلول السلام والمحبة على الأرض.

العيد الصغير: جاء في الفكر العقائدي الصابئي عن العيد الصغير: هو عيد الازدهار، وموعده في شهر تشرين الثاني من كل عام، ويسميه الصابئية المندائيون هبة الله الصغرى (دهوا هنية)، وهو ذكرى عودة الملاك جبريل وصعوده، وقد نزل إلى الأرض بأمر الله، ثم عاد إلى السماء مبشراً بازدهار الكروم وانتشار النور واندحار الظلام.

عيد التعميد الذهبي الصابئي: وهو هبة الله سبحانه وتعالى للملائكة، حيث تعمدوا في عالم النور، وأهديت لأدم وذريته من بعده، حيث عمده الملاك جبريل الرسول، وأيضاً تعمد النبي يحيى ابن زكريا، وتوهب فيه الهدايا والعطايا للمحتاجين، ويقع في نهاية تشرين الأول من كل عام، وكل طفل مولود يجب أن يعمد في هذا اليوم. ولكل مناسبة دينية ألبسة خاصة بها، ولكل مرتبة دينية لباس خاص بها يميزها عن غيرها. وهم يعظمون يوم الأحد كالنصارى والمسيحيين ويقدسونه ولا يعملون فيه أي شيء على الإطلاق.

من كتاب الكنز أربا:

- قُسم الكنز أربا إلى تسعة عشر كتاباً، تضمن عدداً من العناوين.
- ذكر تعدد الأجيال منذ خلق آدم إلى نوح وغيره.
- ذكر بناء مدينة أورشليم كمدينة مباركة.
- ذكر ميلاد الملك سليمان ابن داود العظيم حاكم أورشليم الذي سيطر على الجن والشياطين.
- تكلم عن أب الاثريين الذين يأتون بعد الملائكة المقربين بالمنزلة، ويقصد بالأب (الخالق العظيم).
- تحدث عن خرافة المخلص (هيل زيو) وهبوطه إلى العالم السفلي؛ عالم الظلام، ووصفه بما يلي:
 1. لبس (360) رداءً من أردية النور حتى أصبح (مانا) كبير.
 2. ذهب بمرافقة السر العظيم ومساعدين إلى عالم الظلام.
 3. ذكر أسماء آلهة الظلام، وهم: (أناثان) مقاتل الظلام وزوجته (قن) أم الظلام و(أور) سيد الظلام.
 4. ذكر عودة هيل زيو إلى أبيه الذي أقام نظام الحياة وسجد له.
- تحدث عن خرافة المعراج (عروج نشمافي المطراي)، وذكر في معراجه أشياء نذكر منها:
 1. تكلم عن اسمه ورسمه وصعد وأبصر سبعاً وستين بنتاً عاريات النحور والصدور.
 2. تكلم عن صعود الناصورانيين إلى بلد النور.
 3. شاهد القتلة، وأجسادهم مشتعلة بالنيران لا يأتيها الموت مرة ثانية.
 4. شاهد الزناة والخطاة والكاذبين.
 5. شاهد الولاة والقضاة والسلاطين، وجدتهم ووجوههم لا تبين وسط الدخان ولهيب النيران.
 6. شاهد نسوة في مجمر يفور، وقد علقن من الصدور، وحولهن أعين تبكي والسن تحكي لعدم إرضاعهن أولادهن.
 7. ثم صعد لدار الكفار فكانوا كغنم يقودها مضلل محتال.
- تحدث عن أمور أخرى أهمها:
 1. حديثه عن صعود يحيى (يايهان) النبي إلى عالم النور، وعن تعاليمه.
 2. حديثه عن القيام بتعاليم الترميذي.
 3. حديثه عن لفظ أو كلمة: (السنى) أو (السنة) بمواعظ ووصايا كما ورد بالكتاب السابع عشر (هيل الكرامة السنوية والمثل السنوي).
 4. حديثه عن البكارة: تقوم والدة الكنز أربا أو زوجته بفحص كل فتاة عذراء بعد تعميدها، وقبل تسليمها لعريسها وذلك بغية التأكد من سلامة بكارتها.

5. حديثه عن الخطيئة: إذا وقعت الفتاة أو المرأة في جريمة الزنى فإنها لا تقتل، بل تهجر، وبإمكانها أن تكفر عن خطيئتها بالارتماس في الماء الجاري.
6. حديثه عن الطلاق: لا تعترف عقيدتهم بالطلاق إلا إذا كانت هناك انحرافات أخلاقية خطيرة، فيتم التفريق عن طريق الكنزبرا.
7. حديثه عن السنة المندائية: 360 يوماً، في 12 شهراً، وفي كل شهر ثلاثون يوماً مع خمسة أيام كبيسة، يقام فيها عيد البنجة. وهم يعتقدون بصحة التاريخ القمري الهجري ويستعملونه.
8. ينفرون من اللون الأزرق النيلي ولا يلامسونه مطلقاً.
9. يتنبؤون بحوادث المستقبل عن طريق التأمل في السماء والنجوم وبعض الحسابات الفلكية.

وفي عقيدتهم بعض الطقوس تأتي على بعضها بالآتي:

1. إذا توفي شخص دون أن ينجب أولاداً فإنه يمرّ بالمطهر، ليعود بعد إقامته في العالم الآخر إلى عالم الأنوار، ثم يعود إلى حالته البدنية حيث تتلبس روحه في جسم، فيتزوج وينجب أطفالاً.
2. الإيمان بالتناسخ، ويعتقدون بتطبيقاته في بعض جوانب عقيدتهم.
3. للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء على قدر ما تسمح به ظروفه.
4. ليس للرجل غير المتزوج جنة لا في الدنيا ولا في الآخرة.
5. الشباب والشابات يأتون إلى الكهان ليخبروهم عن اليوم السعيد الذي يمكنهم أن يتزوجوا فيه، وكذلك يخبرون السائلين عن الوقت المناسب للتجارة أو السفر، وذلك عن طريق علم النجوم.
6. تنص عقيدتهم على أن يكون الميراث محصوراً في الابن الأكبر.

من وصايا الكنز اربا (الكتاب المقدس):

أوصى بلبس الثياب البيضاء والعمامة البيضاء والأحزمة المائية والصولجان، والحكم فيمن أخطأ: فالإنسان إذا أخطأ مرة فيقوم وينصح، وإذا أخطأ مرة أخرى ينصح، فإن عصي واستكبر وأبى إلا المنكر اجتث من جذوره (القتل).

دين الأيزديين:

للتعريف الملخص باليزيدية تعالوا بنا لما كتب احد أمرائهم وهو الأمير/ اسماعيل بك جول، والذي كتب مخطوطة طبعت من قبل الجامعة الأمريكية في بيروت بعنوان – اليزيدية قديماً وحديثاً – 1934م، والذي قدم عرض موجز للديانة وطقوسها وكيفية القيام بالشعائر والمناسك الدينية، بالإضافة للتعريف بالرموز الدينية، وكذلك بيان العقيدة، والكتب المقدسة مع إعطاء نبذة مختصرة عن محتوى تلك الكتب، وتعد الديانة اليزيدية من العقائد الدينية المتصل تاريخها بالعهد البابلي والسومرية القديمة، فقد عبدت هذه الشعوب الشمس والكواكب والنار بكونها مصدر النور، منذ زمن يزيد على أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، وبقيت منها مجموعة

صغيرة تنتمي في الأغلب إلى القومية الكردية، وتعرف بالطائفة اليزيدية، تمارس شعائرها حتى يومنا، والقول بانتمائها للخليفة الأموي يزيد بن معاوية قول يجانب الصواب كثيراً بل كان هذا القول تقية منهم بغرض التستر من الأضطهاد الذي يمارس ضدهم. إذ إن اليزيديين أو الإيزيديين هم مجموعة عرقية دينية تتمركز في العراق وسورية، يعيش أغلبهم قرب الموصل، ومنطقة جبال سنجار في العراق، وتعيش مجموعات في تركيا، وألمانيا، وجورجيا وأرمينيا، وينتمون عرقياً إلى أصل كردي مع أنهم متأثرين بمحيطهم المتكون من ثقافات عربية، وسريانية، إذ يرى اليزيديون أن شعبهم وعقيدتهم قد وُجدت منذ وجود آدم وحواء على الأرض⁽¹⁾.

بالإضافة لكتاب آخر للسيد/ عبد الرزاق الحسني⁽²⁾، وكتاب الحسني يقدم صورة واضحة عن عقيدة اليزيديين وملخص عن كتبهم (الجلوة) و(مصحف رش)، كما استعرض أهم طقوسهم وشعاراتهم من التماثيل من الطاووس والسناجق، وكلاء الكتابين يقدمان وصف عن ديانة اليزيديين محشورة بالخرافة والأساطير القديمة حول الخليفة الأولى، وهناك عادات دينية تتشابه مع المجوس واليهود والمسيحيين وبعض عادات وطقوس الصوفية الإسلامية، ومن خلال هاذين المرجعين سوف نستكشف هذه الديانة، ونضع القاري أمام ملخص مقتبس لأهم مضمونها على النحو التالي:

كتبهم المقدسة وأصل عقيدتهم:

يعتقد اليزيديون الفكر الباطني بسبب ما تعرضوا له من اضطهاد، فهم يخفون كتبهم وتعاليمهم، فلا يطلع عليها إلا صفوتهم من أبناء العقيدة، ولهذا لا تعدُّ عقيدة تبشيرية، ويقال إن الشيخ الصوفي/ عدي بن مسافر الهكاري البعلبكي (467هـ - 1075م) هو الذي جدد العقيدة اليزيدية وألف كتبهم المقدسة باللغة الكردية. وعدي بن مسافر (يُختَلَف حول شخصيته ونسبه) هو الشخصية (البشرية) الأكثر محورية في العقيدة اليزيدية، فاليزيديون يتناولون اسمه بعظيم التبجيل والاحترام، ويعدون قبره أكثر المناطق تقديساً على وجه الأرض، إذ يعدونه "مجدد الديانة"، وترى بعض المصادر العربية أن أصل عدي بن مسافر يعود إلى بيت فار من بلاد بعلبك، وينحدر من أصل أموي، وأنه مسلمٌ من زهاد الصوفيين، لكن المصادر اليزيدية تنفي هذا، وتقول: إنَّ عدي كان ايزيدياً، كردياً عاش أجداده في الهكاري وولادته في بعلبك، وأنه عاد إلى لالش لإنقاذ أبناء جلده. وللديانة اليزيدية كتبٌ مقدسة، أشهرها:

1. كتاب الجلوة، ويحيي مجموعة أدعية، وينسب إلى الشيخ حسن شمس الدين، يقول ابن طولون الحنفي: "اختلف الشيوخ حسن ست سنوات لوضع كتاب الجلوة لأهل الخلوة".
2. مصحف رش، (الكتاب الأسود)، يتحدث عن مسألة الخلق وتكوين العالم، يُنسب إلى عدي بن مسافر.

(1) انظر مخطوط عن اليزيدية قديماً وحديثاً - الأمير / اسماعيل بك جول - 1934م من ص 73 - ص 108

(2) انظر عبدة الشيطان - السيد عبد الرزاق الحسني - الطبعة الثانية - 1931م من ص 7 - ص 70

وقد تعددت القصص حول مصير هذين الكتابين، إذ يقال إنهما كانا موجودين في مرقدي عدي بن مسافر في لالش، إلا أنهما تعرضا للتلف، والحرق نتيجة الحملات العسكرية التي جرت ضد اليزيدية، وبالتالي فقد ضاعت النسخ الأصلية منهما، كما ضاعت غيرها من كتبهم الدينية القديمة التي كانت مكتوبة باللغة السريانية، وكان لهم لغة خاصة بهم اندثرت مع مرور الزمن.

عقيدة اليزيديين:

يعتقد اليزيديون أن الله موجودٌ في كل شيء، وهو الأساس والمخلوقات، أجزاء من الروح العليا، والجزء تابع للكل؛ لذا فإن تقديسهم للظواهر الكونية، كالشمس والنور والقمر مبني على فكرة كون هذه الظواهر جزءاً من الذات الإلهية وتجسيدا لقدرته الخارقة ومن أهم طقوسهم الآتي:

1. يرمز ملك طاووس للملك عزازيل، ويقال: إنه يرمز للشيطان، وهو ما يتوافق مع ما جاء في التوراة سفر اللاويين بذكر عزازيل (الشيطان).
2. يقدسون الشمس والقمر والنجوم والكواكب الأخرى.
3. يقدسون النار مصدر النور.
4. يقدسون وادي لالش والمرجة في العراق.
5. يقدسون جبل عرفة، ونبع عين ماء زمزم بالقرب من وادي لالش.
6. يقدسون مرقد الشيخ الصوفي/ عدي بن مسافر، والشيخ شمس الدين، ويتبركون بمراقد الشيخ الصوفي عدي بن مسافر الهكاري، وتنسب إليه مشيخة الطريقة العدوية الصوفية كما لهم رموز معينة، مثل:
 - الرتبة: شريط أبيض يربط حول الرأس.
 - البرات: حبة سبحة حجمها كحجم جوز البندق، صنعت من تراب مرقد الشيخ عدي بن مسافر ليُصلَّى عليها، وقد أخذ هذا المنسك للطائفة الشيعية، إذ يسجدون على حجر من تربة كربلاء.
 - القوال: يقوم بملازمة الزائر من أماكن بعيدة لإجراء مراسيم قيام اليزيديين بعباداتهم.
 - السنجق: وهو من أهم وأشهر رموزهم، وهو بيرق يسمونه: (سنجق) بمعنى العلم أو البيرق.
 - الينبوع الأبيض: من الماء كماء زمزم في نص الحديث والفقهاء الإسلامي.
 - الأفعى السوداء المقدسة.

تقسيمات مجتمع اليزيديين وأماكن تواجدهم:

- **طبقة الشيخ:** هي الطبقة الأكثر تبجلاً، ينحدر أعضاؤها من الشيوخ الذين تجلت بهم الملائكة الستة.

- **طبقة البير:** تعني بالكردية "العجوز". ينحدر أعضاؤها من بير علاء، أحد أصحاب عدي بن مسافر.

- **طبقة المريد:** تمثل غالبية اليزيديين، إذ كل من لا ينتمي لإحدى الطبقتين أعلاه، فهو من طبقة المريد. كما ينقسم الكهنة إلى أقسام، تعدُّ مَهَنًا، يستطيع اليزيدي أن يختار التوظيف بها، وهي ثلاث مهن:

- **الفقير:** أعلى مستوى من الكهنة، ويجب ألا يكون قد تلاعب بلحيته، وشاربه بتاتاً منذ ولادته.

- **الْفَوَالِين:** هم قارؤوا التواشيح الدينية اليزيدية، يتناقلون حفظ النص الديني أباً عن جد، ويوجدون بشكل رئيس في مدن بعشيقه وبحزاني.

- **العرافين:** هم العاملون في معبد لالش، ويعتقد اليزيديون أنهم يملكون قدرات روحية خاصة.

موطنهم ولغتهم:

يتواجد أغلب اليزيديين في العراق، ويتركز وجودهم في قضاء شيخان، وأغلبهم في منطقة جبال سنجار شمال شرق الموصل، وقليل منهم في شمال سورية، وآخرون موزعون بين تركيا وإيران، يتكلمون اللغة الكرمانجية الكردية بشكل عام، وتعد إحدى اللهجات الكردية، وهي لغة شعائريتهم التعبديّة ويبلغ عددهم (800) ألف نسمة ويحرم الزواج بين الطبقات المختلفة كما في اليهودية.

عبادات اليزيديين:

الصلاة: يُصلي اليزيدي خمس مرات في اليوم، وهي: صلاة الفجر، صلاة الشروق، صلاة الظهر، صلاة العصر، صلاة الغروب يواجه المصلون الشمس في جميع الصلوات، ما عدا صلاة الظهر، يتوجه إلى لالش.

الصيام: يصوم الكهنة منهم ثمانين يوماً في السنة؛ أربعين في الصيف ومثلها في الشتاء، ويصوم العامة منهم ثلاثة أيام من شهر كانون الأول من كل عام.

الحج: يحج اليزيدون إلى لالش مرة واحدة على الأقل خلال حياتهم، ويستمر الحج سبعة أيام. أما اليزيدون القاطنون في المنطقة، يقومون بالحج سنوياً خلال فصل الخريف من 23 أيلول وحتى الأول من تشرين الأول، ولديهم في سنجار جبل يطلقون عليه اسم عرفة، فيقفون عليه ليلة النصف من شعبان من كل عام، ولديهم عين ماء على جبل حكارى يطلقون عليها اسم زمزم.

الزكاة: تجمع الزكاة بواسطة ملك طاووس، وهو تمثال أو صنم برونزي أو من النحاس بحجم قبضة اليد أو أكبر، يطاف به على القرى والتجمعات السكنية من أجل جمع الزكاة حسب اعتقادهم.

أعيادهم الدينية:

تعتمد الأعياد اليزيدية على التقويم الميلادي الشرقي، وهو يختلف عن التقويم الميلادي الغربي ب (13) يوماً. ولديهم عيدان: (القربان والمحبي) على التقويم الهجري. وهذه الأعياد، هي:

- **عيد رأس السنة، أو "سري صالي"، ويسمى:** "چارشما سور"، يعني باللغة الكردية: يوم الأربعاء الأحمر، ويكون في أول أربعاء من شهر نيسان، وتعود أصول هذا الاحتفال إلى العراقيين القدماء، إذ كان الأكاديون والبابليون يحتفلون به، وكان يعرف بأكيتو⁽¹⁾. ويحتفل به الآشوريون، ويسمى بخا بنيسان. ويبدأ عيد رأس السنة أول يوم أربعاء من شهر نيسان، وفقاً للتقويم اليولياني الروماني، وفيه تشعل (366) فتيلة زيت في جميع أركان المعبد، وتزين المنازل بشقائق النعمان الحمراء، والأشرطة الحمراء واللباس الأحمر، ويقال: إن اللون الأحمر كناية عن ضخ الدم بعروق آدم، ولذلك فكهنة العقيدة اليزيدية، يقومون أثناء مراسيم خاصة من الاحتفال بإحداث جرح في أيديهم وأجسامهم لتسيل منه الدماء، ويبدأ المنتمون لهذه العقيدة بهذه الطقوس من أجل إراقة الدماء بهذه المناسبة، وهو نفس الفعل الذي دس لبعض أعياد الشيعة.
- **عيد الميلاد (عيد بلندة):** في 25 من كانون الأول، وهو عيد ميلاد عدي بن مسافر.
- **عيد أربيعنية الصيف:** ومدته ثلاثة أيام تبتدئ من (11) تموز، وتنتهي في (14) منه، يذهب فيه رجال الدين إلى مرقد عدي بن مسافر ثم يبتدئون صياماً مدته أربعون يوماً.
- **عيد القربان:** في أول يوم من أيام عيد الأضحى عند المسلمين، ويسمى أيضاً بعيد الحج، وفي هذا العيد يذهب رجال الدين إلى مرقد الشيخ عدي، فيتضرعون بالدعاء، وينشدون التراتيل الدينية، ويقولون: إن الله تعالى أمر إبراهيم في هذا اليوم أن يذبح ولده إسماعيل، ثم هياً له كبشاً فداه به.
- **عيد الجماعة:** وهو عبارة عن سلسلة احتفالات تستمر سبعة أيام، واجبة على كل يزيدي ويزيدية، حيث يبدأ في الثالث والعشرين من شهر أيلول الشرقي وينتهي في الثلاثين منه.
- **عيد أيزيد:** في أول يوم جمعة من شهر كانون الأول الشرقي. وهو نهاية صيام ثلاثة أيام لليزيديين.
- **عيد خضر إلياس (خدر إلياس):** يقام هذا العيد في أول يوم خميس من شهر شباط الشرقي، وقد يصوم اليزيديين الأيام الثلاثة التي تسبقه خصوصاً أولئك الذين يحملون اسم خدر أو إلياس.

(1) انظر أكيتو أعيادة رأس السنة البابلية / محمود حسين الأمين – ص 29

- عيد العجوة: يقام هذا العيد في اليوم السابع من شهر كانون الثاني الشرقي. أي بعد مرور اثني عشر يوماً على عيد ميلاد الشيخ عدي بن مسافر.
 - عيد أربينية الشتاء: يسبق هذا العيد صيام أربعين يوماً، ويقام في العشرين من كانون الثاني الشرقي.
 - عيد المحيي: يقام هذا العيد في ليلة النصف من شعبان، ويبقى اليزيديون ساهرين حتى الصباح.
- يمارسون الختان، ويومنون بالحلول والتناسخ المؤدي للصفاء، فالنفس عندهم لا تموت، بل تنتقل لآخر.
- يُحرّم لديهم أكل: الخس، والقرع، والفاصوليا، ولحم الديك، ولحم الغزال، ولحم الخنزير.

الفصل السادس

عقائد (أديان) الهند وشعوب الصين

الديانة الهندوسية:

تعد شبه القارة الهندية مستودعاً لكثير من الديانات والعقائد والفلسفات المختلفة، وكما تعد الهند بلداً خصباً للكثير من الملل والنحل، ومن أهم هذه الديانات: الديانة الهندوسية، البوذية، الإسلام، المسيحية، السيخ، وغيرها من العقائد المنشرة في شبه القارة الهندية.

ويرجع أصل سكان الهند إلى الدرافيد من البدو المتنقلين الذين يطلق عليهم (الكؤل)، المستوطنين في الغابات والجبال، والتورانين القادمين من وسط آسيا، الذين اتحدوا فتشكل شعباً جديداً أطلق عليه (الدرافيد)، الذين دافعوا عن بلادهم من غزو الآريين لمئات السنين، وبسبب نشوب القتال الداخلي بينهم تغلب الآريين عليهم بما لديهم من القوة النوعية في الأسلحة المختلفة، وسيطر الآريين على البلاد⁽¹⁾، ووقع السكان الأصليين تحت سيطرة الدولة الجديدة للآريين الذين قسموا المجتمع الجديد إلى أربع طبقات، جعلوا السكان الأصليين في الترتيب الرابع، وأسندوا لهم مهمة خدمة بقية الطبقات (كعبيد) والآريين شعب جلودهم بيضاء، وشعرهم أسود، ومنهم جاءت فكرة الإله (ريج فيدا)، وقد سلكوا طريق الهجرة من أوروبا مروراً بوسط آسيا وأرض الفرس، وقيل عن الديانة الهندوسية أو الهندوكية إنها أقدم ديانة وثنية حية في شبه القارة الهندية، ويطلق عليها البرهمنية، وهي مجموعة من العقائد والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة من القرون، حتى وصلت إلى الديانة السائدة لأغلبية سكان الهند والنيبال وبعض شعوب الدول المجاورة للهند، ويصل عدد المنتمين لها إلى مليار إنسان تقريباً، ويعد أكبر تجمع سكاني للهندوس في الهند، تليها النيبال، وبنغلاديش، وإندونيسيا، ولا يُعرف المؤسس الأول لهذه الديانة التي تكونت عبر مراحل من الزمن، فتراكمت النصوص العقائدية خلال قرون عدة من التاريخ، تداخلت فيها عدد من ثقافات الشعوب التي أثرت فيها، منها: الهندو أوروبية كما يظهر التأثير العبري على كثير من عقائد وعبادات الهندوس، من خلال التقسيم الديني الطبقي للمجتمع الهندوسي، إذ يعتقد الهندوس أن طبقة من الناس خلقوا من رأس الإله، وطبقة من أيدي الإله، وهو ما يتشابه مع اليهود الذين قالوا إنهم أبناء الله، وجعلوا من هارون كاهناً أعظم، ومن بعده أبناءه يتقلدون المناصب الدينية والدنيوية، ويتقبلون التقدمات والقرايين وحراسة المعبد، والهيكل المقدس واستخدامهم للنار للحرق في معابدهم، ونظرتهم للمرأة، وتحديد سن الزواج، وتقديس البقر (كعجل السامري)، وتعظيم نار المذبح المقدس بتقديم القرايين عبرها، كما تظهر بصمة أفسنا من الديانة المجوسية أيضاً واضحة في هذه الديانة، فالهندوسية خليط من كل العقائد والأديان.

(1) انظر المعتقدات الدينية لدى الشعوب / جفري بارندر - ترجمة د. أمام عبدالفتاح أمام - ص 109

أهم الكتب المقدسة:

يوجد للهندوس عددٌ كبير من كتب العقيدة، وهي معقدة الفهم واللغة، منها: ما تم شرحها، وأخرى لم يتم شرحها، وقيل: إن عددها يصل إلى ثلاثة آلاف كتاب تقريباً، نذكر منها:

- كتاب الفيدا: معناه العلم والمعرفة، وهو كتاب مقدس يقع في (800) مجلد تقريباً، تم تدوينه خلال ألف سنة، وقيل: قبل ثلاثة آلاف سنة. ومنه سنهتا (المتون)، والبراهمان (الشروح)، تشبيهاً بشروح التلمود المشنا والجمارا.
- كتاب الأوبانيشاد، يتحدث عن الطقوس العبادية والأناشيد، والقرايين وطريقة تقديس الآلهة، وهو مستمد من حضارة ثقافة الآريين.
- كتاب المهابهاراتا: يتحدث عن الأعمال والمهن وأمور الحياة، والقضايا والوصايا.
- كتاب: أسمراتي (المذكرات).
- كتاب عن الملاحم والحروب من طائفة الآريين - رامايان - كيتا.
- كتاب منوو، أو شريعة منوو.

وقد حوت هذه الكتب وغيرها على مجموعة حوارية بين الرب المبارك "كريشنا"، و"أرجونا"، وهي سبعمائة بيت أو آية، تقع في ثمانية عشر فصلاً، يعود تأريخها إلى 3000 ق. م. وتتلخص رؤيتهم الفلسفية الدينية لحقائق الحياة ومفاهيمها في خمس نقاط هي:

1. المراقب الأعلى، أو سلطة التحكم العليا.
2. الكائنات الحية.
3. الطبيعة.
4. الدراما، أو الفهم الصحيح للطبيعة والكون.
5. الوقت أو الزمن.

وفيه شرح للروح الخالدة والتنوير الحقيقي للوعي الذي يتجاوز الأنا الزمنية وتتسلسل مراحل الحوار وبشكل تدريجي من الوعي الفردي ومن حالات الوعي النسبي (النوم - الحلم - اليقظة) إلى حالات الوعي السامية وفيه من الظواهر المطلقة، كما شرح كريشنا ما يسمى بالوعي الكوني، وهو ثبات في العقل والوعي الصافي، والعمل باليوغا التي تؤدي إلى القيام بالعمل دون التعلق بثمار ذلك العمل، ويستلزم تطوير صفات القلب في الذات الكلية من خلال المثابرة على التأمل والحب الإلهي الأسمى، وبذوبان القلب في هذا العشق الإلهي يدرك الإنسان شفافية العالم النسبي، ويدرك مقدرة الله الذي خلقه، ويرى الله يتمثل في كل المخلوقات⁽¹⁾.

وتهدف كل تلك التعاليم إلى جعل الذات الفردية تندمج بالذات الكونية، وينفتح العقل والقلب بشكل كامل على الطاقة الكونية اللامحدودة المتجسدة في السيد كريشنا، الذي أصبح متجسداً بالذات الكونية، ويرى السيد كريشنا أن أصل كل المعاناة العقلية سببها الرغبات

(1) انظر فصول في اديان الهند . د/محمد ضياء الرحمن الاعظمي - من ص 20 - ص 52 .

الأنانية، وأن السبيل الوحيد لإخماد الرغبات هو تسكين العقل من خلال اليوغا عن طريق التأمل والعمل والمعرفة، وهناك ثلاث مراحل لتحقيق الذات المنصوص عليها من البهاغافاد غيتا، وهي:

1. البراهما أي الطاقة الكونية.
2. الباراماتما وتعني الروح العليا الكامنة في كائن حي.
3. البهاغافان أي الذات الإلهية.

وهناك ستة شروط يجب تجنبها هي: الشهوة، الغضب، الجشع، الوهم، الفخر، الغيرة، وهي صفات سلبية تمنع الإنسان من تحقيق التحرر من دورة الولادة والموت، وهي طريق الغيتا لبلوغ تحقيق الذات.

الآلهة عند الهندوس:

بدأ تاريخ الهندوسية بالتوحيد للإله الواحد، وانتهى بالتعددية، ولكنهم مؤمنون أن كل هذه الآلهة تحت سيطرة الإله الخالق الواحد الأوحد، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع:

- آلهة مذكرة: مثل: براهما، كريشنا وديفا.
- آلهة مؤنثة: مثل: ديقي، لاكشمي وشاكتي.
- أفاتار: مثل: مانسيا وكورما.

وبصفة عامة، فإن هناك عدداً كبيراً لا يمكن سرده من الآلهة المحلية والإقليمية مع الآلهة الرئيسية، إذ جعلوا لكل ظاهرة طبيعة آلهة كالشمس، والقمر، والمطر، وغيرها، فضلاً عن الآلهة التي تعبر عن المخلوقات من الحيوانات، والطيور والأجسام والرموز⁽¹⁾.

الطبقات الدينية للهندوس:

وبالنسبة للتقسيمات الدينية للهندوس: فيرجع المصدر الأساسي للتقسيم الطبقي في العقيدة الدينية الهندوسية لكتابهم المقدس (ريج فيدا)، وشرعية منو التي وضعت التشريع التفصيلي لوظائف كل طبقة، فتم تقسيم الطبقات حسب الآتي:

الطبقة الأولى - البراهمة:

ويعتقدون أنهم خلقوا من رأس الإله كريشنا، ويرجع أصول أغلب هذه الطائفة إلى وسط أوروبا الذين استوطنوا مصب نهر السند، ويعدون أنفسهم الطبقة البيضاء، التي ينتمي إليها رجال الدين العلماء، ولهم الحق في قراءة الفيدا وتفسيرها دون غيرهم، وللبرهمي القداسة والسيادة على جميع الطبقات، فيحق له الزواج من جميع الطبقات، ولا يجوز تطبيق عقوبة القتل في حق البرهمي، ولا يحق مصادرة مال البرهمي إذا لم يكن له وارث.

(1) انظر المعتقدات الدينية لدى الشعوب / جفري بارندر - ترجمة - د. أمام عبد الفتاح أمام - ص 143 .

الطبقة الثانية - الكاشترية:

يرون أنهم خلقوا من ذراعي كريشنا، وتعرف بالطبقة الحمراء، وتتكون من الأمراء الفرسان المحاربين.

الطبقة الثالثة - الفاشيا:

يعتقدون أنهم خلقوا من أفضاخ كريشنا، يعرفون بالطبقة الصفراء، وهم المزارعون والتجار.

الطبقة الرابعة - طبقة الشودرا:

يعتقدون أنهم خلقوا من أقدام كريشنا، يعرفون بالطبقة السوداء، وهم أصحاب الحرف اليدوية والصناعية.

الطبقة الخامسة والأخيرة - الباريان (الأنجاس):

وهم عمال النظافة والمهن الحقيرة، إلا أن الحكومة الهندية ألغت هذه الطبقة رسمياً عام 1950م⁽¹⁾.

من شعائر ومناسك الهندوس:

الصلاة: لهم طقوس متعددة للصلاة، منها: إشعال النار المقدسة، وقراءة الأناشيد من الفيدا، والأبانشاد، ثم التسبيح والتمجيد، وتقديم القرابين.

الصيام: هي شعيرة (عبادة) سائدة بين الهندوس، وتؤدي وفق عقيدتهم لكبح جماح النفس وقهرها، وكسر حدة الشهوة، والصيام شعيرة سائدة وشائعة لدى الهندوس، فمنهم من يصوم ويقتات على أوراق الشجر وأعشاب الغابات والجبال حتى يصل به الحال إلى الموت.

الحج: مناسك الحج لدى الهندوس تتم بعبور النهر لزيارة الأماكن المقدسة بالمعابد الهندوسية، وعادةً ما تكون موضعاً لأكثر من إله، كما يحجون إلى بعض الأنهار للاغتسال، والتطهر من الذنوب حسب اعتقاداتهم.

من عادات ومعتقدات الهندوس:

- تقديس البقر (العجل) وفق عقيدة الآريين، الغازين للهند القريية لفعل اليهود بعبادة العجل.

- الإيمان بتناسخ الأرواح من جسد إلى جسد آخر، وقد تنتقل إلى حيوان أو كائن آخر، كما أنهم يحرمون أكل اللحوم ويؤمنون بالحلول والاتحاد، ولكل مذهب جهنم خاص به.

- الأجساد تحرق بعد الموت لتخليص الجسد من الروح، وتسمح للنار بصعودها للملكوت بشكل عمودي للعالم الأعلى عالم الملائكة.

(1) انظر فصول في اديان الهند /محمد ضياء الرحمن الاعظمي من ص 55 – ص 66 .

- البعث في الآخرة للأرواح دون الأجساد.

المرأة في الديانة الهندوسية:

- سن بلوغ الفتاة للزواج عشر سنوات.
- الأب يخطب لابنته، ويقوم بإتمام الزواج من ماله من دون مهر للزوجة.
- يحق الزواج للطبقات العليا من الطبقات الدنيا ولا يجوز العكس.
- حرمان المرأة من الميراث.
- وأد الأنثى عقب ولادتها شائع منذ القدم (دفن الرضيعة الأنثى فور ولادتها أو عقب الإجهاض) وقد أشار القرآن لهذا الوضع، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، (التكوير: 8، 9).
- الرجل يقدم ابنته هدية للكاهن وللغير.
- من طقوس الزواج: إشعال النار المقدسة في مراسيم الزواج، طواف العريس حول النار، قراءة فقرات "الفيدا".
- الزواج لا يكون إلا بواحدة.
- يحرم الزواج من جهة قرابة الأم والأب حتى سبعة أجيال.
- لا يجوز النوم بجانب المرأة الحائض لنجاستها بل يتطلب عزلها.
- المرأة التي يموت عنها زوجها لا يحق لها الزواج وتحرق نفسها بعد موت زوجها.
- النساء الأرمل تصبح موضعاً للشكوك والتجريح، ويحط من قدرها فتصبح في مرتبة الخدم⁽¹⁾.

عناوين من الفلسفة الهندوسية:

- الأرض دار اختبار ودار جزاء وثواب.
- العدل المحض يكون في الدنيا ويكون في الآخرة.
- وحدة الوجود التجريد الفلسفي وصل إلى أن الإنسان يستطيع خلق أفكاره.
- الروح كالآلهة أزلية سرمدية مستمرة غير مخلوقة، وروح الإنسان جزء من الروح العليا.
- العلاقة بين الإنسان والآلهة كالعلاقة بين شرارة النار والنار ذاتها.

الديانة البوذية:

وهي عقيدة ظهرت في الهند في القرن الخامس قبل الميلاد، من رحم ومعاناة وظلم التقسيم الطبقي في العقيدة الوثنية الهندوسية. وتُعرف أيضاً بأنها فلسفة إنسانية لمعرفة أغوار النفس البشرية وارتباطها بالعالم المادي. وكانت في بدايتها متوجهة إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف، والمناداة بالمحبة، والتسامح وفعل الخير،

(1) انظر فصول في اديان الهند /محمد ضياء الرحمن الاعظمي ص 86.

والغالب أنها تشكلت نتيجة التقسيم الطبقي الحاد في الديانة الهندوسية فانشقت منها، وتبعتها بعض العقائد الدينية لاحقاً، وفعلًا لقد انتشرت البوذية في الطبقات المضطهدة في الهند أكثر من غيرها، خاصة في مراحلها الأولى (1).

مؤسس الديانة البوذية:

تضاربت الأقوال عن شخصية مؤسسها، ولكن الغالب: أن مؤسسها سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا (560 - 480 ق.م)، وبوذا تعني (العالم)، ويلقب أيضاً بسكيا موني، ومعناه المعتكف الذي دعا إلى تبني وجهة نظر جديدة مختلفة عن عقيدة الهندوس الآريين، تدعو للمساواة من دون التقسيم الطبقي للناس.

أفكاره ومعتقداته:

لم يؤلف بوذا كتاباً يقرأ غير أنه وبعد قرون عدة تم تدوين كتاب خاص بأدبيات وتعاليم بوذا، وقد نُسجت حوله الأساطير والخرافات المنافية للعقل، ومن هذه الاعتقادات والخرافات التي يعتقد البوذيون بها أن بوذا هو ابن الله، وهو المخلص للبشرية من مآسيها وآلامها، وأنه يتحمل عنهم جميع خطاياهم، ويعتقدون أن بوذا تجسد بواسطة حلول روح القدس على العذراء "مايا" ويقولون: قد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء، ويدعونه "نجم بوذا". كما يقولون: لمّا ولد بوذا فرحت جنود السماء، ورتلت الملائكة أناشيد المحبة للمولود المبارك، وقالوا: لقد عرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته، كما قالوا المزيد من الأساطير والخرافات ومنها: دخل بوذا مرة أحد الهياكل فسجدت له الأصنام، وقد حاول الشيطان إغواءه فلم يفلح. ويعتقدون أن هيئة بوذا قد تغيرت في آخر أيامه، وقد نزل عليه نور أحاط برأسه، وأضاء من جسده نور عظيم. فقال الذين رأوه: ما هذا بشر إن هو إلا إله عظيم. يصلي البوذيون لبوذا، ويعتقدون أنه سيدخلهم الجنة، والصلاة عندهم تؤدّي في اجتماعات يحضرها عدد كبير من الأتباع.

لما مات بوذا قال أتباعه أنه صعد إلى السماء بجسده بعد أن أكمل مهمته على الأرض، ويعتقدون أن بوذا هو الكائن العظيم الواحد الأزلي، وهو عندهم ذات من نور غير طبيعية، وأنه سيحاسب الأموات على أعمالهم، ويقولون: إن بوذا ترك فرائض ملزمة للبشر إلى يوم القيامة، وإن بوذا أسس مملكة دينية على الأرض، وإنه كان يقول بالتناسخ. وفي تعاليم بوذا دعوة إلى المحبة، والتسامح والتعامل بالحسنى، والتصدق على الفقراء، وترك الغنى والترفع، وحمل النفس على التقشف والخشونة، وفيها تحذير من النساء والمال وترغيب في البعد عن الزواج، (2) ويجب تقيد البوذي بعدد من القيم كي ينتصر على نفسه وشهواته، وتتلخص أهم القيم المترسخة في تعاليم بوذا فيما يلي:

1. الاتجاه الصحيح المستقيم الخالي من سلطان الشهوة.

2. التفكير الصحيح المستقيم الذي لا يتأثر بالآهواء.

(1) انظر فصول في اديان الهند / محمد ضياء الرحمن الاعظمي ص 139.

(2) انظر البوذية / كلودب. لفسون / ترجمة د. محمد علي مقلد من ص 35 - ص 97.

3. الاعتقاد المستقيم الذي يصحبه ارتياح واطمئنان.
4. مطابقة اللسان لما في القلب.
5. مطابقة السلوك للقلوب واللسان.
6. الحياة الصحيحة التي يكون قوامها هجر الملذات.
7. الجهد الصحيح المتجه نحو استقامة الحياة على العلم والحق وترك الملذات. وفي بعض هذه الأقوال تشابه كبير مع أقول وتعاليم المسيحيين والنصارى من حيث اعتقادهم بالمسيح عليه السلام.

من تعاليم بوذا:

الرذائل ترجع إلى أصول ثلاثة:

1. الاستسلام للملذات والشهوات.
2. سوء النية في طلب الأشياء.
3. الغباء وعدم إدراك الأمور على وجهها الصحيح.

ومن وصايا بوذا:

لا تقص على حياة حي. لا تسرق ولا تغتصب. لا تكذب. لا تتناول مسكراً. لا تزن. لا تأكل طعاماً نضج في غير أوانه. لا ترقص ولا تحضر مرقصاً ولا حفل غناء. لا تتخذ طيباً. لا تتخذ فراشاً وثيراً ولا تأخذ ذهباً ولا فضة.

كتب البوذية:

لم يكن لبوذا تعليمات مكتوبة، ولم يؤلف كتاباً، بل هي عبارات منسوبة إلى بوذا، واختلف البوذيون في تفسير هذه المدونات في كتاب بوذا المقدس، والذي يحوى على تعاليم اشبه بكلمات نسقية من النثر ركيكة المعنى اطلق عليها المترجم (قرآن بوذا)⁽¹⁾.

تقسيم كتب البوذية إلى ثلاثة أقسام:

1. مجموعة قوانين البوذية ومسالكها.
2. مجموعة الخطب التي ألقاها بوذا.
3. الكتاب الذي يحوي أصل العقيدة والفكرة التي نبعت منها (تعاليم بوذا).

الجذور الفكرية والعقائدية:

ليس هناك ما يثبت أن للبوذية جذوراً فكرية أو عقائدية، إلا أن الناظر في الديانات الوضعية التي سبقتها أو عاصرتها يجد بينها وبين البوذية شبيهاً في بعض الجوانب:

1. الهندوسية: في القول بالتناسخ والاتجاه نحو التصوف.

(1) انظر كتاب بوذا المقدس – ترجمة سعد يوسف – الطبعة الأولى 2010م وقد اطلق المترجم هذا المؤلف قرآن بوذا وصنف محتواه بالسور حيث بلغ عدد السور (22) سورة، تيمنا بالقرآن العظيم وما بينهما فارق كبير كما بين الثرية والثراء .

2. الكونفوشيوسية: في الاتجاه إلى الاعتناء بالإنسان وتخليصه من آلامه.
3. كما يُلاحظ التشابه الكبير بينها وبين المسيحية، ولاسيما فيما يتعلق بظروف ولادة المسيح وحياته والظروف التي مرّ بها بوذا، وهذا يشير إلى تأثر الديانة المسيحية بالبوذية والعكس.

الانتشار ومواقع النفوذ:

- البوذية منتشرة بين الشعوب الآسيوية، وهي مذهبان كبيران:
1. المذهب الشمالي: كتبه المقدسة مدونة باللغة السنسكريتية، وهو سائد في الصين، واليابان، والتبت والنيبال وسومطرة.
 2. المذهب الجنوبي: كتبه المقدسة مدونة باللغة البالية، وهو سائد في بورما، وسيلان، وفيتنام وماينمار، وتايلند. وأكبر عدد للبوذيين في الصين.

الديانة والحكمة الكونفوشيوسية:

الديانات القديمة في الصين تعود "لثلاث ديانات الدور الرئيسي على مدى ثلاثة آلاف سنة من التاريخ الصيني، وهذه الديانات هي الكونفوشية، والتاوية (الطاوية)، والبوذية، ويبدأ التاريخ المسجل للصين بأسرة (شانج) التي استمر حكمها من القرن السادس عشر حتى القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وفي عام (1027). ق. م خلفت أسرة (تشو) أسرة شانج وحكم القصر الملكي لأسرة تشو حتى عام 771 ق.م، بوصفهم الملوك الكهنة، حيث كان ملوك الصين الأوائل ملوك وكهنة في آن واحد، وتعتمد سيادة الملك على أن السماء هي التي قلّدتهم مهام منصبه، وتتألف صلوات الصينيين من الترنيمات والتضرعات والاعترافات الموجهة إلى الأسلاف من الملوك، وتراثيل تذكر للآلهة عن أعمال البسالة⁽¹⁾.

التعاليم الكونفوشيوسية:

الفيلسوف الصيني كونفوشيوس (551 ق. م - 479 ق. م)، و"اسم كونفوشيوس هو النطق اللاتيني لاسم الحكيم الصيني"، الذي استطاع أن يُقيم مذهباً ضمنه كل الأفكار الصينية في السلوك الاجتماعي والأخلاقي. وكانت الظروف التي وجد فيها كونفوشيوس ظروفًا غير مستقرة، إذ أخذ فيها النظام العبودي يضعف، فتعاظم النظام الإقطاعي، وكانت الفوضى العارمة تعم كل مكان. وفي هذه الظروف بدأ يدعو إلى بذل الجهد لاستقامة الفرد والمجتمع بموجب التطلع نحو المعرفة بصبر وثبات، ومن ثمّ التعهد بالتمسك بالقضايا العادلة التي تجسدت بها الكونفوشيوسية ودعت إليها: وهي مجموعة من المعتقدات والمبادئ في الفلسفة الصينية، طُوّرت عن طريق تعاليم كونفوشيوس وأتباعه وتتمحور في مجملها حول الأخلاق والآداب وطريقة إدارة الحكم والعلاقات الاجتماعية. وفي سن الستين استقال كونفوشيوس من وظيفته، وأنشأ مدرسة يعلم فيها تلاميذه أفكاره، تمهيداً لإرسالهم إلى الأرياف الصينية لنقل تعاليمه إلى سكانها، وكان مخططه كبيراً وطموحاً، تناول الأخلاق، والواجبات العائلية،

(1) انظر المعتقدات الدينية لدى الشعوب / جفري بارندر - ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ص. 224، 226، 227، 228، 230.

والإصلاح الاجتماعي، والعلاقات الشخصية الفردية، ويقال إنه لم يدون شيئاً من آرائه وأفكاره، ولكن أتباعه فعلوا ذلك، ومن الأعمال التي تُعزى إلى تعاليمه "المنتخبات الأدبية"، وهي سجل محاضراته.

لم يكن لكونفوشيوس تعاليم دينية مكتوبة، يُمتثل لأوامرها ونواهيها، ولم يترك شيئاً مكتوباً عن هذه التعاليم، بل كان يقول: "إرادة الله هي طبيعة الإنسان، والذي نسلكه إلى الطبيعة اسمه الطريق، والذي يجعلنا قادرين على السير في هذا الطريق هو التعليم والتربية، ولذلك يجب إلا نبعد عن الطريق لحظة واحدة، أين ما ذهبنا فخذ قلبك معك". وقد زعم أنه لم يترك شيئاً عن تعاليمه وتربيته مسطوراً ولم يكتب سطوراً واحداً في حياته إلا أن "الأجيال تناولت أحاديثه، ونصائحه ومحاوراته مع تلامذته"، وكانوا ينقلون آراءه، ويعلقون عليها ويشرحونها، مما ساعد على تكوين مدرسة كبرى، وهي المدرسة الكونفوشوسية.

تنبؤات كونفوشيوس:

يُؤثر عن كونفوشيوس قوله: حينما كنت في الخامسة عشرة وقفت نفسي على الاطلاع، فلما بلغت الثلاثين توطدت معلوماتي، فلما أصبحت في الأربعين زالت شكوكي، وفي الخمسين ميزت إرادة السماء، وفي الستين كنت مستعداً للإصغاء إليها، وفي السبعين تيسر لي إطاعة رغبة قلبي دون أن أتجاوز ما هو حق. وفي مجلس ضم طائفة من أتباعه تنهد، وقال: ليس هناك من يعرفني، فسأله أحدهم عن السبب فأجاب: إنني لا أجار بالشكوى ضد الشعائر ولا ألقى باللوم على الناس، إن مطالعاتي ودراساتي - وإن كانت متواضعة - تخترق أعلى مكان، ولعلي - قبل كل شيء - معروف لدى السماء، ووصف نفسه بأنه مجرد ناقل، وليس مبدعاً، ووردت بمأثورات كونفوشيوس عبارات يتحدث فيها عن السماء، معبود الصين الرئيس، ويبدو من استقراء كتاباته أنه كان يحس بأن السماء قد استودعته رسالة إبراء عالم الصين من أوجاعه، وآمن بأن السماء لن تخذله، وكان كونفوشيوس قد قسم الناس في مستوى المعرفة إلى أربع درجات، فقال: عن صاحب الدرجة الأولى: (رجل وهبته السماء المعرفة وأوتي الإلهام وهي من أعلى الدرجات). وفي ذات مرة أظهر استهجانه لعدم ثقة أحد به، لكنه أضاف بأن السماء تفهمه، ولقد انبهر المبشرون الغربيون عندما علموا ما عند الصينيين من حكمة موروثة، ووصايا وآراء خلقية سامية، ولذا قرروا أن الصينيين لا بد أن قد بُعث فيهم رسل وأنبياء، ولهذا أخذوا يوازنون بين الكتب المقدسة والكتب الصينية في الأخلاق والحكم والوصايا.

التربية الكونفوشوسية:

من المهم هنا أن نبين حقيقة ذكرتها الأبحاث والكتابات عن الحكمة أو الديانة الكونفوشوسية كما يحلو للبعض تسميتها، وهي اختلافها حول: هل لكونفوشيوس ديانة أم أخلاق، أم حكمة، فمذهبه ليس دينياً، فهو لا يتحدث عن الله أو عن السماوات، وإنما مذهب هو طريق في الحياة الخاصة، والسلوك الاجتماعي والسياسي، وعندما سأله أحد رجال الديانة البوذية: يا معلم كونفوشيوس ما دينك؟ قال لا دين لي ... فقال ما كتابك؟ قال لا كتاب لي...

قال ما صلواتك؟ قال لا صلوات، قال ما الذي تدعو إليه إذن؟ قال: "أن يكون الإنسان إنساناً، لا حيواناً ولا إلهاً". فلم يدع كونفوشيوس إلى حياة الرهبنة والتصوف الصرف، بل يؤكد على أن الحياة الحقة، هي قواعد وأصول وسلوك ومعاملة يلتزم بها الجميع، فإذا فعلوا فلا خوف على أحد من أحد.

الأخلاق والفضيلة وولاء الابناء:

من أقواله: "إن أخلاق الرجل تكوّننها القصائد وتنميتها المراسم" (أي آداب الحفلات والمجاملات) "وتعطرها الموسيقى"، وكان تعليمه كتعليم سقراط شفهيّاً لا يلجأ فيه إلى الكتابة، ولهذا فإن أكثر ما يُعرف من أخباره قد وصل إلينا عن طريق أتباعه ومريديه، ولم يكن يعلم طريقة من طرائق المنطق الدقيق، ولكنه كان يشدّ عقول تلاميذه بأن يعرض بأخطائهم في رفق، ويطلب إليهم شدة اليقظة العقلية، ومن أقواله في هذا المعنى: إذا لم يكن من عادة الشخص أن يقول: ماذا أرى في هذا؟ فإني لا أستطيع أن أفعل له شيئاً، وإني لا أفتح باب الحق لمن لا يحرص على معرفته، ولا أعين من لا يعنى بالإفصاح عما يكنه في صدره، وإذا ما عرضت ركناً من موضوع ما على إنسان، ولم يستطع مما عرضته عليه أن يعرف الثلاثة الأركان الباقية فإني لا أعيد عليه درسي. والفضيلة الكاملة عنده: (ألا تفعل بغيرك ما لا تحب أن يفعل بك)، وهذا المبدأ يتكرر مراراً، وهو دائماً يتكرر في صيغة النفي، ولتكن العدالة جزاء الإساءة، وليكن "الإحسان جزاء الإحسان". وكان يرى أن القاعدة الأساسية التي تقوم عليها أخلاق الرجل الأعلى هي العطف الفياض على الناس جميعاً، والرجل الأعلى لا يغضبه أن يسمو غيره من الناس، فإذا رأى أفاضل الناس فكر في أن يكون مثله، وإذا رأى سفلة الناس عاد إلى نفسه يتقصى حقيقة أمره" وهو لا يبالي أن يفترى عليه الناس أو يسلقوه بالسنة حداد.

وفي ولاء الابناء، في المجتمع الذي يقوم على إطاعة الأبناء آباءهم؛ والزوجة زوجها، فإذا ذهبت هذه الطاعة حلت محلها الفوضى، وليس ثمة ما هو أسمى من قانون الطاعة إلا شيء واحد، هو: القانون الأخلاقي. "في وسع (الابن) وهو في خدمة أبويه أن يجادلها بلطف، فإذا رأى أنهما لا يميلان إلى اتباع (نصيحته) زاد احترامه لهما، من غير أن يتخلى عن (قصده)، فإذا أمر الوالد ابنه أمراً خطأ وجب عليه أن يقاومه، وعلى الوزير أن يقاوم أمر سيده الأعلى في مثل هذه الحال".

فلسفة كونفوشيوس:

ويقوم مذهبه على الحب؛ حب الناس وحسن معاملتهم، والرقّة في الحديث والأدب في الخطاب، ونظافة اليد واللسان. وأيضاً على احترام الأكبر سناً والأكبر مقاماً، وعلى تقديس الأسرة وطاعة الصغير للكبير وطاعة المرأة لزوجها. وفي الوقت نفسه يكره الطغيان والاستبداد. ويؤمن بأن الحكومة إنما أنشئت لخدمة الشعب وليس العكس. وأن الحاكم يجب أن يكون عنده قيم أخلاقية ومثل عليا. ومن الحكمة التي اتخذها كونفوشيوس قاعدة لسلوكه تلك الحكمة القديمة التي تقول: "أحب لغيرك ما تحبه لنفسك"، ولما كانت النزعة المسيطرة على

كونفوشيوس هي تطبيق مبادئ الفلسفة على السلوك وعلى الحكم، فقد كان يتجنب البحث فيما وراء الطبيعة، ويحاول أن يصرف عقول اتباعه عن كل الأمور الغامضة، أو الأمور السماوية، ويعتبر كونفوشيوس الفضيلتين الهامتين هما (جن) و(لي)، والرجل المثالي يسير حياته طبقاً لهما، وقد ترجمت (جن) بالحب أو الاهتمام الحميم بإخواننا البشر، أما (لي) فهي تصف مجموعة من الأخلاق والطقوس والتقاليد واللباقة والحشمة.

ولقد أثر كونفوشيوس في الأمة الصينية خاصة بعد موته، وقد كان يعتمد في فلسفته على نغمة سياسية عملية حببتها إلى قلوب الصينيين بعد أن زال بموته كل احتمال لإصراره على تحقيقها. وإذا كان رجال الأدب في كل زمان لا يرتضون أن يكونوا أدباء فحسب، فإن أدباء القرون التي أعقبت موت كونفوشيوس استمسكوا أشد استمسكاً بمبادئه، واتخذوها سبيلاً إلى السلطان، وتسلم المناصب العامة، وأوجدوا طبقة من العلماء الكونفوشيين أصبحت أقوى طائفة في الإمبراطورية بأجمعها، وانتشرت المدارس في أنحاء البلاد لتعلم الناس فلسفة كونفوشيوس التي تلقاها الأساتذة عن تلاميذ المعلم الأكبر، وهذبها آلاف المؤلفين من العلماء على مدى السنين، وأضحت هذه المدارس المراكز الثقافية والعقلية في الصين، فأبقت شعلة الحضارة متقدة خلال القرون التي تدهورت فيها البلاد من الوجهة السياسية.

وقد كان في البلاد حينذاك طائفة أخرى هي طائفة "القانونيين" استطاعت أن تتاهض آراء كونفوشيوس في عالم السياسة، وأن تسيّر الدولة حسب مبادئها في بعض الأحيان، وسنرى فيما بعد كيف سعى "شي هوانج دي" صاحب الحول والطول، يعاونه رئيس وزراء من طائفة القانونيين، للقضاء على نفوذ كونفوشيوس، فأمر أن يحرق كل ما كان موجوداً وقتئذ من الكتابات الكونفوشية لكن فلسفة كونفوشيوس كتب لها النصر آخر الأمر، وتبين مرة أخرى أن قوة اللسان أعظم من قوة السنان، ولم يكن لعداء "الإمبراطور الأول" من نتيجة إلا أن يجعل الكتب التي أراد أن يعدمها كتباً مقدسة قيمة، وأن يستشهد الناس في سبيل المحافظة عليها، حتى إذا انقضى عهد "شي هوانج دي"، وعهد أسرته قصير الأجل، وجلس على العرش إمبراطور أحكم منه، أخرج الآداب الكونفوشية من مخابئها وعين العلماء الكونفوشيين في مناصب الدولة، وثبت حكم أسرة هان، وقوى دعائمه، بأن أدخل آراء كونفوشيوس وأساليه الحكيمة في برامج تعليم الشبان الصينيين وفي الحكومة، وقربت القرابين تكريماً لكونفوشيوس، وأمر الإمبراطور بأن تنقش نصوص الكتب القديمة على الحجارة، وأصبحت الكونفوشية دين الدولة الرسمي، وناهض الكونفوشية في بعض الأحيان نفوذ الدولة، كما طغى عليها أحياناً أخرى سلطان البوذية، حتى إذا كان عهد أسرة تانج أعادت إلى مكانتها السابقة، وأعلنت من شأنها، ولما جلس على العرش تاي دزونج الأعظم أمر أن يشاد هيكل لكونفوشيوس في كل مدينة، وقرية في جميع أنحاء الإمبراطورية، وأن يقرب له فيها القرابين.

وقد كان كونفوشيوس محافظاً في نظرته إلى الحياة، فهو يرى أن العصر الذهبي للإنسانية كان وراءها؛ أي في الماضي، ولذلك كان يحن إلى الماضي ويدعو الناس إلى الحياة فيه. ولكن الحكام على زمانه لم يكونوا من رأيه، فلقى بعض المعارضة، وقد اشتدت هذه المعارضة بعد وفاته ببضع مئات من السنين، عندما ولي الصين ملوك أحرقوا كتبه وحرّموا

تعاليمه، ورأوا فيها نكسة مستمرة، لأن الشعوب يجب أن تنتظر أمامها، بينما هو يدعو الناس إلى النظر إلى الوراء، ولكن ما لبثت تعاليم كونفوشيوس أن عادت أقوى مما كانت وانتشر تلاميذه وكهنته في كل مكان، واستمرت فلسفة كونفوشيوس تتحكم في الحياة الصينية قرابة عشرين قرناً (من القرن الأول قبل الميلاد حتى نهاية القرن التاسع عشر بعد الميلاد). وقد حقق كونفوشيوس للصين سلاماً وأمناً داخلياً استمر أكثر من عشرين قرناً تقريباً، وفشلت الكونفوشيوسية أن تترك أثراً يذكر خارج الصين. وفي زمن أسرة هان المالكة، درج الأباطرة الصينيين على اختيار موظفي الدولة بطرح امتحان يعتمد إلى حد كبير على معرفة تعاليم وآداب كونفوشيوس. وفي الوقت الحاضر انحدرت قيمة الكونفوشيوس، لأن الصين الشيوعية هاجمت بقوة كونفوشيوس وتعاليمه بسبب نظريته للماضي، وعُدَّ معوّقاً لنظرة الثورة التي نجحت بالنظر للأمام⁽¹⁾.

ديانة وعقيدة السيخ:

جاء التعريف بالسيخ من عدد من المراجع منها كتاب السيخ وعقائدهم - محمد سعيد الطريحي، فقد قمنا بترتيب المعلومات للتعريف بالسيخ ويطلق لفظ السيخ على الشخص العارف أو المتعلم أو المريد، والسيخية عقيدة دينية جديدة ظهرت في القرن الخامس عشر الميلادي، ومؤسسها المعلم ناناك الذي وُلد سنة 1469م، الذي جمع الصفات الهندوسية، والإسلامية، فأنشأ منها العقيدة السيخية، تحت شعار لا هندوس لا مسلمون ووضع مبادئ بسيطة للديانة قبل موضوع الصلاة والصيام والحج، وأهم المبادئ التي وضعها المعلم ناناك هي: بذل الجهد في العمل وانكر الوحي في اعتقاده أن الله ينير قلب من يريد أن يهديه وعمل على تحريم تصوير الإله في صور وتمائيل وأن الإيمان بأن الله واحد لا يوصف، ولا يرى ولا يتجسد، والمتأمل في عقيدته في المذائح التي توجد في الأناشيد التي يتلوها الإنسان بالإضافة للتأمل الروحي؛ لأن التأمل الروحي في رأيه ينير القلب ويجعل الإنسان يرى الله في خلقه لقب جورو أو (غورو) باللغة الهندية، يعني (المعلم) يوجد في السيخية عشرة معلمين؛ أولهم المعلم ناناك مؤسس الديانة، وآخرهم المعلم جوبيند سينغ⁽²⁾.

من معتقدات السيخ: الإيمان بوحدة الأديان، وأن الرب نزل إلى الأرض بصورة البشر، كما يؤمنون بتناسخ الأرواح وأن روح نانك تحل تبعاً برؤساء العقيدة التسعة المصلحين، ويرفضون الرهينة، ويحثون الناس على السعي والكسب، وتعد العقيدة السيخية ممتزجة بالفكر الصوفي.

وعن كتبهم المقدسة، هناك مجموعتان من الكتابات التي ترتفع إلى مرتبة الكتب المقدسة لجماعة السيخ، برغم أن إحدى هاتين المجموعتين واسمها (آدي جرانث)، وهذه الكتب تتمتع بوضع تشريعي لا خلاف عليه، أما الأخرى اللاحقة لها (داسام جرانث)، فلها أهمية متميزة،

(1) انظر المعتقدات الدينية لدى الشعوب / جفري بارندر - ترجمة إمام عبدالفتاح إمام ص. 238، 239، 241، 242، 257.

(2) انظر السيخ: عقائدهم وتاريخهم / محمد سعيد الطريحي ص 10.

وجمعت خلال عامي (1603-1604)م بواسطة المعلم (أرجان)، ويستخدم الشيخ بعض فصوله في الصلاة (1).

أشهر معابد الشيخ:

للمعابد قدسية كبيرة لدى الشيخ منذ زمن المعلم "غوبند"، الأول، ومنها:

- **المعبد الذهبي:** في "أمريستار"، وبداخل هذا المعبد الذهبي الهيكل المرصع بالجواهر النفيسة، وبداخله كتابهم المقدس، يطوف حوله الحجاج، وهم يستمعون إلى الكلمات المنغمة، ليلاً أو نهاراً، منذ إقامة المعبد.

- **المعبد الثاني:** المسمى "تخت سري كيشار صاحب"، في "أنا ندبور"، ويعُدُّ المعبد المقدس الثاني في الأهمية بعد المعبد الذهبي، بسبب أول عملية تعميد سيخية جرت هناك.

- **المعبد الثالث:** معروف باسم "أكال تخت"، ومن أسمائه الأخرى عند الشيخ "هارماندر صاحب"، و"داربار صاحب"، ويشكل جزءاً من المعبد الذهبي في "أمر يستار"، ويعُدُّ أهم المعابد السيخية في العالم، حيث تصدر منه التعليمات والتوجيهات، بكونه المركز المشرف على الديانة السيخية.

- **ومن المعابد الرئيسية:** المعبد الذي يقع في نانديد في ولاية مهراشترا، وهو المكان الذي مات فيه المعلم "غوبند سنغ"، وهناك معابد أخرى.

أهم فرق الشيخ:

- **الكشد هارية:** وهم من الشيخ المعمدين المتمسكين بطريقة الجورو غوبند سنغ.

- **السلجد هاريه:** رفضوا التعميد، وانضموا إلى الخالصة المؤمنين بالقتال.

- **النان كيان تهيه:** وهؤلاء لا يؤمنون بما وضعه "غوبند سنغ" من فرائض وأوامر على أتباعه.

- **الاداسية (المنكرون):** ينكرون طريقة "غوبند"، ويتسمون بالزهد، ولا يتزوجون وهم قلة.

- **الأكالية:** وهم عبدة "أكال"، وهم من المغالين في طريقة "غوبند"، ونزعتهم الحربية.

- **البنداين تهيه أو البندائية:** وهم المؤمنين بالقائد بنده، مخالفين سائر الشيخ الذين اعدُّوا بنده مبتدعاً.

- **المزبية أو المزهبية:** وهم الذين اعتنقوا السيخية بتلقيهم.

- **الرام داسية:** أتباع الجورو "رام داس".

- **جاط الخالصة:** الذين أنكروا قدسية "بنده"، واعتبروه طارئاً على التعاليم السيخية.

أمّا عدد الشيخ ومواطن تواجدهم: يصل عدد الشيخ إلى أكثر من (23) مليون نسمة، أغلبهم في الهند، ويشكلون (2%) من سكان الهند، ولهم وجود في باكستان وأفغانستان، ونتيجة للهجرة أصبح هنالك تواجد للشيخ في كندا، أمريكا، أوروبا، أستراليا وسيريلانكا.

(1) انظر المعتقدات الدينية لدى الشعوب / جفري بارندر - ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ص170، 171 .

الفصل السابع

التشريعات الإنسانية القديمة- قوانين بابل

مقدمة:

تعبرُ أعراف الإنسان وقوانينه في الحياة عن فطرة الله سبحانه التي فطر الناس عليها منذ الخليقة الأولى قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: 199)، ولأهمية هذه الأعراف سميت سورة من سور القرآن الكريم بها (سورة الأعراف)، ووقد حظيت هذه السورة بالأهمية من أنَّ الأعراف ما تلبث أن تتحول إلى منظومة من التشريعات القانونية، إذ يمثل نص القانون أعلى قيمة في الرقي الحضاري للإنسان، ولعل أقدم الحضارات الإنسانية التي لعبت دوراً في حياة الإنسان هي تلك التي أثرت الحياة بنصوص من القانون الذي عمل فيها على تنظيم حياة الناس، وما زالت بصمة ذلك القانون وتأثيره حاضراً بقوة في الحياة، تجسيدا لفطرة الخالق في خلق الإنسان على الأرض.

ولأهمية تلكا لقوانين القديمة الأصيلة سنحاول أن نستعرض أهم ما توفر لنا من تلك المودونات القانونية القديمة لنسلط الضوء من خلالها على مدى تأثير العرف وعلاقته بإرث القانون الإنساني على مختلف مستويات حياة الإنسان (منذ القدم وحتى يومنا هذا)، ومن أهم تلك التشريعات: تشريعات بابل (شريعة حمورابي) وتشريعات اليونان و(روما)، وكل تلك التشريعات القانونية كانت وليدة العرف، والعرف أمر به الخالق وما يزال ذلك ضمن سنة الله سبحانه وتعالى في الخلق، وبعدها جاء كلام الله سبحانه الثابت الأزلي المنظم لحياة الإنسان عبر مراحل الزمن متوافقاً مع تلك الفطرة السليمة والعرف الحسن بما يضمن حياة مستقرة وهادية للإنسان على الأرض، ثم لنذكر كيف استطاعت جماعة التحريف اقتباس نصوص من الإرث القانوني الإنساني، وإضفاء صبغة دينية عليه وإقناع الناس بأنها وحي من السماء، ومعرفة الدس والإشاعة المفتعلة عن تسفيه نص القانون من كونه قانون وضعي لا قيمة له وفق ما يتقول به بعض الناس اليوم دون وعي وإدراك، والتأكيد على أن القانون وليد العرف الذي أمر به الخالق سبحانه للناس جميعاً، وهو ما كان لدى الأمم والشعوب القديمة، وهو ما يكون اليوم وغداً، فتلك إذاً هي سنة الله سبحانه في الخلق ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

تشريعات بابل:

قبل الحديث عن شريعة حمورابي تعالوا نستعرض ما سبقها من تشريعات قانونية من بلاد الرافدين، ومدى تأثيرها على قانون حمورابي، وفق الآتي:

الملك أورنمو:

يعدُّ الملك أورنمو مؤسس أسرة أور الثالثة (بعصر الانبعاث السومري)، وقيل إن حكمه استمر سبعة عشر عاماً للفترة بين (2112 إلى 2095 ق. م)، وقد تمكَّن أورنمو من حكم سلالة أور الثالثة، واستطاع إخضاع الكثير من المدن السومرية والأكادية، فلقب نفسه بلقب (ملك سومر واكد) أو (ملك الجهات الأربعة)، وأعاد العلاقات التجارية مع مجان (عمان) عبر الخليج العربي / الفارسي، وانصب اهتمامه على شق القنوات، كما سنَّ التشريعات، أو ما يعرف بإصلاحات أورنمو، التي اعتمدت على مبدأ التعويض، وليس القصاص، وعلى وجه الخصوص في الجروح التي لا تفضي إلى الموت في تشريع العقوبات، كما سعى إلى توحيد المكايل والأوزان، لتخليص المواطنين ممن يستغلونهم، وفي النهاية، فقد تعددت أنشطة الملك أورنمو في مجالات شتى، وقد ترك لوحات عدة منحوتة من الحجر تظهر الملك بانياً للمعابد، وقد وصل فن النحت إلى مستوى جيد من التنفيذ التقني، غير أنه افتقر إلى التنوع، مقارنة بنحت العصر الأكادي وفي مجال الأدب فقد أوجد أورنمو وخلفاؤه صدى كبيراً في الأدب، وكان من إنتاجه الأدبي (رحلة أورنمو إلى العالم السفلي)، وهو نص أدبي يصف دخول الحاكم المتوفى إلى العالم الأسفل، ويوصف فيه بأنه أخو جلامش، الذي يطيب خاطره مع آلهة ذلك العالم بالهدايا.

قانون أور - نمو:

يُعدُّ هذا القانون من أقدم القوانين المكتوبة المُكتشفة حتى الآن (2112-2095) ق. م، أصدره الملك السومري أور- نمو مؤسس سلالة أور الثالثة، وقد اكتُشف هذا القانون ضمن آثار بلاد الرافدين، وقد اكتشفت أول نسخة من القانون على شكل جزئين، قام صموئيل كريم بترجمتها عام 1952م، وهي اليوم محفوظة في متحف إسطنبول الأثري، وبسبب طريقة الحفظ، فالمقدمة وخمسة قوانين فقط قابلة للتمييز ثم اكتشفت ألواح أخرى في أور، تمت ترجمتها عام 1965م، ما سمح بإعادة صياغة (30) مادة من أصل (57) مادة من القانون، ثم وُجدت نسخة أخرى في سيبار، فيها قليل من الاختلافات.

وتحتوي مقدمة قانون أور- نمو على ما قدمه الملك من قرابين إلى إله المدينة، وتضمنت نظرية التفويض الإلهي، وهي أن الإله اختار أورنمو وفوضه ليمثله في الأرض، وأشادت بمنجزات الملك وإقامة العدل في البلاد والقضاء على الفساد الاقتصادي الذي كان يتمثل في تعرض الحقول والتجارة البحرية ورعاة المواشي والثيران والأغنام للسرقة واستطاع الملك أن يحقق العدل والحرية في بلاد سومر، وأكد أن اليتيم لم يعد يسلم إلى الرجل الغني ولم يعد الرجل ذو الشئيل يسلم إلى الرجل ذي المنا، وأنشأ الملك نظاماً لتثبيت المكايل والموازين. أما مواد قانون أورنمو فهي قرابة (31) مادة لم يسلم منها إلا القليل التي عالجت مسائل قانونية، إذ كانت أجزاء كثيرة من الألواح التي كتب عليها متأكلة وممسوحة، ومن تلك المتن الآتي:

تُعدّ متن القانون من المجموعة الأولى ذات علاقة بالأحوال الشخصية ولعل المواد الأولى الثلاث الناقصة ذات علاقة بالموضوع نفسه، بينما تعالج المجموعة الثانية وهما المادتان (13,14) هروب الرقيق، أما المجموعة الثالثة، وهي أكثر المجموعات تعداداً من حيث المواد، والخاصة بالأعتداء على الأشخاص، وفي المجموعة الأخرى المادتين (25)، (26) يعالج القانون شهادة الزور، وأخيراً ينتقل إلى القضايا الخاصة بالتجاوز على الأراضي بالمواد (27-29) (1).

المجموعة الأولى من مواد القانون (4-12) بشأن الأحوال الشخصية:

المادة (4): تتعلق بقيام امرأة متزوجة باغراء رجل لارتكاب فعل الزنا معها، وقد نصت المادة على حق الزوج بقتل زوجته وترك الرجل طليقاً.

المادة (5): فخاصة بحالة اغتصاب رجل لأمة بكر تعود لشخص آخر، وعقوبتها تعويض مالك الأمة بخمس شقيقات من الفضة.

المواد (6)، (7)، (8): تحدد شروط الطلاق وحقوق المطلقة.

المادة (9) ناقصة.

المادة (10 - 11): وتعالج هاتين المادتين اتهام شخص لأى من الزوجين بالخيانة الزوجية واسلوب اثبات الاتهام وعقوبة الاتهام الكاذب في مثل هذه الحالات، أما المادة (11) فخاصة باتهام زوجة رجل بالخيانة الزوجية وضرورة اجتيازها الامتحان النهري لاثبات براءتها وتحديد عقوبة من يأتي باتهام كاذب بالتعويض المادي.

المادة (12): ينص على تعويض الخاطب بضعف ما دفعه من الهدايا لخطيبته، إذا زوجها أبوها لغيره.

المجموعة الثانية من مواد القانون (13) إلى (14) بشأن هروب الرقيق:

المادة (13) ناقصة.

المادة (14) الجزء الاول منها ناقص، ويشير الجزء الاخير إلى هروب الامه.

المجموعة الثالثة من مواد القانون (15) إلى (23) بشأن الأعتداء على الاشخاص.

المواد (13-23) وهي أكثر المجموعات مواداً حيث تشمل أكثر من ثمانى مواد وقد تناولت حالات اىذاء الأشخاص الاعتياديين أو الرقيق والعكس.

أما المواد (22) و(23) تخص بتمرد الرقيق والعقوبات المقررة.

المجموعة الرابعة من مواد القانون (25) إلى (26) بشأن شهادة الزور.

وهاتان المادتان خاصتان بشهادة الزور.

المجموعة الاخيرة من مواد القانون وتتعلق بالتجاوز على الاراضي.

المادة (27) تتعلق بالتجاوز على حقول الغير.

(1) انظر القانون في العراق القديم / د عامر سليمان 1977م . من ص 191 – 197 .

المادة (28) تتعلق بتسبب شخص بأغراق حقل شخص آخر مزروع.

المادة (29) تتعلق بحالة الإهمال للحقل.

قانون لبت - عشتار (1934 - 1924 ق.م):

يعدُّ الملك لبت عشتار خامس ملوك سلالة (آيسن- لارسا) الذي حكم في الفترة (1934- 1924) ق.م، وهو قانون سومري مدون باللغة السومرية، ويضم اثنين وعشرين حقلاً من الكتابة المسمارية تضمنت النص الكامل للقانون الذي لم يتبقى منه غير ثلث النص الأصلي، ويتكون قانونه من مقدمة تتجلى فيها نظرية التفويض الإلهي وتمجيد الآلهة، وكيفية اختيار الإله الملك (لبت عشتار) الراعي الحكيم لنشر العدل في البلاد والقضاء على الشكاوى والعداوة بقوة السلاح، وجلب الرفاهية للسومريين والأكديين، وقد أصدر القانون باللغة السومرية، تناول فيها لبت عشتار أكثر من موضوع، بحث في كيفية تأجير القوارب، والأراضي الزراعية، وعقوبة من يحتفظ بعبد أو أمة يعودان لشخص آخر، وعقوبة من يتأخر في دفع ضريبة العقار، وفي أنواع الكهنة، وبحث في أولاد الزوجة الأولى والثانية، وبحث في حقوق الأمة التي تلد طفلاً ومصير أطفالها وإرث أولادها، وتناول القانون أولاد الزوجة غير الشرعية، وحقوق الزوجة ومرضها، وعقوبة الوالد الذي يزوج ابنته لغير خطيبها والوصية وعقوبة المستأجر الذي يسبب أضراراً للمؤجر، وتلي مواد القانون خاتمة تتضمن عهداً من الملك لبت عشتار بالقضاء على البغضاء، والعنف ونشر الرفاه كما تضمنت استئصال لعنات الآلهة على من يغير نصوص هذا القانون أو يحوها أو يكتب اسمه عليها، وينقسم هذا القانون إلى ست مجموعات نوضحها بالآتي:

المجموعة الأولى: المواد من (7-8) بشأن الأراضي الزراعية.

المجموعة الثانية: المواد من (9-11) بشأن السرقات.

المجموعة الثالثة: المواد من (12-16) بشأن الرقيق.

المجموعة الرابعة: المواد من (15-17) بشأن الاعتداء على الأشخاص.

المجموعة الخامسة: المواد من (18-19) بشأن الضرائب.

المجموعة السادسة: المواد من (20-33) بشأن الأحوال الشخصية والأسرة، وتتضمن الكثير من المواضيع كالمواريث من حيث نصيب البنت وحقوق الأولاد والزواج والزوجة وغيرها، والخطبة، وحكم الزنا، وعقد الوصية،

المجموعة السابعة: المواد من (34-37) بشأن الأضرار والتعويض بسبب ذلك⁽¹⁾.

قانون (بالالاما) ملك مملكة أشنونا (العراق القديم 1930 ق.م):

(1) انظر القانون في العراق القديم / د. عامر سليمان 1977م. من ص 199- 204.

قانون أشنونا أو قانون بلالاما (1930 ق. م)، وهو من أقدم القوانين المدونة باللغة الأكديّة، ويعود تاريخه إلى ما قبل حكم الملك حمورابي، وينسب القانون إلى مملكة "أشنونا"، إحدى الدويلات التي حكمت في منطقة ديالي في بداية العهد البابلي القديم، (تل أسمر) حالياً، وقد عُثر على قانون أشنونا في لوحين من الطين في حفريات آثار تل حرمل من قبل عالم الآثار طه باقر وفي عام 1945م في العراق⁽¹⁾، وتحتوي المواد القانونية فيه على أحكام مختلفة، لم يكتشف علماء الآثار سوى (60) ستين مادة تقريباً، ويظهر من دراسة هذه المواد، يمكن تصنيف مواد القانون المعروفة حالياً إلى تسع مجموعات ويظهر تداخل المواد القانونية بين هذه المجموعات بسبب الارتباط القائم فيها وعلى النحو التالي:

المجموعة الأولى: من مواد القانون (1-11) بشأن تسعير المواد وتحديد الأجور.

المجموعة الثانية: من مواد القانون (12-13) بشأن السرقة.

المجموعة الثالثة: من مواد القانون (15-24) بشأن عقود التجارة، والمدين، والفايدة.

المجموعة الرابعة: من مواد القانون (25-36) بشأن الأحوال الشخصية ومخالفة أحكامها.

المجموعة الخامسة: من مواد القانون (36-37) بشأن الوديعة.

المجموعة السادسة: من مواد القانون (38-41) بشأن عقود البيع المتعدد.

المجموعة السابعة: من مواد القانون (42-48) بشأن الإيذاء والاعتداء.

المجموعة الثامنة: من مواد القانون (49-52) بشأن الرقيق.

المجموعة التاسعة: من مواد القانون (53-58) بشأن أضرار الحيوانات، والجمادات.

يذكر المؤرخ وعالم الآثار طه باقر في بحث له عن قانون مملكة أشنونة المكشوف عنه في تل حرمل أنه من أقدم القوانين المدونة التي جاءتنا من العراق القديم، وكان قانون حمورابي إلى زمن قريب هو أقدم شريعة في تاريخ البشرية، ثم بدل هذا الرأي بعد استكشاف أجزاء من قانون سومري يعود إلى الملك لبث عشتار، وبما أن القانون المستكشف أقدم زمناً من حمورابي بنحو قرنين فيكون بذلك أقدم شريعة كشف عنها البحث⁽²⁾.

شريعة حمورابي - مملكة بابل - العراق القديم.

لم يعد قانون حمورابي أقدم قانون في تاريخ البشرية بعد اكتشاف قانون الملك السومري أور-نمو وقانون مملكة أشنونة، في تنقيبات وحفريات تل أسمر، وهذا القانون الذي عرف بقانون بلالاما أو قانون أشنونا الذي يسبق شريعة حمورابي بحوالي قرنين من الزمن، ويضم

(1) انظر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة / طه باقر - الجزء الأول .

(2) انظر القانون في العراق القديم / د. عامر سليمان 1977م من ص 205-218 .

أكثر من (60) مادة قانونية، حسب قول عالم الآثار طه باقر في بحث له عن قانون أشنونا المكشوف عنه في تل حرمل (1).

التعريف ب حمورابي ملك بابل:

- الإنسان: حمورابي، الملك البابلي العظيم (مملكة بابل العظيمة).

- المكان: بلاد الرافدين (العراق، سوريا).

- الزمان: (1750-1792 ق.م).

- الموضوع: شريعة (قانون حمورابي).

الإنسان والمكان والزمان، والفكر: رباعية إبداع الفكر الإنساني المحفور بأول حرف نسج من شعاع شمس آلهة بابل المقدسة، إذ يظهر حمورابي (سادس ملوك سلالة بابل الأولى) (2) وهو يتلقى القانون من آلهة الشمس، ثم يدونها على صخرة الديورانيت ليعلّم العالم نظم الحرف والقانون، وتمثل شريعة حمورابي أعلى قيمة حضارية خطها الإنسان القديم لشعب المملكة البابلية وللمستقبل العالم، هذا الشعب العظيم الذي نراه من خلال مدونات كثيرة، ومنها: مدونة حمورابي الشاملة لتنظيم حياة الإنسان، فقد رسم حمورابي الملك لوحة جميلة استطاع أن يرينا من خلالها عظمته هو وشعبه ومملكته، بعسكرها وشوارعها وأزقتها، وحقوقها وبساتينها على ضفاف الأنهار، والترع والسفن والرقيق، والعامل، والفلاح، والتاجر، والسادة والأشراف، والقاضي والمتهم، وتحقيق العدالة في الساحة العامة وحانة الخمر وساحة المحكمة، والاحتكام لها في مختلف القضايا (المدنية، الجنائية، التجارية، العسكرية)، وغير ذلك وقد اختزل ما خطّه الملك العظيم حمورابي لأرقى موروث قانوني لملوك سومر وآكاد وآشور، وغيرهم وما أبدعه الفكر الإنساني من التنظيم القانوني الذي يجعلنا نقف احتراماً لإبداع هذا الإنسان في تلك الحقبة من التاريخ، وما زال هذا الإبداع الحضاري (منظور البصر والبصيرة)، شاهداً على عظمة مملكة بابل بما امتلكت من مقومات الحضارة، فكان ملكها حمورابي رافعة مهمة في نظم هذا التشريع الفريد في التاريخ الذي مثّل روح الفلسفة الإنسانية في تلك الحقبة، والتي امتدت لتعاليم أثينا وروما في صياغة مواد القانون الروماني الخالد (الألواح الإثني عشر) وقانون جوستنيان العظيم، وما زال إنسان اليوم يستند إليهما معاً في تنظيم الحياة المعاصرة.

ولا شك أنّ هذه المدونة القانونية الإنسانية وما سبقها وما لحق بها وما صيغ بزمنا هذا، وما سيدون للأجيال القادمة يمثل بتقديرى سنة الله سبحانه وتعالى في الخلق والإبداع على الأرض بما تحمل من دلالات عظيمة، وعميقة في أمر الأخذ بالعرف، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أودع في الإنسان منذ التكوين الأول لخلق آدم قاعدة البيانات الأساسية الأولية لكل مفردات العلم بكل تفاصيلها، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، (البقرة: 31) فكان العلم بالعرف

(1) انظر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة / طه باقر . من ص 452 - 456.

(2) انظر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة / طه باقر - ص 441

وأمر الإنسان بالأخذ به كقاعدة أساسية للقانون، قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، (الأعراف: 199)، وتلك سنة الله تعالى في خلق الإنسان في كل زمان ومكان، فيما كان وما سيكون، وما نحن عليه اليوم، وما سيعقبنا من أمم وخلق أخرى لا تبدل لسنة الله، ولن تجد لسنة الله تحويلاً غير أن جماعة التحريف ظل سعيها حثيثاً لاقتباس هذا النص من الأعراف والقوانين الإنسانية، وصبغه بصبغة دينية مقدسة، وإلزام الناس الأخذ به، من كونه وحياً من السماء، والتقول على نص القوانين بدونية خبيثة من كونه قانون وضعي وأن هذه الاكتشافات الأثرية تفصح الاقتباسات الكثيرة من تراث هذه القوانين إلى العقائد القديمة، ومنها: التوراة – تلمود اليهود، وفكر طوائف المسيحيين والنصارى، ثم إلى فقه المسلمين بشقيه السني والشيعة، وإيماناً مني بعظمة هذه المسئلة القانونية فإنني أستسمح الملك العظيم حمورابي ملك بابل أن انسخ من مواد مسلته القانونية شعاع ممزوجة بشمسسه المقدسة لتصنيف شريعته الغراء التي ترجمها محمود الأمين⁽¹⁾ من أجل تسهيل قراءتها ومقارنت مضمون موادها بما اقتبس منها لنصوص الديانات والشرائع القديمة⁽²⁾، معتذراً له وللقارئ عما قد يكون من الخطأ والنسيان فإنه مني ووفق الأقسام التالية:

القسم الأول: (قانون السلطة القضائية):

ويتضمن المواد (1-5)، وتختص بالقضاء وإجراءات التقاضي:

1. تحدد كيفية الاتهام.
2. تحدد عقوبة الطرد من القضاء للقاضي الفاسد.

القسم الثاني: (قانون جنائي):

ويتضمن المواد (6-25)، وتختص بالسراقات والنهب

- 1- تحدد عقوبة الإعدام على عدد من الجرائم، منها:
 - سرقة ثروة الإله والقصر، ومن يتقبل تلك المسروقات من الناس (المال العام).
 - خيانة الأمانة واعتبار الخائن سارقاً.
 - بيع مالٍ مفقود لسيد بثبوت البيع على المتهم.
 - شراء المال المفقود إذا ثبت علم المشتري بذلك.
 - الغش في تقديم اتهام كاذب (بلاغ كاذب).
 - شهادة الزور، يتحمل عقوبة المشهود ضده حتى ولو كانت بالإعدام.
 - سرقة ابن سيد آخر.
 - مساعدة رقيق على الهروب من بوابة المدينة، إيواء رقيق هارب أو أمة تعود للدولة.
 - إحداث ثغرة في دار الغير.
 - إعدام السارق أثناء قيامه بالسرقة.
- 2- حدد التعويض كعقوبة بديلة في حالات، وهي:

(1) انظر شريعة حمورابي . ترجمة / محمود الأمين 2007 م .

(2) انظر تأثير قوانين بابل القديم وشريعة حمورابي في نص التوراة والتلمود ثم دس في فكر المذاهب الإسلامي سنة وشيعة .

- التعويض بعشرة أمثال إذا كان المسروق مسكيناً.
- إعادة البائع للمال المفقود لصاحبه، أو أخذ خمسة أمثال ما ادعاه صاحب الدعوى من البائع.
- التعويض من خزانة الدولة في الجرائم التي تقيد ضد مجهول.

القسم الثالث: القانون العسكري - قانون جرائم الميدان.

ويتضمن المواد (26-41)، وتختص بشؤون الجيش

- 1- تحدد عقوبة الإعدام لمرتكبي الأفعال الآتية:
 - هروب الجندي أو السّماك من الخدمة العسكرية.
 - قيام الحاكم أو الرئيس بالسعي لتخلف جندي من حملة الملك.
 - اغتصاب الحاكم أو الرئيس أموال وأثاث بيت الجندي.
- 2- تحدد مصدر تعويض الجندي أو السّماك إذ أعتق أثناء حملة الملك، وليس في بيته كفاية للعتق، (يعوض من بيت إله بلدته أو من القصر).
- 3- تحدد عقوبة المصادرة وفقاً للأفعال التالية:
 - مصادرة بيت المؤجر البديل للخدمة العسكرية بدلاً عن الجندي المكلف.
 - مصادرة حقل وبستان وبيت الجندي أو السّماك الذي تغيب ثلاث سنوات.
 - مصادرة السيد الذي يشتري أبقاراً أو غنماً كان الملك قد أعطاهما للجندي.

القسم الرابع: قانون مدني:

ويتضمن المواد (42-97)، وتختص بشؤون الحقل والبستان والبيت

- 1- تحدد التعويض عن الأفعال التقصيرية:
 - تعويض مالك الحقل عن إهمال المستأجر للحقل الزراعي بغلة مماثلة بحقل آخر مجاور.
 - تعويض صاحب الحقل، إذا ترك راعي الغنم أو مالك الغنم ترعى بحقله.
 - تعويض صاحب الحقل إذا قطعت أشجار من حقله دون إذنه.
 - تعويض صاحب الحقل عن الإهمال المتعمد للحقل المستأجر.
 - تحدد التعويض على السيد الذي أهمل تقوية سد حقله فخرّب الماء المزروعات وأتلفها.
- 2- يتضمن مواد قانونية تنظيمية بشؤون الحقل، منها:
 - نظم طرق استحقاق محصول الحقل إذا أنبت من تلقاء نفسه دون تدخل المستأجر له.
 - نظم حصول التعويض أو إسقاطه بسبب ظروف قاهرة.
 - نظم رهن الحقل أو العقار وكيفية تحصيل أموال الرهن ونوع التعويض.
 - نظم تأجير البساتين الزراعية، وطرق اقتسام محصولها بين المؤجر والمستأجر.
 - نظم طريقة البيع بالعوض بين صاحب البستان والتاجر المقرض.
 - نظم العلاقة بين المؤجر والمستأجر للبيوت السكنية المستأجرة.

- نُظِمَ القروض العينية بالحبوب، وقضاء الدين عيناً، أو غيره بالسعر المحدد من قبل الملك.
- نظم تجارة الحبوب.
- 3- حدد عقوبة مصادرة قرض التاجر بالحبوب أو الدراهم المتحصل بفائض (الفائدة).

القسم الخامس: قانون تجاري خاص:

ويتضمن المواد (98-107) تختص بالشراكة التجارية والبائعين

- 1- يتضمن المواد القانونية لتنظيم أعمال التجارة:
 - نظم طريقة اقتسام الربح والخسارة في الأموال محل الشراكة التجارية.
 - نظم تجارة البائعين المتجولين.
 - نظم إدارة أموال التجارة بين التاجر المقرض والبائعين المتجولين.
- 2- يحدد التعويض بالمضاعفة في حالة أثبت التاجر إعطاء البائع مال للتجارة وأنكره البائع وكذلك العكس بالنسبة لحق البائع في المضاعفة.

القسم السادس: قانون خاص- وقانون جنائي:

ويتضمن المواد (108-111)، وتختص بحانة الخمر:

- 1- يحدد عقوبة الإعدام للأفعال المتعلقة بحانة الخمر، وهي:
 - إعدام بائعة الخمر إذا تجمع في حانتها متآمرون ضد الدولة، ولم تقبض عليهم وتسلمهم للقصر.
 - الإعدام حرقاً بالنار لبغية المعبد أو العينة في الدير التي دخلت الحانة بقصد الشرب.
 - قذف بائعة الخمر أو إلقاءها في الماء إذا غالت بالثمن.
- 2- وقد نُظِمَ كيفية الاتجار بالخمر.

القسم السابع: قانون مدني - وتجاري):

ويتضمن المواد (112-126)، وتختص بعقد البيع وحالات الدائن والمدين:

- 1- نُظِمَ طريقة نقل الأموال، وحدد مسؤولية تقصير الناقل عند فقدانها أو الاستيلاء عليها.
- 2- نُظِمَ فرض الغرامات في حالات معينة.
- 3- نظم حالات بيع (المدين) لزوجته وابنه وابنته، وكذا امته التي ولدت له عيال بدينه، (الدائن).
- 4- نُظِمَ حفظ الحبوب في مخازن مستأجرة، وأجرة الحفظ، والتعويض في حالة الاستيلاء عليها، أو تسبب بتلفها أو غير ذلك.
- 5- نُظِمَ التعاملات بالعقود، وحفظ الأموال المتقومة بالنقد سواء كان النقد بالذهب أو بالفضة.

القسم الثامن: قانون جنائي (عقوبات) والمتعلق بالأسرة:

ويتضمن المواد (127-195)، وتختص بقانون الأسرة وحقوقها والعقوبات الجزائية:

- 1- يحدد عقوبة الإعدام للمتهم الذي ارتكب الأفعال التالية:
 - اغتصاب فتاة في بيت أبيها.
 - الموت غرقاً بالماء للمرأة وهي موثقة بسبب مضاجعتها لآخر.
 - الموت للمرأة وتوأة إذا تسببت بموت زوجها متواطئة مع رجل آخر.
 - الموت لرجل وهو موثق في الماء غرقاً بسبب مضاجعته زوجة ابنه.
 - الموت حرقاً بالنار لرجل نام مع أمة والده بعد وفاة أبيه.
- 2- يحدد عقوبة القذف في الماء للمتهم في ارتكاب الأفعال التالية:
 - تلقي المرأة بنفسها بماء النهر لتبرئة نفسها من تهمة الخيانة الزوجية.
 - يلقي بالمرأة في الماء بسبب دخولها بيت رجل آخر وفي بيتها طعام يكفيها.
 - يلقي بالمرأة في الماء المتمردة عن بيت زوجها.
- 3- يحدد عقوبات القطع (قطع جزء من الجسم) للأفعال التالية:
 - قطع لسان الابن المتبني إذا أنكر فضل أبويه بالتبني.
 - قطع ثدي المربية إذا أدى تقصيرها لموت الصغير، وإذا أبرمت اتفاقاً مع آخر دون علم الوالد.
 - قطع يد الولد الذي ضرب والديه.
- 4- يتضمن مواد قانونية تنظم العلاقات الزوجية (قانون الأسرة): خطبة، زواج، طلاق وعلاقات أفراد الأسرة وحقوقهم، منها:
 - إجراءات الخصومة بين أفراد الأسرة أمام القضاء.
 - ارتباط المرأة بالرجل وفق عقد مكتوب.
 - حق الزوج بالعفو عن زوجته لاضطجاعها مع رجل آخر.
 - اتهام الزوج لزوجته مع عدم الدليل، ورجوع الزوجة لبيتها عند قيامها بالحلف بالإله (اللعان).
 - أحقية المرأة بالخروج من المنزل لعدم وجود مؤنتها ولغياب الزوج.
 - نظم حقوق الزوجة الشاردة.
 - نظم حقوق الخطبة والزواج والجهاز والطلاق.
 - نظم حقوق المرأة العاملة والمرأة التي ليس لها ولد.
 - نظم حق المرأة في طلب الطلاق.
 - نظم تعدد الزوجة مع الأمة والزوجة الثانية.
 - نظم أحقية الإهداء (وصية) من الزوج للزوجة بالحقل والبستان دون منازعة من الورثة بعد وفاته، وحققها أن تمنح تركتها لمن تشاء من أولادها أو للغير.
 - نظم حق الزوجة بالاشتراط على زوجها بعدم اغتصابها من دائن زوجها.
 - نظم حق الوالد بإهداء (وصية) بستان أو بيت لابنه المحبب له، ونفوذها بحق الورثة الآخرين.

- نَظَّم حقوق الأطفال القصر وحق البنت من إرث والدهم.
- نَظَّم انتقال الإرث للورثة بقسمته بينهم.
- نَظَّم حالة تبرؤ الأب من الابن وبيت القاضي بذلك سلباً أو إيجاباً.
- نَظَّم العلاقة بين الأب وأولاده، وأولاد أمته وحقوقهم في تركته.
- نَظَّم حقوق المرأة بعد وفاة زوجها، ونصيبها من الإرث وتركته بعد وفاتها.
- نَظَّم حوال العبيد، وزواجهم من السادة، وزواج السادة منهم، وحقوق أولادهم في المجتمع.
- نَظَّم حقوق الأرمال وأولادهن ورعايتهم.
- نَظَّم حق الإرث والنذر بشأن البنت، أو الراهبة التي تسخر لخدمة المعبد.
- نَظَّم حقوق التبني.

القسم التاسع: (قانون جنائي مع أخرى):

ويتضمن المواد (196-227)، وتختص: بقانون عقوبات وأخطاء الأطباء

- 1- حدد عقوبة القتل عن الأفعال المجرمة، ومنها ما يلي:
 - عقوبة القتل لسيد ضرب بنت فتسبب بإجهاضها ووفاتها.
 - عقوبة القتل لسيد أزال وسم رقيق بخديعة الواسم، ودون إذن ومعرفة سيده.
- 2- يحدد العقوبات للأفعال الجنائية، ومنها الأفعال التالية:
 - عقوبة فقء العين بالعين من نفس الطبقة الاجتماعية.
 - عقوبة السن بالسن لسيد من نفس الطبقة الاجتماعية.
 - عقوبة كسر العظم بالمماثلة لسيد كسر عظم سيد آخر من نفس الطبقة الاجتماعية.
 - عقوبة قطع أذن الرقيق الذي صفع خد فرد من الأشراف.
 - عقوبة قطع يد الطبيب بالخطأ الطبي.
 - عقوبة قطع يد الواسم الذي أزال وسم الرقيق دون علم سيده.
 - عقوبة الضرب ستين جلدة بجلد الثور لسيد ضرب سيداً آخر أرفع منه.
- 3- يحدد دفع التعويض كعقوبة بديلة، عن أضرار فعل الخطأ، ومنها:
 - التعويض عن فقء عين، أو كسر سن، أو كسر عظم لسيد اعتيادي.
 - التعويض عن فعل ضرب أحد الأشراف للأخر.
 - التعويض عن ضرب بنت سبب لها الإجهاض.
 - التعويض عن خطأ الطبيب إذا كان المريض من الرقيق.
 - التعويض عن خطأ الطبيب البيطري.
- 4- يحدد أجور الأطباء العاملين في العمليات الجراحية، وغيره من التطبيب، بأن خصص دفع مبالغ متفاوتة بحسب طبقات المجتمع، كما حدد أجور أطباء الحيوانات.

القسم العاشر: قانون البناء/ الملاحظة:

ويتضمن المواد (228-240)، ويختص بمسؤولية التقصير في أعمال البناء والسفن

- 1- يحدد عقوبة القتل لأفعال التقصير في البناء، ومنها:
 - عقوبة القتل للبناء الذي أهمل في عمل بناء المنزل، فانهار على صاحبه فقتله.
 - عقوبة القتل لابن البناء بسبب إهمال أبيه في البناء، فانهار المنزل فقتل ابن صاحب المنزل.
- 2- يحدد التعويض كعقوبة بديلة لبعض الأفعال ومنها:
 - التعويض على البناء إذا انهار بناء على رقيق صاحب المنزل.
 - التعويض على البناء إذا انهار البناء وأتلف أموال صاحب المنزل.
 - التعويض على الملاح عند بناء السفينة وتقصيره بأعمال بناء السفينة فبسبب تشققاً فيها.
 - التعويض على الملاح إذا قصر في حفظ السفينة / القارب وتركه يغرق.
 - التعويض على المتسبب في حوادث تصادم السفن.
- 3- يحدد أجور البنائين لبناء المنازل وأجور الملاحين في صناعة السفن وقيادة السفينة.

القسم الحادي عشر: (القانون المدني):

ويتضمن المواد (241-277)، وتختص بتأجير الحيوانات والمهن والتعويضات وتحديد الأجور

- 1- وقد هذا القسم عقوبة جنائية، وهي قطع يد السارق الذي تم استئجاره، وعينه المستأجر على حقله وسلمه الطعام، فسرقة الزرع والأكل ومسكت في يده.
- 2- يحدد التعويض كعقوبة بديلة، ومنها:
 - التعويض بالفضة عن العجل المرهون، المصادر من سيد على سيد آخر.
 - التعويض عن الحيوانات في حالات الوفاء أو القتل أو الإصابة أو الضياع وغيرها.
 - التعويض عن الإصابة بسبب نطح الثور.
 - التعويض عن سرقة المحراث، والتوك (الغريبال)، والدلو.
- 3- يحدد أجور الحيوانات والأشخاص والعربات والمهن الحرفية والسفن:
 - راعي الغنم.
 - الدوس للثور والحمار والماعز.
 - العربية شاملاً، ثم العربية منفرداً، والبقرة والسائق.
 - المهن: الصنّاع، الخياطين، النجارين، ملاحي السفن وغيرهم.

القسم الثاني عشر والأخير: حول الرق والعبيد

ويتضمن المواد (278-282)، وتختص بتنظيم شؤون العبيد والرقائق:

- 1- يحدد عقوبة قطع إذن الرقيق المنكر لسيده.
- 2- نظمت المواد (278-281) بيع وشراء الرقيق من خارج البلد أو من الداخل، وضمان حق العيب.

الخلاصة:

أولاً: اقتصرت شريعة (قانون) حمورابي على تطبيق عدد من العقوبات منها:

- 1- قتل المدان (الإعدام) حرقاً بالنار، أو غرقاً بالماء، بعد ما يوثق أو يواتد على الخشب.
- 2- قطع المدان لجزء من جسمه، كقطع اليد وقطع الأذن وفقء العين.
- 3- كسر عظم المدان.
- 4- جلد المدان بسوط الثور.
- 5- ضرب المدان باليد.
- 6- إلقاء المدان بالماء دون أن يوثق.
- 7- تعويض المدعي أو المجني عليه، أو مضاعفة التعويض.
- 8- المصادرة.
- 9- الغرامة.

ثانياً: حددت شريعة حمورابي عدداً من أدلة الإثبات منها:

- 1- الأدلة الكتابية، الصك المرقوم، العقود.
- 2- شهادات الشهود.
- 3- الاعترافات أو الإقرارات.

ثالثاً: شرّعت جوانب تنظيمية للكثير من الحقوق والأعمال، فمن ذلك حدد:

- 1- أسعار الحبوب المختلفة. وأسعار الخمر.
- 2- المكايل والأوزان.
- 3- أجور المهن، وأجور الثور والعربة وغيرها.
- 4- أجور الأطباء، وأجور القضاء، وأجور الجند.

الفصل الثامن

فقه القانون الروماني

مقدمة:

استطاع الأستاذ عبد العزيز فهمي رحمة الله عليه عام 1946م أن يثري المكتبة العربية عبر ترجمته بمدونة القانون الروماني للإمبراطور جوستنيان، لتكون تلك الترجمة قبساً من نور المعرفة، تبدد جانباً من وجه ظلمة فكر المذاهب الإسلامي في مختلف فروعها؛ (الفقه، والحديث والسيرة والتفسير والمتكلمين المجادلين)، ومن هذه المدونة أقتبس لكم أهم ما جاء فيها، ومن خلالها أدعو القارئ الكريم أن يراقب دور جماعة التحريف وقيامها بالاعتباس من مدونة القانون الروماني (مدونة جوستنيان)، ونقلها إلى أحاديث العنينة في مختلف المذاهب الإسلامية المتصلة إسنادها بالقول عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام، أو روايتها عن الأولياء من الأئمة وصبغها بالصبغة الدينية، على الرغم أنها من أعراف وقوانين الفكر الإنساني الخالص، وفق ما جاء في هذه المدونة التي دونت قبل أكثر من قرنين على بعثة النبي محمد عليه السلام، فكانت امتداداً لعمر القانون القديم الذي يمتد لأكثر من خمسة قرون قبل البعثة، مع أن الإسلام أكد على حكمة الله وسنته سبحانه وتعالى القائمة على العلم والإيمان والعمل الصالح بالفضيلة في تنظيم حياة الناس، وفق ما هي ماضية في الكون والحياة، وهي باقية في حياة الإنسان ما دام على الأرض، للأخذ بالعرف في كل ما لم يرد فيه حكم منظم لمسيرة الحياة الإنسانية بخلاف رأي فقهاء العنينة في فكر المذاهب الإسلامي الذين أهملوا العرف وجعلوه آخر سلم الاستدلال مقدمين عليه إجماعهم وقياساتهم والناسخ والمنسوخ وغيره وبه هدموا قواعد الدين من الداخل تحت عدد من المسميات (الحديث - أصول الفقه - فقه السيرة - علم الكلام - علم التفسير) وغيرها.

ومن هنا فقانون أورنمو وقانون بلالاما أشنون، وقانون لبت - عشتار وشرعية حمورابي، والقانون المصري القديم والقانون الروماني وكل القوانين الأخرى في العالم القديم والمعاصر بل ومستقبل أجيال الإنسان، جاءت لتنظم حياة الإنسان، وكانت في مختلف الأزمنة تجسيداُ لأمر الله تعالى بالأخذ بالعرف، كون العرف قاعدة أساسية لميلاد تلك القوانين، وغيرها وبغض النظر عن توافق هذه القوانين مع سنة الله سبحانه أو توافقنا نحن مع بعضها أو اختلافنا معها، فهي في كل حال تمثل الأرضية المعرفية للناس في الزمان والمكان، وتمثل جزء من إرث الحضارة الإنسانية، وإذا وقفنا عند مدونة الإمبراطور فلافيوس جوستنيان رحمة الله عليه (527 - 565م) الذي استهل مقدمته بالاستعانة بالله العلي العظيم، للحفاظ على قوة دولته بتمكينها من الأسلحة لمجابهة العدوان الخارجي، وضد من يقصد دولته بالشر، نرى أن القوانين التي قام بتنسيق شرائعها القديمة وإصدار شرائع أخرى جديدة بما يجعل أحكامها غاية في الانسجام، جاءت من أجل المحافظة على حقوق الناس، ومن أجل حياة

يسودها الاحترام وطاعة القانون، فكان قانون روما السياج المنيع لحفظ الدولة والإنسان والحضارة وكل عناصر الحياة حولهما ولذلك فقد خلد القرآن الكريم ذكر روما بتسمية سورة كاملة باسم " سورة الروم " (الإنسان)، ووصف أهل روما بالمؤمنين لعظمة قانون حضارتها، وحوضرها العتيقة، وإسهاماتها في مختلف العلوم، والمعرفة بالخالق والمخلوق، وبمنهج الفلسفة بالعلم بماهيات الأشياء في الأرض والكون، بل والأكوان، مستلهمين من إرث المعرفة الجدلية التي شارك أنبياء الله في إرساء قاعدتها وأسس مداميكها، وبنى عليها شعب روما إراثاً إنسانياً بديعاً، فاستحقت من الله الخلود ووصف شعبها بالمؤمنين وصدق الله العظيم إذ يقول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الْمَ غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بَنَصَرَ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 1-6).

وبالعودة إلى مدونة الإمبراطور جوستنيان رحمة الله عليه الذي يضيف بالقول: إن هذا النجاح الباهر الذي لا فضل فيه إلا لله سبحانه فقد استدعينا إلى هذا العمل الأستاذ المراقب (تريبونيان) والاستاذين الشهيرين (دوروتي) و(تيوفيل) رحمة الله عليهم جميعاً، وفي سنة (533م) نشر مدونته أحكام الفقه الروماني، وبهذه الكوكبة تم تصنيف الكتب الخمسين التي تضمنتها مجموعة الديجست أو البندكت، ومعناها الجامع الأوفى (الموطأ) أو المذهب، وفي (533 - 534م) فقد أطلق اسم المجموعة القانونية والمراسيم الجديدة ونشرها، ومن أهمها مرسوم (544م)، ومرسوم (548م)، حول المواريث، وقد قسّم المدونة إلى أربعة كتب وملحقين، والقراءة الفاحصة والمقارنة مع فقه المعاملات بفكر المذاهب الإسلامي بشقيه السني والشيعي، ستتضح لك المفاجأة الصادمة وهي أن معظم فقه المعاملات المقدر بثلاثي الفقه الإسلامي، اقتبس من هذه المدونة القانونية لقانون روما، ولك أن تلاحظ مقدار التحريف المفضوح في صياغة أحاديث عن النبي وصحابته كمشروعية لفقه المعاملات بين الناس وصبغها على أساس ديني والحقيقة أنها من أعراف الناس وفق ما نبينه في الآتي(1):

الكتاب الأول: أقسام القانون من حيث علاقتهم بالقانون الخاص:

وفيه (26) باباً ومنها:

الباب الأول: تعريفات ومصطلحات قانونية: أوردت المدونة مقولات في تعريف قواعد قانونية، منها:

- العدل: حمل النفس على إيتاء كل ذي حق حقه والعلم بما هو حق، شرعاً وبما هو غير حق.
- الفقه: معرفة الأمور الإلهية والأمور البشرية، والعلم بما هو حق شرعي، وبما هو غير حق.
- أقسام القانون: القانون العام يبحث في تنظيم الحكومة في الدولة الرومانية.

(1) انظر مدونة الامبراطور / جوستنيان . ترجمة أ- عبدالعزيز فهمي 1946 م .

- القانون الخاص: يبحث مصالح الأفراد، وهو مستمد من ثلاثة مصادر، هي: القانون الطبيعي، وقانون الشعوب، والقانون المدني.

الباب الثاني: في القانون الطبيعي وقانون الشعوب والقانون المدني:

ومما جاء فيها: أن القانون المكتوب هو مجموعة القوانين والقرارات الشعبية، وقرارات مجلس الشيوخ وأوامر أولياء الأمر، ومنشورات الحكام وفتاوى المفتين. أما القرارات الشعبية فهي الصادرة عن طائفة عامة.

الباب الثالث: في أحكام الأشخاص:

وفيه ينقسم الأشخاص إلى أحرار وعبيد (أرقاء):

- الحرية: هي المكنة الطبيعية لعمل الإنسان ما يريد.
- الرق: نظام من مولدات قانون الشعوب، به يستكره الإنسان خلافاً للقانون الطبيعي.
- يحدث الرق: بحسب أصول قانون الأمم؛ أي بالأسر، أو بحسب القانون المدني.
- الأرقاء حالة واحدة لا تتجزأ أما الأحرار، فمنهم أحرار الأصل، ومنهم العتقاء.

الباب الرابع: في أحرار الأصل:

وجاء فيه عن المولود حراً منذ ولادته، لا يضار في حريته بفعل طارئ، ولقد صدرت دساتير عدة نصت على أن الإعتاق لا تأثير له على الحقوق المترتبة على حرية الأصل.

الباب الخامس: العتقاء (الأرقاء): ومما جاء فيه:

- يولد الناس جميعاً بمقتضى القانون الطبيعي أحراراً.
- العتق مستمد أصله من قانون الأمم.
- الإعتاق هو التمتع بنعمة الحرية.
- يحصل الإعتاق بطرق متعددة بالكنائس ووفق مراسيم الإمبراطور وإما بطريقة المناضلة باللسان والسنان، وإما بالخطاب المكتوب وإما بالوصية.

الباب السادس: في موانع الإعتاق:

وجاء فيه: الإعتاق ليس من الحقوق المطلقة ومن يعتق عبداً إضراراً بدائه يقع عملاً باطلاً؛ نصت شريعة إيليا على منع اكتساب حرية العبيد في هذه الصورة.

الباب السابع: في قانون فوزياكانيتا المنسوخ:

وجاء فيه: إلغاء الإعتاقات التي تحصل بطريقة الوصية، إذا كان للأسياد حال حياتهم أن يمنوا بنعمة الحرية على جميع عبيدهم، عند عدم المانع، فلقد كان ما تاباه الإنسانية أن يسلبوا هذا الحق متى حضرهم الموت.

الباب الثامن: الأشخاص المستقلون بأنفسهم والأشخاص التابعون لغيرهم:

وجاء فيه: بعض الأشخاص مستقلون بشؤون أنفسهم، وآخرون خاضعون لسلطة غيرهم، ومنهم تحت سلطة أحد أصولهم، ومنهم تحت سلطة سيد مالك، وهم الأرقاء العبيد وحددت ضوابط في معاملة العبيد؛ من المصلحة العامة ألا يسيء أحد استعمال ما يملك كالقسوة والجوع وأنواع السب والأذى.

الباب التاسع: في ولاية الأب:

وجاء فيه: أولادنا المرزوقين لنا عن نكاح صحيح، يكونون تحت ولايتنا وحق الولاية على الأولاد خاص بالوطنين الرومان من تلده زوجتك منك فهو في ولايتك.

الباب العاشر: في النكاح الصحيح وجاء فيه:

- يعقد الرومانيون النكاح وفق أحكام القانون.
- يُشترط لصحته بلوغ الحلم للرجال، وبلوغ النساء حد إطاقة الرجال ورضا أصول أبناء العائلات.
- الزواج محال شرعاً بين الأصول والفروع، وإذا حصل كان زناً إجرامياً، وتسري هذه القاعدة على المتبني، وعلى الحواشي بين الأخ والأخت.
- يحرم نكاح العم، والعمة والخال، والخالة وأولاد الأخ والأخت وربيبتك، وحمايك ولا يحل لرجل، الجمع في عصمته بين امرأتين أي زوجتين.

الباب الحادي عشر: في التبني ومنه:

- ليس أولادنا فقط من يدخلون في ولايتنا، بل يدخل من اتخذناهم أولاداً لنا بطريق التبني.
- يحصل التبني بطريقتين؛ أمر الأمير (الإمبراطور)، وحكم الحاكم، وهذا النوع يسمى الاستلحاق.
- لا يجوز الاستلحاق إلا بعد بحث وتحقيق.
- للاستلحاق بأمر الأمير خصوصية ينفرد بها بدخول أولاده في ولاية متبنيه.
- لا يجوز لاحد أن يتبنى من هو أكبر منه سناً.
- يجوز للمتبني أن يجعل متبنيه في درجة ابن أو بنت، ويقاس بالولد من نكاح شرعي.
- ليس للنساء حق التبني.
- العبيد الذين يتبناهم سيدهم ينالون الحرية بمجرد هذا التبني.

الباب الثاني عشر: في أسباب زوال حق الولاية:

من تزول الولاية عنهم وأسبابها:

- الأرقاء، في حال تحررهم من السلطة المفروضة عليهم.
- من هم تحت ولاية أحد أصولهم، فإنهم بموته يصيرون مستقلين بشؤون أنفسهم.
- من وقع في الرق بسبب عقوبة تنقطع ولايته على أولاده.

- ابن العائلة الذي يكون جندياً أو عضواً في مجلس الشيوخ أو قنصلاً يستمر في ولاية أبيه.

- إذا وقع الأب أسيراً في يد الأعداء.

الباب الثالث عشر: في الوصايات:

التقسيم الثالث ذوو الأهلية وعديمو الأهلية:

مَنْ ليسوا تحت الولاية فريقان: فريق تحت الوصاية أو القوامة، وآخر أحرار حرية مطلقة.

يجوز للأصول أن يعينوا في وصيتهم أوصياء لفروعهم القصر، وكذلك بالنسبة للأحمال المستكنة.

القاضي ملزم بتمكين الوصي بقرار يصدره من غير تحقيق.

الباب الرابع عشر: في مَنْ يجوز أن يكون وصياً:

- يجوز أن يُعهد بالوصاية إلى أب عائلة، أو إلى ابن عائلة.

- يجوز أن يعهد بها لعبده الخاص مع تحرير رقبته.

- يصح تعيين الوصي لأجل مسمى أو معلق على شرط.

- لا يصح تعيين الوصي لشيء بعينه الخاص.

- يصح تعيين أوصياء للأولاد ذكوراً وإناثاً والحمل المستكن.

الباب الخامس عشر: في الوصاية الشرعية التي للعصبات:

من ليس لهم أوصياء مختارون بطريقة الوصية يكونون بمقتضى شريعة الألواح تحت وصاية عصبتهم، والعصبة هم الأقارب من أولاد الظهور بواسطة الذكور.

تزول حقوق العصوبة في العادة زوالاً إذا اعتري العاصب أي حور في ذاته، أما حقوق رابطة الرحم فلا تزول إلا في بعض أحوال حور الذات.

إذا انحصرت الوصاية في العصبات فلا تكون لهم جميعاً بل تكون لأهل الأقرب درجة فقط.

الباب السادس عشر: في حور الذات:

ويعرف حور الذات بأنه تغيير يعتور ما كان للشخص من حال سابقة، وله درجات

ثلاث: الحور الأكبر والحور القليل (الأوسط)، ثم الحور الأصغر وحقوق القرابة تبقى بعد حور الشخصية.

الباب السابع عشر: في الوصاية الشرعية التي لموالي العتاقة:

ومنها: بمقتضى شريعة الألواح تكون الوصاية على العتقاء ذكوراً وإناثاً للمولى المعتق ولأولاده.

الباب الثامن عشر: في الوصاية الشرعية التي للأصول:

وقياساً على وصاية الموالي، رتبوا أوصياء آخرين، وتسمى هذه الوصاية، الوصاية الشرعية، فمن يحرر ابنه أو بنته أو ابن ابنه وابن بنته قبل بلوغهم أو يحرر فرعاً له أسفل من ذلك فإنه يصير وصيهم الشرعي.

الباب التاسع عشر: في الوصاية الاستثنائية:

ومنها أب عائلة يحرر ابنه أو ابنته وإن علا أو فرعاً أسفل من هؤلاء قبل وصولهم إلى درجة البلوغ.

الباب العشرون: في الأوصياء الذين كانوا يعيّنون بمقتضى بعض الشرائع:

- الأوصياء المعينون بطريقة الوصية وكان تعيينهم معلقاً على شرط ومضاف إلى أجل.
- وقوع الوصي أسيراً بيد الأعداء.
- الأوصياء يعيّنهم الحاكم أو محافظ المدينة كما في مدينة روما أما في الأقاليم ورؤساؤها بعد التحقيق.
- يجب على الأوصياء تقديم حسابات إدارتهم لأموال القصر.

الباب الحادي والعشرون: في إذن الوصي:

- إذن الوصي لقصره ضروري في بعض الأحوال، وغير ضروري في البعض الآخر.
- القاعدة المسلمة هي أن يأتي الصبي من التصرفات ما ينفعه من دون إذن وصيه.
- ليس للقصر بدون إذن الوصي أن يقبلوا تركة، ولا أن يطلبوا حيازة أموال.
- إذن الوصي لا بد أن يحصل في مجلس العقد، إذا قامت خصومة بين الوصي ومحجوره.

الباب الثاني والعشرون: كيف تنتهي الوصاية:

وتنتهي الوصاية بالآتي:

- استلحاق القاصر أو بالحكم بنفيه، أو إذا أعيد إلى الرق لكفرانه نعمة مولاه، أو إذا وقع أسيراً في يد الأعداء.
- موت القاصر أو الوصي.
- حور الذات الذي يسلب الوصي الحرية أو الجنسية بالمدة المعلومة.
- عزل الوصي من الوصاية.
- وقوع حادثة الشرط المعلوم إذا كان الوصي مختاراً بمقتضى وصية مقرر فيها بقاؤها إلى أن يتحقق شرط معلوم.

الباب الثالث والعشرون: في القوامة:

حُدِّث سن القوامة بخمسٍ وعشرين سنة والقوامين يعيّنهم الحكام.

- لا يُعيّن قوامون جبراً على الشباب إلا لمباشرة دعوى لدى القضاء.
- يُعيّن قوامون على المجانين والسفهاء وإن تجاوزوا الخامسة والعشرون.

- يُعَيَّن القوام على جميع المعتوهين والصم والبكم، وعلى الصغار إذا عجز الوصي عن إدارة شؤونهم.

الباب الرابع والعشرون: في كفالة الأوصياء والقوامين:

حرصاً على ضمان عدم تبديد أموال القصر يكلف الحاكم الأوصياء والقوامين مع تقديم فالات لهذا الغرض، وتقضي المراسيم الصادرة في هذه المادة بأنه في حالة امتناع الأوصياء والقوام عن تقديم الكفالة يجبرون عليها بترتيب رهن على أملاكهم ويكون الموظفون الذين يتقبلون الكفالة مسؤولين بسبب إدارتهم لدى القصر والشباب.

الباب الخامس والعشرون: في إعدار الأوصياء والقوامين:

الوصاية والقوامة من التكاليف العامة، ويُعذر عن القيام بها:

- من كان له عدد من الأولاد.
- العمال الذين يديرون أموال بيت المال.
- الأشخاص المعينون في مهمة عامة يحق لهم الاعتذار عن الوصاية والقوامة.
- تقلد بعض مناصب الحكم.
- وجود دعوى بين الصبي ووصيه.
- من كان قائماً بشؤون ثلاث وصايات أو ثلاث قوامات.
- ضعف الصحة وكبر العمر كذلك يحق له الاعتذار.
- علماء البلاغة والنحو والأطباء بمدينة روما.
- رجال الجندية لا يجوز أن يعهد إليهم بالوصاية، ولو كانوا راغبين فيها.
- الأولاد المتبنين لا يحسبون لمتبنينهم وإنما يحسبون لوالدهم الطبيعي.

الباب السادس والعشرون: في الأوصياء والقوامة المريبين:

وقد جاء فيه: شريعة الألواح أنه: نصت على اتهام الوصي للارتياح، وعزل الأوصياء للريبة من اختصاص الحاكم في رومة، وفي الأقاليم من اختصاص رؤسائها ولا يجوز للصغار مخاصمة أوصيائهم للريبة.

- الوصي المريب هو الذي يخون في إدارته ويوصم بالعار إذا عزل لمقارفته الخيانة قصداً.

- إذا رفعت الدعوى على الوصي للريبة وجب منعه.
- إذا مات الوصي أو القيم أثناء النزاع سقطت الدعوى.
- من يقع منه غش في إدارته لوصاية أو لقوامة فاللزام أن يُعزل.

الكتاب الثاني: عن الملكية والحقوق:

ويتضمن (25) باباً وفيه الآتي:

الباب الأول: في ملكية الأشياء وصفاتها، ومنه:

- الناس شركاء في الماء والهواء بحسب القانون الطبيعي.
- شواطئ البحار والأنهار وجميع الأماكن العامة من الملاعب والعمارات والأشياء المقدسة والمقابر هي ملكية عامة بين جميع الناس.
- الوحوش والطيور والسمك والنحل والطواويس وجميع الحيوانات الوحشية مملوكة بمجرد مسكها بخلاف الحيوانات المستأنسة.
- غنائم الحروب وفق قانون الأمم.
- الأحجار النفيسة بمجرد الالتقاط بحسب قانون الطبيعة.
- طمي الأنهار والجزر المكونة بفعل رواسب الأنهار ومجرى النهر القديم بحسب قانون الأمم.
- حروف الكتابة بماء الذهب تلحق بالقرطاس والصور تلحق باللوح.

الباب الثاني: في تعريف الأشياء في القانون:

الأشياء المادية: وهي الأشياء التي يمكن إدراكها بالحس حسب طبيعتها، كالعقار والعبد والثوب والذهب والفضة. الأشياء المعنوية: فهي التي لا يمكن حسها، وهي التي يكون قوامها أحد الحقوق كحق الإرث وحق الانتفاع وحق الارتفاق وحق الاستعمال وغيره.

الباب الثالث: في الحقوق:

ومنها الاتفاقات المدنية المتعلقة بالمباني العقارية، وحق منع تعلية المبنى كي لا يحجب الهواء والنور على جاره، وكذلك حق تقبل تقطير المياه من ميازيب جاره وحق ارتفاق زراعي، كحق انتشار الماء من الآبار، وحق سقي قطعان السوائم، وحق حرق الجير واستخراج الرمل وحق المرور وحق المجرى وغيره.

الباب الرابع: في حق الانتفاع:

ويقصد بحق الانتفاع: حق استعمال ملك الغير واستغلاله بشرط المحافظة على عينه، وحق الانتفاع ينفصل عن حق الملكية، ويصح ترتيب حق الانتفاع على كل الأشياء التي لا تهلك بالانتفاع كالنبيذ والزيت والحنطة والثياب وغيرها، وينتهي حق الانتفاع بموت المنتفع أو انتهاء المدة وبالقوة القاهرة وبملك المنتفع للعين المنتفع منها.

الباب الخامس: حق الاستعمال:

ومنه: حق الاستعمال وهو أضيق من حق الانتفاع، فالاستعمال حق شخصي بالمستفيد، كما في استعمال السكن، والموصي على قطيع الأغنام.

الباب السادس: في اكتساب الملكية بالحيازة:

وفيه حُدِّدت المدة الزمنية لوضع اليد بمضي سنة للمنقول وستين للعقار، ثم عدلت المدة إلى ثلاث سنوات للمنقول وعشر سنوات للعقار باستثناء المسروق والمغصوب.

- من له حق الانتفاع بإحدى الإماء.

- حق التصرف بملك الغير.
- حق اكتساب الملكية لحسن النية.
- وضع اليد المتناول على أموال التركة وغيرها.
- الشيء المملوك لبيت المال لا يمكن اكتسابه.

الباب السابع: في الهبات:

ومن الهبات: الهبة بسبب الموت، الهبة بين الأحياء، وتكون لازمة بمجرد انعقادها ولا يجوز الرجوع فيها بدون سبب والهبة السابقة للزواج.

الباب الثامن: فيمن يجوز لهم التصرف ومن لا يجوز لهم:

لا يجوز للزوج أن يتصرف بمهر الزوجة بدون إذن والدائن وعقد الرهن، الصبي والصبية لا يجوز لهما التصرف بدون إذن وصيهما وغيره.

الباب التاسع: فيمن تضاف إلينا إكسابهم:

وأولهم الأولاد تحت ولايتنا من ذكور وإناث، والجندي وما ناله من أموال الفبي والغنائم المنتزعة من الأعداء بسبب الحروب وما يقبضه عبيدنا أو يكسبونه بطريق الاستبعاد أو أي سبب من الأسباب وغيره.

الباب العاشر: طرق عمل الوصايات: جميع طرق عمل الوصية من القانون المدني:

تحرر الوصية بمجلس واحد وبحضور سبعة شهود، وتكتب بصحيفة الوصية وخط الموصي.

لا يكون الشهود من المرأة والصبي والرقيق، والمجنون والأبكم والأصم والمجور عليه.

يستوي أن تكون الوصية مكتوبة في لوح أو قرطاس، ويجوز أن تكون لها عدد من النسخ.

من أراد الوصية بغير الكتابة عليه أن يحضر سبعة شهود ويصرح أمامهم وفق القانون المدني.

الباب الحادي عشر: في الوصية العسكرية:

- أعى الجند من الأمور الشكلية لعمل الوصية وبغير طريقة الكتابة والشهود
- كل جندي له حق الإيضاء ولو كان أصماً أو أبكماً.
- لا تخول المراسيم الإمبراطورية حق الامتياز إلا للجنود الذين يعملون فعلاً في المعسكرات.

الباب الثاني عشر: من لم يصرح لهم بعمل الوصية:

حق الإيصاء ليس مباحاً لجميع الناس؛ وممن لا تصح وصيتهم: الصبي والصبية، والمجانين معدومو التمييز فاقدو العقل وكذا المحجور عليهم والأصم والأبكم والأعمى والأسير في دار الحرب.

الباب الثالث عشر: في حرمان الأولاد من الإرث:

يجب على من له ابن في ولايته أن يبين صراحة، ما إذا كان يريد أن يتخذ وارثاً له، أو يريد أن يحرمه من الميراث ويحرم من الإرث الفروع التي لا تزال أحمالاً مستكينة والأولاد المحررون أما أولاد التبني ما داموا تحت ولاية متبنّيهم، إما اتخاذهم ورثة، وإما حرمانهم وفقاً للقواعد الخاصة بالأولاد الطبيعيين.

الباب الرابع عشر: في الورثة الجعيلين:

ويصح أن يكونوا من الأحرار والعبيد (الأرقاء):

- السيد يوصي لعبده فيصير حراً ووارثاً له بمقتضى الوصية.
- العبد المشترك يكون لكل واحد من الورثة بقدر حصته في العبد.
- قسّم مقدار الميراث إلى اثنتي عشرة أوقية ومقاديرها: (نصف السدس، ثم السدس، ثم الربع، ثم الثلث ثم الربع والسدس، ثم النصف، ثم الثلث والربع، ثم الثلثان ثم النصف والربع، ثم النصف والثلث، ثم الثلثان والربع، ثم الوحدة الكاملة) وليس لزماً على الموصي الالتزام بذلك التقسيم.
- إذا تعدد الورثة فهم متساوون، ما لم يحدد الموصي وغيره.

الباب الخامس عشر: الإحلال الاعتيادي في الاستحقاق:

يجوز فيه إحلال عدة أشخاص في الوراثة محل شخص واحد والعكس، وكذلك الورثة الجعيلين.

الباب السادس عشر: الإحلال في استحقاق الصغار:

- ويأتي ذلك فيمن له أولاد أو فروع آخرون ذكوراً وإناثاً من أي درجة وكانوا مصابين بالجنون، وإن كانوا بالغين فإن له أن يحل بعض أشخاص محلهم في الميراث، ما لم يَعدُ إليهم رشدهم أو يبلغوا سن البلوغ.
- تعيين الموصي ممن يحلون محل أولاده الصغار في الإرث يكونون ورثة بالفعل، ويجوز حرمانهم.
- ليس لأحد أن يوصي بالنيابة عن فروعه ما لم يوص أيضاً بالأصالة عن نفسه.
- للموصي أن يعين لكل ولد من أولاده بديلاً يخلفه.
- يكون تعيين بديل الولد إما باسمه أو بعبارة محددة.
- يجوز تعيين البديل للصغير والصغيرة وفق السن المحدد بالقانون.

الباب السابع عشر: طرق إلغاء الوصيات:

وذلك إذا طرأ ما يفسدها إذا عمل الموصي وصية ثانية صحيحة أو إذا اعتري الموصي ما يستوجب حور ذاته.

الباب الثامن عشر: في الوصايا الجائرة:

- ترفع دعوى الوصية الجائرة وحق الطعن بالجور للأولاد والأصول.
- ليس للأخوة والأخوات من الأقارب رفع تلك الدعوى.
- لا يجوز للأولاد الطبيعيين أو المتبنين رفع الدعوى، إلا إذا أنعدم كل سبيل آخر.
- إذا رفع الوصي دعوى جور الوصية باسم الصغير.
- الوارث الشرعي لا يجوز منعه من دعوى جور الوصية.

الباب التاسع عشر: في صفات الورثة، والفرق بينهم:

الورثة؛ إما ضروريين وإما أصلاء وإما أجناب: والورثة الضروريين هم العبيد والورثة الأصلاء هم الابن والبنت وغيرهم من الفروع والورثة الأجناب هم جميع الورثة الذين ليسوا خاضعين لولاية الموصي وللورثة الأجناب حق التروي في قبول التركة وعدم قبولها.

الباب العشرون: الوصية ببعض المال:

الوصية بالمال هبة يتركها الميت، وتحصل بطريقة التملك الفوري في الأعيان، وطريقة الأمر والإلزام وطريقة التولية، وطريقة الزيادة على النصيب الإرث الوصية بالشيء المملوك للموصي، والمملوك للغير.

وأحكام الوصية بالمرهون وأحكام الوصية بالمعدوم والوصية بعقار مملوك للغير وأحكام التصرف بالشيء الموصي به بعد الوصية والوصية بإبراء المدين من الدين ووصية الزوج بمهر زوجته وأحكام هلاك الشيء محل الوصية والوصية بالأمة مع أولادها والوصية بقطيع من الغنم ومال العبد والأشياء المادية والمعنوية والوصية التخيرية وأحكام الوصية للحمل المستكن.

الباب الواحد والعشرون: الرجوع في الوصية، ونقلها:

الشيء الموصي به، يمكن الرجوع عنه بعبارات محددة ويمكن نقل الوصية من شخص إلى آخر.

الباب الثاني والعشرون: الوصية في شريعة (فالسيديا):

أطلقت شريعة الألواح الاثني عشر الحرية التامة للناس في الوصية، بحيث استغرقت كل أموال الموصي أما شريعة (فالسيديا) قيدت الوصية وقررت بأنه، لا يجوز لأحد أن يوصي بأكثر من ثلاثة أرباع ماله وقررت الربع فريضة للورثة وجعلت حصة الديون ومصاريف الجنازة والعبيد على التركة.

الباب الثالث والعشرون: في الوراثة الاستثنائية:

مَنْ يحرر وصيته لشخص ذي أهلية يرجوه فيها أن يرد ما يقبضه بمقتضاها إلى الأشخاص المذكورين.

ضرورة أن يكون هناك وارث جعلي، وأحكام الوارث الجعلي.
الوارث الجعلي الذي يرد الميراث إلى من هو له، ومع هذا تبقى له صفة الوارث.

الباب الرابع والعشرون: التعهيد بالأشياء الخاصة:

يجوز للموصي أن يترك بطريقة التعهيد ما يملكه من الأشياء، والأشياء المملوكة لوارثه.
يصح منح الحرية للعبد بطريق التعهيد، باستخدام صيغ لفظية محددة.

الباب الخامس والعشرون: في الملاحق:

- أول من استعمل الملاحق هو (لوسيوس لنتيلوس).
 - من يعمل وصية توريثه ليس وحده من يجوز له عمل الملاحق.
 - لا يجوز إسناد الورثة ولا إلغاء إسنادها بطريق الملاحق.
 - يجوز عمل عدة ملاحق ولا تستدعي أي شكل ارتسامي خاص.
- الكتاب الثالث: الموارث غير الإيصائية (أي الشرعية)، وفي الالتزامات:
ويتضمن (29) باباً:

الباب الأول: في الموارث الآيلة بغير طريقة الوصية:

موروث من يموتون بغير وصية لورثتهم الأصلاء، وفق شريعة الألواح الاثني عشر وتؤول التركة للورثة الأصلاء ولو بدون علمهم.
الورثة الأصلاء، هم الابن والبنات والأحفاد والحفيدات من أولاد الظهور، ولا فرق أن يكونوا طبيعيين أو متبنين، وحقوق الأولاد المتبنين أقل من حقوق الأولاد الطبيعيين.
إذا ترك الابن الميت ابناً أو بنتاً فهذان الحفيدان يشتركان في ميراث جدهما ولا يحجب الأقرب الأبعد.
من يُولد بعد وفاة جده، وقد كان حاملاً مستكناً في حياته يصير وارثاً أصيلاً له إذا مات أبوه.

الأولاد المحررون لم يجعل القانون المدني لهم أي حق في الميراث، ولكن العدل الطبيعي دفع الحاكم فحول لهم وضع اليد على أموال التركة من كونهم أولاداً حقيقيين للمورث.
يتساوى الأحفاد من الذكور مع الأحفاد من الإناث في الاستقلال بالتركة، ولا شيء للعصبات وفق شريعة الألواح الاثني عشر والمراسيم الإمبراطورية.

الباب الثاني: الورثة الشرعية التي للعصبات:

وبموجب ذلك تؤول التركة لأقرب العصبات إذا لم يوجد وارث أصيل بمقتضى شريعة الألواح الاثني عشر والعصبات هم الأقارب الذكور من جهة الأب والتوارث بالعصبة يجري بين الذكور وينشأ حق العصبة أيضاً من التبني.

الباب الثالث: قرار الشيوخ الترتولياني:

وفيه أنّ شريعة الألواح حرجة ضيقة تفضّل أولاد الظهور وتبعد أولاد البطون، وتأبى التوارث بين الأم وأبنائها وقرار الشيوخ الترتولياني فقد جعل وراثة الأبناء تؤول لأهمهم دون جدتهم وفروع المتوفي يحجبون أهمهم. أوجب القرار حق الأمهات في الميراث الشرعي كاملاً لأولادهن؛ سواء كنّ حرات الأصل أو معتقات.

الباب الرابع: قرار الشيوخ الأورفيتيائي:

سنّ قرار الشيوخ الأورفيتيائي حق الأولاد في تركة أمهم إذا توفيت عن غير وصية توريثية.

الباب الخامس: وراثة ذوي الأرحام:

بموجب أمر الحاكم والمراسيم الإمبراطورية، بعد الورثة الشرعيين، ومنهم العصابات يأتي أقرب ذوي الأرحام، الذين جعل لهم الحاكم حقاً في الميراث الأساس المعتبر لاستحقاق جزء من التركة هو القرابة الطبيعية وجعل الحاكم الحواشي وأولاد البطون من أهل الاستحقاق الثالث، وكذلك أولاد التبني والعصابات يستحقون الميراث، ولو كانوا في الدرجة العاشرة.

الباب السادس: درجات القرابة:

الدرجة الأولى من القرابة الصاعدة: الأب والأم، ومن القرابة النازلة؛ الابن والبنت. الدرجة الثانية من القرابة الصاعدة: الجد والجدة، ومن النازلة؛ الابن وبنت الابن، وفيها الحواشي.

الدرجة الثالثة من القرابة الصاعدة: الجد الثاني والجدة الثانية، وفيها الحواشي. الدرجة الرابعة من القرابة الصاعدة: الجد الثالث، ومن القرابة النازلة الحفيد، ومن الحواشي حفيد الأخ والأخت والعم والعمة والخال والخالة.

الدرجة الخامسة من القرابة الصاعدة: الجد الرابع والجدة، ومن القرابة النازلة حفدة أولاد الحفيد، ومن الحواشي أولاد حفدة الأخ والأخت.

الدرجة السادسة القرابة الصاعدة: جد الجد وجدة الجدة الثالث، إلخ.

الباب السابع: مواريث العتقاء:

إذا حرر المعتق وصية توريثية فعليه أن يجعل لمعتقه نصف أمواله، ومن مات من العتقاء يكون لمولاه نصيب، كنصيب أحد الأولاد، وإذا كان وارثه ابن أو بنت فقط، فالموالة نصف التركة.

الباب الثامن: تخصيص مواريث العتقاء:

وفيها يصح أن يكون موضوع التخصيص معتقاً ذكراً أو أنثى، وحق التخصيص لا يكون إلا لمن له فرعان أو أكثر من فرعين في ولايته، ولا فرق بين أن يكون التخصيص بوصية أو بغير وصية.

الباب التاسع: في وضع اليد على أموال التركات:

سَنَّا الحاكم حق وضع اليد على الأموال، ولم يسنه في المواريث الشرعية التي مات تاركوها عن غير وصية توريثية ويخول الحاكم وضع اليد على أموال الوصية من ورثة شرعيين وعصبة بحسب القانون المدني، وحق الإرث لا يثبت إلا بمقتضى القانون أو بمقتضى سند آخر له قوة القانون، ووضع اليد على أموال المورث له ضربان: الأول وضع اليد المخول للفروع، والثاني وضع اليد لمن يخول الحاكم لجميع الورثة الجعليين، وفيه عدد من المراتب، وإذا أهمل أحد طلب وضع يده على أموال التركة خلال الميعاد المحدد في حقه يرد على غيره من أهل درجته.

الباب العاشر: التملك بطريق الاستلحاق:

وهذا نوع من الاكتساب الشامل لم يرد ذكره في شريعة الألواح، ولا في منشور الحاكم، وهو حق أساسه الإجماع العام، فكل من تبنى بطريقة الاستلحاق فجميع أمواله المادية والمعنوية تدخل في مالية مُستلحقه ثم يضيق هذا الاستلحاق في حدود الاكتساب الذي يقع للأصول الطبيعيين.

الباب الحادي عشر: مَنْ تَسَلَّمَ إليهم الأموال محافظة على الحرية:

قضى أمر "مارك أوريل" الحرية لبعض العبيد، وأوكل الأمر للقاضي بتحريرهم بعد أن نَقَص ديون التركة، وأن يهب عمال بيت المال للاستيلاء على بقية التركة، فالحرية مقدّمة على كل مصلحة مالية ومَنْح الحرية للعبيد عن طريق الملاحق يكون واجب التطبيق وعقد الحرية يكون عن طريق عقد الهبة.

الباب الثاني عشر: استخلافات أخرى شاملة بطلت وكانت تنتهي ببيع الأموال:

طرق الاستخلاف العام على الأموال ببيع أموال المدين عند وضع نظام المرافعات سقطت عن طريق بيع أموال المدين ولم يبق جائزاً للدائنين سوى وضع يدهم على أموال المدين بإذن القاضي.

الباب الثالث عشر: في الالتزامات:

وتمثل الالتزامات رابطة قانونية تلزمنا بحكم القانون المدني لأداء شيء من الأشياء، والالتزامات قسمان رئيسان: التزامات مدنية، وهي التي رتبها الشرائع وأقرها القانون المدني، والتزامات حاكمة رتبها الحاكم في حدود سلطته التشريعية.

الباب الرابع عشر: كيف تنعقد الالتزامات وليدة الشيء:

ومنها: الدعوى الشخصية لأخذ شيء بالغلط أو بالخطأ ودعوى المخاصمة لعارية الاستعمال والاستهلاك ودعوى المخاصمة عن وديعة الشيء المستودع لدى الغير ودعوى المخاصمة عن الشيء المرهون.

الباب الخامس عشر: الالتزامات القولية:

وما جاء فيه: تتم مشافهة بسؤال وجواب وألفاظ محددة، وكل التزام بطريق الاستيعاد فهو إما ناجزي أو مطلق خالٍ من القيود، وإما مضافاً إلى أجل، وإما معلقاً على شرط والاستيعاد المعلق على شرط جرت العادة في الاستيعاد ببيان المكان، إذا كان محل الشروط حوادث قد مضت وانتهت وليس الأشياء وحدها هي الجائزة أن تكون محل للاستيعاد بل الأفعال أيضاً.

الباب السادس عشر: في تعدد المستودعين والواعدين:

- يجوز اشتراك شخص أو أكثر في استيعاد واحد أو وعد واحد.
- وحكم مثل هذه الالتزامات أن الشيء يكون مستحقاً برمته لكل واحد من المستودعين.
- يجوز أن يكون أحد المشتركين في الوعد ناجزاً مجرداً عن القيود.

الباب السابع عشر: في استيعاد الأرقاء:

يستمد العبد من سيده حق الاستيعاد وما يكسبه العبد من المشاركة يلتحق بالتركة، والعبد المشترك إذا تشارط على شيء كان هذا الشيء لأسياده بنسبة حصة كل واحد منهم في ملكيته.

الباب الثامن عشر: في أقسام الاستيعادات:

الاستيعادات إما قضائية، وإما حاكمية أو اتفاقية أو مشتركة، والاستيعادات الحاكمية هي التي تأتي من جهة الحاكم فقط بمقتضى وظيفته والاستيعادات الاتفاقية هي التي يتراضى المتعاقدان فيما بينهم عليها والاستيعادات المشتركة هي تلك التي يكبلها الأوصياء بتقديم كفالة للاطمئنان على سلامة أموال القصر.

الباب التاسع عشر: الاستيعادات غير المقيدة:

جميع الاستيعاد القابلة للتملك يصح أن تكون محلاً للاستيعاد ولا يصح المشاركة والاستيعاد على الملكية العامة والأشياء المقدسة ولا يصح الاستيعاد لأحد على أحد لشيء لمصلحة شخص آخر ليس المستودع تحت ولايته ولا يكون الاستيعاد مقيداً إذا لم يطابق الجواب السؤال وليس للأبكم والأصم والمجنون استيعاد وجميع معاملات الصبي تدخل ضمن إذن وصية وكل وعد سببه أمر محظور كقتل النفس أو تدنيس الأشياء المقدسة فهو باطل، ويسقط الاستيعاد بعد مرور سنة على الوعد.

الباب العشرون: في الكفلاء:

يجوز انتصاب الكفلاء في جميع أصناف الالتزامات من وليدة الشيء قولية، وكتابية، ورضائية وينتقل الالتزام بالكفالة إلى ورثة الكفيل ويجوز أن تكون الكفالة سابقة أو لاحقة

للالتزام الأصلي وإذا تعدد الكفلاء فكل منهم يكون ملتزماً بكل الدين، وللدائن مطلق الحق بالرجوع إلى أحدهم وإذا أدى الكفيل شيئاً عن المدين، فله الرجوع عليه بدعوى الوكالة.

الباب الواحد والعشرون: في الالتزامات الكتابية:

ويمثلها سندات الدين وينشأ التزام المدين للدائن بالسداد في الموعد المحدد، وتنقضي هذه المدة بعد خمس سنوات ويخول للدائن رفع دعوى شخصية.

الباب الثاني والعشرون: في الالتزامات الرضائية:

ويعد التراضي سبب كافٍ لإنشاء الالتزامات في البيوع والإيجارات والشركات والتوكيلات بدون الحاجة للكتابة.

الباب الثالث والعشرون: في البيع والشراء:

- يتم البيع بمجرد الاتفاق على الثمن ولا بيع بدون ثمن.
- العربون دليل على حصول العقد.
- البيوع بالكتابة لا يصح إلا إذا وقع المتعاقدان عليها.
- يجوز أن يكون البيع ناجزاً خالياً من القيود أو معلقاً على شرط.
- من اشترى عقاراً مقدساً أو عمومياً فالعقد باطل.

الباب الرابع والعشرون: في الإيجار والاستئجار:

- يتم عقد الإيجار بمجرد الاتفاق على تحديد الأجرة.
- قوة الشبه بين البيع والإجارة.
- إذا مات المستأجر قبل نهاية المدة المحددة في العقد انتقلت الإجارة لوارثه بنفس الشروط.

الباب الخامس والعشرون: في عقد الشراكة:

ويعني بها شراكة جميع الأموال أو الشراكة في نوع محدد من التجارات: عند عدم الاتفاق تكون حصص الشركاء في الربح والخسارة متساوية، ويعمل بما اتفق عليه بعقد الشركة بتحديد الربح أو الخسارة وتستمر الشركة قائمة طالما الشركاء راضون وتنحل الشراكة بموت أحد الشريكين وتنتهي الشراكة بانتهاء العقد، أو العملية المعقود عليها أو بالمصادرة أو البيع أو بالخلف العام.

الباب السادس والعشرون: التوكيل:

- يعقد التوكيل على خمسة أوجه.
- التوكيل الذي يخالف النظام والآداب العامة باطل.
- لا يخرج عن حدود التوكيل المرسوم له.
- ينتهي التوكيل بموت الموكل أو الوكيل.
- يجوز أن يكون التوكيل مضافاً إلى أجل أو معلقاً على شرط.

الباب السابع والعشرون: الالتزامات الناشئة عن شبه العقد:

وهو إدارة الفضولي وما يترتب عليها من التزامات والأوصياء الذين هم مسؤولون بدعوى الوصاية، والالتزامات المترتبة على الورثاء بسبب شيوع الميراث ومسؤولية الوارث عن تنفيذ وصايا المورث، ومن دفع له شيء غير مستحق له.

الباب الثامن والعشرون: الأشخاص الدائنين:

وهم الأشخاص الذين يكونون دائنين لهم أولادنا تحت ولايتنا أو العبيد – كذلك نكسب الحقوق بواسطة الأحرار أو عبيد الغير – مكسب العبد في الانتفاع والاستعمال – العبد المشترك تكون مكاسبه لجميع أسياده.

الباب التاسع والعشرون: طرق انقضاء الالتزامات:

ينقضي الالتزام بالمحالة وبطريق الاستبدال، وبتراضي طرفي الالتزام.

الكتاب الرابع: الالتزامات الناشئة عن الجرائم والتعديات والدعاوي بأنواعها والدفع:

وفيه (18) باباً:

الباب الأول: الالتزامات التي تنشأ عن الجرائم:

السرقه نوعان: مكشوفة ومستورة، وأطلق القانون جريمة السرقة على أفعال كثيرة، منها: أخذ المرهون، والعارية، واستعمال المستعير وفيه خلاف فقهي في التعريف وأخذ أو خطف أحد الأولاد الأحرار وسرقه المدين للرهن، وقيام من هو تحت الولاية بفعل الاختلاس، وترفع دعوى السرقة من كل شخص له مصلحة، ودعوى الاسترداد للشيء المسروق ضد السارق أو شخص آخر وجد المسروق بيده.

الباب الثاني: في غصب الأموال:

يقول من انتزع بالقوة مالاً مملوكاً للغير حقت عليه دعوى السرقة والغاصب سارق فاجر والجزاء في السرقة حدد بأربعة أمثال إذا رفعت الدعوى خلال سنة من وقت الجريمة – وترفع دعوى الغصب لمن كان له مصلحة مثل الإجارة والعارية والوديعة والمنفعة.

الباب الثالث في شريعة أكوليا:

دعوى الضرر الذي يقع تعدياً مقرر بشريعة أكوليا؛ من قتل العبد أو الحيوان أبو أربع أرجل.

الباب الرابع: في إهانة الناس وإيذائهم بالفعل أو بالقول:

لا تنحصر جريمة الإهانة في صورة الضرب باليد أو العصا أو السوط، بل تشمل: فعل القول، وانتحال صفة دائن كاذب قام بالتشهير بين الناس بمن يزعم أنه مدين له وإنشاء رسالة شعرية أو نثرية تتضمن قذفاً في حق إنسان ونشرها بين الجمهور واللجاج في اقتفاء أثر امرأة مستقيمة وانتهاك عفاف إنسان، ويحق رفع دعوى بالطريقة الجنائية أو بالطريقة المدنية.

الباب الخامس: الالتزامات الناشئة عن شبه الجريمة:

يجب المساءلة عن الخطأ وتركه لضمير القاضي لتقدير الجزاء فيه وفق أصول العدالة.

الباب السادس: في الدعاوى:

ليست الدعوة شيئاً آخر سوى الحق في المطالبة لدى أحد القضاة، بما هو مستحق، وتقسم الدعاوى إلى سبعة أقسام: الأول: دعاوى عينية وشخصية. الثاني: دعاوى مدنية وحكومية، الثالث: دعاوى المسائل الأولية لبحث ما إذا كان الشخص حراً الأصل أو معتقاً أو صفة البنوة ثابتة الرابع: دعاوى طلب الشيء أو جزء منه أو طلبهما معاً، الخامس: دعاوى مختلطة، السادس: دعاوى بالمثل الواحد أو أكثر، السابع: دعاوى التوسعة والقانون الدقيق والدعاوى التحكيمية، والحكم بما جاء في صحيفة الدعوى.

الباب السابع: في الالتزامات التي يعقدها مَنْ هم تحت سلطة غيرهم:

وهي الدعاوى الأميرية والترووسية والانتدابية والتشريكية ودعاوى الصرمة والاستفادة والدعاوى الخاصة بصرمة أبناء العائلات والعبيد وما يسري بخصوص العبد وسيده يسري بخصوص الابن والبنات والأحفاد.

الباب الثامن: دعاوى الشرارة (الدعاوى الجزائية والجنائية):

وهي دعاوى: جنايات العبيد والسرقة والغصب والسرقة بالإكراه وضرر أحد في ماله الإهانة بالقول أو الفعل.

الباب التاسع: في إتلاف ما تحدثه البهيمة:

ما رتبته شريعة الألواح بشأن الإتلاف التقرير بأن المدعى عليه تبرأ ذمته بتخليه عن ملكية الحيوان.

الباب العاشر: الاستنابة في التقاضي:

كل إنسان له حق المخاصمة أمام القضاء بالأصالة أو بالنيابة عن غيره.

الباب الحادي عشر: كفالات التقاضي:

ومنه: إذا كان المدعى عليه غائباً، وفيه عدد من الإجراءات والضوابط بشأن تقديم الكفالة عن الغائب المدعى عليه.

الباب الثاني عشر: في الدعاوى المستديمة والموقوتة:

وهي دعاوى الحكام معظمها يسقط الحق فيه بمضي سنة والدعاوى بمقتضى القانون المدني والقانون الحاكمي تتعدى الشخص لورثته والدعاوى الجزائية الناشئة عن الجرائم لا تتعدى شخص الجاني إذا أدى المدعي للمدعى عليه ما أرضاه قبل صدور الحكم في الدعوى، فالمتعين على القاضي أن يبرئ ساحته.

الباب الثالث عشر: في أوجه الدفع:

الدفع وسيلة قُدرت لحماية المُدعى عليه ومن أوجه الدفع ما هو مقرر بالقوانين أو بالمصادر التشريعية المماثلة للقوانين، وما هو مقرر بسلطة الحاكم وأوجه الدفع إما مستديمة وتسمى حاسمة أو مؤقتة أو إمهالية.

الباب الرابع عشر: الردود على أوجه الدفع:

قصد به رد المدعي عليه على دفع المدعى وإسقاطه، وهو ما يعرف برد الرد، والرد على رد الرد وتتشعب الدفوع بتشعب القضايا، والدفع مقرر لحماية المدين ولكفلائه.

الباب الخامس عشر: في الأوامر:

الأوامر سواء كانت صيغاً كلامية طلبية ارتسامية، بها يأمر الحاكم بعمل شيء، أو ينهى عن عمل شيء، وأهم ما كانت تستعمل في المنازعات الخاصة بوضع اليد أو شبهه، الأوامر التحريمية، والإرجاعية، والإحضارية، والأمر الموجب بحيازة المال لوضاع يد الوارث بصورة دائمة والأمر المتعلق بالحيازة ونزاع الملكية وأوامر تصدر على المنقول والأمر البسيط ويكون في حق من له صفة واحدة مُدَّعٍ أو مدعى عليه.

الباب السادس عشر: الجزاءات التي تقع على الخصوم المتهورين:

ينبغي ترتيب جزاء على التهور في الخصومة من جانب المدعين.

الباب السابع عشر: في مهمة القاضي:

من أول واجبات القاضي أن يحرص دائماً على ألا يحكم فيما ينظره من الدعاوى إلا بما تقضي به القوانين أو المراسيم، أو العادات المرعية في جميع الدعاوى الشرعية والعينية والجزائية، ودعاوى القسمة العائلية (قسمة التركات) ودعاوى قسمة فصل الحدود بين المالكين، ودعاوى الملكية.

الباب الثامن عشر: في الدعاوى العمومية:

وقد سميت الدعاوى العمومية، لأن مباشرتها حق مقرر لكل فرد من المواطنين والانتهاكات العمومية قسماً: كبائر تستوجب الحكم بأقصى العقوبة (الإعدام) وهناك شرائع متعددة بتحديد عقوبات الإعدام ولا ترفع بصيغ خاصة، وليس بينها وبين الدعاوى الخصوصية.

الملحق الأول: الخاص بالمواريث:

ويحتوي هذا الملحق على المرسومين الخاصين بالمواريث (الكلالة)، وهما المرسوم رقم (118)، ورقم (127) اللذين أصدرهما جوستنيان (544-548 م) في مادة المواريث ومقارنتها بالتشريع الروماني السابق.

المرسوم رقم (118): جاء في تقديمه من الإمبراطور الجليل جوستنيان إلى صاحب المجد بطرس رئيس مجالس أحكام الشرق، إن القانون القديم فَرَّقَ تفريقاً ظالماً بين أبناء

الأقارب أولاد الظهور؛ أي العصابات وأولاد البطون ذوي الأرحام وتكون من ستة أبواب، تضمنت ما يلي:

الباب الأول: في الجهة الأولى وهي جهة الفروع:

من مات (هلك) من غير وصية توريثية وترك فرع وارث من أي درجة من أولاد الظهور أو البطون يستقل الواحد منهم بالميراث، وأبناء الولد المتوفى قبل أبيه يحلون محل أبيهم، وهو ما يعرف باستحقاق الطبقات.

الباب الثاني: الجهة الثانية وهي جهة الأصول:

إذا لم يكن للمتوفى فرع وارث آلت تركته لأبيه وأمه وحرمة الحواشي. إذا ترك المتوفى عدداً من الأصول قسمت التركة بينهم بالتساوي دون اعتبار للجنس. نصف التركة للأصول من ناحية الأب، والنصف الآخر للأصول من ناحية الأم.

الباب الثالث: الجهة الثالثة وهي جهة الحواشي:

وإذا لم يترك المتوفى فروعاً ولا أصولاً، فإن التركة تكون للإخوة والأخوات الأشقاء، وإذا لم يوجد تكون للأخوة من جهة الأب أو الإخوة لأم، فإذا لم يوجد، يشترك فروع الإخوة والأخوات مع الأعمام والعمات والأخوال والخالات ويحجب الأقرب الأبعد في الاستحقاق للتركة.

الباب الرابع: أحكام عامة ومنها:

لا فرق في توزيع التركة بين ذكر وأنثى، فالمرسوم ألغى كل الفوارق بين أولاد الظهور وأولاد البطون.

الباب الخامس: في الوصاية الشرعية:

كل مستحق في الميراث مكلف بعبء الوصاية ويحظر على النساء الوصية.

الباب السادس: أحكام خاصة بالهرطقة:

وتسري أحكام هذا المرسوم على الكاثوليك، أما الهرطقة (الطوائف الدينية الأخرى) فتستمر القوانين السابقة سارية عليهم ويعمل بهذا من أول شهر يوليه من الحقبة السادسة.

المرسوم رقم " 127 ": أصدر هذا المرسوم الإمبراطور جوستنيان، وفيه الآتي:

الباب الأول: وفيه عدد من المباحث: تتحدث عن إدخال إصلاح يقضي به الحق والعدل في توزيع تركة المتوفى الذي ترك أحد أصوله، وإخوة له فيهم أهلية الاشتراك مع الأصول، وترك أبناء أو بناتاً مولودين لأخ توفي من قبل فإن هؤلاء الأبناء والبنات يشتركون مع الأحياء من الأصول ومن الإخوة، ويأخذون النصيب الذي كان سيأخذه أبوهم لو أنه كان حياً، وهذا القرار خاص بأولاد الإخوة والأخوات الأشقاء فقط، وهو ملخص لتطور التشريع الروماني في مادة المواريث، وفي هذا السياق أوردت المدونة عدداً من العناوين، منها: نظام شريعة الألواح

الاثني عشر، الواردة في المبحث الأول، وقد تطرق إلى التعريف بروح هذه الشريعة التي كانت محصورة بنظام المواريث المرتبط بتقاسيم الأراضي وتوزيعها في العهد القديم، عهد الحكومة الأرستقراطية، وتقسيم المجتمع الروماني إلى طبقة الأشراف، وطبقة العامة، وما في هذا التقسيم من فوارق طبقية، واجتماعية حظرت الزواج بين الأشراف وعامة الناس، وانعكست على مسألة المواريث، وتقاسم الأموال بين العائلات، وحرمة توريث أولاد البطون (الأرحام)، وعلا شأن السلطة الأبوية، فجعلوا استحقاق الإرث لجهات ثلاث، هي: جهة الأصلاء. جهة العصابات. جهة الـ (gentiles - gens)، ولم يرد أي تعريف لمعنى هذه الكلمة في المدونة.

وقد فتح هذا القانون الحاكمي بروح مرسومه الطريق لإدخال تعديلات عدة، قام بها الحكام وفق تغير الدستور السياسي، وما بعث على تغيير نظام المواريث، والاستحداثات التي أتت بها قرارات مجلس الشيوخ، والمراسيم الإمبراطورية، والعودة إلى المدونة يكشف عن الكثير منها.

الملحق الثاني: هذا الملحق من قواعد القانون الروماني العامة

يتضمن القواعد التي وضعها فقهاء القانون الرومان في أصول الفقه وفروعه المختلفة نذكر منها ما يأتي:

أولاً: قواعد فقهية عامة:

- البينة على من ادعى.
- لا ضرر ولا ضرار.
- تدرأ الحدود بالشبهات.
- كل ما خالف الشرع باطل.
- درء المفسد أولى من جلب المصالح.
- إجماع الأمة شرع طبيعي واجب الأتباع.
- الإقرار سيد البينات.
- أول الواجبات كف الأذى عن الناس.
- الأصل في الإنسان البراءة.
- إذا عدم الشرط بطل المشروط.
- لا ينسب لساكت قول.
- إعمال الكلام أولى من إهماله.
- الغرم بالغرم.
- الغش يفسد كل أمر.
- العادة شرع محكم.
- عند الشك خذ بالأقل.
- الحكم الخاص لا يبطله الحكم العام.
- الموت يقطع كل عمل.
- عبرة العقود بالمقاصد والمعاني. دون الألفاظ.
- إعمال العقود أولى من إهمالها.
- والمباني.
- إذا سقط الأصل سقط الفرع.
- لا تكليف بمستحيل.

- لا يخلق الإنسان بنفسه سنداً لنفسه.
- الموت يقطع كل عمل.
- البيئة الخطية لا تعارضها القولية.
- نماء الشيء لمالكة وهلاكه عليه.
- عند الشك يؤخذ بالأرفق.
- ما فسد ابتداءً لا يصححه الزمن.
- لا طاعة للحاكم في غير دائرة حكمه.
- الخراج بالضمان.
- يعمل بالقرينة إلى أن يقوم دليل العكس.
- إذا زال السبب زال المسبب.
- قوة العرف لا تعلو على حكم القانون.
- يختار أهون الشرين.
- من يملك التولية يملك العزل.

ثانياً: قواعد فقهية خاصة بالأخلاقيات

- من لا يعمل لا يستحق أن يُطعم.
- كلما وجد اجتماعٌ وُجد شرع.
- الرأي العام بريد الصدق والكذب.
- الفقه معلمة الخير والعدل.
- الكتاب رسول صامت والرسول كتاب ناطق.
- لا تعينوا الشباب على الفساد.
- الشيخوخة طفولة أخرى.
- ينبغي ألا يقل احترام الولد لأبيه عن احترام
- العبد لسيده.
- إمهال المدين في الوفاء علته دواعي الإنسانية.
- أكثروا من اصطناع المعروف وأقلوا من
- التذرع بالتقادم إجرام.
- الأحقاد.
- الموت غاية كل حي.
- الرجل الطيب لا يغش في البيع ولا في
- الشراء.
- اللفظ ذاهب والكتاب باقٍ.
- يجب احترام الطفل إلى أقصى حد.
- خروجك بحصة من موجود ضئيل خير من خروجك صفر اليدين.
- ألا يكون لك سند خيرٌ من أن يكون لك سند معيب.
- احتراسك من عبث الناس بحقوقك خير لك من تلمس العلاج بالتقاضي.

ثالثاً: قواعد فقهية خاصة بنصوص القوانين:

- الناس سواء لدى القانون.
- ما لا يجرمه القانون - القانون شديد لكنه القانون

مباح.

- القانون ينسخه القانون. - القانون لا يُلزم ما لم - ما خالف القانون لا حكم ينشر.

- إذا تعارض نصاب عمل بالمتأخر.

رابعاً: قواعد فقهية خاصة بالأموال والملكية وحق الانتفاع:

- أملاك بيت المال لا تملك بالتقادم.
- الاغتصاب يقطع التقادم.
- منشأ الملكية الاحتياز بالفطرة.
- كل امرئ فيما ملك سيد متحكم.
- ما يُغنم من أرض العدو ملك لعموم الأمة.
- نفقات إصلاح الطريق على المنتفع دون المالك.
- ما لصق بالأرض فله حكمها.
- مستندات الملك يحتفظ بها ذو النصيب الأكبر.

خامساً: قواعد فقهية خاصة بالالتزامات والمعاهدات:

- أوفوا لأعدائكم بما عاهدتموهم عليه.
- أطع قانوناً أنت وضعته.
- لا يصح الاتفاق على ما يخالف النظام العام.
- كل تعهد يخالف مقاصد الشارع معدوم الأثر.
- تفسر العقود لصالح المدينين.
- يتبع في العقود عرف البلد الذي انعقد فيه.

سادساً: قواعد فقهية خاصة بالتبعات والضمان:

- لا يحيق التدليس (المكر) السيء إلا بأهله.
- من الخطأ تعرضك لما لا يعينك.
- من أمر خادمه أو ابنه أمراً ضمن نتائجه.

سابعاً: من قواعد فقهية خاصة بالعقود المدنية ك (البيع - الرهن - والوكالة) وغيرها.

- لا يتحقق البيع بلا ثمن.

- حق الرهن لا يتجزأ.

- لا يصح التوكيل لارتكاب المخزيات.

ثامناً: قواعد فقهية خاصة بالجرائم:

- لا عقاب بلا نص.

- إنما شرع العقاب لإصلاح البشر.

- الدفاع عن المجرم مباح.

- لا يتعدى العفو شخص المعفو عنه.

- عفو ولي الأمر يفسر بأوسع حدود.

- قبل البحث عن الجاني يجب التثبت من وقوع الجناية.

- ترك العقاب على الجرائم إشاعة للفساد.

تاسعاً: قواعد فقهية خاصة بالأحوال الشخصية:

- سنة الطبيعة أن جميع الناس يولدون في الأصل أحراراً.

- الجنسية لا تقبل التفاوت بل ينقطع حق التمسك بها.

- لا يحرم أحد من جنسيته (وطنه) كرهاً مهما اجتمعت الأمة على حرمانه.

- القانون العام يحمي القصر، إلخ.

- سبب المصاهرة الزواج.
- عاشراً: قواعد فقهية خاصة بالنساء:**
 - الرجال قوامون على نسائهم.
 - على النساء الخضوع لأزواجهن.
 - ليس للنساء ولاية الأعمال العامة.
 - الخطبة تواعد بزواج مستقبل.
 - أول مستعيز من الزنا الحرائر.
 - القدامى جعلوا النساء تحت الوصاية، ولو بلغن سن الأهلية لطياشة عقولهن.
- أحد عشر: قواعد فقهية خاصة بالدعاوي:**
 - ترفع الدعوى لمحكمة المدعى عليه.
 - من ادعى وقوع حادث فجائي فعليه إثباته.
 - لا يجبر أحد على تقديم مستند ضد مصلحته.
 - الرد على وجه الدفع دفع مضاد.
- اثنى عشر: قواعد فقهية خاصة بالقضاء:**
 - فرق بين التقاضي وبين التحكيم.
 - إذا عجز المدعي عن البينة ظفر المدعى عليه.
 - إذا عجز المدعي عن البينة برأت ساحة المدعى عليه.
 - إذا غربت الشمس كف عن التحقيق.
 - يكون الحكم في حدود الدعوى.
 - إذا أصدر القاضي حكمه فقد استنفذ قضاءه.
 - المحامون والقضاة جند القانون.

الفصل التاسع

صناعة المذاهب والطوائف والجماعات الإسلامية (الدين السياسي)

مقدمة:

أضحت اليوم مكتبة الفكر والتراث الإسلامي متخمة بكم هائل من الكتب والمجلدات المؤلفة في الحديث والفقه والسيرة وأصول المذاهب، وفقه التفسير، ومراجع الفرق والطوائف والجماعات الإسلامية المختلفة، وبالنظر إلى تلك المصنفات الضخمة من الكتب والمجلدات والمنشورات والمخطوطات القديمة والحديثة والمعاصرة، مع كثرة وتعدد مؤلفيها قديماً وحديثاً لدرجة شعورك بالعجز عن حصرها، وذلك كله قد اقتضى بذل جهد كبير وتفصي للمعلومات من أجل الوصول للحقيقة في المعرفة بصناعة هذه الطوائف والمذاهب والهدف منها.

ولا شك أن هذا الزخم من المؤلفات في فكر الطوائف والمذاهب لم يكن تدوينه نتيجة طبيعية بفعل حركة تطور المجتمع العلمية والثقافية في مرحلة ما من التاريخ الإنساني وبالذات التاريخ العربي الإسلامي، الذي شهد عصر نهضة مبكرة على عصر النهضة الأوروبية، فقد مثل عصر بعثة النبي محمد عليه السلام ووجود القرآن كرافعة حضارية نحو تحرير العقل والفكر، نحو إسلام بلا مذاهب بلا فرق بلا جماعات وأحزاب دينية⁽¹⁾، تبعه عهد الخلفاء وقيام الدولة العربية الأولى، ثم عهد الدولة العربية والإسلامية الثانية (خلافة بني أمية)، ثم عهد الدولة العربية والإسلامية الثالثة (خلافة بني العباس)، وخلال عهد هذه الدول شهد العالم العربي بداية النهضة العلمية، والتي كانت تركز في قيامها على تحرير العقل والفكر وإطلاق حرية الاعتقاد وحرية الفكر، وعلى أثر ذلك ازدهرت مختلف العلوم من التدوين والترجمة والفلسفة والطب والفلك والكيمياء والفيزياء والرياضيات والجغرافيا، كما ازدهرت الثقافات والفنون والآداب كيف لا وقد كان القرآن الكريم قاعدة انطلاق للعقل والوعي العربي والشعوب الإسلامية الأخرى، فأستطاع خلال فترة وجيزة رسم حدود دولة مترامية الأطراف من الهند وحتى الأندلس، وخلال عقدين من الزمن تأسس لشعوب العالم العربي والإسلامي قاعدة علمية في مختلف صنوف المعرفة، خلال فترة تزيد عن ثلاثة قرون من بعثة النبي محمد عليه السلام.

في الوقت الذي كانت أوربا تعيش عصر الضلام والتخلف، لم تدم هذه الدولة (دولة الخلافة العربية والإسلامية)، أكثر من ذلك (القرن الثالث)، فقد شهدت حالة من الانحسار والضعف والتآمر عليها من أعدائها والمتضررين واصحاب المصالح وغيرهم، فعمدوا للولوج إلى هدمها من الداخل بعد أن عجزوا عن مواجهتها عسكرياً متخفين بعبائة أرباب المذاهب والفرق والجماعات الدينية الإسلامي، فصنعوا هذا الكم من المذاهب والفرق والجماعات،

(1) انظر إسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة 1992م ص 531.

والتي عملت على هدم قيم العلم والمعرفة والتحرر العقلي والفكري الذي كان سائد في لدولة العربية والإسلامية، والمستمد من القرآن العظيم كدليل نظري وعملي بتلك القرون من بعثة النبي محمد عليه السلام، ولم يكتفوا بهدم العلم والمعرفة بل ذهبوا إلى هدم الدولة لدويلات ثم تقسيمها لكتنونات متناثرة متناقضة متصارعة ومتقاتلة باندلوجية مذهبية كما هو سائد اليوم .

ومن المؤكد أن الموروث المذهبي في العالم العربي والإسلامي كان وما يزال ثقالة للعقل والفكر العربي والإسلامي نحو الانحطاط، فعمل على تأخير وعي الإنسان العربي والإسلامي وتعزيز التخلف عن ركب النهضة العلمية الحديثة والمعاصرة التي أنتجتها المجتمعات الأوروبية بعد أن رزحت فترة من الزمن في قيود التخلف بسبب سيطرة فكر الطوائف الدينية على مقاليد الحكم (الكنيسة) وهو ما يحدث في المجتمعات العربية والإسلامية حالياً؛ إذ لا يزال الفكر المذهبي مهيمناً على عقولنا حتى يومنا هذا، ولقد حاول العرب والمسلمون تنوير الحياة بفكر يعطي الفكر والعقل مساحة لتحرير الإنسان وتطلعه نحو حياة المعرفة الإبداعية والتطور القائم على أسس علمية، إلا أن العامل الرئيس الذي أدى بتقديري إلى هدم تلك الأسس المعرفية التي كانت بوادرها تظهر على مسرح الحياة هو وجود هذا الكم الهائل من فكر المذاهب والفرق والجماعات، بالإضافة لوجود نظام الحكم الوراثي المرتبط بالحق الديني، الذي أتاح لأيدٍ كثيرة عمدت لصناعة هذا الكم من الفكر المتناقض المتصارع بغرض هدم البناء العقلي للإنسان وزرع أفكار العصبويات المتنوعة، فكان فكر المذاهب والفرق والجماعات والاحزاب الدينية طريقاً سهلاً ومأموناً لحصر الفكر والتفكير، وخلق حالة دائمة من التيه والرضى به بلغ درجة الاستمرار، وبه فقدت هوية الانتماء ومن ثمة الدخول في حروب مذهبية تُفقد الإنسان قدرة الرؤية للمستقبل، ثم ليقل بما يُرى له من شيوخ الانتماء المذهبي الذي صار تابعاً له، وهو ما جعل هذا الإنسان غائباً عن مفهوم الدولة الوطنية المدنية التي تحفظ الحقوق والحريات المدنية، وتكفل حق الاعتقاد الديني على قاعدة من العدل والمساواة والحرية، مع صون حقوق الإنسان التي هي الغاية الأساسية من وظيفة الدولة والتي قام عليها دين الإسلام، ولأجل ذلك سَهَّل صناعة المذاهب والفرق والجماعات والاحزاب الدينية بل وصناعة "دين ضد الدين" (1) الحقيقي وباسمه أو بغير ذلك من المسميات المذهبية والطائفية، ولقد استمر إنتاج هذا الفكر الضخم خلال القرون الماضية والفاجعة أن إنتاجه يعاد ويكرر وفق الحاجات السياسية الملحة لمزيد من الصراعات والانقسامات التي تخدم المشاريع الاقتصادية للدول والجماعات الراحية لدوامه الصراع والحروب والفساد والافساد في الأرض.

ويظهر ذلك في هذا الكم الضخم من كتب الفكر الديني على مختلف المذاهب والطوائف، وما يستحدث منها من الفرق والجماعات والاحزاب الدينية دون قراءة واعية أو نقد بناء لهذا الفكر؛ بل أضيف إليه كتابات جديدة لفقهاء معاصرين عمدوا لتحسين عناوين الماضي القبيح وتجميله، وزادوا عليه بمواضيع جديدة منحوها منزلة المقدس الذي لا يمس ولا ينتقد، فحصنوا ذلك الفكر المذهبي وجعلوا من دارسته ونقده هدفاً للتبذيع والتكفير، مبتعدين في ذلك عن القرآن الكريم كلام الله سبحانه، ومن أجل نشر مسلمات هذا الفكر المذهبي وتعزيز مفاهيمه تم

(1) انظر دين ضد الدين / علي شريعتي

إنشاء الأقسام والكليات التابعة للجامعات الحكومية والمستقلة والمتخصصة التي تدرس الفكر المذهبي بأقسامه ومجالاته في الفقه والسيرة والحديث والتفسير وغيرها وفق المرجعيات الخاصة بكل مذهب أو جماعة وبدعم سخي من حكومات الدول العربية والإسلامية، كما نجدها في بعض هذه الدول (العربية والإسلامية) مرجعيات مذهبية، كمشيخية الأزهر بمصر لمذاهب السنة والجماعة، وحوزة قم في إيران كمرجعية لمذهب الشيعة، فضلاً عن المرجعيات الأخرى، والمدارس والمعاهد والكليات، وغيرها من المسميات وقد دجنوا فيها الأطفال والنساء والشباب والشيوخ، فعمدوهم بأفكارها وصبغوهم بها كما يُصبغ الجدار بما يشاء الصباغ، واستثمروا وسائل الإعلام المري والمسموع والثورة التقنية والالكترونية، فأنشأوا قنوات التلفزة ومواقع التواصل الاجتماعي الخاصة بكل مذهب وطائفة وفرقة، فساهموا في خلق جماعات وأحزاب دينية أوغلت بمزيد من التشدد، وخلق الفكر الأصولي المتطرف، المؤدي للتكفير والاحتراب والتقتيل لمن يخالفهم الرأي، وتنوعت وسائل الكتابات الموسعة لفقه المذاهب والفرق بمختلف التخصصات.

وعليه فقد جعلوا المعتقد الديني بمذاهبه المختلفة سلاحاً مدمراً لوحدة المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة والحديثة وضد أي بصيص من نور العقل والفكر والتحرر، بدعم من أجهزة الاستخبارات المختلفة المصالح الاقتصادية والسياسية وغيرها، وفق ما يعرف بالجمعيات والجماعات اليمينية المتطرفة، والمنظمات الدولية المتخصصة العابرة للحدود الوطنية والتي تعمل على تزويد تلك الفرق والأحزاب الدينية بالمال السخي المباشر، وغير المباشر لربط أفراد هذه الأحزاب والفرق الدينية بالمصالح الاقتصادية الآنية، وضمان استمرارها وزيادة عدد المنتمين إليها معتمدين في ذلك على ثلاثي من الأسباب المزدوجة، وهي (التدين الساذج والفقر والجهل) الذي يعيشه الكثير في المجتمعات العربية والإسلامية، واستثمار العاطفة الدينية لدى المتدينين وبذلك يعرفون كيف يثيرونها ويوجهونهم لما يريدون وفق مصالحهم الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها.

ومن المعلوم أن شيوخ ومرجعيات الفكر المذهبي والأحزاب الدينية يعتمدون في تنفيذ أهدافهم على العامة من المنتمين لتلك الجماعات والأحزاب الدينية، وغالباً ما يوصفون بالدهماء أو بالرعاع السذج من قبل شيوخهم وقياداتهم، وهو وصف يشير إلى تربية قيادة هذه الجماعات الدينية التي يغلب عليها طابع الانتهازية البرغماتية في أقبح صورها، وتتجلى من خلال توظيف العقيدة الدينية وربطها بمصالحهم الاقتصادية وطبيعة الحكم السياسي على مدى المستقبل، ولعل ما جرى من احتراب ديني مذهبي – طائفي قديماً وحديثاً وما زال منها قائم حتى يومنا هذا وللأسف في المجتمع العربي والإسلامي ليعد أوضح دليل على توظيف الدين لخدمة الحاكمية السياسية والاقتصاد وغيرها من المصالح الآنية، وهم بذلك وظفوا الدين توظيفاً سيئاً عبر المذاهب والفرق والطوائف والجماعات الدينية وأخيراً الأحزاب الدينية المذهبية، فتسبب في بذر زروع الحقد والكراهية بين أبناء الوطن الواحد مما أدى لتدمير الأوطان وزعزعة حياة الإنسان، كما عملوا على توسيع بواعث الاقتتال وإمكانية حدوثه داخل المذهب الواحد، تحت مبررات وأوهام عدة، منها: وهم إقامة حكومة إسلامية عالمية أو دولة

الخلافة أو تصدير المذهب أو بحجة قتال الكفار أو إقامة الشريعة أو الولاء والبراء وغيرها من الأوهام التي تعمل على تبرير الحروب المذهبية، بل وتقسيم العالم إلى دار سلم ودار احتراب (1) بالمخالفة لسماحة دين الإسلام، ومن المؤلم أننا نرى اليوم بعض الزعامات الوطنية أو الزعامات القومية يلهث وراء تزعم مذهب معين أو فرقة دينية معينة لخدمة أغراضه الاقتصادية أو السياسية وهو لا يعلم أن ذلك شرك محكم يسهل وقوع نفسه فيه.

وما يهمنا في هذا المبحث هو القراءة الفاحصة والمختصرة لأصول هذه المذاهب والفرق والجماعات من خلال مرجعيتها الفقهية، بهدف تشخيص هذا الواقع المريض والكارثي الأليم الذي لحق بالعالمين العربي والإسلامي فدمر مقدراتهم وما زال جاثم على العقل والفكر العربي – الإسلامي حتى يومنا هذا، ويتحكم في تشريعاتنا وصياغة واقعنا الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بل ومجمل حياتنا اليومية، ليس ذلك بل ومن أجل فضح جماعة التحريف الديني، ودورها في صناعة هذه الكنتونات المذهبية والفرق وجماعات الدّين السياسي من خلال إيجاد مشروعية لها عبر تحريف النص الديني واستبدال القرآن العظيم في التشريع بمنزومة (الحديث والفقه والسيرة والتفسير المكاني والزمان- وغيره) اعتماداً على تجربتها في تحريف الفكر الديني القديم (اليهودي، والمسيحية والهندوسي والبوذية) وغيرها، وصولاً إلى أسباب صناعة هذه المذاهب والهدف الرئيسي منها في بث سمومها الفكرية في الاختلاف والتناقض داخل الدين الواحد، وهجر كلام الله في القرآن وهو المصدر الأساس والوحيد لإلهام الناس إلى التدبر العقلي وحرية الفكر والتفكير وإقامة الحق والعدل والمساواة وحرية الاعتقاد الديني ونشر السلام والمحبة بين الأمم والشعوب، وبعث حركة الإصلاح الديني بين المعتقدات للحد من الاقتتال وكراهية الآخر ونبذ فكرة تقسيم عالم الإنسان لدار حرب ودار سلام.

وبتسليط الضوء من قريب على مجالات الفكر المذهبي الإسلامي يتضح أن جميع المذاهب والفرق والجماعات، والطوائف بمختلف توجهاتها، أخذت بهذه المرجعيات من الفكر الديني المعروفة بمصطلحات فقهية أطلق عليها (قواعد الفقه)، منها: (الإجماع، القياس، خبر الأحاد، الناسخ والمنسوخ، الاستحسان، والاستصحاب، وغيرها من القواعد) (2)، فأصبحت مقدسة لا تمس، كونها أساس استنباط الحكم الشرعي وهناك توافق كبير على هذه المصطلحات بين أغلب أئمة المذاهب، ومنهم الشافعي الذي نُسب إليه وضع اللبّات الأولى والأساسية لقواعد الفقه، فأصبح بها علماً مستقلاً بذاته أطلق عليه علم أصول الفقه، وقد دُوّن هذا العلم بمخطوطة أطلق عليها "الرسالة" برواية الربيع ابن سليمان الذي حققها للنشر سنة (269هـ) (3) حسب زعمهم، علماً أن بعض المذاهب عملت بهذه المصطلحات من قواعد أصول الفقه قبل هذا التاريخ، وهو ما يدل على دور جماعة التحريف في صناعة وتعميم هذه المصطلحات (قواعد أصول الفقه)، في الفكر الإسلامي ليضفي عليها جانب التقديس، ويتضح عند تفحص هذه القواعد والمصطلحات هول ما أحدثته جماعة التحريف من عمل مفضوح بهذه

(1) انظر جُند الله / سعيد حوى. 1979م ص 353 ، 354 ، 355 ، 356 ، 388.

(2) انظر أدب الطلب / محمد بن علي الشوكاني – تحقيق عبدالله يحيى السريحي 1993م ص 246- 252.

(3) انظر الرسالة / محمد بن إدريس الشافعي – تحقيق أحمد محمد شاكر .

المصطلحات الفقهية، والتي استطاعت أن توهمنا على مر السنين أنها أصول فقه الدين، وهي في الحقيقة معاول لهدم الدين من الداخل، كونها تتناقض مع بعضها من خلال تعريفاتها اللغوية والموضوعية وهي في الحقيقة محرفة ومقتبسة من العقائد وفكر التراث الإنساني القديم، ومخالفة لكلام الله في القرآن المبين، ومناقضة للعقل والفطرة السليمة، ولأجل هذا قام أرباب هذه المذاهب والفرق والجماعات بربط فكرتهم الجهنمية بأنظمة الحاكمة الدينية (الخليفة) (الأماره) حتى وصلوا لتأسيس جماعات وفرق ومشيخيات هنا وهناك نحو مزيد من التشرذم الفكري، مما سهّل للأنظمة السياسية الحاكمة استغلال هذه المذاهب والفرق والجماعات واستثمارها بمنظومة حكوماتها الفاسدة خلال القرون الماضية وما زال منها قائم حتى اليوم وأن كانت مغلفة بأنظمة حكم حديثة، فجعلوا من الفكر المذهبي ديناً سياسياً بامتياز، وسيفاً مسلط على حرية العقل والفكر والمعرفة في العالم العربي والعالم الإسلامي، هدفه بدرجة رئيسة السيطرة على العقل لمصلحة جماعة كهنوتية فاسدة في جميع مناحي الحياة، ليس ذلك فحسب بل ترتب على ذلك تحريف الشعائر والمناسك والعبادات والأحكام والمصطلحات اللغوية ودلالات الألفاظ في معاجم اللغة العربية، ليخرجوا بعض الألفاظ عن دلالاتها الصحيحة، وبهذا ظهر خطر هذه الكيانات نحو مزيد من الفرقة والاختلاف والتنازع والحد والكراهية ونمأ على أثره الأصولية والتطرف والإرهاب المذهبي الديني المقيت، ومن ثمة إسقاط الجغرافية والتاريخ عليها، لتصبح قالباً عقائدياً مدمراً لذاته، ولمن حوله وليس خافياً علينا أحداث الصراعات المذهبية في التاريخ الإسلامي وويلات الحروب المرتبطة بها وما حال أيامنا هذه علينا ببعيد، وكذلك ما جرى في المجتمعات الإنسانية المسيحية من دمار واقتتال بسبب تشرذم الطوائف المسيحية، إذ استمر الاقتتال الطائفي إلى تاريخ ليس ببعيد بفعل إسقاط النص الديني على الجغرافية والتاريخ في حياتهم التي تحولت إلى جحيم من الحروب المدمرة بين الكاثوليك والبروتستانت، وهو ما يتشابه مع مبررات الحروب التي تعاني منها المجتمعات العربية والإسلامية اليوم ولنفس الأسباب والأهداف، وفق مشروعية من فكر المذاهب وكتب الحديث والفقه والسيرة والتفسير والتأويل والتي حلت محل القرآن العظيم في المشروع والاسدلال.

جماعة المعتزلة: الحسن البصري- واصل بن عطاء:

أبي الحسن الأشعر كان للحسن البصري حلقة للتدريس بمسجد البصرة، وكان يحضر فيها تلميذة النجيب وأصل ابن عطاء الذي تزعم بعد ذلك فرقة أطلق عليها فيما بعد بالمعتزلة، على إثر إنفراد بالقول في مسألة مرتكب الكبيرة التي شغلت أذهان الناس في ذلك العصر، وانفرد وأصل ابن عطاء بالقول فيها: إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، بل في منزلة بين المنزلتين، ثم اعتزل حلقة البصري واتخذ له حلقة أخرى بالمسجد، فاطلق على جماعته بالمعتزلة، وقيل في التعريف بالحسن البصري: إنه الحسن ابن يسار أبو سعيد كان أبوه مولي لزيد ابن ثابت سكن، أبوه المدينة، وفيها ولد سنة (21هـ)،⁽¹⁾ وتوفي سنة (110هـ/ 728م)

(1) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة . ص 124، 125.

بالبصرة التي انتقل إليها لتلقي العلم سنة (37هـ) كما قيل! وهذا القول غريب لأن البصرة لم تكن مدينة في هذا التاريخ، ولأن المدينة مركز نزول الوحي، وفي هذا التاريخ كانت مركز العلوم، وليست البصرة التي قيل إنه استقر فيها وكُنِيَ بها، وكانت له حلقة بمسجد البصرة، يدرس فيها الحديث والفقه وعلوم القرآن واللغة وغيرها، ولا ندري هل كانت كتب الحديث والفقه في هذا التاريخ قد دَوِّنت وأصبحت علماً قائماً بذاته؟ وبالعودة للمصادر التاريخية، عن تاريخ البصرة، والتي تحدثنا عن البصرة - أو (الخريبة) الاسم القديم لها، والتي تقع على الضفة الغربية لنهر الفرات، وكانت الخريبة ثكنة لجند الفرس ثم استولى عليها جند العرب المسلمين في عهد الخليفة أبي بكر في سنة (11هـ)، وقيل أنهم أطلقوا عليها فيما بعد أسم البصرة لأنها بنيت على أرض غليظة ذات حجارة رخوة بيضاء، إذ تسمى العرب مثل هذه الأرض بالبصرة، والتي سكنها جند العرب مع نسائهم وأولادهم⁽¹⁾ - وقد أوضحنا ذلك مفصلاً في الجزء الثاني - تحت عنوان فقه الزمن - في عنوان وضع التقويم القمري بعهد الخليفة عمر وفق رسالة أمير البصرة أبي موسى الأشعري.

إذن فالأمر يدعو للتساؤل حول صحة هذا الادعاءات، لاسيما أن الشافعي هو أول من دَوَّن أصول الفقه خلال الفترة التي عاشها في مصر، من عام 199هـ حتى وفاته عام 204هـ،⁽²⁾ حسب ما نسب إليه في كتاب الرسالة، الذي حققه ونشره الربيع ابن سليمان حوالي عام 269هـ، فمن أين جاء الحسن البصري بمنهج الفقه، والحديث كي يدرسه؟ وكذلك بقية أئمة المذاهب؟ وهو علم لم يدون من أساسه في ذلك التاريخ!

وما قيل عن الحسن البصري: إنه كان غزير العلم فطناً حافظاً، وله فقه واسع في العلم من كثرة ما ألف وأملى وحدث، لكنه أسجر التنور بالنار حتى استعرت، فأمر بإلقاء كل ذلك العلم والمؤلفات والكتب من الفقه، والحديث وعلوم القرآن فيه، فأحرقه ليتحول إلى رماد تذروه الرياح، وهذا الفعل يخالف القرآن الكريم قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾، (البقرة 159)، فهل الحسن البصري لم يقرأ هذه الآية؟ أم أن هناك شيء آخر؟

ويقال: إنه بقي له كتاب مؤلف من خمس وأربعين صفحة عن فضائل مكة والسكن فيها،⁽³⁾، نقتبس أهم ما جاء فيه والكتاب عبارة عن رسالة كتبها البصري لأحد الزهاد اسمه عبدالرحيم ابن أنس الرمادي، وكان يسكن مكة، عرف به عن طريق سلسلة مطولة من الإسناد بالعنونة والأخبار المتناقلة برواية هذا الكتاب المتصل إلى الحسن البصري، ويتشابه سبب تأليف هذا الكتاب مع سبب ساقه الشافعي في تأليف كتابه في أصول الفقه، فقد كتب لشخص اسمه عبد الرحمن ابن مهدي فكان كتابه المسمى (الرسالة) المشهور عن الشافعي.

وبالعودة إلى مؤلف البصري عن فضل مكة والسكن فيها، نجد فيه من الخرافات والخزבלات والاستهزاء وتشريع مناسك وثنية، وفق ما يلي: استهل افتتاح الكتاب بآيات من

(1) انظر مختصر تاريخ البصرة / على ضريف الأعظمي . من ص 9- 21.
(2) انظر الرسالة / محمد ابن إدريس الشافعي - تحقيق احمد محمد شاكر من ص. 67 - 78.
(3) انظر فضائل مكة والسكن فيها / الحسن البصري - تحقيق د. سامي مكي العاني 1980 م .

القرآن الكريم ثم أعقبه بأحاديث عن فضائل مكة ومنها حج الملائكة من السماء لمكة، وأن حول الكعبة قبر ثلاثمائة نبي كلهم قتلهم الجوع والقمل، وقبر إسماعيل وأمه هاجر في الحجر تحت الميزاب، وقبر نوح، وهود، وصالح بين زمزم والمقام، وأن مكة محشر الأنبياء والأصفياء، ومنهم الأحبار! وأن الحسنه والصلاة فيها مضاعفة، وأن الله يُنزل كل يوم إلى مكة مئة وعشرين رحمة موزعة؛ ستين للطائفين وأربعين للمصلين وعشرين للناظرين للكعبة، وأن أبواب الجنة الثمانية مفتوحة لمكة يوم القيامة، وأن فيها خمس عشر موضعاً مستجاب فيه الدعاء، وأن الصلاة بالمسجد الحرام بمئة ألف صلاة، وفضل لحس الحجر الأسود الذي يعيد الشخص كيوم ولدته أمه، وأن الحجر الأسود والمقام يأتیان يوم القيامة ولهما لسانان وشفقتان يشهدان لكل من وافاهما بالوفاء، وأنه من طاف بالبيت أسبوعاً رفع الله له بكل قدم سبعين ألف درجة، وأعطاه سبعين ألف حسنة، وأعطاه سبعين ألف شفاعة إن شاء في الدنيا أو ادخرت له في الآخرة، وأن فضل الحاج الماشي على الراكب كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وأن الله يهبط عشية عرفة إلى السماء الدنيا ليباهي الحجاج بالملائكة، ومن مات بالحرم فكأنما مات في السماء الرابعة، ومن مات في بيت المقدس فكأنما مات بالسماء الدنيا، وغيرها من الأحاديث والخرافات والخزعبلات التي توغل في استغلال العقل والتقول المخالف للقرآن الكريم، وهذا من العلم الذي نجا من الإحراق في تنور الحسن البصري، فهل كانت كتب البصري المحروقة على هذا النحو؟!

وأصل ابن عطاء (المعتزلة):

أما واصل بن عطاء (1) فقد قيل: إنه وُلِدَ في المدينة (80-131هـ/ 700-748م)، يكنى أبو حذيفة، الملقب بالغزال الأثغ، وكُنِيَ بأبي مخزوم، وقيل: إنه كان من موالى بني مخزوم، وكانت كلمة مولى تعني أنه مملوك محرر، أي أنه ولد من العبودية والرق، وعمل غزاً ينسج للناس، وكان صاحب لكمة في النطق (أثغ)، لا يحسن نطق حرف الراء، أسس فرقة كلامية اشتهرت بالجدل والمناظرة، وقيل، إن لديه عدد من الكتب والمؤلفات، وإنه أخذ الجدل عن علماء المثنوية واليهود، وأنا أجزم أنه كشيخه الحسن البصري في كتبه ومؤلفاته، فهذه الجماعة بتقديري افتعلت الخلاف، ونقلت المعركة الكلامية والمجادلة من نصوص العقائد القديمة، ومن طوائف الفكر اليهودي إلى الفكر الإسلامي، وفي الحقيقة لا يوجد لهذه الهرطقة في الدين الإسلامي مكان، ومن المواضيع الخلافية التي افتعلوها ما يتعلق بالتوحيد، والعدل، وأفعال العباد، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين وخلق القرآن، ومعرفة الصفات ورؤية الله، والتجسيم والتشبيه، وغيرها من خلافات ما يسمى بعلم الكلام، حيث أثروا هذا الخلاف وأوجدوا له فقهاء ومحدثين من الطرفين جرت بينهم مناظرات ومساجلات، وفق ما جاء في كتب السيرة والفقهاء، وفي الحقيقة فإن هذا الخلاف كان مفتعلاً وسابقاً لدى فرقة من اليهود سميت بفرقة "الأمورائيم"، والغنوصية " وغيرها من الفرق الكلامية، وقد أقرت بعض الكتابات بصحة هذا الأمر وإرجاعه إلى الفكر اليهودي، وقد نُقل هذا الخلاف بشخصه، وعِلِّهِ

(1) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة . من ص 124-130.

وعلاّته إلى فكر المذاهب الإسلامية تحت اسم فرقة المتكلمين من الجهمية، والمعتزلة والأشاعرة، والقدرية التي خاضت جدلاً حول الذات الإلهي والاسم والصفات وأفعال العباد، والقدر ودخول الجنة أو النار حتى وصلت إلى قضية خلق القرآن، وغيرها من القضايا التي صُبِغت بصيغة الإسلام لخلق خلافات في العقيدة، والتفكير والإيمان وعند قراءتك المتعمقة لهذه المسائل ستجدها كلاماً فيه من السفسطة والجدل والخرافة التي لا طائل منها، ولا فائدة خاصة مع وجود القرآن الكريم بين أيديهم بما اشتمل عليه من بناء محكم في الآيات ووضوح في المعنى، وسهولة الفهم والإيثار، وأخذ بُعداً واقعياً وحقيقياً في الوصف للإنسان والأرض والسماء والكون، كما حدد علاقة الإنسان بمن حوله، وبالكون وبالله سبحانه وتعالى، وخاطب العقل والفكر، وحث على العلم والعمل في أكثر الآيات، فكان دليلاً نظرياً وعملياً لحياة الناس أجمعين، وأطلق للعقل والعلم حق المعرفة بما حوله، وبالعالم والكون وبذات الخالق والمخلوق بل وبكل المخلوقات من المادة والنفس والروح انطلاقاً من الرؤية الواسعة في الأفاق وفي أنفسهم، إلا أن جماعة التحريف استطاعت لفت أنظار الناس إلى شخصنة القرآن الكريم بشخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويخص طائفة معينة من الناس (أمة محمد)، وقصرته على المكان والزمان (القرآن المكي والقرآن المدني)، وعلى الأحداث، والشخص وعلى كونه كتاباً يتعبد بتلاوته فقط، دون تدبر لآياته، وأنه حمالة أوجه، وأنه يقرأ على سبع قراءات، فسرفت مضامين القرآن الكريم وأوجدت تشريعاً بديلاً، كما جرى التحريف من قبل للتوراة والإنجيل.

ومع التطور العلمي والتكنولوجي لمختلف العلوم ومنها علوم الفيزياء والرياضيات وتقنية الاتصالات وعلوم الفضاء وغيرها من العلوم، التي عملت على توسيع معرفتنا بذاتنا، وبمن حولنا وبالكون الفسيح، الذي لم نستطع الإحاطة بحدوده اللامتناهية، أضحت تلك السفسطة التي وقع بها جماعة المتكلمين في فكر المذاهب الإسلامية حول الأسماء والصفات والتجسيم للذات الإلهي وغيرها هراء لا طائل منه، أمام المعرفة العلمية المنتجة من عقل الإنسان وعلمه المتصل فطرياً بعلم الله الأزلي الأول، فكان المتلقي الأول لهذا العلم هو آدم، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 31). ولا شك أن هذا العلم كان وما يزال القاعدة الأساسية للبيانات والمعرفة الشاملة والعلم اللامحدود بكل العوالم والأكوان وبالخالق، يكون دليل الإنسان إلى المعرفة الحقة بكل ما حوله، وهو ما يجعلنا ندرك الدور الكبير الذي لعبته جماعة التحريف في وضع هذا الكم من الموضوعات الخلافية والهراء في العقيدة الإيمانية للناس، عبر هذه الجماعات، (المعتزلة والأشاعرة والجهمية والقدرية والماتريدية) وغيرها من المسميات التي مازال بعض المنتسبين للإسلام يرددون الحديث في هرطقاتهم بحذقة لا قيمة لها غير مزيد من التمرغ بثقافة الجهل، وغض الطرف عن نعمة العلم والعمل والإيمان بالنص القرآني المتوافق مع العقل والقلب، فهل سيفلح العقل العربي والإسلامي في نفص غبار هذا الفكر الجاثم على عقولنا وصدورنا قروناً من الزمن؟؟ ليلحق بركب الحضارة الإنسانية، والمشاركة في المعرفة الإنسانية المنطلقة بين الكواكب والنجوم والمجرات السماوية؟

المذهب الشيعي (الاثنا عشري):

وقد نسب هذا المذهب إلى جعفر الصادق وهو جعفر الصادق ابن محمد الباقر – (80 هـ - 148 هـ): (1) الإمام السادس بترتيب أئمة هذا المذهب، وقيل عن جعفر أنه عاش بالمدينة المنورة، فعاصر ابن شهاب والزهري، ويقال: إن جعفر انفرد بعلم الجفر بوصية من النبي أودعها لعلي ابن أبي طالب، ثم أودعها علي لمن جاء بعده من الأوصياء الاثني عشر، كما جاء في كتب فقهاء المذهب الشيعي الكثير من الآراء الفقهية، ومنها: كتاب الكافي لأبي جعفر محمد ابن يعقوب ابن إسحاق الكليني الرازي الذي اخترناه من بين المراجع التي يعتدُّ بها في الفقه الاثني عشري، والمذهب الشيعي الجعفري يمثل وجهاً أخرى من الناحية المذهبية في الفكر الإسلامي، وهو ينقسم إلى:

1. الإمامية: ومنهم الاثنا عشرية وهم غالبية الشيعة اليوم، ويتفرعون إلى ثلاث مدارس فكرية رئيسية هي: المدرسة الأصولية. المدرسة الإخبارية. المدرسة الشيعية.
2. العلويون: وهم طائفة من الشيعة الإمامية خرجت عن الاثني عشرية بعد الإمام العاشر علي الهادي، ويقال للإمام الحادي عشر الحسن العسكري، وبعضهم يتمسكون بنفس تسلسل الأئمة الاثني عشرية.
3. الإسماعلية: انقسمت وتفرعت إلى طوائف متعددة، منها: الموحدون (الدروز). النزارية (الآغاخانية). المستعلية الطيبية، وهم البهرة الداودية والبهرة السليمانية والبهرة العلوية.
4. الزيدية: وقد تضمنت الزيدية فرقاً وتيارات عدة، منها: الهادوية أو مذهب الهادي كما يسمونه. الجارودية، وغيرها وقيل: إن هذا المذهب ضعيف الانتماء للمذهب الأصلي الاثني عشري.

ويرى الشيعة الإمامية أن أول أئمتهم هو الإمام علي ابن أبي طالب وآخرهم هو الإمام الثاني عشر الغائب محمد ابن الحسن العسكري، الذي دخل سرداباً في دار أبيه (بسر)، ولم يعد، وما زالوا ينتظرون خروجه. لأنه عندهم هو المهدي الذي يؤمنون بخروجه آخر الزمان. ومن مدارس الشيعة مَنْ قال بغير ذلك، وهم الإخباريون الذين اعتمدوا على استنباط الأحكام من القرآن والسنة، ومن الأخبار عن النبي والأئمة المعصومين من آل البيت، واقتصد البعض منهم على استنباط الأحكام من السنة فقط، لعدم جواز تفسير الكتاب عندهم إلا ما ورد عن الأئمة المعصومين ولاعتمادهم على الأخبار والروايات عن أهل البيت سموا بالإخباريين، مع ؟؟؟ للاجتهاد والاستدلال بالإجماع والعقل، إذ إنهم لا يعتدون بصلاحية العقل، ويعتمدون على كل الأحاديث الواردة في كتب الحديث الأربعة عن الأئمة المعصومين كمصدر تشريعي قطعي الصدور والصحة.

أمّا في الفقه فإمامهم جعفر الصادق، والإمامة عندهم أصل من أصول العقيدة الدينية، وهي محصورة في ذرية علي بن طالب من زوجته فاطمة الزهراء فقط ويسمون بالأوصياء ممن قبلهم، ويعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حددهم بأحاديث صحيحة، وأيضاً

(1) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة من ص 669-702.

القرآن الكريم بآيات محددة قاموا بتأويلها حسب زعمهم، وهم بذلك يصلون بأئمتهم إلى منزلة الكهانة في العهد القديم عند اليهود في (التوراة) كما رأينا سابقاً، وعند الشيعة الإخباريين فإن منزلة علي بن أبي طالب هي بمنزلة هارون النبي وتنتقل بعد ذلك لأولاده من بعده، كما انتقلت الكهانة لذرية هارون مع الامتيازات الدنيوية وحصرية النسب الديني المقدس فيهم، وكل ذلك خلافاً لما جاء في القرآن الكريم في المساواة بين الناس والتفاضل على أساس التقوى. ولهم مناحي متعددة من العلوم كعلم الكونيات، وعلم الجفر، وعلم الحديث، وأصول الفقه، وفقه السيرة، وفقه التفسير، وعلم التأويل، وعلم الكلام، كما يزعمون وغير ذلك.

المذهب الحنفي

التعريف: مؤسس هذا المذهب هو نعمان ابن ثابت ابن زوطي (80 - 150هـ)، (1) المشهور ب (أبو حنيفة) من بلاد كابل بفارس، وكان قد أسر جده زوطي، واسترقق لبني تيم بن ثعلبة، وهي قبيلة من العرب أطلق سراح جده وأسلم، وعاش في مدينة الكوفة ثابت وابنه نعمان الذي تفرغ للعلم مع وأصل ابن عطاء، شيخ المعتزلة وكلاهما ينتمي إلى الأصل الفارسي، وقيل: إن أبا حنيفة نشأ تاجراً في أسواق مدينة الكوفة، والمعروف أن الكوفة تأسست بعد البصرة، في عهد عمر ابن الخطاب، وجعلها سعد ابن وقاص قاعدة لجيش المسلمين، من أجل صد هجمات الفرس بعد معركة القادسية سنة (638م - 17هـ)، ومن المعلوم أن المدن تتكون بعد عقود من الزمن، فكيف أصبحت الكوفة مدينة في وقت قياسي، فيها أسواق ومساجد وأصبحت مدينة للعلم والتجارة بين عشية وضحاها، وكان أبن زوطي يتسكع في أسواقها كتاجر ثم صار طالب علم، ثم فقيها مجادلاً بعلم الكلام يجادل المعتزلة والخوارج ويتكلم بالعقائد، ومن شيوخه حماد ابن أبي سليمان، مولى لإبراهيم ابن موسى الأشعري، وظل أبو حنيفة ملازماً له ثمانية عشر عاماً، ومن أهم أقواله وما قيل عنه:

- 1- لم يكن له منهج فقهي واضح، ولا مسند من أحاديث العنينة والقلقلة، غير أقوال، منها قوله: إن المرأة تزوج نفسها من غير ولي.
- 2- أباح شرب النبيذ، كما روي عنه.
- 3- لم يؤسس مسنداً لمذهب، غير أن المتأخرين ممن أطلقوا على أنفسهم أتباع المذهب الحنفي، أسسوا له عشرات المراجع التي أصلوا بها مذهبه، ومنها: كتاب الخراج، والجامع، واختلاف أبي ليلى، وكتاب الآثار وغيرها من الكتب التي صارت مراجع أساسية للمذهب الحنفي، وتم تدوينها طيلة سبعة عشر عاماً بعد وفاته، ليتشكل منها المذهب الحنفي السني كما نراه اليوم.
- 4- عاش مترفاً في بحبوحة من العيش.
- 5- اشتهر بالمجادلة والمناظرات مع غيره، فكان واسع الحيلة في إفحام مناظريه.
- 6- من أغرب مقولاته: لا تخرج شرك إلى أحد، ولا تثق بصحبة أحد حتى تمتحنه.
- 7- رُمي بالزندقة والابتداع، وسُبَّ من قبل معارضييه.

(1) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة من ص 345 - 370.

- 8- قيل له في الفتوى التي كان يفتي بها: "إنه على الحق الذي لا شك فيه"، فرد قائلاً: "لا أدري، لعله الباطل الذي لا شك فيه".
- 9- تعود نشأة المذهب الحنفي إلى فترة جلوس أبي حنيفة على كرسي الإفتاء خلفاً لشيخه حماد ابن أبي سليمان.
- 10- يرجع وضع المذهب إلى أبي يوسف يعقوب ابن إبراهيم، ومحمد ابن الحسن الشيباني من خلال أقوالهم وآرائهم.
- 11- كان ظهور المذهب وانتشاره عبر مدارس فقهية كالمدرسة العراقية (أبو الحسن الكرخي) - ومدرسة مشايخ سمرقند (أبي منصور الماتريدي).
- 12- سجنه المنصور وضربه لرفضه تولي القضاء، وهي مظلومية مكررة لدى جميع الأئمة لإضفاء جانب من الأهمية والمصداقية لدى الأتباع وشد الانتباه.
- 13- كان في يوم السبت لا يحضر للمجلس ولا يخرج إلى السوق، وفق رواية يوسف ابن خالد السمتي، وهذا أمر يدعو للريبة من هذه العادة، وهي من عادات اليهود في تقديسهم السبت!!!

وقد اتبع المذهب الحنفي ما أخذت به المذاهب السنية في استنباط الأحكام من: الكتاب والسنة والإجماع وأقوال الصحابة والقياس والاستحسان والعرف وبهذه القواعد وبغيرها التي اعتبرها أصول فقهه، ثم أخذوا بتأويل القرآن الكريم وتفسيره خلافاً لمذلول مقاصده.

ومن خلال ذلك عمدت جماعة التحريف كي تجعل من الأصول الفقهية السابقة السمة الغالبة في المذاهب، لإيجاد أحكام فقهية قصد منها تحريم ما أحل الله سبحانه وتعالى، فخلطوا بين ما هو من الدين وبين ما هو من فكر الإنسان وصيغ بصيغة دينية وفق أحاديث العنينة، ليقال للناس: هذا من عند الله على لسان رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى، والله سبحانه وتعالى ورسوله منه براءً.

وقد رُتبت جماعة أبي حنيفة (صناعة المذهب) على عدد من المباحث والعناوين الفقهية، كفقه المعاملات وفقه الحديث والتفسير وعلم أصول الفقه، ومن الأشياء المفضوحة والمضحكة أن يعمل أبو حنيفة بفقه الشافعي وتحديداً (القياس)، والشافعي لم يولد بعد، مع العلم أن القياس قاعدة فقهية من التلمود، وهذه القاعدة وغيرها جزء من التحريف كما سيأتي بيانه. وأخيراً: نراء العدد الكبير من المراجع والكتب والمخطوطات الخاصة بالمذهب الحنفي ما يمثل من الإنتاج المذهبي الغزير والظخم، وفي الوقت نفسه يفاجئنا القول: إن أبا حنيفة النعمان ابن ثابت بن زوطي إمام المذهب الحنفي لم يكتب أي كتاب أو أي مخطوط يذكر في المذهب، بل ذهب لتأليف رسائل صغيرة نسبت إليه في علم الكلام، كرسالة الفقه الأكبر، ورسالة العالم والمتعلم، ورسالته إلى عثمان البتي، ورسالة في الرد على القدرية، ويعد هذا التناقض الواضح دليلاً ناصعاً على دور جماعة التحريف في صناعة هذا المذهب عبر مراحل من التاريخ، وبأسماء مختلفة وهو ما نحن بصدد دراسة نماذج من محتوى هذه المذاهب وتحليلها، ومقارنتها بنصوص القرآن الكريم الذي يفصح جماعة التحريف في صناعة هذا المذهب وغيره.

من المعروف أن مؤسس المذهب المالكي هو مالك ابن أنس الأصبحي (93 - 179هـ)⁽¹⁾، ويقال إن مالك ولد بالمدينة من أبوين يمنيين، فأبوه ينتهي نسبه إلى قبيلة ذي أصبح، واسمه أنس ابن مالك ابن أبي عامر ابن عمرو الحارث، وهو الحارث ذو أصبح الذي ينسب إليه مالك، وقيل: إن جده، أبو عامر صحابي جليل شهد المغازي كلها مع النبي عدا بدر، ومالك ابن أبي عامر الجد الأول للإمام مالك من كبار التابعين، أما والد الإمام مالك، فكان مقعداً يحترف صناعة النبل، ولا يذكر بشيء من العلم. وقيل: إن مالك منذ صغره حفظ القرآن الكريم، اتجه إلى مطالعة الحديث وحفظه، ثم لزم ابن هرمز (أبو بكر عبدالله بن ثريد المتوفى 148هـ) طيلة سبع سنين، وابن هرمز هذا من بلاد فارس، ثم انتقل إلى شيخ آخر، هو نافع مولى ابن عمر فجالسه، وأخذ عنه علماً غزيراً، وعرفت روايته عنه، مالك عن نافع عن ابن عمر ب (السلسلة الذهبية) التي روى مالك فيها عن نافع ثمانين حديثاً في الموطأ، ثم تتلمذ على يد ابن شهاب الزهري المتوفى 124هـ، وعلى فرض صحة ذلك الكلام فإن من الملاحظ أن كل شيوخ مالك كانوا من غير العرب، على الرغم من أنه عربي ومن بيئة عربية وقريب من عهد التابعين، وللتعليق على انتماء مالك إلى قبيلة ذي أصبح فإن أصبح ليست قبيلة بل بلدة صغيرة قرب مدينة ريفية (التربة) المعافر (الحجرية حالياً)، وتقع في جنوب غرب اليمن، وتحديداً في محافظة تعز، وذي أصبح إحدى البلدات القريية من المنطقة التي أنتمى إليها، وولدت فيها وما زلت أعيش فيها حتى يومنا، وقد تساءلت عن نسب مالك ابن أنس لدى الكثير من الأسر التي تقطن في هذه البلدة، فلم أجد أية أسرة تحمست للقول: إن مالك له جذور في هذه البلدة، أو بكامل المدينة الريفية، غير أن المعافر يُنسب إليها العديد من التابعين الفاتحين في عهد الخلفاء الراشدين، والدولة الأموية والعباسية، وألقابهم معروفة بالمعافريين حتى اليوم.

وما يهمنا هنا هو منهج مالك الفقهي وما قدمه لخدمة الإسلام والمسلمين، إذ ينسب لمالك أول كتاب مؤلف في الفقه والحديث، وهو كتاب (الموطأ)، قام بتأليفه بناءً على طلب الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (سنة 148هـ) ويتفق ما قيل عن سبب تأليفه، مع السبب في تأليف كتاب سيرة النبي لابن هشام، وعن أصل كلمة (الموطأ) فإنها كلمة يونانية، معناها (الجامع الأوفى أو المذهب) وفق ما جاء في مدونة فقه القانون الروماني عن الإمبراطور جوستينا، وقد نُشر كتاب الموطأ حوالي عام 159هـ بعد جمعه، أي بعد إحدى عشرة سنة، وكان عدد شيوخ مالك (من تتلمذ على أيديهم) حسب ما زعم عنه يزيد على خمسة وتسعين رجلاً، وعدد صحابته خمسة وثمانون رجلاً، ومن النساء ثلاث وعشرون امرأة ولا ندري لماذا ذكر هنا النساء؟، ومن التابعين ثمانية وأربعون رجلاً، كلهم مدنيون إلا ستة، وهم: أبو الزبير المكي، وحمد الطويل، وأيوب السخستاني البصريان، وعطاء الخراساني، وعبدالكريم ابن مالك الجزري، وإبراهيم ابن أبي عبلة الشامي، وقيل: إن الكتب المصنفة في السنن كصحيح البخاري، وصحيح مسلم وسنن أبي داود، وجامع الترمذي مستخرجات من الموطأ.

(1) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة من ص 383-421.

وعمل مالك في الكتاب والسنة، وفقه أهل المدينة، وفتوى الصحابي، والقياس والمصالح المرسلة والاستحسان وسد الذرائع، وشرع من قبلنا. وللمذهب المالكي مدارس فقهية، منها: مدرسة المدينة، ومدرسة مصر، ومدرسة العراق، ومدرسة أفريقيا والمغرب الأقصى، والمدرسة الأندلسية، وله أعلام من الفقهاء، وعدد كبير من المؤلفات، كما هو الحال والمسار الذي سارت عليه كل المذاهب الأخرى، إذ أخذت من تلك البركة التي فاضت على الجميع مع بعض الاختلافات، وهي ما تعرف بأصول فقه مذهب مالك وبه خالف القرآن الكريم في الكثير من الشعائر والمناسك والأحكام، ومن القراءة الفاحصة في كتاب الموطأ كونه أهم مرجع في تأسيس المذهب المالكي، والمذاهب السنية الأخرى، على اعتبار أن كتاب الموطأ أول كتاب في الحديث حسب زعمهم ونستخلص ما يلي:

1. فيه جملة من الأحاديث، بلغت ما يقارب ثلاثمائة حديث، شرع فيها شعائر ومناسك الصلاة والصيام والزكاة والحج، والوضوء وصلاة العيدين واستقبال القبلة بما يخالف القرآن الكريم، حيث عمل على تعقيد شعيرة الصلاة والغسل، وأدخل لفظ الوضوء ولفظ الاستنجاء والاستجمار، وهو منسوخ من فكر الأديان القديمة - اليهود، بالأخص السامريين ومن ديانة الصابئة.
2. شرع أحكام الأعياد والجنائز، وجعلها مؤطرة بنصوص دينية، رغم أنها من أعراف الناس تتغير من مكان لآخر ومن زمان لآخر، مقلداً التلمود وفقه الصابئة.
3. شرع أحكام أنصبة الزكاة بصورة مفصلة مخالفة للقرآن الكريم الذي ذكر أن الزكاة شعيرة مقرونة بالصلاة، وترك تحديدها للناس حسب ما يصدر عنهم من تشريعات، وعلى ضوء المتغيرات الاقتصادية من مكان لآخر ومن مجتمع لآخر وهي ما تعرف اليوم بالضرائب.
4. شرع أحكام الحج، فأخرجه عن مساره الذي بينه الله سبحانه لسيدنا إبراهيم عليه السلام للناس من شعائر ومناسك حصراً وقصراً وأسقط مقصد الحج في المنافع ودون في القرآن، وزاد في مناسك الحج من مناسك وشعائر وثنية، مثل ثياب الحاج وتقبيل الحجر الأسود والوقوف بعرفة والمزدلفة، ورمي الجمار، ومنع الحائض من الطواف بالبيت الحرام، والشرب من ماء زمزم والسعي بين الصفا والمروة بالمخالفة الواضحة للقرآن الكريم.
5. جاء بأحاديث عن الصيام وصيام رمضان بما يخالف القرآن الكريم جملة وتفصيلاً.
6. أورد أحاديث تتكلم عن الاعتكاف والنذور والإيمان والنكاح والطلاق، وهذه المواضيع فصلها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم وجاء الموطأ خلافاً لها.
7. جاء بمناهج من المصطلحات والقواعد الفقهية بما يسمى أصول فقه مالك مؤكداً العمل بالكتاب، والسنة، وعمل أهل المدينة وفتوى الصحابي والقياس والمصالح المرسلة والاستحسان وسد الذرائع وشرع من قبلنا وغيرها، وهذه الأصول قيل إنها من علم الشافعي، وهو ما يوضح التناقض للدس المفضوح من قبل جماعة التحريف مع بعضهم البعض.

8. وضع تشريعات لأعمال على أنها من أوامر الدين، ثم جاء بعناوين متعددة من أحاديث العنينة عن كتاب الذبائح والصيد والعقيقة والبيوع والقراض والمساواة وكراء الأرض والشفعة، والأقضية والوصية والعنق والولاء والمكاتب والمدبر والحدود والأشربة والعقول والقسامة والجامع والقدرة وحسن الخلق واللباس وصفة النبي والعين والشعر والرؤيا والسلام والاستئذان والبيعة والكلام وجهنم والصدقة والعلم ودعوة المظلوم وأسماء النبي. وأغلب هذه المواضيع خاصة بالتعاملات المدنية، بين الناس كالبيوع وحرث الأرض والذبائح والمكاتب، ومما يدعو للدهشة أن بعض هذه المواضيع وردت في الفكر الديني اليهودي كتب التلمود، وفي القانون الروماني، نُقلت إلى كتاب الموطأ بعد أن أضفي نصوصاً من الأحاديث ونسبها للرسول، حسب زعمه وهي من العرف.

وما يُلاحظ فيما قيل عن حياة مالك ما يلي:

1. أنه عاش حياة مترفة، رغم أن أباه كان مُقعداً وذا حرفة غير مربحة، ولم يترك له مالاً، وقيل كان لمالك أربعمئة دينار يتاجر بها (وهذا الرقم نفسه مكرر في سيرة ابن هشام لكثير من الاستشهادات)!

2. كان يلبس أحسن الثياب ذات اللون الأبيض العذبة منها، أو الخراسانية أو المصرية غالية الثمن، وكانت أثاث مسكنه مريحة، ووصفت بنمارق مصفوفة، في حين أنه كان يسكن بالإيجار، وكان يستوفي عناصر تغذيته من غير إفراط، وكان يقبل عطايا الحكام، ووصفه أحد تلامذته بالقول: أوتي بسطة في الجسم، فكان له مظهر جسمي ممتاز، طويلاً عظيم الهامة أبيض الرأس واللحية، شديد البياض واسع العينين، حسن الصورة أشم الأنف عظيم اللحية تبلغ لحيته صدره، وكان يأخذ أطراف شاربه، ولا يحلقه ولا يحفّه ويترك له سبيلتين طويلتين، ويحتج بقتل عمر لشاربه إذا أهمله أمر حتى قال بعض معاصريه: "رأيت مالكا في حلقة ربيعة، وفي أذنه شنف"؛ ما يعلق في أعلى الأذن للأطفال الذكور، وهذه أمور غريبة ليست من عادات العرب، ولا سيما أهل ذي أصبح من مخلاف المعافر باليمن، كما أن تلك الأوصاف لا تتناسب البتة مع صفات رجال أهل المعافر، إذ يتميز غالبيتهم بلون بشرية، والتي تميل إلى اللون القمحي أو الأسمر الفاتح.

3. على الرغم من تلك الأوصاف التي وُصف بها مالك التي تؤكد على تنوع تغذيته وكمال صحته، فقد قيل: إنه كان يعاني من مرض مزمن وهو السيلان، وكان هذا المرض سبباً في عدم دخوله المسجد النبوي، أغلب أيام حياته، وعدم قضاء الصلوات فيه، وهو ما يدعو للتناقض والغرابة إن صح ذلك!

4. سُجن في عهد أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء العباسيين 146 هـ وضرب بسبب طلب الخليفة منه إصدار فتوى بإباحة نكاح المتعة ويبدو أنها مظلومية صنعت له أسوة بزعماء المذاهب لإعطائه جانب من الأهمية والمصداقية، إذ كيف يطلب منه هذا الخليفة تدوين كتاب يهتم بأحكام الفقه، وفي الوقت نفسه يخالفه.

المذهب الشافعي

ينسب المذهب الشافعي إلى مؤسسه هو محمد ابن إدريس الشافعي (150- 204هـ)، (1) القرشي من نسل النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل إنه وُلِدَ في غزة، من أم أزدية يمنية. وفي رواية أخرى قال بها البغدادي في كتابه (تاريخ بغداد) إنه ولد في اليمن...، مات أبوه وهو صغير، فلحقته أمه بأولاد عمومته، وسافرت به إلى مكة، عاش يتيماً فقيراً، وتفتحت قريحة الشافعي الفقهية على كتاب مالك (الموطأ) الذي حفظه عن ظهر قلب، فكان لبنة بنائه الفكري والعقلي، وعلى إثره هاجر من مكة إلى المدينة، والشافعي يُعد أحد أقطاب أهل السنة والجماعة، والسؤال المهم كيف ينحى الشافعي بفكره منحى أهل السنة والجماعة وهو من أهل البيت؟

فقه الشافعي:

نسبت إلى الشافعي مدرستان فقهيتان، الأولى في بغداد، والثانية في مصر، وقد حددهما بأمرين، الأمر الأول: الأدلة التي بنى عليها فقهه أو مصادره، والثاني: عمله في علم أصول الفقه وعن مصادر فقه الشافعي نستعرض أهم ما أقام عليها مذهبه، ونص عليها في كتابه "الأم" وكتاب "الرسالة"، وهي:

الكتاب والسنة:

جعلهما مصدراً واحداً وبمرتبة واحدة من حيث التشريع، فجاء الأول بعموميات آيات القرآن الكريم، بينما جاء الثاني في الجزئيات ومتمماً لبيان عموميات القرآن الكريم، حسب زعم الشافعي.

الناسخ والمنسوخ:

وقد حشر الناسخ والمنسوخ في مصادره، فوقع في شر أعماله، ومن حيث التعريف بالناسخ اصطلاحاً: بكونه حكماً اقتضى تغييره بحكم آخر تخفيفاً للعباد، وهذا التعريف يناقض القرآن ويناقض إرادة الله سبحانه ويناقض العقل واللغة، وما تعارف عليه الناس في هذا الأمر، والحقيقية أن النسخ من كونه فعلاً يفضي إلى أن يكون المنسوخ يطابق الناسخ تماماً، وفق ما هو متعارف عليه لغة وعقلاً، كفعل نسخ الكتاب من كتاب آخر، فيكون المنسوخ مطابقاً للكتاب الأصلي حرفاً بحرف، وكلمة بكلمة وصفحة بصفحة وهكذا، ومن منطلق تعريف الشافعي للناسخ والمنسوخ، قرر نسخ القرآن بالقرآن كمرحلة أولى، ثم قرر نسخ السنة بالسنة، كمرحلة ثانية ثم قرر نسخ القرآن الكريم بالسنة، وبهذا لعب الشافعي دوراً خطيراً في تحريف جوهر الدين، وقام بدور كبير في بناء قواعد جديدة لدين جديد مضاد لدين الإسلام، وللأسف ما زالت هذه القواعد قائمة حتى يومنا هذا، غير أن القرآن الكريم يفضح الشافعي في الناسخ والمنسوخ، ويبين أن الناسخ والمنسوخ لا محل له إلا في مخيلة الشافعي، وقد أوضحنا

(1) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة من ص 424- 460.

ذلك بمبحث مستقل أثناء قراءتنا وتعليقنا على كتاب الرسالة للشافعي الذي تضمن هذه الأكاذيب والأباطيل.

خبر الأحاد:

جاء في كتاب أصول فقه الشافعي العمل بخبر الواحد كدليل تشريعي لشعائر وأحكام، وقد كان الدليل الذي ساقه في هذا الموضوع عن (خبر الفريضة) في التثبت من حكم العدة، وأقل ما يوصف به هذا الدليل، أنه إسفاف لا يمكن لعاقل قبوله.

الإجماع:

ويكون العمل به فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، وهو نوعان إجماع على الآيات، وإجماع على الأحكام، وقصد بالإجماع ما توافقت عليه جماعة من الناس موصوفون بالعلماء، والعلم منهم براء، وبهذا الاجتهاد أوجد أحكاماً تخالف منهج الله سبحانه وتعالى في فهم مدلول نصوص القرآن الكريم، وعن طريق العمل بالإجماع حرّف الأحكام والشعائر بما يخالف القرآن الكريم جملة وتفصيلاً.

أقوال الصحابة:

وبموجب هذا المصدر يقرر الشافعي الأخذ بقول نفر من الناس في عهد صحابة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فيرفع قوله لمرتبة تشريعية دائمة، ومستقرة، ويضفي عليه الصبغة الدينية، فيصبح ذلك القول حكماً شرعياً، وهو أمر خطير جداً.

اختلاف أصحاب النبي في ذلك:

جعل الشافعي من الاختلاف مصدراً للتشريع، وهذا اعوجاج واضح بفكر الشافعي الذي تحدثت كتب الفكر المذهبي عنه وعن إبداعاته وما أثراه من فقه وأدب في خدمة الإسلام وما تعرض له من محنة أثناء توليه وظيفة القضاء بنجران، حتى قيل إنه رُجِّل إلى بغداد مكبلاً بقيوده، ولم يستقر بها، ورحل مرة أخرى إلى مصر، ومن تلك المحطات نلخص أهم ما زعم من أحداث في حياته:

1. قيل إنه هاجر من بغداد إلى مصر أيام المأمون بسبب سيطرة العنصر الفارسي فيها.
2. استقر في مصر وأخذ يدرس فيها، وأثناء تدريسه كان يعارض مذهب الإمام مالك، فاعترضه مناصرو مالك ذات مرة، وهجموا عليه ضرباً حتى مات معلولاً من الجراح، حسب بعض الروايات، وفي هذا تناقض واضح مع كون الشافعي تتلمذ على يد مالك، وكان كتابه (الموطأ) أول وعاء غرّف منه معرفته، وأول كتاب حفظه في صباه، فكيف يعارضه في شيخوخته؟
3. نُسِب إليه كتاب الرسالة الذي وضع فيه قواعد أصول الفقه، فعمل بالكتاب والسنة ثم بالإجماع والقياس والاستحسان وخبر الأحاد، وهو الوعاء الذي غرّف منه غيره، بل زاد الشافعي في تأصيل عمل جديد لم يبتدعه غيره، وهو الناسخ والمنسوخ، وبه عطل أحكاماً وبذل أخرى، وشرع أحكاماً جديدة في الفقه الإسلامي سيتم توضيحها لاحقاً

- وما يدعو للسخرية أن مصطلحات فقه الشافعي عمل بها أئمة المذاهب السابقون قبل اكتشافها من الشافعي، فضلاً عن أن أئمة المذاهب المخالفة كالمذهب الاثني عشري الذين يعملون بأصول فقه الشافعي، وهذا يعني اتفاقهم على قاعدة التحريف.
4. له مسند من الحديث في كتاب سمّاه الأم.
5. له كتاب الرسالة أسس من خلاله علم أصول الفقه.
6. صنع للشافعي مظلومية مع والي نجران لشد الأنظار إليه.

المذهب الحنبلي

وينسب هذا المذهب للإمام أحمد بن حنبل (164 - 241هـ):⁽¹⁾ ويقال إنه ولد في بغداد، وأبوه محمد ابن حنبل بن هلال، كان أبوه ضابطاً في جيش المسلمين، وجده والياً على ولاية سرخس بخراسان، قيل إنه فقد أباه مبكراً، فقامت أمه بتربيته ورعايته، فحفظ القرآن الكريم مبكراً ثم درس الحديث، رحل للبصرة وهو لا يتجاوز عمر ست عشرة سنة، ورحل إلى الحجاز أكثر من مرة، ورحل إلى مصر واليمن (صنعاء) لدى المحدث الصنعاني لطلب الحديث، وكان ملماً باللغة الفارسية، وكان عدد الحاضرين لمجلس الدرس الذي يقيمه خمسة آلاف شخص، وهو عدد مبالغ فيه، وكان ينهى أن تكتب فتواه أو أن يكتب له.

ويروى أنه دخل على الخليفة العباسي، وقد هولوا عليه ليرهبوه لينطق بما يريده الخليفة، ف ضربوا عنق رجلين ليرهبوه بهما! ولكنه في وسط ذلك المنظر المروع والفظيع بقتل الرجلين وقع نظره على بعض نفر من أصحاب الشافعي فسأله، أي شيء تحفظ عن الشافعي في المسح على الخفين؟ فأثار بذلك دهشة الحاضرين وراعه ذلك الجنان الثابت، والهدوء المستقر لدى ابن حنبل الذي لم يأبه لإرهابه وتخويفه بقتل رجلين أمامه!

وبتقديري: فإن سرد هذه الأقصوصة يمثل استخفافاً بعقل القارئ، يُضرب عنق شخصين لترهيب شخص آخر، وبأي منطق يُقبل هذا الاستخفاف بعقول الناس، وسلب حياتهم لمواقف سخيفة كهذه، وأي تشنيع بحق العرب وحكم الدولة العربية الإسلامي أكثر مما تحمله مثل هذه الأقصوصة السمجة، لقد أراد من صنع هذه الأقصوصة إيصال رسالة عن الإسلام والحكام العرب بأنهم أداة موت تستهويهم شهوة قتل الناس لمجرد العبث وترويع الآخرين، ولعمري فإن هذه الأقصوصة من الدسائس التي قصد بها التشويه الفاضح للحكم العربي والمسلمين، في تلك الحقبة بل وتشويه الإسلام برُمته

أمّا عن مسند أحمد ابن حنبل الذي احتوى على مجموعة من الأحاديث التي رواها وجمعها في لفائف وأوراق متناثرة على نحو ما تكون المسودة، قيل إن الموت حال بينه وبين جمع تلك القصاصات، وهو قولٌ زعم به أغلب مؤسسي المذاهب، وإن اختلفت الأسباب والمبررات والأعذار التي يتم حبكها من جماعة التحريف. وما يهمنا هو الجانب الموضوعي الذي نسب لشخص أحمد ابن حنبل، سواء كان هذا الاسم حقيقياً أم مستعاراً، كمبرر لصناعة المذهب الحنبلي.

(1) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة من ص 468-513.

فقه أحمد ابن حنبل:

كان أحمد ابن حنبل محدثاً ولم يكن فقيهاً له مسند، وهو أمر يتناقض مع كونه يرفض كتابة فتواه، غير أن مسنده يعد أضخم مسند من حيث عدد العناوين والمواضيع، ويقال: إن ابنه هو من جمع مسنده من بعده، وقد جمع ما جاء في مسند مالك والشافعي، فكان فقه أحمد ابن حنبل وفق ما لخصه ابن القيم الجوزية بخمسة أصول معبرة عن مصادر التشريع الفقهي نبينها فيما يلي:

الأصل الأول: النصوص، فإذا وجد نص أفتي به، ولذلك قدم النص على الفتوى، ولم يحدد أي نص هل هو من آيات القرآن الكريم أم من السنة أم النص الصادر عنه، بل ترك الأمر مفتوحاً.

الأصل الثاني: فتوى الصحابي التي لا يعلم لها مخالف، فيعتد بفتواه على أنها تشريع، وهو قول يخالف القرآن الكريم بصورة واضحة، وأخذ بهذا الأصل الشافعي، فرفعا بذلك ما قاله شخص من الناس لحكم شرعي ثابت ملزم للأمة الإسلامية.

الأصل الثالث: الأخذ بالقول الذي يوافق الكتاب والسنة مما اختلف فيه الصحابة، وهو يتفق ويختلف مع الشافعي بهذا السبب الذي جعله من مصادر التشريع الفقهي، وهو أمر يخالف القرآن الكريم.

الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل من النص.

الأصل الخامس: العمل بالقياس، وهو أصل عمل به اليهود في فقه التلمود، كما سبق الإشارة إليه، واقتبسه الشافعي، ونُقِلَ لفقه ابن حنبل، بل نجده في أغلب المذاهب والفرق في الحديث والفقه الإسلامي، وخاصة في المذهب الجعفري والإسماعيلي وغيره، ولم يذكر الإجماع والمصالح المرسلة وسد الذرائع، والاستحسان والاستصحاب، على الرغم أنها أصول عند الحنابلة، ولذلك لا بد من ذكرها، كون القياس قد استوعبها جميعاً، إذ كان قد عمل بالقرآن والسنة، ثم بالإجماع وتوسع بالقياس، وعمل بالمصالح المرسلة والاستحسان وسد الذرائع والاستصحاب، وتم تأليف مصنفات ضخمة وكثيرة جداً قام بتأليفها زمرة من الفقهاء، وهو ما يدل على المنبع الواحد الذي نهل منه كل فقهاء المذاهب، وشربوا من يَدٍ واحدة، مدتها جماعة التحريف فصنعت هذا المذهب المتسم بالتشدد والتطرف، والتبديع والغلو، وتكفير الآخرين المختلفين معه على نسق المذاهب اليمينية المتطرفة لدى العقائد الأخرى، وتوسع مذهب ابن حنبل على يد أتباعه، وكان أشهرهم أولاده عبدالله وصالح والميموني والمروذي، وابن حرب وابن إسحاق الحربي، وغيرهم الكثير.

وعن قصة خلق القرآن قيل أن الذي أثارها هم المعتزلة، وقيل أنها مسألة كان قد أثارها بعض النصاري، من الذين كانوا في حاشية البيت الأموي سابقاً، وعلى رأسهم يوحنا الدمشقي، كما قال بها نفر من اليهود، ولفقت على الخليفة العباسي المأمون، فنسبوا إليه اعتناق فكرة خلق القرآن، وحمل الناس والفقهاء على الإيمان بهذه الفكرة، ومنهم أحمد ابن حنبل الذي كان بطل هذه القصة، فكانت امتحاناً عسيراً لإيمانه، وما قيل أنه لقي من أصناف التعذيب والتكيل ونقله من سجن إلى سجن، ومنع من لقاء الناس حتى وفاة المأمون، ومن بعده أخوه الخليفة المعتصم

الذي أخذ المسلك نفسه، ولم يرفع عنه هذا الحال من الاضطهاد إلا في عهد الخليفة الواثق، وهي أقصوصة حرصت جماعة التحريف على رواية أمثالها لكل مؤسس مذهب، بهدف تلميع الفكرة المرتبطة بها، وجذب الانتباه والتعاطف مع بطل كل قصة، ومن أجل إضفاء طابع المصادقية على المذهب وصاحب المذهب، وفق ما يعرف اليوم بصناعة الشهرة لأحداث أو شخصيات من قبل أجهزة ومؤسسات متخصصة لتكون في واجهة ما يراد أن يكون.

المذهب الظاهري

وقد نسب هذا المذهب إلى داود بن علي الظاهري (202- 270هـ)، (1) المعروف بالأصبهاني، وبدأ ظهور هذا المذهب بين بغداد ونيسابور، ليخرج من عباءة المذهب الشافعي، وقد خالف الشافعي في الأخذ بالقياس والتأويل والرأي، وقال إن الشافعي كان يفسر الشريعة تفسيراً مادياً، ويحمل عليها بالقياس، غير أنه أخذ الأحكام من ظواهر نصوص الكتاب والسنة من غير تعليل لها أخذ الظاهري ينشر مذهبه، ويعد مجالس للمناظرة، ويروى أن أبو سعيد البردعي الحنفي شيخ المذهب في القرن الثالث الهجري دخل عليه في إحدى مناظراته، فسأله "عن بيع أمهات الأولاد"، فقال داود: يجوز بيعهن لأننا أجمعنا على جواز بيعهن قبل العلوق، أي قبل أن يحملن بالأولاد، فلا نزول عن هذا الإجماع إلا بإجماع مثله، ويقصد بيع المرأة في بداية حملها! فقال البردعي: أجمعنا على أن يبيعهما بعد العلوق قبل وضع الحمل لا يجوز، فيجب أن نتمسك بهذا الإجماع، ولا نزول عنه إلا بإجماع مثله، وهذه الرواية تعرّف بحقيقة التفكير المذهبي، وطبيعة إدعاء الاختلاف مع مذهب آخر، وتؤكد أن الادعاء ليس سوى وسيلة لإضفاء حالة من المصادقية.

إنها مناظر في بيع إنسان وشرط صحة البيع للأمهات اللاتي لم يحملن، فأى هدف يسعى إليه هذا المذهب، إنه يبيح بيع المرأة، (حتى وإن كانت أمّاً لجنين أو لطفل)، وهذا ما ينهى عنه الإسلام في أكثر من آية في القرآن الكريم. أليس في هذا انتهاك لحقوق الإنسان، وكل الأعراف والقيم والقواعد الأخلاقية الإنسانية؟!

مذهب ابن حزم الأندلسي

وصاحب المذهب هو ابن حزم الأندلسي (384- 456هـ)، (2) قيل إن اسمه علي ابن أحمد ابن سعيد ابن غالب ابن صالح ابن أبي سفيان ابن يزيد، وإنه من أسرة فارسية، ويوجد من يطعن بنسبه كما يقول أبو حيان: بأن أسرته كانت نصرانية، من عجم لبلة وكان إسلامها متأخراً. وُلد في آخر رمضان من (384 هـ) في الجانب الشرقي من مدينة قرطبة، ونشأ بين الجواري والنساء، عاش مترفاً بالثراء محاطاً بالجاه، لأن أباه كان وزيراً، فتعلم من جواري ونساء القصر القرآن الكريم والكتابة والخط، حتى تبدل الحال بأبيه وعمره خمس عشرة سنة، فابتلى بالشدة والبؤس والمرارة، وعاش بقية حياته عيشة الأغنياء على ما ترك له أبوه من تركة.

(1) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة من ص 530- 537.

(2) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة من ص 538- 545.

فقه ابن حزم: أخذ ابن حزم بفقه مالك ثم بفقه الشافعي، ثم ما لبث أن تحول إلى مذهب داود الظاهري يوصف ابن حزم بأنه صاحب علم غزير، متميز بالحفظ مع الشدة والصراحة ومن علومه ما قاله ابنه أبو رافع الفضل: (اجتمع عندي بخط أبي من تأليفه نحو أربع مئة مجلد، تشتمل على قريب من نحو ثمانين ألف ورقة). عمل ابن حزم بظاهر الكتاب والسنة، وأبطل الاجتهاد بالرأي ولم يعمل بالقياس ولا بالمصلحة، ولا بالذرائع. ومن اهتماماته العلمية الدراسات النفسية والخلقية ودراسة المنقول بما فيها من ظواهر الألفاظ، ودراسة العقيدة وإثبات الألوهية والرسائل النبوية من القرآن والسنة، وما يتعلق بالوحدانية والجبر والاختيار ورأيه في مرتكب الكبيرة، ويكفي وصف هذا المذهب أنه امتداد لفقه مالك والشافعي وداود الظاهري.

جماعة الأشاعرة:

للتعريف بمؤسس مذهب الأشاعرة أو جماعة الأشاعرة فكان التعريف به بالآتي⁽¹⁾: هو أبو الحسن علي (1)، ابن إسماعيل (2)، ابن أبي بشر إسحاق (3)، ابن سالم (4)، ابن إسماعيل (5)، ابن عبدالله (6)، ابن موسى (7)، ابن بلال (8)، ابن أبي بردة (9)، ابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو موسى عبدالله بن قيس الأشعري الصحابي المعروف، والمولود بمدينة البصرة سنة (260هـ) وقول آخر سنة (270هـ) وقول آخر سنة (266هـ)، ولحصر نسب الرجل من البنبنه (بن، بن) مؤسس جماعة أو مذهب الأشاعرة على افتراض أن التسلسل العمري للأجيال المتعاقبة من جده الأكبر أبو موسى الأشعري الصحابي المعروف الذي ظهر في أول التأريخ الهجري المزعوم سنجد أنفسنا أمام (9) تسعة أجيال ولنفرض أن متوسط عمر كل جيل (50) سنة فسيكون عدد السنين من تأريخ جده الأكبر أبو موسى الأشعري أو من بداية التأريخ الهجري المزعوم وحتى تأريخ مولده هو الرقم (450) سنة، وهذا الرقم يضع علامة استفهام وعلامة استغراب كبيرة حول حقيقة تناقض التواريخ المروية عن ولادة مؤسس جماعة الأشاعرة !!! وهذا الاستنتاج يقودنا للبحث عن حقيقة وجود أو عدم وجود هذا الشخصية، كما يقودنا أيضا لمعرفة أصول المذهب وعقيدته من خلال المادة الفكرية الموضوعية التي قدمها الرجل وهو موضع بحثنا الأهم في هذا العنوان المختصر أكثر من البحث عن الجانب الشخصي للرجل.

فقد نسب إليه عناوين ومصنفات كثيرة من الكتب والرسائل حول الاعتزال ومنهج السنة والجماعة يقال أنها وصلت إلى (98) مصنف وهو نفس العدد الذي وصل إليه مصنف صحيح البخاري ومنها على سبيل المثال العناوين التالية: كتاب تفسير القرآن، وكتاب الموجز، وكتاب في خلق الأعمال، وكتاب كبير في صفات الله، وكتاب في جواز رؤية الله بالأبصار، وكتاب في الرد على المجسمة والحشوية، وكتاب في أصول الفقه، وكتاب البرهان، وكتاب اللمع، وكتاب جمل المقالات، وكتاب الشرح والتفصيل، وكتاب في الاجتهاد في الأحكام، وكتاب كبير في الصفات، وكتاب الإبانة عن أصول الديانة، وكتاب رسالة إلى أهل الثغر، وكتاب رسالة

(1) انظر الإبانة عن أصول الديانة / أبي الحسن الأشعري - تحقيق د. صالح مقل العيصي من ص 20 - ص 24.

استحسان الخوض في علم الكلام، ومن هذه التركة الفكرية المزعومة وغيرها ثم تعالوا نستطلع فكر الأشاعرة من بعض الكتب المختارة حتى لا نثقل كاهل القاري، ومن (كتاب اللمع)⁽¹⁾ ويحتوى على عناوين متعددة منها: الله وصفاته، وباب الكلام في الإرادة، والرؤية، والقدر، والاستطاعة، والتعديل، والإيمان، والخاص، والعام، والوعد والوعيد، وقد تكلم الرجل في هذه العناوين عن الله الخالق وضرب لذلك عدد من المسائل حول خلقية الإنسان بصيغة السؤال والجواب، ومجمل محتوى تلك العناوين معادة ومكرره في كتب المذاهب السابقة عليه، كلفظ الإبانة مثلاً فقد جاء ذكر لفظ الإبانة في كتاب الرسالة للشافعي بحديث الأحاد بقصة الفريضة بنت مالك⁽²⁾، كما انه نقل الكثير من موضوعات مدرسة أحاديث القلقلة والعنينة لهذا الكتاب، وأيضاً مما أثاره جماعة المتكلمين القدريين وغيرهم حول الأسماء والصفات والمجسمات وهو جدل شكلي فارغ المحتوى من الموضوع، وضع قصداً لخلخلة إيمان الناس بجوهر الدين والتدين، حسب ما جاء في كتاب رسالة إلى أهل الثغر الذي حققه عبدالله شاکر محمد الجنيدي (1413هـ) عن مركز البحث العلمي وحياء التراث الإسلامي - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهذا العنوان وضع لاحقاً وتضمن نفس محتوى كتاب (اللمع) ولكنه توسع هناك بعض الشيء باستخدام لفظ الأجماع الأول، والثاني، حتى وصل إلى الأجماع الحادي والخمسين لعناوين مختلفة ومماثلة لطريقة تأليف مؤلفات سابقة، مثل رسائل اخوان الصفاء، ورسائل جماعة الموحدين الدروز، ومحتوى الأجماع الذي جاء به الأشعري في كتاب اللمع كان مكرراً فقد وضعت جماعة التحريف فكرها المزعوم بفكر السنة والجماعة في بركة ضحلة من التحريف، وغرف منها المتقدمين مثل ابن تيمية وابن القيم الجوزي وغيرهم، وحول البناء الشكلي واللغوي لهذا الكتاب والذي يتقارب مع كتاب الرسالة للشافعي أيضاً وكأنما خرجا الأثنين من حجرة واحدة، أما عن (كتاب شجرة اليقين)⁽³⁾ فقد جاء بعناوين متعددة منها ذكر مبدا خلق آدم، وابواب في ذكر الموت والروح والبعث والحشر، وذكر أهل النار وأوصافها، وأهل الجنة وأوصافها، والصراط المستقيم، وكل هذه الابواب وغيرها تتشابه مع عناوين من كتب فكر مذاهب السابقة، وهي إعادة انتاج ليس ألا مع تغيير طفيف في الشكل، إضافة إلى كونها افكار مستوحاة من العقائد القديمة على سبيل المثال من سفر التكوين - تورااة العبرانيين وكذلك اقتبس كثير من فكر التلمود، وبعض من فكر ديانة الصابئة.

جاء فكر أبي الحسن الأشعري على أحياء آراء أحمد ابن حنبل وأعتبره الإمام المقدم والعالم الفهم الاجل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الظلال، وأوضح به المنهاج، والرد على الآراء المنحرفة التي كان يعتنقها مع جماعة المعتزلة وأهل القدر، ومن تلك الآراء التي عدل عنها الاشعري نختصر بعض منها على سبيل المثال: أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق، وأن النبي سمي المعتزلة مجوس هذه الأمة لزعمهم ان للشر والخير خالقين

(1) انظر كتاب اللمع / لأبي الحسن الأشعري . تقديم د. حمود زكي غراب وقد اقتبس منه مضامين العناوين الرئيسية لعقيدة مؤسس مذهب الأشاعرة .

(2) انظر كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي . ص: 346. تحقيق احمد محمد شاکر . دار العقيدة 2009م

(3) انظر كتاب شجرة اليقين / لأبي حسن الأشعري . تحقيق د. كوني شي كاستيلو 1987م وقد اقتبس منه مضامين العناوين الرئيسية لعقيدة الأشاعرة .

وهما آلهة النور وآلهة الظلام، وأن لا خلود في النار، وأن الله ينزل إلى السماء الدنيا، ونص على عقيدة الأشاعرة فقد أكد أبو الحسن علي الأشعري: على التمسك بكتاب الله وسنة النبي وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، وأنه يأخذ بمجمل ما جاء بالسنة من عقائد متواترة أو أخبار الأحاد ويحتج بها، وأنه يأخذ بظواهر نصوص الآيات الموهمة للتشبيه من غير أن يقع في التشبيه في نظره، فهو يعتقد أن لله وجه ويد وعلم وسمع وبصر، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله، وأن أعمال العباد مخلوقة ومقدرة، وأنه يؤمن بالقضاء والقدر، وأن الله يرى بالأبصار يوم القيامة للمؤمنين من غير الكافرين، وأن الكبائر من زنا وسرقة وشرب الخمر لا تكفر من يأتيها من المسلمين، وأن الخلافة والخلفاء من أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، فهؤلاء أئمة بعد الرسول وخلافتهم خلافة للنبوّة في الدين والدنيا، ويقر بجميع الروايات التي أثبتتها أهل النقل المعروفين لأئمة المسلمين للشعائر والمناسك والعبادات مثل الصلاة وغيرها، والإقرار بإمامتهم وتضلّل من رأى الخروج عليهم، ويقصد بهم مجموع الأئمة الأربعة لمذاهب أهل السنة والجماعة المنضوية بكنف الأشاعرة، ويقر بال عشرة المبشرين بالجنة، ويقر بخرج الدجال، وعذاب القبر ومنكر ونكير، ويقر بحديث المعراج، والصدقة عن الموتى، والقول أن الصالحين يجوز أن يخصهم الله بآياته باسم الكرامة تمييزاً لهم عن المعجزة، وأن الله يؤجج ناراً في الآخرة لأطفال المشركين من أجل اقتحامها من قبلهم⁽¹⁾.

ومن تلك الإقرارات وغيرها من الأفكار التي نقلها لكم من كتاب تاريخ المذاهب سالف الذكر، تتضح الحقيقة جلياً أن مذهب وفكر الأشاعرة فيه من التكرار لما قاله فقهاء مذاهب العنينة حول ذكر مصادر التشريع فذكر القرآن والسنة والأحاديث وكتب التفسير وزاد عليهم بالعقل وديوان امرى القيس والخنساء، وبهذه الاضافة المضحكة وغيرها يثبت لدينا أن الأشاعرة صناعة جماعة التحريف وأن المؤلفات المنسوبة إليه وجدت من أجل إضفاء المشروعية التأصيلية المنهجية لفكر مذاهب الأئمة الأربعة وعلى رأسهم مذهب ابن حنبل المتسم بالتطرف والتبديع والتكفير والتطرف، فقد عمدوا لتحريف كلام الله سبحانه عبر خليط من التفاسير والتأويلات والأحاديث بمختلف درجاتها وبما خطته أيدهم الأئمة من قواعد في أصول الفقه من (الناسخ والمنسوخ - القياس - الأجماع... الخ) بقصد تحريف الأحكام والشعائر والمناسك وفقه العبادات والمعاملات وهو نفس العمل الذي قامت به جماعة التحريف في صناعة مذاهب الشيعة وغيرهم من الفرق والجماعات الدينية، وكذلك نفس العمل والدور الذي قامت به جماعة التحريف في صناعة الأديان والطوائف القديمة أيضاً، مبرئين إبليس من فعل الإغواء بالإضافة لفعل النفس الأمارة بالسوء، كما أنهم يشرعوا شطحات الصوفية في مسألة الكرامات تمييزاً لبعض من الناس، والقول الفاجر عن تأجيح النار لأطفال دون سن التمييز وغيرها من التخاريف، وحول حقيقة صناعة شخصية مؤسس جماعة الأشاعرة أو مذهب أهل السنة والجماعة فإن ذلك الفعل يتشابه كثيراً من حيث المضمون والهدف مع صناعة جماعة التحريف للشخصية المزعومة لمؤلف كتاب الملل والنحل (الشهرستاني) والذي وظف كتابه لإضفاء مشروعية تأريخيه لوجود المذاهب والفرق والجماعات الدينية بعد بعثة النبي محمد

(1) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة من ص 163- 171.

صلى الله عليه وسلم والذي كان يطمح لصناعة مذاهب و فرق و جماعات دينية تفوق السبعين، وهو أيضا طموح الأشاعرة في صناعة مذاهب متعددة باسم أهل السنة والجماعة وأنصارهم مثل أبو بكر البلاقاني - والغزالي - والبيضاوي، ثم جاء الماتريدي على يد أبي منصور الماتريدي من سمرقند وله آراؤه ومنهجه في تحليل الأفعال من حيث الفعل لذاته في الحسن والقبح، والشر والخير، والصفات ويقال ان الماتريدي توسطوا في آراءهم بين المعتزلة والأشاعرة، حسب ما جاء بنفس الكتاب - تاريخ المذاهب لمحمد ابو زهرة سالف الذكر، وكلهم يدورون حول دائرة واحدة من الجدل العقيم الذي لا قيمة له أمام آيات الذكر الحكيم وكلام الله سبحانه في القرآن المبين والمفصل والمحكم والميسر للذكر والادكار.

مذهب الإمام زيد

وينسب هذا المذهب إلى زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد عام (80هـ - 122هـ) ⁽¹⁾ وقتل شهيداً عن 42 عاماً، ونشأ في بيت علم غزير، وقد روي عن أبيه علم آل البيت المشتمل على روايات الأحاديث التي تنتهي إلى علي ابن أبي طالب، وله روايات كثيرة عن طريق التابعين، ونسب إليه المسند الذي جمعه عبدالعزیز بن إسحاق البغدادي، وقد صدر عن دار الكتب العلمية في بيروت باسم "مسند الإمام زيد".

علم الإمام زيد:

درس مع وأصل ابن عطاء علم المعتزلة، ولكنه كان معتدلاً في آرائه عن رأي المعتزلة سافر لطلب العلم للعراق والحجاز، وهو من صحح الفكرة حول الشيخين أبي بكر وعمر، ولم يعتبر الخلافة وراثية، بل يرى أن الخليفة العلوي من نسل علي ابن أبي طالب هو الخليفة الأفضل، ولا يمنع أن يتولى الخلافة من غير العلويين، وقال إن الأئمة غير معصومين، وكما أنه لا يجيز القول بالإمام المستور، غير أن من جاء بعده من طوائف الزيدية قالت بغير ذلك، ومنها (الجارودية)، والهادوية نسبة إلى الهادي يحيى ابن الحسين بن القاسم.

فقه الإمام زيد:

قيل إن زيد لم يدون أي كتاب أو مسند، وإن أبا خالد عمرو ابن خالد الواسطي نقل عنه كتاباً سمي بمسند الإمام زيد، يشبه في تصنيفه تصنيف كتاب الموطأ مع اختلاف بسيط، فمثلاً كتاب الموطأ بدأ بباب الصلاة وكتاب مسند زيد بدأ بباب الطهارة، ومحتواه كمحتوى بقية المساند المنسوبة للفقهاء، كمالك والشافعي وغيرهما، ويدلل على صحة ما يقول من أحاديث العنينة التي روجت لها جماعة التحريف. وما يلفت النظر أن بعض كبار العلماء جرحوا في أبي خالد الواسطي راوي مسند زيد، كالنسائي الذي قال: إن أبا خالد الواسطي ليس بثقة وأنه متهم بوضع الحديث، وأنه شخص يمتاز بالمبالغة، والتضخيم لآل البيت، وأن كثيراً مما رواه ثبت ضعفه كالأحاديث التي رويت عن علي ابن أبي طالب، وفي المقابل هناك من رأى فيه غير ذلك الرأي، وكل هذه الروايات من أجل إضفاء طابع المعارضة، كي تصنع الاطمئنان

(1) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة من ص 633 - 641.

لدى القارئ بصحة الموضوع المقروء. أما فقه زيد أو ما يطلق عليه مسند الإمام زيد لا يختلف كثيراً عن مسند مالك والشافعي، من حيث الشكل والمحتوى، وهو يعطي انطباعاً يوحى بأن مخرجها واحد. وحتى لا أطيل على القارئ بتكرار المسميات، فإنني أضع بين يدي القارئ العناوين الرئيسية لمحتوى هذا المسند، (1) وهي:

- 1- كتاب الطهارة، وفيه (9) أبواب.
- 2- كتاب الصلاة وفيه (43) باباً.
- 3- كتاب الجنائز وفيه (19) باباً.
- 4- كتاب الزكاة وفيه (12) باباً.
- 5- كتاب الصيام وفيه (13) باباً.
- 6- كتاب الحج وفيه (35) باباً.
- 7- كتاب البيوع وفيه (28) باباً.
- 8- كتاب الشركة وفيه (9) أبواب.
- 9- كتاب الشبهات وفيه بابان.
- 10- كتاب النكاح وفيه (13) باباً.
- 11- كتاب الطلاق وفيه (10) باباً.
- 12- كتاب الحدود وفيه (7) باباً.
- 13- كتاب السير والجهاد وفيه (13) باباً.
- 14- كتاب الفرائض وفيه (15) باباً.

وتحتوي هذه العناوين على كم كبير من الأحاديث الدالة على مشروعية هذه الكتب والأبواب، كما هو موجود في المذاهب والفرق الأخرى، فقد عمدت جماعة التحريف إلى التفسير والتأويل الخاطئ للقرآن الكريم في محتوى هذه العناوين من مسند زيد بما يخالف القرآن الكريم جملة وتفصيلاً، وزيد ابن علي رضي الله عنه بريء من هذا كله.

(مظلمة) الإمام زيد:

جاءت مظلمة زيد انطلاقاً من الغايات المرتبطة بصناعة المظالم، فقبل عنه: إنه خرج عام (122هـ)، ضد ظلم بني أمية في عهد الخليفة الأموي هشام ابن عبد الملك، ومعه قرابة أربعمئة مقاتل (رقم يتكرر في الكثير من المناسبات) فقتل وبعد مقتله مُثِّل بجثته، وذكر أنه صُلب في القمامة (الكناسة) تحقيراً له، وقالوا في هذه الواقعة أحاديث مروية، كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد تنبأ بها عن مقتل زيد رضي الله عنه، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم الغيب، وهي أقوال تخالف القرآن الكريم في وصف حال الأنبياء والرسل بكونهم لا يعلمون الغيب، ولا يخبرون بعلوم وأحداث المستقبل، كما في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (الأعراف: 188).

(1) انظر مسند الإمام زيد ابن علي ابن الحسين / جمعه عبد العزيز بن اسحاق البغدادي - مجمل عناوين كتب المسند الرئيسية.

المذهب الإسماعيلي الفاطمي (الباطني)

هو أحد المذاهب المنشقة عن المذهب الاثني عشري الأمامي، ويعد ثاني مذاهب الشيعة بعد المذهب (الاثني عشرية) من حيث عدد الأتباع ويعتقد اتباع هذا المذهب بإمامة إسماعيل ابن جعفر، وفي إطار هذا المذهب هناك فرق خرجت عنه، ومنها: الواقفة الإسماعيلية أو الإسماعيلية الخالصة والمستعلية. وهذه الأخيرة انقسمت إلى المستعلية الحافضية، والمستعلية الطيبية (البهرة). وانقسمت (المستعلية الطيبية) إلى طيبية داودية، وطيبية سليمانية، وطيبية علوية، ونزارية، النزارية انقسمت إلى النزارية المؤمنة، والنزارية القاسمية (الأغاخانية)، ويعود أمر هذه الانقسامات إلى النزاع الحاصل على الملك، والمال الذي يجنى من الأتباع وقد أقاموا عدداً من الحكومات في: المغرب، مصر، واليمن، وسورية وغيرها.

فقه العقيدة الإسماعيلية:

لا يختلف الفقه الإسماعيلي عن فقه المذاهب الإسلامية، ولا سيما فقه مذهب الشيعة الجعفري، غير أن لهم اجتهادات جزئية خاصة بهم، من حيث نفي الصفات عن الله سبحانه وتعالى والتأويل والتفسير المفرط الباطني للقرآن الكريم الذي يكون بعلم الخاصة منهم، واستخدام أحاديث (العنينة) المروية عن أئمتهم، كما أن لهم منهجاً خاصاً بالإمامة، وقالوا رأيهم في عقيدة التوحيد، والعدل وما يتعلق بأفعال الناس، من حيث الجبر والتخيير، والنبوة والرسالة، ويقسمون الرسالة، إلى رسالة عامة، وهي ما أودع الله في الإنسان من طباع ومبادئ عقلية، ورسالة خاصة، وهي الشريعة التي جاء بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ولها ظاهر وباطن، وعلم الباطن علم خاص مقتصر على الأئمة منهم دون غيرهم، كما يعتقدون في الإمامة من حيث تقسيم فهمهم لحركة الأفلاك، من حيث الكبر والصغر، فالدور الكبير هو: الفترة الزمنية الفاصلة بين نبيين وشريعتين، والدور الصغير هو: الفترة الزمنية المتكونة من حياة سبعة أئمة، وقسموا المراتب والمناصب الإلهية إلى ثلاث مراتب: الناطق، وهو النبي المرسل صاحب الشريعة، وهو أعلى مرتبة من الوصي - والوصي هو الفرد الذي يعاصر الناطق، ويكون مساعداً له ويكون بالمرتبة الثانية - وفي المرتبة الثالثة الإمام، وهو من يخلف الوصي، وهم كثر وقسموا الإمامة إلى درجات، هي: الإمام المقيم. الإمام الأساس والإمام المتم والإمام المستقر والإمام المستودع.

ومن قراءة كتبهم الفقهية التي تيسر الحصول عليها نجد أنها لا تختلف عن غيرها من فقه المذاهب الإسلامية ومن تلك الكتب: كتاب دعائم الإسلام، وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، للمؤلف القاضي/ النعمان محمد التميمي المغربي المتوفى (363هـ) وهو مكون من مجلدين؛ الأول غني بالأصول السبعة للإسلام من وجهة نظرهم، والثاني غني بفقه المعاملات وكتاب آخر عن أصول فقه الاختلاف، للمؤلف نفسه. وغيرهما من الكتب التي تتكلم عن المفهوم الباطني والتأويل والتفسير الخاص للقرآن الكريم، فضلاً عن كتب الأسرار الباطنية في تكوين هذا المذهب والفرق والطوائف المنشقة عنه.

ومن الكتب التي لم يتيسر لنا الحصول عليها: كتاب مزاج التسليم حول تفسير الجزء من (11 إلى 20) من القرآن الكريم، وأربعة كتب في الحقائق وأجوبتها، ورسالة الاسم الأعظم وتحفة المرتاد، وغصة الأضداد ورسالة الإيضاح والتبيين في كيفية التسلسل، وكتاب الزينة وكتاب إثبات النبوات وكتاب مخطوطة الإكسير وكتاب إثبات الإمامة وكتاب الرسالة الجامعة.

وتمثل هذه الكتب بعض من الفكر الباطني للمذهب الإسماعيلي وفرقه المختلفة المتوافقة مع مناهج وكتب العقائد الدينية القديمة، وكذلك مع الفكر الباطني في الفرق والمذاهب الإسلامية؛ ومنها فرقة الدروز (الموحدين)، مع وجود فارق هنا وهناك، وتغيير طفيف في المصطلحات، والمفاهيم لإخفاء شبهة من أنها خرجت من مشكاة واحدة، ولهذا فقد عمدت إلى تجزئة المجزأ وتقسيمه، كما هو حاصل بشأن خلق هذا المذهب، والطوائف والفرق المستنسخة، من نظائر لها في العقائد القديمة وحتى لا أخوض في التفاصيل التي قد تثقل كاهل القارئ، ولا سيما أن هذه التفاصيل الفقهية تتشابه مع فقه الشيعة الاثني عشرية، الواردة في كتاب الكافي الذي تمت قراءته والتعليق على أغلب مواضيعه ولكني أجد من الضروري سرد عناوين من كتب فقه هذا المذهب الذي استخدم فيه التأويل والتفسير الخاطي للقرآن الكريم، واستخدمت أحاديث العنينة لبناء أحكام تشريعية للحلال والحرام، وأوجدت منهجية لتأصيل فقهها مساواة بما فعله الشافعي في كتابه "الرسالة" مع بعض التغييرات، وهو ما يؤكد أن كل هذه المذاهب والفرق خرجت من مطبخ واحد ومن تلك الكتب نلخص أهم العناوين:

أولاً: كتاب دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام:

ومؤلفه هو القاضي أبو حنيفة النعمان محمد التميمي المغربي، صادر عن دار المعارف، القاهرة، 1963م، حققه آصف علي أصغر فيضي، وهو مكون من مجلدين نقتبس منه أهم العناوين على النحو التالي: (1)

المجلد الأول: شمل هذا المجلد الأصول لدى الإسماعيلية، وهي:

1. كتاب الولاية: ذكر فيه الولاية كونها أفضل ركن في دعائم الإسلام، منها ولاية علي رضي الله عنه والأئمة من بعده في الدين والدنيا، وذكر منازلهم ووصاياهم ومودتهم والרגائب في العلم وعمّن يؤخذ العلم.
2. كتاب الطهارة: ذكر فيه الوضوء والمياه والاغتسال، وطهارة الأبدان والثياب والسواك والتيمم، وطهارة الأطعمة والجلود والعظام والشعر والصوف وذكر الحيض والاستبراء وغيره، بما يتوافق مع التلمود في أغلب المواضيع.
3. كتاب الصلاة: ذكر فيه مواقيت الصلاة والأذان والإقامة والمساجد، وصفات الصلاة والدعاء والكلام، والأعمال في الصلاة واللباس في الصلاة، وصلاة الجمعة وصلاة العيدين، والسهو في الصلاة وقطع الصلاة، وصلاة الصبي وصلاة المسافر وصلاة

(1) انظر كتاب دعائم الإسلام /أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي - تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي - المجلد الأول والثاني ، اقتبس منه عناوين الابواب الفقية الرئيسية من مجمل المجلدين من اجل التعرف على المنهج العقائدي للمذهب.

الكسوف وصلاة الاستسقاء وصلاة الوتر وصلاة القنوت وصلاة السنة وصلاة النافلة وسجود القرآن وغيرها.

4. **كتاب الجنائز:** وفيه ذكر العلل والعيادات والاحتضار، وذكر الموت والتعازي وغسل الموتى، والحنوط والكفن والسير بالجنائز، والصلاة على الجنائز، والدفن والقبور وغيرها.

5. **كتاب الزكاة:** ذكر فيه الرغائب في إيتاء الزكاة، والتغليظ في منعها، والصدقة وزكاة الفضة والذهب والجواهر والمواشي والصدقات، وزكاة الحبوب، والثمار والنبات، وزكاة الفطر.

6. **كتاب الصوم:** ذكر وجوب صيام رمضان والدخول في الصيام وما يفسده، والصيام في السفر، وذكر الفطر من الصيام، وليلة القدر وصيام السنة والنافلة وذكر الاعتكاف.

7. **كتاب الحج:** وفيه وجوب الحج والتغليظ في التخلف عنه وزيارة المدينة ومواقيت الإحرام والتلبية وما يحرم على المحرم وجزاء الصيد ودخول المسجد الحرام والطواف فيه والمتعة والخروج إلى منى والوقوف بعرفة ومزدلفة ورمي الجمار والهدي والحلق والتقصير وما يفعله الحاج أيام منى والنفر منها والعمرة المفردة وذكر الصيد والإحصار والحج عن الأموات وفوات الحج.

8. **كتاب الجهاد:** ذكر فيه الجهاد والرغائب فيه، وموعظة أمير الجيش، وما يجب على الأمراء فعله قبل البدء بالقتال وصفة القتال وقتال المشركين والحكم في الأسر وإعطاء الأمان والصلح والموادعة والجزية والغنيمة وتقسيمها وقتال أهل البغي والحكم في غنائمهم، وذكر من يسع قتاله من أهل القبلة.

المجلد الثاني: اشتمل هذا المجلد على العناوين التالية: كتاب البيوع، والأحكام والحث على الرزق وما تفرّع عنه من مواضيع متعددة عن البيوع، وما يتعلق به كتاب الإيمان والنذور وكتاب الأطعمة وذكر الحلال والحرام وكتاب الأشربة وما يحل فيها وما يحرم، وكتاب الطب، وذكر الشفاء بالتعاون، والرقي، وكتاب اللباس والطب وما يحل وما يحرم من اللباس وكتاب الصيد وما يحل أكله من الصيد وكتاب الذبائح، وكتاب الأضاحي والعقيقة وكتاب النكاح، وتضمن هذا الكتاب تفرعات كثيرة مخالفاً لعقيدة الاثني عشرية بالتمتع جنسياً بالمرأة وكتاب الطلاق وكتاب العتق، وكتاب العطايا وكتاب الوصايا وكتاب فرائض المواريث وكتاب الديات وكتاب الحدود وكتاب السراق والمحاربين، وكتاب الغصب والتعدي، وكتاب العارية والوديعة، وكتاب اللقطة واللقيط والأبق (العبد)، وكتاب القسمة والبيئات، وكتاب الشهادات، وكتاب الدعوى والبيئات، وكتاب آداب القضاء.

ثانياً: كتاب في اختلاف أصول المذاهب:

ومؤلفه هو القاضي أبو حنيفة النعمان محمد التميمي المغربي. حققه مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت الطبعة الثالثة 1983م، يتحدث هذا الكتاب عن أصول الاختلاف الفقهي، ولم يخرج في كثير من محتواه وهدفه عن سياق مؤلف "الرسالة" للشافعي، التي سبق أن بيّنا فيها

مدى الانحراف والتزييف للمفاهيم والألفاظ والأحكام والشرائع التعبدية التي أصلها الشافعي وما تميز به هذا الكتاب ذكر علة الاختلاف، وقد اشتمل محتواه على ذكر الآتي (1):

- 1- جملة قول المختلفين في أحكام الدين.
 - 2- الرد على المختلفين في أحكام الدين القائلين فيما اختلفوا فيه بآرائهم وأهوائهم.
 - 3- مذهب أهل الحق فيما لم يعلم وجه الحق فيه.
 - 4- أصحاب التقليد والرد عليهم في انتحالهم إياه.
 - 5- البيان على الفرق ما بين التقليد والرد إلى أولي الأمر.
 - 6- أصحاب الإجماع والرد عليهم في انتحالهم إياه.
 - 7- اختلاف الناس في وجوه الحجة بإجماع الأمة ومذهب الجماعة.
 - 8- قول القائلين بالنظر والرد عليهم.
 - 9- أصحاب القياس والرد عليهم.
 - 10- قول القائلين بالاستحسان والرد عليهم.
 - 11- قول القائلين بالاستدلال والرد عليهم.
 - 12- قول القائلين بالاجتهاد والرد عليهم فيما فارقوا الحق فيه.
- ومن نافلة القول إن هذا الكتاب تميز بصياغته السردية المقالة، والغريب أن الإسماعيليين يعملون بأحكام الناسخ والمنسوخ ضمن كتبهم ويجعلون من الناسخ والمنسوخ سبباً لتعطيل القرآن الكريم مستدلين بأحاديث العنينة.

وإذا ما دققنا بقراءة فاحصة لفكر هذا المذهب وطوائفه وفرقه المختلفة سنجد أن أغلب أدبيات هذا المذهب مستقاه من كتب العقائد القديمة (توراة العبرانيين، والتلمود) ومن (الكنزاربا) الكتاب المقدس للصابئة المندائيين وكتب الفكر الزرادشتي (أفستا)، وغيرها من كتب الفكر الإنساني الذي حولت نصوصها جماعة التحريف إلى نصوص دينية عقائدية صبغته بنص الحديث والفقهاء الإسلامي، فقسمت الناس إلى مذاهب مشتتة (سنة، شيعة) وإلى فرق وجماعات لا حدود في تشظيها.

ومن أعمال جماعة التحريف المنظورة للعيان في التفتيت والتقسيم وتجزئية المجرأ ظهور جماعة الموحدين الدروز التي خرجت من رحم المذهب الباطني الإسماعيلي، ونذكرها كنموذج للمقارنة بين فكر هذه الطائفة وغيرها من الطوائف المنضوية داخل الفكر الباطني الشيعي، وإن كادت أن تكون طائفة عقائدية مستقلة عن الطوائف والفرق الأخرى، وقد يعلن لها دين مستقل في المستقبل القريب حسب قول أحد مفكريها.

طائفة الموحدين (الدروز)

تعرف طائفة الموحدين (الدروز) بأنها طائفة عقائدية دينية، بدأ أول ظهور لها في مصر مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي، في عهد سادس الخلفاء الفاطميين الملقب

(1) انظر اختلاف اصول المذاهب / القاضي النعمان بن محمد - تحقيق د. مصطفى غالب. ومن مجمل هذا الكتاب اقتبسنا عناوين لأهم ما يحتوي هذا الكتاب لتعريف القاري بالعقيدة الظاهرة للمذهب الإسماعيلي .

ب (الحاكم بأمر الله). وبسبب المتغيرات الحاصلة آنذاك وقتل الداعية الأول لهذه الطائفة وغيبة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذ عقلها المدبر حمزة الزوزني على عاتقه أمر الدعوى ونقلها من القاهرة المعز بمصر إلى بلاد الشام، إذ كان يعول كثيراً على فكرته الباطنية التي أسس بها طائفة الموحدين حيث كان يأمل على اختراق المذهب الإسماعيلي بمصر ولم يفلح.

وتؤمن هذه الطائفة بمذهب التوحيد الباطني الذي بدأ بفكرة: مؤسسها حمزة الزوزني في عهد الدولة الإسماعيلية الفاطمية وتعود أصوله الفكرية إلى المؤسس الأول (حمزة الزوزني)، إذ يُعدّ مذهب التوحيد أحد المذاهب المُتفرّعة من الإسماعيلية حسب الزعم، في حين أنهم يعدّون أنفسهم فرقة مستقلة في الجانب العقائدي فكان فكرهم بمثابة رأس حربة أطلقتها جماعة التحريف من وسط بلاد فارس نحو اختراق الخلافة الفاطمية في مصر آنذاك، وحمل المدعو حمزة الزوزني هذه الحربة لغرسها في خاصرة عرش الحاكم بأمر الله الفاطمي إلا أنه أخفق، ويعرف الدروز أنفسهم باسم الموحدين، وهو الاسم المفضل لديهم ويقال إنهم من بنو معروف نسبة لقبيلة عربية من عرب الشام، اعتنقت الفكرة في بداياتها، كما قيل وإن أصلهم يعود إلى التتوحيين الذين هاجروا من جنوب الجزيرة العربية (اليمن) عقب انهيار سد مأرب وسكنوا بلاد الشام، وهم موزعون بين جبل لبنان (جبل الدروز) والسويدا والجولان وقنسرين وجرمانا وقرى أنطاكية في لواء الإسكندرونه بسوريا، وفي فلسطين بصفد وعكا والكرمل وطبرية وقليل منهم في الأردن، وهناك عدد منهم هاجروا إلى مختلف دول العالم، مثل: (أستراليا، ألمانيا، بريطانيا، البرازيل وشمال أمريكا)، ويقدر تعدادهم بمليون ونصف تقريباً، وقد جاء في حديث مع أحد زعمائهم ومع أحد الرؤساء المعاصرين للطائفة الدرزية مع أحد الكتاب المعروفين قال: "إن الدروز اعتنقوا الإسلام في مرحلة من مراحل عقيدتهم، ولما كانت العقيدة متطورة عندهم تحولوا عن الإسلام إلى دين آخر مستقل هو الدين الدرزي"، وهناك حوار آخر مسهب للتعريف ببواطن العقيدة الدرزية.⁽¹⁾

نشأة الطائفة ومؤسسها:

نشأت هذه الطائفة كما سبق في مصر مطلع القرن الخامس الهجري القرن الحادي عشر ميلادي تحت رعاية سادس الخلفاء الفاطميين الملقب (الحاكم بأمر الله)، ومن أبرز دعائها الآتي:

أولاً: محمد ابن إسماعيل الدرزي المعروف (بأنوشكتين) الذي لقب بالدرزي نسبة لصانعي الثياب إلا أنه ارتد عن مسار الدعوى بإقدامه على الجهر بها في غير موعدها (408هـ) وتزييف رسائل الحكمة وإدخال البدع، ونتيجة لاختلافه مع حمزة الزوزني الذي كان مقرباً من الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله استطاع هذا الأخير أن يجعل الخليفة يأمر بقتل الدرزي. وكان من أعوان الدرزي (نشكتين) كل من سكين وابن معلا والبرذعي والحبال وغيرهم.

(1) انظر. إسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة . من ص 319- 329.

ثانياً: حمزة ابن علي ابن أحمد الزوزني (375 - 430هـ)، من مواليد زوزن، خراسان، ويُعد مؤسس العقيدة الدرزية والملقب في " مصحف المنفرد بذاته " بالرقيب العتيد، وقد وضع ميثاق أطلق عليه ميثاق وليّ الزمان، ذهب فيه إلى تأليه الحاكم بأمر الله تأليهاً صريحاً، وقد جاء من خراسان إلى مصر قاصداً الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، فاتصل بالخليفة وتقرّب إليه فقربه الخليفة الفاطمي منه، فأصبح من خاصته ودعائه الموثوقين، وبتكليف من الخليفة الفاطمي لإخماد تمرد وادي التيم بالشام، استطاع حمزة الزوزني السيطرة على التمرد، وتثبيت أركان الدعوى الإسماعيلية الفاطمية، في وادي التيم بالشام، ما جعل منه شخصية مقربة من الخليفة الفاطمي، ولقب بعدد من الألقاب لإخفاء أصله وأهدافه التي يسعى إليها، ومنها لقب (الفاطمي) و(عبد مولانا ومملوكه) ثم (هادي المستجيبين).

ويبدو أن (حمزة الزوزني) قد جُنّد من جماعة التحريف لتحقيق أهداف معينة، فجاء يحمل مشروعاً متكاملأً، مدعوماً بتخطيط وتمويل مسبق لتنفيذ أجندة محددة، قُصد من خلالها الولوج إلى سدة الحكم الفاطمي في زهو قوة الدولة الفاطمية ونشر فكر عقائدي جديد يعمل على إحداث تصدع فيها، تمهيداً لهدمها من الداخل، وحين لم ينجح هذا العمل بمصر نقل عمله إلى الشام عبر اختراق جماعة من العرب المسلمين، باسم التدين والفطرة الإيمانية البرية لسكان جبل لبنان، ولما تشتهر به هذه الجماعة من مميزات، منها: القوة، والشجاعة والترابط والانغلاق الاجتماعي القبلي آنذاك، فكانت هذه العوامل هدفاً مهماً كي تكون هذه الجماعة حاضناً للدعوة السرية الباطنية، وعبر لغة التدين وتأثيره على القلوب والعقول استطاع حمزة الزوزني أن يغرس في إناء من العسل العربي النقي ما أراد زرع له لدى هذه الجماعة، فنجحت دعوته لدى عرب وادي التيم، وحواران من بلاد الشام، بعد أن فشلت في مصر مقر دولة الحاكم بأمر الله، وبهذه الفئة من العرب شرع حمزة الزوزني بمساعدة جماعة التحريف في وضع مرجعية فكرية وعقائدية باطنية تميزت بالسرية المطلقة، وما قيل في جملة ما تحويه هذه المراجع من العقائد الإيمانية إنها تؤسس لدين جديد خلافاً لدين الإسلام، ولعدم توفر هذه الكتب في الوقت الراهن ارتأينا عدم الخوض فيها، وحتى تظهر هذه الكتب على السطح، ويظهر معها كل ما هو باطني إلى العيان، فالأجيال الرقمية القادمة من بني الإنسان لن تقبل أن تكون خارج العالم الذي أصبح اليوم قرية واحدة، لا حدود تتحكم بها، ولا أبواب مغلقة يُخفى وراءها فكر التحريف، وأسرار الجماعات التي ظلت طي الكتمان طيلة القرون الماضية، وحيث كان للسفير عبدالله النجار الدور الكبير للتعريف بأسرار هذه الطائفة من داخلها، إذ كان يعمل مديراً للمعارف بجبل الدروز في لبنان وقد فتح نافذة معرفية على إرث هذه الجماعة بمؤلفه (مذهب الدروز والتوحيد) الصادر عن دار المعارف، مصر عام 1965م؛ وكشف بعضاً من أسرار الطائفة المحظورة، ومن هذا الكتاب سوف أحاول الاقتباس منه ما يسلط الضوء على التعريف بهذه الطائفة عن قرب وعلى النحو التالي⁽¹⁾:

(1) انظر مذاهب الدروز والتوحيد / السفير . عبدالله النجار 1965م . يحوي الكتاب أهم مضامين العقيدة الدرزية وقد اقتبسنا منه أهم المواضيع لتعريف القاري بطائفة الدروز من الداخل .

فكر الطائفة وأدبياتها العقائدية:

يرجع فكر الطائفة العقائدي لعدد من المراجع والأدبيات تمثلت عناوينها في الآتي:

1. رسائل الحكمة، وعددها (111) تقريباً.

2. مصحف منفرد بذاته.

3. ميثاق ولي الزمان.

4. النقض الخفي.

سبق وأشرنا إلى أن حمزة ابن علي ابن أحمد الزوزني جاء من خراسان إلى مصر مع جماعة من أعوانه قاصداً سدة حكم الخلافة، وهدفه الرئيس والأول أن يكون قريباً من شخص الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله لكي يسهل اختراق حجب، وحمله على اعتناق فكر عقائدي جديد، كان قد أعدها مسبقاً من شعائر ومعتقدات ممزوجة ومستوحاة من الأديان القديمة (الساسانيين الزرادشتية، والصابئة واليهود، والمسيحية)، وإن كان قد فشل هنا فقد استطاع أن يؤسس طائفة عقائدية في مكان آخر من خلال رسائل الحكمة التي أصبحت أهم المبادئ العقائدية لتلك الدعوة والتي تحوى على أهم العناوين وعلى النحو التالي:

التقية:

نشأت هذه الجماعة على مبدأ الكتمان والاحتراس الشديد في كتمان تعاليمها، فاتخذت مبدأ الكتمان طريقاً لإخفاء عقائدها، والمحافظة على سرية نشرها بين أتباعها، كي لا يكشف أمرها، وتصبح في موقع الرفض والانتقاد من منتسبيها ومن غيرهم، فالكتمان يقيهم من نقمة معارضيهم ومن فضول الغوغاء كما يقولون، وهذا المبدأ في الحقيقة مستوحى من الفلسفة اليونانية القديمة المتمثلة باتباع فيثاغورس، نقله الباطنيون إلى فكر الشيعة والفاطميين والدروز، فصارت من الأفكار الأساسية لمعتقدهم، وبهذه يعدون الفكر اليوناني مثلاً يحتذى به. ولخدمة أهداف مشروع هذه الجماعة قام مؤسسها بتأويل القرآن الكريم خلافاً لمقاصد الآيات.

مراتب الباطنية:

- اعتبر العقل بمثابة الأب والنفوس بمثابة الأم في الوجود الإنساني.
- أظهر النفوس الناطقة فبرزت (الهيولي) وهي مادة الوجود.
- المراتب الخمس، روحانية وجسمانية، لا يدركها إلا الراسخون في العلم الباطني من جماعة الموحدين.
- أوجدوا مصطلحات ورموزاً باطنية محصور فهمها بآناس من خاصتهم، أطلقوا عليهم "الراسخين" في العلم، ويقصد بهم شيوخ العقل، فهم وحدهم من يعرفون بكل النعوت والمترادفات والكنيات.
- ينقسم المجتمع الدرزي إلى قسمين: روحاني، وهم من بيدهم أسرار الطائفة، وينقسمون إلى قسمين: الأول، الرؤساء، والعقلاء، والأجاويد، الثاني، وهو الجثماني، وينقسم إلى

قسمين: أمراء، وجهال، وكل منهما له وظيفته، ومنزلته ودرجته الدينية والاجتماعية ولا يجوز تجاوز هذا التقسيم.

جهاز الدعوى: صُفِّ الدعاة في:

- الدعاة المكلفون والموفدون للأقاليم لنشر دين التوحيد.
- المأذونون وعليهم إدخال الضالين في المذهب.
- المكاسرون المرشدين، وهم من يهدم الضلال ويهدون الناس إلى الباطنية.

مذاهب أهل العقل:

يبين هذا المذهب أن الله خلق العقل من نوره الشعشعاني، وخلق الإرادة من الهولي، فسُمِّي العقل بالسابق، وسُمِّيت النفس بالتالي.

ألف بين العقيدة التوحيدية (الدرزية) وبين الصوفية، فجعل العقل عن الله، وهو قول يشتركون به مع إخوان الصفاء والمعتزلة والإسماعيلية.

وردت العقيدة الإيمانية لدى الشيعة فيما يخص العقل بالجزء الأول من الكافي الذي سرد حديثاً عن محاكاة الله لخلق العقل، وهي قصة سمجة مستوحاة من التوراة سبق التعليق عليها.

وصف ذلك العصر بأنه عصر علم وتدوين وظهور فلسفات كثيرة.

ظهر إخوان الصفاء وهم من الشيعة الباطنية، ومنهم أبو العلاء المعري، ووصف الدروز بأنهم إخوان لإخوان أهل الصفاء.

تأثرت فرقة المعتزلة والصوفية والدروز ببعض الفرق الكلامية لليهود والنصارى والمسيحيين، والبوذية والفلسفة اليونانية القديمة (فيثاغورس)، وهذا يعني أن هذه الفرق جاءت من منبع واحد.

التقصص والمصير والتناسخ والمسح:

أكد حمزة الزوزني على أن التقصص غير التناسخ، وهو كشف الغطاء عن أسرار الروح ومصيرها الخفي، وقال إن الأرواح والأنفس خلقت من العقل الكلي، ومن نوره الروحاني، وهي محدودة ومعدودة عند الله.

البشر هم السواد الأعظم سواء في العالم العلوي أم في العالم السفلي، وهذه أفاظ مقتبسة من الفكر الزرادشتي (كتاب أفتا)، ومن الكنز رابا للصابئة المندائية.

قال: إن النفس تتقمص الجسم البشري أو تتلبسه، وعند الموت تنتقل لجسم آخر دون تمييز متناسين الكثير والكثير من آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن النفس، ومنها قوله جَلَّ في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1). وقوله جَلَّ في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ (الفجر: 27، 28). وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: 185). وقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (الشمس: 7، 8).

يصف حمزة الزوزني نفسه بالمسيح أو يقارن مسيرة حياته به من حيث (مولده وعودته)، ويتبين ذلك من خلال رسائله وأدبيات الطائفة.

أما المسخ: فقد أشارت رسائل حمزة الزوزني وجماعته بنفي المسخ، وأنه بمعرض الذم والتوبيخ، غير أنه استبدله بالتقمص خشية أن يفهم من التناسخ عقاب الأرواح الخاطئة بتناسخها، أي بمسخها في أجساد الحيوانات، فقال: إن المسخ من أقسام التناسخ، والرسخ انتقال الروح إلى النبات، والفسخ انتقال الروح إلى جماد، وهذه الفكرة بعض منها مستوحاة من الكنزاربا (الكتاب المقدس للصابئة) وغيره.

أما عما أنزله الله من عذاب على بعض نفر من الناس من بني إسرائيل، فجعل منهم بمنزلة القردة، والخنازير هو استدلال خاطئ، فإذا ما عدت إلى القرآن الكريم حول الروح فقد حسم الله سبحانه وتعالى الجدل فيها بهذا السؤال، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 85)، وقد تكلمنا عن الروح بشكل مستفيض، وبعنوان مستقل من هذا المؤلف الجزء الثاني، أما عن المسخ، فقد وردت آية واحد في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (66) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ (يس: 66، 67)، فالآية واضحة لا يراد منه انتقال الروح من مكان لآخر أو تغيير في الخلق، بل إن الآية تتحدث عن إرادة المشيئة الإلهية في العقاب من خلال وضوح الآية بالقول (وَلَوْ نَشَاءُ)، وهو ما يفقه أي (يفهم) من هذا الآية عن التغيير في الخلق، كحالة عقابية فكان بفعل الكينونة الإلهية المنبثقة عن أمر الله سبحانه وتعالى (كن فيكون)، وهو أمر يقبل التسليم به إيماناً بفعل الخالق العظيم ذي القدرة الأزلية في الخلق والتكوين، فكان هذا العقاب محصوراً بسبب الأشخاص المحددين بالنص، والحدث في الزمن والمكان، ولا يمتد لغيره، وفقاً للمبدأ المعروف بقوله جلّ في علاه: ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء: 15)، وفق ما يعرف ب (شخصية العقوبة)، وقد وردت نصوص في القرآن الكريم تبين هذا الأمر وإنزال العقاب على نفر من بني إسرائيل الذين اعتدوا في السبت، وعتوا عن أمر ربهم، وعما نهاهم، فحل بهم أمر العقاب كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (البقرة: 65). وفي قوله جلّ في علاه: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: 60). وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (الأعراف: 166).

التخيير والثواب والعقاب (يوم الدين):

قالوا: من العدل اقتضى التخيير، كما ورد عن منهج إخوان الصفاء الذين أكدوا على القول بأن الجحيم من عالم الفساد، وهو موطن الأشرار الآثمين، ويوم الدين يوم قرب الحساب، والعرض على رب العباد.

التوحيد والتجلي وأسفار الخليفة:

وقد خاضوا الدروز كغيرهم من المعتزلة والفرق الكلامية حول الكيفية ووصف الله وهيته في الوقت الذي لا يستطيعون إدراك خلق أنفسهم، ولا إدراك خلق الكون من حولهم وما يحوي من كواكب ونجوم ومجرات لا حدود لها، غير أنهم يتدرجون في وصف الخالق نزولاً إلى وصف مولاهم الحاكم بأمر الله الفاطمي وفق ما لبس عليهم حمزة الزوزني وجماعته، كما تكلموا عن تقسيم جدلي في خلق الإنسان الذي بين الله سبحانه وتعالى خلقه في القرآن الكريم وما أورده حمزة الزوزني عن أسفار الخلق يتشابه مع رواية الخلق في توراة العبرانيين، ويمزجها بمصطلحات من كتاب الكنز رابا للصابئة، ومن عقائد اليزيديين، ومما أورده في هذا الأمر ما يلي:

- خلق آدم الصفاء الكلي من النور المحض، ونفخ فيه من الروح بعد ملايين السنين، وكان اسمه (شطنيل).

- خلق آدم العاصي الجزئي لإغواء الشيطان له، فهو أخنوخ، ولقبه (حواء).

- خلق آدم الناسي، وهو شرخ ثاني حجة آدم الصفاء، واسمه الآخر (شيث) ولقبه الناسي.

- خلق الشيطان، وهو غير إبليس الذي أظلهما أو أزلهما الشيطان، والحية كانت داعية من قبل (أخنوخ) واسمه (أنيل)، والطاؤوس كان مأذوناً في الدعوة، واسمه (طابوخ).

وهذه من المصطلحات والألفاظ التي تنتمي إلى معتقد اليزيدية عبدة إبليس الذي يرمز له ب (الطاؤوس - ملك)، ويرمز بها عنده لأحد الملائكة، كما يقولون إن هذا الملك اسمه (عزأزيل) الذي نجح في اختبار عدم السجود لآدم، ويقصد به إبليس، وما نراه هنا أن إبليس غير الشيطان وهذه الرواية في تمجيد عزأزيل وردت في سفر اللاويين من توراة العبرانيين، وهذا يؤكد انتماء حمزة الزوزني إلى جماعة التحريف، فضلاً عن تأكيد هذه الشواهد على نهج هذه الجماعة في كل زمان ومكان، وسعيها في تضليل الناس عن منهاج الهداية.

الرقم (7) ودلالته الرمزية:

وقد جعلت من الرقم سبعة ذا دلالة إعجازية بتوافقه بين ما خلق الله سبحانه وتعالى في الكون من سبع سماوات وسبع أرضين وسبع علل روحانية، وسبع مقامات وسبعة أئمة وسبعة أوصياء وسبع فرائض، وسبعة أيام وسبع مقبلات وسبع مدبرات وغيرها، وجعل منه رمزاً يتمثل مع عمل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بإنارته للشموع في المدينة طيلة سبع سنوات، ولبس الصوف سبع سنوات، ومنع النساء من الخروج ليلاً سبع سنوات وغير ذلك، وهو أمر يدل على خلط الخرافة بالعقيدة الإيمانية للناس، وحملهم عليها بالقوة، وهذه الأعمال والأقوال مقتبسة من إرث العقائد القديمة ولا تمت للدين الإسلامي بصلة.

الخليفة الفاطمي (الحاكم) وحمزة الزوزني:

حكم الخليفة الفاطمي، الحاكم بأمر الله (25) سنة، من (386هـ) حتى اختفى في عام (411هـ)، وقد اعتبر حمزة الزوزني يوم مولد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله يوماً له مكانة دينية، وحدد تاريخ مولده في مساء الخميس (23 ربيع الأول، عام 375هـ)، كما أتخذ حمزة الزوزني من هذا التاريخ: (يوم الخميس 23 ربيع الثاني عام 375هـ) تاريخاً لمولده، بهدف

إضفاء سمة التقارب والود بينه وبين الخليفة، ومن ثم طابع القدسية لهذا اليوم الذي أتخذة الموحدون للصلاة فيه احتفاء بهذه المناسبة ومما عرف عنه:

- لقب نفسه (عبد مولانا ومملوكه).
- رفع من شأن الخليفة الفاطمي لدرجة مخاطبته بصفات الألوهية من خلال رسائله (مولانا سبحانه).
- رفض الاعتراف بوفاة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، وقال إنه سيعود لتطهير الأرض من الشر، وهو موقف مقتبس من العقيدة الزرادشتية والصابئية وتوراة العبرانيين، والنصارى، وفقه الحديث الإسلامي حول عودة المخلص أو المهدي المنتظر.
- أدخل برائله مصطلحات وتعابير دخيلة على أدب الإنشاء، منها: (أخنوخ، هرمس الهرامسة، وبارخداي، وكرديو بكرديو، وحق ميزه بترديو).
- إضفاء جانب التضخيم في وصف الحاكم، على نحو: (العلي الأعلى، تعالى سلطانه علواً عالياً علانياً). وهي أوصاف استخدمت في وصف آلهة الصابئية في (كتاب الكنز ربا)، وفي عقائد المجوس.
- أورد وصف الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بأوصاف إلهية كثيرة، منها أثناء رفعه لكتاب (النقض الخفي)، فقال في إحدى رسائله: (رفع هذا الكتاب إلى الحضرة اللاهوتية في شهر صفر سنة 408 هـ وهي أول سنة ظهور عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف مولانا جل ذكره لا شريك له، ولا معبود سواه وحسبنا مولانا وحده).

صرح بدعوته الظاهرة خلال السنوات 408 و410 و411 هـ، أما سنة 409 هـ فكانت سنة الغيبة، وقيل: إن كل أعماله كانت بمباركة الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الذي اختفى في سنة 411 هـ.

الفكر العقائدي للدعوة:

استطاع حمزة الزوزني جمع خليط من الأفكار العقائدية من مجمل الفكر اليهودي، الصابئية، الزراشتية، اليزيدية، النصارية، وبلورتها في قالب جديد لخلق عقيدة جديدة، هي عقيدة الدروز الموحدين، وهو عمل جماعة التحريف بكل زمان ومكان، وكان آخرها تخليق جماعة البهائيين وجعلهم كدين، وهو أمر مستمر ما دامت البيئات الحاضنة موجودة. ونراه، أي (حمزة) يثير جدلاً حول عناصر الوجود، وفق الفكر الزرادشتي والصابئية، من حيث خلق الإنسان وارتباطه بالروح والعقل والتكوين، ثم يتكلم عن عناصر الوجود، ويقرر أن البارئ هو الإله العال، وكل شيء معلول بعلته، وعلته هي العقل المبدع، أما العال، فإن العقول تقف حسرى عن الإدراك اللاهوتي، وأما المبدع فهو الجوهر الأزلي، ومحرك الحركة، وهما متلازمان، ثم انفعّل الفعل، ففعل فعلاً هو دونه فكان ذلك عالم النفس الشريفة. ثم بيّن أن آدم

الصفاء الكلي هو علة العلل، ينتقل من صورة إلى صورة كما يشاء معلها الأحد الصمد حسب زعمه.

وعن عقيدة الموحدين – الدروز أيضاً:

ومن كتاب إسلام بلا مذاهب والذي جاء بنصوص مقبسة من مصحف المنفرد بذاته راينا من الأهمية اقتباس بعض منه لأثراء الموضوع أكثر، والتعرف على قيام حمزة الزورني بتأليه الحاكم من خلال وضعه نصوص تتوافق مع آيات القرآن، وأخرى فيها تحريف لنص آيات القرآن وأخرى يدمج الآية مع كلامه المحرف أو على نحو من ذلك في كتابه المزعوم المنفرد بذاته، والذي يعد أحد كتبهم المقدسة وعلى النحو الآتي:

النص الأول من كتاب المنفرد بذاته: (ولولا إذ رأى ربك الحاكم تقلب وجهك إليه، فأعطاك لهم آية إثر آية ترضاها، والآن فإن كبر عليك إعراضهم، فخذ نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء،.....الخ).

النص من القرآن الكريم: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الأنعام (35).

النص الثاني من كتاب المنفرد بذاته: (وما كان لموحد ولا موحدية إذا قضى مولانا الحاكم الباري أمراً من أمور دنياهم أو نسخ حكماً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم،.....الخ).

النص من القرآن الكريم: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴾ الأحزاب (36).

النص الثالث من كتاب المنفرد بذاته: (ولقد من مولانا على ذرية آدم، إذ حملهم في البر والبحر ونجّاهم من نهج الظالمين، وهداهم النجدين).

النص من القرآن العظيم: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء (70).

ثم يأتي بنص من كتاب المنفرد بذاته يتهم فيه عن الصلاة بقوله (لقد ضلّ قوم اتجهوا بأجسادهم إلى بيت حجارة قلوبهم.....الخ) (1)، وهو بذلك يأخذ بعض من آية من القرآن ويدمجها بكلامه السقيم المحرف ليصطنع نص دينياً مشوهاً.

هذه بعض الأمثلة من النصوص التي حاولت جماعة التحريف دسها هنا وهناك في كثير من المذاهب والجماعات والفرق الدينية، وما زالوا يدسون هذه السموم حتى وقت قريب كان آخرها كتاب الأقداس – ككتاب مقدس للبهائية على نفس هذا النسق الصوتي والجرس السمعي المقتبس من آيات القرآن الكريم والذي تحولوا لدين جديد في القرن التاسع عشر الماضي.

(1) انظر إسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة. ص 286، 287.

ومع كل ما سبق فإن الموحدين الدروز، سواء أكانوا مسلمين أم على دين آخر، فإن الحقيقة الناصعة أن أغلبهم كانوا وما يزالوا عقل العروبة النابض، بمواقفهم الوطنية في مقاومة المستعمر الغازي على الأراضي العربية الشمالية في بلاد الشام وفلسطين، وحسبنا من شارك منهم بحركة التحرر، وسيظلون كذلك رمزا لمسيرة النضال، وسيبقى الانتماء العربي للأرض والإنسان هويتنا الوطنية الجامعة، والدين لله سبحانه يهدي به من يشاء وما نملك إزاء ذلك إلا أن نستشهد بقول الله سبحانه: **قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل (125)**، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدينا وإياهم للحق المبين، وأختتم هذا العنوان بقول الله: **قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: 29)**.

جماعات الصوفية

في قضية تحديد ماهية الجماعة ومن خلال أعداد متفرقة من العناوين من المراجع المدونة في الكثير من المؤلفات، لخصت أهم التعريفات عن جماعة الصوفية ذات المناهج والفرق المتعددة والتعريف اللغوي لكلمة صوفية، فقد قالوا بتعريفها: إنها ليست عربية، وذكر القشيري في كتابه الرسالة: «أن ليس لهذا الاسم أصل في اللغة العربية»، وقد أرجعها الباحثون والمؤرخون المختصون في علوم الديانات القديمة إلى أصل يوناني، هي كلمة: (سوفيا)، ومعناها الحكمة، وأول من قال بهذا الرأي (البيروني). وقال محمد جميل غازي: الصوفية كما نعلم اسم يوناني قديم مأخوذ من الحكمة (صوفيا) وليس من الصوف وينقل الكاتب ماسينيون عن عدد المستشرقين بأن أصل التصوف مشتق من "التيوصوفية" والتأصيل ب: الـتيوصوفية يذكرها أيضاً المرجعية الصوفي عبد الرحمن بدوي، وينقل عن مستشرق ألماني هو فول هومر، قوله: "إن هناك علاقة بين الصوفية والحكماء العراة من الهنود، وإن ما يُطلق عليها من الأسماء، أو ما حدث للاسم من التصحيف، فقيل: إنه من الصوف أو غير ذلك فليس حقيقة"(1).

أما جماعة الصوفية المسلمون فإنهم يرفضون تلك النسبة، ويقولون: إن التصوف ما هو إلا التطبيق العملي للإسلام، وليس هناك إلا التصوف الإسلامي المستمد مشروعيته من أحاديث العنونة، ومنها الحديث القدسي المروي عن الله، (إن من عاد لي ولياً، فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، إلى قوله.....كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ويكفي الرد على هذا الحديث بالقول: لا يعقل أن يأتي الله سبحانه بحديث قدسي خلافاً للقرآن، إذا فكل الأحاديث القدسية محض كذب وافتراء على الله، كما أن المطلع الفاحص لهذا الحديث يدرك

(1) انظر تاريخ التصوف الإسلام / د. عبد الرحمن بدوي 1975م من ص1-14.

مدى ركاكة ألفاظ هذا الحديث الغير مهذب والذي يصور الله سبحانه بهيئة جسمانية، وبقراءة هذا الحديث تجد مدى السفسطة والتطاول على ذات الله في هذا التشبيه.

وتعتقد الصوفية في الأولياء عقائد شتى، فهم يدعون أنهم سنة أشاعرة لأشادة زعيم الأشاعرة أبو الحسن الأشعري بكرماتهم ضمناً،⁽¹⁾ ولهم ميول للفقہ الشيعي، بل ولكل عقائد الأديان الأخرى، فمنهم من يفضل الولي على النبي، ومنهم من يجعل الولي مساوياً لله في كل صفاته، فهو يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويتصرف في الكون، ولهم تقسيمات للولاية، فهناك الغوث، والأقطاب، والأبدال، والنجباء، ومنهم من لا يعتقد بذلك، ولكنهم أيضاً يأخذونهم وسائط بينهم وبين ربهم، سواء كان في حياتهم أو بعد مماتهم، ونجد للصوفية قولاً في التوحيد والصفات والقدر وغير ذلك من الموضوعات التي خاص فيها المتكلمون.

وتجرى طريقتهم في الغالب على طريقة متكلمي أهل السنة من ماتريدية وأشاعرة وغيرهم، نموذجاً من أدعية أبي يزيد البسطامي قوله: (إلهي إن كان في سابق علمك أن تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقي فيه حتى لا يتسع معي في النار غيري)، وهو بذلك يريد أن يجعل من نفسه وقاء من عذاب النار عن الآخرين، بمعنى أنه أرحم من الله على خلقه، بتصوير نفسه فداء ومخلصاً للبشرية من ذنوبها وهو شبيه بقول جماعة من النصاري عن صلب المسيح رمزاً للتضحية وفداء للبشرية للتخلص من ذنوبها، وهذا يخالف القرآن الكريم الذي يبين أن رحمة الله وسعت كل شيء، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف 156) كما أن (البسطامي) يقول: لو شفعتني الله في الأولين والآخرين لم يكن ذلك عندي بكثير: غاية الأمر أنه شفعتني في لقمة طين! وهذه المقولة تتشابه مع قول إبليس وفق ما جاء في مدلول قوله اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ (الإسراء: 61). ويقول محيي الدين ابن عربي:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة	فرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف	وألواح تورا ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت	ركائبه فالحب ديني وإيماني

والقارئ لهذه الأبيات الشعرية يثني عليها لما يخیل له بأنها تحمل بين سطورها من التسامح والمساواة بين كل الناس إلا أنها تحمل في الوقت نفسه مفاهيم متناقضة كالمساواة بين الإيمان والكفر وبيت الأوثان والكعبة وما بين التوراة والقرآن الكريم، ومعلوم أن هذا الخطاب لا يرقى إلى مستوى خطاب القرآن المفصل بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13). ومثله جاء في كلام جلال الدين الرومي وابن الفارض بأنهم لا جسم

(1) انظر تاريخ المذاهب الإسلامية / محمد ابو زهرة ص 168،

ولا روح ولا نفس ولا من عناصر الطبيعة ولا من وطن معين، ولا هوية معينة وإيمانهم بكل المعتقدات في وحدة واحدة من الوجود، من يهودية وبرهيمية ونصرانية وزرادشتية وغيرها، وهكذا تريد جماعة الفكر الصوفي تجميع إيمان الإنسان وإفراغه من محتواه، بحيث يبقى أجوفاً، لا قيمة له، قال أحمد ابن عجيبة: "مقام الإسلام يُعبر عنه بالشرعية، ومقام الإيمان بالطريقة، ومقام الإحسان بالحقيقة، فالشرعية: تكليف الظواهر، والطريقة: تصفية الضمائر، والحقيقة شهود الحق في تجليات المظاهر، فالشرعية أن تعبده، والطريقة أن تقصده، والحقيقة أن تشهده.

وقال أيضاً مذهب الصوفية العمل إذا كان حدّه الجوارح الظاهرة يُسمى مقام الإسلام، وإذا انتقل إلى تصفية البواطن بالرياضة والمجاهدة يُسمى مقام الإيمان، وإذا فتح على العبد بأسرار الحقيقة يُسمى مقام الإحسان، وهكذا فكثيراً ما استخدموا مصطلحات مقتبسة من التوراة والإنجيل وأعمال الرسل والتلمود مثل: الشريعة، والظاهر، والباطن، والطريقة، والحقيقة آخذين بالتفسير والتأويل المغلوط للقرآن الكريم وفق ما يعمل به الفكر المذهبي الشيعي، كما أنهم وغيرهم من الفرق والمذاهب درجوا على تعريف الإحسان بكونه قلب الحقيقة الصوفية، وأعلى مراتب الاتصال والمكاشفة بالأسرار الربانية التي يختص بها عباده المتصلون بنوره من مشايخهم الذين يصلون لهذه المرحلة عن طريق تصفية البواطن لبلوغ مرحلة الإحسان والاتصال، مستدلين على ذلك بكثير من أحاديث العنينة والقلقلة، ومنها الحديث المشهور لفهم معنى الإحسان المروي عن جبريل: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). وهو منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول إلى الله، أي الوصول إلى معرفته والعلم به، عن طريق الاجتهاد في العبادات، واجتتاب المنهيات وتربية النفس وتطهير القلب من الأخلاق السيئة وتحليلته بالأخلاق الحسنة.

وأصحاب هذا المنهج يقولون إنه يستمد أصوله وفروعه من القرآن والسنة النبوية واجتهاد العلماء فيما لم يرد فيه نص، فهو علم كعلم الفقه له مذاهبه، ومدارسه ومجتهدوه وأئمة الذين شيّدوا أركانه وقواعده، كغيره من العلوم، جيلاً بعد جيل حتى جعلوه علماً سموه: بعلم التصوف، أو علم التزكية، أو علم الأخلاق، أو علم السلوك، أو علم السالكين إلى الله، فألفوا فيه كتباً كثيرة، بيّنوا فيها أصوله وفروعه وقواعده، ومن أشهر هذه الكتب: الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري، قواعد التصوف للشيخ أحمد رزوق، وإحياء علوم الدين للغزالي، والرسالة القشيرية للقشيري، والتعرف على مذهب أهل التصوف لأبي بكر الكلاباذي، وغيرها، وكل القواعد والكتب والأبحاث التي شيّدوها تتهاوى أمام المعرفة الحقة لمعنى الإحسان في القرآن الكريم، ولو كان هؤلاء المشايخ والكتاب فطنوا وفهموا كتاب الله على الوجه الميسر في الفهم والإدراك بالعقل والقلب السليم لأدركوا المعنى الحقيقي للإحسان الذي ورد بمعناه الواضح في القرآن الكريم فلا يقبل الجدل، غير أن نوازع الضلالة كانت المحرك الأساس فيهم، فاستخدموا القرآن الكريم كحق أرادوا من خلاله الباطل، ثم شرعوا لاستخدام أحاديث العنينة لتأسيس بنائهم على شفا جرف هار فانهار بهم من قاعدته التي بنوها ريبة بين المؤمنين. وللتعريف "بالإحسان" الذي جاء القرآن الكريم به تعريفاً مفصلاً خلافاً

لتأويلاتهم الباطلة التي تفرقوا بها إلى أكثر من عشرين فرقة وطريقة. وزعموا القول: إن الإحسان ورد في القرآن الكريم على نواحٍ مختلفة وفقاً لما ذهبت إليه تلك الجماعات في أحاديث واجتهادات ملتبسة بفهم مغلوط لمعنى الإحسان، ولإزالة هذا الفهم المغلوط، نذكر أن الإحسان: هو كل عمل أو قول أو عطاء أو عفو أو جزاء أو فضل أو غيره من أعمال البر والإحسان على قاعدة وما جزاء الإحسان إلا الإحسان، وهو كل ما يقوم به الإنسان لخدمة أخيه الإنسان بغض النظر عن دينه وعرقه وجنسه، يتضح ذلك من خلال تعدد لفظ الإحسان بأكثر من مناسبة، وموضوع وفق موقع اللفظ بآيات القرآن الكريم الذي يخالف قولهم: من إنه عبادة وركن من أركان الإيمان، مع العلم أن الإسلام والإيمان لا أركان لهم، فالمعلوم أن الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه للناس بما اشتمل من الفضيلة والوعظ والإرشاد والصراف المستقيم والحلال والحرام والشعائر والمناسك والأحكام وافعل ولا تفعل، والإيمان هو شعور نفسي وحالة من العلم والاعتقاد يتبعه الانصياع والعمل بهذا الدين، ومما اشتملت عليه أعمال دين الإسلام، العمل بالإحسان الذي نوضحه بما يلي:

الإحسان للوالدين: وكذلك لذوي القربى واليتامى والمساكين وللناس جميعاً؛ مؤمنهم وكافرهم، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (البقرة: 83).

الإحسان للجار: والجار ذي القربى والصاحب بالجانب وابن السبيل وملك اليمين من الناس، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (النساء: 36).

كما أكد على الإحسان للوالدين كحق طبيعي لاستمرار العلاقة الأسرية في المجتمعات قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...﴾ (الأنعام: 151)، ويرد بصيغة الوصية لتأكيد حق الإحسان للوالدين جرّاء الرعاية الطبيعية للإنسان بمراحل عمره المتغير، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا...﴾ (الأحقاف: 15).

الإحسان: عفو أولياء دم المقتول، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: 178).

الإحسان: بمعنى العطاء والعطف والمودة والرحمة للمرأة المطلقة بعد تطليقها من زوجها جبراً لخطرها، ولكي لا تكون مكسورة في المجتمع، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِحِي بِإِحْسَانٍ...﴾ (البقرة: 229).

الإحسان: باب للاستعطاف وطلب الود عند حلول المصائب، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ (النساء: 62).

الإحسان: جبر النفوس عند تطبيق العدل وإقامته بين الناس، ويفهم منه الزيادة في العطاء أو في القول الحسن أو العمل الحسن أو غيره ما يعين على إقامة العدل وصلة ذوي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل 90).

الإحسان: بمعنى الأفضلية في اتباع سبيل الهداية مع الرسول لجماعة محددة من الناس لمختلف الرسل وهم المهاجرون والأنصار، ولكل من يسلك المنهج نفسه، قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ...﴾ (التوبة: 100).

الإحسان: بمعنى الخيرية في التعامل كقاعدة عامة للجزاء الأفضل بين الناس من دون تمييز في الدين والعرق واللون، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: 60).

وقد انتشرت حركة التصوف في العالم الإسلامي بدءاً من القرن الثالث الهجري بنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميزة متنوعة معروفة باسم الطرق الصوفية والتاريخ الإسلامي زاخر بأشخاص انتسبوا للتصوف، مثل: الجنيد البغدادي، وأحمد الرفاعي، وعبد القادر الجيلاني، وأبو الحسن الشاذلي، وأبو مدين الغوث، ومحبي الدين ابن عربي، وشمس التبريزي، وجلال الدين الرومي، والنووي، والغزالي وأغلبهم خرجوا من العبادة الفارسية واليهودية، مضلين عامة المسلمين تحت غطاء الزهد والإحسان والتقشف، متلاعبين بمصطلحات الشريعة والحقيقة والظاهر والباطن على غير هدى وبصيرة من القرآن الكريم، ولم يكتفوا بنشر الضلالة في زمانهم بل شَرَّعُوا لاضلالاتهم كتباً خطوها بأيديهم، مصنفين ما ابتدعوه علماء، وموصفين أنفسهم بالعلماء وهو عمل منظم كان لجماعة التحريف الدور الأبرز فيه، وقيل إن من أوائل من كتب في التصوف:

1. الحارث المحاسبي، المتوفى سنة 243هـ، ومن كتبه: بدء من أناب إلى الله، وآداب النفوس.
2. أبو سعيد الخراز المتوفى سنة 277هـ، ومن كتبه الطريق إلى الله ورسالة التوهم.
3. أبو عبد الرحمن السلمي، المتوفى سنة 325هـ، ومن كتبه "آداب الصوفية".
4. أبو نصر عبد الله ابن علي السراج الطوسي، المتوفى سنة 378هـ، وله كتاب "اللمع في التصوف".
5. أبو بكر الكلاباذي، المتوفى سنة 380هـ، وله كتاب "التعرف على مذهب أهل التصوف".
6. أبو طالب المكي، المتوفى سنة 386هـ، وله كتاب "قوت القلوب في معاملة المحبوب".

7. أبو قاسم القشيري، المتوفى سنة 465هـ، وله الرسالة القشيرية، وهي من أهم الكتب في التصوف.

8. أبو حامد الغزالي، المتوفى سنة 505هـ، من كتبه إحياء علوم الدين، "متن الأربعين في أصول الدين"، منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، بداية الهداية، ويعد كتاب إحياء علوم الدين أشهرها.

ثم شهدت الصوفية بعد جيل الجنيد قفزة جديدة مع الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" (1) الذي يستند إلى تأويل القرآن الكريم واستخدامه المفرط لأحاديث العنقة والقلقة، محاولاً تأسيس العلوم الشرعية بصياغة تربوية، تلاه كثير من رجال الصوفية الذين اعتمدوا هذا المنهج، أبرزهم عبد القادر الجيلاني، ثم أخذ التابعون هذه الأذكار وسميت الطريقتان: بالبكرية نسبة للخليفة (أبي بكر)، والعلوية نسبة ل (علي ابن أبي طالب) حسب زعمهم، ثم نقلت الطريقتان لتلتقي عند الإمام أبو القاسم الجنيد، ثم تفرعتا إلى الخلوتية، والنقشبندية، واستمر الحال حتى جاء الأقطاب الأربعة السيد أحمد الرفاعي، والسيد عبد القادر الجيلاني، والسيد أحمد البدوي، والسيد إبراهيم الدسوقي، وشيدوا طرقهم الأربع، وأضافوا إليها أورادهم وأدعيتهم، وتوجد اليوم طرق عديدة في أنحاء العالم، وكلها مستمدة من هذه الطرق الأربع، ويستخدمون هذه الأوردة للذكر، وهي عبارة عن أقوال وأدعية من تأليف مشايخهم ممزوجة بأدعية وآيات من القرآن الكريم، وتردد فيها أسماء الله، وصفاته، مستخدمين الدفوف والتمايل والرقصات طرباً وسجاً مقتبسة طريقتها من كتاب الكنزاربا وكتاب المزامير، ونشيد الإنشاد بالعهد القديم، وما تفعله طائفة النصاري في قداسهم في الكنائس.

عقيدة الصوفية في الأولياء:

للولي في عقائد الصوفية عدداً من الأقوال منها أنه عبد لله، اختصه الله بعنايته وتوفيقه واصطفاه من بين عبيده، وهو عبد لا يضر ولا ينفع بذاته كباقي البشر، وهو دون الأنبياء في المرتبة والمنزلة، إذ لا أحد يصل إلى رتبة الأنبياء مهما ارتقى في مراتب الولاية، لذلك فالولي عندهم ليس بمعصوماً عن الخطأ، إلا من عصمه الله هذا القول في الظاهر، بينما في الباطن الولي له الأسرار والاتصال والكرامات، بل والمعجزات، ويستشهدون بالآية القرآنية قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ يونس: 62، 63)، وفي أحاديث العنقة، كما في الحديث القدسي: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)، وهم بذلك كغيرهم من الفرق والمذاهب التي تأخذ بالتأويل الخاطئ، واجتزاء نصوص القرآن الكريم لتحملها على غير محلها، وتوظفها على غير مقصدها، فهذه الآية يندرج فهمها بتصوري ضمن آيات سبقته تحت على وصايا متعددة للناس، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ أَلَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ، وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ

(1) انظر أحياء علوم الدين / أبي حامد الغزالي - عالم الكتب (مكتبة عبد الوكيل الدروبي) وما يغلب عليها من حشر الأحاديث الضعيفة وغيرها بقصد التحريف ومخالفة القرآن .

عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ، وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ، إِلَّا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64) وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، (يونس: 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65).

وهنا تتضح عقيدة الأولياء الحقيقية، وأنهم من يتبع منهاج الله سبحانه وتعالى في تطبيق المواعظ والفهم والإرشاد لأتباع ما أنزل الله سبحانه وتعالى من الحلال والحرام، وتجنب الافتراء والكذب على الله سبحانه وتعالى، هذه الأعمال، سواء كانت صغيرة أو كبيرة، فإن الله سبحانه وتعالى يكون بها عليماً، وهنا يؤكد الحق سبحانه وتعالى على مجموعة من أعمال المؤمنين الذين فطنوا أمر الله سبحانه وتعالى وعملوا بالمواعظ، والفضائل وتبيان الحلال من الحرام وفق ما فصله الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم فعملوا به، وطبقوه فأولئك هم الأولياء الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، وليس ما ذهب إليه المتقولون من الصوفية في تأويل هذا النص، فجعلت الأولياء على مراتب، وبحسب ما يعتبرونه توفيقاً من الله لهم، وبذلك تفاوتت مراتبهم في مقامات الولاية، فليس كل المتقين على درجة واحدة، أما من حيث الدرجات، فيجعلون المراتب من الأفضل إلى الأدنى، وفقاً لما ابتدعوه وصنفوه من المراتب لمشايخهم، وهم بذلك يخالفون كلام الله سبحانه وتعالى جملة وتفصيلاً، وهذه المراتب:

- القطب الغوث، وهو الذي به يغاث عباد الله وبواسطته تنزل الرحمة، اشتهر منهم أربعة: الإمام عبد القادر الجيلاني. الإمام أحمد الرفاعي، الإمام أحمد البدوي. الإمام إبراهيم الدسوقي.

- الأربعة الأوتاد، وهم الحافظون لجهات الأرض.

- السبعة النجباء، وهم الحافظون للأقاليم السبعة.

- الأربعون الأبدال، وهم الساعون في قضاء حوائج المسلمين، وهم في الشام، وقد ورد فيهم أحاديث العنينة المختلف في صحتها منها، قول نسب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: «الأبدال بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يُسقى بهم الغيث، ويُنتصر بهم على الأعداء، ويُصرف عن أهل الشام بهم العذاب».

- التسعة والتسعون، الذين هم مظاهر أسماء الله.

- الثلاثمائة والتسعون، الأولياء الصالحون من المؤمنين، وأهل المراتب لا بد من وجودهم في زمان إلى نزول عيسى ابن مريم.

وكل تلك الخرافات والتنبؤات جاءت من نصوص التوراة والتلمود والأنجيل الأربعة، استنسخت إلى الحديث والفقهاء الإسلامي عبر أحاديث العنينة من قبل جماعة التحريف لمزيد من الاختلاف ومن الفرق وطرق الصوفية التي نراها اليوم قد جعلت من الإنسان المرید مسخاً ومن شيخه وإمامه نداً لله سبحانه وتعالى في الأقوال والأفعال، وهو أمر يتعارض مع القرآن

الكريم بل ويتعارض مع الفطرة والعقل السليم ويتعارض مع العلم والاختراعات العلمية المذهلة التي تخلج ممن لا يزال يسبح في بركة التصوف.

وحدة الوجود والحلول والاتحاد:

من أهم ما يُنسب إلى الصوفية القول بالحلول والاتحاد، بمعنى أن الله قد حلَّ في جميع أجزاء الكون؛ في البحار والجبال والصخور والأشجار والإنسان والحيوان، أو بمعنى أن المخلوق عين الخالق تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولاشك أن هذا القول يخالف عقائد الفطرة السليمة في الإيمان، وهو أمر فطن إليه بعض الصوفية، وينفون هذه القول عن أنفسهم، ويحذرون من أن يرميهم أحد بهذه العقيدة الكفرية دون تمحيص أو تثبت، ومن غير أن يفهم مرادهم، ويطلع على عقائدهم الحقة التي ذكروها صريحة واضحة في أمهات كتبهم، كالفتوحات المكية للشيخ الكبير محيي الدين ابن عربي، وإحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالي، والرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم القشيري الشافعي، والمثنوي لجلال الدين الرومي وغيرها، وهو ما يعد صريح أقوالهم في رفضهم لعقيدة وحدة الوجود، والحلول والاتحاد كما صرح أئمة الصوفية في كتبهم برفضهم لعقيدة وحدة الوجود، والحلول والاتحاد بالمعنى السابق ذكره، وما ورد من كلام الصوفية في كتبهم مما يفيد ظاهره الحلول والاتحاد، فيقولون: إنه إما مدسوس عليهم، بدليل ما سبق من صريح كلامهم في نفي هذه العقيدة، وإما أنهم لم يقصدوا به القول بهذه الفكرة والنحلة، ولكن بعض منتقديهم حملوا المتشابه من كلامهم على هذا الفهم، ومنهم من ينفية تقيّة. وأما قول أبي يزيد البسطامي: (سبحاني، ما أعظم شأنني)، فهو تقول صارخ وفاضح، وكذلك قول من قال: (أنا الحق) وهو قول يخالف الفطرة السليمة والعقل الراجح، ويذهب مذهب التّقول على الله تعالى، كما اخطأ المسيحيين في ظنهم ذلك في حق عيسى، ويبرر المدافعين عن الصوفية بأن لفظ الاتحاد من محققي الصوفية، إنما أريد به معنى الفناء الذي هو محو النفس، وإثبات الأمر كله لله سبحانه، لأن ذلك المعنى المذموم يقشعر له الجلد، وهو مبرر يسوقه بعضهم لتبرئتهم من الاتهام اللصيق بهم ولا يستطيعون منه الفكّ، وهو ما سنوضحه فيما يتعلق بالكرامات التي تُدعى لأوليائهم، وتعريف بعض المصطلحات المرتبطة بسلوكهم، وهو ما يتنافى مع منتقدي هذا المسلك من بعض عقلائهم.

كما أن القول حول وحدة الوجود، وفحواها أن الخالق عين المخلوق والمخلوق عين الخالق، وأن الله متحد بمخلوقاته، جاء في بعض مقالاتهم: فما يكون في ذوات الوجود كله إلا الله سبحانه، وهذه العقيدة مستنسخة من عقيدة المسيحيين، وهي مخالفة للقرآن الكريم وللعقل والفطرة، وقد كفر الله تعالى النصارى بقولهم إن الله هو المسيح، فكيف بمن يقول إن الله متحد بمخلوقاته، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: 72)، ويعتقد الغلاة من الصوفية في الرسول صلى الله عليه وسلم عقائد شتى؛ فمنهم من يزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يصل إلى مرتبتهم وحالهم، وأنه أي النبي كان جاهلاً بعلوم رجال التصوف، كما قال

البسطامي: خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله ومنهم من يعتقد أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو قبة الكون، وهو الله المستوي على العرش، وأن السماوات والأرض والعرش والكرسي، وكل الكائنات خلقت من نوره، وأنه أول موجود، وهذه عقيدة ابن عربي ومن تبعه ومنهم: من يرد هذا القول ويعتقد ببشرية الرسول ورسالته، ومع ذلك، فإنهم يستشفعون به صلى الله عليه وسلم ويتوسلون به إلى الله تعالى على وجه يخالف كونه رسولاً مثل بقية الرسل، لا يملك لنفسه من الله شيئاً، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: 188).

كرامات الأولياء:

تعدُّ الكرامة بأنها أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، ويظهرها الله على أوليائه الصالحين من أتباع الرسل كرامة لهم، وقد أجمع أهل التصوف على إثبات كرامات الأولياء، أمثال: كلام البهائم، وطبي الأرض، وظهور الشيء في غير موضعه، ووقته حسب قول الصوفية ويستدلون على صحتها بقصة الذي عنده علم من الكتاب في قوله جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾ (النمل: 40)، وقصة مريم بنت عمران مع النبي زكريا في قوله تعالى: ﴿... كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: 37)، وكذلك قصة العبد الصالح بعهد موسى مما ورد في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾ (الكهف: 65). غير أن هذه النصوص تتحدث عن حدث خاص ذكره القرآن الكريم بوصف واضح يدعو العقل للعلم به من جوانب البحث العلمي الذي يطبق اليوم في المختبرات العلمية في مختلف دول العالم المتحضر واستدلال الصوفية به وتعميمه في ادعائهم على صحة ما ينسبون لأوليائهم من كرامات، وهو إدعاء يعد من قبيل الاستدلال الخاطئ. والغريب أننا لم نر حادثة واحدة وثقت لمن يدعى الانتساب لهذه الجماعات بفترة حياة أقطابهم الذين لا يملكون غير توزيع الوهم على مريديهم، وعلى عامة الناس المتأثرين بخرافاتهم، فهم حسب زعم أوليائهم يمنعون إظهار الكرامة إلا لغرض صحيح، كنصرة دين الله أمام المعاندين، أما إظهارها بدون سبب مشروع فهو مذموم، لما فيه من حظ النفس والمفاخرة والعجب فقد قال الشيخ محيي الدين ابن عربي: ولا يخفى أن الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس، إلا إن كانت لنصر دين أو جلب مصلحة، لأن الله هو الفاعل عندهم، وليس وجه الخصوصية إلا وقوع ذلك الفعل الخارق على يدهم دون غيرهم، فإذا أحيا كبشاً مثلاً أو دجاجة فإنما ذلك بقدرة الله لا بقدرتهم، وإذا رجع الأمر إلى القدرة فلا تعجب، ولكن لم يتحقق عبرهم أي أمر من تلك الكرامات ومن الأفكار التي يتلاعبون بها بمنهجهم حسب قولهم وهي الآتي:

الكشف:

هو نور يحصل للسالكين في سيرهم إلى الله، ويكشف لهم حجاب الحس، ويزيل دونهم أسباب المادة نتيجة لما يأخذون به أنفسهم من مجاهدة وخلوة وذكر وهو قول فيه كثير من الغرور والسفسطة.

الفراسة:

هي معرفة تختص بخواطر النفوس وأحاديثها، يقول ابن عجيبة: الفراسة هي خاطر يهجم على القلب، أو وارد يتجلى فيه، لا يخطئ غالباً إذا صفا القلب، وفي الحديث: (اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله)، وهي حسب قوة القرب والمعرفة، فكلما قوي القرب، وتمكنت المعرفة صدقت الفراسة، لأن الروح إذا قربت من حضرة الحق لا يتجلى فيها غالباً إلا الحق.

الإلهام:

وهو ما يُلقَى في الرُوع بطريق الفيض. وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم حسب زعمهم.

العلم اللدني:

ويكون في نظرهم لأهل النبوة والولاية، كما كان للخضر، حيث ورد ذلك في الآية القرآنية: (وعلمناه من لدنا علماً).

الأخذ من النبي محمد صلى الله عليه وسلم: يعتقدون بالأخذ عنه في اليقظة والنام، ويعتقدون بأنه باب الله ووسيلته العظمى، وأن محبته شرط في الطريق، لذلك يكثر من ذكره، ومن الصلاة عليه ومن مديحه وإنشاد الشعر فيه، ولهذه الأمور يكثر من إقامة الموالد، التي يقومون فيها بالإنشاد والوعظ والتحدث في سيرته وشمائله، ولا يجيزون فيه الاختلاط.

الشيخ المربي: لا بد في التصوف من التأثير الروحي، الذي يأتي بواسطة الشيخ الذي أخذ الطريقة عن شيخه حتى تصل سلسلة التلقي في سند متصل من الشيخ إلى الرسول محمد عليه السلام، فيقولون: من لا شيخ له فشيوخه الشيطان!

البيعة:

يباع فيه المريد المرشد، ويعاهده على السير معه في طريق التخلي عن العيوب والتخلي بالصفات الحسنة، والتحقق بركن الإحسان، والترقي في مقاماته، وهو بمثابة الوعد والعهد.

المجاهدة:

يقول شيوخ الصوفية: التخلي ثم التحلي ثم التجلي، والتخلي عن الأخلاق الذميمة، والتحرر من قيود القوى الظلمانية في النفس من الشهوة، والغضب، والحسد، وأخلاق

الحيوانات والسباع والأبالسة والتحلي بالأخلاق الحميدة، واستتارة القلب، والنفس بنور سيدنا رسول الله وأهل بيته، والتجلي، تجلي أنوار الله لعين القلب بعد محو الحُجب التي كانت تحجب القلب عن المشاهدة والتتعم بها، وهذا هو أعلى نعيم أهل الجنة، يكرم الله به خواص عباده المحبوبين له في هذه الدار، كلٌ بحسب حظه ونصيبه من رسول الله.

التبرك:

هو طلب البركة من الله من طريق الأسباب الشرعية، وأعظمها التوسل إليه بذلك المتبرك به، سواء أكان شخصاً أم أثراً أم مكاناً، وهذه البركة كما يعتقدون تُطلب بالتعرض لها في أماكنها بالتوجه إلى الله ودعائه، ويستدلون بالقصص الكثيرة الواردة بتبرك الصحابة بالنبي محمد عليه السلام بشعره وعرقه ودمه وموضع صلاته، وهو قول فيه الكثير من الهرطقة الواضحة.

الخلوة:

وتعرف الصوفية الخلوة بأنها: انقطاع عن البشر لفترة محدودة، وتركها للأعمال الدنيوية لمدة يسيرة، كي يتفرغ القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي، ويستريح الفكر من المشاغل اليومية التي لا تنقطع، ثم ذكر لله بقلب حاضر خاشع، والتفكر في آياته أثناء الليل وأطراف النهار، وذلك بإرشاد شيخ عارف بالله، يُعلِّمه إذا جهل، ويذكره إذا غفل، وينشطه إذا فتر، ويساعده على دفع الوسواس وهواجس النفس، ويذكر الإمام الغزالي طريقة الخلوة ومراحلها ومقاماتها، فيقول: «إن الشيخ يلزم المريد زاوية ينفرد بها، ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال - فإن أصل الدين القوت الحلال - وعند ذلك يلقيه ذكراً من الأذكار، حتى يشغل به لسانه وقلبه، فيجلس ويقول مثلاً: الله، الله، أو سبحان الله، سبحان الله، أو ما يراه الشيخ من الكلمات... الخ، وفي هذا يقول القرآن الكريم قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: 205). وهذه الآية تعرفك ببساطة الذكر وتغنيك عن كل التعقيدات التي قالها الغزالي وغيره.

التوسل:

هو إحدى طرق الدعاء، وباب من أبواب التوجه إلى الله، والمتوسل به إنما هو واسطة ووسيلة للتقرب إلى الله، والتوسل حسب اعتقادهم يكون بالأنبياء أو الأولياء، أو يكون بالأعمال الصالحة للإنسان، وأعظم هذه الوسائل عندهم هو النبي محمد عليه السلام، وهذا قول يخالف القرآن قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾، (يونس: 106).

القبور:

اعتنى الصوفية بقبور الأنبياء والصالحين والأولياء، فشيّدوا حولها المساجد، وبنوا عليها القباب حفاظاً عليها من الاندثار وضياع هذه المعالم، وأصبحوا يقصدونها طلباً للبركة وطلباً لاستجابة الدعاء من الله عندها، ويرون أنهم بذلك متبعون لأئمة الشيعة، حيث يقولون بأنه

وردت نصوص من هؤلاء الأئمة على جواز البناء على قبور الصالحين والأولياء، وجواز قصدها للتبرك، ومن أحاديثهم التقول كذباً عن وجود أحاديث حول وضع العمامة على الرأس حتى أن الشيخ منهم عندما يقبر يُعمّم بها في قبره، وهذه العادة متجذرة لدى اليهود الهارونيين والصابئة والأئمة من الشيعة.

الطرق الصوفية:

وتعرف الطرق لديهم بأنها السيرة، وتعرّف بمنهج أحد العارفين في التزكية والتربية والأذكار والأوراد، ممن أخذ بها نفسه حتى وصل إلى معرفة الله، فينسب هذا المنهج إليه ويعرف باسمه، فيقال: الطريقة الشاذلية والقادرية والرفاعية، نسبة لرجالها، وقد أخذ اسم الطريقة من القرآن الكريم كتأويل مغلوطة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (الجن: 16)، فهذه الآية شرطية ذات مدلول عام لكل من يسير على طريق الخير والرحمة والعدل بين الناس، والصوفيون أولوا هذه الآية خلافاً لمقصدها بأن جعلوا معناها يقتصر على مشروعية طرقهم، ومعلوم أن القرآن الكريم لا يعرف تأويله إلا الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: 7)، ولو صح هذا التفسير من البشر لكان الرسل أولى بالتفسير عن غيرهم، والقرآن الكريم جاء ميسراً للذكر والفهم وواضح البيان لمن أدرك بقلب وعقل سليم.

وتختلف الطرق الصوفية باختلاف مشايخها في تربية مريديهم، وباختلاف البيئة الاجتماعية التي يظهرون فيها، فقد يسلك بعض المشايخ طريق الشدة في تربية المردين، فيأخذونهم بالمجاهدات العنيفة، ومنها كثرة الصيام والسهر وكثرة الخلوة والاعتزال عن الناس وكثرة الذكر والفكر، وقد يسلك بعض المشايخ طريقة اللين في تربية المردين، فيأمرونهم بممارسة شيء من الصيام، وقيام مقدار من الليل وكثرة الذكر، ولكن لا يلزمونهم بالخلوة والابتعاد عن الناس إلا قليلاً، ومن المشايخ من يتخذ طريقة وسطى بين الشدة واللين في تربية المردين، ولذلك يقولون: لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق، كما يقولون إن المرید عجينة لينة بين يدي شيخه يقلبه حيث يشاء.

وكل ما سبق أقوال تسلب حرية الفكر والعقل، وتخالف القرآن الكريم على الجملة، فالإنسان خلق حر في التفكير، حراً في الاختيار، حراً في الاعتقاد، حراً في الإرادة.

كما تستخدم الصوفية أسلوب التلقين لمريديها من أجل إضفاء طابع الطاعة العمياء، فتجعل المرید يتقبل كل الخرافات والتنبؤات على أمل الوصول لما أرخى إليه سبيل شيخه، أو على ضفاف بحر شيخه يبسط عليه بكل صغيرة وكبيرة، فلا يرى إلا ما يراه شيخه، ومن أقوال مشايخهم في أهمية صحبة الشيوخ المرشدين وتؤكد هذه الحقيقة التي جعلت منهم آيات بينات ما يلي:

- قال أبو حامد الغزالي: «ومما يجب في حق سالك طريق الحق أن يكون له مرشدٌ ومُرَبِّ ليدله على الطريق، ويرفع عنه الأخلاق المذمومة، ويضع مكانها الأخلاق المحمودة».

- قال ابن عطاء الله السكندري: «وينبغي لمن عزم على الاسترشاد، وسلوك طريق الرشاد، أن يبحث عن شيخ من أهل التحقيق، سالك للطريق، تارك لهواه، راسخ القدم في خدمة مولاه، فإذا وجده فليمتثل ما أمر، ولينته عما نهى عنه وزجر».

- قال أحمد رزوق: أخذ العلم والعمل عن المشايخ أتم من أخذه دونهم (بل هو آياتٌ بَيِّنَاتٌ في صُدُور الذين أوتوا العلم، واتَّبَع سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ)، فلزمت المشيخة.

وهذا يعد قمة المسخ والهدم الفكري لحياة الفرد المسلم الذي استخلف على الأرض بالعلم والإيمان والعمل، وهذه الحقائق التي استطاع مشايخ الصوفية وغيرهم من أئمة المذاهب والفرق الإسلامية هدمها من عقول المسلمين، فحولهم إلى أشباه قطعان، كل قطيع يتبع شيخه حاملاً بيده عصاه ليهش بهم حيث أتجه، وتركوا القرآن الكريم مهجوراً وصدق قول الله سبحانه وتعالى في تصنيف هذه الطوائف، والفرق والطرق بالمجرمين قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾، (الفرقان: 30، 31)، وهم الذين حرفوا عقائد الناس عن الصراط المستقيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لَا تَجِدُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، (الأعراف: 16، 17).

ومن أهم الطرق الصوفية المنتشرة في العالم الإسلامي ما يلي:

- 1- الطريقة القادرية: تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (561هـ)، وتوجد في العراق وسوريا والقوقاز، وتوجد بمصر والبوسنة وآسيا الوسطى وشرق أفريقيا وجنوب آسيا والهند وباكستان والمغرب العربي والصين.
- 2- الطريقة السعدية: تنسب إلى الشيخ سعد الدين الجبائي (575هـ)، توجد في بعض بلاد الشام والأنبار.
- 3- الطريقة الرفاعية: تنسب إلى الشيخ أحمد ابن علي الرفاعي (578هـ)، وتوجد في سوريا وفي العراق ومصر، وغرب آسيا والمغرب العربي والهند وباكستان.
- 4- الطريقة الأحمدية أو البدوية: تنسب إلى الشيخ أحمد البدوي (627هـ)، وتوجد في مصر وسوريا وغرب العراق والمغرب العربي والهند وباكستان.
- 5- الطريقة السهروردية: تنسب إلى الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي (632هـ)، وتوجد في العراق، وكشمير وباكستان وأفغانستان ومصر وكردستان.
- 6- الطريقة الأكبرية: تنسب إلى الشيخ محيي الدين ابن عربي الملقب بالشيخ الأكبر (638هـ)، وتوجد في مصر وسوريا والمغرب العربي والأحساء.
- 7- طريقة السادة آل باعلوي: تنسب للشيخ محمد ابن علي باعلوي (653هـ) وتوجد في اليمن، وإندونيسيا وشرق آسيا، والحجاز.

- 8- الطريقة الشاذلية: تنسب إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي (656هـ)، وتوجد في مصر والسودان والحجاز والمغرب العربي واليمن والجزائر وتونس وسوريا والأردن والهند وباكستان.
- 9- الطريقة البرهانية الدسوقية: تنسب إلى الشيخ إبراهيم الدسوقي (676هـ)، وتوجد في مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب، ولدى المسلمين في ألمانيا وإنجلترا وإيطاليا وفرنسا والدانمارك ولوكسمبرج وهولندا، وروسيا والسويد، وسويسرا والمملكة العربية السعودية، والأردن وسوريا، واليمن والإمارات العربية المتحدة، والكويت وباكستان، ولبنان والولايات المتحدة الأمريكية وكندا.
- 10- الطريقة القرباشية: تنسب إلى الشيخ صفي الدين إسحاق الأردبيلي (730هـ)، وتوجد في أفغانستان واليونان وتركيا.
- 11- الطريقة البكتاشية: تنسب للشيخ محمد ابن إبراهيم بكتاش (738هـ)، وتوجد في ألبانيا وشرق بلغاريا.
- 12- الطريقة النقشبندية: تنسب إلى الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبند (791هـ)، وتوجد في آسيا الوسطى وسوريا والقوقاز والعراق، وكردستان، والحجاز وسنة إيران والبوسنة وباكستان.
- 13- الطريقة العروسية: تنسب إلى الشيخ أحمد ابن عروس (869هـ)، وتوجد في ليبيا وتونس.
- 14- الطريقة العيساوية: تنسب للشيخ محمد ابن عيسى (933هـ)، توجد في الجزائر ليبيا وتونس والمغرب.
- 15- الطريقة الخلوتية: تنسب إلى الشيخ محمد ابن أحمد ابن محمد كريم الدين الخلوتي (986هـ)، وتوجد في مصر وتركيا وفلسطين والأردن والجزائر وليبيا.
- 16- الطريقة السمانية: تنسب إلى الشيخ محمد ابن عبد الكريم السمان (1189هـ)، وتوجد بالسودان والصومال وإثيوبيا.
- 17- الطريقة الفاضلية: تنسب إلى الشيخ محمد فاضل ابن مامين (1211هـ)، وتوجد في موريتانيا والمغرب والسنغال وأفريقيا.
- 18- الطريقة التيجانية: تنسب إلى الشيخ أبو العباس أحمد التيجاني (1230هـ)، وتوجد في الجزائر والمغرب وتونس والسنغال والنيجر ونيجيريا والحجاز والسودان.
- 19- الطريقة الإدريسية: وتنسب إلى الشيخ أحمد ابن إدريس الفاسي (1253هـ)، وتوجد في السودان والصومال.
- 20- الطريقة المولوية: تنسب للشيخ جلال الدين الرومي (672هـ)، وتوجد في تركيا وحلب وآسيا الوسطى وفي بعض من سنة العراق ومصر والبوسنة، وتونس وغرب بيروت.
- 21- الطريقة الختمية: تنسب للشيخ محمد عثمان الميرغني الختم (1267هـ)، وتوجد في السودان وأريتريا وأثيوبيا والسنغال.

- 22- الطريقة السنوسية: تنسب إلى الشيخ محمد ابن علي السنوسي (1276هـ)، وتوجد في ليبيا وشمال أفريقيا والسودان والصومال والحجاز وغرب الأنبار.
- 23- الطريقة الكسنزانية: تنسب للشيخ عبد الكريم شاه الكسنزان (1317هـ)، توجد في بعض من سُنَّة العراق، وكردستان العراق.
- 24- الطريقة العلاوية: تنسب للشيخ أحمد مصطفى العلاوي (1353هـ)، وتوجد في الجزائر وتونس والمغرب والسنغال.
- 25- الطريقة الجعفرية: تنسب إلى الشيخ صالح عمر الجعفري الحسيني إمام الأزهر (1399هـ)، وتوجد في المغرب والسنغال وغرب أفريقيا.
- 26- الطريقة القادرية البودشيشية: تنسب إلى سيدي علي ابن محمد، الملقب بسيدي علي بودشيش في المغرب.
- 27- الطريقة النونية الرفاعية الشافعية: تنسب إلى الشيخ الحبيب نور الدين علي محمد حسن السليماني الهاشمي وتوجد في السعودية، ومصر والولايات المتحدة وجنوب شرق آسيا.
- 28- الطريقة الكركية: تنسب للشيخ محمد فوزي الكركري ما زال حي، وتوجد في المغرب وفرنسا وإندونيسيا وباكستان ومصر.

وكل ذلك من طرق وأعمال جماعة التحريف في تفرخ الطرق الصوفية الواحدة بعد الأخرى، لمزيد من التفرقة والاختلاف والتزيق لوحدة العقيدة، ووحدة الإيمان ووحدة المسلمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، (آل عمران: 19)، وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، (الأنبياء: 92)، وقوله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، (المؤمنون: 52)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، (آل عمران: 103)، وقوله جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ..﴾، (الشورى: 13)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ..﴾، (الأنعام: 159)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، (الروم: 32).

الخلاصة:

بعد هذا العرض الموجز يمكن القول إن الفكر الصوفي خليط ممزوج من الأفكار والمعتقدات من مختلف العقائد والأديان القديمة التي اخترقت الفكر العربي الإسلامي، وهي أفكار موجودة في اليهودية والبوذية والهندوسية والمسيحية، وحاضرة بقوة في العقيدة الصابئية المندانية وفي الفكر اليوناني. ومن نافلة القول: إن مالك بن أنس والشافعي ذكرا الصوفية بكل خير وأشادا بمنهجهم، وهو أمر يدعو للتعجب لأن الشافعي مات سنة (204هـ) على افتراض

صحة هذا التاريخ، بينما ظهر منهج الصوفية في أواخر القرن الثالث الهجري. ويثير مثل التناقض علامة استفهام؟ وعلامة تعجب حول تجديد الديانة اليزيدية في شمال العراق على يد أحد أقطاب طرق الصوفية، عدي ابن مسافر البعلبكي الذي أرسى مداميك العقيدة اليزيدية على الطريقة الصوفية أو استخدم اللباس الصوفي في أحياء دين اليزيديين الذين يعبدون طاؤس ملك (عزازيل - إبليس) ضمن طقوسهم الدينية.

أخيراً: ومن الإنصاف ذكر الدور الخالد الذي لعبه كثير من منتسبي ومريدي الصوفية في حركة التحرر العربي الإسلامي ضد الاستعمار، كما لا ننسى أن هناك جماعة مستنيرة من جماعة الصوفية تعمل جاهدة في سبيل إخراج منتسبيها من ضيق الجماعات إلى رحابة الإسلام وسعته، دين الله الخالد الذي ارتضاه سبحانه وتعالى لجميع الناس، دين يقوم على العلم والمعرفة الجدلية والإيمان، والعمل والحرية الفكرية، وحرية الاعتقاد وإشاعة الحب والسلام بين الأمم والشعوب.

الفصل العاشر

صناعة جماعات الدين السياسي الحديثة والمعاصرة (الإسلام السياسي)

مقدمة:

من المسلم به عقلاً عند جميع الأمم المتحضرة ألا يتم توظيف الدين لخدمة السياسة، لأنّ قيم الدين قواعد للأخلاق والفضيلة المتعارف عليها بين الناس جميعاً، إلا أن رجال الحكم على مر العصور وحتى يومنا هذا عملوا بصورة ممنهجة على توظيف الدين للمصالح السياسية، وجعلوا منه مصدراً يخدم مصالحهم السياسية والاقتصادية ويخدم سيطرتهم على الحكم والاستعمار للأوطان وتوسيع رقعة الملكية من أجل الجباية والاستحواذ على أموال الناس بالباطل، وجعلوا من المتدينين نموذجاً قبيحاً للتعصب وسخرة لتنفيذ أعمالهم، فوظفوا الدين الطائفي والمذهبي في كثير من القضايا المتعددة بعيداً عن مفاهيم وقيم الدين السامية، وهو توظيف سيء كانت نتائجه وخيمة على الناس قديماً وحديثاً، ولعل الهدف الأساسي لهذا التوظيف السيئ للدين الطائفي - المذهبي يكمن في الاستئثار بالحكم والمال من قبل رجال الحكم وزعماء الجماعات الدينية التي أدخلت المعتقد الديني ضمن لعبتها السياسية، وجعلته سلاحاً موجهاً للسيطرة والغزو والاستعمار وضد الخصوم والمنافسين السياسيين لهم في الحكم أو المخالفين في المعتقد المذهبي على مر الزمن.

وإذا دقت في مسار هذه الجماعة (الدين السياسي) ستجد أن شهوة الحكم والسيطرة بالغلبة تجمعها، وتنتجها وسيلة واحدة لغايات مختلفة، وبمبررات مشتركة في كل العقائد وسنجد في تاريخ المعتقدات الدينية وفي مراحل مختلفة من التاريخ أن الجماعات الدينية والمذهبية، وغيرها قد وظّفت الدين بعددٍ من الطرق والأساليب كان أبرزها خلق الطوائف والمذاهب والفرق والجماعات الدينية وفق مشروعية دينية ذات ايدلوجية عقائدية متناقضة حسب ما أوضحناه في الفصل السابق، ووفق خطط بعيدة المدى ترمي لتنفيذها في خلق صراعات وحروب مستمرة ولأزمنة في مستقبل الأجيال، ولأن الدين الطائفي - المذهبي هو الضمان لبقاء الصراع واستمراره على فترات طويلة، ثم نأتي لمرحلة توظيف الدين الطائفي - المذهبي من الحاكم السياسي عبر مختلف الطرق والأساليب منها أجهزة الأمن والاستخبارات كما هو الحال في عصرنا الراهن، وعبر خلق أحزاب أو جماعات الدين السياسي الطائفي - المذهبي، حيث وصل تأثيرها إلى مقر صنع القرار في بعض دول العالم عبر مجموعة من الجمعيات الباطنية السرية متعددة الأغراض (الماسونية)، و(جماعة الأصولية اليهودية)، و(جماعة الإنجيليين المسيحية) و(جماعة السلفية الأصولية في الفكر الإسلامي السني/ الشيعي)، أو ما يطلق عليه (المجالس العليا للوقف السني/ الشيعي أو جماعات أو جمعيات أهل البيت أو آل البيت أو الجمعيات المذهبية المتعددة) ثم (المليشيات الدينية المسلحة لكل حزب أو مذهب على حدة) وغيرها، وقد تشكّلت كل مجموعة ضمن

تنظيمات لوبية تخترق الحدود الوطنية عبر تحالفات جيوسياسية واقتصادية مستغلين التقدم التكنولوجي والإعلام ومسخرين كل الإمكانيات لتحقيق أهدافهم في الحكم والسيطرة، وتعمل هذه الجمعيات والمنظمات السرية أو تلك الجمعيات والمنظمات المنضوية تحت عدد من الشعارات الإنسانية منها تغذية وإذكاء الأقليات الطائفية الدينية والأثنية العرقية التي سرعان مع تهية لها حججاً ومبررات ومظلومية حقوقية وخلق مشروعية من الدين المذهبي - الطائفي، ثم تعمل على تسليحها فتصبح مليشيات مسلحة، بعد أن أدلجتها بالأيديولوجية الدينية المذهبية العصبوية، ومن ثمة تعمل أجهزة الأمن والمخابرات على اختراق هذه الجماعات وتوظيفها عبر مرجعيات دينية وقيادات انتهازية برغماتية، قد تكون تابعة لجهاز الاستخبارات، فتوجهها وفق ما ترتبه أوراق اللعبة السياسية هنا وهناك، ووفق مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة"، فتؤدي وظيفتها في إطار الخطاب المشرّع لوجودها، بما ينتج عنه من نزعات العداء وزرع ثقافة الكره فتزعزع بذلك استقرار المجتمع، ليس ذلك بل أن تأثير الخطاب الديني على النفوس ولفرط الحاجة والانتفاع الأنبي اليومي من فئات الخدمات وما يقدم لهم من مشاريعهم خيرية عبر مختلف الجمعيات التي تم أنشاؤها لهذا الغرض في أوساط المجتمع المليء بالفقراء وانعدام العمل، لأجل إيجاد روابط مادية وعصبوية بين الأعضاء المنتمين لتلك الجماعات، (الجماعة أو الأحزاب الدينية)، فتحرص على تنمية عاطفة الولاء المطلق لها، والإيمان بخطابها لتصبح مطيعة في تنفيذ كل ما يطلب منها، وهكذا يصبح خطرها بمقدار الجهل والتوظيف السيء للدين إضافة لما لديها من الدعم المالي لتصبح قوة مليشوية تسعى لتدمير مقدرات الدولة الوطنية بمختلف المبررات والأسباب، وما أن تخلق المبررات والأسباب فتعمد أجهزة الاستخبارات إلى خلق الانشقاق بين مختلف هذه الجماعات، أو بينها وبين الدولة الوطنية، ليبدأ الاقتتال العقائدي، وتبدأ أسباب مختلفة لحروب أهلية لا تنتهي على المستوى الوطني أو على المستوى الإقليمي، والأمثلة كثيرة للأحداث والحروب الدينية المذهبية التي عصفت بالمجتمعات الأوروبية بالأمس ليست علينا ببعيد، وما هو السيناريو يتكرر اليوم بالمجتمع العربي والإسلامي وهذه الحروب المذهبية تؤججها الجماعة المختلفة والمدعومة من جهات سياسية، تظهر هنا وهناك محتكرة "الله" والدين والرموز الدينية، وغير ذلك من المسميات ذات الأصولية المذهبية، وعلى أثر ذلك تصدر فتاوي تشرعن الاقتتال وأستمراره بين المليشيات المسلحة التابعة لتلك الطوائف والمذاهب والجماعات والفرق الدينية لأطول فترة ممكنة بقصد الأنهاك والأستنزاف لمقدرات الأمم والشعوب.

ومن السيناريوهات والمبررات الأخرى في خلق الطوائف والمذاهب والفرق الدينية، هو أن تنشأ الطائفة أو المذهب أو الجماعة أو الحزب الديني ثم تبقى منبوذة خارج إطار العمل السياسي، فتنشأ لها مظلومية، وتضطر إلى العمل السري أو أياً من تلك المبررات التي تتحول معها إلى جماعة متربصة لدوامه عنف جديد في المستقبل، وما حالنا اليوم ببعيد عن هذا الوصف، كل هذا من أجل تحقيق أهداف الدولة صاحبة المصالح الكبرى في تحقيق مآرب اقتصادية أو سياسية أو غير ذلك في غياب المؤسسات الديمقراطية في الدولة الوطنية.

ولا شك إن هذه الجماعات موجودة في الفكر الديني الإنساني، مثل الجماعات الدينية المتطرفة اليمينية في اليهودي بمسميات وايدولوجية مختلفة، والإنجيلية اليمينية المسيحية، والمتشددون الهندوس، والجماعات السلفية المتطرفة والمختلفة فيما بينها لدى المسلمين السنة، والجماعات المتطرفة في الفكر الشيعي الإسلامي، وغيرها من الجماعات المتطرفة المذهبية والأثنية والعرقية حسب ما سبق ذكرها، والتي ما يزال نشاطها قائماً في أغلب المجتمعات حتى يومنا هذا، غير أنها تهدأ أحياناً وتنشط أحياناً أخرى، حسب قوة وضعف الدولة الوطنية وسيادة القانون فيها وانتشار التعاليم، فكلما ضعفت الدولة وغاب القانون وغيب التعاليم سرعان ما تظهر هذه الجماعات، كما أنها تأخذ أشكالاً متعددة وأطواراً مختلفة في المكان والزمان، وهي حاضرة بقوة في واقعنا اليوم وبالذات داخل الدول الأقل تعليم والأقل استقرار، حيث أصبحت هذه الجماعات والفرق والأحزاب الدينية المذهبية والمليشيات التابعة لها جزءاً فاعلاً في الواقع والحياة في إطار استراتيجيات الدول الراعية لها وتوفر لها الدعم اللوجستي من أجهزة الاستخبارات والمال والإعلام للدولة صاحبة المصلحة الإقليمية أو الدولية لضمان بقائها لخدمة مصالحها المختلفة.

وكمثال حي على ذلك نجد الشعب الأفغاني الذي أصبح في واقع مزري لعمل هذه الجماعات الدينية فقد كانت أرض وشعب أفغانستان مسرحاً لتجارب أغلب أجهزة الاستخبارات الغربية بحجة دعم الجهاد الأفغاني بالسلاح والمال القدر ضد الشيوعية⁽¹⁾، وهي في الحقيقة لعبة سياسية بين قطبي الحرب الباردة - (واشنطن وموسكو) انتهت بسقوط منظومة الاتحاد السوفيتي، وعقب انتهاء الحرب رحلة المخابرات الأمريكية من مدينة بيشاور معقل الدعم اللوجستي للمجاهدين الأفغان خلال اثنين وسبعين ساعة تركت أفغانستان ساحة لقتال الإخوة الأعداء من المجاهدين ترتب عليه تبني أحد المخابرات الإقليمية لمدرسة دينية أطلق عليها جماعة طالبان، سيطرت على البلاد وأرست حكم القرون الوسطى، تحت نظام اتسم بالجهل والتعسف، وإهدار حقوق الإنسان والمرأة، فأجمع العالم على تصنيف حكمها بالحكم الكهنوتي والاستبداد الديني المذهبي، واستمرت حكومة طالبان إلى حادثة ضرب أبراج مدينة نيويورك الإرهابية في 11 - سبتمبر 2001م، وبسببه وغيره قامت حكومة أمريكا بقيادة تحالف دولي لغزو أفغانستان كردة فعل أهلكت فيه الحرث والنسل واستمر احتلال الأمريكيين عشرين سنة نصبت فيه حكومة مدنية، عمل التحالف الغربي على إضعافها حتى أوصلوا جماعة طالبان مرة أخرى إلى قصورها الرئاسية مطلع العام 2021م بصورة هزيلة، أمام مشهد من العالم مع مزيد من الاقتتال في مستقبل البلاد وفق حسابات ومصالح دول التحالف التي جعلت من الشعب والأرض الأفغانية حقل تجارب لتحقيق مصالحها، والمضحك في الأمر أن هذا التحالف كان سبباً في خلق تنظيم إرهابي داخل دولة طالبان المتهم بالارهاب والتطرف الكهنوتي، وهو ما يؤكد أن هذه الأعمال من صنع الغرف المغلقة لأجهزة المخابرات الإقليمية والدولية، ويؤكد على صحة المقولة المعروفة صنع الشيء ونقيضه في وقت واحد (الإرهاب ضد الإرهاب).

(1) انظر كتاب من بيورك إلى كابول / محمد حسنين هيكل . من ص 263 - 272.

ونرى تكرار هذا المسلسل في العراق بقيام حكومة أمريكا ومعها تحالف غربي وبمساعدة دول الإقليم على غزو العراق وتدمير الجيش العراقي، ومن ثم تسليم العراق لمليشيات مذهبية دينية لا زالت تعبت بالعراق حتى اليوم، وحال الصومال ليس ببعيد، فمنذ أكثر من ثلاثة عقود والمليشيات الدينية تعبت هناك، ما جعل الشعب الصومالي مشرداً يهج على وجهه في الأرض طلباً للأمن في مختلف دول العالم، وكذلك دولة سوريا التي مزقتها حرب المليشيات الدينية وشرد قرابة ثلث الشعب السوري في الملاجئ بمختلف دول العالم وكذلك الحال في اليمن وليبيا، وما زالت وتيرة التوتر قائمة في لبنان وغيرها، وهو ما يؤكد على وجود تخطيط مسبق لما يجري، والمؤسف أن تشارك بعض العواصم العربية في صنع هذه الأحداث وبصورة واضحة، فتجعل من نفسها محطة للتخطيط والتمويل لهذه الفوضى التي ستعود وبالأعلى على العالم العربي خاصة والعالم الإسلامي والعالم، والغريب أننا نجد اليوم حكماً يتنافسون على تخريب بيوتهم بأيديهم، أو كما يقال يحسنون إطلاق النار على أقدامهم نكاية بإخوان لهم، دون إدراكهم بأن النار حتما ستصل إليهم ويحترقون بها، هذا هو حال الواقع العربي والإسلامي اليوم والسؤال الذي يفرض نفسه من هو المستفيد من إشعال كل هذه الحروب لتدمير مشروع الدولة الوطنية؟

بتقديري: فإن للموروث الفكري المذهبي الإسلامي مساهمة كبيرة فقد ساهم مساهمة كبيرة في هذا الواقع المزرى للعرب والعالم الإسلامي، بالإضافة لحجم المصالح الاقتصادية الدولية وغياب الرؤية، وغياب التعليم، ومؤسسات الحكم المدني الديمقراطي، وتفشي الفساد السياسي وتوظيف الدين في المصالح السياسية، كلها أسباب وعوامل أدت إلى هذا الاحتراب والافتتال بين أبناء الشعب الواحد، وسيستمر نشر هذه الحروب لبعض الدول في من أجل نشر الفوضى، وهو ما يؤكد ظهور بعض الجماعات الدينية في وسط أفريقيا جنوب الصحراء (بوكو حرام) وجنوب شرق آسيا وغيرها من الأماكن، ومن السهل توظيف هذه الجماعات الدينية والمذهبية من خلال استغلال مظلوميتها إن كان لها مظلومية أو صناعة مظلومية لها سواء من قبل الدول الوطنية، أو من قبل الدولة المعادية الأخرى، لتوفر البيئة الخصبة من الفكر المذهبي الديني لمشروعية الاقتتال وغيرها من المبررات.

وسنعرض هنا هذه الجماعات الدينية أهمها التي ظهرت في الفكر الديني الإسلامي، وتعرف بجماعات الإسلام السياسي أو جماعة الدين السياسي التي تسعى دائماً لهدم مشروع الدولة الوطنية المدنية، التي كان للمستعمر القديم/ الجديد دور كبير في بعثها من بين ركام أنقاض الصراعات المذهبية، وفكر الطوائف والفرق والجماعات الإسلامية لجعلها ورقة سياسية تسعى بكل قوة لتدمير أوطانها، وعدم الاعتراف بحدودها الوطنية، ومن أجل استمرار دوامة الحروب والافتتال، كما كان حاصل بالأمس في أوروبا التي عانت من الحروب المذهبية بين الكاثوليك والبروستات، وحيث عمدت أجهزة الاستخبارات وبدعم من الجمعيات والمنظمات السرية الباطنية المحلية والدولية ذات المصالح الاقتصادية والسياسية على نقل الصراعات والافتتال المذهبي ومن أجل الاقتتال، كما هو حاصل أغلب أقطار منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، مستمدين مشروعية الاقتتال من فكر المذاهب (الفقه والسيرة،

والحديث والتفسير والتأويل الخاطئي) الملي بالعنف والإرهاب والتطرف والتكفير بين مختلف المذاهب والفرق والجماعات التي زرعتها جماعة التحريف بالأمس لتحقيق مصالحها بالعصر الراهن.

ومن المعلوم والمثير للانتباه أن أجهزة الاستخبارات الاستعمارية لبعض دول أوروبا كانت السباقة في استخدام الجهاد الإسلامي في حروبها للسيطرة العسكرية والاقتصادية على منطقة الشرق الأوسط، إذ كان للمخابرات البريطانية وبعثات الاستشراق السبق في بعث هذه الجماعات والفرق الدينية، حيث بدأ العمل جنبا إلى جنب في إحياء الفتنة الدينية والمذهبية في القارة الهندية لضرب المقاومة الوطنية الإسلامية التي كانت شوكة قوية في مواجهة خططهم الاستعمارية، فخرجت من عباءة المخابرات البريطانية جماعة البهائيين ثم جماعة القديانيين الأحمدية وأخيراً جماعة الدعوة والتبليغ، فكان خروج تلك الكيانات على مراحل متعددة من الزمن، وأنيط بها أعمال محددة تخدم مصلحة المستعمر تحت يافطة عريضة من الدعوة لله والتعاون مع المستعمر، كما عملت بريطانيا بعد ذلك إلى تقوية الجماعات الدينية المتشددة من الديانة الهندوسية والسيخ ضد بعضهم البعض من أجل إضعاف المقاومة الوطنية الهندية، وكانت النتيجة تقسيم القارة الهندية لعدد من الدول، وفق ما هو عليه اليوم.

وفي مكان آخر من العالم كان هناك تنافس محموم بين الدول الاستعمارية قامت على أثره الحرب العالمية الأولى، إذ أرادت الإمبراطورية الألمانية أن يكون لها مكان الصدارة والسبق لمنافسة الإمبراطورية البريطانية ودول التحالف من أجل الاستحواذ على أجزاء من العالم بما فيه العالم العربي والإسلامي ومنطقة الشرق الأوسط الذي كان تحت حكم الدولة العثمانية والتي كانت آزمة للزوال والاحتضار، فبرز دور المخابرات والمستشرقين الألمان للتحالف مع تركيا الإسلامية، فكان أول عمل تقوم به المخابرات الألمانية هو الدخول إلى العالم العربي والإسلامي من بوابة الجهاد الإسلامي، وعبر رئاسة الدولة العثمانية فلعبت دور في صناعة الجهاد الإسلامي مستفيدة من تجارب بريطانيا المثمرة في هذا المجال في شبه القارة الهندية، ومن برلين تحديدا عاصمة ألمانيا عقب اندلاع الحرب العالمية الأولى 1914م - برز دور المستشرقين والمخابرات في هذا المجال، وكان على رأسهم المستشرق الألماني ذو الأصول اليهودية (ماكس فون أوبنهايم)⁽¹⁾ الذي يوصف أنه عالم آثار ومؤرخ وسياسي، ولقب بجاسوس قيصر ألمانيا بمصر، حيث قام بدور مهم في توظيف الإسلام، وجعله سلاحاً موجهاً لضرب خصومه في الحرب العالمية الأولى (بريطانيا، فرنسا، روسيا)، فعمل على إنشاء وكالة أخبار الشرق (1915م)، وعددٍ من الصحف والمجلات، والمراكز والقاعات الإخبارية بالولايات العثمانية، والعالم الإسلامي، وعاصمة الخلافة العثمانية، أبرزها مجلة الجهاد الإسلامي، ثم مجلة العالم الإسلامي، بتمويل تركي/ ألماني، وهدفها بث الدعاية لألمانيا لتحالفها مع أنقرة وتغلغلها في الولايات العربية وأفريقيا، وإعلان الجهاد المقدس ضد أعدائها، خاصة بعد أن أعلن إمبراطور ألمانيا وليم الثاني عالمية الدولة الألمانية لتفوقها العسكري والاقتصادي

(1) انظر كتاب ألمانيا والإسلام في القرنين (19-20) / عبد الرؤوف ستو . الفصل الثاني . الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى من ص 81- ص 120.

والتجاري، وضرورة حصوله على مكان يليق بها للتنافس المحموم على المستعمرات والسيطرة الألمانية المنافسة للإمبريالية البريطانية/ الفرنسية، ومن ضمن المبالغة في الترويج والدعاية العربية الإسلامية الساذجة لألمانيا الدعاء بالنصر المؤزر لإمبراطور ألمانيا على أعدائه، وأطلق عليه الحاج محمد وليم الثاني الذي حج إلى بيت المقدس بفلسطين، كما جرت دعوته للدخول في الإسلام مع ملك اليابان للنهضة العلمية، والتفوق العسكري والاقتصادي الذي تحقق في تلك الدول، حيث تمكنت اليابان من الانتصار على روسيا 1905م، وبدلاً من حذو العرب والمسلمين لهذه الدول في الأخذ بأسباب النهضة العلمية وفي مقدماتها العلم ونشر العلوم، ومطالبة الدولة العثمانية بفتح المدارس، والمعاهد والكليات، والجامعات أمام الشباب العربي والإسلامي، وقيادته نحو التنوير والحرية والاستقلال خرجت مثل هذه التمنيات العقيمة الساذجة والغبية من بعض رجال الدعوى الإسلامية،⁽¹⁾ في الوقت نفسه كانت الجمعيات التبشيرية تسير على قدم وساق من ألمانيا للولايات العربية العثمانية، وخاصة فلسطين، والاعتراف الألماني بحق المنظمة الصهيونية اليهودية في إقامة حكم ذاتي في فلسطين عقب وعد بلفور 1917م، ومن الأهمية الإشارة إلى أن غالبية أعضاء اللوبي الصهيوني هم يهود ألمان، وبالمقابل ظهر جهاد مقدس مصبوغ بالقومية والانتماء العربي، تدعمه بريطانيا صاحبة الخبرة الطويلة في صناعة جماعات الفكر الديني السياسي والجماعات الأثنية والدينية، فعمدت إلى خنق وإفشال مخطط ألمانيا التي كانت تطمح أن تجعل رأس هرم الدولة الدينية (ال خليفة العثماني) (السلطان عبد الحميد الثاني) في خدمة مشروعها الاستعماري، حيث عمدت بريطانيا، وتحت مظلة القومية العربية لدعم الثورة العربية التي دعا إليها ملك الحجاز الشريف حسين، وأولاده فيصل وعبدالله وزيد، فظهر توماس أدوارد لورنس الملقب (لورنس العرب) ضابط المخابرات البريطاني ليقود المعارك الحربية بمساندة بريطانيا، ضد الدولة العثمانية الحليف الرئيس لألمانيا بمناطق الحجاز، وخليج العقبة ودمشق والقدس وببيروت، وغيرها، فعملوا على طرد الأتراك والألمان من خلال قيام الثورة العربية التي حققت نصراً، أعقبه نكسة تقسيم تلك الولايات المحررة بين فرنسا وبريطانيا وإعطاء فلسطين لليهود، وفق وعد بلفور المشؤوم عام 1917م.

وهناك أمثلة كثيرة لما صنعتها دوائر الاستخبارات العالمية في توظيف العقيدة الدينية في القرون الماضية، وما زال قائماً حتى يومنا هذا، وبالأدوات نفسها، وتأخذ هذه الجماعات أشكالاً متعددة وأطواراً مختلفة في المكان والزمان، وهي حاضرة بقوة في واقعنا اليوم، حيث أصبح واقع هذه الجماعات والمليشيات التابعة لها جزءاً فاعلاً في إطار استراتيجيات دعم أجهزة الاستخبارات والمال والإعلام في دعم الصراع المذهبي الذي تتبناه عدداً كبيراً من الجماعات المذهبية الدينية (السنية والشيعية) التي صُنعت لتقوم بدورها السياسي عبر الخطاب الديني، وهذا ما سنحاول الوقوف عنده فيما يلي:

(1) انظر كتاب ألمانيا والإسلام في القرنين (19، 20) / عبد الرؤوف ستو . فحو رسالة الشماخي وأبن إسماعيل ص 158 ، 159.

التعريف: بمؤسس هذه الجماعة وهو ميرزا علي محمد الشيرازي (1820-1892م) الذي ولد في إيران، قد خلط مزيجاً من الآراء المنحرفة من عقائد المذهب الاثني عشري، ولاسيما من آراء الطائفة الإسماعلية، ومنها الآراء المتصلة بمفهوم العقيدة المذهبية حول الإمام المستور الذي يؤمن به غالبية أهل فارس وإيران، وأظهر هذا الشاب نبوغاً في الدراسات النفسية والفلسفية، فخرج على الناس بفكرة أنه وحده الناطق بعلم ذلك الإمام المستور، وأنه الباب إليه، وأنه جاء بمقتضى الوصاية التي اختص بها من سبقه، وهو مصدر الهداية والمعرفة، غير أنه سرعان ما تحول إلى القول بأنه المهدي المنتظر ذاته الذي غاب عام (260هـ) حسب معتقداتهم، وظهر الآن، وادعى أن الله حلّ فيه، وأنه السبيل لظهور موسى وعيسى، فشكّل هذا الرجل عقيدة دينية خاصة به تقوم على عدم الإيمان بوجود قيامة، وأنه جامع لكل الديانات السماوية، ورسخ الإيمان بالحلول والاعتقاد، وأدى إلى تغيير في الشعائر والفرائض الإسلامية، ودعا إلى المساواة المطلقة بين الناس وخاصة بين الرجل والمرأة، ودوّن هذه الادعاءات في كتاب سماه "البيان"، وفيه انحراف واضح عن دين الإسلام، واستمر على هذه الدعوة قرابة ثلاثين سنة، إلى أن طرد هو وجماعته من قبل الدولة، وقتل سنة (1850م)، وسرعان ما ظهر اثنان من أتباعه، هما: صبح أزل الذي نفي إلى قبرص، وبهاء الله الذي نفي إلى أدرنه - تركيا العثمانية، واستقر بها وكوّن له أتباعاً كثيرين ونسب إليه الفكر البهائي، ثم تدخلت الدولة العثمانية بنفي بهاء الله إلى مدينة عكا بفلسطين، وفي عكا أخذ يدون مذهبه في معارضة القرآن الكريم، بل وعارض "البيان" الذي ألفه أستاذه، وأخذ يكتب بالعربية والفارسية وأخرج كتاب "الأقداس"، وأهم ما يميز هذا الكتاب أنه كتاب مقالي سجع، يكاد يكون مقتبساً من حيث السلم الصوتي، والنغمة السمعية من الكنزاربا (الكتاب المقدس للصابئة المندائية)، وإذا دققت في قراءة فاحصة لهذا الكتاب ستجد أن بعض جملته وألفاظه مقتبسة من كتاب تعاليم (بوذا)، وخُشِر فيه بعض الألفاظ من القرآن الكريم إلى جانب تعليمات احتفظ بها لصفوة أصحابه، لأن غيرهم لا يطبقون هذه العلوم الباطنية، حسب زعمه، وادعى فيما بعد أن ما يدعو إليه يعتبر ديانة جديدة، وفي هذا فقد خالف التلميذ معلمه، إذ كان الشيرازي يعد نفسه مجدداً للإسلام بطريقته الخاصة، غير أن بهاء الله أعلن أنه يدعو إلى دين عالمي جديد جامع للأديان والأجناس على الأرض من دون حدود وطنية، فالأرض كلها وطن الجميع.

ومن كتاب الأقدس نقتبس بعضاً مما جاء في مقدمته، والتعريف به ليتضح مدى الاستخفاف واستغلال القارئ من خلال طريقة جمع الكتاب، وترجمته إلى اللغة الإنجليزية، ثم طبعه إلى لغته الأم (العربية) ثم سرد صياغة نصوص تدعوا للتندر والضحك والسخرية، حيث يلاحظ وكما قلنا سابقاً أن جماعة التحريف عمدت لأجتزأ بعض آيات القرآن ونصوص من العقائد الأخرى ودمجها بكلام ركيك لتصنع نصّ الأقداس المكون من (1 - 190) نص، وحسب ما جاء نورد منه بالآتي:

- النص (6) منه (قد كتب عليكم الصلوة تسع ركعات الله منزل الايات حين الزوال وفي البكور والاصال...واذا اردتم الصلوة ولّوا وجوهكم شطر الأقداس المقام المقدّس الذي جعله الله مطاف الملاً الأعلى....).
- النص (8) منه: (قد فصلنا الصلوة في ورقة اخرى...).
- النص (12) منه: (كتب عليكم الصلوة فرادي قد رفع حكم الجماعة الا في صلوة الميت أنه لهو الامر الحكيم....).
- النص (13) منه: (قد عفا الله عن النساء حين ما يجدن الدّم الصوم والصلوة....).
- النص (16) منه: (...قد كتبنا عليكم الصيام أيام معدودات وجعلنا النيروز عيداً لكم...).
- النص (20) منه: (قد قسمنا المواريث على عدد الزاء منها قدر لذرياتكم من كتاب الطّا....).
- النص (21) منه: (من مات ولم يكن له ذريّه ترجع حقوقهم إلى بيت العدل....).
- النص (30) منه: (قد كتب الله على كلّ مدينة ان يجعلوا فيها بيت العدل....).
- النص (44) منه: (لا تحلقوا رؤسكم قد زينها الله بالشعر....).
- النص (45) منه: (قد كتب على السارق النّفي والحبس وفي الثالث فاجعلوا في جبينه علامة يعرف بها لئلاّ تقبله مدن الله ودياره....).
- النص (49) منه: (قد حكم الله لكلّ زانٍ وزانية دية مسلمة إلى بيت العدل وهي تسع مثاقيل من الذهب وان عادا مرّة اخرى عودوا بضعف الجزاء....).
- النص (62) منه: (من احرق بيتاً متعمداً فاحرقوه....وان تحكموا لهما حبساً ابدياً لا بأس عليكم....).
- النص (63) منه: (قد كتب الله عليكم النّكاح آياكم ان تجاوزوا عن الاثنتين...).
- النص (89) منه: (يا معشر الرّوم نسمع بينكم صوت البوم ءاخذكم سكر الهوى أم كنتم من الغافلين...).
- النص (95) منه: (يا شواطي نهر الرّين قد رأيناك مغطاً بالدماء بما سلّ عليك سيوف الجزاء ولك مرّة اخرى ونسمع حنين البرلين....).
- النص (106) منه: (قد كتب عليكم تقليم الاظفار....آياكم ان تقربوا خزائن حمامات العجم...).
- النص (122) منه: (انا نرى بعض الناس ارادوا الحرّية ويفتخرون بها اولئك في جهل مبين).
- النص (123) منه: (انّ الحرية تنتهي عواقبها إلى الفتنة التي لا تحمد ناراها كذلك يخبرك المحصي العليم).
- النص (125) منه: (قل الحرّية في اتّباع اوامري لو انتم من العارفين...).
- النص (128) منه: (انّ عدّة الشّهور تسعة عشر شهراً في كتاب الله...).

- النص(190) والآخر: (قد حرم عليكم شرب الافيون انا نهيناكم عن ذلك نهياً عظيماً في الكتاب والذي شرب الله ليس مني اتقوا الله يا اولي الاباب)(1).

وفي عام 1953م أعد ملص مصنف لأحكام الكتاب الأقدس من قبل حضرة البهاء نفسه، إلا أنه توفي عام 1957م قبل إنجاز هذا العمل، وبعد موته استمرت الجهود على المنوال نفسه حتى اكتمل هذا الجهد ونُشر عام 1973م، في مجلد جمع فيه الخلاصة، والحاشية ومجموعة منتخبة (أي مختارة) من نصوص الكتاب، سبق أن ترجمها حضرته إلى اللغة الإنجليزية، ونشرت في كتب مختلفة، وشمل تفصيلها الوارد في رسالة سؤال وجواب التي تعد ملحقاتاً لكتاب الأقدس، وفي عام 1986م رأى بيت العدل الأعظم (المجلس الأعلى) للعقيدة البهائية ومقره (لندن) أن الوقت قد حان لترجمة الكتاب، وجعل هذا العمل هدفاً من أهداف المجلس للسنوات الست القادمة (1986 - 1992م). وفي أواخر عام 1992م نشرت النسخة الإنجليزية إلى اللغات الأخرى، ثم عين بيت العدل الأعظم لجنة خاصة لإعادة طبع كتاب الأقدس باللغة العربية، وهي اللغة التي أنزل بها، وسمح لهذه اللجنة أن تستأنس في أعمالها بما تراه مناسباً من المقدمات، والشروح والحواشي التي حوتها الترجمة الإنجليزية مع مراعاة خصائص الفكر العربي، حتى تنسجم اقتباساتها مع طابع الكتاب الكريم وأسلوبه، وهو ما يعنى أن النسخة الإنجليزية هي الأصل، التي سيتم النسخ منها للعربية، وهذه المقدمة تكفي بحد ذاتها لفضح هذا الكتاب المسمى (الأقدس)، وتفرض عدداً من الأسئلة أهمها ما يلي:

- 1-بأية لغة أنزل هذا الكتاب(الأقدس)؟ وفي أية مدة زمنية؟
- 2-هل أنزل على حضرة البهاء كاملاً؟ وهل استمرت عميلة نزوله بعد موته؟ وهل؟ وهل؟

وكثير من التساؤلات الفاضحة المضحكة حيال هذا العمل الذي يحمل فناءه بذاته الذي ألف من قبل جماعة التحريف (المعاصرة)، أما محتوى النص نفسه فلا يستحق التعليق أو الرد عليه من الأساس لضحالة ألفاظه، وأقل ما يمكن أن يوصف به هذا الكتاب أنه كتاب مسخ وكفى.

دعوته وتعاليمه: من أهم ما ورد في دعوته:

- 1-المساواة المطلقة بين الناس، وبين الرجل والمرأة على وجه الخصوص.
- 2- منع تعدد الزوجات إلا باستثناء خاص.
- 3-منع الطلاق ومنع عدة الطلاق إلا في حالة الضرورة.
- 4-إبطال صلاة الجماعة إلا في صلاة الجنائز، وقال إن الصلاة فردية.
- 5-أبطل استقبال القبلة عند الصلاة، وقال ما دام الإله يحل فيه فينبغي على المصلين التوجه بالصلاة حيثما كان هو فتكون قبلة البهائي في الصلاة متغيرة بتغير مكان البهاء نفسه.

(1) انظر نصوص مرقمة من كتاب الأقدس - الصادر عن بيت العدل 1986م ترقيم دولي (6- 132- 88867) والذي يحوي على (1- 190) بالإضافة للشروح والتعليقات في كتاب مكون من 340 صفحة .

6- قالوا بصحة الطهارة للصلاة فأبقوا الغسل للصلاة والجنابة.

7- أحل إعمال العقل في كل الأحكام التي جاء بها الإسلام من حلال وحرام وغيرها.

قيل إن عباس أفندي المسمى عبد البهاء أو (غصن أعظم) جاء بعد وفاة أبيه بتعديلات جديدة على المعتقد البهائي، فكان على وعي كامل بالحياة المدنية، والثقافة الأوروبية وتأثر بها، فعمل على تحويل تعاليم والده، بما يتقارب مع الحياة العصرية للحياة الأوروبية، وقام ببعض الإصلاحات منها:

1- ألغى فكرة الحلول الإلهي.

2- لم يذع أي خوارق على يديه كأبيه.

3- لجأ إلى التوراة والإنجيل وأخذ منها.

صنع دعاية بين أتباع ديانة اليهود والمسيحيين، والمجوس لجمع الأتباع حوله من معتنقي هذه الأديان، فانتشر أتباعه في إيران وتركمنستان، ثم انتقل إلى المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وأصبحت البهائية اليوم ديناً جديداً معترفاً به من بعض البلدان، ووصل عدد أتباعه إلى بضع ملايين في هذه البلدان، والحقيقة أن الاستعمار عبر أجهزتهم الاستخباراتية نشروا هذا الفكر الديني لزرع الانقسامات، وضرب المقاومة الوطنية الإسلامية في مستعمراتهم، آنذاك من بلاد البنجاب في القارة الهند وباكستان وإيران، فعمد بصورة مباشرة وغير مباشرة إلى زرع أشخاص بعينهم وتشجيعهم وتمويلهم لإنشاء هذه الجماعة التي تتشابه من حيث البناء والأهداف مع جماعة البنائين الأحرار (جماعة الإخوة الماسونية) العالمية، وغيرها من الجماعات التي يتم تفريخها بين حين وآخر نتيجة لوجود ثغرات واسعة في الفكر الديني - الحديث والفقه المذهبي الإسلامي سمحت بتفريخ مثل هذه الجماعات استناداً إلى تلك الأحاديث التي تنتبأ بظهور مثل هذه الدعوات تحت مبرر تجديد الدين، وخرافة المهدي المنتظر، وعبر الكم الكبير من أحاديث العنونة التي تنتبأ بعلم الغيب للمستقبل، وهي نصوص موجودة في كل العقائد، وفي الواقع فإن هذه الجماعة هي امتداد لجماعة التحريف التي أول من تزعمها إبليس، ثم السامري في عهد موسى صلى الله عليه وسلم، واستمرت بمسميات وأشكال وأهداف متعددة ومتغيرة ومتجددة من زمن لآخر، وهكذا يستمر الصراع بين الشر المتمثل في هذه الجماعات السرية الباطنية، والخير الذي يمثله القرآن الكريم، والعمل الصالح وما يحمل الإنسان من قيم الفضيلة والإيمان بالله سبحانه وتعالى وحب الناس جميعاً والإحسان والتعايش بسلام واحترام الحقوق والحريات وإشاعة السلام على الأرض من دون تمييز بين دين أو عرق أو غيره.

جماعة القاديانية (الأحمدية):

جاء التعريف بهذه الجماعة: فكان أول ظهور لهذه الجماعة في الهند، في بلدة قاديان إحدى قرى مقاطعة البنجاب الهندية، عام 1889م على يد ميرزا غلام أحمد الذي وُلِدَ في 13 فبراير عام 1835م، فعاش من 1835 - 1908م، وعندما بلغ الخمسين من عمره ادعى أن الله أوحى إليه وبعثه ليجدد الدين، فباشّر الكتابة في المواضيع الإسلامية منذ عام 1880م، حتى عام 1890م ثم أعلن أن الله قد أرسله مسيحاً موعوداً ومهدياً منتظراً، فقال عن نفسه إنه

المسيح الموعود والمهدي المنتظر الذي بُشِّر بأنه يأتي في آخر الزمان، وقد استمر في دعوته حتى وفاته عام 1908م، مخلفاً قرابة (80) كتاباً وفق ما ذكر عنه، وسجل مذهبه رسمياً سنة 1900م، (1) فخلفه نور الدين القرشي الذي توفي عام 1914م، ثم مرزا بشير الدين محمود ابن مؤسس الأحمديّة، وبقي حتى وفاته عام 1965م، ثم انتخب ميرزا طاهر أحمد الذي توفي في 2003م، فانتخبت الجماعة ميرزا مسرور أحمد المقيم في لندن زعيماً لها، وما يزال حتى اليوم.

عقيدة القاديانية: يؤمن الأحمديين أن الميرزا غلام أحمد القادياني مؤسس جماعتهم هو النبي المرسل وانهم يكفرون من لا يؤمن بذلك، وأما الأحمديّة فيذكرون أنهم يعتقدون أنه ولئوليس نبياً، جاء مجدداً للدين الإسلامي، ومعنى التجديد عندهم هو إزالة ما تراكم على الدين من غبار عبر القرون، وبذلك أعلن من نفسه إماماً مهدياً بعث ليحدث الإسلام، ثم ادعى أن روح المسيح والنبي محمد حلت فيه، ثم ذهب لصبغ دعوته ببعض التنبؤات الخرافية من الكسوف والخسوف للشمس والقمر مستغل جهل الناس بالحسابات الفلكية وكثير ما استخدمت هذه الحيلة على الناس بمختلف الأزمان واليوم أصبحت من البدييات العلمية التي يتنبأ لها علماء الفلك قبل وقوعها بأشهر، ويذكر أن الميرزا غلام كان يوحى إليه، ثم أقر أنه المسيح وأنه نبي ظلي وأن كلامه هو كلام الله كالقرآن والتوراة والإنجيل، ولهم موقف مخالف من ولادة عيسى، فرد الأحمديين عليها، وتم جمع الردود في كتاب "شبهات وردود" وللجماعة الأحمديّة قنوات فضائية عربية وإنجليزية تمثل آلتهم الدعائية ومنهم من يؤكد أن زعيمهم مجدد الإسلام حسب حديث العنعة المروي بمسند أحمد ابن حنبل: (أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة رجلاً يجدد لها أمر دينها) زاعمين أنه رجل المائة السنة الأخيرة، وهذا الحديث يتعارض مع القرآن من ناحية عدم العلم بغيب المستقبل وأن علم الغيب أمر ينفرد به الله سبحانه وتعالى وهو وحده من يعلم الغيب، ومن أبرز معتقداته:

- 1- آمن بحلول روح المسيح فيه، لذلك فهو يتكلم عن الله ولا يحق لأحد معارضته.
- 2- ادعى بأنه المهدي وأن اللاهوت حل بجسده فالتقى فيه الناسوت واللاهوت.
- 3- ادعى قيام الخوارق على يديه، منها كسوف الشمس، وخسوف القمر في رمضان سنة 1894م
- 4- ادعى أنه رسول من عند الله ورسالته لا تتنافى مع كون محمد خاتم النبيين، وليس خاتم المرسلين.
- 5- عمل على موالة الاستعمار البريطاني على اعتبار أنهم أهل كتاب، ومن كونهم مسيحيين، والقرآن ذكرهم بكل خير، لذلك نادى بطاعة الإنجليز وخدمة مصالحهم.
- 6- عطل الجهاد ورأى أن وقته قد انتهى مستنسخاً سماحته من المسيح الذي يدعو للملاطفة والسلام.
- 7- لا يكفر غيره من المسلمين، الذين لا يؤمنون به غير أنه يكفر من يكفره فقط.
- 8- تحريم زواج النساء القديانيات ممن لم يؤمنوا بنبوته.

(1) انظر إسلام بلا مذاهب / د. مصطفى الشكعة من ص 383-396.

مات غلام احمد: بعد أن أقر هذه التعليمات بين أتباعه، وجعل أمر اختيار خليفته لمجلس منتخب من الجماعة، ومقره لندن أطلق على من يترأس الجماعة اسم "الرئيس الروحي" فكان أول خليفة له هو: مولاي نور الدين الذي أعلن تمسكه بتعاليم المؤسس، ومن خلال هذه التعاليم تبرز بصمة سياسة المستعمر التي ترى أن من حقها توظيف كل المتناقضات في سبيل مصلحتها في البقاء على الأرض.

جماعة الدعوة والتبليغ:

التعريف: جاء التعريف بالجماعة من مصادرهم المعتمد والتي أوردت التعريف بجماعة الدعوة والتبليغ (بالأردية: تبليغي جماعت): ويُنسب تأسيس هذه الجماعة إلى الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (1885-1944م) الذي وُلد في كاندهلة، قرية من قرى سهارنفور بالهند، وكان أول أمير لها حتى وفاته، ثم تبعه ابنه محمد يوسف ثم إنعام الحسن، وكما هو معلوم فمنذ تأسيسها، أعد الكاندهلوي نخبة من شباب خريجي المدارس الدينية من (ديوبند وسهارانبور) وأرسلهم إلى موات لتأسيس مجموعة في المساجد والمدارس الإسلامية في المنطقة، أطلق الكاندهلوي على هذه الجماعة لاحقاً اسم "جماعة التبليغ" (بالأردية: تبليغي جماعت)، وقد انتشرت الجماعة سريعاً في الهند ثم في باكستان وبنغلاديش، ثم إلى بقية العالم الإسلامي، والوطن العربي، حيث صار لها أتباع في كل أرجاء الوطن العربي والإسلامي، كما انتشرت دعوتها في معظم بلدان العالم اليوم، وهي جماعة هندية خصصت نفسها للدعوة والزهد، ويعتمد أسلوبها على الترغيب والتأثير العاطفي، يذكر أن الجماعة تأسست عام 1926م، بدأت دعوتها في الهند، وتدعي بأنها قامت من أجل الدعوة إلى: تبليغ من لم تبلغه الدعوة الإسلامية من المسلمين وغير المسلمين، والعمل على إدخاله للإسلام، ووعظ المسلمين إلى الصلاة بوصفها عماد الدين، وغير ذلك مما يزعمون⁽¹⁾، ولتحقيق ما يدعونه من الأهداف يخرج أتباعهم للدعوة أياماً ليشاهدوا صورة من صور إيمانهم والمحبة بينهم، ورغم العدد الكبير لجماعة التبليغ فليس لها ناطق رسمي، ولا ممثل أو مخاطب معتمد، فهي أشبه بتكوين هلامي، عمدت إلى حصر الإسلام بالشكل واللبس والإسهاب الممل بأقاصيص، وحكايات الصحابة عبر سرد أحاديث العنينة التي دستها جماعة التحريف فهيات لهم المشروعية، وهي جماعة متماهية تركز جل اهتمامها في تهذيب النفس لدى عامة الناس من خلال القيام بالأمر بالمعروف ولا تهتم ببنية الدولة، وشكل الحكومة ولا بأحوال الناس الاقتصادية والسياسية ولا تهتم بالعمل، وليس لديها موقف مما يجري حولها من الأحداث، ومركز الجماعة في دلهي، الهند.

وتستمد الجماعة مشروعية دعوتها إلى الفكر العقائدي الوارد في كتب دعائها المؤسسين، ومنها:

(1) انظر حياة الصحابة / محمد يوسف الكاندهلوي - تعليق د. محمد بكر إسماعيل - السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى. من مقدمة بيان منهج الكتاب وأصول التبليغ والدعوة - ومن تصدير الكتاب من ص 9 - 20.

1- كتاب حياة الصحابة للعلامة الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي. الجزء (1 و 2 و 3 و 4)(1).

2- كتاب رسائل في الدعوة إلى الإسلام للعلامة الشيخ محمد زكريا الكندهلوي.

3- كتاب جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية، تعريفها وعقائدها تأليف: أبو أسامة سيد طالب الرحمن.

وتحتوي هذه الكتب على سرد قصصي لحياة الصحابة التي يعتبرها الكاندهلوي أنموذجاً يقتدى به، ودليلاً نظرياً وعملياً ملزماً على من يلتحق بالدعوة، وهم بذلك يهتمون بالجانب الشكلي من حيث الهيئة، والثياب، والعمامة، والثوب وإطلاق اللحية والاهتمام بالمسواك، ويتركز مفهوم الدعوى على إصلاح الفرد حسب زعمهم وإعادةه إلى حياة الصحابة بكل مظاهر الحياة القديمة، وكأنما يريدون العودة بالناس إلى تلك الحقبة من التاريخ وإفراغ الإسلام من قيم العلم والإيمان والعمل، وإفراغ الناس من التطور الاقتصادي والسياسي وكافة علوم المعرفة التي توصل إليها إنسان اليوم، فكل هذا التقدم العلمي بعيد عن فكرهم وتفكيرهم، فهم يدعون الناس إلى: أن يعرف الناس صفات وأخلاق الرسول محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم، وأركان الإسلام، ويدعون الناس إلى عبادة الله وحده، مستثنين في ذلك بالنبي والصحابة، ولكنهم لا يتعرضون إلى قضية النهي عن المنكر كبلاغ جماعي معتقدين بأنهم مازالوا في مرحلة إيجاد المناخ الملائم للحياة الإسلامية، وأن القيام ببلاغ كهذا قد يضع العراقيل في طريقهم، وينقّر الناس منهم، ويرون بأنهم إذا أصلحوا الأفراد، فرداً فرداً، فسوف يزول المنكر من المجتمع تلقائياً، ولا يأبون بحال تطور العلوم والحياة من حولهم، ويرون الخروج والتبليغ ودعوة الناس هي أمور أساسية لتربية الداعية ولصقله عملياً، لأن ذلك سيجعله يحس بأنه قدوة، وأن عليه أن يلتزم بما يدعو الناس إليه، فالخروج ليس هدفاً ولكنه وسيلة لتعلم اليقين وزيادة الإيمان، ولتعلم أصول الدعوة وآدابها، ومن مميزاتهم أنهم يبتعدون عن الخوض في الخلافات المذهبية اتقاء الجدل والانقسام والعداوة، وفي الوقت نفسه (على الواقع) يجعلون من أنفسهم جماعة أو فرقة مميزة عن بقية المسلمين، مما يزيد الانقسام في المجتمع المسلم، ولا يتكلمون في السياسة، والشؤون العامة للناس، وينهون أفراد جماعتهم عن الخوض فيها، وينتقدون كل من يتدخل فيها، ويقولون: إن من السياسة ترك السياسة.

لجماعة التبليغ أصول لعملها وأدبيات تعارفوا عليها، وتوافقوا على تطبيقها في مجال الدعوة، ولم يكتبوها في كتب، ولكنهم تواصلوا بها كما توارثوها، وفيما يلي نسرد بعضاً مما عُرف عنهم:

1- يملكون قدراً من أسلوب الموعدة الحسنة تجاه من يدعونهم، وربما تكون هذه حسنتهم الوحيدة.

(1). نفس المصدر السابق (حياة الصحابة).

2-إذا خرجوا للدعوة أمرّوا عليهم أحدهم، فليس لديهم مناصب محددة، ولا وظائف دائمة غير أنهم بدأوا مؤخراً بتنظيم رئاسة جماعتهم عبر مجلس شورى في كل بلد يدير شؤون الجماعة، يتبع مجلس شورى عالمياً للجماعة في الهند، وهم بذلك يحذون حذو البهائيين، وجماعة الإخوان المسلمين والمراجع الشيعية، وجماعة الإخوة الماسونيين.

3-تنتدب مجموعة منهم نفسها لدعوة أهل بلد ما، حيث يأخذ كل واحد منهم فراعشاً بسيطاً، وما يكفيه من الزاد، والقليل من المال على أن يكون التقشف هو السمة الغالبة عليه.

4-عندما يصلون إلى البلد أو القرية التي يريدون الدعوة فيها ينظمون أنفسهم أولاً، بحيث يقوم بعضهم بالخدمة وبتنظيف المكان الذي سيمكثون فيه، وآخرون يخرجون متجولين في أنحاء البلدة والأسواق والحوانيت، داعين الناس لسماع الخطبة (أو البيان كما يسمونه).

5-إذا حان موعد البيان التقوا جميعاً لسماعه، وبعد انتهاء البيان يطالبون الحضور بالخروج للدعوة، وبعد صلاة الفجر يقسمون الناس الحاضرين إلى مجموعات يتولى كل داعية منهم مجموعة يعلمهم الفاتحة، وبعضاً من قصارى السور، ويتجمعون حلقات، ويكررون ذلك عدداً من الأيام.

6-قبل أن تنتهي إقامتهم في المكان يحثون الناس على الخروج معهم للتبليغ والدعوة، حيث يتطوع الأشخاص لمرافقتهم يوماً أو ثلاثة أيام أو أسبوعاً أو شهراً، كل بحسب طاقته وإمكاناته ومدى تفرغه.

7-تحدد الجماعة طريقة الخروج في أن يكون ثلاثة أيام في الشهر، وأربعين يوماً في السنة وأربعة أشهر في العمر على الأقل، وهو ليس شرطاً وإنما لتسهيل عملية السفر والتنقل، إذ يمكن أن تكون فترة الخروج أقل أو أكثر، ويعد الخروج ركناً أساسياً في أدبيات الجماعة ويقيمون في المساجد.

8-لا يعتمد بعضهم على بعض في النفقات، بل كل واحد منهم ينفق على نفسه من ماله الخاص في السفر، فلا تكاد تجد واحداً منهم يعيش عائلة على أخيه، وهم يتعاونون بين بعضهم البعض، ويعتمدون بصفة كبيرة على قيام الليل في طريقهم في الدعوة، فيُعرفون بقيامهم الليل وأنه ركيزة في الدين.

وقد قيل إن مؤسسي جماعة الدعوة والتبليغ أظهروا الاقتداء الكامل في سيرة النبي وسيرة أصحابه، والتأمل في عبادتهم ومعاملاتهم، وعاداتهم فوجدوا أن الصفات المشتركة التي لا يخلو منها واحد من الصحابة، الخروج لنشر الدعوة وقد اشترطوا لهذا الخروج: الخروج بالنفس، الاعتماد على المال الحلال، وبالاقتدار إلى الله، قراءة كتب شيخهم المؤسس طيلة الوقت، وكتاب رياض الصالحين، وحياة الصحابة. ويعتمد منهاج أصحاب الدعوة بدرجة رئيسية على إرث عقائدي، يتمثل في أحاديث العنينة المدسوسة من جماعة التحريف، وبعض من آيات القرآن الكريم، وجعلوا منها منهاجاً أساسياً للدعوى والتبليغ، ويعتمدون في ذلك على

الكتب المؤلفة من إمام الدعوة محمد يوسف الكندهلوي "حياة الصحابة" وتعتبرها الجماعة دستور الدعوة. وينصب محتوى هذه الكتب بأجزائها المتعددة على حياة التقشف والزهد والسياحة الدينية العابرة للحدود، وأهمية التجمعات السنوية الضخمة الاستعراضية على مستوى كل بلد، أو التجمع العالمي الذي يشبه تجمع الحج بالعدد الكبير من مختلف دول العالم، ويدعي منتسبو هذه الجماعة أن نفقات هذا التجمع العالمي من سفر وإقامة من بلد إلى آخر يكون على حسابهم الشخصي، غير أن الواقع يقول: إن نفقات تلك الاحتفالات والتجمعات العالمية السنوية لا يستطيع منتسبو هذه الجماعة تحمل تكاليفها وإن كان لدى أفرادها تسهيلات في تكاليف السفر عبر تحفيض أسعار تذاكر السفر للرحلات الجوية على بعض خطوط الطيران العالمي، وإذا أضيف إلى نفقات هذه التجمعات السنوية نفقات المباني التي تم تشييدها مؤخراً في عواصم المدن العربية، والإسلامية كمراكز ومقرات لدعوتهم، وإنشاء مساجد خاصة لهم فإن ذلك يضع كثيراً من علامات الاستفهام بشأن المصادر المالية لهذه الجماعة، وأهداف تلك المصادر التي تدعمها بصورة سرية، ولاسيما أن هذه الجماعة كأي جماعة عقائدية لها أهداف ظاهرة وأخرى باطنية، وملخص ما يؤخذ على هذه الجماعة ما يلي:

- 1- جماعة غامضة الأهداف والتمويل والإدارة.
- 2- تكوينها ووجودها على الواقع يضيف للأمة الإسلامية مزيداً من الانقسام والتشرم.
- 3- تعتمد منهجيتها العقائدية على الأحاديث المندسة والحكايات والأقاصيص والخرافات المزعومة عن سيرة الصحابة، كما يستدلون بتفسير القرآن الكريم وتأويله على نحو مغلوط.
- 4- تهتم كثيراً بالشكليات، مثل: إطلاق اللحي الثوب القصير العمامة المساوك، فهي أشبه بجماعة الصابئة المندائيين.
- 5- لا تعترف بالحدود الوطنية، كالبهائية والإخوان المسلمين والسلفية، فهي كغيرها من الجماعات العابرة للحدود، وعليه يُسمح لها دخول الأراضي المحتلة في فلسطين بإذن سلطات الاحتلال الإسرائيلي.
- 6- لا يهتمون بالشؤون العامة للمسلمين من حيث شكل الدولة والأحوال الاقتصادية والسياسية.

جماعة السلفية الوهابية والجهادية.

التعريف: يبدو أن معظم التعريفات التي وضعت للسلفية قد اكتفت بمفهوم السلفية، المرتبطة بنشأتها والتغيرات الجذرية التي طرأت على الظاهرة السلفية خلال مسار تطورها في القرون اللاحقة، إذ استطاع المنهج السلفي أن يكتمل ويحدد عن طريق ثاني أكبر مؤسس للسلفية التقليدية وهو الشيخ ابن تيمية.

وقد كان ظهور الوهابية في منتصف القرن الثامن عشر (1744م) إيذاناً بعودة السلفية لواجهة الأحداث، والإعلان عن استئناف نشاطها التاريخي، والحفاظ على المفهوم التقليدي للسلفية وولائها عقائدي تنظيمي، وهو ظهور لا يتميز عن غيره بتاريخ النشأة، وإنما بطبيعة

الطروحات العقائدية التي تؤمن بها الجماعة، مع التأكيد أن الفكر السلفي له نظائر متعددة في العقائد الأخرى، وإن صح القول، فالفكر السلفي كغيره عابر حدود العقائد، فهو فكر متأصل في العقيدة اليهودية وفي العقيدة النصرانية والهندوسية ومذاهب الإسلام، ولكل عقيدة أو مذهب سلفية خاص به، وبرزت السلفية الإسلامية بشكل واضح في فكر مذهب السنة، وكذلك بفكر المذهب الشيعي وغيرهما من المذاهب الإسلامية، وقد ساد في الأوساط الشعبية الاعتقاد بأن السلفية حركة إصلاحية، تهدف لإحياء العقيدة وتنقيتها مما شابها من شرك وبدع، ويكاد الباحثون والسلفيون أنفسهم أن يجمعوا على أن الوهابية هي الوريث الشرعي للسلفية التاريخية، والامتداد الطبيعي لها، والمطور لها في آن واحد، ولما كانت الوهابية هي الحلقة الأخيرة بعد تجديد ابن تيمية لفكر السلفية الحنبلية نسبة إلى أحمد ابن حنبل، فإنها الوريث الشرعي للسلفية في تطورها التاريخي كعقيدة ومنهج تأصيلي وفكري، فكانت الوهابية بمنزلة البركة التي حوت روافد التأصيل العقائدي الحنبلي وتفاصيل مذهب السلف من ابن تيمية إلى ابن القيم الجوزي وغيره كثير، وهو ما أطلق عليه بمذاهب السنة الصحيحة حسب زعمهم، ونفس الشيء يتمثل مع السلفية الشيعية المغالين من الأئمة المتعصبين الذين احتكروا النسب الديني المقدس بأهل البيت وبزعم كاذب أنهم أولياء لله في الدين والدنيا ولهم حق السلطة الدينية والدينية ولهم حق ديني في أموال الناس.

السلفية الوهابية:

مؤسسها محمد ابن عبد الوهاب المتوفى (1787م)، نشأ بالدرعية (الرياض حالياً) المملكة العربية السعودية، تلقى الفكر السلفي المتشدد من فكر أحمد ابن حنبل وفكر ابن تيمية وغيرهما، وتوسع في دراسة الأفكار السلفية واعتناقها، فبعث عدداً من الرسائل وضح فيها دعوته وبين بها معتقده.

عقيدة السلفية الوهابية:

جاء في كتاب (الرسائل الشخصية) المنسوب لـ محمد عبد الوهاب والذي قام بتصحيحه كلا من صالح الفوزان - ومحمد بن صالح العليقي وقد جاءت هذه الرسائل بدون عناوين فكانت بأسماء أشخاص بعينهم وبعده (51) رسالة ويكاد هذا العدد يتقارب من عدد (رسائل أخوان الصفاء في تأصيل عقيدتهم الباطنية)، وقد وزعت رسائل بن عبد الوهاب على خمسة أقسام في (333) صفحة، فكان هذا المحتوى عبارة عن إنتاج لجنة عقدت بجامعة الإمام محمد بن سعود عام 1976م، ولم يحدد لها دار نشر أو تاريخ أو ترقيم محدد، فهل يصح اعتماد رسائل شخصية كأيدلوجية عقائدية للناس وللدولة؟؟

ومن المؤسف أن نجد مؤلفات أخرى كثيرة ولنفس الموضوع وبعناوين مختلفة أضيفت إليه بقصد تضخيم المحتوى وهو عمل مقصود وقد تكرر كثيراً، وقد لاحظنا ذلك سابقاً عند صناعة فكر وشخصية الشافعي، وفكر وشخصية مالك، وفكر وشخصية جعفر الصادق وفكر وشخصية حمزة الزوزني، وغيرهم، وهذا الكتيب في الحقيقة لا يصلح أن يطلق عليه غير ما

سمى به صاحبه (رسائل الشيخ) وكفى، وهذا الكتيب موزع على خمسة أقسام⁽¹⁾ على النحو التالي:

القسم الأول: عقيد الشيخ وبيان حقيقة دعوته ورد ما لصق به من التهم، ويحتوي على (17) رسالة، أولها رسالة إلى أهل القصيم وأخرها رسالته إلى أهل المغرب.

القسم الثاني: بيان انواع التوحيد، ويحتوي خمس رسائل أولها رسالة إلى (حسن) وأخرها رسالته إلى (عامة المسلمين).

القسم الثالث: بيان معنى لا اله الا الله وما يناقضها من الشرك في العبادة، ويحتوي على (8) رسائل أولها رسالة إلى (نيان بن سعود) وأخرها إلى (فايز).

القسم الرابع: بيان الاشياء التي يكفر مرتكبها ويجب قتاله والفرق بين فهم الحجة وقيام الحجة، ويحتوي على (6) رسائل أولها رسالة إلى (أحمد بن إبراهيم مطوع مرات) وأخرها رسالته إلى (الأخوان).

القسم الخامس: توجيهات عامة للمسلمين في الاعتقاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويحتوي على (15) رسالة أولها رسالة إلى (محمد بن عبداللطيف) وأخرها رسالته إلى الأخوين (عبدالله علي - ومحمد جماز).

لُخصت هذه الرسائل فحوا عقيدة الرجل الممولة بفكر مذاهب أهل السنة والجماعة وفكر الأشاعرة، والمشحون بالتكفير والتبديع والتفسيق لمخالفة من أصحاب الرأي الآخر حتى ولو كان من نفس بئته المذهبية، ومما ذكره في رسائله إلى أهل القصيم عندما سأله عن معتقده، قال: "أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم أنني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية، من أهل السنة والجماعة... الخ"، وقد اعتمد ابن عبد الوهاب بشكل عام على إحياء فكر ابن تيمية وابن القيم الجوزية الملخص في نبذ العادات التي رآها ملتبسة بالشرك والبدع، موجهاً جهده نحو تنقية العقيدة المبنية على التوحيد الكامل لله حسب زعمه، وأخذ في مجال الفقه بمنهج ابن تيمية الذي سلك بشكل عام مذهب الإمام أحمد ابن حنبل، ويرى أتباع محمد ابن عبد الوهاب أن منهج دعوته هو منهج أهل السنة والجماعة، وقد توسع من بعده مشايخ الدعوة في دائرة التحريم والتبديع والتكفير لمن يعارضهم وفق ما سبق بيانه، وتشددوا فيها، ورتبوا أموراً عملية لم يكن قد تعرض لها ابن تيمية نفسه. والدخول لفحوا مضمون تلك الرسائل يعد تكرار ممل لفكر جماعة العننة، وجماعة الدين السياسي والذين، وفي موضوع الحكم السياسي الديني تبنى مؤسس الوهابية فكرة الدولة الدينية المتشددة، وآمن اتباعه بهذه الفكرة، فأرسى في اعتقادهم القاعدة الفقهية بطاعة ولي الأمر، ما لم يصرح بكفر صريح، إذ يحرم علماء الوهابيين الخروج على الحاكم، وقد وظفوا هذه القاعدة الفقهية لرواج موروثهم في عدم الخروج على ولي الأمر مهما ظلم، مكرسين مبدأ السمع والطاعة، مدافعين عن معتقدون أنه الولي الشرعي، أما المخالف لهم فيسارعون إلى تكفيره وإباحة دمه.

(1) انظر كتيب بمولات الشيخ الإمام / محمد عبد الوهاب عبارة عن رسائل شخصية صححها وصنفها كلاً من - عبدالعزيز زيد الرومي - د. محمد بلتاجي - د. سيد حجاب .

فدّل توجههم منذ نشأتهم على توظيف الدين للمصلحة والسياسة والحكم. وكان محمد ابن الوهاب في ميدان السياسة قد تحالف مع محمد ابن سعود الذي اعتنق أهداف فكرته العقائدية من أجل مصالحه السياسية في بناء الدولة السعودية، وقد استطاعت هذه الجماعة أن تتلبس ثوب الدين والبداءة معا، وعملت جاهدة على التأثير على سكان دول الجزيرة العربية، وامتد تأثيرها في أواخر القرن الماضي، وساهمت الطفرة النفطية في نشر هذا الفكر المتشدد في مختلف البلدان حول العالم العربي والإسلامي بل والعالم.

وقد قامت السلفية الأم ممثلة في الوهابية على ميثاق نجد الذي يسمح بتقاسم الداعية محمد ابن عبد الوهاب والأمير محمد ابن سعود الأدوار كل حسب اختصاصه لتسيير الدولة وتوسيع الملك، فتماهت فيها السلطة الدينية مع السلطة السياسية رسمياً، منذ فترة التأسيس إلى عهد الاستقرار، لكن في فترات الحرب ومواجهة الأعداء كانت الكلمة تؤول إلى رجل السياسة، وتجسد هذا الأمر بهيمنة الملك عبد العزيز على الحكم، وتهميشه دور علماء الجماعة منذ تفجر الصراع بينه وبين معارضيه، بسبب إيقاف عبد العزيز آل سعود توسع الدعوة الوهابية في الجوار منذ 1929م التزاماً منه بخريطة بريطانيا والقوى الدولية الكبرى في ذلك الوقت.

ويرى اتباع هذه الجماعة أن الدولة لا بد أن تُحكم بشريعة الدين الإسلامي، ويطبقون ذلك من خلال بعض الآليات، منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث تأسست هيئة خاصة بذلك، واستندت في عملها إلى المطاوعة، وهم طائفة من الموظفين المتدينين يجوبون الشوارع ويفرضون ما يعتبرونه تطبيق الشرائع والشريعة، ويعتبر السلفيين نظام الهيئة التي يعمل بها الوهابين هو التطبيق الأمثل لنظام الحسبة المستوحى من (الآية: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ آل عمران (110)، وكلمة (المحتسب والمطوع) استند اختيارها إلى فكرة الاحتساب والتطوع لوجه الله حسب زعمهم وقد ألغي أخيراً العمل بهذه الهيئة بعد أن خلقت تيارات متشددة أحدثت خللاً في وعي المجتمع المتعايش معها، وصبغته بالتطرف وثقافة الكراهية والتكفير والعنف والإرهاب ضد مخالفيهم من المسلمين، وبعدم التعايش مع غير المسلمين.

ومن المؤكد منطقياً أنّ المدارس السلفية قد تعددت وتنوع خطابها في قضية الحكم، فمنها ما يحرم المشاركة في العمل السياسي، ليس رغبة فيه وإنما تقية، ومنها من يدعو إلى حكم الإسلام، وترى في نهجها الطريق الأمثل لحل كل ما يعايناه العالم من المشاكل، ومنها من انتهج المدرسة الجهادية كالقاعدة وداesh وطالبان والتنظيمات الجهادية المسلحة، وغير ذلك من الجماعات التي تلتقي بما تحركها من النوازع المذهبية، وأجهزة الاستخبارات.

وقد كانت الوهابية منذ ظهورها في القرن الثامن عشر مرتكزة للتوجه نحو نشر الدعوة، ومشاركتها في بناء أول دولة دينية في العصر الحديث (المملكة العربية السعودية الأولى)، وبقدر ما حققت بذلك من مكاسب جيوسياسية، فقد طبعت الدولة الوليدة عنها بالعقيدة السلفية المتسم بالشدة والانغلاق، ورفض الثقافات المخالفة والتحاور مع المغاير لها، وتشددت بخطاب الإفتاء والتكفير الذي عُرف عن شيوخها وأثروا به على اتباعها من الغوغاء والدهما (وفق ما

يوصفون به)، وإن كان خطابها مع الآخر خطاب المصالح واتباع سياسة البرغماتية، ولئن كان في هذا الاختزال للسلفية التاريخية بالوهابية شيء من التعسف، فإنه من الإنصاف أن نقر بهيمنة الوهابية وسيطرتها على المجال السلفي وسعيها لاحتكاره، ونشره في المحيط الإقليمي، بل والعالم، ومحاولة إظهار الإسلام بهذه العقيدة السلفية المتشددة من الإرهاب والتطرف الأصولي المقيت.

ومن نافلة القول إن السلطان عبد العزيز بن سعود استخدم جيش من عرب البدو الرحل أطلق عليهم (الإخوان المسلمين) فكانوا فئة محاربة ومتعصبة أطلق على وصفهم برسل الموت، وقد قُسم هذا الجيش إلى ثلاثة أقسام: العلماء، والمطاوعة، والمتعلمين المبتدئين، فكان دور العلماء تعليم المطاوعة الدين على الطريقة الوهابية، ودور المطاوعة تعليم الدين للمتعلمين المبتدئين، وإرشاد الناس، من خلال طوافهم في الأحياء والبلدات المنتشرين فيها، وحملهم على القيام بأعمال الشعائر والعبادات الدينية بالقوة، باسم الله والسلطان لتطبيق دين التوحيد، ومن لا يطيع تلك الأوامر ويمتثل لها يتعرض للعقاب وقد يصل أحياناً حد القتل.

لقد أنطلق التيار السلفي المعتقد لأفكار هذه المدرسة بمسمى الصحوة الإسلامية في العالم العربي والإسلامي في سبعينات القرن الماضي، إذ كان موجه للداخل أكثر منه للخارج، في الوقت الذي كان العرب والمسلمين يسعون في جبهات أخرى نحو التحرر من الاستعمار وبناء مشروع الدولة الوطنية، كانت الجماعات السلفية تتوسع في التكفير والتبديع مطالباً أتباعها نهج التغيير بالقوة لاقتلاع الأنظمة التي كفرتها واعتبرتها خارجة عن الإسلام وهي ما لبثت كونها وليدة ثورة، ورغم قوة التيار المستمدة من سعة انتشاره، وكونه وليد مدرسة عقيدة وفقهية عبر تاريخ فقه المذاهب الإسلامي، إلا أنه في الأوانة الأخيرة تعرض لكثير من الأحداث والمواقف... أدت إلى الانقسام الفكري والتنظيمي لهذا التيار تبعاً للمصالح التي تحركه، فنشأت اتجاهات سلفية عدة اختلفت في قضايا فكرية كالحاكمية والجاهلية والجهاد والعمل السياسي والموقف من الحكام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسائل أخرى، وكان من نتائج هذا الانقسام نشأت جماعة التيار السلفي الجهادي.

وتُعرف السلفية الجهادية بأنها جماعات تحمل فكراً أيديولوجياً، مناهضاً بشكل مطلق لما هو سائد من أنظمة اجتماعية، وسلطات سياسية يتمثل بالدولة الوطنية، ومفاهيم ثقافية وعلاقات دولية، وهي أيديولوجية تتشكل بعقيدة متشددة في تقسيم البشرية على أساس ديني، (مسلمين - وكفار) أو (دار حرب) و(دار إسلام)، والتوسع بتوصيف المخالفين لها فتنتعهم بالفاسق، ثم بالكافر، ثم بالمشرك، وفي الوقت نفسه تتبنى في خطابها أكثر الصيغ الموجبة لتأسيس الدين، فتتعامل معه كأيديولوجية صدامية، لا تقف عند هدف استعادة الخلافة كنظام حكم في فضائه التاريخي المعروف، وإنما تتجاوزه إلى الجهاد ضد الطاغوت والجاهلية في كل مكان من الكرة الأرضية، والعمل على إقامة دولة الخلافة العالمية، أي حكم الإسلام للعالم كافة، وهو ما يتوافق مع جماعة الإخوة الماسونيين أو ما يطلق عليهم بجماعة النورانيين الذين يسعون إلى نفس الهدف، (إقامة حكومة عالمية لحكم العالم)، وهو ما يتناقض مع قيم ومبادئ الدين الإسلامي الذي أنزل رحمة للناس منذ الخليقة الأولى للبشرية مروراً بعهد سيدنا إبراهيم عليه

الصلاة والسلام الذي أطلق لفظ المسلمين على كل من ينتمي لهذا الدين دون حصره بإقليم معين أو شكل للنظام السياسي أو حصره بدولة، وجعل خط سير هذا الدين يمر عبر مسيرة الأنبياء والرسل، كدين خالد ارتضاه الله جل جلاله للناس أجمعين جاء بالأساس لمحاربة فساد الحكم الكهنوتي المطلق باسم الإله وسيستمر كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج: 78)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورى 13)، وأكد الله سبحانه وتعالى تعريفه للإسلام كونه ديناً لكل الناس، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران: 19) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: 85).

وقد أكد الله سبحانه وتعالى للناس أن الدخول لدين الإسلام لا يكون بالقوة الجبرية، وإنما جعل الاعتراف به يقوم على العلم به، ثم الإيمان به، ثم التسليم به واختياره عن فهم وإدراك وقناعة أو اختيار غيره من الأديان، فلإنسان حرية الاعتقاد بأي دين اختاره، وله حرية التفكير، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾ (الكهف: 29)، ونصوص القرآن الكريم تؤكد هذا المبدأ في الكثير من السور الذي بيّن فيها الله حق الإنسان في حرية التدين، أما ما يظهر من التشدد والانغلاق الديني فيما تقدمه الجماعات السلفية المختلفة في مشاربها المذهبية فلا يمثل سوى الوعي التي تشكلت به تلك الجماعات انطلاقاً من أهداف تأسيسها ومن مرجعياتها التي تتشابه كثيراً في النهج والبرامج المعبرة عن واحدة المصدر والهدف وإن تنوعت في خطابها التكفيري ضد الآخر وخطاب المسار في تصدير نموذجها القائم على أصول سلفية (شيعية أو سنية). ولهذا تتجدد مثل هذه الجماعات بأهدافها الواضحة المعبر عن مصالح جماعة التحريف والمتغيرة بتغير المكان والزمان.

معتقدات وأهدافها الجماعة:

- اعتنقوا فكر ابن تيمية وابن القيم الجوزي وعملوا بمذاهب أهل السنة والجماعة وخاصةً مذهب ابن حنبل، المتصف بالتشدد والغلو والتطرف.
- التقيد بنص حديث العنعة، وبتأويل وتفسير القرآن الكريم على نحو خاطئ وعطلوا إعمال العقل والتفكير بآيات القرآن إلا فيما ندر.
- الطاعة التامة لولي الأمر وعدم مخالفته مهما كان الأمر ألا بكفر بواح.

- اعتمدت محاربة جميع مظاهر الحياة المدنية، ونهجوا حياة البداوة المغلفة بعقيدة السلف الخاطية.
- عدم الإيمان بالأنظمة السياسية الحديثة في الحكم (الدولة الوطنية)، ولا بالدستور، واستبدلوها بالدعوة لعودة الخلافة.
- وسعوا دائرة المحرمات كتحريم التبغ والتصوير والموسيقى والغناء وفن النحت غيرها من الفنون والمجسمات، وكل ما يفتى بتحريمه فقهاهم.
- تكفير مخالفيهم ومحاربتهم بكل الوسائل، وهدم كثير من الآثار الإسلامية بحجة محاربة البدع والاصنام.
- إحياء السنة وإقامتها بإحياء الفكر السلفي، فأنجوا مؤلفات ضخمة من الفكر التكفيري ضد الآخر.
- التوسع في قضية البدع والتبديع لأعمال الناس الأبداعية كالفن والرسم والنحت والموسيقى وعلى الكثير من الأعمال والأقوال المخالفة لهم.
- الأخذ بفتاوى علمائهم وآرائهم، والقول بأنها من المقدس الذي لا يجوز مخالفته.
- إجبار الناس على تطبيق شعائر الإسلام بالقوة مثل الصلاة، وإلزامهم إطلاق اللحي واللباس.
- منع المرأة من التعليم، والاختلاط، وتولي الوظائف المدنية والعسكرية، وغيرها من أعمال المستجدة.
- صبغوا الحياة العامة والنظام السياسي للدولة بفكر جماعة السلف وأصبحت الدولة دولة مذهبية دينية.

ولا شك فإن هذه الجماعات بتفرعاتها وتشعباتها ومسمياتها كانت وما زالت مطية لاختراق من جماعة التحريف، المجسدة اليوم بأجهزة المخابرات التي تسعى لتحقيق أهدافها عبر مثل هذه الجماعات السلفية الجهادية السنية، وكذا الجماعات السلفية المتشددة من المذهب الشيعي، وتحت مسميات مختلفة، وومن ثم فإن خلق هذه الجماعات هو استنساخ من تجربة الغرب المسيحي إبان الصراع الأيديولوجي بين الطوائف المسيحية المتمثل بسلطة الكنيسة ودعاة الدولة العلمانية إبان النهضة الأوروبية، الأمر الذي خلف ملايين القتلى من البشر بذريعة محاربة الكفر، والهرطقة ومن هذا الصراع خرجت عدد من التيارات العلمانية والليبرالية والمناهج الاقتصادية الاشتراكية، والرأسمالية، كما ظهرت مذاهب الإلحاد بالأديان بفعل وسبب هذا الفكر الطائفي المتشدد وغيرها، واليوم فإن جماعة التحريف تنقل لنا مآسي تلك الحقبة المؤلمة من التاريخ لتعيد إنتاجه بنفس الأدوات مع تغيير شخوص المشهد على الأرض، غير مكرثين بما سفكوا من دماء الناس في أوروبا والعالم، وهامهم اليوم يهيئون لهم الأرضية المناسبة والأسباب والمبررات، وبعد أن درسوا الحالة العربية والإسلامية عبر بعثات الاستشراق، ومن خلالهم عمدوا إلى إحياء بذور الفتنة والتناقضات بالفكر الديني حسب عقائد، وشعائر الإسلام من حديث وسيرة، وتفسير وكل هذه أدوات تتعارض مع قيم الإسلام الحنيف فضربوا العالم العربي والإسلامي في خاصرته، مسخرين كل الإمكانيات لإبقائهما في

اقتتال دائم، ومتخلفين عن ركب الحضارة العلمية، والحياة المدنية، وإقامة دولة القانون التي أمر بها الله سبحانه لكي تكفل الحقوق والحريات والمساواة والعدل بين الناس.

ومن الموسف ان بعض الحكومات الوطنية شاركت في هذا الدور الهدام فساهمة في خلق مثل هذه الجماعات المتشددة لاستخدامها ضد خصومها السياسيين، وهكذا وُجِهت مقدرات هذه الحكومات إلى إضعاف القوى المدنية وبرامج التنمية والاقتصاد والحياة المدنية، وكل ما يعمل لبناء دولة القانون وقيم التغيير على أساس إيماني بالنهج السلمي والمدني لتداول الحكم (بالشورى - ديمقراطي) كمصطلح سياسي أكد عليه كلام الله سبحانه بالقرآن عمل على صون حقوق الإنسان وحريته، ذلك ما غاب عن وعي السلطات الحاكمة التي جعلت من هذه الجماعات وسيلة دعوية تنهج فكراً عدائياً للحياة وتمارس الإقصاء لمخالفاتها بكل الوسائل، وكأنها لا تعلم ما جاء في القرآن الكريم في توجيه الدعوى، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: 125).

ومن هنا فسيبيل الله سبحانه وتعالى المناط به الخطاب في الآية السابقة هو كل الأعمال والأقوال والأحكام والأوامر والإرشادات والمواعظ من القرآن الكريم، التي تدعو إلى خدمة الناس عبر هيئات المجتمع المدني، والسير بهم على نهج الصراط المستقيم، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِ إِلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِبَاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام، 151، 152، 153).

والحقيقة أن هذه الجماعات اتبعت السبل فتفرقت بالناس عن الصراط المستقيم وأصبحت فِرَقاً وجماعات متهمة، مطاردة في كل بقاع الأرض، وبخطابها وأفعالها ووَصَمَت المسلمين بطابع العداء للآخر، والأصولية المتشددة والإرهاب والتشردم، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم 32).، ومن المعلوم أن أنصار هذه الجماعة بدأوا في الآونة الأخيرة في التغيير نحو سياسة هادئة وبناء، سعياً نحو تخفيف منابع السلفية في دولة المنشأ (السعودية)، وبتقديري تعد هذه خطوة جيدة نحو الأمام، لكنها ليست كافية، فالإصلاحات التي قاموا بها غير كافية، ولا تحمل رؤية لمشروع إصلاحى للفكر الديني، بقدر ما تعد جزءاً يسيراً من الخروج من النفق المظلم، وهذا بتقديري غير كافٍ إذا لم يتم التسريع بتبني مشروع استراتيجى للتعليم، بالإضافة إلى حزمة قوية وجريئة من الإصلاحات السياسية الجادة في كل مجالات الحياة نحو مستقبل من الحرية المدنية، التي كفلها الله تعالى للناس جميعاً أسوة بما وصلت إليه شعوب العالم من تطوير في أنظمتها السياسية والمدنية بل وفي كل مناحي الحياة العلمية والعملية، ومواكبة الثورة العارمة في مختلف

مجالات الحياة، ومنها ثورة المعلومات والاتصالات، وحقوق الإنسان وبناء الدولة على أسس سياسية من الدستور وخضوع الجميع للقانون مع حق شعب الاحتفاظ بثقافته وتقاليدته، ونبذ كل ما يسيء للإنسان وأدميته وحريته مع التقيد بقيم الدين الفاضلة من الأوامر والأحكام، والحلال والحرام حسب نص القانون الصادر عن الجهاز التشريعي أو السلطة التشريعية وتجفيف منابع السلفية التي انتشرت لدول الجوار ووقف تصديرها للخارج ومنع استخدامها كورقة للمناورة السياسية في المستقبل بأي حال من الأحوال.

جماعة الإخوان المسلمين:

أسس هذه الجماعة حسن أحمد عبد الرحمن البنا (الساعاتي) (1906م - 1949م)، الذي بالمحمودية محافظة البحيرة جمهورية مصر العربية، وتقوم هذه الجماعة على تعاليم مؤسسها الذي رسم طريقها حسب دستور خطه مؤسسها (في يوليو 1938م) وأطلق عليها "التعاليم"، وقد صدرت في كتيب يحمل عنوان (الرسالة)، نشره دار الكتاب العربي، سنة 1951م، وورد ضمن كتاب بعنوان: (مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، الصادر عن مؤسسة اقرأ، الطبعة الأولى 2011م، القاهرة) وتضمن هذا الكتاب تعاليم حسن البنا، وغيرها من أدبيات مؤتمرات تنظيم الإخوان التي كانت تعقد بفترات دورة الانعقاد السنوي حسب النظام الداخلي للجماعة في كل من مصر والسودان، فضلاً عن نظرة وآراء المؤسس حسن البنا حول كثير من الشؤون وقضايا الحياة.

ومن المعلوم أن ظهور هذه الجماعة لم يكن محض صدفة، بل يرجع أصول بداياتها للأحداث القريبة من سنوات استخدام الإسلام سلاحاً سياسياً من قبل ألمانيا وتركيا في الحرب العالمية الأولى ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا، وفي المقابل استخدمت بريطانيا وفرنسا الإسلام سلاحاً ممزوجاً بالنزعة القومية للعرب نحو الاستقلال من الاستعمار التركي بقيادة الشريف حسين، وبعد انتهاء معارك الحرب العالمية الأولى ظهرت هذه الجماعة لتلعب دوراً سياسياً اتضحت أهدافه ومعالمه من خلال أدبياتها ونشاطاتها ومواقفها من الأحداث التي جرت في الوطن العربي، ويمكن تلخيص التعريف بجماعة الإخوان من خلال العناوين الواردة في الكتاب المشار إليه، وعلى نحو (1):

أصل دعوتنا - إلى أي شيء ندعو - دعوتنا في طور جديد - هل نحن قوم عمليون؟ - بين أمس واليوم- المؤتمر الخامس - المؤتمر السادس - رسائل التعاليم - الإخوان المسلمون تحت راية القرآن الكريم - نحو النور - مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي - نظام الحكم - أصول الإسلام والنظام الاجتماعي - النظام الاقتصادي - إلى الشباب عامة - وإلى الطلبة خاصة - المرأة المسلمة - تربية النشء تربية إسلامية خالصة - المنهج أولاً، المراحل ثانياً، وموقف الإخوان من الهيئات المختلفة في مصر، ثالثاً المطالب ورابعاً: كيف تتكون الكتيبة -

(1) . (1) انظر مجموعة رسائل حسن البنا - دار اقرأ - الطبعة الأولى 2011م يحوي الكتاب على كل أدبيات وأعمال البناء حتى عام 1949م في (554) صفحة

نظام الأسرة - العقائد- الإلهيات - صفات الله تعالى - الجهاد - مؤتمرات رؤساء المناطق والشعب - المؤتمر الشعبي الأول للإخوان المسلمين - المناجاة - المأثورات.

هذا هو الإرث العقائدي لحسن البناء، الذي خطّه بيده لجماعة الإخوان المسلمين، وما بين هذه العناوين تفرعات وتشعبات كثيرة توضح نهج الجماعة العقائدي الديني والسياسي والتربوي والعسكري، ولتنفيذ مشاريعهم قاموا بإنشاء المكتب التنفيذي ومجلس شورى الجماعة المعبر عن البناء التنظيمي والسياسي، ثم أنشأوا الجناح العسكري للجماعة (المليشيات الدينية المسلحة) في إطار الحكومة والدولة المصرية أطلق عليه اسم (الكتائب الإخوانية) ذات تكوين عنقودي متشعب يمتاز بالتدريب العسكري والسرية، ويعتمد على فكر الجماعة، وتوظيف القرآن الكريم وتأويله وتفسيره والاستشهاد به، لتأصيل مشروعية أعمالهم بما يخالف القرآن الكريم، وكذلك استخدموا أحاديث العنينة، وبهذا فقد سلك حسن البناء بجماعة الإخوان مسلك جماعة التحريف في صناعة المذاهب والفرق والجماعات الأخرى في الفكر الإسلامي، فسلك من المسلمين جماعة من المتدينين البسطاء وجعل منهم قنابل موقوته تنفجر في مجتمعاتهم بين وقت وآخر، وباسم الدين أتقنت هذه الجماعة توظيف الدين في تحقيق مآربها السياسية والاقتصادية الآنية بالإضافة لمصالح الدول التي ساهمة في أنشائها، مستغلة الجهل والعاطفة الدينية بين عامة المتدينين المنتمين إليها.

وقد حددت الجماعة شروط الانتماء الفكري والعقائدي للانتساب والانتماء لها والتي يغلب على أهدافها وتعاليمها الظهور والتقية السياسية بنفس الوقت، وهذه ميزة تنفرد بها جماعة الإخوان عن غيرها من الجماعات الدينية الأخرى، وهو ما حرص حسن البناء عليه في تعاليم بناء هذه الجماعة حيث ابتدأ ببناء أركان بيعتهم، حسب ما سردها بالقول: إنها عشرة فأحفظوها (الفهم والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والأخوة، والثقة)، ثم أسهب في شرح بيان هذه الأركان العشرة، ولاسيما الركن الأول، نورد هنا أهم ما جاء فيها والتعليق علي بعض منها بالنز اليسير في الآتي:

الركن الأول: (الفهم):

- جعل الدين الإسلامي نظاماً شاملاً يتناول مظاهر الحياة جميعاً، وعرف الدين بدولة ووطن وحكومة وأمة وقوة ومادة وثروة أو كسب، وغنى، وهو جهاد، وجيش، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء، وهو بذلك يخلط بين مفاهيم ثابتة وأخرى متغيرة، فلا يمكن أن يتمثل دين الإسلام في دولة أو حكومة أو وطن أو مادة أو ثروة أو كسب، بل إن الإسلام دين هداية للناس أجمعين مهما اختلف أو تغير شكل الدولة وحدودها الإقليمية أو الوطنية أو هويتها القومية، كما أن الإسلام لا يمكن أن يكون مادة أو ثروة أو جيشاً، إذ إن الإسلام أسمى وأرفع من هذه الأشياء المتغيرة والإسلام اسم لدين أطلقه سيدنا إبراهيم وارتضاه الله للناس أجمعين بكل دولهم وثقافتهم وانماط عيشهم المختلف في الزمان والمكان في الأرض.

- ثم جعل القرآن الكريم والسنة مرجعاً أساسياً في التعرف على أحكام الإسلام، وجعل فهم القرآن حسب قواعد اللغة، ويرجع فهم الحديث للرجال الثقات، ومع التسليم المطلق بالقرآن الكريم، فقد حشر أحاديث العنينة، وجعل الإيمان بالقرآن يمر من بوابة الحديث وفقه السيرة.
- جعل الإلهام والخواطر والكشف والرؤى من أدلة الأحكام الشرعية بشرط عدم تصادمها بأحكام الدين ونصوصه، وبذلك فتح باباً جديداً لتشريع أحكام تصل بمرتبتها للحكم الشرعي المنزل من الله تعالى.
- التمايم والرقى والرمل والودع والمعرفة والكهانة ومعرفة الغيب أمور منكورة إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة، فهو يؤمن بالخرافة ويضيفها على القرآن الكريم، حسب هذا الاستثناء بقوله: (إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة)، ومعلوم أن الرقية طريقة اقتبستها جماعة التحريف من عقيدة الصابئي وأصلها حسن البناء بعقيدة جماعة الإخوان.
- جعل الإمام ونائب الإمام حجة فيما ينفذ منهم من رأي فيما لا نص فيه، وفي المصالح المرسله، وهو بذلك يرفع طاعة إمام جماعة الإخوان ونائبه لدرجة الفريضة الدينية الواجب الطاعة.
- أخذ بكل ما جاء به السلف موافقاً للكتاب والسنة، وهو بذلك يعطي للسلفية مرتبة تشريعية جديدة في تأصيل الأحكام بما يصدر عنهم من فتاوى، ويستخدم القرآن الكريم كغطاء.
- أوجب على كل مسلم أن يتبع إمام من أئمة الدين في نظر الأدلة الفرعية، وهو يريد بذلك تخييب دور العرف والأعراف التي أمر بها الله سبحانه، فجاءت الهيئات التشريعية التي تعمل على سن القوانين والتشريعات المُنظمة لحياة الناس محاكاة للعرف على اعتبار أن العرف أم القانون، كما يريد تقسيم أمة الإسلام إلى فرق، كل فرقة تتبع إماماً.
- لا يكون الخلاف الفقهي في الفروع سبباً في الفرقة، وبذلك يقسم الدين إلى أصول وفروع، ويزرع الخلاف والفرقة أسوة بما فعلته جماعة التحريف في بناء المذاهب، والجماعات الدينية ومنها جماعته.
- جعل من الإخوان جماعة ذات خصوصية وقالب ديني سياسي محدد وأطلق عليهم اسم "الإخوان المسلمين" وخاطبهم بهذا الخطاب دون غيرهم من الناس.
- أخذ بالتبديع الذي قالت به جماعة السلفيين، فقال: "كل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسناها الناس بأهوائهم سواءً بالزيادة فيه أو بالنقص تعتبر ضلالة" في الوقت نفسه يقر بالكَمِّ الهائل من التشريع القائم على أحاديث العنينة، وفتاوى الفقهاء التي وصلت إلى تحريم ما أحل الله، في كثير من أمور الحياة.
- محبة الصالحين قرينة إلى الله تبارك وتعالى، وهو بذلك يوحي إحياء خطيراً جداً بحرمة وقدسية قيادة جماعته لدى عامة المنتمين من الإخوان، ومن غيرهم من البسطاء المتأثرين بعذوبة وجاذبية الخطاب الديني، ويجعل من جماعة الإخوان أمة من غير الناس وهذه الفقرة تذكرنا بمضمون الآية التالية قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ

الْخَالِصَ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (الزمر: 3).

• أجاز الدعاء والتوسل لله إذا قرن بأحد من خلقه، وجعلها مسألة خلاف فرعي! وبذلك يخالف، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ (يونس: 106).

• الإسلام يحرر العقل ويحث على النظر في الكون، ويرفع قدر العلم، والعلماء ويرحب بالصالح النافع من كل شيء والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، غير أن منهج حسن البناء وتعاليمه عكس هذه المقولة تماماً فهو بهذه الفقرة كمن يضيء شمعة واحدة ويطفئ ألف شمعة.

• لا يكفر مسلم نطق بالشهادتين إلا من أنكر معلوماً من الدين أو كذب بصريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر! ومعنى ذلك أنه جعل للتكفير مساحة كبيرة، وجعله يقوم على فرضيات كثيرة ليتوجب استتابة المرتد (الكافر) ثم الحكم بقتله، (وهذا المنهج اعتمدته جماعة التحريف في التوراة)، ثم أمر بتزديد الهتاف الدائم (القرآن دستورنا والرسول قدوتنا)، غير أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون دستوراً كون الدستور شيئاً متغيراً ومن فعل الناس والقرآن الكريم كلام الله الثابت الأزلي يهدي به الناس للتي هي أقوم.

الركن الثاني، الإخلاص للجماعة:

الإخلاص أن يكون الفرد المنتسب للجماعة جندياً فكرة وعقيدة، لا جندي غرض ومنفعة، ويفهم معنى الهتاف الدائم: (الله غايتنا) (الله أكبر ولله الحمد)، وهذا الهتاف أبلغ دليل لتوظيف الدين للأغراض السياسية البحتة.

الركن الثالث، العمل مع الجماعة:

تضمن هذا الركن عدداً من المطالب والشروط للفرد المنتسب للجماعة وينهل من فكر الجماعة لا من غيرها، كي يكون مثلاً وقوة فاعلة فيها:

- إصلاح النفس والبدن لمتقف الفكر قادراً على الكسب سليم العقيدة.
- تكوين البيت المسلم والأسرة والقيام بالواجبات.
- إرشاد المجتمع ومحاربة الرذائل، وكسب الرأي العام.
- تحرير الوطن من الاستعمار غير الإسلامي، لأن الاستعمار الإسلامي ليس استعماراً، وهو يناقض نفسه بهذا التعريف، ويبين حقيقة المفهوم السياسي لهذا الفكر الذي لا يعبا بحدود الدولة الوطنية.
- إصلاح الحكومات حتى تكون حكومة إسلامية بحق، وبما يؤدي إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة، وهو بذلك لا يعترف بأنظمة الحكم القائمة، ويسعي إلى تغييرها.

الركن الرابع الجهاد مع الجماعة:

أريد بالجهاد، القتال من أجل الاقتتال، ودلل على ذلك بحديث العنينة المنسوب كذباً عن الرسول (من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية) خلافاً لمنهج الله في بيان الجهاد بمعنى المقاومة الشريفة بمفهومها الواسع وهو حق سامي لكل الشعوب في مقاومة الفساد والظلم والطغيان والاعتداء ومنعه.

الركن الخامس: التضحية مع الجماعة:

وهو بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شيء في سبيل الغاية، وشرع هذا البذل باجتزاء نصوص من آيات الذكر الحكيم، وهو توظيف واضح للقرآن الكريم وتأويله لخدمة الأهداف السياسية لجماعته.

الركن السادس: الطاعة للجماعة:

الامتثال للأوامر وإنفاذها في العسر واليسر، والمنشط والمكره في مراحل الدعوة الثلاث، وهي:

أ. **التعريف:** نشر الفكرة لعامة الناس بإنشاء الجمعيات، والوسائل التعليمية بين شعب الإخوان المسلمين.

• **التكوين:** العقائدي لعضو الإخوان من خليط متجانس من الصوفية/السلفية، والتدريب العسكري تحت شعار (أمر وطاعة) من غير تردد ولا مراجعة، ثم الاستعداد الحقيقي لتحمل أعباء الجهاد (كمال الطاعة)، وتمثل الكتائب الإخوانية (المليشيات الدينية) هذه المرحلة من مراحل الدعوة.

• **التنفيذ:** هي مرحلة الجهاد الذي لا هوادة معه، وهي كمال الطاعة، وعلى هذا بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين في (5) ربيع الأول سنة 1359هـ، وهكذا نشأت الكتائب وتوالى طابور الالتحاق.

الركن السابع الثبات مع الجماعة:

أريد بالثبات الجهاد والعمل في سبيل الغاية حتى يلقي الأخ ربه وقد فاز بإحدى الحسينيين، وهو بذلك يؤكد على مسيرة حياة أفراد جماعة الإخوان نحو الجهاد، بمعنى قتال مخالفينهم حتى الممات، وهي الغاية المنشودة من الانتساب للجماعة، مخالفاً لمنهج الله تعالى الذي يدعو للحياة والحب والعيش بسلام وإبقاء الجهاد بمعنى المقاومة كحق مكفول لكل الشعوب، والدول ومنع الاعتداء نهائياً مهما كان وتحت أي مبرر.

الركن الثامن التجرد للجماعة:

يقصد بالتجرد أن تتخلص لفكرتك مما سواها من المبادئ والأشخاص لأنها أسمى فكرة وأجمعها، وأن تكون فرداً صادقاً من بين ستة أصناف: (مسلم مجاهد، مسلم قاعد، مسلم آثم، نبي معاهد أو محايد، نبي محارب)، وأضاف، وفي حدود هذه الأقسام توزن الأشخاص والهيئات، ويكون الولاء أو العداء، وهو بذلك يخالف القرآن الكريم الذي يدعو للاعتصام بحبل الله جميعاً، ولا تفرقوا وأن أكرم الناس عند الله سبحانه النبي.

وبتقديره فقد لمسنا خطر هذا التقسيم على أرض الواقع في حياة مجتمعاتنا المعاصرة، إذ استطاعت هذه الجماعة العقائدية تدمير الأسرة العربية، ونشر الحقد بين أفرادها المنتمي أحدهم لهذه الجماعة، إذ يرى أقرانه من زاوية تعاليم المرشد العام للجماعة، وإمام جماعة الإخوان من أنه فاسق أو خارج عن أخوة الإيمان.

الركن التاسع، الإخوة في الجماعة:

يقصد بالإخوة إخوة الانتماء لجماعة الإخوان دون غيرها، وأي خروج عنها يُعد من قبيل التفرقة البغيضة إن لم يكن كفراً، كما في قولهم (التفرقة أخت الكفر)، وهذا تكفير واضح ويخالف قيم الإسلام تماماً.

الركن العاشر، الثقة في الجماعة:

وقد أكد في شرحه لهذا الركن على بيان علاقة الفرد بجماعة الإخوان التي يجب أن تكون على أساس عسكري مطيع للأوامر من خلال قوله عن الفرد المنتمي إليها بأن يكون جندياً يطمئن لقائده، والقائد جزء من الدعوة، فيجب أن تكون العلاقة قائمة على الثقة المتبادلة بين القائد وجنوده، في تكوين قوة نظام الجماعة وإحكام خططها للوصول لغايتها، وأضاف: وللقادة في دعوة الإخوان حق الولد بالرابطة القلبية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة، والثقة بالقيادة هي كل شيء في نجاح الدعوات، ثم وضع خمسة أسئلة لتوضيح هذا المفهوم لمعرفة الفرد بقائده، ومدى تنفيذ الفرد لأوامر القائد حتى وإن كانت خطأ! وذلك من حيث استعداد الفرد لأن يضع حياته على محك الدعوة، ثم ذكر ثمانية وثلاثين شرطاً حتى يكون الفرد لبنة قوية في البناء التنظيمي للإخوان، مدلاً بكمٍ من نصوص آيات الذكر الحكيم على مشروعية هذه الشروط التي تزيد من الروابط العقائدية لبناء صرح صلب ذي أبعاد سلفية متشددة، منهجها الطاعة العمياء والانقياد، والتسليم المطلق لفكر الجماعة بحيث يصبح الفرد أداة تدمير فاعلة لمن حوله، ولا يستطيع الفكك منها، وبذلك تتحقق نبوءة استعمار العقل التي هي أخطر وأفدح ضرراً من استعمار الأوطان، ومن تلك الشروط:

- أن تدفع الزكاة لمصلحة جماعة الدعوة الإخوانية.
- أن تعمل على نشر دعوتك في كل مكان كجندي في ثكنته ينتظر الأمر.
- أن تجاهد نفسك جهاداً عنيفاً حتى يسلس قيادها لك.
- أن تستصحب دائماً نية الجهاد وحب الاستشهاد.

- أن تقاطع كل قضاء غير إسلامي وكذلك الأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التي تناهض فكرتك الإسلامية مقاطعة تامة.
- أن تعرف أعضاء كتيبتك فرداً فرداً معرفة تامة وأن تحضر اجتماعاتهم، فلا تتخلف عنها إلا بعذر قاهر.
- أن تزاوّل عملاً اقتصادياً مهماً كان، وأن تساهم بجزء من مالك لخدمة الدعوة، مهما كان دخلك.
- أن تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة خارج إطار جماعة الإخوان.
- أن تبتعد عن الإسراف في شرب قهوة البن والشاي ونحوها.

تلك هي أهم تعاليم حسن البنا لجماعة الإخوان المسلمين الذي يدعو لملشنة الدين باسم كتائب الإخوان المسلمين لتدمير الإسلام من الداخل، وهي تعاليم لا تخرج عن هدف صاحب هذه المقولة، الوارد في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف: 16)، مؤيداً تعاليمه بتوظيف وتأويل خاطئ للقرآن الكريم وأحاديث العنعة، وبشرح هذه التعاليم وإيضاحها بعدد من الشروط الخاصة في عملية الانضمام، والانضباط التي تقارب أربعين شرطاً.

ومن خلالها صنع لجماعة الإخوان من دون الناس ديناً آخر ضد دين الإسلام حسب ما سلف بيانه، ومن الغريب أن هذه الجماعة عقدت مؤتمراتها السنوية بقيادة مؤسسها حسن البنا في مصر أكثر من مرة، فلم يصدر عنها بيان واضح وصريح يطالب دولة الاحتلال (الاستعمار البريطاني) الخروج من مصر وإنهاء سلطة الانتداب، ليس ذلك فحسب بل إن حسن البنا أظهر نوعاً من التودد والاستعطاف لسلطة المستعمر، ويظهر ذلك من خلال رسالة حسن البنا في المؤتمر السادس لجماعته المنعقد في الحلمية 9 يناير 1941م، إذ جاء فيها: إما أن إنجلترا لا تثق بنا ولا تعتمد علينا، ولا تعتبرنا حلفاء حقيقيين لها، وإما أنها تثق بنا وتعتبرنا حلفاء لها وتقدر حسن نيتنا، وصدق معونتنا وقد قدمنا البرهان على ذلك فعلاً، وفي قول آخر: فتسمح لنا بزيادة عدد جيشنا، وبتقوية سلاحنا، وبإعداد شعبنا، وحينئذ نتعاون تعاوناً صادقاً، ونحمل أعباء الحرب معاً ونتقاسم الأعمال العسكرية والمدنية، فيحمل الجيش المصري عبء الحرب في السودان، مثلاً حتى يطهره من العدو المغير وتحرس الجيوش البريطانية الحدود الغربية حتى تضع الحرب أوزارها، كما أنها أي جماعة الإخوان لم تشارك في أي عمل من أعمال الكفاح المسلح في سبيل التحرر الوطني أثناء قيادة حسن البنا لهذه الجماعة، بل كان مناصراً قوياً لسلطة الملك فاروق، ملك مصر آنذاك والذي كان موالياً لبريطانيا كما كان حسن البنا مقرباً من الملك ويتودد إليه ويصفه بأمر المؤمنين، وخليفة المسلمين وبدلاً من إعلان الجهاد والمقاومة الوطنية ضد المستعمر أخذ في توجيه كتائب الإخوان (الجناح العسكري) لجماعته لضرب رموز الحكومة المصرية، فبدأ باغتيال عناصر الشرطة المصرية، ثم قائد الشرطة، ثم رئيس الحكومة المصرية، فتم حل الجماعة، وقتل مؤسسها حسن البنا باغتياله عام 1949م.

ومن المعلوم أن جماعة الإخوان تحالفت مع جماعة السلفية الوهابية، فانتشرت في مختلف أقطار العالم العربي والإسلامي، ومن خلاله انتشرت أديباتها الفكرية، ولاسيما وقت اندلاع الثورات العربية ضد الاستعمار، وكان دورها التشكيك في كل الأعمال التي تقوم بها الدولة الوطنية العربية المساندة لحركة التحرر العربي من الاستعمار، فكانت عاملاً مزعزاً ومخلخلاً للجبهة الداخلية في كل قطر وجدت فيه، ووسعت نشاطها لمحاربة الدولة الوطنية وأوجدت صراعاً وجدلاً سفسطائياً حول مبدأ القومية والإسلام وحركة التنوير المدني، وبتحالفها مع جماعة السلفية الجهادية دخلت طوراً جديداً وفكراً أكثر تشدداً.

دور سيد قطب وتأصيل فكر التطرف في الجماعة:

سيد قطب، هو إبراهيم حسين الشاذلي وُلد في (9 أكتوبر 1906م) وتوفي في (29 أغسطس 1966م)، كاتب وشاعر وأديب ومنظر إسلامي، له عدد من الكتب، أهمها:

1- الشاطئ المجهول.

2- طفل من القرية.

3- النقد الأدبي أصوله ومناهجه.

4- في ظلال القرآن الكريم (سنة مجلدات في تفسير القرآن الكريم).

5- العدالة الاجتماعية في الإسلام.

6- السلام العالمي والإسلام.

7- معالم في الطريق. وغيرها من الأعمال الأدبية والمنشورات الثقافية.

وتزعم قطب الجانب الفكري للجماعة في ذلك الوقت بلا منازع، وصاغ مبادئ جديدة دعا فيها إلى تكفير المجتمعات العربية والإسلامية وحكامها، بل كفر العالم كله، مسلمين وغير مسلمين، وأكد أن المجتمع الوحيد الذي يتحلى بعري الإيمان والإسلام هو مجتمع الرسول، ومن بعده عهد الخلفاء الراشدين، وبانتهاء تلك الحقبة وحتى يومه فإن العالم العربي والإسلامي بل والعالم يعيش في ظلام حسب ما صاغه في كتابه "معالم على الطريق"، الذي يعتبر أحد الدليل العقائدي والفكري لجماعة الإخوان، ومحتواه مستمد من إرث القائد المؤسس حسن البنا، ومن أبرز المحطات التي تستوقفنا في "كتاب معالم في الطريق" والذي استخدم كثيراً لفظ أو مصطلح الجاهلية ووظفه توظيف سيء كأسلافه من جماعة التحريف في وصم العرب قبل البعثة وبعدها وكذا المسلمين ولتوضيح معنى هذا اللفظ الذي تكرر في آيات القرآن الكريم ومنها في هذه الآية التي تصف المقارنة في قواعد الحكم بين البشر والتمثل بالفساد والظلم والطغيان والمخالف لقواعد حكم الله سبحانه المفضي للعدل والرحمة والحق والفضيلة والحرية في الفكر والاعتقاد وغير ذلك قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة (50)، وكذلك هذه الآية التي تتحدث عن وظيفة النبي وكل نبي كلف بالنبوة فيما يتعلق بأداب بيت أهل النبي ولا يقصد به نبي محدد والمقصود من الآية هو الخاص الذي أريد به العام للتحلي بالآداب وعدم التبرج والسفور والخلاعة الماجنة والآية التالية مربوطة بآيات سابقة جاءت على نفس السياق قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَقَرْنَ

فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (الأحزاب (33)، وعلى
ضوء ذلك نجد قطب يستخدم هذا اللفظ في الكثير من مؤلفاته، وهو ما ستلاحظونه في
الاقتباسات النصية التي اقتبستها لكم من كتاب معالم في الطريق نلخص أهم ما جاء فيه مع
تعليقنا عليها فيما يلي:

- من مقدمة الكتاب "معالم في الطريق" ص (9) جاء في النص التالي: لهذه الطليعة
المرجوة المرتقبة كتبت، معالم في الطريق، منها: أربعة فصول مستخرجة من كتاب "
في ظلال القرآن مع تعديلات وإضافات مناسبة لموضوع كتاب المعالم "ومنها ثمانية،
غير هذه المقدمة مكتوبة في فترات، حسبما أوحى به اللغات المتوالية إلى المنهج
الرباني الممثل في القرآن الكريم...)، وهو بذلك يلخص لنا محتوى كتابين في كتاب
"في ظلال القرآن" ومعالم في الطريق، ويوفر علينا وعلى القارئ مظنة البحث في
أجزاء كتاب في ظلال القرآن بأجزائه الكبيرة، جاء في مقدمة الكتاب ص (2) قوله:
تقف البشرية اليوم على حافة الهاوية، بسبب إفلاسها في عالم القيم، ثم أضاف: وهذا
واضح كل الوضوح في العالم الغربي بعدما انتهت "الديمقراطية" فيه إلى ما يشبه
الإفلاس! وهو بذلك يقرر موقفه السياسي الرافض من الديمقراطية كنظام حكم، وهو
نفس موقف مؤسس الجماعة حسن البنا غير أن نهج الجماعة اليوم في العمل السياسي
يناقض مبادئ المؤسسين كما هو حاصل في معظم الدول العربية والإسلامية.

ولا ندري هنا هل ما تقوم به أحزاب جماعة الإخوان في أقطار العالمي العربي
والإسلامي تقيّة أم عمل حقيقي؟ ثم يكرر في صفحة (3) القول: إن قيادة الرجل الغربي
لل بشرية أوشكت على الزوال، ويضيف: بأن النظام الغربي قد انتهى دوره، لأنه لم يعد يملك
رصيداً من القيم يسمح له بالقيادة! ثم يقول: والإسلام وحده، هو الذي يملك تلك القيم وهذا
المنهج، ثم يقرر إفلاس النهضة العلمية في القرن السادس عشر، ولم تعد تملك رصيـداً، وكذلك
"الوطنية" و"القومية" أفلست ولم يعد لها رصيد، والواقع خلاف ذلك تماماً، فالعالم يعيش في
ضوء تلك النهضة العلمية الضخمة التي أنجزها العقل البشري، وما زال التطور الهائل
للتكنولوجيا وثورة الاتصالات والمعلومات، والإنتاج العلمي الهائل الذي يزداد رصيده كل يوم
في منفعة الإنسان، ويوظف في مختلف المجالات لخدمة البشرية ورفاهيتها، وتشمل كل
شعوب الأرض، بما فيها العرب والمسلمون الذين يحاولون اليوم أن يكونوا جزءاً من ركب
هذه النهضة التي تأخر العرب عنها بسبب التفكير الرافض لهذه الحضارة العلمية ولكل ما هو
غربي جاحدين كل ما أبدعه الإنسان في الغرب أو الشرق حتى يومنا هذا، مرددين ما يدعونه
عن ماضي الخلافة متناسين أن عصر الخلافة العربية الإسلامية هي من أسست مدامك مختلف
العلوم التي نهضة بها الثورة العلمية في أوروبا.

- وفي صفحة (5) يوظف القرآن الكريم توظيفاً خاطئاً، وهو نفس التوظيف الوارد في
كتاب الظلال، فيسرد هذه الآية قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56) وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (آل عمران: 110) ليقرر: إن الإسلام هو الحل، رغم أنه ينفي وجود الأمة المسلمة وأن الإسلام قد انقطع منذ قرون، كما يؤكد بقوله: "وهذه الأمة بهذه المواصفات قد انقطع وجودها منذ انقطاع الحكم بشريعة الله من فوق ظهر الأرض جميعاً" ... ولا بد من إعادة وجود هذه الأمة، ولا بد من بعث لتلك الأمة التي واراها ركام الأجيال، وركام التصورات، وركام الأوضاع وركام الأنظمة التي لا صلة لها بالإسلام ولا بالمنهج الإسلامي، وإن كانت ما تزال تزعم أنها قائمة فيما يسمى "العالم الإسلامي"! ويقول في ص (7): ولن يكون هذا المؤهل سوى "العقيدة والمنهج"، وفي السياق نفسه يزعم: إن العالم يعيش اليوم كله في "جاهلية".

وفي مكان آخر يفند هذه الجاهلية بمقومات حياة الناس من خلال أنظمة الحكم التي اختاروها خلافاً لمبدأ الحاكمية الإلهية المستمد من الله تعالى، ويضيف: فالناس في كل نظام غير النظام الإسلامي يعبد بعضهم بعضاً - في صورة من الصور - وفي المنهج الإسلامي وحده يتحرر الناس جميعاً من عبادة بعضهم لبعض بعبادة الله وحده والخضوع لله وحده، وهو بذلك يقرر مبدأ الحكم القائم على نظرية التفويض الإلهي، أو حسب مبادئ وتصور مؤسس الجماعة حسن البنا لمفهوم الخلافة كحق إلهي مقدس لا يمس، وفي صفحة (8) من كتاب معالم في الطريق يقول: لا بد من طليعة تعزم هذه العزيمة، وتمضي في الطريق، تمضي في خضم الجاهلية الضاربة الأطناب في أرجاء الأرض جميعاً، ويقصد بهذه الطليعة هم جماعة الإخوان المسلمين دون غيرهم من المسلمين.

وتحت عنوان "أصل قرآني فريد" من ص (10) تحت عنوان "جيل قرآني فريد". السطر (3 - 4...) يقرر أن مجتمع الرسول والصحابه هو النموذج الوحيد، وأن ذلك الجيل لم ولن يتكرر أبداً، وهو بذلك يجزم بجاهلية العالم العربي والإسلامي، وكل ما هو إسلامي، ويؤكد ذلك قوله في صفحة (15): "نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم، كل ما حولنا جاهلي تصورات الناس وعقائدهم، عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم، فنونهم، وآدابهم، شرائعهم، وقوانينهم، حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلاميه، ومراجع إسلامية، وفلسفة، إسلامية، وتفكيراً إسلامياً، هو كذلك من صنع هذه الجاهلية!"، وما يؤكد منهاج التكفير والتشدد لديه قوله في صفحة (16) من الكتاب: إن أولى الخطوات في طريقنا هي أن نستعلي على هذا المجتمع الجاهلي، وقيمه وتصورات، وألا نعدل نحن في قيمنا، وتصوراتنا، قليل أو كثير، لنلتقي معه في منتصف الطريق كلا! إننا وإياه على مفترق الطريق، وحين نسايره خطوة واحدة فإننا نفقد المنهج كله ونفقد الطريق! وبقوله هذا يشابه القول في الفكر المسيحي من (ليس معنا فهو ضدنا) وتتوافق هذه الآية في توصيف تفكير سيد قطب وجماعته: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) البقرة (13).

وفي موضع آخر ص (22) من كتاب معالم في الطريق يقول: "ولأن الجنسية التي يريدها الإسلام للناس هي جنسية العقيدة" فبذلك يقرر إقامة الدولة على أساس ديني، ولا

يعترف بالحدود الوطنية، ولا بالقوميات، مخالفاً بذلك سنة الله في الخلق كما قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13)، كما ذكر الله سبحانه وتعالى لفض (قوم) بأكثر من مئتي مرة، وكذلك الشعوب جمع شعب، وقبائل مفردها قبيلة وهي أصغر مجموعة بشرية في التصنيف القرآني، وجاء ذكر الأمة في القرآن الكريم أكثر من خمسين مرة بمعنى تأكيد التنوع في انماط حياة الإنسان بأماكن متفرقة على الأرض منها، قال الله جلّ في علاه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ إبراهيم (4) وقال الله سبحانه: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية: 28)، وقال الله جلّ وعلا: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (يونس: 47)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَىٰ اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (النحل: 36)، وتكررت هذه الآية لتحافظ على خصوصية الأمة الجامعة قال الله جلّ وعلا: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: 92)، واختتم سيد قطب كلامه في هذه الفقرة بذكر حالات التفسخ الأخلاقي التي ألصقت كذباً بزمان الرسول، فذكر منها أنواع النكاح (نكاح الجاهلية - ومنه نكاح الاستبضاع - نكاح الجماعة على المرأة الواحدة - نكاح البغايا صاحبات الرايات) مستشهداً بها لأحوال المجتمع العربي الغارق في الرذيلة وفساد الأخلاق، وهو تصور خاطئ ألصقته جماعة التحريف بالعرب وقت بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وسائرهما سيد قطب في ذلك.

وفي ص (31) من كتاب معالم في الطريق يؤكد على ضرورة إعادة اعتناق العقيدة الإسلامية من قبل المسلمين أنفسهم، ويمضي في ختام ذلك يربط مناهج جماعة الإخوان بالعقيدة والدين الإسلامي، ويوظف القرآن للاستشهاد به فيما يريده هو، كما ورد في استشهاده بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

وتحت عنوان "الجهاد في سبيل الله" في الصفحات (49-51) من كتاب معالم في الطريق: جاء التأكيد على قتال المشركين وأخذ الجزية حتى يكون الدين كله لله، وقسم حال العلاقة مع الكفار بعد الأمر بالجهاد إلى ثلاثة أقسام، فهم حسب زعمه: أهل صلح وهدنة، وأهل حرب، وأهل ذمة... وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين، والغلظة عليهم فجاهد الكفار بالسيف والسنان، والمنافقين بالحجة واللسان، غير أنه يعود ليؤكد أن هذا الجهاد موجه لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها، بحجة إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وهو يعلن حالة الحرب المستمرة على الكل كما في قوله: لم يبق لهم من الإسلام إلا العنوان - إن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع، ويحسبون أنهم يسدون إلى هذا الدين جميلاً بتخليهم عن منهجه، وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً وتعبيد الناس لله وحده، ثم يضيف بالقول: بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة، أو قهرها حتى تدفع الجزية، وتعلن استسلامها والتخلى عن جماهيرها، وهذه العقيدة تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها، وفي الصفحة (53)

من الكتاب: أعلن عن قيام مملكة الله بقوله: إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض، كما يكررها في الصفحة نفسها السطر (16) بقوله: ومملكة الله في الأرض! وهكذا.

وهذا قول مقتبس من عقيدة المسيحيين، ومن أفسنا الكتاب المقدس للزرادشت فالله سبحانه أجل من أن يوصف بأن له مملكة حكم بمعنى الحكم الدنيوي، بل له ملك السماوات والأرض بديع السماوات سبحانه عما يصفون، وفي ص (56) سطر (9) من كتاب معالم في الطريق: وما بعده يرد: إن الإسلام كما قلنا إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد، فهو يهدف ابتداء إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر، ويضيف قائلاً: إن النظام الذي يحكم البشر في الأرض يجب أن تكون قاعدته العبودية لله وحده، وذلك بتلقي الشرائع منه وحده ثم ليعتق كل فرد في ظل هذا النظام العام ما يعتنقه من عقيدة، وبهذا يكون الدين كله لله!.

ويضيف في آخر الصفحة: وفي الإسلام يمكن أن تخضع جماعات متنوعة لمنهجه العام، الذي يقوم على أساس العبودية لله وحده، ولو لم يعتنق بعض هذه الجماعات عقيدة الإسلام! وهو بذلك يخالف منهج الله سبحانه وتعالى في حرية الإيمان والاعتقاد، ويورد جملة من التناقضات والتأكيد على دوامة التغيير بالعنف، والقتال من أجل الاقتتال وإجبار الناس على الإيمان بالقوة، وفي صفحة (69) من الكتاب المزعوم: يؤكد على ضرورة استسلام المعسكرات المعادية للإسلام، ومن صور هذا الاستسلام أخذ الجزية ضماناً لفتح أبوابها لدعوته بلا عوائق مادية من السلطات القائمة فيها، وفرض الجزية، وقد تكرر ذكر الجزية بعنوانين ومواضيع مختلفة بالمخالفة للقرآن الذي أوضح أن الجزية عقوبة حربية مؤقتة أثناء القتال فقط ولا تعمم في غير حالات الحروب، وفي صفحة (81، 82) من كتاب معالم في الطريق: يؤكد على أن موقف الإسلام من هذه المجتمعات الجاهلية ويقصد بذلك المجتمعات العربية والإسلامية بل والعالم ككل يتحدد في عبارة واحدة، هي: إنه يرفض الاعتراف بإسلامية هذه المجتمعات كلها، وشرعيتها في اعتباره أن الإسلام لا ينظر إلى العناوين واللافات والشارات التي تحملها هذه المجتمعات على اختلافها.

وفي الصفحة (87 - 91) من الكتاب تحت بعنوان "شريعة كونية" ذكر فيها مصطلح الناموس، وهذان المصطلحان (كونية، ناموس) وردت كثيراً في التوراة، والتلمود، وشريعة حمورابي، اقتبسها وكررها أكثر من مرة كقوله: فالشريعة على هذا الأساس إن هي إلا قطاع من الناموس الإلهي العام الذي يحكم فطرة الإنسان وفطرة الوجود العام وينسقها كلها جملة واحدة!

وفي صفحة (93) من كتاب معالم في الطريق يعترف سيد قطب اعتراف خطير جاء بعنوان "الإسلام هو الحضارة"، وفيه يقر أنه كان يعتقد أفكاراً ورواسب آتية من مصادر أجنبية، غريبة على حسه الإسلامي في الوقت الذي يقول عن نفسه في صفحة (114): إن الذي يكتب هذا الكلام إنسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة، كان عمله الأول فيها هو القراءة

والاطلاع في معظم حقول المعرفة الإنسانية، فكيف إذا أعتنق تلك الأفكار من الرواسب مع مدة القراءة الطويلة التي عاشها؟

وفي صفحة (120) من مزعوم الكتاب: جاء تحت عنوان "جنسية المسلم وعقيدته" التأكيد على أن هناك دار واحدة، هي دار الإسلام التي تقوم فيه الدولة المسلمة، وما عداها فهو دار حرب، علاقة المسلم بها: إما القتال وإما المهادنة على عهد أمان، ولكنها ليست دار إسلام، ولا فيها من الولاء بين أهلها وبين المسلمين "ويستشهد بنصوص من القرآن الكريم، وهو بذلك ينقل نفس ما أرادته جماعة التحريف لتشويه الإسلام، وجعله دين حرب، لا دين هداية للناس أجمعين، ويقوم على السلام والمحبة، وحسن الجوار واحترام حقوق الإنسان وصونها، حسب ما جاء في قوله جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: 9).

وفي الصفحات (121 - 127) من كتابه معالم في الطريق: ينفي سيد قطب أواصر القربى والجنسية والانتماء الوطني والإخوة، والزوجة والعشيرة، ما لم تنعقد الأواصر الأولى في الخالق فتتصل من ثم بالرحم، وهو بذلك يخالف القرآن الكريم بدعوته لثمتين أواصر المحبة بين أولي القربى وإن اختلفا في العقيدة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان: 15)، كما يرشد المسلمين إلى برّ المخالفين بالدين والقسط معهم، قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة: 8). ويتحدث سبحانه عن الذين آمنوا بالله ويعملون الأعمال الصالحة مع مخالفتهم للعقيدة، كاليهود والمسيحيين والصابئة بقوله جل في علاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 62).

وفي الصفحة (138) من الكتاب: جاء تحت عنوان "نقلة بعيدة" لتكفيره المسلمين صراحةً، بقوله: والمسالة في حقيقتها هي مسألة كفر وإيمان، مسألة شرك وتوحيد، مسألة جاهلية وإسلام، وهذا ما ينبغي أن يكون واضحاً، إن الناس ليسوا مسلمين، كما يدعون، وهم يحيون حياة الجاهلية، وإذا كان فيهم من يحب أن يخدع نفسه أو يخدع الآخرين فيعتقد أن الإسلام يمكن أن يستقيم مع هذه الجاهلية فله ذلك، ولكن انخداعه أو خداعه لا يغير من حقيقة الواقع شيئاً... ليس هذا إسلاماً، وليس هؤلاء مسلمين، والدعوة اليوم إنما تقوم لترد هؤلاء الجاهلين إلى الإسلام ولتجعل منهم مسلمين جُدداً! وهو بهذه الدعوة الصريحة يوصم الناس بالجاهلية والكفر وهذا القول يخالف القرآن الكريم الذي أكد على كيفية الدعوة ومنهجها، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: 125)، لذلك فقد سار الكثير من الكتاب على نفس منهجية سيد قطب في التكفير والتأويل الخاطيء للقرآن الكريم

والاستدلال بأحاديث العننة من الحديث والفقه المذهبي وفي أكثر من اتجاه فكري ما بين كُتاب السلفية وغيرهم كثير من دعاة الجماعات والفرق السنية والشيعية على سوء.

وأخيراً: فإنني لا أجد مبرراً للأستاذ جمال البنا رحمة الله عليه من الدفاع عن أخيه حسن البنا بالقول أن من أحقية حسن البنا تأسيس جماعة الإخوان المسلمين، حسب ما جاء بمؤلفه المعنون - مسؤولية فشل الدولة الإسلامية في ظل تلك الظروف التي استعرضها بفترة الحكم الملكي واستمرارها بعهد الثورة ثم في ظل النظام الجمهوري، فقد حاول جاهداً إيجاد المبررات والأسباب ومنها ملء الفراغ على الساحة من قبل الإخوان المسلمين بفترة الشتات والحالة التي كان المجتمع فيها من التفسخ والتميع بسبب طغيان الحياة الأوروبية وأصحاب المصالح والأكابر، وتفشي الفساد الأخلاقي حسب زعمه كما انهم تأسوا بالبساطة والتواضع مع فئة الفلاحين والعمال فأنار حفيظة الشيوعيين الناشطين بين أوساط هذه الفئات من المجتمع وهذه الأسباب وغيرها جعلت من الإخوان المسلمين أعداء لفئتين داخل المجتمع المصري هما البرجوازيين والشيوعيين معاً حسب زعم جمال البنا.

ولم يكتف جمال البنا بما سبق بل ذهب ليبرر لهم الأعمال الإرهابية في مسيرة حياتهم في فترة الملكية والجمهورية محاولاً نفي التهمة عنهم ومبرراً الاغتيالات ودور الإخوان في اقتحام النقابات، ليس ذلك بل ذهب للتصريح بقول خطير في رسالته إخواني الإخوان حيث ذهب إلى تبرير قيام الأحزاب على أساس ديني مماثلة ببعض الأحزاب الأوروبية ذات المسمى الديني كالحزب الديمقراطي المسيحي في ألمانيا بقوله: وما المانع إذاً والحال كذلك من إنشاء حزب ديني وأردف بالقول: "ويمكن لمن يشاء أن يؤسس أحزاباً إسلامية"، وأضاف قائلاً: "وإذا أراد الأقباط أن يكونوا حزباً فهذا من حقهم ولن تحدث مذابح وإنما سيحدث الحوار الإسلامي المسيحي"⁽¹⁾. وإزاء هذا الكلام الذي يدعو للدهشة والاستغراب من السطحية في التفكير في مماثلة الحزب الديمقراطي المسيحي ذي التوجه العلماني مع أحزاب جماعات الدين السياسي ذات التوجه الأصولي التكفيري في الواقع العربي، ثم إن من المستغرب أكثر دعوة جمال البنا لجعل الحوار بين المسلمين والمسيحيين في ظل الدولة الوطنية يقوم على أساس ديني ما يعني هدم الروابط الوطنية، فأى منطق هذا وهو يدرك خطورة توظيف الدين في السياسة فهل غفل أو تغافل عن الواقع المر الذي خلفه الصراع المذهبي المسيحي (كاثوليك - بروتستانت) في أوروبا، وهل تغافل عن واقع الصراع الأصولي المتطرف لجماعات الإسلام السياسي الذي عائش جزءاً كبيراً منه؟ أم إنه يحاول الاصطياد في المياه العكرة فيجعل من أطروحته بعدد من مؤلفاته منها (البرنامج الإسلامي⁽²⁾ - والتعددية في مجتمع إسلامي)⁽³⁾ سبباً وحقاً مطلبياً لكل جماعة دينية في توظيف دينها في مصالحها السياسية؟ وهذا بتقديري دعوة للفتنة حتى في إطار المجتمع الديني الواحد، سواء كان هذا الدين الإسلام أو المسيحية.

(1) انظر مسؤولية فشل الدولة الإسلامية / جمال البنا ص 42.

(2) . ي انظر تسالون اين البرنامج .. اين البرنامج / جمال البنا 2001م

(3) انظر التعددية في مجتمع إسلامي / جمال البنا 2001م .

كما ظهر الكاتب السوداني محمود محمد طه على الجانب الآخر من جماعات الدين السياسي حسب المنهجية الصوفية لينهج نفس المسار الذي سار فيه حسن البنا وسيد قطب في كتيباته المعنونة: (الإسلام برسالاته الأولى لا يصلح لإنسان القرن العشرين – وكتاب الحزب الجمهوري يدعو إلى طريق محمد – ورسالة الصلاة) (1) والذي وصم المسلمين من خلالها بالجاهلية والتهيه وأن علمهم وعملهم بالدين لا يتعدى القشور ويقارن بين الجاهلية الأولى إبان البعثة وجاهلية القرن العشرين ويدعو مشايخ الطرق الصوفية للقيام بدورهم في إرشاد الناس لأتباع سيرة النبي محمد بما يحقق وحدة الأمة.

وفي كتابه رسالة الصلاة يعرف الدين الإسلامي بأنه دين قام بالإكراه والطاعة والقهر والغلبة، ويعمل بتأويل آيات القرآن خلافاً لمقصده ويستشهد بالتفسير حسب الزمان والمكان وبصورة مغلوطة، والمعلوم أن الجاهلية لفظ عام يوظفه الكاتب على أي مجتمع يريد كما في هذا الموضوع.

أننا نأمل في المستقبل القريب من كل الجماعات الدينية أن نشهد تطوراً كبيراً وملموساً في وعي أفرادها، خاصة بعد أن رُج بهم في خضم الحروب التي تطال كيان الدولة الوطنية في الوطن العربي والإسلامي كما هو حالياً والذي أصبح يزرع تحت قتال الجماعات الدينية على المذهب السني وعلى الشق الآخر جماعات المذهب الشيعي، ولن يكون لهذا الوعي طريق إلا بالعلم والحكم المدني، وقيام دولة مدنية بحدودها الوطنية على أسس من الشورى والديمقراطية، وإعطاء الحقوق والحريات، والمشاركة المجتمعية وعدم الادعاء بنظرية الحق الإلهي في الحكم أو الانفراد بالحكم كحق ديني مقدس، والعمل معاً في صناعة مستقبل يخلو من الغلواء، والتطرف والتكفير ومن توظيف الدين لمصالح سياسية وعدم السماح بقيام الأحزاب، والجماعات السياسية على أساس ديني أو مذهبي، وهو ما نأمل من أفراد هذه الجماعات والتي بدأ صوت العقل ينبري فيهم.

جماعة الإسلام السياسي الشيعي (النسب الديني المقدس):

لم يكن للجهاد السياسي في المذهب الشيعي دور رئيس في مسرح الأحداث الوطنية والإقليمية والدولية، كما هو عليه اليوم، إذ كان الجهاد السياسي الإسلامي السني هو المتصدر للأحداث حتى نهاية القرن الماضي، ومعلوم أن المخابرات الغربية لعبت دوراً كبيراً في صناعة الجهاد السياسي الإسلامي كما هو عليه اليوم، فكان لمخابرات دول الحلفاء (بريطانيا – فرنسا) الدور الأبرز مع ألمانيا في توظيف الجهاد الديني الإسلامي في الحرب العالمية الأولى 1914م وجعلت منه سلاحاً موجهاً ضد بعضهم البعض كما سبق الحديث عنه، فكانت النتيجة انهيار الدولة العثمانية وتقسيم العالم العربي والإسلامي بين دول الحلفاء المنتصرة ومنح فلسطين لليهود حسب اتفاقية (سايكس بيكو)، فخرج العرب من احتلال إلى استعمار جديد، وعقب اندلاع الحرب العالمية الثانية عام 1939م، والذي اكتوى العرب بنيران هذه الحرب، فكانت من نتائجها انقسام العالم لقطبين متنافسين، القطب الأول (المعسكر الاشتراكي) والاتحاد

(1) انظر كتيبات أو منشورات للمؤلف محمود محمد طه – السودان . بعنوان (الإسلام برسالاته الأولى لا يصلح لإنسان القرن العشرين – الحزب الجمهوري يدعو إلى طريق محمد 1969م – ورسالة الصلاة 1970م) .

السوفيتي والدول المتحالفة معه من دول أوروبا الشرقية المنضوية بحلف (وارسوا)، والمعسكر الرأسمالي ودوله المتحالفة وهي (أمريكا - بريطانيا - فرنسا) وغيرها من دول حلف (الناتو)، فخلق توازن نسبي في المصالح الدولية في الوقت نفسه أعلن عن قيام دولة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين تحقيقاً لوعده بلفور واتفاقية سايكس بيكو، وبعد ذلك خاض العرب عدداً من الحروب لنيل الاستقلال الوطني، وبدأ العرب في بناء مشروع الدولة الوطنية وسرعان ما تم التآمر عليهم تحت عدد من الأسباب، إذ لم يشهد العرب والمسلمين غير فترة وجيزة من الاستقرار حتى تسارعت وتيرة الانقلابات، وتصفية رموز حركة التحرر الوطني واستبدلوا بحكام تابعين بدعم من المخابرات الغربية من أجل مصالحهم الاقتصادية والسياسية، ومن أجل إبقاء منطقة الشرق الأوسط ملتعبة بسبب (الموقع الهام للوطن العربي وحجم مخزون الطاقة الضخم فيه - وضمان أمن الدولة العبرية وتفوقها في المنطقة).

ومع انهيار المعسكر الاشتراكي تفرد الغرب في رسم خارطة جديدة لمنطقة الشرق الأوسط على صفيح ساخن من الأحداث والحروب المباشرة والحرب بالوكالة عبر ما يسمى حرب (المليشيات الدينية المذهبية) أو حرب المجاهدين والموجه للداخل، فكان الجهاد الموجه للداخل هو الهدف الرئيس من صناعة تلك المليشيات الدينية المسلحة، وتدخلت المخابرات في دعمها للجهاد السني/ الشيعي فوقع العرب في فخ الحروب التي لا تنتهي وما زالت متصدرة مشهد الأحداث حتى اليوم، وكلا الجهادين لهما مشروعية مذهبية في الفكر المذهبي دس مسبقاً من جماعة التحريف، تميّز بعمق العداء فيما بينهما إذ يستمد مشروعيته القتالية مما زرعه جماعة التحريف قبل قرون من الزمن في خلق الاختلاف والكراهية والحقد بين أبناء الدين الواحد وهو ما يؤكد أن المذهبين السنة والشيعية وما تفرع عنهما تم صناعتهم من جماعة التحريف، وهو نفس ما قامت به جماعة التحريف في المجتمع المسيحي، حين خلقت المذهب الكاثوليك والمذهب البروتستانت وما تفرع عنهما من فرق وطوائف، غرس بينهم العداء وأزهق منهم عشرات الملايين من البشر بمبرر امتلاك حقيقة الرب، ومن قبله في المجتمعات القديمة (اليهودية) الأخرى.

وإلى جانب موروث فكر الصراع العقائدي المذهبي القديم في أوروبا أخذت المخابرات الغربية والأقلية تلك الأسباب والمبررات مع دمجها بالأسباب والمبررات الموجودة في فكر المذاهب الإسلامي الحالي فوظفتها في الصراع المذهبي السني الشيعي بمنطقة الشرق الأوسط ، بالإضافة لمبررات وأسباب أخرى تمثلت بالمصالح السياسية والاقتصادية والعسكرية ومن أجل ان تسهل لهم السيطرة على مخزون الطاقة الضخم، فكان النفط والغاز محور الصراع الهام في منطقة الشرق الأوسط، ففي عام 1953م وقع انقلاب في إيران على رئيس الوزراء محمد مصدق بتخطيط وتمويل المخابرات البريطانية / الأمريكية بسبب قيام مصدق بتأميم قطاع النفط والحد من سيطرة شركة البترول البريطانية حيث جرى تعاون بين حكومتي تشرشل وإدارة أيزنهاور للإطاحة بحكومة إيران ودفعوا بمحمد رضا بهلوي آخر سلالة ملوك شاه إيران للحكم وقد استعان الشاه بمرتزقة من خارج البلاد لتثبيت حكمه الملكي وقد حكم الشاه إيران مدة (26عام) حتى 1979م بطريقة ديكتاتورية مستبدة عاث في البلاد الفساد في

حياة من البذخ والتترف وبدعم وتأييد غربي إلى أن جيء بالخميني عبر المخابرات الفرنسية على رأس ثورة، فكان لقيام ثورة الخميني 1979م وإنهاء الحكم الملكي البهلوي بدعم مباشر من فرنسا، وتخلي أمريكا عن دعم الحكم الملكي للشاه، وبتقديري لم يكن ذلك الموقف تخلي من الإدارة الأمريكية بقدر ما كان توزيع أدوار بين أجهزة المخابرات العالمية (فرنسا، بريطانيا، أمريكا) خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وما أسفر عنه في إعادة ترتيب خريطة المنطقة (الشرق الأوسط) والعالم حسب تأمين المصالح الاقتصادية الدولية وتأمين أمن الدولة اليهودية وصياغة واقع سياسي جديد للمنطقة وغيرها من الأسباب، وباعتقادي كان نجاح ثورة الخميني في إيران من أهم الأحداث التي جرى التخطيط لها من قبل دول الحلفاء الغربيين من أجل قيام دولة دينية شيعية صدامية موجهة حسب ما يملئ عليها، فأنشأوا نظام حكم ديني مذهبي تحت مظلة النظام الجمهوري سمي (بولاية الفقيه)، استند إلى أصول المذهب الشيعي الذي يعطي حق السلطة المطلقة للإمام المتصل نسبه بالنبي الموحى إليه عن الله، ونقل أحقية رئاسة شؤون الدين والدنيا إلى إمامة من ينوبه عنه تحت غطاء الثورة الإسلامية التي أطاحت بالملكية.

وبقيام نظام تحت غطاء (جمهورية إيران الإسلامية) الذي صاغ مشروع نظامها الإمام الخميني حسب نظرية التفويض الإلهي (الثيوقراطية) فبدأت مرحلة جديدة خطيرة كان من أولياتها إخضاع الشعب الإيراني لها، ثم القيام بتصدير الثورة خارج إقليم الجمهورية، باسم الدفاع عن الأقليات الشيعية في منطقة الشرق الأوسط والعالم ومحاربة الشيوعية، وعلى أثر ذلك تم تهيئة الظروف الملائمة لإشعال المنطقة بالحروب لضمان السيطرة على مخزون الطاقة من النفط والغاز، فكانت الحرب الإيرانية العراقية والتي استمرت قرابة ثمان سنوات راح ضحيتها قرابة مليونين إنسان من الشعبين الجارين المسلمين، كان المستفيد الأكبر منها الدولة العبرية وبعض الدول الغربية في ما يتعلق ببيع صفقات الأسلحة لطرفي الصراع، مع ضمان تدفق النفط لفترة أطول بأسعار زهيدة بالإضافة لتدمير قدراتهما العسكرية والبنية التحتية وحدث الإنهاك الاقتصادي وتراكم الديون الناتجة عن عقود شراء الأسلحة وما خلفته الحرب من آثار على مجمل الحياة العامة لمستقبل أجيال الشعبين.

اعتبرت هذه الثورة الإمام الخميني المرجع الديني الأعلى، فهو قائد الثورة وهو المجاهد وهو السيد صاحب النسب الشريف المقدس، وهو (روح الله)، ولما لهذا الأسماء من دلالات دينية لا تمس لدى أتباع المذهب، فقد صُنِعَ للخميني هالة من التبجيل والتقديس، وجُعِلَ منه حجة في ولاية الأمر للدين والدنيا، فصاغ للمجاهدين دليل نظري وعملي في مؤلف خاص أطلق عليه (الحكومة الإسلامية) حدد فيه معالم طريق الثورة الخمينية، جاء في كتيب صغير (ملزمة) لا يتجاوز عدد صفحاتها عن مائة وخمسين صفحة وهي ملخص لدروس القاها الخميني على طلاب علوم الدين في النجف الأشرف، خلال الفترة من (13) ذي القعدة إلى (1) من ذي الحجة 1389هـ، إذ سرعان ما تحولت هذه المحاضرات لبرنامج أيديولوجي على هيئة كُتَيْب طبع بمختلف اللغات والأحجام، ومنه نهل مفكروا الثورة الخمينية مبادئ وقيم الثورة الخمانية وأضافوا إليها، وأثروها بالشروح والمؤلفات والأبحاث والمجلدات والكتب التي

تناولت من خلالها فلسفة ثورة الخميني، فازدحمت المكتبات بتلك الشروح المحشورة مذهبياً بأحاديث العنينة وتفسير وتأويل القرآن خلافاً لمقصده، وقصص وحكايات نسخت من فكر المذهب الشيعي عن (الحكومة الإسلامية) ومن هذا الكُتيب (الملزمة) حاولنا تحديد الملامح الأساسية لمسلك ثورة الخميني، مع التعليق عليه بالنزر اليسير خشية الأطالة وعلى النحو الآتي:

من خلال المقدمة التي استهل بها الخميني صفحات هذا الكُتيب، (7 - 22) أكد على أن قيام الحكومة الإسلامية، أصبح ضرورة ملحة في ظل غياب الإمام المهدي المنتظر تحت ولاية الفقيه الذي اعتبرها فكرة عملية واضحة لا تحتاج إلى برهان، حاول جاهداً إيضاح أن الإسلام دين ودولة وحكومة ورئاسة، وهو بذلك يتوافق مع حسن البناء مؤسس جماعة الإخوان المسلمين الذي صاغ تعاليم جماعته حسب هذه المفاهيم والمصطلحات أو قريباً منها، غير أن الخميني أقام شرعية ثورته على أصول ومبادئ المذهب الشيعي، ويؤكد على أهمية ولاية الفقيه، كونها ضرورة ملحة للخروج بالعالم الإسلامي نحو إقامة الدولة الإسلامية العالمية، وهو هدف يتفق مع هدف جماعة الإخوان المسلمين أيضاً في إقامة دولة الخلافة الإسلامية العالمية. كما يتفق الاتجاهان في إحاطة مشروعهما بهالة من القدسية، وتكفير من يقف في طريق مشروعهما، كون دعوتهم تمثل إرادة الله في الحكم، وهذا يشير إلى أن المخرج لكليهما واحد، وإن تغيرت مفردات الخطاب وتصادمت في مفهوم المرجعية الشرعية للحكم، كما أنهم يتفقون في موضوع عالمية الدولة مع دعاة إقامة الحكومة العالمية أحادية القطب لحكم العالم حسب ما جاء في الفكر الماسوني، وهو نفسه في مشروعية الولاية والحكومة الإسلامية فقد حاول الخميني توظيف القرآن الكريم بالتفسير تارة وبالتأويل تارة أخرى لكثير من آيات الذكر الحكيم، فضلاً عن توظيف وحشر عدد كبير من أحاديث العنينة من كتاب الكافي وغيره من كتب فقه الشيعة، لتأكيد مصداقية فكره السياسي المذهبي في الحكم بولاية الفقيه عن الإمام الغائب (المهدي المنتظر)، محاولاً إقناع أتباعه بكل ما أوتي من قوة لقيام الحكومة الإسلامية المستمدة من أوامر الله للرسول، ومن الرسول للإمام علي ابن أبي طالب وللائمة من بعده وصولاً إليه كونه يمثل أو ينوب عن الإمام الغائب، وهو حجة الله على الناس جميعاً، حسب ما جاء بأدبيات الفقه الشيعي والثورة، وقد حاول أن يعقد مقارنة بين حكم الغرب وحكم الإسلام لتبرير حجة قيام مشروع الثورة بنظام الولاية، وأن الإسلام لا ينحصر بأحكام الحيض والنفاس حسب ما يطلق عليه الأعداء، ليجلبوا القوانين الوضعية الأجنبية، بل هو دين جامع شامل، ونفى عن الإسلام الحكم الملكي الوراثي مستذكراً ومستنكراً حكومة الشاه، وما يثار من الغرب عن الإسلام بأنه يحوي عقوبات قاسية في تنفيذ أحكام القصاص.

وتحت عنوان أدلة ضرورة تشكيل الحكومة، الصفحات (23 - 41) من مزعوم ذلك الكُتيب (الملزمة) وردت عنوانين كثيرة متفرقة، منها: التأكيد على ضرورة عمل المؤسسات التنفيذية، حيث جاء فيه: إن مجموعة القوانين لا تكفي لإصلاح المجتمع، فلا بد من وجود سلطة تنفيذية، والقول إن الرسول كان يترأس جميع أجهزة التنفيذ والتبليغ والبيان والأحكام ويقود الحروب ويعقد المعاهدات وينفذ جميع أحكام الإسلام.

ومنها القول الخاطي بأن لا حكومة في التشريع الإسلامي، فإن هذا الكلام يتعارض مع مبادئ الإسلام، ويخالف معتقدنا في الولاية، ومنها أن الولاية تولد (الحكومة) لتتولى سلطة التنفيذ إلى جانب سلطة التشريع، وهو ما كانت عليه سيرة الرسول فقد تزعم إدارة المجتمع وأرسل الولاة، وجلس للقضاء بين الناس، وأرسل السفراء إلى خارج حدود دولته، وقد استخلف بأمر من الله من يقوم من بعده على هذه المهام، وهذا الاستخلاف يدل بوضوح على ضرورة استمرار الحكومة من بعد الرسول بأمر من الله أيضاً، وهذا الأمر لا يحده زمان ولا مكان، فكل الأوامر من حلال وحرام وحدود حتى مع غيبة الإمام المهدي المنتظر لا يمكن أن تتعطل حتى عودته.

أما عن حقيقة القوانين في الإسلام فتتلخص في القرآن المجيد والسنة الشريفة، وما حوى كتاب الكافي فقد فصل تحت عنوان: (بيان جميع ما يحتاج الناس في الكتاب والسنة)، ومنها التأكيد على ضرورة العمل بالإحكام المالية من جباية الخمس كمورد من موارد الدولة الزراعية والصناعية والتجارية والمعادن والكنوز وغيرها، وهو المورد المخصص للهاشميين من آل البيت أو السادة من (أهل البيت).

وبين أن حق الهاشميين في هذا المورد ما يكون بقدر حاجتهم، ومن حق الإمام في ولاية الفقهية تصريف الباقي في شؤون الدولة، وكذلك الحال في إيرادات الخراج والجزية من أجل مواجهة الأعداء والدفاع والاستعداد التام والدائم لتطبيق الحدود والقصاص، وإنشاء جيل مؤمن يحطم عروش الطواغيت مولين أسباب تردي الواقع السياسي والاجتماعي الحالي من الظلم الفادح الذي حل بعلي ابن أبي طالب، ونسله من الأئمة من بعده بسبب الأمويين والعباسيين، وتحويل الخلافة إلى سلطنة وملكية مورثة، وأصبح حكم العالم الإسلامي أشبه بأكاسرة الفرس وأباطرة الروم وفراعنة مصر، واستمر ذلك الوضع حتى يومنا هذا حسب زعم الخميني الذي أكد على ضرورة الوحدة الإسلامية وتجنب أسباب الضعف الذي أصاب حكم العثمانيين، ويجب تجاوز ذلك من أجل إنجاح الثورة الإسلامية العالمية وإنقاذ المظلومين والمحرومين، وضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية.

وعن نظام الحكم الإسلامي من الصفحة (41 - 117) من مزعوم ذلك الكتيب (الملزمة): تطرق فيه إلى امتياز نظام الحكم الإسلامي عن سائر الأنظمة السياسية، مشيراً إلى أن كل الأنظمة التي تعتمد على القوانين الدستورية، ومبدأ فصل السلطات لا ترقى إلى مستوى نظام الحكم الإسلامي المستمد من القرآن والسنة، مؤكداً أن حكومة الإسلام هي حكومة القانون، والحاكم هو الله وحده، وهو المشرّع لا سواه، وحكم الله نافذ في جميع الناس وفي الدولة نفسها، والرسول مستخلف ليحكم بذلك ومن بعده الأئمة، مبتدئين بعلي ابن أبي طالب ومن بعده من الأئمة النجباء وصولاً إليه (الخميني).

ومن شروط الحاكم العلم بالقانون الإسلامي والعدالة، وهما من أركان الإمامة، وعلى الحاكم أن يتحلى بأقصى درجات الكمال والعقيدة وحسن الأخلاق مع العدل والنزاهة.

أمّا حال الحاكم في زمن الغيبة إذ لم ينص على تحديد شخص معين يدير شؤون الدولة فاللزام وجود شخص ينوب الإمام الغائب، ويكون مؤهلاً ليحكم الناس، وهذه الخصائص متوفرة في نظام ولاية الفقهية الذي يملك من أمر الإدارة والرعاية السياسية ما كان عليه الرسول وعلى ابن أبي طالب، وولاية الفقهية لا تصل إلى منزلة النبوة أو منزلة الإمامة، إذ إن الولاية تعني حكومة الناس وإدارة الدولة وتنفيذ الأحكام الشرعية من رجم الزاني وقطع يد السارق وجباية الزكاة والخمس والجزية والخراج، ثم تطرق إلى شرح معنى الولاية التكوينية وثبوتها للإمام علي بن أبي طالب حسب مذهب الشيعة، وقد درج على الاستدلال بأحاديث العنعة في أحقية إمامة علي ونسله من فاطمة بنت الرسول في الولاية، ثم الأئمة من نسلهم وصولاً للإمام الخميني كون نسبه يتصل بأهل البيت.

وفي الحديث عن الحكومة يؤكد أنها وسيلة لتحقيق الأهداف السامية مستدلاً على ذلك بآرث من سيرة الإمام علي ومكانة زوجته ثم عرج إلى عنوان ولاية الفقهية حسب مشروعية من أحاديث العنعة التي أمطر مؤلفه بها، محاولاً شرحها بما يؤكد شرعية الفكرة مضيفاً لذلك قصص من الفكر الشيعي على حجية ولاية الفقهية وصولاً لفقهاء هذا العصر الذين اعتبرهم ممثلين للإمام الحجة الغائب المهدي المنتظر، والحقيقة إن الخميني يريد من هذا الطرح حل أزمة ما وقع فيها المذهب الشيعي وهذه الأزمة بتقديري تعود إلى إيجاد مبرر مقنع لألغى فكرة تعطيل الأحكام والشعائر الإسلامية في غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه حسب ما يعتقدونه، وهو يريد الخروج من هذا المأزق عبر هذه الأطروحات، فيستردل بسرد عدد من أحاديث العنعة ليقنع أتباعه بصحة ومشروعية ولاية الفقهية، ثم يخلط بين تطبيق الأحكام واختصاص الفقهاء الذين يعتبرهم أمناء الرسل لتنفيذ أهداف الرسالات، ويبين أن الفقهاء أمناء الرسل في قيادة الجيوش وإدارة المجتمع والدفاع عن الأمة وأن الحكومة الإسلامية يجب أن تلتزم بالقانون، قانون الله حتى لا تكون نهايتها مفجعة ويستشهد بآيات من نصوص القرآن الكريم على ذلك.

وعن وظيفة القضاء تطرق الخميني لبيان مفهوم القضاء المطلوب من فقه المذهب الجعفري الاثنى عشري، حسب ما أورد من أحاديث كتاب الكافي، مبيناً أن القضاء جزء من شؤون ولاية الفقهية العادل متأسياً بالأمام علي في توليه القضاء إلى جانب كونه خليفة المسلمين، وهو يحمل صفة الوصي وهذه الصفة تنتقل عملياً للفقهاء، فهم الأوصياء للرسول من بعد الأئمة في حالة غيبتهم كغيبة الإمام المهدي المنتظر، والفقهاء اليوم هم الحجة على الناس، ثم عرج لعناوين كثيرة، منها تحريم التحاكم إلى حكام الجور وأن علماء الإسلام هم المرجعية في الأمور الخلافية بين الناس، وأنهم منصوبون للحكم، وأن منصب العلماء محفوظ دائماً.

وبين تلك العناوين إسهاب طويل من قصص وحكاوي خرافية من كتاب الكافي، وكُتب الفكر الشيعي حسب مشروعية من أحاديث العنعة بفقه المذهب، ومستشهداً بفقه بني إسرائيل في زمن موسى وغيره، فضلاً عن تفسير القرآن وتأويله على غير هدى وبصيرة كما اسلفنا وكررنا، ثم أبحر بخطبة مطولة عن استشهاد الحسين في كربلاء، وظلم بني أمية له، ثم

وصف أتباعه بالعصاة حسب ما جاء هذا اللفظ في كتاب الكافي، ثم أفرد للدعاء في جانباً من هذه الخطبة بقصد التحذير من أكل السحت وأكل أموال الناس والشعب، وذكر مناسبة إحراق المسجد الأقصى، وذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن انتهى بذكر حكم الشيرازي بحرمة التنباك (التبغ) أي تحريم التنباك.

وفي عنوان آخر سرد هذا العنوان: وفي سبيل النضال من أجل تشكيل حكومة إسلامية، ورد محتوى هذا العنوان وعناوين أخرى غيرها من صفحة (119 - 150) من كتاب (ملزمة الخميني): ركز فيها على العمل الدعائي، وتضخيم الثورة (البروجاندا) من أجل إقناع الآخرين، ولو بصورة تدريجية في تشكيل الحكومة الإسلامية، محذراً من تأمر اليهود، مخاطباً جيل الشباب بالوعي لمخاطر التآمر على الثورة، ومع حث الشباب على الانخراط فيها، ونشر أفكارها والعمل الدؤوب لاستقطاب الجماهير عبر تجنيد الخطاب الديني، ودور الفقهاء للقيام بعملية التعبئة الروحية للثورة والتخلص من الفكر المضاد، من فقهاء النفاق المعارضين مذكراً الشباب والأجيال بما كانت عليه حكومة الشاة من الفساد والإفساد والإسراف والتبذير في ميزانية الدولة، وعلى الفقهاء دور كبير في غرس قيم التضحية والفداء وإحياء عاشوراء الجديد، وإحياء المقاومة الإسلامية على المدى الطويل، وإصلاح الهيئات الدينية، وإزالة آثار العدوان والاستعمار الفكري والخلقي، ونشر قيم الدين حسب فكر المذهب الشيعي.

وقد أفرد عدداً من أحاديث العنونة من الكافي وغيره لحث الشعب والشباب على الجهاد المقدس، وتشكيل الحكومة الأمنية للقيام بذلك وإزالة وسوسة الاستعمار والتقولات أن الإسلام لم يعد له صلاحية مع السياسية، وأن الفقهاء هم الأمناء الحقيقيين على أمن وحقوق الأمة لما يحملون من قيم الدين، بل هم من يمثلون الدين خير تمثيل، وأن عليهم تطهير المراكز الدينية من المندسين الخونة، وطرد فقهاء السلاطين وعملاء دوائر الأمن والاستخبارات، ثم ينتقل لاستعراض مهام أخرى، وهي تدمير الحكومات الجائرة في العالم ومقاطعة مؤسساتها، وترك التعاون معها والابتعاد عنها في الداخل والخارج وهو ما يعني الإذن بتصدير الثورة لخارج إيران مستشهداً بأقاصيص وأحاديث من فكر المذهب الشيعي، وبهذا انتهت قراءة كُتيب الحكومة الإسلامية للخميني (الملزمة) (1).

والخلاصة فقد كان من الأولوية والأجندة التي فرضت على ثورة الخميني منذ الأيام الأولى إقامة دولة دينية مذهبية وتصدير الثورة إلى العالم الإسلامي، وهو ما حصل فعلاً، كما أن النظام الجمهوري لم يكن إلا شكلاً خالياً من أي مضامين حقيقة للنظام الجمهوري، ولا يعزى تشكله من البرلمان (مجلس الشوري الإسلامي) ومجلس الخبراء ومجلس صيانة الدستور ومجلس تشخيص مصلحة النظام ومجلس الخبراء مع وجود دستور اقر عام 1979م وعدل عام 1989م، ومع هذا كله يظل نظام الحكم في إيران دولة دينية ذات توجه طائفي عسبوي سلافي يحكم عبر ولاية الفقهية (المرشد الأعلى) وذي مرجعية مذهبية للشيعية الاثني عشرية، فهو نائب الإمام الغائب ويوجب له حق الحاكمية والتصرف والتدبير لشؤون المؤمنين

(1) انظر الحكومة الإسلامية للإمام الخميني. ص: 143.

حسب نظرية الحق الإلهي الكهنوتي في الحكم، وقد أفرد له صلاحيات دينية واسعة في كل السلطات، فهو الفقيه الذي له مواصفات محددة من حيث النسب المقدس، والعالم الشرعي بفقه المذهب وغيره، وبذلك يكون رئيس الدين والدنيا، وقد شرعوا لهذا العمل بالتأويل الخاطئ لآيات القرآن الكريم حسب هذه الآية- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: 55)، ويقولهم إن هذا الآية تخص ولاية علي بن أبي طالب والأئمة من بعده بالنسب المتصل بزوجه فاطمة بنت النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا التأويل دس من جماعة التحريف بمختلف مذاهب الفكر الإسلامي مع أعداد ضخمة من أحاديث العنينة فجعلت الحكم السياسي يقوم على الاتصال بالنسب الديني المقدس، والإسلام منه بريء وهو ما أوضحنا في عناوين أخرى، مع العلم أن القول بالنسب الديني المقدس هو كذبة كبرى دست من عقائد اليهود في أغلب الديانات (الهندوسية، البوذية، والمسيحية، وفي الحديث والفقه بفكر المذهبين بشقيه السني والشيعة) وهذا الدس مفضوح بآيات القرآن، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

وأنا هنا أعتقد بل وأجزم أن قيام دولة دينية في إيران تحت غطاء جمهوري له ما يبرره في المصالح الغربية، فقد تصدرت المخابرات الفرنسية في دعم هذا التوجه بهدف خلق بعبع، فكان أول ثمارها العمل على تصديرها لخارج إيران، بحجة الدفاع عن الأقلية الشيعية ونتج عن ذلك الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت قرابة عشر سنوات انتهت بهزيمة الشعبين العراقي والإيراني، ثم شن الحرب المدمرة والظالمة على العراق فأستبيحت العراق للميليشات الدينية وما زال الوضع غير مستقر حتى يومنا هذا، والدور القادم على حكومة طهران ما تفق من نظام الحكم الديني العصبوي المدمر والأكثر فساداً في الأرض، والأمل يحذونا في الشعب الإيراني وحنكته في الخروج من هذا الفخ بأقل الأضرار في المستقبل القريب، فقد تبرز خطوات لإصلاح نظام الحكم في إيران لأن الوعي يزداد بأهمية بناء حكم مدني رشيد يقوم على التعددية السياسية والعمل على الفصل بين السلطات، وهو أمر لا يستبعد أن يقوم به الشعب الإيراني، فهو شعب عظيم وصاحب حضارة عريقة خلدها التاريخ، فهل يدرك حكام إيران حجم الفخ العصبوي للحكم المذهبي الديني الذي وقعوا فيه واستغلاله من قبل الغير في الصراع بين الإخوة في الوطن والعقيدة والإنسانية؟

والخلاصة لهذا الفصل:

وبعد هذا الاستعراض كله أقول: ومع الأسف فإن مجتمعاتنا العربية والإسلامية لا ترسل أطفالنا ليتشربوا من فكر هذه المذاهب والفرق والجماعات الدينية في المدارس، والمعاهد والكلليات، التي للأسف لم تتوقف، بالإضافة إلى قنوات التلفزة، ومواقع التواصل الاجتماعي والمساجد والحسينيات التي تردد على مسامعنا صباح مساء غناء هذا الفكر باسم الله، وباسم الرسول، وباسم الصحابة، والله ورسوله والصحابة والإسلام منها بريء، لأنهم هجروا كلام

الله في القرآن الكريم – المبين – المحكم – المفصل – الميسر وبسبب هذا الفكر المنسوب للإسلام خلقوا كل هذه التناقضات المذهبية، وعملوا على تحريف الشعائر والمناسك والأحكام والعبادات وقيم الفضيلة، ومن مقابلة فكر المذاهب بآيات القرآن فإن نتيجة هذه المقابلة تقودنا إلى استنتاجات خطيرة حول عدم صحة ومصادقية هذا الفكر المتناقض الهادم لقيم الفضيلة والحضارة، ومع كل ما سبق إيضاحه فقد حصص الحق بالدعوة الصادقة لكل العقلاء من أبناء امتنا العربية والإسلامية والإنسانية بإعادة قراءة وتنقيح كتب الفكر الديني المذهبي، بما يتوافق مع نصوص القرآن والعقل، والفكر، والعلم من دون الاعتماد على التأويلات والتفسيرات، وأحاديث العنينة التي تغلغت في حياتنا وأثرت في ثقافتنا ومعتقداتنا الإيمانية وأصبحت هذه المذاهب والفرق، والطوائف، والجماعات والأحزاب الدينية سلاح مدمر لإنهاك شعوب منطقة الشرق الأوسط، وخاصة أقطار الوطن العربي بل وتهدد العالم، وما نراه اليوم إلا دليلاً واضح المعالم، فقد استخدمت الكيانات في تدمير مدننا وقتل شعوبنا وتهجير مواطنينا باسم الله، والرسول وباسم الدين، ولا شك أن أنجع علاج لهذه الآفة المدمرة في تقديري هو إقامة الحكم المدني الشوروي – الديمقراطي وفتح نوافذ الحوار، والحرية الدينية وإقامة العدل والمساواة بين الناس بمختلف انتماءاتها العقائدية بغض النظر عن الدين – والجنس – واللغة – والعرق مع حرية كل شخص في اختيار معتقده الديني، ومن ثم العمل بالقانون، كقيمة معرفية عليا تسمح بتنظيم الحياة لكل شعب من الشعوب والخضوع للقانون في بناء الدولة، والحكومة الوطنية حسب خصوصيات في الزمان والمكان وعلى ضوء احترام حقوق السيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية وقيام روابط اقتصادية وثقافية وعلمية تتلاق فيها المجتمعات والشعوب، ثم أمراً آخر مهم وهو مسك زمام الخطاب الديني عبر المؤسسات الرسمية، وعدم السماح بإنشاء مدارس دينية خارج إطار المؤسسات الرسمية للدولة الوطنية، والحيولة دون السماح بقيام أحزاب أو جماعات أو منظمات سياسية على أساس ديني/ مذهبي/ طائفي/ عرقي وإلغاء مصطلح دار حرب ودار سلام من قاموس الفقه مع الاعتراف الكامل بحرية المعتقد، والاعتراف بخصوصية كل دولة عربية / إسلامية في اختيار نظامها السياسي حسب ما سبق ذكره، والحفاظ على الأمن الوطني والأمن الإقليمي والأمن القومي والعالمي، وتحقيق الاستقرار بين أبناء المجتمع الواحد عبر سيادة القانون واحترام المصالح المشتركة بين جميع شعوب العالم العربي والإسلامي وكل شعوب العالم، مع الاعتراف الكامل بكل ما خطه الإنسان من فكر إنساني قانوني يتمثل بمواثيق ودساتير ينظم مجمل الحياة على مستوى علاقات الشعوب والأمم ومنها ميثاق الأمم المتحدة ومختلف الاتفاقيات والمعاهدات الدولية والإقليمية، خاصة تلك المتعلقة بمنع الحروب ونشر السلام العالمي والتعاون الدولي المشترك ومنع استخدام الأسلحة الذرية والنووية والحد من انتشارها، ونبد العنف والكراهية والإرهاب.

الفصل الحادي عشر

فقه تحريف التاريخ العربي الإسلامي: كتاب سيرة النبي لابن هشام أنموذجاً

مدخل تعريفي:

كتاب السيرة لأبن هشام صادر عن دار الفكر العربي، بيروت 1981م، راجع أصوله وضبط غريبه وعلق على حواشيه ووضع فهارسه المرحوم الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد المدرس بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بمصر سنة 1937م، طبع الكتاب في عدد من المجلدات، وهذه الطبعة من الكتاب ستكون مصدرنا في الحديث والأقتباس للأحداث عن سيرة النبي محمد عليه السلام (التاريخ العربي الإسلامي) في المكان والزمان مع التعليق عليه، والكتاب يحوي كثير من الأحداث والقصص والمواضيع المتعددة، وقد خضع للدراسة والتحقيق والتهديب والمراجعة من شراح اللغة.

يعد هذا الكتاب أول كتاب دُون بعد جمع القرآن الكريم حسب ما زعم عنه، ومنه دُون تاريخ السيرة النبوية (التاريخ العربي الإسلامي)، كما يعد الكتاب أهم مرجع لدى غالبية المسلمين بكل المذاهب، ومنه اقتبست غالبية الأحداث والغزوات والقصص، وبعض الأحكام الفقهية وجزء من الشعائر التعبدية كالصلاة والصوم والحج والزكاة، وأدرجت هذه الأحداث في المناهج التعليمية لطلاب التعليم في المراحل المختلفة لتقديم شخصية الرسول محمد والعرب والإسلام، حسب ما أراد كاتب هذه السيرة، كما أصبح هذا المؤلف مصدراً للكثير من الأعمال الدرامية والمسلسلات والأفلام التي تروي سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحياته وعلاقته بمن حوله من الصحابة والنساء والشيوخ والأطفال وعموم المسلمين، وأصحاب العقائد الأخرى من اليهود والمسيحيين والمشركين وغيرهم.

المؤلف:

يسرد الأستاذ محمد محي الدين في مقدمة هذا المؤلف وفي ترجمة الكتاب من صفحة (12 - 30) المبررات والأسباب والخطوات الذي مرّ بها تدوين هذا الكتاب عبر طبقات وعهود متفرقة من صحابة النبي والتابعين، فهو يذكر عصر طبقة الصحابة الأول وكانوا لا يكتبون غير القرآن الكريم، ثم انقضى على هذا الحال إلى عصر عمر بن عبدالعزيز فكانت الطبقة الثانية والذي أمر أبي بكر بن حزم - والليث الأوزعي - وشيخ مالك - وابن إسحاق وابن أبي ذئب - محمد بن مسلم بن شهاب الزهري - بتدوين الحديث، فَدَوْنَ له في ذلك (كتاباً)، ثم جاء بعد ذلك دور وطبقة التصنيف وكُتِبَتْ فيه "المغازي والسير"، ومن أول من كتب في سيرة النبي: عروة بن الزبير ابن العوام - ثم أبوه الزبير - ثم أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق - وأبان ابن عثمان بن عفان - وشرحبيل بن سعد - ووهب بن منبه، ثم جاء بعدهم طبقة أخرى وهكذا من طبقة إلى أخرى ومن أسماء لآخر وهلم جر محاولاً وبسعي

حديث أقناع القاري بمصادقية التدوين لهذا المؤلف من خلال سرد التسلسل التاريخي للعصور وطبقات الرجال، ليختتم لنا بفاجعة ضياع تلك المصنفات للطبقتين الأولى والثانية وهي حصيلة متوقعة في مثل هكذا عمل، ثم يأتي بالقول من أنه لم يتبقى من تلك المصنفات الضائعة إلا اساميها وبعض منها نُثرأ في بعض مؤلفات المتقدمين كالطبري وابن سعد والواقدي والبلاذري، ولولا هاؤلاء لما علمنا عن تصانيف هاتين الطبقتين شيئاً، وهذا القول مردود عليه بما هو معلوم من أن مؤلفات الطبري والواقدي مشهورة بالأكاذيب والتحريفات والإسرائيليات في الحديث والسيرة وغيرها، ثم يخلص الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد ليحيط بحالته لأقناع قارئه بمزعو الطبقة الثالثة فكان من رجالها محمد ابن إسحاق بن يسار الذي أخرج وصنف لنا كتاب السيرة كأقدم أثر وصل في هذا الفن في أول عهد العباسيين فمن هو ابن إسحاق؟

ابن إسحاق: له عدد من الأسماء، فهو أبو عبدالله، ويقال: أبو بكر، ويقال: إنه كان يكنى بهما معاً، واسمه محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المؤلف الثابت الحافظ المتقن "المعاصر" لأخبار الرسول والمشهود له من الزهري ومحمد بن إدريس الشافعي وأبي معاوية الذي وصف ابن إسحاق بالحافظ الذي إن جلس في فن من العلم كان مجلسه في ذلك الفن، ويزيد التعريف به، بالقول: كان جده يسار مولى من أصل فارسي، أسر في عام اثني عشر هجرية في عين التمر - وهي بلدة صغيرة قريبة من الأنبار غرب الكوفة - بالعراق وفي المدينة ولد محمد ابن إسحاق عام خمسة وثمانين هجرية على الأرجح، ترحل بعدها إلى عدد من الأماكن منها: الإسكندرية - والكوفة - والحيرة - ثم طاب له المقام ببغداد عاصمة الخلافة العباسية واختلف حول تاريخ وفاته: (150 هـ - 151 هـ - 152 هـ - 154 هـ) حسب زعمهم، وفي (ص 25 إلى 28) يروي المؤلف لنا قصة عن ابن إسحاق مع أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني، وفي رواية أخرى مناقضة في نفس الكتاب، مع أمير المؤمنين الخليفة المهدي، ويقول الكتاب إن ابن إسحاق اتصل بالخليفة العباسي أبي جعفر المنصور من أجل وضع كتاب تصنيف عن السيرة لابنه (المهدي)، ثم يأتي بقول آخر أن أبا جعفر المنصور هو من طلب تأليف هذا الكتاب! وإليك عزيزي القارئ سرد هذا الحوار الذي يوضح مناسبة وسبب تأليف هذا الكتاب.

قال الخطيب البغدادي: "دخل محمد بن إسحاق على المنصور وبين يديه ابنه المهدي" فقال له: أتعرف هذا يا ابن إسحاق؟ قال ابن إسحاق: نعم هذا ابن أمير المؤمنين. قال أمير المؤمنين: اذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله تعالى آدم إلى يومك هذا، فذهب ابن إسحاق فصنف له هذا الكتاب! فقال أمير المؤمنين: لقد طولته يا ابن إسحاق، اذهب فاختصره! فذهب ابن إسحاق: فاختصره، وألقي بالكتاب الأول في خزانة أمير المؤمنين!

ولم يذكر الفترة الزمنية بين طلب الخليفة تأليف الكتاب وإنجازه للنسخة المطولة، ثم الفترة الزمنية التي تم فيها اختصاره الكتاب المطول إلى هذه النسخة، وفي الحقيقة فإن الحوار الذي دار بين الخليفة العباسي وابن إسحاق بشأن هذا الكتاب يذكرنا بإحدى المعجزات التي أيد الله تعالى بها النبي سليمان في جلب عرش حاكمة دولة سبأ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قَالَ يَا

أَيُّهَا الْمَلَأُ أَتَيْتَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجَنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٍّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (النمل: 38، 39، 40).

فهل يا ترى كان ابن إسحاق عفريناً من الجن أم عنده علم من الكتاب؟ حتى يذهب ويأتي بكتاب مطوّل لم يعجب الخليفة، ثم يذهب ليختصره ويأتي بهذا الكتاب، وبطريقة تجعل القارئ يرى وكأن الأمر جرى قبل أن يقوم الخليفة من مقامه!!! إذ إن تأليف كتاب كهذا يحتاج لوقت طويل كونه أول كتاب يدوّن في السير والأحداث والغزوات حدد الفترة الزمنية المطلوب التأليف عنها منذ بدء الخليقة الأولى (آدم وزوجه) وحتى عهد الخليفة العباسي، ومع ذلك فإن الكتاب الذي بين أيدينا لا يتضمن قصصاً وأحداثاً الخلق ابتداءً من آدم حتى أيام الخليفة العباسي حسب طلب الخليفة حسب الزعم، حسب ما جاء بالحوار، بل جاء بقصص وأحداث وتفاصيل مرتبطة بحياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بصورة روائية ممزوجة بذكر بعض الأحكام الفقهية مع استخدام أحاديث العنينة لتأكيد مشروعية ما يطرح من الأحداث، وما يسرد من قصص غلب عليها الخرافة والخزعات عن تاريخ بعض ملوك اليمن قبل الإسلام وتشويه واضح للرسول وصحابته والإسلام والمسلمين وكذلك العرب.

ومن جانب آخر نجد أن دوافع تأليف الكتاب تتشابه مع دوافع تأليف أغلب كتب المذاهب والفرق والجماعات الدينية الأخرى، وعلى سبيل المثال كتاب الرسالة للشافعي الذي كتبه بطلب من شاب يدعى عبد الرحمن بن مهدي، وكتاب الموطأ لمالك وقد كتبه بناءً على طلب الخليفة العباسي أيضاً.

وما يلفت النظر في مقدمة الكتاب هو سرد وقائع خاصة بمؤلفه ابن إسحاق من قبل معاصريه تتضمن الجرح والتشنيع به، وأخرى تحمل الثناء عليه، وهو عمل مقصود أريد من خلاله إقناع القارئ بأن المؤلف كان له مؤيدون ومعارضون من أجل إضفاء مصداقية لمحتوى الكتاب وصحة الأحداث والروايات والقصص التي يرويها، وما يهمننا في هذا الموضوع هنا مادة الكتاب وشخص المؤلف والراوي من أجل الوقوف على صحة وجود شخص الراوي والمؤلف من عدمه، ومن خلال قراءة ما تضمنته مقدمة الكتاب عن ترجمة مؤلفه يبدو أن مؤلفه الحقيقي المستتر هو ابن إسحاق أما ابن هشام فهو الاسم الظاهر! وقد ورد التعريف بابن هشام في (ص 29 - 30): بأنه أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري وأصله من البصرة، وبها ولد وتوفي بالفسطاط، مصر (218 هـ) وعلى الرغم من أن اسمه يشير إلى نسبه الحميري المعافري، (الحميري نسبة إلى حمير من أكبر بطن تنسب إليه أغلب قبائل اليمن، ومن حمير سميت الدولة الحميرية التي قامت في جنوب الجزيرة العربية، والمعافري نسبة إلى المعافر، وهي بلدة معروفة تقع في ناحية من مدينة تعز جنوب غرب اليمن) (إلا أن نسبته لمدينة البصرة يستدعي الانتباه والوقوف عليه، لأن البصرة لم تكن قد تحولت إلى مدينة جاذبة للسكان في ذلك التاريخ بل كانت ثكنة عسكرية اتخذت لصد هجمات

الفرس حسب ما جاء في عدد من المراجع في وصف تاريخ البصرة⁽¹⁾ ما يجعل القول بولادته بمدينة البصرة غريباً!! وابن هشام كان راوياً عن راوٍ آخر مستتر هو أبو محمد بن زياد بن عبد الله بن الطفيل البكائي العامري الكوفي المتوفى سنة 183 هـ، ويصف الكتاب أبا محمد بن زياد البكائي أنه أتقن من روى السيرة عن ابن إسحاق، إذن ما الحاجة لرواية ابن هشام عن ابن إسحاق طالما كان البكائي من أتقن الرواة؟! فكانت الإجابة حسب ما زعم أن فقد الكتاب كان سبباً للرواية من ابن هشام للكتاب المفقود مع رواية أخرى للبكائي، بمعنى أوضح كان ابن هشام راوياً عن راوٍ آخر بطريقة العنونة، مثله مثل مدرسة الأحاديث، ثم كيف يفقد كتاب كهذا بحضرة الخليفة؟ ومن قبله فقدت مؤلفات ومصنفات الطبقتين الأولى والثانية

والخلاصة التي قيلت في هذا الكتاب حسب ما جاء في تحقيقه: إنه أقدم أثر وصل إلى أيدينا حسب ما سبق القول صنفه مؤلفه ابن إسحاق، وهذبه البكائي بعد ما يقارب من نصف قرن حسب قول المحقق، كما لا ننسى ما قام به ابن هشام في إسقاط كل ما ورد من كلام أفحش بذكره ابن إسحاق، لاسيما من الأشعار، وإن كان قد أبقى منها الكثير، كما يرد في قوله بالتالي: "إني إن شاء الله... تارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب ما ليس للرسول فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب، ولا تفسيراً له ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، والبعض منهم لم يقر لنا البكائي بروايته - ومستقص إن شاء الله ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به"، ومن خلال القراءة الفاحصة لما بين دفتي الكتاب بمجلداته، وما حوى من الأحداث والقصص المهمة والخطيرة في مادة الكتاب، وهي الجانب الأهم بمقصدي التي أردت تسليط الضوء عليها، بغض النظر عن أسماء مؤلفيه التي أجزم أنها جماعة مستترة قدمت هذه الأسماء والشخصيات لإخفاء حقيقتها، والحقيقة لا تخرج عما اسميها بجماعة التحريف، استخدمت أسماء (ابن إسحاق، البكائي، ابن هشام) لكتابة هذا المؤلف بما فيه من المواضيع والقصص والأحداث التي تناولها، وسواءً كانت هذه الأسماء التي نسب إليها محتوى الكتاب لأشخاص حقيقية أو أسماء منتحلة، فإن ما يهمنا هي المادة الموضوعية لهذا الكتاب المسمى سيرة النبي لابن هشام (تاريخ الرسول محمد عليه الصلاة والسلام)، وما احتوت من مواضيع وأحداث وقصص في السيرة النبوية والتي أحدثت شرخاً في حياة المجتمع العربي المسلم، بل نزيفاً ما زال مستمراً في حاضرنا، ووعينا العربي والإسلامي، وبصورة واضحة، مع تقديم صورة مشوهة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم من خلال سرد الكم الهائل من الأحداث والغزوات والسرايا والقصص، والأحكام الفقهية والشعائر والمناسك والتفسير المخالفة لنصوص القرآن الكريم، والمخالفة للأعراف العربية والإنسانية، وكلها تتعارض مع نعمة العقل التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان للتمييز بين الحق والباطل، والخير والشر، ليس ذلك فحسب، بل سعى أصحاب تلك المرويات بما يملكون من أساليب التضليل لإيجاد مظلومية لليهود باختلاق معارك وغزوات وهمية أدت (حسب الزعم الكاذب) إلى إبادة عرقية وانتهاك الحقوق وحرية العقيدة،

(1) انظر تاريخ البصرة / على ظريف الأعظمي . ص

لأجل حمل اليهود على اعتناق الإسلام أو القتل أو الطرد والتشريد خارج أوطانهم التي كانوا يسكنونها، كما خصوا المرأة اليهودية بسيل من الأحداث الدامية من شخص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة، تمثل بالسبي واغتصابهن وبيعهن جوارى، والغريب أن حكايات السيرة (القصصية) ما زالت تُدرس كمادة تعليمية لأجيالنا في المدارس، وينتج منها قصص ومسلسلات وأفلام درامية، وتردد بدون وعي أو تمحيص، وكأنها حقيقة لا علاقة لها بما نسجته جماعة التحريف لتشويه العرب والإسلام والرسول والمسلمين.

1.11 أهم الأحداث والقصص المحرفة والتي وردت في مزعوم سيرة النبي برواية جماعة ابن إسحاق:

1.1.11 قصة "سد مأرب":

يروى الكتاب أن سبب تدمير سد مأرب كان بفعل جرد (نوع من الفئران) ⁽¹⁾ حفر في جدار السد فتهدم بسببه سد مأرب بدولة سبأ، هذه الحكاية كنت قد سمعتها مرات عدة في طفولتي على أنها أقصوصة شعبية خيالية وحكاية خرافية من الأدب الشعبي اليمني القديم، ولم أكن أعلم أنها مدونة في كتاب جماعة ابن إسحاق بكونها حقيقة تاريخية، وهذه الحكاية تكذبها الشواهد التاريخية والآثار الموجودة ببقايا جدار سد مأرب الموجود حتى يومنا هذا، حيث يدل على أن بناء سد مأرب تم بمواصفات عالية، وحرفية ودقة متناهية باستخدام الأحجار الكبيرة والمنحوتة والتي أقيمت بها جدران السد إذ يقع جدار السد بين جبلين يعجز عن هدمه قطع من الفيلة، فما بالك بفار (جرذ)، ذلك هو التضليل الفاضح في تزوير التاريخ والتشويه المقصود بهذه الأقصوصة السمجة، إذ لم يكتف بهذا الزيف بل اكمل كذبه بكذبة أخرى قصد منها تشويه شخص ملك سبأ بتقوله عليه بعلمه المسبقة بتشقق جدار السد بسبب الجرد وما سيحدث للسد من انهيار الأمر الذي جعله يتدبر حيلة للهروب بأمواله وأولاده وبيع ما تبقى، فعقد حيلة مع أصغر أولاده للقيام بصفع أباه (الملك عمرو بن عامر) أمام جمهرة من الناس، ليتخذ منها سببا للهروب، فحزم أمواله وكنوزه مع أولاده، وترك قومه وشعب مملكته للخراب والدمار الذي سينتج عن انهيار السد، جراء ما ستخلفه كارثة تدفق السيول.

وهذا لا يتفق مع ما هو معلوم عن أخلاقيات الملوك بصفة عامة وخاصة ملوك اليمن الذين أقاموا ممالك ودول عدة ترسخ فيها مفهوم الدولة وقيم الحضارة منذ عهد قوم عاد وثمود والأحقاف وسبأ، وغيرهم من ملوك التبابعة والسبئيين، وممالك استمرت قرونا كثيرة، وهم أول من لبس تيجان الملك في الأرض، لا شك أن هذه القصة من مخيلة كاتبها قصد منها تشويه تاريخ سبأ وملوكها الذين وصفهم القرآن بالشورى وبالقوة والبأس الشديد، بالإضافة لكون حقيقة سبب دمار السد يعود إلى سيل العرم الذي تدفقت مياهه من أمطار غزيرة كان نزولها عقوبة لقوم سبأ لكفرهم بالنعمة التي أنعم الله عليهم، كما يبين ذلك قوله اللّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 1 . ص 9 .

لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي
أَكْلِ خُمُطٍ وَأَتَلُ مَا يَصْلُحُ لَدُنْ حَاظِرِ آلِ يُثْرِبَ لِيْلٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (سبأ: 15، 16، 17)، أليس في هذه الآية من كلام الله سبحانه وتعالى رداً واضحاً على تحريف
جماعة ابن هشام وأكاذيبها عن انهيار سد مأرب وتشويه سيرة ملك من ملوك سبأ.

2.1.11 قصة الملك تبع اليماني

جاء في كتاب جماعة ابن إسحاق (سيرة ابن هشام) قصة الملك تبع اليماني مع أهل
"يثرب" ومكة عندما حاول غزوهم فتدخل حبران من اليهود برأيهما للملك أن مكة مكان فيه
بيت الله، وإذا غزاها سيحل عليه غضب الله ويهلك، وكان القصة وردت هنا بهدف إظهار
العنصر اليهودي في كونه مرشداً وناصحاً باسم الله، ذلك أن الملك تبع اليماني كان ملك ذلك
الزمان والمكان ويمتد ملكه لكل أراضي الجزيرة بما فيه مكة ويثرب، بل قيل: إن امتداد حكمه
بلغ أدنى الشرق والغرب في ذلك الزمان، فمن غير المعقول أن تكون مكة، وهي بلدة صغيرة
ليست ضمن دولته، أو خارج حكم الملك تبع اليماني، وقد وصف الله سبحانه وتعالى قوم تبع
في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ أَفَعَيْنَا بِالْخُلُقِ
الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي نَبَسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (ق: 14، 15)، ومن رمزية ظهور العنصر اليهودي
ودلالته المؤثرة التي سعى لإبرازها راوي هذه القصة، أن جعل من الحبرين اللذين قدما مع
الملك تبع اليماني سبباً لدخول أهل اليمن في اليهودية، ولعل ذلك ما كان يسعى إليه الكاتب في
سرد هذه القصة عن ذلك الملك وهو سرد ينضح بالكذب والتزوير⁽¹⁾.

3-1-11 قصة فيمون من كتاب العهد الجديد:

قصة فيمون بزعمه شخصية إسلامية يعمل معجزات تتشابه مع معجزات رسول الله
عيسى عليه الصلاة والسلام من إشفاء المرضى وإحياء الموتى وغيرها من الخرافات المنسوبة
لفيمون،⁽²⁾ والحقيقة أنها قصة مدسوسة ومنقولة من سفر (فليمون) من العهد الجديد الخاص
بالفكر المسيحي، وهذا السفر عبارة عن صفحة واحدة، جاء منها التالي: "بولس أسير يسوع
المسيح، وتيموثاوس الأخ، إلى فليمون المحبوب والعامل معنا، 2 وإلى أبفية المحبوبة،
وأرخبس المتجند معنا، وإلى الكنيسة التي في بيتك: 3 نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب
يسوع المسيح. 4 أشكر إلهي كل حين ذاكرًا إياك في صلواتي، 5 سامعا بمحبتك، والإيمان
الذي لك نحو الرب يسوع، ولجميع القديسين، 6 لكي تكون شركة إيمانك فعالة في معرفة كل
الصلاح الذي فيكم لأجل المسيح يسوع 7 لأن لنا فرحاً كثيراً وتعزية بسبب محبتك، لأن أحشاء
القديسين قد استراحت بك أيها الأخ"⁽³⁾.... هذا السرد يكفي للرد على تقول جماعة ابن هشام.

4-1-11 قصة ابرهة الحبشي وهدم الكعبة:

- (1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 1. من ص 16 - 23.
- (2) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 1 من ص 30 - 33.
- (3) انظر العهد الجديد. سفر فليمون

جاء في كتاب جماعة ابن هشام قصة الأحباش في اليمن وما أحدثه نفر من عرب اليمن بقيامه بتلطيخ القليس بالقاذورات (الخرأ)، فقام على إثر ذلك قائد جيش الأحباش أبرهة الأشرم بتسيير جيش مصحوب بالفيلة لهدم الكعبة بمكة،⁽¹⁾ وهذا السبب يتشابه بهدفه مع السبب الذي قيل عن هروب الملك السبئي عند معرفته بانهيار سد مارب، كما أن ذكر (خرأ الإنسان - وختا البقر)⁽²⁾ أقتبس من العهد القديم وهو ما يدل على منبع واحد ولثقافة منحطة لكاتب هذه القصة الكاذبة ومخرجها واحد، والذي يوظفها ويبررها بتأويل سورة الفيل على هذا الحدث، فكيف تم تأويل سورة الفيل لتصبح متطابقة مع الأحباش؟ وهذه سورة الفيل كاملة لنقرأها معاً، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ (من 1- 5- من سورة الفيل).

ومن الواضح أن سورة الفيل لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى قوم معينين، أو مكان معين كمكة أو "الكعبة"، وهو ما يفهم من هذه الآيات أن أصحاب الفيل أناس يعيشون على تخوم الغابات التي تعيش فيها الفيلة، وليس اليمن فيها غابات أو شبه غابات، وإنما توجد فيها بعض الأحراش والأودية التي تنمو فيها بعض الشجيرات، وفيها تعيش بعض السباع وأنواع من الفهود والأسود، وبعض الحيوانات آكلة العشب وغيرها. وإذا قال قائل لقد جلب الأحباش الفيلة من أرض الحبشة إلى صنعاء، فهو قول يجانب الصواب كثيراً لبعد المسافة التي تقدر بألفي كيلو تقريباً، بين مكان عيش الفيلة في الغابات على هضبة الحبشة، وساحل البحر الأحمر على الجانب الأفريقي، وما فيها من طرق وعرة عبر سلسلة من الجبال والسهول، وإذا وصلت تلك الفيلة إلى الساحل الغربي من البحر الأحمر، فلا بد من نقلها على سفينة شراعية أو ذات مجاديف كي تصل إلى الضفة الشرقية من ساحل البحر الأحمر على أرض اليمن، ثم السير بها إلى صنعاء، كي تكون أمام الجيش المتوجه من صنعاء إلى مكة كما يزعمون، وهي مسافة تقدر بألفي كيلو أخرى، فهل يمكن أن تسير تلك الفيلة مسافة تزيد عن أربعة آلاف كيلومتر، تمتد على سلسلة جبلية شديدة الانحدارات والانكسارات في أرض الحبشة وأرض اليمن، وهي تضاريس وعرة من الصعب بمكان السير فيها على المترجلين والدواب، فما بالك بالفيلة ثقيلة الوزن بطيئة السير، وتحتاج إلى كمية كبيرة من العشب الأخضر في اليوم.

ومن تصفح أحداث التاريخ القديم فإن المعارك الحربية التي استخدمت فيها الفيلة كانت بين الشعوب الهندية وشعوب الفرس ثم جلب الرومان الفيلة وأدخلوها في الحروب، لذلك فإن رواية سورة الفيل تنطبق على شعوب فارس والهند وليس على اليمن، وهذا يعني أن سرد هذه الحكاية وتأصيلها بهذا التأويل لسورة الفيل هو عمل مقصود قصد تشويه اليمن والحبشة وأبنائها الذين هم جزء أصيل من نسيج واحد (سبأ) وغيره من الأنساب.

ومثل تأويل سورة الفيل بهذه الطريقة المحرفة فقد تم تأويل سورة المسد بنفس الطريقة ونسبها لشخصية تم صناعتها باسم (أبي لهب) ونسبته لعم النبي محمد عليه الصلاة والسلام

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 1 من ص 42- 53.

(2) انظر العهد القديم - سفر حزقيال 4.

بقصد التشويه والتحقير بكتب الحديث ومن خلال قرأت سورة المسد ستجدها تتحدث عن خادم النار أو عابد النار.

11-1-5 قصة ماء زمزم والحجر الأسود وقصص أخرى:

● جاء في كتاب ابن هشام (قصة حفر ماء زمزم)، وقيل أن ماءها يخرج من بين فرث ودم، ومعلوم أن اللبن هو الذي يخرج بتلك الطريقة، وليس الماء كما ذكرت جماعة ابن إسحاق، أو من بين (إيساف اسم لشاب، ونائلة اسم لفتاه) اللذين فعلا فاحشة الزنا بجوف الكعبة في الزمن القديم، فمسخهم الله تعالى وثنين (صنمين)، وتم دفنهم بالقرب من الكعبة جوار نبع ماء زمزم حسب الرواية والمقصود من هذا القصة الكاذبة التحقير والاستهزاء بالبيت الحرام والمسجد الحرام (الكعبة) قَالَ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَ الَّذِي يَتْلُمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: 97) (1).

● قصة عبد المطلب ونذره بذبح أحد أولاده وهو عبد الله أبو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وما لحق بهذه القصة من كلام بذيء بكيفية زواج عبدالله والد الرسول، الذي حاول فعل فاحشة الزنا بأخت ورقة بن نوفل، واسمها "رقية بنت نوفل" لولا زواجه من آمنة بنت وهب التي حالت دون وقوع جريمة الزنا من عبدالله أبو النبي محمد، وهذا تشويه واضح لبيت الرسول محمد عليه الصلاة والسلام (2).

● قصة ولادة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وعلم اليهود بذلك، من خلال طلوع نجمه في السماء، ورؤية الملاكين، وشق بطن الرسول وهو صبي وإخراج قلبه من جوفه، وإخراج علفة سوداء، فطرحاها ثم غسلا القلب والبطن بالثلج حتى نقيها (3)، وعلى الرغم من الخرافة التي سردت هذه القصة فهي تتفق مع رواية ميلاد الرسول عيسى في إنجيل متى: (ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية، في أيام هيرودس الملك، إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم 2 قائلين: «أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له» (4).

● قصة تحكيم الرسول لوضع الحجر الأسود، قصة مدسوسة وضعت "بقصد جعل الحجر من شعائر الحج بالمخالفة لصريح القرآن الذي حدد مناسك الحج بدقة متناهية، ولم يذكر أي حجر أو ماء، وقد اعتبروا الحجر الأسود والشرب من ماء زمزم ورمي الجمار من شعائر الحج التي تعد مناسك وشعائر وثنية دست بقصد تحريف وتشويه مناسك الحج، وما زالت قائمة حتى يومنا هذا للأسف (5).

● أحاديث متفرقة تصف الرسول والإسلام بالإرهاب والخرافة:

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 1. ص 121، 122، 154.

(2) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 1. ص 166.

(3) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 1. ص 172، ص 176.

(4) انظر العهد الجديد انجيل متى

(5) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 1. ص 214.

• حَدَّثَ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنِ الرَّسُولِ بِقَوْلِهِ: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ" (1) وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ فِي وَصْفِ أَخْلَاقِ الرَّسُولِ وَكُلِّ رَسُلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: 159)، كما وصفه الله بالرحمة للعالمين، وهو وصف لكل الرسل، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

• حَدِيثُ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّهُ كَانَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مِصْرَ اسْمُهُ (مَرْزِبَانُ بْنُ مَرْذَبَةَ الْيُونَانِيِّ) (2) مِنْ وَلَدِ يُونَانَ بْنِ يَافَثَ بْنِ نُوحٍ: وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْمُهُ الْإِسْكَندَرُ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْإِسْكَندَرِيَّةَ فَنُسِبَتْ إِلَيْهِ. وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ كَلِمَةَ "ذِي" لَفْظٌ يُطْلَقُ لِلتَّعْرِيفِ بِالشَّيْءِ، وَمَعْرُوفٌ تَدَاوَلَهُ حَتَّى الْيَوْمِ فِي الْيَمَنِ، وَأَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا يَقَالُ إِنَّهُ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ مِنَ الْيَمَنِ، وَفِي ذَلِكَ تَرَى مَدَى التَّنَاقُضِ وَالْخِلَاطِ بَيْنَ شَخْصِيَّةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَالْإِسْكَندَرَ الْمَقْدُونِيَّ الْحَاصِلِ بَيْنَ ابْنِ إِسْحَاقَ وَابْنِ هِشَامٍ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ ذِي الْقَرْنَيْنِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ.

• أَمَّا قِصَّةُ "رُكَّانَةَ" ابْنِ عَبْدِ يَزِيدَ ابْنِ هَاشِمٍ ابْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَقَدْ حَدَّثَ ابْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ بْنُ يَسَارٍ أَنَّ الرَّسُولَ حَاولَ إِقْنَاعَ رُكَّانَةَ بِالْدُخُولِ فِي الْإِسْلَامِ عَنْ طَرِيقِ الْمِصَارَعَةِ، فَتَصَارَعَ مَعَ الرَّسُولِ، فَصَرَعَهُ الرَّسُولُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ، ثُمَّ أَمَرَ الرَّسُولُ شَجَرَةَ أَنْ تَأْتِيَ مِنْ مَكَانِهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ تَعَوَّدَ لِمَكَانِهَا مَرَّةً أُخْرَى لِكَيْ يَقْنَعَ رُكَّانَةَ بِالْدُخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فَكَانَ رَدَّ رُكَّانَةَ بِأَنَّ الرَّسُولَ سَاحِرٌ" (3)، هَذِهِ الْقِصَّةُ مُقْتَبَسَةٌ مِنْ قِصَّةِ شَمْشُونٍ وَفَقًّا لَمَا وَرَدَ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ (التَّوْرَةِ، سَفَرُ الْقَضَاةِ)، وَالكَثِيرُ مِنْ هَذِهِ الْقِصَصِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْأَشْعَارِ الَّتِي لَا يَسَعُ الْمَقَامَ لِذِكْرِهَا.

11-1-6 قصة المعراج وفرض الصلاة:

قِصَّةُ الْمَعْرَاجِ بِرِوَايَةِ جَمَاعَةِ ابْنِ هِشَامٍ عَمَّنْ لَا يَتَّهِمُهُ، وَهُوَ مَجْهُولٌ؟ وَعَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَهُمْ مَجْهُولُونَ أَيْضًا! وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ وَآخَرِينَ "أَنَّ جَبْرِيلَ جَاءَ بِالْبَرَقِ لِلرَّسُولِ، وَهُوَ أَشْبَهَ بِدَابَّةٍ، وَبَيْنَمَا كَانَ الرَّسُولُ نَائِمًا فَرَكَلَهُ جَبْرِيلُ بِقَدَمِهِ ثَلَاثَ رُكَلَاتٍ، لِيَفِيقَ مِنْ مَنَامِهِ، ثُمَّ يَصْعَدُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَصَعِدَا لِلْسَّمَاءِ الْأُولَى ثُمَّ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ وَحَتَّى السَّابِعَةِ، وَأَثْنَاءَ الرِّحْلَةِ الْمَزْعُومَةِ يَرَى الرَّسُولُ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكِبَرَى فَيَرَى الْأَنْبِيَاءَ وَيَصْفَهُمْ، ثُمَّ يَرَى الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ الْمَلِكُ "إِسْمَاعِيلُ" وَهُوَ اسْمٌ لَمْ نَسْمَعْ بِهِ إِلَّا مِنْ كِتَابِ جَمَاعَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَيَصِفُهُ بِالْقَوْلِ: وَتَحْتَ يَدَيْهِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلِكٍ، وَتَحْتَ يَدَيْ كُلِّ مَلِكٍ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَلِكٍ، ثُمَّ يَلْتَقِي الرَّسُولُ "مَلِكَ خَازِنِ النَّارِ" الَّذِي لَا يَضْحَكُ أَبَدًا وَقَدْ كَشَفَ عَنِ النَّارِ لِيرَاهَا الرَّسُولُ، وَرَأَى رَجُلًا مَشَافِرَهُمْ كَمَشَافِرِ الْإِبْلِ، وَرَجُلًا لَهُمْ بَطُونٌ مُنْتَفَخَةٌ، وَرَجُلًا يَأْكُلُونَ مِنَ الْغَتِّ

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 1 . ص 301.

(2) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 1 ص 329.

(3) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 1 ص 418.

المنتن، ويتركون السمين الطيب، ونساء معلقات بأثدائهن، وأثناء صعوده للسموات وجد عيسى ويوسف وإدريس، وهارون وموسى اللذين يصفهما وصفاً جميلاً، وهما بأعلى مراتب السموات، وفي السماء السابعة يجد فيها كهلاً كبيراً وهو إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو جالس على كرسي في البيت المعمور (الكعبة) الذي يدخلها كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون منه إلى يوم القيامة، وانتهت الرحلة بالرسول إلى ربه بسدرة المنتهي حسب رواية جماعة ابن إسحاق.

وعنده أي في حضرة الله "فرض عليه خمسين صلاة بكل يوم وليلة، فقفّل راجعاً بها إلى موسى بالسماء السادسة، وبعد نصيح موسى له يعود الرسول محمد ليراجع الله في الصلاة بحجة أن أمته لا تطيق ذلك العدد من الصلوات، حتى استقرت على خمس صلوات في اليوم والليلة"، بعد سلسلة من المشاورات والرحلات مع موسى والنبي محمد والعودة لربه بإنقاصها حتى استحي الرسول محمد من العودة لمراجعة الله في أن يسأله التخفيف أكثر من الخمس الصلوات السائدة حتى يومنا هذا(1).

إن هذا السرد الذي رُوي في كتاب جماعة ابن هشام عن المعراج ما هو إلا نقل للقصة ذاتها من فكر رواية المعراج الزرادشتي للكهنة (فيرزا) المدوّن بالكتاب المقدس للمجوس (أفستا) (2) وقد سبق ذكرها، ثم نسخت جماعة التحريف هذه الأقصوصة من حيث الموضوع والهدف إلى فقه السيرة الإسلامي وأحاديث العنونة لتكون دليلاً على مشروعية الخمس الصلوات.

والفاجعة في قصة المعراج أنها ما زالت جزءاً من إيمان غالبية المسلمين، وتعد دليلاً على فرض الصلوات الخمس ومناسبة يحتفل بها كل عام.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى واقعة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في أول سورة الإسراء بقوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: 1). ولم يذكر الله أي شيء اسمه المعراج مطلقاً كما لم يحدد شخص العبد الذي أسري به ليلًا.

وقد يقول قائل إن سورة النجم هي التي ذكرت الصعود للسماء، فذلك تأويل خاطئ وغير صحيح على الجملة، فإذا كان القرآن الكريم ذكر الإسراء بصورة واضحة وصريحة، كحدث أرضي ومعجز بأول سورة الإسراء لكي يري عبده من آيات الله سبحانه وتعالى فكيف لم يذكر المعراج؟ وهو حدث عظيم يتعلق باختراق السموات، والبلوغ إلى سدرة المنتهي أمام حضرة الله سبحانه وتعالى، حسب قول جماعة ابن إسحاق، والمعلوم عن علم الفضاء اليوم وما يمتلك الإنسان من تقدم تقني من التلسكوبات العملاقة والأقمار الاصطناعية، والسفن الفضائية التي أطلقت على مدى خمسين سنة الماضية كان آخرها تلسكوب (جيمس ويب)،

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 2 من ص 2- 14 .

(2) انظر أفستا. ترجمة خليل عبد الرحمن من ص 707- 715.

الذي التقط صور عن السماء فأحدثت تلك الصور ضجة كبيرة بين سكان الأرض لحجم السماء الكبير وما فيها من المجرات السماوية العملاقة، وأن العلماء في ذهول من حجم الكون اللامتناهي في الكبر والتوسع المستمر، وقد بيّن القرآن ذلك بكثير من الآيات التي تكلمت عن السماوات، بآيات عدة من حيث وصفها، بالسعة والحجم، وما ينزل منها وما يعرج إليها، ومع عظمة وصف القرآن لحادث رؤية ومشاهدة سيدنا إبراهيم لملوك السماء فأن هذا الحدث الذي إن قورن بحديثهم عن مزعوم معراج الرسول، لكل السماوات حتى بلغ سدره المنتهي لا شك أن رؤية سيدنا إبراهيم الخليل ستكون حدثاً صغيراً أو عادياً، ومع ذلك دُونَ بشكل واضح في القرآن الكريم، ولم نر لهذا الحدث الكبير الذي ذكرته جماعة ابن إسحاق أي ذكر في القرآن الكريم، وهذا ما يجعل من حديثهم عن معراج الرسول حديثاً قريباً من السخرية ويفتقر للمصداقية، ويؤكد صدق اقتباسه من الفكر الزرادشتي وغيره، فكيف نصدق روايتهم عن المعراج؟ وتصوير السماوات أشبه بمبنى من سبع طوابق في كل طابق باب عليه حارس! بينما يصف القرآن السماوات بعبارات بديعة تتوافق مع الاكتشافات العلمية حول السماء، بعشرات الآيات التي نذكر منها، قوله جَلَّ في علاه: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: 47)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: 57). وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ (النازعات: 27، 28).

ولمزيد من التوضيح حول ما دسته جماعة ابن هشام عن المعراج فقد بين القرآن الكريم طبيعة علاقة الرسل بالصعود للسماء لتأكيد صدق رسالتهم، فكان الجواب الفاصل من القرآن الكريم، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزَيْتِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: 93) وَقَالَ جَلَّ في علاه: ﴿تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (المعارج: 4) ألم تكن هذه الآية وغيرها دليلاً كافياً وواضحاً على أن المعراج من الأعمال الخاصة بالله سبحانه وتعالى والتي يكلف بها الملائكة والروح.

وقد وردت كلمة المعراج في القرآن بصورة حصرية، ولم تذكر قصة معراج الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، أو أي نبي آخر كما تزعم جماعة ابن إسحاق نذكر هنا بعض الآيات لمزيد من الفائدة وقطعاً للجدل في هذا الأمر، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ (الحجر: 14، 15)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (السجدة: 5)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (سبا: 2) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد: 4).

كما أنَّ أمر فرض الصلاة لم يكن بهذه المراجعات التي جرت بين الله تعالى والرسول محمد والرسول موسى عليهما السلام، كما سردها الكتاب وأن موسى أعلم وأرحم من الله بشؤون عباده، وأن الصلاة شعيرة جديدة فرضت على الرسول محمد ومن تبعه، كما تريد جماعة ابن هشام تصويره للناس كذباً، والحقيقة أن شعيرة الصلاة فرضها الله على عباده منذ الخليقة الأولى للبشر واستمر تأديتها من الأنبياء والرسل وقد بيّن مراحل فرضها وكيفية الصلاة وآدابها وشروطها وأوقاتها للناس في القرآن الكريم بأكثر من آية، وبصورة واضحة ومفصلة وقد خصصنا لها فصلاً في الجزء الثاني من هذا المؤلف، كما يمكن العودة لقصة المعراج في (الكنز رابا، وأستا).

11-1-7 قصة حضور إبليس مع ابن إسحاق:

قال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم من أصحابنا (مجهول) عن إبليس الذي حضر اجتماع دار الندوة مع زعماء قريش على هيئة شيخ من نجد غليظ الملابس، ووافق الرأي بقتل الرسول بالهجوم على منامه هجمة رجل واحد، فأتى جبريل محذراً الرسول من المبيت بتلك الليلة في بيته وخرج الرسول، وجعل على فراشه علي بن أبي طالب نائماً مغطى ببردته الخضراء، وهذه القصة الكاذبة قصد منها تشويه عرب نجد وقد ورد مثل ذلك في أكثر من موضع، كما أن هذه القصة يبين الله سبحانه وتعالى كذبها في القرآن الكريم، حيث يؤكد أن الشيطان يرانا وقبيله، ونحن لا نراهم، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: 27)، فكيف رأى ابن إسحاق إبليساً وعرفه؟ (1).

11-1-8 وصم الرسول بالإرهاب والغدر والاعتقال:

وفي حديث العنعة من ابن إسحاق عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: بقوله "نصرت بالرب" دليل على لصق الإرهاب بالرسول وبالإسلام، وقصة حادثة اغتيال كعب بن الأشرف أحد زعماء أحبار اليهود من قبل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم شخصياً برواية ابن إسحاق وابن هشام، ملصقين الغدر والاعتقال بالرسول محمد بصورة مباشرة بغرض تشويه النبي. (2)

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام . من ص 92 – 95.

(2) انظر سيرة النبي لابن هشام ز من ص 436 - 440.

9-1-11 غزو يهود بني النضير المزعومة:

قال ابن إسحاق: إن يهود بني النضير تأمروا على قتل الرسول محمد عليه الصلاة والسلام غدراً بعد قدومه إليهم ليستعين بهم في دية قتلهم، فبينما كان الرسول قاعداً إلى جنب جدار من بيوتهم، قالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، فمن رجل يعلو هذه البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش، فصعد ليلقي عليه صخرة، كما قال ابن إسحاق، ورسول الله في نفر من أصحابه؛ فيهم أبو بكر وعمر وعلي، فأتى الرسول الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، والقصة من تأليفهم، حيث نتج عن هذه القصة، (وهو الشاهد) أن قتل الرسول راجعاً إلى المدينة، وسار بجيش ليعاقب اليهود على نيتهم حسب خبر السماء، ولا يوجد لهذه القصة ما يؤيدها من القرآن الكريم رغم زعمهم أنه جاء وحى من السماء بها، وهي في الحقيقة كما ذكرت قصة تم فبركتها كذباً من أجل إظهار الرسول رجل حرب وإرهاب يعاقب بالموت والسلب على النوايا.

كما يتضح من خلال سرد الأحداث حسب ما وردت بهذه القصة: فحاصرهم الرسول بجيش المسلمين وقطع النخيل وحرقها، فنادوه: إن يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيبه، وسألوا الرسول أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم، ففعل...، فقصة إجلاء يهود بني النضير من جملة قصصهم المصطنعة للبحث عن مظلومية ضد العرب والمسلمين في المستقبل ولتشويه العرب، والمسلمين بكونهم لا يقبلون بهم كأقليات دينية قابلة للعيش معهم، ومن ذلك اختلاقهم لحديث "أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب"، وكلها قصص وأحاديث يكذبها التاريخ والواقع، حيث بقي اليهود يعيشون بين المسلمين في اليمن والجزيرة العربية والعراق ومصر، والمغرب العربي وبكنف الدولة العثمانية حتى عهد قريب، وما زال بقية منهم حتى يومنا هذا (1).

10-1-11 قصة غزو يهود بني قريظة:

قال ابن إسحاق حسب ما حدثه الزهري: تصدر المعركة لبني قريظة الملك جبريل الذي كان معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة، ومعه جيش من الملائكة، بالإضافة إلى جيش المسلمين الذي كان في مقدمته علي بن أبي طالب الذي منع الرسول أن يدنو من حصون اليهود، كي لا يسمع سباب اليهود بألفاظ بذئية، وقد رد عليهم الرسول حسب ما قالت به جماعة ابن إسحاق: "يا إخوان القردة، فردوا عليه بقولهم". يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً!.... يريد مؤلف هذه القصة الكاذبة إظهار الرسول بالقول الفاحش واليهود على عكس ذلك إذ ظهرُوا أكثر لياقة وأدباً.

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام . مجلد 3 من ص 191- 194.

وقد انتهت المعركة بحصار بني قريظة ونزولهم عند حكم سعد ابن معاذ الذي حكم بقتل رجالهم وأخذ أموالهم وسبى الذراري والنساء، فزعم ابن إسحاق عمن حدثه عن طريق العنينة أن رسول الله قال رأيته في حكم سعد بالتالي: (لقد حكمت يا سعد فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة "أي سبع سماوات").

والسؤال أين ورد هذا الحكم عن الله في القرآن الكريم؟ حتماً لم يرد مثل هذا الافتراء والكذب، بل هو حكم من جماعة ابن هشام (جماعة التحريف)، ثم أردف ابن إسحاق قائلاً: إن الرسول خرج لسوق المدينة فخذق بها خنادق ثم بعث إليهم أي اليهود، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، حيث كان يخرج بهم إرسالاً أي دفعة تلو أخرى، وقد بلغوا ما بين سبعمئة إلى ثمنمئة، ويقال تسعمئة⁽¹⁾. والواقع أن هذا الحكم لم يكن حكم الله سبحانه وتعالى ولا حكم سعد ابن معاذ، بل أقتبس مضمونه جماعة ابن هشام من التوراة (العهد القديم) ولفقته على الرسول محمد انسخ لكم كما ورد: (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، 11 فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. 12 وإن لم تسالمك، بل عملت معك حرباً، فحاصرها. 13 وإذا دفعها الرب إليك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. 14 وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إليك. 15 هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. 16 وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إليك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما،)⁽²⁾.

وقد ورد في الفكر اليهودي الكثير من أعمال السيف في الخصوم وقتلهم؛ كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً، والسبي والحرقة والتسخير بلا رحمة، بما يظهر الإرهاب والعنف المفرط والوحشية بكل العبارات والأفعال لإلحاق أشنع الأضرار بالخصوم، وقد نسبوا في هذه القصة كل تلك التعاليم الوحشية التي وردت في (العهد القديم) للرسول محمد في هذه القصة الكاذبة تحت عنوان غزوة يهود بني قريظة، فزعموا كذباً: أن النبي أمر بقتل كل من أنبت من بني قريظة، أي من نبت فيه السن، ويقصد بذلك الأطفال بعمر سبع سنين، و"تقسيم أموال بني قريظة، وتقسيم نسائهم وأبنائهم على المسلمين. "ثم بعث ببعض من سبايا بني قريظة إلى نجد، لبيعهن فأبتاعهن واشترى بأثمانهن خيلاً وسلاحاً، كما نسبوا كذباً أيضاً إلى الرسول أنه استفرد بسبي ريحانة بنت عمرو بن جفاعة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فبقيت عند الرسول حتى توفي عنها، وقد عرض عليها الزواج ويضرب عليها الحجاب: فقالت بل تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك، فتركها، حسب قول جماعة ابن إسحاق.

وخلاصة قصة يهود بني قريظة التي أرادت جماعة ابن هشام إبرازها كمظلومية لليهود وقيام الرسول باجتثاثهم عرقياً وعقائدياً، والرسول بريء من كل ذلك نلخصها في الآتي:

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام . مجلد 3 من ص: 252- ص: 254، و ص: 257، ومن ص: 258 – 264.
(2) انظر العهد القديم – التوراة – سفر التثنية .

● إدخال جبريل في الخصومة يدل على عداوة اليهود له وللملائكة، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 98).

● إظهار الرسول بالبذاءة والفحشاء في القول، وَاللَّهُ يَقُولُ فِيهِ وَفِي كُلِّ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4).

● إظهار الرسول قاتلاً يأمر بقتل الأسرى وسبي الأطفال والنساء، والقرآن الكريم يوضح بأنه وغيره من الرسل أرسلوا رحمة للعالمين، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107).

● اتهام الرسول بأنه أخذ في ملكه ريحانة: فقالت: (بل تتركني في ملكك) والله سبحانه ينهى عن الرق والعبودية في الكثير من الآيات قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ (من سورة البلد - 13) وآية آخر تتحدث عن النهي عن الأسرى من قبل كل الأنبياء قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال - 67).

● إظهار الرسول والمسلمين بلا رحمه بقتلهم كل طفل من بني قريظة، وبيع السبايا والذراري بالأسواق بمقابل حصولهم على السلاح لكي تستمر دوامة الحروب والاعتداء كما تريد جماعة ابن إسحاق تصويرها كذباً وزوراً، والقرآن الكريم يؤكد في أكثر من آية أن الله سبحانه لا يحب المعتدين وهذا الخطاب معني به النبي محمد عليه الصلاة والسلام وكل الأنبياء والرسل والناس أجمعين.

11-1-11 قصة جويرية وحديث الإفك:

● قال ابن إسحاق مُحدثاً عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عائشة، أن الرسول لما قَسَمَ سبايا غزوة بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحرث بنت أبي ضرار سيد قومها في سهم ثابت بن قيس بن الشماس (نفس الشخصية بقصة الزبير بن باضا القريظي)، وكانت امرأة جميلة فاتنة حلوة مألحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فأنت الرسول تشهده على مكاتبها على ثابت بن قيس، فاشتهاها النبي محمد واتخذها زوجة له، فكان الراوي لهذه القصة الكاذبة ابن إسحاق ثم يدخل أشخاصاً آخرين في الرواية ليدعم روايته بأن الرسول همهم الأول هو مضاجعة النساء، يتبين ذلك من خلال هذه الأقصوصة، وغيرها كثير (1).

● قصة حادثة الإفك: قال بها ابن إسحاق مدعماً رواياته بعدد كبير من الأشخاص الذين استشهد بهم في قصة جويرية، ليضفي مصداقية في موضوع الإفك بزعمهم الكاذب عن زوجة النبي عائشة والطعن في شرفها، لذلك نراه يروي القصة بلسان عائشة نفسها فيحباك القصة بشخوصها الدرامية محققاً هدفه الذي سعى إليه وحلفاؤه من الذين

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 3 ص 339.

آذُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ (الأحزاب: 69) (1).

ولا يسع المقام هنا لذكر القصة بشخوصها المصطنعة من المؤلف والراوي اللذين يحملان من الحقد والكراهية على الرسول محمد والإسلام ما لا يطاق، غير أنني أجد من اللازم ذكر الآية القرآنية التي تعالج قضايا المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان، رغم قيام جماعة ابن هشام بتأويل وتفسير القرآن الكريم حسب المكان والأشخاص، والقرآن لا يفسر ولا يؤول بمكان وأشخاص، بل هو صالح لكل زمان ومكان عدا ما حدد من التنزيل الحكيم بصورة مباشرة.

وآية الإفك لا تتحدث عن (س) أو (ص) من الناس وإنما تتحدث عن إرساء قاعدة اجتماعية عامة بين الناس على حد سواء منذ أزل التاريخ الإنساني وحتى قيام الساعة، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ...﴾ (النور: 11). ولك أن تعود لمراجعة هذه القصة كاملاً في (ص: 341-355 مجلد3).

11-1-12 قصة صفية بنت حيي ابن أخطب:

قال ابن إسحاق: لما فتح الرسول في خيبر حصن القموص ابن أبي الحقيق أتى بصفية وبأخرى معها، فمر بهما بلال على قتلى من اليهود، فلما رأتهم التي مع صفية، صاحت وصكت وجهها، وحثت التراب على رأسها، فلما رآها الرسول قال: أبعادوا عني هذه " الشيطانة " وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه، فعرف المسلمون أن الرسول قد (اصطفأها لنفسه).

وكلمة اصطفى وردت ثلاث مرات في القرآن الكريم تتكلم عن عمل من خاصية الله سبحانه وتعالى، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ..﴾ (البقرة: 247)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ..﴾ (آل عمران: 42) وَقَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج: 75).

ويستمر ابن إسحاق في سرد قصة صفية، ويقول: كانت صفية عروساً على كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وقد رأت في منامها أن قمرأ وقع في حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها كنانة، فقال: ما هذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز محمداً، فاطم وجهها لطمه خضرت عيناها منها، فأنت الرسول وبها أثر من تلك اللطمة، فسألها ما هذا فأخبرته هذا الخبر، ويقول ابن إسحاق: ولما أعرس الرسول بصفية بخيبر بات بها الرسول ودخل بها، وهو قافل بالطريق من خيبر إلى المدينة، وبات أبو أيوب خالد بن زيد أخو بني النجار متوشحاً سيفه، يحرس

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 3 . ص 348.

الرسول ويطوف بالقبة التي عرس بها الرسول حتى أصبح الرسول، فلما رأى مكانه، قال: "مالك يا أبا أيوب، قال: يا رسول الله "خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها، وكانت حديثه عهد بكفر فخفت عليك منها، فقال الرسول: اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني"، والرواية هنا عن صفية بنت حيي ابن أخطب زوجة كنانة ابن الربيع، وهما من يهود خيبر، وذكرها ابن إسحاق برواية البكائي وابن هشام، والتي نقل صورة كاذبة عن الرسول محمد بأنه رجل محارب يقتل وينهب ويسبي ويناكح المسيبات بل والمتزوجات، كصفية بنت حيي بعد أن قتل أباهما وزوجها في معركة خيبر، وهي رواية مصطنعة كذباً وافتراء من قبل جماعة ابن إسحاق، فأى هدف تريد هذه الجماعة توصيله عن الرسول من هذه القصة البشعة الكاذبة؟

والوقوف أمام هذه القصة وبشاعتها يكفي للتأكيد على حجم الغناء في هذا الكتاب المناقض للقرآن الكريم الذي ينهى عن الاعتداء، والقتل والزواج من امرأة متزوجة، بل ويدخل بها وهي في عدتها، ويخالف كل القيم والأعراف الإنسانية وقيم الفضيلة، وكأنه يريد إظهار مظلومية المرأة اليهودية واليهود بصفة عامة من شخص الرسول محمد مباشرة.

هذه هي الصورة التي استطاع ابن إسحاق وجماعته رسمها في هذا المؤلف المسخ والمسمى بسيرة ابن هشام، المعبر عن زيف تاريخ السيرة المنسوبة للرسول محمد والمسلمين، وهو منها بريء تماماً، ومع ذلك نجد من المسلمين من يردد هذا الكذب والافتراء، بل ويبرره ليؤكد مصداقية قيام هذا القبح والفجور بحق الرسول دون وعي لخطورة هذا القصة وغيرها في هذا الكتاب(1).

11-1-13 أحداث وقصص مزعومة من فتح مكة:

ذكرت جماعة إسحاق كثيراً من الأحداث والقصص عن فتح مكة كانت في مجملها تنضوي تحت يافطة عريضة من العفو والتسامح أشهرها تلك الكلمة "أذهبوا فأنتم الطلقاء". ولكن ماذا خبأت لنا جماعة ابن هشام تحت هذه اليافطة من الأحداث والقصص المتناقضة، فالرجل كان يأتي بالشيء ونقيضه في نفس الوقت، وإليكم ما جاء في المجلد الرابع تحت عنوان فتح مكة.

- قصة إسلام أبي سفيان بالإكراه:

روت قصة إسلام أبي سفيان جماعة ابن هشام وأحاديث العنينة المطولة، نختصرها بقدم أبي سفيان لمعسكر المسلمين، فلقي العباس عم الرسول الذي قام بأصحابه في ظلام الليل إلى الرسول ماراً بعمر ابن الخطاب الذي عرفه وهاج لقتله بحضرة الرسول وقد أجاره العباس، (مصورين عمر رجلاً فجاً غليظ الطبع متسرعاً لسفك الدماء في كثير من الأحداث والقصص، ومنها هذه الحادثة)، فما زال عمر ابن الخطاب يلح على قتل أبي سفيان حتى حصل شجار بين العباس وعمر بسبب ذلك، فأمر الرسول العباس بأن يذهب بأبي سفيان إلى

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 3 ص 392.

رحله، حتى إذا أصبح أتى به إلى الرسول، فكان معه هذا الحديث الذي أنقله لكم بعض منه بالنص:

فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك، وأكرمك وأوصلك، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لم أغنى شيئاً بعد. قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً. فقال له العباس: ويحك! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك. قال: فشهد شهادة الحق، فأسلم. ثم يضيف إلى قصة إسلام أبي سفيان أن أعطوه ميزة يفتخر بها بين العرب بقول نسبوه للرسول، وهو: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن) (1).

والرواية كلها كذب وتقول على الرسول، إذ لا يمكن أن يكون الرسول محمد صلى الله عليه وسلم مخالفاً لكلام الله سبحانه وتعالى الذي جاء به على لسانه، فيكره الناس على الدخول في الإسلام بالقوة، وتحت التهديد بالقتل، فالرواية تناقض ما ورد في القرآن الكريم، قال الله جلّ في علاه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾ (الكهف: 29)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 99). وغير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا السياق.

تَكَلَّمَ ضَمَار (صنم) لإسلام ابن مرداس:

أمّا قصة إسلام ابن مرداس الشخصية المجهولة التي صنعتها جماعة بن إسحاق أثناء فتح مكة، ففيها الكثير من الاستخفاف بعقل القارئ، إذ يتحول بطل هذه القصة لدى ابن إسحاق إلى شاهد على كثير من الأحداث واصفاً إياها بالشعر، ثم يسرد لنا قصة إسلامه بسبب وحي من وثنه الصنم الذي أمره أن يلحق بدين محمد، ونورد منها ما قال ابن هشام: وكان إسلام عباس بن مرداس، فيما حدثني بعض أهل العلم بالشعر أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبد، وهو حجر كان يقال له ضمار، فلما حضر أبوه مرداس قال لأبنه عباس: أي بني، اعبد ضمار، فإنه ينفعك ويضرك، فبينما عباس ابن مرداس يوماً عند ضمار، إذ سمع من جوف صنمه ضمار منادياً يقول أبيات شعر بمعنى أن الصنم يتكلم:

فأحرق عباس ضمار، ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فأسلم. فأى عقل يقبل مثل هذه الهراء عن صنم يتكلم، أو يخرج من جوفه كلام؟ ثم ألا ترى أن هذه الأقصوصة مقتبسة أو تتشابه مع حوار عجل السامري لدى قوم موسى عليه الصلاة والسلام؟ (2)

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 . ص 44، 45.

(2) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4. ص 69.

قصة قتل خالد بن الوليد لامرأة في فتح مكة:

قال ابن إسحاق: حدثني بعض أصحابنا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر يوماً بامرأة، وقد قتلها خالد بن الوليد، والناس متقصفين عليها، فقال: ما هذا؟ فقالوا: امرأة قتلها خالد بن الوليد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه: أدرك خالدًا، فقل له: إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيلاً. وهذا مشهد آخر من مشاهد تشويه المسلمين بهذه القصة المنسوبة لخالد ابن الوليد من قبل جماعة ابن إسحاق بل وتشويه العرب والمسلمين⁽¹⁾.

11-1-14 غزوة حنين وتشريع السلب والنهب:

ولتشويه الرسول وأصحابه والإسلام، زعمت جماعة ابن إسحاق أن الرسول أباح السلب والنهب من خلال عنوان الموضوع الذي وصفه بالغزوة، والذي يريد ابن إسحاق وجماعته صبغ الرسول والمسلمين بما يزعّمونه عنهم كذباً كغزاة، وبما يخالف أمر الله لرسوله من كون فحوى رسالته رحمة للعالمين.

وتظهر رواية ابن إسحاق الرسول صلى الله عليه وسلم، ومعه أبو بكر الصديق يشجعان على السلب والنهب في غزوة حنين.

نورد الرواية بالآية حسب ما وردت، برواية العنعنة عمن لا يتهم من أصحاب ابن هشام وابن إسحاق عن نافع مولى بني غفار أبي محمد عن أبي قتادة، قال أبو قتادة: والحديث يصف القتال بين مسلم ومشرّك حتى وصل إلى القول بعد أن وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قتل قتيلاً فله سلبه"، فقلت: يا رسول الله، والله لقد قتلت قتيلاً ذا سلب، فأجهضني عنه القتال، فما أدري من أستلبه؟ فقال رجل من أهل مكة: صدق يا رسول الله [وسلب ذلك القتل عندي] فأرضه عني من سلبه،... فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لا والله، لا يرضيه منه تعدد إلى أسد من أسود الله، يقاتل عن دين الله، تقاسمه سلبه! أردد عليه سلب قتيله،... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق، أردد سلبه. فقال أبو قتادة: فأخذته منه، فبعته، فاشتريت بثمنه مخرفاً، فإنه لأول مال اعتقدته...، اترك التعليق للقارئ على هذا الزيف الفاضح المناقض والمخالف لكلام الله سبحانه في القرآن الكريم جملة وتفصيلاً، إذ قصد من هذا الحوار المصنوع إلصاق الغزو والسلب والنهب والأسر وفديتهم للرسول وأصحابه، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّىٰ يُخْرِجَ فِي الْأَرْضِ تَرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: 67).

(2)

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 . ص 72.

(2) انظر سيرة النبي لابن هشام . مجلد 4 . ص 80.

11-1-15 غزوة هوازن وسبي النساء والجواري والأطفال:

سرد ابن إسحاق وابن هشام قصة تحكي عن سبي ستة آلاف من نساء وجواري وأطفال قبيلة هوازن وحتى العجائز، ووضعهن في حظائر ومرابض الإبل والغنم، ثم يظهر موقف الرسول أثناء التفاوض وهو يرد السبي لقبيلة هوازن بعد أن وزع الجواري على أصحابه.

ورغم أن المشهد يعبر عن رواية كاذبة، لكنه يبين مدى فظاعة ما ينسب كذباً وافتراءً إلى الرسول وأصحابه ويلصق التشويه بالعرب والمسلمين لمستقبل أجيالهم.

وإليك الآية كما أوردتها جماعة ابن إسحاق في هذه الرواية (المجلد 4).

ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء، ومن الإبل والشاة، ما لا يُدرى ما عدته...، قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله ابن عمرو: أن وفد هوازن أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا، مَنَّ الله عليك، قال: وقام رجل من هوازن، ثم قام أحد بني سعد بن بكر، يقال له زهير، يكنى أبا صرد، فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر عماتك، وخالاتك، وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا مالحنا إلى الحارث بن أبي شمر، أو النعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين.

وقال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله ابن عمرو، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبناؤكم ونسأؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ فقالوا: يا رسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل ترد إلينا نساءنا وأبنائنا، فهو أحب إلينا. فقال لهم: أما ما كان لي ولبنني عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس، فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيك عند ذلك، وأسأل لكم، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الظهر، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ما كان لي ولبنني عبد المطلب فهو لكم. فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا. وقال عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فزارة فلا. وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا. فقالت بنو سليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: يقول عباس بن مرداس لبني سليم: وهنتموني.

وبعد ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض، من أول سبي أصيبه، فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم... قال ابن إسحاق: وحدثني أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أعطى علي بن أبي طالب رضي الله عنه جارية، يقال لها ربيعة بنت هلال بن حيان بن عميرة بن هلال بن باقرة بن قصية بن نصر ابن سعد بن بكر، وأعطى عثمان بن عفان جارية، يقال لها زينب بنت حيان ابن عمرو بن حيان، وأعطى عمر بن الخطاب جارية، فوهبها لعبد الله ابن عمر ابنه... قال ابن إسحاق: فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، قال: بعثت بها إلى أخوالي من بني جمح، ليصلحوا لي منها، ويهيئوها، حتى أطوف بالبيت، ثم آتيهم، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها. قال: فخرجت من المسجد حين فرغت، فإذا الناس يشتدون، فقلت: ما شأنكم؟ قالوا: رد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبناءنا، فقلت: تلکم صاحبکم في بني جمح، فاذهبوا فخذوها، فذهبوا إليها، فأخذوها.

قال ابن إسحاق: وأما عيينة بن حصن، فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن، وقال حين أخذها: أرى عجوزاً إنني لأحسب لها في الحي نسباً، وعسى أن يعظم فداؤها، فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض، أبى أن يردها، فقال له زهير أبو صرد: خذها إليك، فو الله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زوجها بواجد، ولا درها بماكد، فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال، فزعموا أن عيينة لقي الأقرع بن حابس، فشكا إليه ذلك، فقال: إنك والله ما أخذتها ببيضاء غريرة، ولا نَصَفاً وثيرة⁽¹⁾.

هكذا تظهر حكاية جماعة ابن إسحاق التي تريد إلصاق أبشع الصور المتمثلة بكل هذا القبح بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومجتمعه العربي.

11-1-16 قصة إرجاع إبرة المخيط:

أوردت جماعة ابن إسحاق قصة متناقضة حول إرجاع إبرة المخيط وتوزيع قرابة ألف وخمسمئة من الإبل من سلب المعارك، فهذه القصة تظهر مدى الحرص الشديد على رد الغنائم في غزوة حنين حتى ولو كانت إبرة مخيط فتظهر التناقض الواضح بما تروييه القصة السابقة "أن لكل مقاتل سلبه"، وما يذكر من توزيع الكم الهائل من الغنائم من قبل الرسول في هذه المعركة على أشرف القوم حسب زعم الراوي الذي يظهر فيما يلي:

قال ابن هشام: وذكر زيد بن أسلم، عن أبيه: أن عقيل بن أبي طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبه بن ربيعة، وسيفه متلطح دماً، فقالت: إنني قد عرفت أنك قد قاتلت، فماذا أصبت من غنائم المشركين؟ فقال: دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك، فدفعها إليها، فسمع منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: من أخذ شيئاً فليرده، حتى الخياط والمخيط، فرجع عقيل، فقال: ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت، فأخذها، فألقاها في الغنائم، وقال ابن إسحاق: وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرفاً من أشرف الناس، يتألفهم ويتألف بهم قومهم، فأعطى أبا سفيان ابن حرب مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة (أخا بني عبد الدار) مائة بعير! قال ابن هشام: نصير بن الحارث بن كلدة، ويجوز أن يكون اسمه

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام . مجلد 4. من ص 130-134.

الحارث أيضاً، وقال ابن إسحاق: وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير، وأعطى سهيل ابن عمرو مائة بعير، وأعطى حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس مائة بعير، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي (حليف بني زهرة) مائة بعير، وأعطى عيينة ابن حصن بن حذيفة بن بدر مائة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير، وأعطى مالك بن عوف النصري مائة بعير، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير، فهؤلاء أصحاب المئة، وأعطى دون المئة رجالاً من قریش، منهم مخرمة بن نوفل الزهري، وعمير بن وهب الجمحي، وهشام بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي، لا أحفظ ما أعطاهم، وقد عرفت أنها دون المئة، وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكثة ابن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل، وأعطى السهمي خمسين من الإبل... هذا العطاء من السبي في معركة حنين، بينما يأمر بإرجاع إبرة مخيط مما يدل على تناقض مفضوح، ودس رخيص لهذا المحتوى ولصقه بالرسول وأصحاب الرسول وهو منه بري وصحابته الأخيار⁽¹⁾.

11-1-17 قصة لزرع الانشقاق والتفرقة في أجيال المسلمين:

قال ابن إسحاق: وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن مقسم أبي القاسم، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو يطوف بالبيت، معلقاً نعله بيده، فقلنا له: هل حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمي يوم حنين؟ قال: نعم، جاء رجل من بني تميم، يقال له ذو الخويصرة، فوقف عليه وهو يعطي الناس، فقال: يا محمد، قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل، فكيف رأيت؟ فقال: لم أرك عدلت، قال: فغضب النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: ويحك؟ إذا لم يكن العدل عندي، فعند من يكون؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ألا أقتله؟ فقال لا، دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية، ينظر في النصل فلا يوجد شيء، ثم في القدح، فلا يوجد شيء، ثم في الفوق، فلا يوجد شيء، سبق الفرث والدم. قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبي عبيدة، وسماه ذا الخويصرة⁽²⁾.

وفي روايات أخرى كثيرة ومتفرقة حول هذا الموضوع من حيث أشخاص الرواة، نورد من كتب الحديث للبخاري هذه الرواية للحديث المكذوب على الرسول، وعلى عمر ابن الخطاب وعلى بطن من العرب هم بنو تميم، حيث ورد في باب علامات النبوة في الإسلام النص التالي: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا سعيد الخدري قال: بينما نحن عند الرسول، وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال يا رسول الله اعدل: فقال: (ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل). فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فاضرب عنقه، فقال: (دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدهم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 135، 136.

(2) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 139.

تراقبهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية،..... قد سبق الفرث والدم، أيتهم رجلاً أسود أحد عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة (من الناس).

قال أبو سعيد فاشهد أنني سمعت هذا الحديث من الرسول وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت النبي الذي نعته. وورد حديث آخر بالبخاري بدون عنعنة على نحو: (إن في ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لأن أنا أدركتهم لاقتلهم قتل عاد).

وقد جاء سرد ابن إسحاق لهذه القصة بقصد التنبؤات لمستقبل أجيال المسلمين وللإسلام بالفتن والتشريع لضرب كل مخالف وزرع الانشقاق والانقسام والفرقة بين المسلمين وإقصاء المعارضين منهم ووصمهم بأبشع الكلمات والألفاظ وصولاً للذبح والقتل والتصفية، لاسيما وقد ظل هذا الحديث الذي يتنبأ بالفتن لمستقبل الإسلام والمسلمين يُنقل بأكثر من رواية في كتب الحديث (باب الفتن) لتأكيد وجود دائرة الصراع ودوامه النزاع لمستقبل الأجيال في أمور الحياة العادية، ليتحول هذا النزاع إلى أصول العقيدة واختلاق الفتن بما له من دلالة العلم بأنباء الغيب والتسليم بانقسام المسلمين وتحاربهم باسم الإسلام، وكأنه كان يحاكي واقعاً تسعى جماعة ابن إسحاق لتشكيله، فتحقق لها منه من خلال المذاهب والفرق المنسوبة للإسلام في واقع اليوم والتي استخدمت هذه الأحاديث منهاج حياة أثناء تعاملها مع من يختلف معها من المسلمين أو مع الغير.

11-1-18 غزوة تبوك:

أوردت جماعة ابن إسحاق كثيراً من الأخبار عن غزوة تبوك فزعموا أنها كانت في السنة التاسعة، ونذكر منها بعض الأحداث:

- قالت جماعة ابن إسحاق (ثم أمر الرسول الناس بالتهيؤ لغزو الروم، وقد ذكر لنا الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيره من علمائنا، كل حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها، وبعض القوم يحدث ما لا يحدث به) أن الرسول أمر أصحابه بغزو الروم دون سبب، وكان إعلاناً لهذا الخبر علناً وأمر الناس للتهيؤ له في وقت من عسرة الناس، وشدة الحر وجذب البلاد مع كل هذه المعوقات إلا أن الرسول قام بالتعبئة للحرب ليبدو وكأنه رجلٌ غازٍ ومعتدٍ على الآخرين مخالفاً بذلك كلام الله سبحانه في القرآن الكريم الذي أكد على عدم الاعتداء.
- وفي سياق آخر يظهر أصحاب الرسول غير قادرين على التحكم برغباتهم الجنسية أمام جمال النساء (بنات الروم، بنات بني الأصفر) كما يرد في هذه الحكاية التي ترد في قصص السيرة ويرويها ابن إسحاق من خلال حديث بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأحد أصحابه أثناء التحضير لغزو الروم (تبوك)، تضمنه هذا النص: فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجد ابن قيس أحد بني سلمة: يا جد، هل لك العام في جلد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتني؟ فو الله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشدّ عجباً بالنساء مني، وإنني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال: قد أذنت لك. وفي الجد ابن قيس نزلت هذه الآية: (ومنهم من يقول: انذن لي ولا تفتني، إلا في الفتنة سقطوا، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) (التوبة: 49).

هذا ما ذكر في هذا النص المنقول من سيرة النبي لأبن هشام، وهو خبر مخالف لكلام الله سبحانه، ومعلوم أن أصحاب النبي وصفوا بالعفة والالتزام بضوابط الإسلام، والقيم الإنسانية التي تضمنها القرآن الكريم، فلا يتصور عاقل أن يجري هذا بحضرة الرسول، ويجعل من قصة الجد ابن قيس سبباً لنزول الآية، بينما الآية القرآنية تتحدث عن مبدأ العموم في التعامل بين الناس، والآية تشير إلى: النفاق والتخاذل والتردد، وهو ما يحصل في كل المجتمعات، وأما أقصوصة بنات الأصفر فهي من تأليف وصنع جماعة ابن إسحاق لإظهار الرسول كمعتدٍ وأصحابه لا هم لهم غير النساء⁽¹⁾.

11-1-19 توريث الرسالة والنبوة لعلي بن أبي طالب:

ورد حديث عن جماعة ابن إسحاق يؤصل النسب الديني المقدس في الإسلام مستوحاة من الفكر اليهودي كمنزلة هارون من موسى: أورد ابن إسحاق وجماعته روايته الكاذبة حول استخلاف علي بن أبي طالب في أهله وأهل الرسول أثناء خروج الرسول لغزوة تبوك، وحديث منزلة هارون من موسى، هذه القصة التي رواها ابن إسحاق في غزوة تبوك، فقد زعم أن المنافقين أرفجوا بإبقاء الرسول علي بن أبي طالب بالمدينة، وكان هذا مناسبة تقولهم بهذا الحديث الذي روي بعدد من الروايات، ومنها هذه الرواية، ورواية أخرى في غدير خم، كما ترد في كتب الحديث، ولا سيما كتب المذهب الشيعي، وهنا نذكر ما ورد في كتاب سيرة النبي لابن هشام، (المجلد 4)، حيث جاء: (خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلفه إلا استئقلاً له، وتخففاً منه. فلما قال ذلك المنافقين، أخذ علي بن أبي طالب، رضوان الله عليه سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف، فقال: يا نبي الله، زعم المنافقين أنك إنما خلفتني إنما استئقلتني وتخففت مني، فقال الرسول: كذبوا، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي، فرجع علي إلى المدينة، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره... قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن إبراهيم ابن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه سعد: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي هذه المقالة...).⁽²⁾

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 159.

(2) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 163.

وبهذه الرواية أولت جماعة من المسلمين (الشيعة) أحقية علي ابن أبي طالب وأولاده من بعده توارث النسب الديني والديني المقدس، واستمراره في نسل فاطمة بنت محمد النبي زوج علي ثم أطلقوا عليه الولاية أو الوصاية والإمامة لكونهم من أهل البيت أو آل البيت، بل جعلوها ركناً أساسياً لعقيدتهم المذهبية.

والحقيقة أنها هي دسياسة من جماعة ابن إسحاق من كتاب العهد القديم (توراة العبرانيين)، وقد سبق أن نقلت إلى ديانة الهندوس، وعقيدة المسيحيين، وغيرهما من العقائد. وحسبنا قول الله تعالى الذي أكد على عدم شخصنة وظيفة الأنبياء والرسول، وجعلها وظيفة يختص بها من يشاء من الخلق بإرادته المنفردة دون تحديد لنسب أو لعرق، ودون اختيار أو تدخل من أحد، في هذا الموضوع، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: 179). وجاء الله سبحانه وتعالى بالقول الفاصل بين شخصية الإنسان والمهمة أو الوظيفة المكلف بها دون أن تمتد لغيره، كما هو الحال بوظيفة النبي، محمد عليه الصلاة والسلام، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: 40)، ثم بين وأكد على التوصيف الوظيفي للرسول، محمد عليه الصلاة والسلام، فَقَالَ جَلَّ فِي عِلَاهُ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 144).

ومن اللازم التطرق للقصد والهدف من ذكر مماثلة علي ابن أبي طالب بهارون ومنزلته من موسى، ذلك لأن هدف جماعة ابن إسحاق هو نقل فكرة جماعة الخواص، أو قل الجماعة المنتجة المختارة بخاصية الاتصال الإلهي لإرث النبوة في الدين والدنيا، وهي نفس الفكرة التي سوقتها جماعة من اليهود، فأحدث في مجتمعاتهم انقساماً حاداً لا زالوا يعانون منه حتى اليوم، إذ لا تقتصر هذه الجماعة على اليهود كما بينها القرآن الكريم، بل توغلت في كل العقائد لتدس النسب الديني والديني المقدس في أغلب الشعوب كما سبق بيانه.

20-1-11 قصة أبي ذر الغفاري والتنبؤ بعلم الغيب:

قال ابن إسحاق برواية أحاديث العننة: حين تخلف أبو ذر، عن ركب الرسول إلى تبوك بسبب تأخر بعيره، ثم تركه ولحق برسول الله راجلاً وحده، فقال الرسول: رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده ويبيع وحده، وقد ربطت جماعة ابن إسحاق هذه القصة بخلافة عثمان، وقيام عثمان بنفي أبي ذر إلى الربرة، موضع قرب المدينة، وكل هذا تقول على الرسول بعلمه للغيب وكثيراً ما روي مثل هذا الحديث كذباً على الرسول بالمخالفة للقرآن الكريم، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: 188)، فلا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى.

وقد أورد القرآن كثيراً من الآيات القرآنية الدالة على انفراد الله بعلم الغيب نذكر منها قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: 59). وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (التغابن: 18)، فلا يعلم الغيب غير الله سبحانه أو بإذن الله سبحانه، وحسب آية محدد من القرآن الكريم نورد مثال على ذلك بقصة سيدنا عيسى عليه السلام، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿.. وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 49).

11-1-21 قصص وأكاذيب من عام الوفود:

جاء في كتاب جماعة ابن إسحاق هذا الحدث نورد منه: وإنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت والحرَم، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش، ودوخها الإسلام! وكلمة دوخها الإسلام أي قريش التي لم تر محيصاً من الدخول في الإسلام بعد أن داخَتْ والكلمة التي أوردتها جماعة ابن إسحاق مقصودة أريد بها ذم الإسلام هذا الدين الذي جعله ابن إسحاق خاصاً بالنبي محمد كما أوردته في آخر القول حسب النص الآتي: وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته، فدخلوا في دين الله (كما قال عز وجل) أفواجاً، يضربون إليه من كل وجه، يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) (سورة النصر)، أي فاحمد الله على ما أظهر من دينك، واستغفره، إنه كان تواباً)، (المجلد 4)، وهو ما قالت به جماعة ابن إسحاق من شخصنة دين الإسلام بالرسول محمد، وبالعرب من دون الناس، وهو هدف ينم عن خبث كبير، إذ المعلوم أن الإسلام دين الله سبحانه ارتضاه إلى الناس جميعاً وقد سمى سيدنا إبراهيم المسلمين ومن بعده أولاده إسماعيل وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) ويوسف، ومن جاء بعدهم موسى وداود وسليمان وعيسى وأختتم به محمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين. (1)

11-1-22 قصة الردة في الإسلام بطلها (مسيلمة):

ينسب ابن إسحاق أن منزل مسيلمة في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار، ثم يأتي بخبر آخر أنه من بني النجار ثم يأتي بخبر آخر ينسبه لبعض علمائه، دون ذكر اسم واحد منهم، وهل كان في ذلك الوقت صفة العلماء تطلق على أحد من أهل المدينة؟ ثم ما هو الشيء المهم الذي تحدث به العلماء؟ سيتضح لك أنه خبر لا قيمة له.

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 205.

وهو أن بني حنيفة أتت بمسيلمة للرسول وهم يسترونه بالثياب، والسؤال الذي يفرض نفسه هل ستره بالثياب يحتاج لحديث العلماء؟ وإليك أسرد هذه الأقصوصة كما وردت بالنص في (المجلد 4)، قال ابن هشام: مسيلمة بن ثمامة، ويكنى أبا ثمامة... قال ابن إسحاق: فكان منزلهم في دار بنت الحارث امرأة من الأنصار، ثم من بني النجار...، فحدثني بعض علمائنا من أهل المدينة: أن بني حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه، معه عسيب من سعف النخل، في رأسه خوصات، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يسترونه بالثياب، كلمه وسأله، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتك.

ثم يورد حديثاً آخر يناقض الحديث السابق: قال ابن إسحاق: وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا، زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا، قال: فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم، وقال: أما إنه ليس بشركم مكاناً، أي لحفظه ضيعة أصحابه، وذلك الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم... قال: ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: وجاءوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله، وتنبأ وتكذب لهم، وقال: إني قد أشركت في الأمر معه. وقال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذكرتوني له: أما إنه ليس بشركم مكاناً، ما ذاك إلا لما كان يعلم أني قد أشركت في الأمر معه ثم جعل يسجع لهم الأساجيع، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن: "لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعي، من بين صفاق وحشي". وأحل لهم الخمر والزنا، ووضع عنهم الصلاة، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي، فأصفت معه حنيفة على ذلك، فאלله أعلم أياً ذلك كان...، وقد كان مسيلمة بن حبيب، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله: سلام عليك، أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقریش نصف الأرض، ولكن قریشاً قوم يعتدون...، فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب...، قال ابن إسحاق: فحدثني شيخ من أشجع، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي، عن أبيه نعيم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه: فما تقولان أنتما؟ قالاً: نقول كما قال، فقال: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما. ثم كتب إلى مسيلمة: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين. وذلك في آخر سنة عشر. (1)

وتختتم جماعة ابن إسحاق هذه القصة الكاذبة المتناقضة عن شخصية مصطنعة من مخيلتهم أطلقوا عليها اسم مسيلمة حسب هذه الرسالة بروايته عن شيخ من أشجع، يهدف من خلالها إظهار المسلمين وهم يرتدون عن الإسلام والرسول بين أظهرهم، كفعل جماعة من اليهود عند خروجهم من مصر وارتدادهم عن هدي الله حين طلبوا من رسول الله موسى أن

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4. ص 222، 223، 246، 247.

يجعل لهم آلهة، ويصور القرآن الكريم الكثير من حوادث الردة لدى اليهود، ومنها ما جاء بقوله الله سبحانه: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف: 138).

وكثير هي مواقف الردة والكفر إذ كانت سمة بارزة بحياة اليهود طيلة مسيرة حياتهم مع الأنبياء والرسل، بينها القرآن الكريم بكثير من المشاهد، وهو ما تريده جماعة ابن إسحاق إصاقه بالعرب المؤمنين وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه القصة عن مسيلمة بأشخاصها كاذبة وملفقة والقرآن الكريم شاهد على وصف حال مجتمع الرسول الذي تلقى الإسلام بطيب نفس ودخلوا بدين الإسلام أفواجاً، ولم تحدث ردة بعد الإسلام نهائياً بل إسلام وتسليم، ولندع القرآن الكريم يصف مجتمع الرسول: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: 29)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (محمد: 2). وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مَنْ أَنْتَ اللَّهُمَّ أَهْلُ الْبَيْتِ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: 100)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (النصر: 2) وقد جعل الانتساب للدين يقوم على الحرية المطلقة، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وهذا وحده يكفي لعدم قيام حركة الردة، فالآية صمام أمان لمن أراد أن ينتسب للإسلام أو أراد أن يخرج منه فلا ضير في ذلك، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: 29)، وهدف هذا الافتراء هو تشويه هذا الواقع الفاضل الذي وصف بكلام الله سبحانه، وأن المتلقي لمثل هذه القصص في فكر المذاهب الإسلامي جعل من هذه القصة مادة تعليمية تدرس في مدارسنا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن الإسلام تحت عنوان حركة الردة في الإسلام وهو ما أرادت جماعة ابن إسحاق إبرازه من خلال هذه القصة المتناقضة المتهاكة في الوقت نفسه،

11-1-23 قصة الردة في الإسلام بطلها الأسود الغنسي:

جاء ابن إسحاق بقصة الردة هذه في حديث لراي غير متأكد من صاحب الرواية، فيقول حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط عن عطاء بن يسار، أو أخيه سليمان بن يسار، وأي كان فلم يكن بن إسحاق متلقي الخبر مباشرة، بل كان ناقل الحديث عن محدث آخر لابن إسحاق، وهو أبو سعيد الخدري، وهنا يقع في تناقض في نقل الخبر الذي قال الحديث عن الرسول. وبقراءة فاحصة لهذا الحديث سنجدته تقولاً كاذباً على الرسول يخالف آيات القرآن الكريم، وفيه

متناقضات ومنها هذا الحديث كما ورد بالنص: (قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يخطب الناس على منبره، وهو يقول: أيها الناس، إني قد رأيت ليلة القدر، ثم أنسيتها، ورأيت في ذراعي سوارين من ذهب، فكرهتهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن، وصاحب اليمامة).⁽¹⁾

وهذا التقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم محض كذب وافتراء من حيث القول بأن الرسول رأي ليلة القدر ثم نسيها، ثم رأيت في ذراعي سوارين من ذهب، حتى أولهما بهاذين الكذابين صاحب اليمن، وصاحب اليمامة، أي أنهما يرمزان للذهب وهما متهمان بالردة والكفر عن الإسلام، فكيف يكونان كالسوارين من ذهب؟ أنه التناقض من ابن إسحاق بروايته على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما روايته لليلة القدر فيها من التأويل المخالف لنصوص القرآن الكريم، فليلة القدر التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في موضع آخر من سور القرآن وفصلها بسورة كاملة وعرفها بأنها تتعلق بالأوامر الكونية والقدرية، وأنها خير من ألف شهر، وفيها تنزل الملائكة والروح بإذن ربهم من كل أمر، إذن فليلة القدر ليلة من ليالي الله الكونية، التي أنزل الله فيها الملائكة مع الروح المكلفين بالأوامر المنضبطة لحركة الكون، والمجرات وما يتخللها من دقة في الانضباط لحركة الشمس والقمر ودوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ودوران القمر حول الأرض وما ينتج عن هذه الحركة من تحرك الرياح، والبحار، بميزان ثابت دقيق لا يتغير ولا يتبدل حسب تلك الأوامر القدريّة المعلومة بعلم الله سبحانه وتعالى التي أنزلها مع الملائكة والروح حسب ما يفهم من آيات السورة الكريمة، وما جاء في سورة الدخان من توضيح لهذه الليلة. قَالَ تَعَالَى: ﴿حَمَّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (الدخان: 1، 2، 3، 4، 5).

غير أن ابن إسحاق وجماعته أحدثوا أحاديث كثيرة عن ليلة القدر وأنها في العشر الأيام الأخيرة من شهر رمضان بتأويل مقصود وخاطئ لفهم وتفسير القرآن الكريم، إذ إن المعلوم أن الليل لا يكون شاملاً على كوكب الأرض فما يكون ليلاً في مكان معين من الأرض يكون نهاراً في المكان الآخر، وبهذه الحقيقة الكونية المجردة ندرك خطأ تفسيرهم المفضوح. وخلاصة القول فإن جماعة ابن إسحاق أرادت إعطاء إشارة للقارئ إلى أن حركة الردة لم تكن مقصورة على اليهود فقط، وإنما شملت أتباع الرسول محمد عليه الصلاة والسلام فأوردت جملة من القصص والأحداث والروايات عن حركة الردة في عهد الرسول وعهد الخليفة أبي بكر، متناسية أن الإسلام أكد على حرية الاعتقاد فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فلن يضر الله شيئاً من دخل في الإسلام أو ارتد عنه.

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 246.

11-1-24 قصة حجز الرسول للنساء بحظائر الإبل:

هذه القصة سردت في كتاب جماعة ابن إسحاق برواية لابن هشام، ولم يبين سند روايتها، والشاهد أنها تحوي تشويهاً فاضحاً في معاملة النساء بحضرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، إذ تذكر القصة أن جيش المسلمين أغار على بلاد عدي بن حاتم فوقع بنت لحاتم سبية لدى جيش الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أثناء هروب عدي ابن حاتم إلى الشام، وأخذت في السبي من قبل الرسول وجعلت في حظيرة (مكان للإبل، والأغنام) بباب مسجد الرسول، وكانت السبايا يحبسن فيها في المدينة، وهي قصة مكذوبة كغيرها من القصص.

أراد الكاتب منها نقل صورة سوداوية عن الرسول، فهو يملك جيشاً يغير به على البلدان، ويجلب النساء سبايا يحبسن في حظائر الإبل والأغنام، بما في هذا العمل من الذل والاحتقار للمرأة، ولم يكن هذا من أعراف العرب حتى قبل بعثة الرسول، إذ كان لهم أعراف وقواعد أخلاقية تمنع إهانة المرأة، فكيف يمكن أن يحدث هذا وقد بعث الله محمد رسول الله متمماً لمكارم الأخلاق ورحمة للعالمين حسب ما جاء بالقرآن.

ولقد كانت بعثة الرسول قائمة على الخير والرحمة ونصرة المظلوم، والرفق بالمرأة وحسن الجوار، وعدم الاعتداء والمساواة بين الناس ونشر المحبة والسلام بين الأمم والشعوب، وحفظ وصون الحقوق والحريات في الاعتقاد، وعدم الإكراه في الدين، وكل هذه القيم لا تلتقي مع ما أرادت جماعة ابن إسحاق نقله من هذه القصة، ولتوضيح حقيقة ما احتوته هذه القصة سوف أنقل لكم جزءاً من النص متصل بحديث بنت حاتم مع الرسول كما ورد في السيرة المكذوبة، (المجلد 4): (وتخالفني خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتصيب ابنة حاتم، فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبايا من طي، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي إلى الشام، قال: فجعلت بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد، كانت السبايا يحبسن فيها، فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ من الله عليك. قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم، قال: الفار من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني، حتى إذا كان من الغد مرّ بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس قالت: حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي وقد ينست منه، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومي فكلمي، قالت: فقامت إليه، فقلت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ من الله عليك،.... إلخ. (1)

فهل يستقيم هذا الحال مع وصف الله سبحانه وتعالى للرسول وكل الرسل؟ قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ...﴾ (آل عمران: 159)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 من ص 225 - 227.

وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (الأحزاب: 45، 46). فانظر أية صورة أرادت جماعة ابن إسحاق نقلها عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وتعامله مع الأسرى من النساء، إنه تشويه مفضوح، ودس خبيث لتشويه سيرة الرسول ومجتمعه، بما لا يستقيم مع أدب النبوة والرسالة كما أوضحها القرآن الكريم.

11-1-25 قصة الزكاة والجزية مع ملوك حمير:

وردت القصة في كتاب جماعة ابن إسحاق (المجلد 4) برواية لابن هشام دون سند لروايتها، حيث زعمت أن رسول الله كتب إلى ملوك حمير رداً على كتابهم الذي أبلغوا به رسول الله أنهم أسلموا وفارقوا الشرك، تضمن عدة مطالب، منها جباية أموال الصدقات وأموال الزكاة، وبيّن لهم أنصبة الزكاة، رغم أن تحديد الأنصبة لم ترد في القرآن الكريم، وترك تحديدها حسب وضع الناس الاقتصادي في كل زمان ومكان، كما أوضحنا في موضوع الزكاة، أما الجزية فلا تؤخذ إلا من غير المسلم، وقت الحرب كعقوبة حربية، أما غير ذلك فالناس سواسية في الحقوق والواجبات، أما الرسالة الواردة في هذا العنوان فتتحدث عن الرسول، بكون همه جمع المال والتسلط على من يدخل في الإسلام وهي الرسالة أرادت جماعة ابن إسحاق إيصالها للقارئ من خلال سرد هذه القصة المجهولة السند. (1)

11-1-26 ذكر السنة النبوية قبل ظهورها.

سوف نأخذ من هذه القصة التي روتها جماعة ابن إسحاق شيئاً واحداً، وهو ذكر مصطلح السنة النبوية بلسان خالد ابن الوليد المدونة برسائلته المزعومة إلى رسول الله، وهو ما يؤكد ما ورد فيها من أكاذيب عن السنة وظهور لفظ السنة قبل صناعتها من جماعة التحريف، كما هو مدوّن في كتاب السيرة، وكذلك ورد لفظ السنة بحديث معاذ بن جبل حسب الزعم عندما أرسل إلى اليمن بموضع آخر، فضلاً عن ذلك التّقول كذباً بالغضاظة وسوء اللفظ الذي استقبل به الرسول وفد بني حارثة بن كعب، حسب زعم جماعة ابن إسحاق الوارد بالنص، بكونه كتاباً من خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المجلد 4)، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى النبي رسول الله، من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، يا رسول الله صلى الله عليك، فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب، وأمرتني إذا أتيتهم إلاّ أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا [أقمت فيهم] وقبّلت منهم، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم، وإنني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام. (2)

(1). انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4. ص 235.

(2). انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 239.

11-1-27 حجة الوداع وما فيها من المناسك والشعائر المندسة المخالفة للحج:

أوردت جماعة ابن إسحاق خطبة عصماء مطولة مشهورة زعموا أن رسول الله قالها في حجة الوداع، فهم أي جماعة ابن إسحاق كمن قال حق يراد به باطل، والباطل الذي أورده في هذه القصة هو ما دسسته من أعمال لم ترد بمناسك الحج بآيات القرآن الكريم، وغيره، نلخص أهم ما دسسته في هذه الخطبة في مناسك الحج وغيره ما يلي: (1)

- تشريع الخطبة في الحج ولم تكن ضمن مناسك وشعائر الحج.
- جعل من المحيض حكماً مانعاً للطواف بالبيت والصلاة والصيام كما ورد بفقهاء الجماعة، مخالفاً قول الله الذي ذكر بأن المحيض مانع من وطء المرأة فقط.
- جعل جبل عرفه موقفاً يقف الحاج عليه كطائفة اليهود (السامريين) التي اتخذت من جبل جرزيم بمدينة حيفا بفلسطين موقفاً للحج، وقد ذكر الله عرفات بإفاضة الحاج منه، وليس الوقوف عليه، والإفاضة هي الأعداد الكبيرة المتدفقة من الناس التي تسير من عرفات بآيات القرآن الكريم: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ (البقرة: 198).
- أوجد في الحج رمي الجمار وجعلها من مناسك وشعائر الحج، وهذه النصب يطلق عليها بنصب الشيطان وهي شعيرة مدسوسة من مناسك الوثنية، على الرغم من أن القرآن الكريم بيّن مناسك الحج بياناً مفصلاً، ولم يرد رمي الجمار ضمن ذلك.
- أبطل الوصية للوارث بقوله (إنه لا تجوز وصية لوارث) مخالفاً قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 180).
- السعي بين الصفا والمروة بسبعة أشواط والله بيّن أن فيهما طوافاً، وليس سعياً ولم يحدد عدد الطواف فيجوز بواحد أو أكثر حسب الاستطاعة، فمن تطوع بزيادة الطواف أكثر من واحد، فإن الله شاكر عليم، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 158).
- المبيت بمزدلفة أو الوقوف بمزدلفة.
- تقبيل الحجر الأسود أو استلامه باليد من بعيد.
- استلام الركن اليماني.
- تحديد مكان الإحرام لكل قادم للحج.

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4. من ص 249-353.

- تحديد ثياب معينة للحاج تشبيهاً بثياب البوذيين والثياب لبعض الطبقات الحاكمة بروما قديماً.
- الشرب من ماء زمزم، وغيرها من الشعائر والمناسك التي ما أنزل الله بها من آية وغيرها.

11-2 غزوات وسرايا النبي ووصفه بالغازي وما له من أبعاد ودلالات في التشويه:

جاء في كتاب جماعة ابن إسحاق ذكر غزوات الرسول وسراياه الحربية مصوراً النبي محمد رجل غزو وحرب وقتال: قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام: قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي: وكان جميع ما غزا الرسول بنفسه سبعاً وعشرين غزوة، قاتل منها في تسع غزوات: غزوة بدر، وغزوة أحد، وغزوة الخندق، وغزوة بني قريظة، وغزوة بني المصطلق، وغزوة خيبر، وفتح مكة، وغزوة حنين الطائف. هذا ما ذكرته جماعة ابن إسحاق، وكما يقال إن معرفة الشيء يأتي من عنوانه، لذلك فقد أطلقت جماعة ابن إسحاق على هذه الأحداث وغيرها غزوات الرسول محمد من أجل تقديم شخصية الرسول محمد عليه الصلاة والسلام بالغازي المغير والمعتدي.

ولأن كلمة غزوة من فعل غزا يغزو والغزو يمثل عمل المعتدين الظالمين، الذين يتخذون من الغزو والاستعمار وسيلة للسيطرة وإخضاع الشعوب والأقوام واستعبادهم وسبيهم والاستيلاء على ممتلكاتهم وقهرهم ظلماً وعدواناً.

كما أن جماعة ابن إسحاق اختلقت أحداثاً وقصصاً وحروباً خاصة بالعنصر اليهودي وأطلقت عليها غزوات مثل غزوة خيبر، وغزوة بني النضير، وغزوة بني قريظة وغزوة بني قينقاع... وكذا نسبة كذباً للرسول قيامه بالاغتيالات ضد خصومة من اليهود وغيرهم بغرض إظهار مظلومية الإبادة الدينية، والعرقية لليهود، وتضخيم الحدث للقارئ وتصويره بأحداثه وشخوص درامية بالزمان والمكان وتقديمه على أنه حدث تاريخي وهو في الحقيقة دس خبيث وكذبة كبرى، وكما هو معروف فإن الغزو يكون بخروج الغازي من أرضه إلى أرض غيره أو من مقر حكمه أو مدينة إلى مدينة أخرى بقصد الإغارة عليها وغزوها والاعتداء عليها واحتلالها، ولما كان موطن الرسول صلى الله عليه وسلم في يثرب (المدينة) التي تبعد عن مكة أربع مئة كيلو موطن القبائل المغيرة الغازية، والتي خرجت لغزو الرسول في عقر داره، فهل يصح معه القول أن يقال على بدر، وأحد، والخندق وغيرها، إنها غزوات الرسول وهي معارك جرت في عقر دار النبي محمد عليه الصلاة والسلام ب (المدينة، يثرب). فلماذا تطلق جماعة ابن إسحاق على أعمال الرسول الدفاعية بأنها غزوات؟

والقرآن الكريم ذكر يوم حنين قالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّرِينَ﴾ التوبة (25).

كما ذكر القرآن بدر قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آل عمران (123).

ونذكر حنين وبدر مرة واحدة في القرآن وبهذا الذكر فإن المطلوب تحقيق تاريخي عن مكان وزمان هذه المسميات (بدر) و(حنين) وبين من كانت هذه المواجهة، هذا التحقيق مطلوب أمام هذا التحريف الوارد لأحداث سيرة النبي ، بينما ذكر لفظ الأحزاب قرابة العشرة مرّات ولا يقصد بها مواجهة عسكرية بينما جماعة ابن إسحاق حرقها معركة بين قريش والمسلمين، وكذلك غزوة أحد وفتح مكة وغزوة تبوك وغزوات وسرايا كثيرة، بقصد عسكرة الإسلام والمسلمين.

11-2-1 غزوة زيد ابن حارثة ومصاب أم قرفة:

قدمت جماعة ابن إسحاق زيد ابن حارثة بقصة مشوهة، وهي: أقسم زيد ابن حارثة ألاّ يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة، ثم ينقلنا الكاتب إلى حدث آخر، وهو أنه لما استبرأ من جراحه بعثه الرسول إلى بني فزارة في جيش، فقتلهم بوادي القرى، وأسبرت أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر، كانت عجوزاً كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر، وبنت لها، فأمر زيد بن حارثة بقتل أم قرفة قتلاً عنيفاً، ثم قدموا على الرسول بابنة أم قرفة التي كانت لسلمة بن عمرو بن الأكوع الذي أصابها، وكانت في بيت شرف من قومها، فسألها رسول الله، سلمة، فوهبها له، فأهداها لخاله حزن بن أبي وهب، فولدت له عبدالرحمن بن حزن.

هذا ما ورد في قصة زيد ابن حارثة مع أم قرفة، وسماها ابن إسحاق غزوة زيد التي كانت حصيلتها قتل امرأة عجوز لم يحسن اختيار اسم مناسب لها بوصفها أم (قرفة) وسبي ابنتها التي وهبها الرسول لشخص آخر فأبي تشنيع أبلغ من هذا بحق الرسول صلى الله عليه وسلم الموصوف بالرحمة والنور للعالمين. قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آل عمران (123). (1)

11-2-2 غزوة عبدالله بن أنس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي.

خلاصة هذه الغزوة برواية جماعة ابن إسحاق (2) أن الرسول كلف عبد الله ابن أنس لاغتيال خالد ابن سفيان بن نبيح الهذلي الذي يجمع الناس ضد المسلمين، فذهب ابن أنس فاغتاله بحيلة، فقدم على الرسول فقال قد قتلته يا رسول الله، قال له صدقت، ثم قام به فأدخله بيته وأعطاه عصا: فقال له أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنس، وبعد حوار مع بعض الصحابة حول تلك العصا! أخبر الرسول بن أنس إن هذه العصا ستكون آية بينه وبين عبد الله بن أنس يوم القيامة، فلم تزل معه حتى مات، ثم أمر بها فضمت في كفنه فدفنت معه. فهل

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 265.

(2) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 267.

يعقل أن يأمر الرسول بالاغتيال؟ ثم هل هذا العمل يسمى بغزو؟ ثم لننظر إلى ذكر العصا كشاهد على إصاق الخرافات بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالصحابة.

11-2-3 غزوة ابن أبي حرد وقيل عامر ابن الأضبط الأشجعي:

وقبل الخوض في سرد هذه الغزوة تعالوا نأخذ ما ورد فيها من الأسماء الغريبة على اللسان العربي، بقصد الاستخفاف والاستغفال بعقل القارئ كما يظهر من خلال عنوان هذا الموضوع حيث أن الأسماء التي أوردها جماعة بن إسحاق في هذه القصة وهم: عبد الله بن (قسيط)، (القعقاع)، (الأقرع بن حابس)، (عيننة بن حصن) بن حذيفة بن بدر، عامر بن (الأضبط الأشجعي)، (ملحم بن جثامة)، (خندف)، (مكيثر أو مكيتل)، (حرد)، (بطن أضم) (انظر: (المجلد 4)). هذه الأسماء وغيرها من الأسماء التي استخدمتها جماعة ابن إسحاق في تأليف سيرة النبي لابن هشام، كانت عناوين لأغلب القصص والروايات التي يجب بيانها وتوضيحها للقارئ في هذا المؤلف إذ قصد بها الاستهزاء بأسماء العرب القدماء وكناهم، وقد استخدمت كثيراً بمزعم كتاب السيرة لابن هشام وبمجموع الفكر السني/ الشيعي برواية أحاديث العنقة، لدى الكافي والبخاري وابن حنبل والشافعي وغيرهم، وكأنها خرجت كلها من حجرة واحدة. (1)

11-2-4 غزوة بن أبي حرد لقتل رفاعه بن قيس الجشمي:

قال ابن إسحاق: وغزوة بن أبي حرد الأسلمي وذكر "الغابة وهذه القصة برواية من لا يهتم (مجهول) عن بن حرد الذي تزوج، وجاء للرسول ليعينه على دفع صداق زواجه (المهر) الذي بلغ مئتي درهم فاعترض الرسول على المبالغة في ذلك المهر، وقال الرسول: لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن وادي ما زدتهم، والله ما عندي ما أعينك به، وفي الوقت نفسه زعموا كذباً أن الرسول أعطى أربعمئة درهم مهراً لأغلب زوجاته فوق عشر زوجات، كما سيأتي ذكره بعنوان زوجات الرسول، وهو ما يعد تناقضاً واضحاً ولا يجوز نسبه للرسول صلى الله عليه وسلم! قال: فلبثت أياماً، وأقبل رجل من بني جشم بن معاوية، يقال له: رفاعه بن قيس، في بطن من بني جشم حتى نزل بقومه ومن معه (بالغابة)، والسؤال هل كان بالمدينة وما حولها غابة أو شبه غابة؟ فالمدينة ومكة بأرض جرد لا زرع فيها قال جَلَّ في غلاه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ...﴾ إبراهيم (37)، فمن أين جاء ابن إسحاق وجماعته (بالغابة)؟ وأترك بقية القصة للقارئ أولاً لأن راويها مجهول، وثانيها أنها تخبرنا أن الرسول يأمر باغتيال معارضييه، فضلاً عن تكرار اسم (حرد)، الذي كان مديناً بمهر زواجه البالغ مئتي درهم فجاء للرسول طالبا العون منه فيكلفه الرسول بهذه الغزوة (كما تسميها جماعة ابن إسحاق) من أجل الحصول على مهر زواجه، فيقبل بتنفيذ

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 275 .

المهمة كمرتزق فاستخدم ناقة مسنة عفاء لا تقوى على حمل نفسها، وبها يدرك القوم فيصيب منهم، ويقتل رفاعه بن قيس ويعود للرسول، وقد غنم الكثير من السبي فيعطيه الرسول حاجته من تلك الغنيمة والسبي. (1)

11-2-5 غزوة عبدالرحمن ابن عوف إلى دومة الجندل.

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتهم، (شخص مجهول) عن عطاء بن أبي رباح، قال: سمعت رجلاً من أهل البصرة يسأل عبدالله بن عمر بن الخطاب...، ثم يتحدث حول طريقة إرسال العمامة من خلف الرجل، إذا اعتم، ثم يسترسل بحديث مطول ينسبه للرسول عن أصناف المؤمنين وصفاتهم، وعن أسباب المصائب إذا نزلت بقوم، ثم يأمر بن عوف ليتجهز لسرية، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء من القطن، فأدناه الرسول منه ثم نقضها، وعمه بها وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحو ذلك، وقال له: هكذا يا ابن عوف فاعتم، فإنه أحسن وأعرف، ثم أمر بلالاً أن يدفع إليه اللواء، فدفعه إليه، قال ابن هشام: فخرج إلى دومة الجندل؟ هذا هو موضوع الغزوة، عن كيفية عمل العمامة لرأس ابن عوف، فأية سخريه هذه التي تحاول بها جماعة ابن إسحاق إقناع القارئ بقبول هذا الاستخفاف المعنون بـ "غزوة دومة الجندل"، وهو حديث عن كيفية ربط العمامة، فهل تخاطب هذه الجماعة حميراً تحمل أسفاراً، ولا تدرك ما تحمل من استخفاف مروي بقصص منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ (2).

11-2-6 غزوة أبي عبيدة ابن الجراح إلى سيف البحر:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت قال: بعث الرسول سرية إلى سيف البحر أي جانب من البحر بمؤنهم وجراهم من تمر حتى نفدت، وقال فأخرج الله لهم دابة من البحر فأصابوا منها لحماً وشحمًا، وأقاموا عليها يأكلون عشرين يوماً، حتي سمنا، ثم أخذ أميرنا ضلعاً من أضلاعها، فوضعها على طريفة (لا يعلم معنى طريفة) ثم أمر بأجسم بغير معنا، فحمل عليه أجسم رجل منا، قال: فجلس عليه، قال: فخرج من تحتها، وما مست رأسه. قال: فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها وسألناه عما صنعنا في ذلك من أكلنا إياه، فقال: رزق رزقكموه الله. (3)

تلك هي غزوة أبي عبيدة ابن الجراح الصحابي الجليل المروية من ابن إسحاق بما تحمله من أكاذيب يريد إقناع القارئ أن غاية الغزوة كانت على دابة خرجت من البحر بساحل البحر الأحمر، ظل يأكل منها طيلة عشرين يوماً بمناخ ترتفع درجة الحرارة فيه قرابة الأربعين مع رطوبة كبيرة تصل قرابة (70%) دون أن تتعفن، وبعد عشرين يوماً يأخذ أميرهم ضلعاً من أضلاعها راجعاً به إلى المدينة، مسافة تزيد عن أربعمئة كيلو، يسير فيها راكب البعير قرابة

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 278.

(2) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 279.

(3) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 281.

شهر كامل، فما الذي يريد توصيله لنا ابن إسحاق وجماعته من الخرافات، تحت عناوين بعوث وغزوات وسرايا رسول الرحمة محمد صلوات الله عليه وسلم؟

7-2-11 سرية زيد ابن حارثة إلى مدين:

في قصة هذه السرية: قال ابن هشام: وسرية زيد بن حارثة إلى مدين، ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين بن علي عليهم رضوان الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين، ومعه ضميره مولى علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأخ له. قالت: فأصاب سبياً من أهل مينا، وهي السواحل، وفيها جماعة من الناس، فبيعوا ففرق بينهم. فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبيكون، فقال: ما لهم؟ فقيل: يا رسول الله، فرق بينهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تتبعوهم إلا جميعاً. قال ابن هشام: أراد الأمهات والأولاد. (1)

بطل القصة شخص اسمه، زيد ابن حارثة، بغض النظر عن وجود شخصية زيد من عدمها، مشهد القصة بكاء أمهات وأطفال من أهل مينا أريد بيعهم متفرقين بعد سبيهم من سرية زيد، يخرج الرسول عليهم فيجدهم يكون فيرق قلبه لهم، فيتدخل قائلاً: "لا تتبعوهم إلا جميعاً" أي الأمهات والأولاد كما أوضح ابن هشام. ومعلوم أن هذا يخالف كلام الله سبحانه وتعالى الذي حث على عدم التعرض إلى الناس بالسبي، فكيف والحال كما جاء في هذه القصة سبي أطفال وأمهاتهم؟ إنه أمر فيه الكثير من الافتراء على الإسلام وعلى الرسول.

8-2-11 غزوة عمير ابن عدي الخطمي لقتل عصماء بنت مروان:

ملخص هذه الغزوة التي سردت في كتاب سيرة النبي لابن هشام لم تذكر جماعة ابن إسحاق من راويها: وتحكي قصة عصماء بنت مروان التي كانت تقول الشعر، تهجو وتعيب به الإسلام، فرد عليها حسان ابن ثابت بالمثل شعراً، ثم أمر الرسول باغتيالها، فسميت بغزوة عمير ابن عدي الخطمي، لقتل عصماء بنت مروان، وجاء في هذه القصة:

عصماء بنت مروان، هي من بني أمية، فلما قتل أبو عفك نافقت، فذكر عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه، قال: وكانت تحت رجل من بني خطمة، يقال له يزيد بن زيد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك: إلا أخذ لي من ابنة مروان؟ فسمع ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن عدي الخطمي، وهو عنده، فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها، ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، إني قد قتلتها، فقال: نصرت الله ورسوله يا عمير، فقال: هل علي شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: لا ينتطح فيها عنزان، فرجع عمير إلى قومه، وبنو خطمة يومئذ كثير

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 284.

موجههم في شأن بنت مروان، ولها يومئذ بنون خمسة رجال، فلما جاءهم عمير بن عدي من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: يا بني خطمة، أنا قتلت ابنة مروان، فكيديني جميعاً ثم لا تنتظرون، فذلك اليوم أول ما عز الإسلام في دار بني خطمة، وكان يستخفي بإسلامه فيهم من أسلم، وكان أول من أسلم من بني خطمة عمير بن عدي، وهو الذي يدعى القارئ، وعبد الله بن أوس، وخزيمة ابن ثابت، وأسلم يوم قتلت ابنة مروان رجال من بني خطمة، لما رأوا من عز الإسلام. (1)

ولا شك إن أمر اغتيال وقتل امرأة قالت الشعر حسب زعم المؤلف للقصة التي سمّاها غزوة، وهي من الأمور المنبوذة بعرف بادية العرب قبل البعثة، فكيف برسول وصفه الله بالرحمة والنور للعالمين أن يأمر بقتل امرأة ويكلف من يغتالها في بيتها، مثل هذه الأفعال السيئة تتكرر نسبتها كذباً إلى الرسول محمد عليه الصلاة والسلام من هذه الجماعة، سواء كانت لقتل رجل أو امرأة، وهو أمر محال أن يتم من رسول الله، ومثل هذا الفعل لا يحتاج إلى نقاش بقدر ما يحتاج إلى رفضه كونه إفكاً وتقولاً كاذبة، تنسب إلى رسول الرحمة محمد صلوات ربي وسلامه عليه.

9-2-11 سرية كرز ابن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يساراً.

جاء في كتاب جماعة ابن إسحاق في رواية ابن هشام قصة هذه السرية من دون سند لروايتها، وهي تحكي أن الرسول كان معه عبد اسمه يسار، ويسار اسم فارسي، وفارس لم تُفتح إلا في عهد الخليفة عمر، وقد تكرر اسم يسار مرات عدة، فهو جد ابن إسحاق، وجد أبي حنيفة النعمان وغيرهم، وهو بطل هذه الرواية في عهد الرسول، كان يسار يرعى الإبل خارج المدينة، فقدمت مجموعة من الناس أصيبوا ببعض الأمراض فرخص لهم الرسول بشرب ألبان وأبوال البعير، فذهبوا إلى حظائر الإبل فشربوا من ألبانها وأبوالها ثم شفوا من المرض، ثم قاموا بقتل راعي البعير يسار ونهبوا البعير وهربوا.

ولك أن تستشعر مدى ما يثيره هذا الأمر من التقزز، وهل يتوقع أن يأمر الرسول بشرب بول البعير بغرض العلاج من المرض، وهل يتصور عاقل أن يكون هذا الحديث صادراً عن الرسول؟ ذلك محال مع العلم أن هذه الحديث أصبح سنة يستن بها بعض من المغفلين، فترى في القرن الواحد والعشرين من يخرج لك بهذا الحديث ليشرح جوانبه العلمية، وآخر يتفاخر بشرب بول البعير طازجاً أمام الآخرين، أو عبر قنوات التلفزة أو عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فانظر أخي أية لعنة حلت بنا نتيجة هذا الزيف، بينما الحقيقة أن هذه العادة المقززة اقتبستها جماعة التحريف من عقيدة الزرادشت الذين يستخدمون بول الثور للتطهر والاعتسالة من النجاسة، حسب ما عرضنا من كتابهم المقدس أفستا، بينما جماعة ابن إسحاق شرعت للمسلمين شرب بول البعير! ونص القصة كما وردت في المجلد 4- وبالآتي: (2)

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 285.

(2) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 290.

حدثني بعض أهل العلم، عن حدثه، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن عبد الرحمن، قال: أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة، محارب وبنى ثعلبة عبدا يقال له يسار، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في لقاح له كانت ترعى [في] ناحية الجماء، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قيس كبة من بجيلة، فاستوبئوا، وطحلوا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها، فخرجوا إليها، فلما صحوا وانطوت بطونهم، عدوا على راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسار، فذبحوه، وعرزوا الشوك في عينيه، واستاقوا اللقاح، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم كرز بن جابر، فلحقهم، فأتى بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة ذي قرد، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم. تلك هي قصة سرية كرز بن جابر.

ومن الواجب توجيه السؤال إلى القارئ، وهو إلى أي مدى أرادت جماعة التحريف وابن إسحاق إيصالنا بهذا الغثاء؟

10-2-11 بعث أسامة ابن زيد إلى أرض فلسطين:

يذكر ابن إسحاق وبصورة غير مباشرة أن سبب مرض الرسول وموته كان بعثه جيش باتجاه فلسطين حيث كان آخر بعثة بعثها الرسول كما يرى ابن هشام، ويذكر الكتاب أن قائد الجيش الذي أمره الرسول هو أسامة ابن زيد، وهو غلام لا علم له بأمور الحرب والقيادة، فكيف يأتى على أناس ذوي خبرة ودراية، والقصة كلها من تأليف جماعة ابن إسحاق كما يبدو لي، فهي من ضمن قصصهم التي أرادوا بها وصم المسلمين بالغزاة والمعتدين، وكون فلسطين الأرض التي استقبلت أكثر أنبياء بني إسرائيل، فإنه بمجرد التفكير في غزوها كما تزعم ضمناً جماعة ابن إسحاق فقد كان سبباً لأصابه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالمرض ومات على إثره، وهذا نص القصة:

قال ابن إسحاق: وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء، والداروم، من أرض فلسطين، فتجهز الناس، وأوعب مع أسامة المهاجرين الأولين. وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال ابن إسحاق: فبينما الناس على ذلك ابتدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه الذي قبضه الله فيه، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته، في ليالٍ بقين من صفر أو في أول شهر ربيع الأول، فكان أول ما ابتدأ به من ذلك، فيما ذكر لي، أنه خرج إلى بقيع الغرقد، في جوف الليل، فاستغفر لهم، ثم رجع إلى أهله فلما أصبح ابتدأ بوجعه من يومه ذلك. (1)

3-11 التشهير بالنبي وذكر عدد من الزوجات المنسوبة كذباً للنبي محمد صلى الله عليه وسلم:

ذكرت جماعة ابن هشام أن عدد زوجات الرسول بلغن تسع نسوة بحسب رواية ابن هشام فيما حدثه غير واحد من أهل العلم كما أشار، ويضيف ابن هشام قولاً يناقض القول

(1) انظر سيرة النبي ابن هشام مجلد 4 ص: 291.

السابق من أن جميع زيجات الرسول بلغن ثلاث عشرة وفقاً لما جاء في آخر المجلد الرابع من كتاب سيرة النبي لابن هشام. وبذلك يظهر كتاب سيرة ابن هشام أن الرسول خالف تعاليم القرآن الكريم الذي حدد الزواج بامرأة واحدة فقط وكل الأنبياء والرسول تزوجوا من امرأة واحدة، والتعدد كان في النكاح وليس في الزواج، ولا يكون التعدد في النكاح إلا لسبب، ويخضع لجملة من الشروط، منها: كفالة اليتيم، العدل بين النساء، واقتصار العدد في النكاح على أربع نسوة، كسقف نهائي للتعدد في النكاح لا ينبغي تجاوزه، فكيف يتجاوز الرسول نصوص القرآن الكريم ويتزوج أو ينكح هذا العدد من النساء في وقت واحد؟ فطالما والمصدر لحكايات هذه الزيجات كتاب جماعة ابن إسحاق برواية ابن هشام وفقاً لما استند إليه محتوى هذا الكتاب من الأقاويل الكاذبة التي سردناها سابقاً فإن هذه الحكايات لا تخرج عن سند التقوّل والكذب، ولتأكيد هذا الحكم يمكن تنفيذ حكايات زواج الرسول كما وردت بهذا الكتاب (السيرة) وعلى القارئ أن يتيقن من صدق الروايات من عدمه من خلال ما جاء في كتاب جماعة ابن إسحاق من الحكايات ومقابلتها بما بيناه حول فقه المرأة وتعريف الزواج، ومعنى كلمة (زوج) الذي يعني علاقة بين شخصين ذكر وأنثى. كما ورد في القرآن الكريم بشأن الزواج، فكيف يستقيم الحال مع ما لَفَّقته جماعة ابن إسحاق من أن الرسول تزوج عدداً من النساء بلغ قرابة عشر نساء في وقت واحد؟ وهل الرسول خالف كلام الله، معاذ الله، ولنقرأ ما جاء في هذا الكتاب من قصص جماعة ابن هشام (جماعة التحريف) عن زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم:

11-3-1 خديجة بنت خويلد:

أصدقها الرسول عشرين بكرة أي من إناث الإبل الشابات اللاتي لم يلدن، ويعد هذا المهر مبالغاً فيه ومرتفعاً جداً، وهو ما يتناقض مع كون الرسول في ذلك الوقت كان يعمل معها في التجارة، وهو شاب معسر وعمره لا يزيد عن خمس وعشرين عاماً، وعمرها يقارب خمسين عاماً، كما ورد بسيرة النبي لابن هشام. وهذا يعد تناقضاً واضحاً مع كثير من الروايات الأخرى المروية حول تحديد المهر في هذا الكتاب. (1)

11-3-2 عائشة بنت أبي بكر:

ذكر إن الرسول تزوجها وعمرها سبع سنين، ودخل بها وعمرها تسع سنين، وكان عمره يقارب خمسين سنة، وأصدقها مهراً (أربعمائة دينار). ولك أن تعلق بما تشاء حيال هذا الموضوع الذي أوردته هذه الجماعة في مزعوم هذا الكتاب. (2)

والكارثة على ثقافتنا العربية والإسلامية نسبة هذا الزواج المخالف للأعراف، والعادات والأخلاق العربية إلى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق والقيم بأفضلها وأحسنها، فكيف وهو رسول الله وقد ربط الله سبحانه وتعالى سن الرشد بالنكاح في القرآن الكريم بإشارة ضمنية غير مباشرة بمسألة اختبار إدارة مال اليتيم

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص. 293.

(2) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص. 293.

حسب ما جاء به القرآن الكريم بلسان الرسول محمد نفسه بقَوْلَ اللَّهِ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَابْتَئُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ...﴾ (النساء: 6). فالآية واضحة بشأن تحديد فترة اختبار الإنسان اليتيم لإدارة المال، حتى يبلغ سن النكاح المقرون بالرشد، ويُقصد بالرشد قدرة الفرد على التصرف المدرك لما يترتب من التزامات على ما يقوم به من الأعمال والتكاليف، وهذا لا يتأتى إلا بسن الثامنة عشرة، وربما عشرين عاماً، سواء كان ذكراً أو أنثى، وهو ما استقر عليه الأطباء المتخصصون في تحديد سن البلوغ الجسماني والعقلي للإنسان، وهذه آية من قرآن يتلى حتى يومنا هذا أنزلت على رسول وصف بالرحمة والنور والخلق العظيم، فهل يتصور عاقل أن يكون هذا الرسول مخالفاً لما أنزل بواسطته وبلسانه من الحق الذي يؤكد الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ...﴾ (النساء: 170).

ولهذا فالله يخاطبه بأن يبلغ ما أنزل إليه، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: 67). والتبليغ هنا تبليغ قول وفعل بما حملته آيات القرآن من التعاليم والتشريع، وذلك وظيفة الرسل، ومنهم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقد أمره الله سبحانه باتباع ما جاء في القرآن الموحى إليه، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (يونس: 109). وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ مخاطباً رسوله: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (الأحزاب: 2).

فهل مع هذا الأمر المباشر من الله سبحانه وتعالى لرسوله أن يخالف قَوْلَ ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طالما وهذه الآيات منزلة على الرسول ليلبغها للناس كي يتبعون تعاليمها، فإن الرسول أولى باتباعها وتنفيذ تعاليمها، ومحال أن يخالف كلام الله سبحانه وتعالى (حسب رواية جماعة ابن هشام الكاذبة) ويتزوج من طفلة لم تبلغ سن النكاح والرشد.

ومع ما سبق فإن جماعة ابن هشام قد دست هذه الفرية وهي زواج الرسول من طفلة في هذا الكتاب الذي أُلِفَ ليكون أول مصدر يضم بؤر التحريف التي فاضت إلى كتب أحاديث العنينة، ومساندها بروايات متعددة، لصبح زواج الطفلة سنة متبعة بل معضلة اجتماعية، أزهدت أنفساً كثيرة لفتيات قاصرات أرغن على الزواج المبكر مع عدم قدرتهن على القيام بما يترتب على الزواج، والإحصائيات كبيرة جداً لضحايا هذا الزواج في المجتمعات العربية والإسلامية، وكان سببها هذه الرواية التشريعية الكاذبة التي تدعي أن الرسول تزوج عائشة وعمرها سبع سنوات، وهو خبر نقلته جماعة ابن هشام متأثرة بما ورد في التلمود الذي أباح نكاح الطفلة ذات الثلاث سنوات ويوم واحد كما ورد في مجلد كتاب النساء من التلمود اليهودي، وبما أن هذه الجماعة لها دور في تحريف العقائد منذ قدم التأريخ، ومنها العقيدة الهندوسية فقد دس نفس هذا التشريع في زواج الأطفال القصر في عمر ما دون عشر سنوات، فأصبحت معضلة دائمة في المجتمع الهندي حتى يومنا هذا.

11-3-3 سودة بنت زمعة:

ورد ذكر هذه الزيجة في كتاب ابن هشام ابتداءً بسرد تسلسل طويل لنسب سودة بلغ تسعة آباء لا ندري ما الغاية من ذلك فلا داعي لذكرهم فقد ورد بالقول إنه أصدقها مهرأ (أربعمئة درهم) وهو رقم يتكرر في كل زيجات الرسول، قال ابن هشام: ابن إسحاق يخالف هذا الحديث يذكر أن سليطاً وأبا حاطب كانا غائبين في أرض الحبشة في هذا الوقت. وكانت سودة قبل زواجها من النبي عند السكران بن عمر بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل. وهذا الاختلاف بين الروایتين يبين مدى الافتراء والكذب في القصة، ويوضح للقارئ عمل التدليس الذي تحتويه هذه الرواية وهي كغيرها من الروايات الواردة في هذا الكتاب بمجلداته الأربعة، ومن خلاله تبرز الأسماء الغريبة كما سبق الإشارة إليها ك (سودة - حسل - السكران - عبد شمس) وغيرها من الأسماء التي دائماً ما تستخدمها جماعة ابن هشام في شخوص قصصهم وأحداثهم المكذوبة على رسول الله، ويتضح بما لا يدع مجال للشك كذب هذه الزيجة وغيره عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وكذب الأسماء المستخدمة للتعريف بهذه الزيجة وغيره (1).

11-3-4 زينب بنت جحش بن رباب الأسدية:

وهي التي كانت قبله عند زيد بن حارثة، وقد زوجه إياها أبو أحمد بن جحش وأصدقها الرسول مهرأ لها (أربعمئة درهم)، وقد فسروا وأولوا نصأ من القرآن الكريم على هذه الزيجة ونسبوا إليها الأكاذيب وصوروا من خلاله الرسول برجل بعث لمعاقرة النساء، مستدلين ومؤولين هذه الآية بصورة خاطئة قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الأحزاب: 37) ومدلول الآية تقضي بحلة زواج من يقوم بالتبني من زوجة متبنة فلم يذكر ارتباط الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الآية لا من قريب ولا من بعيد، وهذه الآية يعالج قضية اجتماعية موهلة في التاريخ الإنساني، إلا أن جماعة ابن إسحاق وغيرها من المؤلّين لآيات القرآن نسجوا أحاديث وروايات وقصص خبيثة حول هذه الزيجة، ونسبوا كذباً إلى الرسول محمد وهو منها براء، وذكر اسم (زيد) ليضرب به مثلاً كما ضرب عدداً من الأمثلة في القرآن حسب نصوص آخر مثل المثل الذي ضرب بذكر تقوى مريم بمنزلة النبي هارون عليهم السلام، وما بين هارون ومريم قرون من الزمن كقوله تَعَالَى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (مريم: 28) وسورة المسد التي تتكلم عن مثل لعابد النار أبي لهب ونسجوا من هذا المثل شخصية قريبة للرسول (عمه)، وحسماً لهذا الجدل من عدمه فقد جاء القرآن بآية فصلة في موضوع التبني من قبل شخص النبي محمد عليه الصلاة والسلام وذلك بتقرير عدم حصول هذا الادعاء الزائف حسب هذه الآية من نفس السورة وهي تؤكد عدم حصول التبني من النبي محمد نهائياً ومعه يسقط الادعاء الكاذب حول هذا الزواج ويفضح جماعة التحريف، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: 40)، وعندما تقرأ عن هذه الزيجة في كتب الحديث

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 293.

(كتاب صحيح البخاري) فانك ستجد التلفظ البذي والفاحش بحق ذات الله سبحانه وتعالى عما يقولون⁽¹⁾.

11-3-5 أم سلمة هند، بنت أبي أمية ابن المغيرة المخزومية:

أصدقها الرسول فراشاً حشوه ليف، وقدحاً وصحفة (ومجشة) وهي التي تطحن الطعام، وهذا المهر يدعو للشفقة والسخرية بهذه الزيجة من جماعة ابن هشام بينما حددت مهراً ثابتاً هو الرقم أربعمئة درهم لجميع زوجات الرسول⁽²⁾.

11-3-6 حفصة بنت عمر ابن الخطاب:

زوجها أبوها عمر للرسول، وقيل في كتب السيرة إنه زواج من أجل التجسس على بيت الرسول من قبل عمر بن الخطاب، وهو افتراء وكذب على الجملة وأصدقها الرقم ذاته (أربعمئة دينار)⁽³⁾.

11-3-7 أم حبيب، واسمها رملة بنت أبي سفيان:

تزوجها الرسول عن بعد، كما ذكرت سيرة ابن هشام وهي في أرض الحبشة، وأصدقها النجاشي عن الرسول الرقم ذاته (أربعمئة دينار)، ولا ندري هل كان النجاشي يتعامل بعملة الدينار أيضاً؟⁽⁴⁾.

11-3-8 جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية:

من سبايا بني المصطلق، وقصة زواجها ذكرت في موضوع مستقل سابقاً ونذكرها هنا براوية جماعة ابن هشام الكاذبة بأن الرسول اشتهاها لجمالها وملاحتها، وكانت سبية بسهم ثابت ابن قيس، فأعتقها الرسول وتزوجها وأصدقها الرقم ذاته (أربعمئة درهم)⁽⁵⁾.

11-3-9 صفية بنت حيي بن أخطب:

سباها لنفسه من خيبر على أثر قتل أبيها، فتزوجها ودخل بها دون عدة من زوجها الأول، حسب زعم جماعة ابن إسحاق، وذكرت قصة زواجها بموضوع مستقل غير أنه ذكر هنا أن الرسول سباها لنفسه، وأولم بها وليمة ما فيها شحم ولا لحم، ولا ندري لماذا يذكر الشحم، هل احترام لليهود الذين حرم عليهم، بل كانت وليمتها سويقاً من تمر، ولم يحدد لها مهراً أو يعطيها صداقها، حسب ما جاء ذكره وقد ذكرنا هذه الحادثة بمبحث مستقل بيّنا فيه مدى الكذب على الرسول بهذه الزيجة⁽⁶⁾.

11-3-10 ميمونة بنت الحارث:

- (1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 294
- (2) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 135، 136.
- (3) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 294
- (4) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 294
- (5) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 295
- (6) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 296

حسب رواية جماعة ابن هشام فهي، بن حزن بن بحير بن هزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، زوجها العباس بن عبد المطلب وأصدقها العباس عن الرسول الرقم ذاته (أربعمئة درهم)⁽¹⁾.

الخلاصة: لقد تكرر في ذكر قصص زواج الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في كتاب سيرة النبي لابن هشام كثرة تسلسل الأسماء، والمبالغة في قيمة المهر وتكراره برقم واحد (أربعمئة درهم)، باستثناء مهر خديجة (عشرين بكرة، إناث الإبل الشابات)، وهو مهر كبير ينافي موقف الرسول من المبالغة في المهر واستهجانه لذلك، كما ورد في قصة غزوة ابن أبي حدرد الذي أصدق زوجته مهراً بمئتي درهم، قال الرسول (سبحان الله لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن وادٍ ما زدتم). ويعد هذا تناقضاً من جملة التناقضات التي تظهر في مضمون هذا الكتاب، وهو ما يؤكد عدم مصداقية تلك الروايات، والأحداث التي سردها المؤلف، فضلاً عن محتوى كثير من القصص المبتذلة التي حيكت عن الجواري في بيت الرسول، وغيرها الكثير من الأخبار عن أهل بيت النبوة الكرام المليئة بالدس الرخيص، والكذب الذي قُصِد به الإساءة لرسول الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم والتشهير به، وبما يخالف ويناقض كلام الله في أخلاق الرسول ودين الإسلام والبيت المسلم، وهو ما سعت إليه مرويات جماعة تحريف العقائد والسيرة العربية الإسلامية.

11-4 قصة سقيفة بني ساعدة:

استهلت جماعة ابن هشام قصة سقيفة بني ساعدة بذكر الموضع باسم (سقيفة)، وهو المكان الصغير الذي عادةً ما يستخدم للأشياء الصغيرة أو الأشياء المحترقة، ومثل هذه الاجتماعات عادةً ما تكون في مجلس خاص أو دار خاص، لكن ابن إسحاق تعمد ذكر سقيفة بني ساعدة، بقصد التصغير والتحقير، وتشويه المجتمع الإسلامي بهذه الانشقاقات التي ظهرت قبل أن يوارى جثمان الرسول الثراء، وما زال محتوى رواية هذا الاجتماع يردد من العرب والمسلمين نقلاً عن هذا المصدر المكذوب دون وعي وإدراك لما بذرت جماعة ابن هشام في هذه الرواية الكاذبة التي صنعت أول انشقاق بين أصحاب الرسول، نلخص من محتواها ما يلي:

- 1- اتسع النزاع وارتفعت الأصوات حول من يخلف الرسول وبرزت الانشقاقات.
- 2- اعتزال علي ابن أبي طالب والزبير ابن العوام وطلحة ابن عبيد الله في بيت فاطمة.
- 3- بروز تكتل جماعة الأنصار يقوده سعد ابن عباد.
- 4- انحياز بقية المهاجرين وتكتلهم إلى جانب أبي بكر.
- 5- انتصار المهاجرين بمبايعة أبي بكر بالخلافة.
- 6- تراجع الأنصار وقتل سعد ابن عباد ثم الادعاء بأن الجن قتلته في رواية من كتب السير.

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4 ص 296

7- ذكر ابن إسحاق جملة من الخلافات حول غسل ودفن الرسول، وذكر عدداً من التخاريف منها صوت المساحي بدفن الرسول - القطيفة التي دفنت معه - خاتم المغيرة الذي رمي به ليكون أحدث الناس عهداً بالرسول - آخر أخبار الرسول بأن لا يكون بجزيرة العرب دينان.

8- أخبار ابن إسحاق عن عائشة أنها لما توفي الرسول ارتدت العرب، ظهر نجم النفاق وتطلعت اليهودية والنصرانية وصار المسلمون كالغنم المطيرة. (1)

لقد وصلت الرسالة التي أرادت جماعة ابن هشام إيصالها، وما زالت هذه الرسالة تقرأ وتوجه فكرنا ووعينا الديني حتى اليوم في الاتجاه السلبي تماماً، بما خلقت من مبررات للصراع، والتطرف والتعصب المقيت، وخلقت معه الصورة المشوهة للمسلمين، بل غيبت مفاهيم الأمة في الإسلام الحقيقي لتستبدلها بعصبيات المذاهب والفرق والطوائف، والتطرف، والعنف والإرهاب، وكل هذا يتصادم مع نصوص وتعاليم القرآن الكريم.

والأنكى من ذلك أنهم أي جماعة ابن هشام أظهروا مظلومية اليهود بامتياز، ومازال هذا الزيف مستمرا يتدفق لتغذية عقول صغارنا وكبارنا صباح مساء في المدارس والمساجد.... الخ. وإلى متى سيبقي؟

وهنا أقف متأماً حزيناً عندما قرأت كتباً متعددة تنسب لأبناء هذه الأمة بل ومن أعمدة الثقافة العربية والمثقفين والنقاد المتأخرين والمتقدمين وقعوا في فخ هذا السيرة، فصبوا قذائف أقلامهم تجاه العرب وشخص الرسول محمد وأهل بيته من النساء وصحابة الرسول والإسلام، ومن الأمثلة على ذلك مقدمة ابن خلدون ()، وكتاب (الإسلام في جزيرة العرب) () فكانت هذه الكتابة بمؤلفها سالف الذكر معول هدم ضد الإسلام بسبب كُتب السيرة المروية من ابن هشام والطبري والواقدي الملي بالتحريف والكذب عن النبي والإسلام ومن خلال هذه الكتب الصفراء قدمت نقداً لاذعاً خارجاً عن سياق المألوف ضد عموم الإسلام كما أشرنا سابقاً، وأنا في الحقيقة لا أبرر هذا النقد الجارح، بل أتحسر على وقوع الكثير من مفكرينا في فخ هذا المؤلف المسخ (سيرة ابن هشام والطبري والواقدي وأمثالهم)، والذين عمدوا لتشويه النبي وصحابة بل والإسلام واعتقد أن هذه الكاتبة لو علمت بحقيقة زيف هذا المؤلف (مجلدات سيرة النبي لأبن هشام) وغيره، لكان قلمها الرشيق أول من يقاوم هذا الإفك العظيم الذي نال من أعظم شخصية في التاريخ العربي والعالم، أنه محمد عليه الصلاة والسلام، نسأل الله لها الرحمة والمغفرة ولنا الهداية والتوفيق.

ولم يتوقف سيل النيل من دين الإسلام بسبب دين مذاهب العننة الموجود في واقعنا اليوم من حديث وتفسير وأصول فقه وسيرة وعلم الكلام وغيرها، فمن هذا المؤروث الفكري الذي خطته فئة من جماعة التحريف ك (البخاري ومسلم والكافي والشافعي ومالك وأبن ماجه والترمذي والنسائي وأبن داوود وابن حنبل وسيرة ابن هشام وتفسير ابن كثير والقرطبي وغيرهم الكثير)، فقد اتخذ سلمان رشدي مادته الأساسية لتأليف روايته المشؤمة والمعنونة - آيات شيطانية والتي صدرت بالعاصمة البريطانية لندن بتاريخ 26- سبتمبر 1988م، وأثارت

(1) انظر سيرة النبي لابن هشام مجلد 4. من ص 306 - 311.

ضجة كبيرة في العالم العربي والإسلامي، فقد احتوت هذه الرواية على تسع فصول وكل فصل يكاد يكون رواية مستقلة عن الأخرى، ظهر فيهما سلمان رشدي كشيطان دون تخفي لبعض الناس بالرديلة(1).

ومن الأحداث الواردة بالفصل الأول والذي يدور بعض أحداث منه حول قصة سقوط الطائرة فوق القناة الإنجليزية على الرحلة رقم (420) القادمة من الهند إلى لندن، ثم أنتقل المؤلف لبقية الفصول حشر فيها رشدي عدداً من الأحداث التاريخية والأماكن والأشخاص صعوداً وهبوطاً، فكانما كان قريب الشبه بنوع من القردة (الرباح) على هيتته الشيطانية وهو ينتنط فوق شجرة من فرعين، فهو بعمله هذا يتشابه بماضي أسلافه من جماعة التحريف ألا أنه كان أكثرهم جرأة وأكثرهم وقاحة وأكثرهم سخرية وازدراء بالرموز الدينية وتهكماً على ذات الله سبحانه، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُقْلَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فصّلت (40) وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام (108)، ولن أخوض بتفاصيل تلك الرواية المسخ التي يتحملها وزرها فكر الموروث المذهبي للسنة والشيعية وفكر العهد القديم حسب ما سبق القول، والله سبحانه ودين الإسلام والأنبياء والرسل والنبي محمد وأصحابه عليهم السلام براء من ذلك الغناء، كما أقف متألماً من رسوم الكريكتير في الصحف والمجلات العالمية والتي يتم تصويرها للنبي والرسول محمد وأصحابه ونساء الصحابة مستندين في موادهم الإعلانية لهذا الفكر على موروث فقها أحاديث العنينة والقلقة والسيرة، فلا تلوهم لكونهم ينقلون غناء فكر مذاهب السنة والشيعية ولن يتوقف هذا التهكم والسخرية ضد النبي والرسول والصحابة والإسلام والمسلمين ما لم يصحح هذا الفكر المذهبي من أساسه.

والخلاصة:

أرفع نداءً لأخي الإنسان بعقله وفكره أن أفيقوا يرحمكم الله! أفيقوا من دوامة التناقضات في النصوص التي صُنعت لكم من جماعة التحريف على حين غفلة من الزمن!! وعلى مراحل متعددة من تاريخ البشرية وبكل الأديان والطوائف والمذاهب، من أجل تشويه الأنبياء والرسل والرموز الدينية والانحراف بالحق والحقيقة وتكريس العنف والإرهاب والأصولية وخلق مجتمعات وشعوب متقاتلة ومتناقضة.

وعلياً أن نبداً بإعادة كتابة سيرة الرسل والأنبياء وسيرة الرسول محمد وأصحابه عليهم السلام، في ضوء ما ورد بكلام الله في القرآن الكريم لكل نبي ورسول وحكيم ورد ذكره بآيات مفصلة وعامة، وخاصة حسب ما اشتمل عليه من ذكر الأحداث، والأوصاف والمحاسن والخلق الكريم للرسل والأنبياء، حسب قراءة عميقة جداً للآية التي جاءت بوصف مجتمعه في قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ

(1) آيات شيطانية / سلمان رشدي

وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (الفتح: 29)، وتخلصوا من فكر وموروث الطوائف والمذاهب المحرفة للقرآن والمغيبة للحق والحقيقة.

وكفانا قول الله جَلَّ فِي غُلَاهُ فِي كُلِّ الرِّسْلِ وَالرَّسُولِ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: 21) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: 134).

الفصل الثاني عشر

فقه تحريف الفقه الإسلامي: كتاب الرسالة للشافعي أنموذجاً

بطاقة تعريفية:

كتاب الرسالة مؤلفة محمد بن إدريس الشافعي (150 - 204 هـ / 767 - 820 م) الذي قيل عنه أنه ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب مذهب مستقل سمي بمذهب الشافعي، وقيل عنه أنه أحد أهم أقطاب الفقه الإسلامي إذ يعتبر أنه من أسس قواعد أصول الفقه، وأصل مشروعية مدرسته الفقهية على نحو مستقل حسب ما زعم عنه فشمل جميع مناحي دين الإسلام، وهو ما سنباحول دراسته من خلال مؤلفه المسمى (الرسالة) وتوضيحها، والتعليق عليها كنموذج للمقارنة والمقابلة مع آيات القرآن الحكيم والمفصل على النحو التالي:

1-12 كتاب "الرسالة" المقدمة وترجمة السماعات:

ينسب كتاب "الرسالة" لمحمد ابن إدريس الشافعي،⁽¹⁾ الذي حققه أحمد محمد شاكر، 1939م، وصدر من عددٍ من دور النشر العربية كان من ضمنها النسخة التي بين أيدينا الصادرة عن دار العقيدة، الطبعة الأولى 2009م، جمهورية مصر العربية. يذكر المحقق أن الشافعي ولد بغزة سنة (150هـ)، ومات بمصر (204هـ - 820م)، عاش قرابة 54 سنة، ويقال: إنه ولد باليمن إذن هناك روايتان حول مكان ولادة الشافعي، كما أن المحقق اجتهد كثيراً في تضخيم الشافعي فنسب إليه من كل المحاسن والأوصاف البديعة والأخلاقيات الطيبة، وجعل من الشافعي مقياساً للطائف ومحاسن الرجال، فقال: (كفى بالشافعي أنه الشافعي وكفى) قاصداً منه الغاية الأسمى لمعاني الحسن وبديع الوصف، وجمال الصفات، وكفى بهذا الكتاب الذي أطلق عليه "الرسالة" تقريراً أنه من تأليف الشافعي، وأردف المحقق بالقول: إن الشافعي لم يترجم له من أوراق أو كراريس، ثم ذكر المحقق أن الشافعي ألف كتباً كثيرة، كتب بعضها بنفسه والبعض الآخر أملاه على غيره ككتاب "الرسالة" الذي أملاه على الربيع بن سليمان المرادي الذي أعده المحقق من ثقات الرواة عند المحدثين، وذكر في موضع آخر أن الربيع المرادي كان يعمل مؤذناً بجامع عمرو ابن العاص بالفسطاط، عقب دخول الشافعي مصر عام 199هـ، أي قبل وفاته بخمس سنوات، ويرجح المحقق أن الشافعي ألف كتاب "الرسالة" مرتين، "الرسالة" القديم، و"الرسالة" الجديد، غير أن "الرسالة" القديم ألفه بمكة، ويقال ألفه

(1) انظر كتاب الرسالة / محمد بن إدريس الشافعي - الصادر عن دار العقيدة الطبعة الأولى 2009م - يتضمن الكتاب المقدمة والسماعات ثم الجزء الأول وفيه كثير من الأبواب والعناوين حول البيان وما فرض الله والناسخ والمنسوخ، ثم الجزء الثاني وما ورد حول المحرمات والأختلافات والنهي وخبر الواحد، ثم الجزء الثالث وفيه ورد الحديث عن تثبيت خبر الواحد ثم باب الأجماع والقياس والاجتهاد والاستحسان، يقع محتوى الكتاب (446) صفحة.

ببغداد بناءً على طلب عبد الرحمن ابن مهدي، وهو شاب طلب من الشافعي أن يضع له كتاباً مفيداً بما يلي:

1- معاني القرآن.

2- قبول الأخبار.

3- حجة الإجماع.

4- بيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة.

وقد دَوَّن الشافعي بعض ما طلب منه هذا الشاب وأغفل بعضاً منها، ودون مواضيع زائدة وكثيرة لم تكن محل طلب عبدالرحمن مهدي، ومنها على النحو التالي:

العناوين التي لم تكن محل طلب عبدالرحمن ابن مهدي وهي:

1- الجزء الأول: مجموعة عناوين ابتدأها بسؤال كيف البيان؟ ثم ذكر بدءاً بالبيان الأول

والبيان الثاني حتى البيان الخامس، يتحدث فيها عن كيفية البيان من الكتاب والسنة، حشر آرائه الغريبة وتلاعبه بالألفاظ والكلمات واحاديث العنينة ووظف القرآن بالتفسير تارة والتأويل تارة أخرى من هنا وهناك،(1).

2- مجموعة عناوين سماها ابواب حول ما نزل من كتاب عام وخاص وفرض اتباع السنة، وطاعة الرسول بطاعة سنته فيما يطلق عليه "عموم ظاهر النص واتباع السنة" حشر فيها الألفاظ واحاديث العنينة من اجل اقناع القاري بمقدمات بمشروعية تحريف الناسخ والمنسوخ.(2)

3- جملة الفرائض من زكاة وحج وشواهد العدد، والمحرمات من النساء.(3)

4- الجزء الثاني: في محرمات الطعام، وفيما تمسك عنه المعتدة، والعلل في الأحاديث(4).

5- غسل الجمعة والنهي عن معنى أوضح وباب العلم وخبر الواحد(5).

6- الجزء الثالث القياس، باب الاجتهاد، وباب الاستحسان، وباب الاختلاف.(6)

ولا ندري لماذا زاد الشافعي هذه المواضيع الكثيرة عن طلب ذلك الشاب المدعو عبد الرحمن بن مهدي؟

واكتفى بكتابة موضوعين فقط، وهما على النحو التالي:

-
- (1) .كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي حول مجموع عناوين البيان – انظر من 93- 111.
 - (2) .كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي حول ابواب العام والخاص وعموم الظاهر واتباع السنة – انظر من ص 112- 144.
 - (3) .كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي وعناوين حول الفرائض كالصلاة والزكاة والحج وغيرها. انظر من ص 185 – 204.
 - (4) .كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي حول المحرمات من الطعام والعدة – انظر من ص 205- 208.
 - (5) .كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي عن حكم الغسل وخبر الواحد – انظر من ص 263- 306.
 - (6) .كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي حول مصادر اصول الفقه – انظر من ص 370- 445

- 1- بيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، ولعدد خمسة وعشرين صفحة فقط من (144 إلى 169) = (25) صفحة (1).
 - 2- بالإضافة إلى بعض أمثلة من الناسخ من صفحة (227 إلى 263) = (36) صفحة (2).
 - 3- حجة الإجماع من صفحة (367- 370) = (4) صفحات (3).
- وأغفل عن كتابة موضوعين مما طُلب منه بن مهدي، وهما:

- 1- معاني القرآن.
- 2- قبول الأخبار فيه.

ومن الواضح أن التفاوت بين حجم العمل الذي أنجزه الشافعي والعمل المطلوب من ابن مهدي، إذ يساوي (65) صفحة تقريباً، بنسبة 14%، من أصل محتوى الكتاب (المخطوطة) الذي بلغت صفحاته (446) صفحة، أي أن نسبة 86%. مما دون في كتاب الشافعي الذي لم يكن مطلوباً منه، وإزاء هذا أليس من حقنا التسأول حول ذلك بالآتي:

- من أضاف هذه الزيادة ولماذا ؟
 - وهل كانت هذه الزيادة بريئة؟
 - وقبل كل هذا، من هو الشاب عبد الرحمن بن مهدي؟
 - وما هي مكانته العلمية والاجتماعية حتى يكلف شخصاً كالإمام الشافعي كي يكتب له هذا الكتاب "الرسالة"؟
 - ثم لماذا يأتي تأليف هذا الكتاب وغيره بطلب من غير مؤلفيها، كما هو الحال في كتاب الشافعي "الرسالة"؟
- مع العلم أنه جرت العادة في تأليف مثل هذه الكتب أن يكون الطلب من الحاكم أو الخليفة باستثناء هذا الكتاب (مخطوطة الرسالة).

ومما ورد في مقدمة المحقق القول: إن كتاب الرسالة القديم قد فقد أي ضاع وهو نفس السبب الذي يتكرر في أغلب مصنفات كتب فكر مذاهب العنينة (4) ثم يضيف القول: وذهب أدراج الرياح، ولم يتبق غير كتاب الرسالة الجديد الذي ألفه الشافعي بمصر من حفظه، ورجح المحقق أن الشافعي أملى كتاب "الرسالة" على الربيع بن سليمان المرادي، غير أن رواية الجزء الثالث من نفس الكتاب دوّن فيه راوي آخر، هو أبو القاسم عبدالرحمن بن نصر عن أبي علي الحسن بن حبيب عن الربيع بن سليمان، والغريب أن المحقق لم يذكر هذا الراوي

- (1) كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي حول الناسخ والمنسوخ – انظر من ص 144- 169.
- (2) كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي اضافة لامثلة حول الناسخ والمنسوخ – انظر من 144- 169.
- (3) كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي حول موضوع الاجماع –انظر من ص 367- 370 .
- (4) نفس السبب الذي اورده في ضياع مصنفات كتاب المغازي والسير للطبقتين الأولى والثانية وكذلك ضياع كتاب سيرة النبي لابن هشام ، واعتمد بتأليف الكتاب الحالي على رواية العنينة .

بأي تعليق، ويذكر أن تسمية الكتاب بـ"الرسالة"، جاءت من إرساله للمواضيع المحتوية إلى ابن مهدي، وكما يزعم أنه أول كتاب في أصول الفقه والحديث (1)،

ثم يعود محقق الكتاب إلى وصف الشافعي وكتابه، الذي يرى أنه جمع الشافعي فيه من اللغة والأدب والثقافة مادة مميزة، قبل أن يكون كتاب أصول فقه، وأن الشافعي لم تهجنه عجمة، ولم تدخل على لسانه لكنة، ولم تحفظ عليه لحنه أو سقطه، مؤكداً ذلك بما قيل عنه، ومن تلك الأقوال: قول عبد الملك ابن هشام النحوي المعروف بصاحب كتاب "سيرة النبي لابن هشام": (طالت مجالستنا للشافعي فما سمعت منه لحنه قط، ولا كلمة غير أحسن منها) وقال: جالست الشافعي زماناً فما سمعته تكلم بكلمة إلا إذا اعتبرها المعبر، لا يجد كلمة في العربية أحسن منها، وقال أيضاً: الشافعي كلامه لغة يحتج بها.

ويبدو أن جماعة ابن هشام وأبن إسحاق والشافعي يتبادلون الإشادات فيما بينهما حسب ما ورد، فكل منهما يشيد بالآخر على أعمال (الضائعة)، فقد سبق للشافعي أن شهد لجماعة ابن إسحاق بما ألفاه من كتاب السيرة النبوية الذي ضاع أيضاً، وهذه الشهادة أو الإشادة المتبادلة، دليل على وجود اتصال وثيق بين الشخصيتين، ومنهاجهما مع اتصالهم الفكري الواحد، وهو ما يظهر من استقرار نفس المادة، والموضوع والهدف لكلا المؤلفين، كتاب الرسالة وكتاب سيرة النبي لابن هشام بل وكل كتب المذاهب والفرق. وأرجح أن كلا المؤلفين خرجا من حجرة واحدة، وبالعودة لكلام المحقق للتعريف بالشافعي حيث قال: كما قال الأصمعي في هذا: صحت أشعار هذيل على فتي من قريش، يقال له محمد بن إدريس الشافعي. وقال ثعلب: العجب أن بعض الناس يأخذون اللغة عن الشافعي، وهو من بيت اللغة، والشافعي يجب أن يؤخذ منه اللغة، لا أن تؤخذ عليه اللغة، كما جاء بشهادة الجاحظ في أدبه وبيانه، بالقول نظرت في كتب هؤلاء الذين نبغوا في العلم، فلم أر أحسن تأليفاً من المطلبي، كأن لسانه ينظم الدرر، يقصد بالمطلي الشافعي.

ويرد محقق الكتاب بقوله إن كتب الشافعي كلها مثال رائع من الأدب العربي النقي في الذروة العليا من البلاغة، يكتب على سجيته ويملي بفطرته لا يتكلف، ولا يتصنع أفصح نثر تقرأه بعد القرآن العظيم، والحديث حسب ما دُون في مقدمة الكتاب (2).

كما يذكر المحقق اثنا التعريف بالكتاب والكاتب: أن هذا الكتاب قد عني بشرحه أئمة العلماء السابقين منهم، أبو بكر الصيرفي الذي قال: إن الشافعي أعلم خلق الله بالأصول، وأبو الوليد النيسابوري، والقفال الكبير الشاشي محمد بن علي بن إسماعيل، وأبو بكر الجوزقي النيسابوري، وأبو محمد الجويني. ويضيف المحقق بالقول: أن كتاب "الرسالة" مكتوب كله بخط الربيع، (وهذا تناقض مع وجود راو آخر هو أبو القاسم عبد الرحمن كما سبق ذكره) وهو مدون في ثلاثة أجزاء، وأن أصل الكتاب كان لدى الربيع، ولم يأذن لأحد في نسخه حتى

- (1) . الرسالة للشافعي هو نفس الأسم المستخدم من جماعة التحريف في الكثير من أعمالهم فقد أعتمد بتأسيس فكر الدروز على رسائل الحكمة من حمزة الزوزني ورسائل اخوان الصفاء في تأسيس الفكر الباطني ورسائل حسن البناء في تأسيس جماعة الأخوان المسلمين ورسائل محمد عبدالوهاب في تأسيس السلفية الوهابية وغيره .
- (2) .كتب الرسالة / محمد ادريس الشافعي انظر ص 9.

أذن بنسخه في سنة (265هـ) بعد أن جاوز عمره التسعين، ولا ندري لماذا بلغ هذه العدد من المواضيع، على الرغم من أن طلب بن مهدي لا يتعدى أربعة مواضيع فقط، أنجز منها موضوعين، حسب ما أورد المحقق في مقدمة هذا الكتاب، كما جاء بشهادات جماعة من الفقهاء والعلماء للشافعي حول هذا الكتاب مقدمة الكتاب للمحقق⁽¹⁾ من أجل إضفاء المصادقية عليه، ومنهم:

- شهادة (أحمد ابن حنبل)، الذي قال عن الشافعي: كان الشافعي كالشمس للدين، وكالعافية للناس. فانظر هل لهذين من خلف أو منهما.

- شهادة المزني: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى، صاحب الشافعي الذي توفي سنة (264هـ): قال قرأت كتاب الرسالة للشافعي خمسمئة مرة، ما من مرة منها إلا واستفدت فائدة جديدة لم استفدها في الأخرى، وقال: أنا أنظر في كتاب الرسالة عن الشافعي منذ خمسين سنة ما أعلم أنني نظرت فيه من مرة إلا وأنا أستفيد شيئاً لم أكن عرفته، وفي قول المزني ما يتناقض مع قول سابق من أن الشافعي لم يعد لديه أغلب كتبه، ومن ضمنها كتاب الرسالة، فقام بإملائه على الربيع المرادي عقب دخوله مصر، وأن هذه النسخة كانت بخط الربيع، وقد أجاز الربيع بن سليمان صاحب الشافعي نسخ كتاب "الرسالة"، في ذي القعدة سنة (265هـ)، وكتب الربيع بخطه: (نفهم منه أنه كان ضنيناً بهذا الأصل، لم يأذن لأحد في نسخه من قبل، حتى أذن في سنة (265هـ)، فكيف قرأه خمسمئة مرة؟ وكيف نظره لأكثر من خمسين سنة؟ وهو لم ينسخ بعد!! مع العلم أن كتاب "الرسالة" خرج للنسخ بعد عام من وفاة المزني حسب زعم ابن الربيع! هذا بحسب ما أورده محقق الكتاب عن المزني وابن الربيع، وهذه جملة من التناقضات في مقدمة تحقيق الكتاب.

وعن التشكيك بتاريخ كتابة هذه النسخة، ذكر محقق الكتاب أن الدكتور (ب. موريتس)⁽²⁾، شكك في تاريخ كتابة هذه النسخة، فقرر برأيه حول كتابة (الخطوط العربية) أن (مخطوطة الرسالة للشافعي) دونت سنة 350 هـ تقريباً، خلافاً لما جاء في مقدمة المحقق الذي رجح أنها كتبت في الفترة ما بين دخول الشافعي مصر (199هـ)، ووفاته في (204هـ).

وفي رأيي ليس مهما الخوض في صحة هذا الادعاء من عدمه، ذلك أن الخبرة في فحص الخطوط وإظهار نتائجها هي مهمة الخبراء المختصين في كشف تزيف الخطوط وتحديد عمرها، دون غيرهم، لاسيما وأن العلم الحديث في هذا المجال قد تطور كثيراً في تقنياته، ومن غير الجائز إغفال ما ذكره محقق هذا الكتاب حول التشكيك في نسبة كتاب آخر للشافعي، وهو (الأم) وهو مسند المذهب على لسان الأستاذ الدكتور زكي مبارك، الشخصية الأكاديمية والعلمية الفذة الذي نال عدداً من شهادات الدكتوراه لعدد من الرسائل العلمية، ويصفه المحقق بالصديق والأديب الكبير الذي أكد أن الشافعي لم يؤلف هذا الكتاب، يقصد

(1) كتاب الرسالة / محمد ادريس الشافعي في مقدمة المحقق حول نباغة الشافعي في اللغة - انظر من ص 10-19.
(2) كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي . د ب. موريتس كان مدير الدار المصري للكتب المصرية من 1896م-

"كتاب (الأم)" مستنداً إلى رواية أبي طالب المكي في كتاب "قوت القلوب" ونقلها عنه الغزالي في كتاب "الإحياء"، وجاء فيها أن كتاب الأم ألفه البويطي، ثم أخذه الربيع بعد موته فادعاه لنفسه وهو ليس محل دراسة هنا.

أمّا الأمر المهم الذي يعيننا من مخطوطة الشافعي المسمى بالرسالة هو المادة العلمية التي يحتويها كتاب الرسالة سواءً كتبها الشافعي أو غيره، وعن أهم ما جاء به محقق كتاب الرسالة نفسه حول وجود الكثير من الأخطاء اللغوية التي أشار إليها وتضمنتها مقدمة الكتاب، وهي أخطاء تنسف كل الشهادات والإشادات السابقة تجاه الشافعي من كونه حجة في اللغة والأدب والشعر، وإن نثره يقارب نضم القرآن الكريم في القراءة، نورد منها: (1)

- 1- إن كل ما ينطق ألفاً في آخر الكلمات يكتب بالياء.
- 2- كلمة (حتى) كتبها بالألف (حتا).
- 3- كلمة (حكي) كتبها بالألف (حكا).
- 4- كلمة (مستغنى) كتبها بالألف (مستغنا).
- 5- كلمة (سوى) كتبها بالألف (سوا) إلى آخر ما جاء من أخطاء حسب ما ذكر محقق الكتاب.
- 6- إذا كانت الكلمة تنطق بإمالة الألف، لم يكتبها ألفاً، بل كتبها ياء، إشارة إلى الإمالة مثل (هؤلاء) كتبها: (هاولي) وكذلك (الإيلاء) كتبها (الإيلي) بكل مواضع الكتاب.
- 7- كلمة مثل (ابن عباس) فيحذف الألف مطلقاً منها فيكتبها بدون الألف دائماً (بن عباس).
- 8- كلمة (ههنا) كتبها بالألف (هاهنا).
- 9- كلمة (هكذا) كتبها بالألف (ها كذا).
- 10- يقسم الكلمة الواحدة في سطرين إذا لم يسعها آخر السطر، على سبيل المثال كلمة (أستدللنا) و(زوجها)، وفيها حالات كثيرة حسب إفادة المحقق بصفحة (16) من كتاب "الرسالة".
- 11- أورد كلمة غريبة لا أصل لها بمعجم اللغة العربية وهي كلمة (النذارة) (2).

وخلاصة القول: فإن كل هذه الأخطاء الإملائية التي أوردتها محقق الكتاب وغيرها كثير لا تستقيم مع ما قيل عن الشافعي من أنه حجة على اللغة، بل هو اللغة التي يقاس بها غيره، وشهد على ذلك جمعٌ من العلماء سبق ذكرهم مع ما رجحه محقق الكتاب وشهد على ذلك.

والحقيقة فإن الصياغة اللغوية والموضوعية إلى جانب الأخطاء الإملائية لمجمل كتاب "الرسالة" يوحى بركاكة الألفاظ وعشوائية الترتيب، وفي موضع آخر يذكر المحقق أن الشافعي أُمليَ كتاب الرسالة من ذاكرته على خادمه الربيع المرادي الذي يعرف به محقق الكتاب من أنه ولد سنة (174هـ)، وكان الربيع مؤدناً في جامع عمرو ابن العاص بالفسطاط

(1) . كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي . انظر ص 15. 16.
(2) . كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي . انظر ص 16. سطر (8).

(مصر)، وكان يقرأ بالألحان، ومعنى هذا فإنه كان كاتباً قارئاً في أواخر القرن الثاني، فقد تعلم الخط والقراءة صغيراً كما يتعلم الناس، ودخل الشافعي مصر في أواخر سنة 199 هـ حسب الزعم وكان الشافعي يقول للربيع (أنت راوي كتبتي)، ويذكر محقق كتاب "الرسالة" في صفحة (13) أن كل شك في نسب هذه النسخة للشافعي لا عبرة فيه، طالما كان احتفال العلماء العظماء والأئمة الحفاظ الكبار بها منذ سنة (394هـ) إلى (656هـ)، وإثبات خطوطهم عليها، وسماعاتهم وتوقيعاتهم على ذلك. فهل هذه السماعات من العلماء كافية كإشادات وشهادات علماء اللغة والأدب، والنحو على بلاغة الشافعي، رغم تلك الأخطاء اللغوية التي توحى، بل تؤكد أن كاتب هذه المخطوطة (الرسالة) يفتقر لأساسيات بسيطة في مبادئ كتابة الكلمات في اللغة العربية ويوحى أن كاتبها غير عربي.

ويختتم محقق كتاب الرسالة مقدّمته للكتاب بسرد السماعات، وما ألحق بها من أسماء الأشخاص والتواريخ وأماكن السماع كالقاهرة ودمشق، بما يعنى أن هذا الكتاب قد اقتني من أشخاص عاشوا بدمشق، ثم عاد المحقق للقاهرة،⁽¹⁾ مبيناً ما اشتملت عليه من الأسانيد والتوقيعات وفهرس لأعلام السماعات، وما ألحق بها من صور لنماذج من صفحات لمخطوط الكتاب، بادلاً مجهوداً كبيراً لإقناع القارئ في صحة نسبة هذا الكتاب (الرسالة) للشافعي مع كل هذه التناقضات، ومع كل هذا الجهد من الأستاذ المحقق أحمد محمد شاكر الذي أزعّم أنه ربما يكون حسن النية في خدمة الإسلام، كما يبدو أنه أخذ موضوع بحثه وتحقيقه من زاوية عاطفية، من خوفه من فقد حلقة الوصل والاتصال بين قواعد الفقه الإسلامي القديم وهمزة اتصالها بواقع اليوم وهي حجة نسمعها من الكثيرين ممن يمجّدون نقل وفكر المذاهب، ومن أجل إحياء الفكر العربي الإسلامي والمحافظة عليه من الضياع والاندثار، فعمد إلى تحقيق هذا المخطوط متأثراً بكم هائل من التركة الثقيلة لفكر المذاهب الإسلامية، وما فيها من الغث الذي بدأت بوادر نقده وتمحيصه ومقابلته ومقارنته مع القرآن الكريم تظهر اليوم.

وخلاصة القول: فإن هذا التهويل في وصف الكتاب والكاتب أمر معتاد في مثل هذه المؤلفات، من أجل إضفاء هالة من العظمة والتضخيم عليها والتقديس لمحتواها، وهذا ليس المهم كما أرى، بل المهم هو الجانب الموضوعي من هذا الكتاب (مادة الكتاب)، ومن تلك المواضيع موضوع (الناسخ والمنسوخ، والقياس، وخبر الأحاد) وغيرها، وهو ما نحاول تفحصه وبحثه والرد عليه ثم مقابلته ومقارنته وعرضه على القرآن العظيم ووضع القاري على نتائج ذلك وعلى النحو الآتي:

2-12 تصنيف الناس حال البعثة:

ابتدأ مخطوط كتاب الرسالة بذكر اسم الربيع بن سليمان الذي قال: أخبرني أبو عبد الله محمد بن إدريس، ثم أورد تعريفاً مسهباً بنسب الشافعي إلى أن وصل إلى بني هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلب بن ابن عم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ثم حمد لله، وذكر

(1) كتاب الرسالة / محمد بن إدريس الشافعي . انظر من ص 20 - 82.

حال الناس أثناء بعثة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام فقال بعث الله الرسول، والناس صنفان.

الصنف الأول: أهل الكتاب (اليهود) وصفهم بأنهم بدلوا من أحكام الله وكفروا بالله فافتعلوا كذباً صاغوه بألسنتهم فخلطوه بحق الله الذي أنزل إليهم وذكر عدداً من الآيات القرآنية التي تتحدث عن أهل الكتاب.

الصنف الثاني: وهم العرب وصفهم بأقذع الكلمات، وأنهم أهل شرك وعبداء الأصنام وأنهم ابتدعوا ونصبوا بأيديهم حجارة وخشباً وصوراً استحسنتوها ونبزوا أسماء دعواها آلهة عبدوها، فإذا استحسنتوا غيرها ألقوها ونصبوا غيرها فأولئك العرب، وعلى إثر العرب سلكت طائفة من العجم سبيلهم في هذا، وفي عبادة ما استحسنتوا من أصنام ومن حوت ودابة، ونجم ونار وغيره، فجعل من العرب قدوة سيئة لغيرها من الأمم الأخرى في الشرك بالله وعبادة الأوثان ونصب الأصنام وغير ذلك (1).

فهل هذا حال الناس عند بعثة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام؟

والحقيقة أن من تنطبق عليهم هذه الأوصاف والأفعال هم اليهود على مر تاريخهم المتصفين بالفساد والجدل والكذب والتحريف والافتراء على الله سبحانه واستنساخ الآلهة، وليس العرب.

الرد المختصر على تصنيف الشافعي لحال الناس عند بعثة النبي:

السؤال المهم: ما الذي استند إليه الشافعي في تصنيفه هذا؟ ولماذا استبعد كثيراً من الشعوب والأمم والحضارات الإنسانية آنذاك؟ ألم يكن يعرف شيئاً عن الصين والهند والفرس من جهة المشرق، والرومان والمصريين والبربر من الشمال والغرب، ثم السودان والأحباش من الجنوب؟ ولذا سنقوم بعرض بعض ما أغفله الشافعي من الناس هنا:

(1) الفرس:

يقطن الفرس جهة الشرق للجزيرة العربية إذ كانوا يهيمنون على معظم الشرق الأوسط والشرق الأدنى ووسط آسيا، فهم كما كانوا يعرفوا بالحضارة الفارسية الساسانية، ولديهم أرث كبير في مختلف مناحي الحياة في الفلسفة وعلم الفلك والآداب وغيرها، كما أنهم ورثوا الكثير من فنون حضارة بابل التي احتلها الفرس بمساعدة اليهود في حقبة من التاريخ، ولقد وصلت تلك الحضارة من المكانة العريقة واستطاعت من خلال نفوذها القوي أن تبسط سيطرتها على شعوب وأمم كثيرة وصلت في الجغرافية السياسية إلى أجزاء من شمال ووسط آسيا وأجزاء من الهند بما في ذلك احتلالها لبلاد بابل (بلاد الرافدين) وكانت على حروب دائمة مع الدولة الرومانية، وفي عصر من العصور احتل الإسكندر المقدوني بلاد فارس، ودمر المملكة الساسانية، وبعد موت الإسكندر استعاد الفرس مملكتهم، واستعادوا سيطرتهم على بلادهم

(1) . كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي . انظر ص 86.

ومعظم البلدان المجاورة لهم، وظلت الدولة الفارسية في حالة استقرار ردياً من الزمن ساد فيها الحكم الملكي، وهناك محطات وشواهد على ذكر بعض حياة هذه الحضارة في القرآن بصورة ضمنية كما ذكر في سورة المسد وهي تصف عبادتهم للنار المقدسة بوصفهم أصحاب اللهب بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيِّئُ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (المسد: 1، 2، 3، 4، 5)، وهذه السورة تتحدث عن عقيدة حضارة الفرس وعن تقديسهم لحطب النار المقدسة حسب ما جاء بكتابهم المقدس أفسنا، ألا أن جماعة التحريف أولت وفسرت هذه السورة على شخصية اصطنعوها وأدعوا كذباً أنها تخص عم النبي بقصد الإساءة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام.

وهناك سورة أخرى تتوافق بالوصف على شعوب هذه الحضارة بما فيها بلاد السند والهند فنذكر سورة الفيل: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّاكُولٍ﴾ (الفيل: 1، 2، 3، 4، 5)، وآيات أخرى حول وأد الأنثى وهي حية ولا زالت هذه العادة السيئة قائمة إلى وقت قريب لدى بعض الهندوس: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: 8، 9)، وعلى الرغم من ذلك فقد دست جماعة التحريف هذه الآيات حول تلك الأحداث تحريفاً وكذباً ولصقه بالعرب.

وقد سادت حياة تلك الشعوب والأمم صعوداً وهبوطاً في محطات من التاريخ، تختلف من وقت لآخر حسب الطبيعة السياسية للسلطة الحاكمة، ويلعب استقرار الدولة الشيء الكثير في حياة الناس، والعكس من ذلك، فعند انتشار الفساد والظلم وسوء الإدارة واستفحال القهر الاجتماعي وغياب العدل في الدولة وفي أوقات مختلفة يحلُّ بها التفكك والصراع فكان ذلك في مملكة فارس الأمر الذي أدى إلى قيام الحروب بين أقاليمها المختلفة، فأصابها الضعف نتيجة تلك الصراعات الداخلية وغيرها، ومع بدء تكوين الدولة العربية حشد الفرس الجيوش للحرب ضد العرب، إلا أنهم هزموا بعد سلسلة من المعارك التي أدت بفارس للانهايار على يد العرب، ومع ذلك نرى الشافعي يحجم عن ذكر هذه الحضارة.

(2) اليونان والرومان:

وهم شعوب متعددة من اليونان والرومان ومقدونيا وغيرها من جهة الشمال للجزيرة العربية، وقد أسهمت هذه الشعوب بالإبداع الحضاري في جميع فنون الحياة، إذ بلغت اليونان (أثينا) والرومان (روما) الذروة في الفلسفة والعلم والفن وكذلك في السيطرة والنفوذ حتى وصلوا لعمق القارة الأوروبية شمالاً وغرباً ومن جهة الشرق، وعلى معظم أقاليم حوض البحر المتوسط بما فيها الساحل الأفريقي جنوباً، واستمرت هذه الحضارة لقرون عدة برز فيها عدد كبير من الفلاسفة أشهرهم: هرقليس - أرسطو - طاليس - سقراط - أفلاطون، وغيرهم كثير، فقد أسسوا مناهج علمية ومذاهب فكرية، ازدهرت بهم أثينا وروما، ومقدونيا والإسكندرية، واسبرطا وغيرها من حواضر اليونان قبل وبعد مولد السيد المسيح عليه السلام، وبعد ذلك دخل (الإسلام) الإيمان المسيحي إلى حواضر الدولة الرومانية واليونان واستمروا

على هذا الحال، فظهرت خلالها عدد من الممالك والحكومات بما فيها عصر الجمهوريات والديمقراطية.

وفي هذه العصور المتتالية من الازدهار الحضاري لأثينا وروما، صيغ ونصوص القانون الروماني الذي كان علامة حضارية فارقة، وقيمة إنسانية رائعة في تاريخ الإنسانية، بل كان له أثر مباشر في ازدهار الدولة في تلك الحقبة من التاريخ، وما زال تأثير القانون الروماني على حياة الشعوب والأمم والحضارات الإنسانية حتى يومنا هذا، وقد توج القرآن الكريم ذكر روما بسورة كاملة سميت باسم سورة الروم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الْمَ غَلَبَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاهُ: ﴿يَبْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْفِ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 1، 2، 3، 4، 5، 6)، غير أن سيطرة الكنيسة على كل مفاصل الحياة في الدولة قد قلب الموازين وتحول نظام الحكم المدني الديمقراطي إلى نظام الحكم الديني، ما أدى إلى احتكار الحكم السياسي بأسم الدين فأستاثروا بالدين والدنيا ثم أنقسمت الدولة بين مملكتين أو دولتين هما غربية (روما - واثينا والحوضر التابعة لها من جهة الغرب) وشرقية (القسطنطينية والحوضر من حولها من جهة الشرق)، ثم ما لبث أن دب الصراع والاضطرابات والانقسامات بينهم، ومع بعثة النبي محمد عليه السلام وقيام الدولة العربية سيطر العرب على أجزاء كبيرة من هذه الدولة خاصة الشرقية منها وبقيت دولة روما واثينا من الغرب في حالة من الركود الحضاري بسبب فساد الدولة الدينية فيها، ومع ذلك نجد الشافعي يحجب هذه الحضارة عن الذكر.

(3) المصريون:

عرف المصريون أنهم من أقدم الحضارات الإنسانية التي ما زالت آثارها خالدة تبهر العالم حتى يومنا هذا، وذلك يرجع إلى ما وصلت هذه الحضارة من التقدم المعرفي والحضاري في مختلف نواحي الحياة، إذ كانت تمتد على ضفاف نهر النيل من منبعه في الجنوب وسط أفريقيا حتى مصبه في البحر المتوسط شمالاً، وقد خلّد القرآن ذكر عدد من الأحداث المهمة التي دارت في تلك الحقبة التاريخية، نذكر منها، قصة النبي يوسف عليه الصلاة والسلام (سورة يوسف) وكيف عاش هو وأبوه النبي يعقوب (إسرائيل) عليهما الصلاة والسلام وأبناؤه من بني إسرائيل حياة إيمانية مع ملوك مصر المؤمنين، فصوّر القرآن مشهد دخولهم مصر آمنين، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ (يوسف: 99)، ثم جاء من بعده رسول الله موسى عليه السلام وقصته مع فرعون وهامان وقارون المعروفة، وقد ذكرت تفاصيلها في القرآن الكريم.

كما أن المصريين في الوقت نفسه قد كانت حالة الإيمان راسخة ومتجذرة في حياتهم عبر التاريخ، وسورة غافر وغيرها تبين الوصف الإيماني (الإسلام) السائد في ذلك الوقت من المصريين المدافعين عن الحق والإيمان، وسوف ننسخ لكم بعض الآيات، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُؤَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (غافر: 28، 29، 30، 31، 32، 33).

ثم يذكرهم بما كانوا عليه أيام النبي يوسف من الإيمان كدليل على ترسيخ عرى الإيمان والإسلام بمصر، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ﴾ (غافر: 34)، ثم نرى قوة الإصرار على الصدق بالحق لدى بعض الملأ من المصريين ببقية آيات سورة غافر وكأنما كانوا كالأنبياء في دعواهم لقومهم للحق قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُصُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ (غافر: 38، 39، 40، 41، 42، 43، 44، 45)، ومع ذلك نرى الشافعي لا يلتفت لذلك، ولا يسمو لمجد الحضارات الإنسانية التي كانت أشبه بنار على علم، ومنها حضارة مصر، وأيضاً مصر القبطية التي فتحت أبوابها للإسلام كحاضنة لدعوة السيد المسيح الإسلامية فكانت مصر مستعمرة رومانية حتى بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، لكنها سرعان ما تحولت لحاضنة جديدة لقيم الإيمان والهدى لدعوة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وهكذا كان المصريين كأسلافهم المؤمنين الذين ترسخ فيهم حب التدين وأتباع الهدى.

ومن المعلوم أن المصريين كان لهم الفضل في احتضان بني إسرائيل لقرون عديدة عاشوا فيها حياة يسودها الوئام في أغلب المحطات من التاريخ القديم، ومع هذا كله وغيره، إلا أن جماعة التحريف (من الشافعي وغيره) أظهرت الجانب السيء عن مصر (فرعون) وحاولت أن تغيب دور مصر عن الأحداث العظام في كتب السير والتاريخ انتقاماً وحقد وكرهية منهم على ما أعتقد، وهو نفس نهج الكراهية والحقد لبلاد الرافدين (العراق وسوريا) وكذلك بلاد العرب.

(4) الأحباش:

نشأت مملكة الحبشة أو دولة الأحباش التي تقع على هضبة الحبشة في الجزء الشرقي لأفريقيا بما فيه القرن الأفريقي، وما تضم من شعوب وقوميات وقبائل كثيرة تتناسب كثيراً منها للعرب، وقد أمتد نفوذها من أدغال غابات أفريقيا جنوباً وغرباً وتداخل نفوذ هذه الدولة أو

المملكة بالعرب من اتجاه الشمال وصولاً للجزيرة العربية (اليمن)، فكانت حالة هذه المملكة مستقرة وقائمة نوعاً ما حتى بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، وقد تناساها الشافعي عمداً وليس جهلاً لارتباطها الأخوي المتين بالعرب.

(5) البربر (الآمازيغ):

وهم شعوب قديمة استوطنت شمال غرب القارة الأفريقية، ويقال أن بعض منهم هاجروا من جنوب الجزيرة بعصر دولة سبأ نتيجة سيل العرم وخراب سد مارب واختلطوا بقبائل أخرى، فاستوطنوا شمال غرب أفريقيا بمحاذاة البحر المتوسط، وحتى سواحل الأطلسي وكونوا عدداً من الممالك والدول القوية والنافذة، وقد وصفوا بالقوة ولهم تاريخ حافل من المجد والتاريخ العريق ومن قاداتهم (حنبل) القائد القرطاجي العظيم الذي ما زال العالم يدرس خططه العسكرية في الكليات الحربية والأكاديمية العليا، وقد هزم روما، وكان هذا الشعب حاضراً بقوة على ساحل شمال أفريقيا حتى بعثة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ومع ذلك فقد تناساهم الشافعي عمداً.

(6) اليهود:

وجد اليهود كجماعات مشتتة بعد سقوط الحضارة البابلية، وتخليصهم من الأسر على يد ملك فارس فتوزعوا في أقاليم متفرقة من أرض فارس، مثل بخارى وخرسان وأذربيجان والسند وغيرها من الأقاليم، وبقي منهم ببابل وبلاد ما بين النهرين وغيرها من المناطق المتفرقة، ومنهم من عاشوا في كنف الدولة الرومانية، فعاشوا مشتتين مع أغلب الشعوب على شكل جماعات محصورة لعصبويتهم الدينية المقيتة.

ومع عيشة اليهود في أماكن كثيرة إلا أنهم لم يندمجوا مع تلك الشعوب في تلك الأقاليم والمناطق بسبب عصبيتهم الدينية، لتمسكهم باللغة العبرية والدين الذي ارتبط بهم كفكر مؤروث ومحصور بهم دون غيرهم، حسب النص الديني العنصري العصبوي لليهود، والذي ساعدهم في الحفاظ على هويتهم القومية والدينية، وعدم الاندماج مع الشعوب والحضارات الأخرى، ويرجع عدم اندماجهم بالمجتمعات الأخرى لعدد من العوامل والأسباب الكثيرة حسب ما سبق ذكره، بالإضافة لانحيازهم كجنس عنصري صنعه عبر كهنتهم وحاخاماتهم في نصوص كتبهم المقدسة ك: التوراة والتلمود والمدارش وغيرها، وأصبح الفرد اليهودي مثقلاً بآثار الأوامر والنواهي الدينية التي تنطوي مضامينها على الكراهية والحقْد على الشعوب والأمم كافة، وتظهر اليهود كشعب مقدس ومختار من الله وما دونهم من الناس سخرة لهم.

وقد ذكرهم الشافعي بلغة الإشادة الضمنية في أكثر من محل بمخطوطته الرسالة، ومع ذلك نجد القرآن الكريم يتحدث عن بعض المنتسبين لهذه القومية وعملها وأهدافها بصورة مفصلة في الكثير من المحطات كما في هذه الآية قَالَ جَلَّ فِي غَلَاة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا

أَوْقِدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ المائدة (64).

7) العرب:

لم يكن العرب بذلك بالسواد القاتم من الجهل المطبق، وأنهم علامة لغيرهم من العجم في عبادة الأوثان والصور والدواب والنار، حسب ما جاء على لسان الشافعي، فقد حاولت جماعة التحريف تأويل بعض النصوص لوصف حال العرب من أنهم كانوا يعبدون الأوثان حسب تأويلات كاذبة كما في هذه الآية قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ نوح (23) وكما هو معلوم فإن هذه المسميات الوثنية: (ودا، سواعا، يغوث، يعوق، نسرا) أسماء آلهة قوم نوح وليس العرب، فقد نسبت جماعة التحريف كذباً أن للعرب نهج في عبادة هذه الأوثان على نفس نهج قوم نوح، حسب ما جاء بأحاديث العنينة فتقولوا كذباً أن آلهة سواح كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لقبائل مراد وبني غظيف بسبأ، وأما نسرا فكانت لحمير ولآل ذي الكلاع، وأما يعوق فكانت لهمدان، فكان هذا الكلام وغيره محض كذب وافتراء من جماعة التحريف جاء به الشافعي بصورة أو بأخرى.

والعرب أول من لبس تيجان الملك في الأرض من بعد قوم نوح فكان منهم قوم عاد وثمود والأحقاف والتتابة وسبأ المذكورين بآيات القرآن العظيم في أكثر من حدث، وفي كثير من العصور، إلى أن جاء سيدنا إبراهيم عليه السلام وبنا الكعبة – البيت الحرام ببكة من أرض العرب في العهد البابلي القديم فأسلم العرب بدعوة التوحيد مع سيدنا إبراهيم ومنذ ذلك العهد والعرب مسلمون أحناف على دين سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، إذ إن دين الإسلام كان حاضراً لدى العرب منذ ذلك الوقت، كيف لا وقد أسس مداميك هذا الدين سيدنا إبراهيم وأبنة إسماعيل عليهم السلام للناس أجمعين بوحى من الله سبحانه، وبين ظهرانهم البيت الحرام (الكعبة)، وهم على صلة بها على الدوام فكانوا يقومون بشعائر ومناسك الإسلام من صلاة وصيام والحج للبيت الحرام بمكة، ويعلمون علم اليقين أن من رفع قواعد هذا البيت هو خليل الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وأطلق إبراهيم دعاءه المشهور الذي ظل صداه يتردد على مسامع البشرية منذ ذلك الحين، وما زال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وبقي علامة فارقة في جبين التاريخ لا امتداد نور الله تعالى من هذا المكان والزمان، ومن دعوة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى أن توج الله سبحانه وتعالى ببعثة سيد الهدى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد جاءت الآيات القرآنية ترجمة حقيقية لهذا الحدث، قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: 126، 127، 128، 129). فعاش العرب

المسلمون الأحناف مع اليهود والنصارى والمسيحيين في أرض العرب المترامية الأطراف – سبأ، حمير، ومعين، وعمان، والحيرة والحجاز، والشام، والحبشة وغيرها، وكان لقصة نصارى نجران، وقصة الأخدود المعبرة عن واقع معاش لحال المؤمنين آنذاك، حسب ما صورتها آيات من سورة البروج عن أصحاب الأخدود إن صح القول على أنهم من أقوام العرب: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا فُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (البروج: 8، 7، 6، 5، 4، 3، 2، 1).

والمعروف أن العرب كانوا يملكون من القيم والأخلاق العربية الأصيلة المتجذرة في أصولهم وأحوالهم، ولا يخفى على أحد ذلك، والعرب وهم سلالة بشرية من أقدم الحضارات التي خلدها القرآن الكريم حسب ما سبق الإشارة إليهم، ومنهم قوم عاد، وثمود والأحقاف وتبع وسبأ جاء منهم الأنبياء والرسل وهم هود وصالح وذو القرنين عليهم السلام وغيرهم من الرسل لا يعلمهم إلا الله سبحانه، كما كان للعرب في العصور المتعاقبة دول وممالك متعددة متعاقبة، منها: دولة سبأ العظيمة وكندة ومعين، وقتبان وأوسان ودولة حمير، وعمان وغيرها، على امتداد رقعة من الأرض الواسعة تمتد جنوباً (من الحبشة بما فيه بحر العرب وخليج عدن) وحتى تخوم الشام شمالاً، ومن الشرق الخليج العربي والفارسي وحتى الغرب بحر القلزم (البحر الأحمر)، وقد أكتشف فيها أقدم أثر لبقايا حياة إنسان عاش على الأرض، وكان آخرها وجود إمارات وممالك متفرقة مثل مملكة الحبشة جنوباً، ومملكة المناذرة والحيرة شرقاً، ومملكة الغساسنة في الشام شمالاً، غير أن الشافعي اقتصر من العرب قريشاً، وجعلها كل العرب، والحقيقة التي تعمد إغفالها أن قريشاً ما هي إلا أصلاً من نسل عريق لشجرة العرب المتجذرة في التاريخ الإنساني، وقد حاول الشافعي وغيره تقسيم العرب بين عدنانيين وقحطانيين، وهذا التقسيم لا محل له في سلم العرب منذ القدم.

والنظرة السريعة لحال تلك الشعوب في تلك الحقبة من التاريخ، نذكر بعضاً منها ونترك الآخر لكتب التاريخ للمزيد من المعرفة التاريخية، غير أن حال العرب كان يغلب عليها جانب من الاستقرار والأمن، وقد صور هذا المشهد القرآن الكريم في سورة قريش، قال تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِلِيلَافٍ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش: 1، 2، 3، 4)، ومع ذلك بقي العرب يعيشون على إرث كبير من الأعراف الاجتماعية التي تنظم الحياة وأنظمة الري والزراعة، وخاصة في الجنوب ومازال منها قائم حتى يومنا هذا، ومن أهم هذه الأعراف قواعد الاحتكام العرفي في جميع قضايا المجتمعات القبلية بما تتضمنه من أعراف متينة لنصرة المظلوم، وإكرام الضيف، والذود عن الحمى والشكيمة وسمو الأخلاق وأنعدام الانحلال، وأنعدام النسخ الاجتماعي، حسب ما يمتلكون من الغيرة والحمية للشرف والذود عنه، واحترام وصون المرأة، كيف لا وقد كانت حاکمة دولة سبأ امرأة حكمت بالشورى كنظام سياسي رفيع تأسس على أثره أنظمة الحكم السياسي المدني في القرون المتعاقبة الذي أمتد لعصر

الديمقراطية بدولة أثينا وروما، غير أن مجتمعاتهم لم تكن فاضلة بكل المقاييس، بل كانت هناك بعض الحروب القبلية، والعادات السيئة وهذا لا يخلو منها أي مجتمع، مهما كان، ولذلك كان اختيار الله سبحانه وتعالى لمحمد نبياً ورسولاً من وسط هذه القومية ذات القيم الأخلاقية المتأصلة لدى العرب، على اعتبار أن العرب كانوا قوماً مؤهلين لحمل رسالة السماء التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم فحملوها وكانوا أهلاً لها، بعد أن دخلوا في دين الله أفواجا ونشروا الإسلام بين الشعوب والأمم ليس بحد السيف، كما تصوره جماعة التحريف في فقه السيرة - التاريخ الإسلامي، وإنما نشروه بالعدل والرحمة والحرية الدينية، دون تمييز في الجنس واللون والمحافظة على كرامة الإنسان بكل معانيها، فدانت لهم الشعوب والأمم فوصلوا أقصى الشرق من بلاد الهند، ومن جهة الشمال وصلوا حتى حدود أوروبا الشرقية، ومن الغرب وصلوا سواحل الأطلسي ومن الجنوب إلى وسط أفريقيا، ومازال الإسلام كل يوم بازدياد على الرغم من الهجوم الشرس عليه من الداخل والخارج، فرضي الله عنهم جميعاً فتلك أمة قد خلت من قبل وحال العرب كحال كل الدول التي تبدا مزدهرة فتكون قوية ومترامية الأطراف لقرون متعددة، ثم تضعف وتتفكك ثم تنقسم ثم تعاود النهوض تارة أخرى، وهذا لا يعني الانهيار والتفسخ التام لقيم الإقلاع الحضاري الذي حاول لصقه الشافعي بالعرب، فما زال في العرب أمل للمستقبل القريب إذا أرادوا.

3-12 ما جاء في بيانات الشافعي:

ذكر الشافعي البيان في كتاب الرسالة وجعل منها عناوين تتوزع في البيان الأول والبيان الثاني والثالث والرابع وأخيراً البيان الخامس، وسأسرد أهم الملاحظات عليها، كما جاءت⁽¹⁾ مختصراً قدر الإمكان:

1- كثرة المواضيع التي تناولها الشافعي في تلك البيانات وتنوعت، حيث يلاحظ عليه أنه ينتقل من موضوع إلى آخر ويقوم باجتزاء الآيات وتفسيرها وتأويلها بصورة خاطئة خلافاً لمقصدها، الأمر الذي يصيب القارئ بالشتات والتشويش، والأمثلة كثيرة كالحديث عن العام المراد منه الخاص، والظاهر يراد به الخصوص، وباب فرض اتباع السنة وإن السنة هي الحكمة، وباب عن فرض طاعة الرسول من طاعة الله واتباع ما أمر به، ثم يتحدث عن بعض الشعائر والمناسك كالحج والعمرة، ثم ينتقل للحديث عن قصة موسى في القرآن، ثم يتحدث عن الصيام وأحكامه، ثم يتحدث عن التهي للصلاة مطلقاً عليه اسم الوضوء أو الاستنجاء، ولا ندري من أين جاء بهذه الألفاظ الغريبة رغم أن القرآن أوضح كيفية التهي للصلاة وذكره بالغسل، وغيرها وعلى هذا السياق فقد بالغ الشافعي في حشر الكثير من التفرعات في أصل الكتاب وزاد عليه بالحواشي، عمد من خلال ذلك للحديث عن مصادر التشريع في السنة من قياس وناسخ ومنسوخ وغيره.

(1) . كتاب الرسالة / محمد بن إدريس الشافعي حول مواضيع عنوانها بالبيان الأول وحتى البيان الخامس . انظر من ص

2- أدخل الشافعي كتابه هذا (الرسالة): ضمن سنة الرسول، كما ورد في البيان الرابع، بصورة غير مباشرة، بقوله: (قال الشافعي: كل ما سن رسول الله مما ليس فيه كتاب، وفيما كتبناه في كتابنا هذا من ذكر ما من الله به على العباد من تعلم الكتاب، والحكمة: دليل على أن الحكمة سنة رسول الله).

3- ظهر الشافعي في كتابه هذا (الرسالة) وهو يشكك بالقرآن الكريم من كون فيه من الألفاظ العجمية: ويظهر ذلك بالقول في نهاية البيان الخامس الذي يقول فيه: (فقال منهم قائل: إن في القرآن عربياً وأعجمياً). ولم يذكر القائل، وسبب القول، ثم استطرد القول بالتعريف باللسان العربي، والسرد المسهب عن لسان الرسول ولسان قومه، ودخول الناس من غير لسان الرسول وتعلمهم لسانه، وبعد ذلك سرد حول معرفة التابع والمتبوع، وهيمنة التابع على المتبوع، ولم يدون ذكر لمناسبة قوله هذا غير التشكيك باللسان العربي، وفي هذا وغيره الكثير ما لحق من مواضع.

4- تحدث الشافعي عن بيان فرض الله في كتابه أتباع سنة نبيه، وباب فرض الله طاعة الرسول مستدركاً أن السنة هي الحكمة التي ذكرها الله في القرآن وهذا خطأ كبير ومخالف للقرآن الكريم، الذي اورد تعريف موضوعي للحكمة في كثير من الآيات فوق عشر آيات، والتي تفضح تحريف الشافعي لمعنى الحكمة نذكر بعض منها بالآتي: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ النحل (125) وآية أخرى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ البقرة (269) وآية أخرى قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ آل عمران (48). وآية أخرى قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ لقمان (12) وغيرها.

5- استشهد بالحديث الذي قال بأن سفيان أخبره عن سالم (من حديث العنعنة) أن رسول الله قال: (لألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من امرئ مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)، وهذا الحديث الذي شرحه المؤلف يعتبر من قواعد وضع السنة على الإجمال، التي اصطنعها فقهاء المذاهب والفرق وأسسوا عليه وغيره قواعد أصول الفقه والتفسير والتأويل مخالفين القرآن الكريم، وقد ذكر الشافعي هذا الحديث قاصداً لكي يقودنا إلى موضع مهم وخطير بل والأخطر فيما تناوله هذا الكتاب، وهو الناسخ والمنسوخ.

12-3-1 الناسخ والمنسوخ لدى الشافعي:

بدأ الشافعي بمذاكرة أدلة الناسخ والمنسوخ من القرآن، وعلق على تلك الأدلة بالقول: بأن الله تعالى أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء، وفرض فرائض أثبتها وأخرى نسخها، رحمة لخلقه

بالتخفيف عنهم وبالتوسعة عليهم، وهو بذلك يريد القول أن الله سبحانه فرض شيئاً ثم تراجع عنه، ليدخل الشك بأن الله لا يعلم بما يصلح للناس فيفرض الحكم أو الفرض ويراه لا يصلح ثم يقرر غيره تخفيفاً وهكذا، حسب تقول الشافعي المكذوب على الله سبحانه وتعالى وعلى الرسول، وقد صنف تقولاته تلك حول عنوان: (ابتداء الناسخ والمنسوخ) ثم عنوان آخر (الناسخ والمنسوخ الذي يدل الكتاب على بعضه والسنة على بعضه)، ثم تفرع لعناوين فرعية منها تعريف الناسخ والمنسوخ ثم جاء بعنوان آخر حول (باب الفرائض التي أنزل الله نصاً)، ثم انتقل لعنوان آخر حول (الفرائض المنصوصة التي سنّ رسول الله معها)، وأخيراً جاء بعناوين عن جُمل الفرائض التي حصل النسخ فيها كالصلاة والقبلة والزكاة والحج وغيرها، حسب حكم الناسخ والمنسوخ الذي جعله الشافعي حكماً لهدم قواعد الدين من الداخل، بما سولت له نفسه في تأويل وتفسير مغلوط للقرآن، وحشر كثير من المواضع في آن واحد إضافة للإسترسال في الشرح الممل في الحواشي، وقد سعى جاهداً في حشر الأحاديث وآيات القرآن وبعض الأحداث بقصد قلب الحقائق وتحريف الشعائر والمناسك والأحكام في مزعوم الناسخ والمنسوخ وبعدد من صفحات الكتاب (1)، ولن اجاري الشافعي في تلك الطريق المعوج خشية الإطالة وتتويه القاري، بل سوف اذهب بالقاري مباشرةً للتعريف بناسخ الشافعي ومنسوخه المحرف جملةً وتفصيلاً والذي دونه بفقرة دون عنوان واضح وهو بفعله هذا كمن يدس السم في العسل، ثم نُبَيِّنُ الرد عليه بالآتي:

12-3-2 تعريف الشافعي المحرف للناسخ والمنسوخ:

قال الشافعي في تعريف المحرف للناسخ والمنسوخ الآتي: (وهكذا كل ما نسخ الله، ومعنى "نسخ" ترك فرضه: كان حقاً في وقته وتركه حقاً إذا نسخه الله، فيكون من أدرك فرضه مطيعاً به وبتركه ومن لم يدرك فرضه مطيعاً باتباع الفرض الناسخ له) (2)،

ثم ذهب الشافعي لتطبيق تعريفه المحرف للناسخ والمنسوخ، فسرّد عدداً من الأمثلة والأحداث وحشر القرآن موظفاً إياه على غير هدى وبصيرة وعلى غير دليل، رتب على أثر ذلك خطوات تحريفه للناسخ والمنسوخ ابتداءً بتطبيق تلك الخطوات على القرآن ثم انتقل بعد سلسلة من التحريفات والحشوء للعبارات والجمال إلى نسخ القرآن بأحاديث العنينة المسمى (السنة النبوية)، وما بين خطوة وأخرى سيلاً من حشر الكلمات والجمال والأمثلة والقصص والأحداث المزورة وأحاديث العنينة نبين ذلك مختصرين بالآتي:

- قال الشافعي عن نسخ القرآن: الناسخ للكتاب (القرآن) لا يكون إلا من الكتاب.
- وقال الشافعي عن نسخ السنة: وأن سنة رسول الله لا ينسخها إلا سنة لرسول الله.
- وأكد الشافعي على عدم جواز نسخ القرآن بالسنة بقوله: ولا يجوز نسخ الكتاب (القرآن) من السنة بمعنى أن القرآن لا ينسخ إلا بقرآن مثله.

(1) .كتاب الشافعي / محمد بن إدريس الشافعي حول الناسخ والمنسوخ انظر من ص 144- 184.

(2) . تعريف الناسخ والمنسوخ انظر ص 154. في كتاب الرسالة / محمد بن إدريس الشافعي .

- وتسأل الشافعي: هل تُنسخ السنة بالقرآن؟ ولتوضح السؤال بصيغة أكثر وضوح: هل ينسخ القرآن السنة؟، وسرد وقائع متعدد في محض الأجابة على هذا السؤال كانت هذه الوقائع من الأمور التي حسم القرآن الجدل فيها ولا يجوز التلاعب بقواعد احكامها وهو ما فعله الشافعي ومن هذه الوقائع نذكر بعض منها خشية الأطالة مثل (حلة البيع وحرمة الربا) و(عقوبة السرقة)، وقد اوضحنا تفاصيل ذلك في الجزء الثاني من هذا المؤلف، ثم اضاف وفي المسح على الخُفَّين: نَسَخَتْ آيَةُ الْوُضُوءِ !!! ولا يوجد في القرآن المحكم والمفصل آية تسمى (آية الوضوء)، بل هي آية وضوء جماعة التحريف الذين دسوا هذه المصطلحات (الوضوء - الاستنجاء - الاستجمار وغيرها) بدلاً عن الفاظ القرآن الكريم الذي ذكر الغسل عند القيام للصلاة.

- ثم قال الشافعي بقول يناقض الأقوال اعلاه فقال بنسخ القرآن من السنة حسب ما سنوضح لاحقاً.

ثم استدل بآيات لأثبت نسخ القرآن بالقرآن، قصد منها التدرج في التحريف، وصولاً لنسخ القرآن بالسنة، ومن تلك الآيات التي أوردها، ننسخ بعض منها بالآتي:

• وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 106).

• وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل: 101).

• ثم أورد أمثلة من الافعال والآيات على ذلك نذكر منها: نسخ التوجه بالقبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، وجاء بالآية قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: 144)،

• وقال الشافعي: فإن قال قائل: فأين الدلالة على أنهم حولوا إلى قبلة بعد قبلة؟ وجاء بآية قرآنية يستدل بها على توجيه القبلة لبيت المقدس، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: 142).

• ثم ذكر الشافعي دليلاً آخر على نسخ القرآن بالقرآن وهي آية من سورة النساء حول الفاحشة من النساء: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ (النساء: 15)،

• ثم ذكر الشافعي موضع آخر من الناسخ والمنسوخ حول نفس الحكم من القرآن: وهو هذه الآية حول عقوبة فاحشة الزنا وهو الجلد حسب ما جاء من سورة النور،

قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ** (النور: 2).

- ثم جاء الشافعي بالقول حول نسخ القرآن بحديث الرجم برواية العنينة (عبد الوهاب عن يونس...الخ: عن عبادة بن الصامت: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ " خذُوا عني.....البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم"، فكان القول عن الشافعي في تطبيق هذا الحديث أن نسب للنبي كذباً أنه أمر برجم ماعزاً، وأمر انيس برجم امرأة الاسلامي، ثم ذهب للتعريف المقصود من المحصنة ويوقع لفظ الإحصان على معاني مختلفة ليقدر أن الإسلام مانع من التحصين ومانع من تناول المحرم، وكذلك الزواج والاصابة مانع، وكذلك الحبس في البيوت مانع، وكل ما منع أحسن ثم استدل بآيات من القرآن لأضافة مشروعية على تعريفه (1).

12-3-3 الرد على تعريف الشافعي للناسخ والمنسوخ:

لبيان حقيقة تعريف الناسخ والمنسوخ سوف اعيد نسخ تعريف الشافعي كما ورد في كتابه "الرسالة" لمزيد من الاستدكار ولسهولة المقارنة، ونعيده نسخه للتذكير ليس إلا دون الخوض في تفاصيل قواعد الإعراب وأصول الكلمات والأفعال من أجل الوصول للتعريف العملي واللغوي الحقيقي للناسخ والمنسوخ فكان تعريف الشافعي المحرف للناسخ والمنسوخ بقوله: (وهكذا كل ما نسخ الله، ومعنى " نسخ " ترك فرضه: كان حقاً في وقته وتركه حقاً إذا نسخه الله، فيكون من أدرك فرضه مطيعاً به وبتركه ومن لم يدرك فرضه مطيعاً باتباع الفرض الناسخ له).

ومن خلال الاطلاع على هذا التعريف فإن المطلع المتأمل المدقق لتلك العبارات والجمل في مزعوم هذا التعريف، يدرك للوهلة الأولى مدى الانحطاط اللغوي في الصياغة وضعف العبارات وركاكة معاني الجمل المركبة بعضها فوق بعض والتعبير الغير مفهوم والغير واضحة للتعريف الذي سرده بمزعم ذلك القول المحرف والمزور، حسب ما جاء بسياق تعريفه المزعوم للناسخ والمنسوخ وكأنما الذي صاغه لا يمت للعربية بصلة، إذ يريد من خلال هذا التحريف إبعاد القارئ عن حقيقة التعريف والمعرفة بالناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، فذهب لتعريف الناسخ باعتباره (ترك فرض) وبهذا الفرض أو الترك أو النسخ حرف الشافعي وشوه الشعائر والمناسك من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وحرف أتجاه القبلة وبعض قواعد الأحكام والحدود وغيرها، واليكم التعريف الحقيقي للناسخ والمنسوخ وهو ما يتوافق مع القرآن.

(1) . كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي انظر ص 163.

12-3-4 التعريف الحقيقي والعملي للناسخ والمنسوخ:

بعيداً عن تعريفات اللغويين ومصطلحاتهم سوف أقوم بتعريف الناسخ والمنسوخ من الناحية العملية مباشرة بالآتي: الناسخ: هو ذلك الشيء المعبر عن أصله وذاته ونسخ منه بفعل النسخ فيكون المنسوخ مطابق للأصل تماماً مثل القيام بفعل نسخ الكتب إذ يكون المنسوخ منه مطابق لأصله حرف بحرف وكلمة بكلمة وجملة بجملة وصفحة بصفحة فكان الكتاب المنسوخ مطابقاً لأصله على التمام والكمال دون زيادة أو نقص.

وكذلك هو الحال في نسخ آيات السماء والكون من الكواكب والنجوم والمجرات، المعبر عنها في دلالة الآية من القرآن والتي تشير في آخرها لقدرة القدير وهو الله سبحانه وتعالى والتي وظفها الشافعي خلافاً لمقصدها الحقيقي: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة (106)، وهو ما سوف نفضله لاحقاً.

وبتقديري فإن هذا التعريف هو الأصح من كونه تعريف عملي للناسخ والمنسوخ، وهو متعارف عليه نقلاً وعقلاً ومتفق عليه في قواميس اللغة، ولذلك كان نسخ المصنفات والكتب عملاً مشهوراً في القرون الماضية قبل اختراع آلة الطباعة، فكانوا يطلقون على هذه المهنة بالنساخين، نسبة للمهنة ذاتها، وقد دُون القرآن الكريم في عدداً من الكتب كُلُّ منها كان أصلاً لذاته في أيام الخليفة عثمان بن عفان، ثم نسخ من هذه الأصول عدداً كثيراً من النسخ اطلق عليها (المصحف العثماني) نسبة لأصله وما زال ينسب حتى يومنا هذا، ويطلق عليه مصحف عثمان نسبة للنسخة الأصلية.

وعند مقارنة ومقابلة هذا التعريف بتعريف الشافعي الذي جاء مخالفاً للحقيقة وللواقع العملي ومنطق الفطرة، واللغة السليمة في تعريف الناسخ والمنسوخ فجعل منه (ترك فرض كان حقاً في وقته وتركه حقاً إذا نسخه الله) بمعنى (نقض) حكم كان موجوداً بآيات القرآن، ويحل محله حكم آخر تخفيفاً على العباد حسب زعم الشافعي، فهذا التعريف بحد ذاته انتقاص من الذات الألهية ولا يجوز التقولا به على الله سبحانه وتعالى من كونه فرض حكم ثم قرر غيره رحمة وتخفيف بالعباد فهذا السبب والعلة يعتبر تحريف واضح وقولاً مكذوب ومنكر على ذات الله جل جلاله، وليس بمستغرب أنك تجد في بعض قواميس اللغة العربية تعريفاً يتطابق مع تعريف الشافعي كيف لا وقد وضع قواعد النحو والصرف وقواميس العربية أناس مرّ بعضهم من نفس طريق جماعة التحريف فليس من المستغرب ان تتوافق ارادة التحريف في قيامهم بتحريف التعريفات اللغوية والأصطلاحية للكثير من المناسك والشعائر والأحكام في القرآن وغيره، وعلى أثر ذلك قاموا بتحريف المصطلحات في المعاجم اللغوية، كما ستجد بعضاً من هذه التعريفات يندرج تحت مبرر تعريف الحكم الشرعي للناسخ والمنسوخ وغيره في مصنفات وكُتُب أصول الفقه وغيره وهو عمل مقصود بغية التشويش وتشنيت فهم القارئ والمسلمين، وهو في الحقيقة كذبة كبرى أرادوا من خلالها واضعوا هذه التعريفات تثبيت مصطلحاتهم اللغوية في الفقه وغيره، كما أن ذلك دُخِل على أصول وقواعد دين الإسلام الذي

يفهم بالتيسير والادكار العقلي والفكري حسب ما أكدت عليه آيات القرآن المبين (أفلا – تعقلون – تتفكرون – تفقهون – تعلمون....الخ)، ثم ان إخضاع القرآن الحكيم والعربي المبين والميسر للذكر والادكار، لقواعد اللغة خطأ جسيم، ذلك ان القرآن جاء بلسان عربي مبين فيكون القرآن حجة على اللغة العربية وكل اللغات وليس العكس، وعند مطالعنا لفكر الأديان القديمة وجدنا الكثير من الكلمات والعبارات والمصطلحات اقتبست من قبل جماعة التحريف للفقهاء الإسلامي مثل كلمة (شريعة، الاجماع، القياس، الاستصحاب، الناسخ) وغيرها، وهي مصطلحات تكررت كثيراً في التوراة والتلمود والإنجيل واعمال الرسل وغيرها من العقائد الأخرى، فنقل الشافعي وغيره هذه الألفاظ وغيرها إلى الفقه الإسلامي مما أدى إلى صبغ الفقه الإسلامي بها وأطلق مثلاً على الإسلام (بالشريعة الإسلامية) ووصم الفقه الإسلامي بتلك المصطلحات ونظم لها تعاريف ومصطلحات فقهية وجدناها في كتب ومناهج أصول الفقه القديمة والحديث من الفقهاء المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين الذين ساروا على نهج الشافعي وغيره؛ بل وطوروا مدرسته إلى أن أصبحت هذه الألفاظ قواعد في أصول الفقه وأصبحت مادة تعليمية تدرس في المدارس والكلية الجامعية، وقد استطاعوا من خلالها تعطيل وتحريف الشعائر والمناسك وقواعد الأحكام في القرآن الكريم، لتحل محلها أحكام من فكر مذاهب العننة حسب ما هو سائد اليوم في الدين الموجود، والمتفقه على منهج التحريف فخلقت فقهاً متعددًا بعدد المذاهب والفرق مخالفاً لأحكام الله تعالى في القرآن الكريم، وعلى ذلك نورد بعض الردود حول ما أثاره الشافعي ببعض شبهاته حول الناسخ والمنسوخ في الآتي:

12-3-5 الرد على قول الشافعي في نسخ القبلة:

المعلوم أن الصلاة فرضت من قبل بعثة النبي محمد عليه السلام بهيئتها في القرآن من قيام وركوع وسجود والتوجه نحو القبلة، حيث فرضت الصلاة بهذه الهيئة من قبل سيدنا إبراهيم خليل الله وابنه إسماعيل عقب إكمال بناء الكعبة البيت الحرام (المسجد)، وأمّا عن خطابٍ قد نرى تقلب وجهك في السماء فكان المخاطب به أيضاً سيدنا إبراهيم، حسب ما جاء به القرآن صراحة، في الآية: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ....﴾ البقرة (144)، والتي تحدد الاتجاه للصلاة نحو المسجد الحرام ابتداء عقب الانتهاء من بناء الكعبة - البيت - المسجد الحرام، ويظهر من مدلول الآية "قد نرى تقلب وجهك في السماء"، بمعنى البحث عن الجهة المراد التوجه إليها لأداء الصلاة، فكان الجواب بنفس الآية (فلنولينك قبلة) وكانت القبلة باتجاه المسجد الحرام، فكان هذا الخطاب فور اكمال بناء المسجد (الكعبة) وفي آية أخرى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ المائدة (97) وهذه الآية تزيد الأمر وضوحاً وتأكيداً بالتوجه نحو المسجد - الكعبة - البيت الحرام، إذ لم يكن تحويل القبلة من قبلة إلى أخرى حسب ما زعم الشافعي فذلك محض كذباً وتحريفاً، حيث كان الناس مأمورين بالتوجه بالصلاة نحو البيت الذي بناه إبراهيم، وهاؤلا الناس المعنيين بالتوجه بصلاتهم هم كل الأنبياء والرسل

من بعد خليل الله إبراهيم نذكر بعض منهم على سبيل المثال: من إسماعيل وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان عيسى عليهم الصلاة والسلام وكل المؤمنين معهم وصولاً للنبي محمد عليه السلام ومن تبعهم، وأمّا خطاب الإعراض عن اتجاه القبلة فهو موجه لبعض السفهاء من الناس الذين تولوا عن قبلتهم التي كانوا عليها ووصفهم القرآن بالسفهاء وقد جاء هذا الوصف بحق اليهود في أكثر من آية، كما في الآية قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ البقرة (142). فهم الذين حولوا القبلة من المسجد الحرام إلى مكان آخر (أورشليم) خلافاً لما حدد من قبل الله سبحانه وتعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد يقول قائل ما دليلك على أن السفهاء المعني بهم في الآية هم اليهود؟ فإن الجواب من القرآن الكريم فإذا بحثت عن كلمة السفهاء ستجدها لصيقة بأفعال اليهود، ومن الأدلة على ذلك: الآية: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ البقرة (13)، والآية (قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمًا قَاتِلًا الرَّجْفَةَ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا...﴾ الأعراف (155)، أن موضوع استقبال القبلة للصلاة كان المخاطب به سيدنا إبراهيم كما قلنا وبعد إكمال بناء البيت بمكة (بكة)، ففي هذا التوقيت لم يكن لبني إسرائيل وجود على الأرض وبعد قرون عدة من حياة بني إسرائيل بمصر ونبوة ورسالة موسى عليه السلام كان الخطاب من الله سبحانه لموسى وأخيه هارون عليهم السلام، وهو في أرض مصر بجعل بيوتهم وبيوت قومهم قبلة من أجل إقامة الصلاة باتجاه المسجد الحرام البيت العتيق بمكة، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَإِذْ حِينَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: 87)، في الوقت نفسه لم يكن موسى وأخيه وقومهما قد دخلا الأرض المقدسة بعد، ولم تكن بيت المقدس موجودة في هذا التوقيت أيضاً، حسب ما جاء في القرآن في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة: 20، 21)، ولمزيد من التأكيد فقد حدد الله تعالى التوجه نحو المسجد الحرام بلفظ واضح، وصريح في عهد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام عند رفعه القواعد لبناء الكعبة (المسجد الحرام) من أجل إقامة الصلاة، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: 37)، وإقامة الصلاة من المصلي يقتضي منه اتخاذ اتجاه محدد للتوجه للصلاة نحو ذلك الاتجاه، وإذا عدت إلى قراءة نصوص الآيات (142-144) في سورة البقرة التي تتحدث عن القبلة، وما قبلها من الآيات، خاصة من الآية: (127) إلى الآية (141) التي تتحدث عن قصة سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل وقيامهما برفع قواعد البيت الحرام، فسيتبين لك بوضوح أن خطاب التوجه

بالقبة نحو المسجد الحرام، كان منذ رفع قواعد بناء البيت الحرام (المسجد الحرام- الكعبة) من قبل سيدنا إبراهيم وابنه سيدنا إسماعيل حسب الآية السابقة.

ومن هنا فإن القبلة حددت كاتجاه للصلاة عند فرض الصلاة كشعيرة تعبدية بهيئتها الحالية ابتداءً من عهد خليل الله إبراهيم عليه السلام والتوجه الذي اختاره الله سبحانه وهو البيت الحرام (المسجد الحرام) وزيادة في التوضيح أكثر ذكر الحق سبحانه المكان الخاص وهو اتخاذ مقام إبراهيم مصلى، غير أن اليهود تولوا عن قبلتهم التي كانوا عليها وتوجهوا بالصلاة نحو قبلة أخرى اصطنعوها لهم تحريفاً لآيات الله سبحانه فاستحقوا الخطاب بوصفهم السفهاء من الناس خاصة وأنهم دسوا نصوص في توراتهم بقيام خليل الله إبراهيم ببنا بيت الرب (1).

وخلاصة الموضوع: فإن هذا الموضوع قد أوضحناه في فصل خاص عن الصلاة في الجزء الثاني من هذا المؤلف يمكن الرجوع إليه للاستزادة

6-3-12 الرد على قول الشافعي في نسخ حكم فاحشة النساء:

جاء القرآن الكريم ليحدثنا عن الفاحشة بين النساء، وهو ما يطلق عليه بممارسة السحاق بين النساء، وهي أن تأتي المرأة (الأنثى) الأخرى بشهوة من الممارسة الجنسية، يفهم هذا الفعل والحكم من مدلول الخطاب القرآني الواضح بالقول {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ} بمعنى الفعل المقتصر بين النساء من دون الرجال، إذن فكان الحكم بالحبس للتأديب عسى أن تتوب وترجع عن ممارسة هذه الفاحشة، كون الحبس في البيت يعمل على تقويم السلوك والمحافظة على سمعة المرأة وسترها من الإشاعات التي قد تدمر حياتها ومستقبلها ولم يقل الحبس في السجن، وهذا الخطاب يعتبر قاعدة خاصة ترشد المشرع من خلالها لسن نص في القانون يحكم هذه الظاهرة حسب مقتضيات الحال للحد من انتشار هذه الفاحشة بين النساء، والحبس المعنى بالآية قد يكون في بيت خاص بذلك أو في بيت المتهمه بالفاحشة تحت اشراف القضاء أو من يحدده القانون.

أما الحكم الثاني في آية الجلد: فهذه الآية تحدثنا عن فعل الزنا من الزانية والزاني، فقد قرر الله تعالى قاعدة حكم للمشرعين ولكل ممتهن الزنا كحرفة أو مهنة بعقوبة محددة، سواء كان بكرًا أو متزوجاً (ثيب)، وحددها بمائة جلدة كما بينت الآية قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ التور (2)، وأضاف الشافعي حكماً جديداً ناسخاً قائلاً: فدللت السنة على أن جلد المائة للزانيين البكرين، ثم استدرك الشافعي ليقرر حكم آخر، وهو الرجم حتى الموت بحديث العنينة أخبره به عبد الوهاب عن عبادة بن الصامت (والثيب بالثيب جلد مائة والرجم). ما يعني أن الآية الثانية نسخت الأولى

(1). العهد القديم – التوراة – سفر التكوين: (8 ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل ونصب خيمته. وله بيت إيل من المغرب وعاي من المشرق. فبنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب. 9 ثم ارتحل أبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب.

بتقريرها عقوبة الجلد عن عقوبة الحبس في البيوت، وزادت على ذلك بتصنيف الفعل بين البكر بالجلد والثيب بالرجم وهو ما يريد الشافعي قوله من وجود الناسخ والمنسوخ في آيات القرآن الكريم وفقاً لتعريفه السابق للناسخ، فكان تنفيذ هذه العقوبة يقوم على شروط محددة لتطبيق هذه الحكم ينص عليه في القانون، ولا يصح تطبيق هذه العقوبة على فاحشة النساء مطلقاً، فكل منهما عقوبة مستقلة ومن كون كل فعل يختلف تماماً عن الآخر، بخلاف ما ذهب إليه الشافعي في خلط الألفاظ والمفاهيم لتحريف قواعد الأحكام والعقوبات الجزائية.

أما الحكم الثالث في نسخ القرآن بحديث الرجم: فهذا الحديث وما تبعه من الأحداث الكاذبة المكذوبة يُعد تحريفاً وتجاوزاً على كلام الله في القرآن الحكيم، وكذلك على النبي خاصةً عندما نكتشف أن الشافعي نسخ أي بطل آية من القرآن بحديث عقوبة الرجم بالحجارة حتى الموت والتغريب عام، وقد أقتبس الشافعي هذا الحكم وغيره من العهد القديم – التوراة (1) وقد سبق التطرق إليها وتقولا به كذباً عن النبي، ثم أن القول بتنفيذ عقوبتين (الجلد والتغريب) و(الجلد والرجم) في وقت واحد يعزز القول بالتحريف والتزوير، ثم ذكر تطبيق العقوبة على شخص اطلق عليه أسم (ماعزاً) قصد من ذكر هذا الأسم بالذات الاستخفاف بالأسماء العربية وقد تكررت هذه المسميات كثيراً.

أما تعريفه المتعدد للمحصنة، فلم يكن الرد عليه بأبلغ من رد القرآن الذي بين المعنى من لفظ المحصنة في آيات القرآن ومنها: قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظِّلْمُ﴾ التحريم (12)، فهل الشافعي غفل عن قراءة هذه الآية ؟

14-3-7 قول الشافعي بنسخ القرآن بالقرآن ثم بالسنة (نسخ الصلاة نموذج)

نسخ الشافعي صلاة الليل المبينة في القرآن الكريم بأحاديث العننة، كما سيأتي بيانه لاحقاً وصلاة الليل ذكرت بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، (المزمل: 1، 2، 3، 4).

ثم نسخ الشافعي هذه الآيات بالآية التالية، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَأْتِ عَلَيْكُمْ فَافْرُغُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَافْرُغُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المزمل: 20)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (الإسراء: 79).

(1) . العهد القديم – التوراة – سفر التثنية . النص (13): يخرجون الفتاة إلى باب بيت أبيها، ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت،

وأخيراً نسخ الشافعي القرآن برأيه هو، بقوله: فكان الواجب طلب الاستدلال بالسنة على أحد المعنيين، فوجدنا سنة رسول الله تدل على ألا واجب من الصلاة إلا الخمس الصلوات فقط، وأن ما سواها من صلاة قبلها منسوخ بها استدلالاً بقول الله (فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ) وأنها ناسخة لقيام الليل ونصفه وثلاثة وما تيسر، وزاد بحديث العنينة حول التقولا بلسان الأعرابي من أهل نجد وهو يسأل النبي عن الإسلام والنبي يجيب (خمس صلوات في اليوم واليلة... ألا أن تطوع)⁽¹⁾

8-3-12 الرد على قول الشافعي في نسخ الصلاة

قصد الشافعي برأيه بفرض الخمس الصلوات، إذ كانت حسب حديث وحادثة المعراج المدون في كتب أحاديث المذاهب بما فيها مذهبه، وبه وبغيره من الأحاديث استدلل الشافعي على تحديد الصلوات بخمس صلوات في اليوم واليلة، منها ما أخبره به مالك، وما رواه عبادة بن الصامت. ومعلوم أن قصة المعراج قصة خرافية اقتبسها الشافعي وجماعة ابن هشام وغيرهم من فكر الزرادشتي كما اقتبسها غيره، حيث نجدها مدونة في أغلب كتب الحديث والسيرة لعموم المذاهب والفرق، مع أن القرآن الكريم تحدث عن مواقيت الصلاة وكيفية بدقة متناهية، وهي ثلاث مواقيت من اليوم والليل، ميقاتين في نهار كل يوم وميقات آخر من الليل، وميقات نهارى مخصوص في أي ساعة من يوم الجمعة، ولم تحدد عدد الصلوات بكل ميقات، بل ترك للناس أن يصلوا بقدر ما يشاؤون مع إشارة ضمنية لمقدار كل صلاة بأن تكون مثنى أو فرادى، والمعلوم أن صلاة الليل من المواقيت التي حددها القرآن الكريم صراحةً وضمناً، فكان ما ورد بسورة المزمل حول صلاة الليل لهو دليل صريح على صحتها وذكر عددا من المواقيت في الليل تسهياً للناس في أدائها، وذكرت صراحةً أيضاً بقوله (وَرُفَا مِنَ اللَّيْلِ) في الآية قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفَا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلذَّاكِرِينَ) هود (114)، إذاً فصلاة الليل فرض اساسي ضمن مواقيت الصلاة وهي تتوسط صلاتي طرفي النهار حسب ما جاء في الآية السابقة، ألا ان الشافعي حرف الصلاة وجعل من صلاة الليل نافلة موظفاً اللفظ (نافلة) ليجعل من شعيرة الصلاة بمسميات وانواع حسب ما هو سائد اليوم وهو خطأ جسيم بحق الصلاة، وحديث الأعرابي يتوافق مع أحاديث العنينة وفيه من الكذب والتحقيق لعرب نجد ومردود عليه بتوضيح الصلاة بمواقيتها تفصيلاً

وقد أفردنا للصلاة عموماً فصلاً مستقلاً بهذا المؤلف (فصل الصلاة) في الجزء الثاني يكذب ما ذهب إليه الشافعي وغيره جملة وتفصيلاً يمكن العودة إليه.

9-3-12 نسخ القرآن لدى الشافعي بحديث في مسألة المحيض والرد عليه:

(1) انظر الصفحة. 149، 150. بعنوان الناسخ والمنسوخ الذي يدل الكتاب والسنة. من كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي .

قال الشافعي عن المرأة الحائض⁽¹⁾: إن صلاتها باطلة وصيامها باطل وطوافها حول الكعبة في الحج والعمرة باطل، لعدم طهرها وثبوت نجاستها وسرد الآية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: 222)، ثم جاء في حديث عائشة وذكر إجماعها مع النبي وأنها حاضت فأمرها أن تقضي ما يقضي الحاج "غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري" وكذلك الصلاة والصوم أيام حيضها.

الرد على قول الشافعي في مسألة حيض المرأة:

الخطاب من القرآن واضح حول المحيض والأمر المباشر بأعزال النساء في المحيض: لكون المحيض أذى، ولا تقربوهن حتى يطهرن من أرحامهن، والاعتزال المراد هنا هو عدم وطء المرأة أثناء المحيض أو فوق المحيض لما يتسبب من الأذى للرجل فمنع الوطء مرهون بوجود المحيض ووجود المحيض مانع حصراً وقصراً على الزوج من الوطء، والطهر والوطء شيء تربطهما علاقة وسبب فكل واحد سبباً للآخر ومعاكساً له في نفس الوقت ولا يمتد لغيرهما، إذاً لا يوجد مانع من قيام المرأة بشعائرها ومناسكها من صلاة وصيام وحج وعمرة وقراءة القرآن وغيره من العبادات مثلها مثل الرجل دون انتقاص ولا يعد المحيض سبباً أو مانع للقيام بالشعائر والمناسك ولا يصح القياس في ذلك ولأن القياس اقتبسه الشافعي من التلمود فلا يصح العمل به على العموم بقواعد القرآن الحكيم .

ولهذا فالمحيض لا يعد سبباً لنجاستها، وإذا ما فقهنا مدلول الآية حول المحيض والتساؤل الدائر حوله وعلة المنع فيه، فهو وجوب الامتناع عن وطء الزوجة أثناء المحيض فقط، وكلمة يطهرن تعني التخلص من الحيض، فتكون صالحة للوطء بها حسب مدلول وفهم (فقه) الخطاب الواضح الدلالة، ومعلوم أن المنع من وطء المرأة بسبب الضرر من المحيض وهو عبارة عن قيام رحم المرأة بالتخلص من البويضات غير الملقحة، فتخرج تلك البويضات من رحم المرأة على هيئة دم يتخلص منه جدار الرحم بصورة دورية واعتيادية، وهو ما قد يتسبب بأمراض جراء ذلك، فالمحيض في المرأة لا ينجسها مطلقاً، بل هو دليل على خصوبتها وقدرتها على الإنجاب، وما قاله الشافعي حول نجاسة المرأة بسبب المحيض اقتبسه من كتب التوراة، والتلمود ومن أفسدنا، التي صورت المرأة بأنها نجسة طيلة فترة حيضها، وتعزل عزلاً تاماً عن الفراش وأحياناً عن البيت.

وهكذا فبعد تعريف الناسخ والمنسوخ وأحكامه وأنواعه كما جاء في كتاب "الرسالة" للشافعي وتماشياً مع ما أثاره كتاب "الرسالة" من قضايا حاولنا الرد والتعليق على بعض منها، وتأكيداً لما سبق بيانه وتوضيحه حول الناسخ والمنسوخ الذي بذل الشافعي فيه جهداً مضنياً في هذه الأوراق ليرسى فيها مداميك هشة ليبنى بنيانه على شرف جرف هار فانهار به، فكان بناءً هذا يشبه بيت العنكبوت دسه بقصد هدم أحكام الإسلام من الداخل تحت ذريعة وجود الدليل

(1) انظر الصفحة 151، 152. بعنوان باب فرض الصلاة... على من تزول عنه بالعدو . من كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي .

على الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم وتحت ذريعة أخرى واهية حسب قوله: رحمة بالعباد وتخفيفاً عليهم، ومع كل هذه الردود المختصرة التي أكدنا على أن ما أثاره الشافعي من الكم الهائل من التحريف والتزوير للحقائق بحق الشعائر والمناسك وقواعد الأحكام محاولاً توظيف وتأويل آيات القرآن الكريم على غير مقصد وعلى غير حق وحقيقة، ومن هنا فمن غير المعقول أن يقرر الله سبحانه حكماً أو أمراً ثم يأتي لينقضه بغيره بذريعة التخفيف على العباد، ذلك هو الهراء بعينه والتقول الفج على الله سبحانه.

ومع كل ذلك الهراء والتحريف من الشافعي، تعالوا معنا لنفقه أكثر معنى وتعريف الناسخ والمنسوخ من خلال فقه آيات القرآن الكريم والمقابلة ولمقارنته، والتي توضح أن الناسخ والمنسوخ ألفاظ تشير إلى السماء والكون والفضاء وما فيها من آيات، وكذلك على الأرض وما ينسخ فيها من آيات وهو ما يتعارض مع ما ذهب إليه الشافعي وجماعته حول نسخ آيات القرآن الموصوف بالمحكم والمفصل والمبين والعظيم.... الخ، كما أن التعريف اللغوي لكلمة (نسخ) (ناسخ) جاءت مغايرة لتعريف الشافعي المخالف لقواعد اللغة العربية، بل وكل قواعد اللغات بجميع قواميسها وقد سبق إيضاح ذلك ونعيده مفصلاً زيادة في التوضيح ووفقاً لما هو آتٍ:

1- الآية الأولى: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّكَ بَقْرَانٌ غَيْرٌ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (يونس: 15)، ويفهم من مدلول هذه الآية الكريمة التي توجز الرد على قول الشافعي، إن الرسول كوظيفة هو أولى بالاتباع لما يوحي إليه من كونه مكلفاً بإيصال الرسالة التي أرسل بها، وهو بشير ونذير، وإنه لا ينطق عن هواه، ولا يحرم إلا ما حرم الله تعالى، وقد كان هذا الخطاب لكل الرسل وهم مكلفون بالاتباع، والرسول محمد وعيسى وموسى وغيرهم معنيون بتنفيذ هذا الخطاب حسب هذه المنهجية التي بيّنها المرسل وهو الله سبحانه وتعالى.

2- الآية الثانية: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: 39)، واستدلال الشافعي بهذه الآية على صحة الناسخ والمنسوخ وهو استدلال خاطئ، ولا محل له على الإطلاق، ولا يوجد ما يشير إلى ما استدلل به ظاهراً أو ضمناً حسب التعريف الحقيقي السابق للناسخ والمنسوخ، وقد يكون لهذه الآية معنى حول المحو والإثبات من الأشياء، فلم يرد الإشارة لآيات من القرآن البتة.

3- الآية الثالثة، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل: 101).

4- الآية الرابعة: قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 106)، والرد على ما استدلل به الشافعي بذكر كلمة آية في النصين أعلاه من الآية (101، النحل) وآية (106، البقرة) كان خاطئاً، حيث أجتزأ هاتين الآيتين من سياق الآيات التي تتحدث عن لفظ (آية) أو

(آيات) أو (الآية) بمعنى المعجزة أو العلامة، خاصة وقد ذكرت كلمة آية أو آيات في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة كلها تتحدث عن المعجزات المادية والمعنوية، التي أظهرها الله سبحانه وتعالى للأنبياء والرسل وللناس جميعاً وما زالت آيات الله سبحانه قائمة حتى يومنا هذا وستبقى كذلك إلى ما شاء الله، ونذكر بعض منها على سبيل المثال، بما يدحض تحريف وتفسير وتأويل الشافعي لمعنى ومدلول آية أو آيات الله في القرآن الكريم:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (المائدة: 114).

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ (الأعراف: 146).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ (يونس: 92).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (يوسف: 105).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ﴾ (الإسراء: 12).

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَافُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء: 4).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (العنكبوت: 44).

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَآيَةً لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ﴾ (يس: 37).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا...﴾ (الزخرف: 48).

كما أن الله سبحانه وتعالى ذكر في القرآن الكريم لفظ الجمع ل (آية) الآيات وقد وردت قرابة ثلاثمائة مرة، نورد منها مما هو مرتبط بآيات السماء والكون والارض والنجوم حسب ما يلي:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: 190).

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: 97).

• وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ (الأعراف: 146).

• وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس: 5).

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل: 12).

• وَقَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَافًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ (الأنبياء: 32).

ونختم الرد على الشافعي حول الناسخ والمنسوخ في هذه الجزئية: بقوله جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: 106)، وهذه الآية التي استدل بها الشافعي على غير هدى وبصيرة وجعل منها قاعدة ودليلاً على حكم الناسخ والمنسوخ، بينما الآية واضحة من حيث مدلولها، فهي تتحدث عن نسخ آيات السماء الكون والأرض والكواكب والنجوم، بل والمجرات السماوية وعن ضخامة الكون الشاسع وتمدده المستمر، وقد بين الله تعالى أنها من تكوين مادي واحد، إذ تتناسخ هذه المجرات ويتخلق منها الكواكب والنجوم والمجرات فيما بينها بمشية الله سبحانه، حسب ما جاء بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: 30)، ومن خلال كلمة (كانتا رتقاً) أي كانتا شيئاً واحداً مندمجاً ففتقناهما، أي فصلناهما، عن بعضهما البعض، فصار كل واحد منهما جزءاً مستقلاً عن الآخر، بينما هما واحد، وهو ما يفهم (يفقه) أو (يدكر) من مدلول الآية بصورة واضحة، وهو ما يتوافق مع لفظ الناسخ والمنسوخ، من كون مادة المنسوخ تتطابق مع مادة الناسخ منه وهو الاصل وهكذا.

ومن نافلة القول إن علماء الفلك اكتشفوا أن هناك كمّاً هائلاً من الكواكب والنجوم تتشكل وأخرى تندثر وتتلاشى، وكلها من مادة واحدة، وهكذا فإن السماء وما يحمل من آيات يعجز الإنسان أن يدركها، قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿الْخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: 57). لذلك جاء ختم الآية المستدل بها بلفظ (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) من الآية نفسها، وهو ما يبين مقدرة الله سبحانه وتعالى على قوة التحكم والسيطرة على هذه المخلوقات الجبارة التي تفوق حجم خيال العقل، وهو المعنى المقصود من مدلول وإدكار هذه الآية التي وظفها الشافعي (في كتابه الرسالة) بصورة خاطئة وعن قصد، فعمد من هذا التوظيف لنسخ الشعائر والمناسك، ولبناء أحكام وهدم أحكام في قواعد أصول الدين، وجعل من تفسير وتأويل كلام الله سبحانه سبباً ليهدم بعضه بعضاً ويناقض بعضه بعضاً، بفعل الاستدلال بأحاديث العنينة التي هي من صنع جماعة التحريف يقوم بتوظيفها على هذا السياق، فجعل منها أداة لنقض كلام الله، وأساساً لتشريع غيره من الحلال والحرام وقواعد الأحكام، وغيره من التفسير والتأويل الخاطئ المتعمد.

وهذا دليل آخر من القرآن يدحض تقول الشافعي حول الناسخ والمنسوخ: قَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية: 29)، ومدلول بيان الآية أن الله سبحانه وتعالى يستنسخ نفس الأعمال التي كنتم تعملونها كحجة عليكم إلى يوم الحساب، بخلاف ما قال الشافعي من أن النسخ يعطل أحكام الكتاب الذي ينطق بالحق، فذلك تناقض فاضح لخطاب الله تعالى أراده الشافعي والله سبحانه منه بريء كما في الآية سالفة الذكر، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج: 52) ومدلول هذه

الآية أن الله سبحانه وتعالى ينسخ ما يلقي الشيطان كحجة للحساب ثم يحكم آياته ثم تأتي الآية التالية مباشرة لتفسر ما القي الشيطان مما نسخه الله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (الحج: 53)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ﴾ (الأعراف: 154)، وبذلك يزداد وضوحاً المعنى المقصود من لفظ النسخ المدوّن في الآية بخلاف ما جاء به الشافعي عن الناسخ في مؤلفه المزعوم كتاب الرسالة والذي جعله دليلاً لتبديل الأحكام بحجة التخفيف للعباد.

وأخيراً: فعندما يتكلم الله سبحانه عن آيات القرآن فإنك ستجد أكثر من خمسين آية تصف القرآن بالميسر للذكر، عربي اللسان، محكم الآيات، المفصل، المبين، الكريم، العظيم، وغيرها من الأوصاف البائنة، ومنها: قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: 1) وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: 3). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ (الحجر: 1) وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (النمل: 1). وَقَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (يس: 69). وَقَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: 17).

10-3-12 الناسخ والمنسوخ الذي تدل عليه السنة والإجماع والجزء الثاني

مما سبق فقد تدرج الشافعي في تعريف الناسخ والمنسوخ وقصر طرق النسخ على القرآن أولاً، ثم تناقض في ذلك وذهب لنسخ القرآن بالحديث، وأخيراً جاء بهذا العنوان الواضح ومن خلال محتواه يرسى قواعد الناسخ والمنسوخ من السنة والإجماع ليظهر الوجه الحقيقي لمقصد الرجل وجماعته في هدم قواعد دين الإسلام من الداخل، وإزاء هذا العنوان حرف الشافعي كثيراً من الشعائر والمناسك والفرائض في الزكاة والحج وغير ذلك، ومن هذا الكم المثلث بالحشر سوف نحاول التركيز على ما هو مهم وبارز، ومن ذلك نتطرق للمواضيع الآتية:

- نسخ الوصية لو ارث مدعي أنه تم نسخها من القرآن ثم بحديث، فكان نسخها من القرآن حسب الآية قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 180).

وقوله اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: 240).

ثم أورد عدداً من الاحتمالات أهمها قوله: (ومحتمل أن تكون المواريث ناسخة للوصايا)، وقال إنه وجد من أهل الفتيا وممن حفظنا عنهم من أهل العلم بالمغازي من قريش وغيرهم لا

يختلفون في أن النبي قال عام الفتح (لا وصية لوارث ولا يقتل مؤمن بكافر)، (1) ثم يحشر كثير من الجُمْل والعبارات في الصفحات التالية حول نفس الموضوع ويعمل على ادخال مواضيع متفرقة خارجة عن الموضوع الأساسي، ثم يضيف عناوين جديدة مع الحواشي الطويلة مثل (باب الفرائض التي أنزل الله نصاً) و(الفرائض المنصوصة التي سنّ رسول الله معها) ليكرر مواضيع سبق ذكرها وغير ذلك ثم يعرج لعنوان جديد متفرع لعناوين أخرى غيره، فمن جُمْل الفرائض يأتي لذكر الصلاة والحج والغسل والعدد، ومحرمات النساء.... الخ بقصد الخلط والتشويش على القاري فكان من الضرورة عدم الالتفات لذلك والرد على ما أثاره حول الوصية بالرد التالي:

الرد على قول الشافعي حول نسخ الوصية:

لقد جاء القرآن ببيان مفصل حول مشروعية الوصية منظماً إياها من الناحية الشكلية والموضوعية جاعلاً من عقد الوصية أهم سبب لنقل الميراث (التركة) من المورث إلى من يشاء من أقرباءه أو لمن شاء من الناس الآخرين أو للجهات الفاعلة في المجتمع في شتى مناحي الحياة، حسب ضوابط محددة ذكرها القرآن جاءت على هيئة قواعد إرشادية للمشرعين للسير في ركبها، ومع ذلك فإن الشافعي منع الوصية لوارث وللغير بما لا يزيد عن الثلث فعطل حكم الله من أجل تطبيق حديث (المغازي) لا وصية لوارث وبهذا التعطيل حرم أقرب الناس للمتوفى المورث من الوالدين والأقربين من حقهم في الوصية طيلة قرون مضت، وقدم الأنصبة من الموارث عن الوصية، وهو خطأ جسيم تعمدته هو وغيره مع أن عقد الوصية هو الأولى بالتطبيق سواء كان للأقربين أو لغيرهم ثم جاء من بعده تسديد الدين من تركة المتوفى ثم حقوق أولى القربى من الفقراء والمسالكين من أقرباء المتوفى والذي تم تعطيل العمل به حتى اليوم، وما تبقى يقسم بين الورثة كأنصبة مفروضة وردت محددة في القرآن الكريم فكان القرآن في هذا واضحاً جداً فقدم الوصية وسداد الدين وحق ذوي القربايات على كل نصيب وإرث أثناء التقسيم فقال سُبْحَانَهُ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ البقرة (180) وحدد تقسيم الأنصبة بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ... الخ﴾ النساء (13) وبَيَّنَّ الله سبحانه وتعالى أن تلك حدود الله فلا تتعدوا حدود الله، فتخرجوها عما قرر وفرض، ثم أن الله سبحانه وتعالى قرر أن خير الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف غير أن استشهاد الشافعي بالآية رقم (240) من سورة البقرة عن وصية المتوفى ويذر أزواجاً هو استشهاد خاطئ ولا محل له ولا حكم فيه في هذا السياق، أضف إلى ذلك فإن الشافعي خالف القرآن الكريم حسب احتمالاته أو ظنونه الخائبة كما ورد أعلاه وكما أوضحنا سابقاً.

(1). انظر الصفحات من 164-169. بعنوان الناسخ والمنسوخ الذي تدل عليه السنة والأجماع من كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي .

أما ما جاء في حديث العننة (ولا يقتل مؤمن بكافر) فهو يخالف قاعدة العقاب التي بيّنها القرآن الكريم للناس جميعاً دون تمييز في العقيدة والجنس كما ما أوضحنا في عنوان قادم من هذا المؤلف وحسب ما جاء بالآية: قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأَذْنَ بِالْأَذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المائدة (45).

وحول بقية عناوين الجزء الثاني الذي جاء بلا عناوين فعمد الشافعي بحيلة ربط الجزء الثاني بمسائل متفرعة حول الناسخ والمنسوخ بصيغ متعددة (قال: قلت) وبصيغة السؤال والجواب، وهو نفس الأسلوب المتخذ في كتاب التلمود، ويلاحظ أيضاً أنه دون أغلب محتوى الجزء الثاني من دون أن يعطيه عنوان محدد فكان بهذا المسمى المنسوخ من مخطوط الرسالة للشافعي بالآتي: (الجزء الثاني من الرسالة) نلاحظ حرف (الواو) بالكلمة بدلاً عن الهمزة وهو ما يؤكد على صحة القول السابق أن واضع هذا الكتاب (الرسالة) غير عربي، وفي هذا الجزء جاء الشافعي بكم هائل من عناوين لمواضيع متفرقة ومشتتة بدأها بالعناوين الآتية:

- في محررات الطعام.
- وفيما تمسك عنه المعتدة من الوفاة.
- وباب في علل الأحاديث.
- وجه آخر من الناسخ والمنسوخ.
- وجه آخر.
- وجه آخر من الاختلاف.
- اختلاف الرواية على وجه غير الذي قبله.
- وباقي عناوين الجزء من دون بتلك المسميات ك (وجه آخر مما يعد مختلفاً) أو (وجه يشبه المعنى الذي قبله) وغير ذلك.
- والخوض في محتوى هذه العناوين لا طائل منها غير ضياع الوقت وشتات الفكر وهو ما لا نريده لنا وللقاري⁽¹⁾.

4-12 أحاديث الآحاد والإجماع والقياس عند الشافعي:

لأهمية المواضيع التي أوردها أبو القاسم عبد الرحمن بن نصر في مخطوطة الرسالة قال: أبو علي الحسن بن حبيب قال: الربيع بن سليمان وهو راوي عن الربيع قال الشافعي: في الجزء الثالث من مزعوم كتاب الرسالة الذي حمل عدداً من العناوين وهو خلط في الرواية بين الشافعي وأبو القاسم والربيع ابن سليمان ولم نجد لهذا الخلط من تفسير من قبل محقق الكتاب، ثم أورد الحجة لتثبيت خبر الواحد، والإجماع، القياس، والاجتهاد، والاستحسان، والاختلاف، وجعل من هذه الأبواب وما تضمنته قواعد فقهية وأصلاً من أصول الدين في بناء

(1) انظر محتوى الجزء الثاني من ص 204-316. بعنوان الجزء (ء) الثاني من دون عناون مسمى مع ملاحظة خطأ كتابة كلمة الجزء.

أحكام، تضمنت التحريف لبعض الشعائر والمناسك والتحريم والتحليل وتحريف قواعد الأحكام التي جاء بها القرآن الكريم وتعمل على تنظيم حياة الناس في كثير من مناحي الحياة، ومنها:

12-4-1 باب الحجة في تثبيت خبر الواحد:

يقصد بالحجية في تثبيت خبر الواحد لدى الشافعي: اعتماد رواية الراوي الواحد في حديث العننة المزعم نسبته للنبي، وحكمه وجوب العمل بمقتضاه كدليل على مشروعية الحكم الوارد فيه، وأهم ما جاء في قول الشافعي في هذا الجانب بخبر الأحاد قوله في الآتي: (وتثبيت خبر الواحد أقوى من أن احتاج إلى أن أمثله بغيره بل هو أصل في نفسه)، كما أضاف كثيراً من العبارات والجمل غير المفهومة التي تفتقر للبيان الواضح، تحت عنوان باب خبر الواحد إلى أن ادخل محتوى هذا العنوان مع الجزء الثالث من كتاب "الرسالة"، وفيه أورد عدداً كبيراً من الأحاديث تكملة للعنوان السابق، ومع ذلك حشر موضوعاً آخر لم يعنون له، وهو خطورة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى في ذلك حديث من أحاديث العننة بقوله: (فقال أبو قتادة سمعت رسول الله يقول: من كذب عليّ فليلتبس لجنبه مضجعاً من النار، فجعل رسول الله يقول ذلك ويمسح الأرض بيده). ثم حشر حديثاً آخر من أحاديث العننة لا حجية له في الموضوع لأبي هريرة، أن رسول الله قال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج وحدثوا عني ولا تكذبوا عليّ" والسؤال المهم عن أي شيء نحدث عن بني إسرائيل؟ وماهي مناسبة الحديث عن بني إسرائيل؟ وما هو وجه الاستدلال من ذكر الحديث عن بني إسرائيل؟ وكل ما ورد سابقاً تجده بصفحة (306) إلى (367) ولإثراء موضوع خبر الأحاد الذي استدلل به الشافعي فقد أفردنا عدداً من الأحاديث التي استدلل بها، نذكر منها بحسب الأهمية ما يلي:

12-4-2 حديث الفريضة للاستدلال بخبر الأحاد: (1)

أسهب الشافعي بالاعتماد على العنوان بذكر أعداد من الأحاديث والأمثلة، في محاولة منه في تثبيت خبر الواحد من أحاديث العننة الكثيرة المحشورة تحت هذا العنوان في الصفحات من (324-367)، وفيها من الاستخفاف بالرسول، وحشر الألفاظ البذيئة والأسماء الغريبة على اللسان العربي، بالإضافة لتكرار المواضيع وخلطها لأكثر من مرة حول حرمة الخمر، وبعث معاذ لليمن، وحالة أخبار الشاهد الواحد بمجلس القضاء، ثم تكلم عن أخذ الجزية بخبر الواحد، حتى وصل للقول بأن الله أرسل من الرسل واحد لأقوامهم مثل (نوح، إبراهيم، هود، صالح، شعيب) مستدلاً بآيات من القرآن بقصد تأويل وتفسير القرآن خلافاً لمقصدة وبصورة فاضحة، وذكر اليهود والسنة وتكلم عن ميراث الأبن لأبيه، ولا يرث المسلم الكافر، وغيرها من المواضيع إلى أن وصل لخبر الواحد في الاستدلال على الحكم، وذلك بقول الشافعي في

(1) انظر ص 346، 347، حول حديث الأحاد " المشهور بحديث الفريضة " في عهد عثمان بن عفان حسب ما جاء بكتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي .

الآتي: فظاهر الحجج عليهم باثنين، ثم ثالث، وكذا أقام الحجة على الأمم بواحد وليس الزيادة في التأكيد مانعة أن تقوم الحجة بالواحد إذ أعطاه الله ما يباين به الخلق غير النبيين.

وبعدها ذهب لسرد حديث مطول عن الفريضة: أخبرنا مالك عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرم عن عمته زينب بنت كعب: أن الفريضة بنت مالك بن سنان أخبرتها (أنها جاءت النبي تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني (خدره) فإن زوجها خرج في طلب أعبد له، حتى إذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه، فسألت رسول الله أن أرجع إلى أهلي فإن زوجي لم يتركني في مسكن يملكه: فقال لها رسول الله نعم: فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد دعاني إليه، أو أمر بي، فدعيت له. فقال: كيف قلت؟ فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي، فقال لي: امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله، قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشراً، فلما كان عثمان أرسل إليّ فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه "وقضي به"، وعثمان في إمامته وعلمه يقضي بخبر امرأة من بين المهاجرين والأنصار.

12-4-3 الرد على قول الشافعي حول العمل بخبر الأحاد (الفريضة):

الحكم الذي قضى به عثمان في عهد خلافته، نقل بخبر الواحد عن امرأة وهو ما يريد الشافعي قوله، وهذه المرأة ظهرت من بين المهاجرين والأنصار وهي (الفريضة)، وهذا الحكم نقل عنها براويتها لهذا الحديث عن النبي، أي أن الشافعي: يريد القول إن حكم العدة عن المتوفى عنها زوجها مصدره حديث الفريضة، وليس القرآن الكريم، وهو بذلك يريد أن يصرفنا عن المصدر الحقيقي لهذا الحكم، وهو القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة: 234).... فهل كان الخليفة عثمان لا يعلم بهذه الآية الكريمة، وهو جامع القرآن الكريم ومصحف عثمان ينسب له حتى يذهب لسؤال (الفريضة)؟

كما أن أسم الفريضة، وعجرم، وكعب وطاؤوس، ومكحول، وعلقمة، وماعز، وسودة وزمعة، وطلحة، والسكوني، ويسار، وعطاء، وملكية، وعكرمة، والأسود وغيرهم من الأسماء الغريبة على اللسان العربي، كثيراً ما يرددها الشافعي في الأحاديث التي يسردها، وتكاد تتقارب أو تتشابه هذه الأسماء مع الأسماء التي استخدمتها جماعة ابن إسحاق وابن هشام في كتاب سيرة النبي، وكذلك في كتاب أحاديث الكافي (المذهب الجعفري) الشيعي، وهناك كثير من الملاحظات علينا ذكرها في محتوى حديث الفريضة، ومع ضحالة الاستشهاد بهذا الحديث المكذوب عن النبي تعالوا معنا نستخلص منه أهم النقاط لمزيد من الفقه بمعرفة الاستخفاف بعقول القراء وبالاتي:

• حديث الفريضة يظهر النبي غير منتبه للإجابة على سؤال الفريضة.

• هناك خلط خاطئ بين مفهوم العدة بمعنى استبراء الرحم من الحمل، وبين مكثها في البيت طيلة الفترة المحددة أربعة أشهر وعشرا، والأول هي المطلوب بينما الثاني لا محل له.

• يظهر عدم تحديده للمكان الذي استدعى الرسول فيه الفريضة، فمرة تقول (حتى إذا كنت في الحجرة) أو (في المسجد دعاني، أو أمر بي) (فدعيت له).

• تظهر الفريضة اهتمامها بعودتها إلى بيت أهلها دون الاهتمام بقتل زوجها من عبيده الذين قتلوه!

• كيف لزوج يملك عبيداً ولا يملك مسكناً؟

كل هذه التناقضات وغيرها تفقدنا لحقيقة واحدة هي التحريف والاستخفاف بعقولنا بهذا الغثاء الذي ما زال يصب علينا صباح مساء، والحقيقة المرة أنك تجد من يحسن ويفسر هذا الغثاء في هذا القرن من الزمن.

4-4-12 دليل الشافعي حول مشروعية أحاديث العنعة:

قال الشافعي: أخبرنا سفيان قال: أخبرني سالم أبو النضر أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع يخبر عن أبيه قال: قال النبي (لَأُفَيِّنَّ أَحَدَكُمْ مَتَكُنًّا عَلَى أَرِيكْتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا نَهَيْتُ عَنْهُ أَوْ أَمَرْتُ بِهِ، فَيَقُولُ: لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ) (1).

الرد على دليل الشافعي حول مشروعية أحاديث العنعة:

ومدلول الحديث الذي سبق ذكره، ومضمونه هو إلزام الناس بكل الأحاديث القدسية والصحيحة الحسنة المتواترة المنسوبة عن النبي في كتب السنة والشريعة، والمساند المختلفة أمثال مسند مالك وأبن حنبل والشافعي، وما ورد بالكافي وأبي عبد الله الحسين، والبخاري ومسلم وسنن الترمذي وابن ماجه وابن داود وآخرين، ومنها تلك الأحاديث التي صنعت أحكاماً، نذكر القليل منها في الآتي:

- حديث بعدم أخذ الأب بقتله ولده.
- حديث قتل المرتد عن الدين.
- حديث قتل الزاني المتزوج رجماً بالحجارة.
- حديث بتر يد السارق.
- حديث وطء سببا الحروب حتى وأن كن متزوجات.
- حديث إعاره الفرج.
- حديث الولاية من البطنين ركن أساسي في الدين.
- حديث الخمس من الفي والأنفال لآل البيت.
- حديث لا وصية لوارث.

(1). انظر ص 326، 327، حول الحديث وحديث آخر عن تقبيل النبي أم سلمه وهو صايم من كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي .

- حديث الوصية بالثالث كثير.
- حديث التحريض على قتال الناس وإكراههم على الدخول في الإسلام.
- حديث الشؤم في الكلب والدابة والمرأة.
- حديث تطلع الشمس على قرن الشيطان.
- حديث ضراط إبليس إذا سمع صوت الأذان.
- حديث النخامة وحكها في المسجد.
- حديث الإفك عن زوج النبي.
- حديث افتراق المسلمين لبضع وسبعين فرقة.

وغير ذلك كثير من أحاديث العنعة التي شرعت لتحريف المناسك والشعائر وقواعد الأحكام والعقوبات وغير ذلك، والمليئة في مساند المذاهب والفرق والجماعات الدينية، الموصوفة بالمتواترة والحسنة والصحيحة، مع الأخذ بحكم خبر الواحد في الحديث في بعض المواضع وهذه الأحاديث كما تراه أعلاه تخالف القرآن الكريم من جميع النواحي. فهل يعمل بكل هذه الأحاديث على علاتها كما يريد الشافعي بمشروعية حديثه المزعوم وغيره؟

12-4-5 حكم الرجم بالحجارة حتى الموت بحديث الواحد والرد عليه:

قال الشافعي: (وأمر الرسول أنيس أن يغدو على امرأة رجل، ذكر أنها زنت فإن اعترفت فارجمها، فاعترفت فرجمها).

وتقول الشافعي في تشريع الرجم بالحجارة حتى الموت بهذا الحديث فقد ورد مضمونه بعدة روايات لدى جميع المذاهب والفرق الإسلامية التي تتفق على تطبيق عقوبة قتل الزاني المتزوج رجماً بالحجارة حتى الموت، وهو حديث حتماً يخالف حكم الله تعالى الذي استوجب جلد الزاني مائة جلدة، حسب قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: 2).

فهل كان الشافعي وغيره غافلاً عن فهم هذا الآية حتى يأتي بهذا الحديث وينسبه للرسول؟ مع تأكيد أنه يستحيل على الرسول عليه الصلاة والسلام، بل وكل الأنبياء والرسل أن يخالفوا ما جاءوا به من كلام الله على أسنتهم حسب ما وضع القرآن الكريم فهم أول من يتبع، كما جاء في كثير من آيات الذكر الحكيم نتلو عليكم بعض منها قوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: 106). وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (يونس: 109).

وقد روي هذا الحكم في عددٍ من الأحاديث في جميع مساند الفقهاء (مسند الأم للشافعي، ومسند الكافي، ومسند أحمد بن حنبل، ومسند الترمذي، ومسند البخاري، ومسند مسلم) وغيرها من مساند الأحاديث التي كثيراً ما اتفقت على تحريف كلام الله سبحانه، فكانها جميعاً خرجت من مشكاة واحدة.

ولهذا يعد من الخطأ الجسيم التسليم المطلق بهذا الموروث الديني المذهبي في الفقه والحديث الذي خلفوه لنا فكان هذا الفكر المتناقض، ومنه تم صياغة مواد قانونية أصبحت سيفا مصلتاً على رقاب الناس، كما في قانون العقوبات الجنائية وقانون المواريث والحقوق المدنية والشخصية وغيرها الكثير نحن بصدد بحثه وتوضيحه.

5-12 الإجماع لدى الشافعي والرد عليه:

سرد الشافعي هذا العنوان (1) من المؤلف، جاء فيه بفرضيات وتقولات عن مجهول بصيغة (قال) و(قلت) وبصيغة السؤال والجواب وبكثير من الاحتمالات والفرضيات، بغرض الوصول إلى أنه يجيز لجماعة المسلمين تشريع أحكام ملزمة لهم في تنظيم شؤونهم، وتصبح هذه الأحكام ملزمة على جميع أمة الإسلام، ثم ذهب للاستدلال بالأحاديث، منها حديث ابن مسعود عن رسول الله قال "نظر الله عبداً" ثم قال الشافعي: أخبرنا سفيان عن عبد الله بن أبي ليبيد عن بن سليمان بن يسار عن أبيه "أن عمر بن الخطاب خطب في الناس بالجابية (قرية قرب دمشق) فقال: إن رسول الله قام لله فينا كمقامي فيكم، فقال: أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب حتى أن الرجل ليحلف ولا يستحلف ويشهد ولا يستشهد إلا فمن سره بحبة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الفذ، وهو من الأثنين أبعد، ولا يخلو رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وإساءته سيئته فهو مؤمن... ثم قال: "ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها وإنما تكون الغفلة في الفرقة، فأما الجماعة فلا يمكن فيها غفلة عن معنى كتاب ولا سنة ولا قياس إن شاء الله". هذا بعض ما ورد بمقال الشافعي عن الإجماع.

الرد على تقول الشافعي حول الإجماع:

في البداية إن الاستدلال بالمجهول لا يعول عليه، وهو قول معيب بحق قائله، والحقيقة أن المواضيع المثارة في هذه المقالة كثيرة وتتشابه في خلط الأفكار مع كتب المذاهب الأخرى في إثارتها لمثل هذه الموضوعات، على سبيل المثال: كتاب سيرة النبي لابن هشام، كتاب الكافي للكليني، والبخاري، ومسلم، والترمذي وغيرهم، وبالنظر لمزعم القول على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهذا الحديث الذي أورده الشافعي، فإن القول بعلم الأقسام تلو الأقسام، وما سيحدث من تبدل حال الناس وظهور الكذب هو من أنباء الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ

(1) انظر باب الإجماع من ص 367-370. من كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي

لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: 50). ويبدو أن هذا الحديث قد قصد منه إبراز النظرة السوداوية من الكذب، والفتن ولصقه بحال المسلمين ووصمهم بها، وأنهم سيشهدون القليل من الاستقرار ثم يتغير الحال إلى الأسوأ واصفاً حال المسلمين في علم الغيب (المستقبل) من أجل إيهام الأجيال القادمة من المسلمين بالاستسلام لواقع مزرٍ قد يفرض عليهم، يسوده ظهور الكذب والفساد كافة مدمرة في سلوك الفرد والمجتمع، وجعلها أمراً واقعاً لدى الأجيال القادمة من المسلمين واستسلامها لهذا الواقع الذي قد توقع التنبؤا به، وكثير من يردد هذا الغناء اليوم من بعض المتكلمين السذج مردداً هذه التنبؤات الكاذبة بلسان (س) أو (ص).

ثم يأتي الشافعي ليتكلم عن الإجماع كموضوع عارض في هذا الحديث، إذ جاء بتعريف الإجماع بصورة مستقلة كما أوضح بأن الغفلة في الفرقة، ثم أورد أن الغفلة تكون عن الكتاب والسنة والقياس، وذلك أن قوله يشوبه الغموض والتناقض وعدم الفهم، وهو سمة غالبية مواضيع هذا الكتاب "الرسالة"، فضلاً عن ذلك فقد حشر المرأة في الحديث بصورة شاذة.

وللرد على ما أثاره الشافعي حول الإجماع إذ المعلوم أن الإجماع لا يصح لتقرير حكماً جاء بأية محكمة، خاصة وأن القرآن الكريم قد أكد على الأخذ بالعرف: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف (199)، فكان العرف قاعد تشترط الإجماع عليه من غالبية الناس، فيكون صادراً عن جماعة من الناس تعارفوا واستقروا عليه بالمدائمة والاستمرار، فصار قاعدة واجبة الاحترام والطاعة والتنفيذ، خلافاً لما يريده الشافعي من الإجماع فيقصر الإجماع على أشخاص محددين من الناس ومن الفقهاء وهم من يحق لهم الإجماع لتوافر شروط سبق تفصيلها وصياغتها على مقاسات محددة وأناس محددين دون غيرهم

ومدلول هذا الخطاب واضح وصريح بالأخذ بكل ما يجمع عليه الإنسان من قواعد العرف للتشريع فيما لم ترد فيه آية محكمة من كلام الله سبحانه في القرآن الكريم، فإن الواجب علينا العمل بالعرف من أجل تشريع قوانين مدنية لتنظم شؤون الحياة على قاعدة المنفعة والمباح من الأعمال وإصدار قوانين في المجالات المدنية والجنائية والأعمال التجارية والنقل، وقوانين العلم والعلوم وغيرها، وفي المحظورات المنهي عنها كالحرام والكذب، وقول الزور والغش. ومجملها يركز على محطتين واضحتين في القرآن الكريم، هما: محطة الخير ومحطة الشر، غير أن صيغ الاجتهاد فيما ذهب إليه الشافعي ومن سار على نهجه يعد عملاً خاطئاً ومحصوراً في جماعة محددة أطلقوا عليها عدداً من الألقاب (الأئمة، الأولياء، الأوصياء، العلماء، أهل الحل والعقد)، وهو خطأ فادح ويخالف القرآن الكريم بالأخذ بإجماع العرف من الناس، وليس من جماعة معينة من الناس وقد فصلنا هذا الموضوع بفصل مستقل من هذا المؤلف بالجزء الثاني.

6-12 القياس في استنباط الأحكام من القرآن والسنة لدى الشافعي والرد عليه:

جاء الشافعي بالقياس (1) وقد بدأ حديثه عن القياس (بقوله: "قال وقلت ") بصيغة الاستفهام وأسلوب الشرط، وكذلك أسلوب الاستطراد، وهو نفس النهج الذي انتهج في صياغة متن التلمود، وليس ذلك فحسب، بل إن الشافعي اقتبس القياس من التلمود (2) بعقله وعلاته. فقد جاء بالاستنتاج الذي بنى به بعض الأحكام بالشريعة اليهودية ومن ترجمة متن التلمود (المشنا) القسم الخامس، المبحث السابع: كريتوت (القطع) الفصل الثالث وسوف أنقل لكم أمثلة على القياس من النص الذي نسخ الشافعي منه القياس ودسه في الفقه الإسلام كحجة في استنباط الحكم الشرعي:

- قال رابي عقيبا: لقد سألت ربان جمليل ورابي يهو شوع في سوق بهائم "أماوس (مدينة في يهودا تعرف بعاموس) حيث ذهب لشراء بهيمة لوليمة زفاف ابن ربا جمليل" ما حكم من يضاجع أخته، وعمته، وخالته، لسهو واحد؟ هل يلزم بذبيحة واحدة عنهن جميعاً، أم بذبيحة واحدة عن كل واحدة على حدة؟ فقال لي: لم نسمع عن مثل هذه الحالة، ولكن قد سمعنا: أن من يضاجع خمساً من نسائه أثناء حيضهن بسهو واحد، فإنه يلزم بذبيحة واحدة عن كل واحدة على حدة، ونرى نحن أن يكون حكم هذه الحالة بالقياس.

- وسألهم رابي عقيبا: ما حكم العضو المتدلي من البهيمة؟ قال له: لم نسمع عن مثل هذه الحالة، ولكن قد سمعنا: أن العضو المتدلي في الإنسان يعد طاهراً، حيث كان المصابون بالدمل في أورشليم يتصرفون على هذا النحو: كان يذهب المصاب إلى الطبيب عشية الفصح، فيقطعه حتى يترك به عرض شعرة، ثم يغرز به شوكة، ثم يسحب المصاب بالدمل نفسه، ويؤدي هذا إلى فصح، ويؤدي الطبيب فصح، ونرى نحن أن يكون حكم هذه الحالة بالقياس.

- قال رابي يهوشوع: لقد سمعت عمن يأكل من ذبيحة واحدة في خمسة أطباق بسهو واحد بأنه يلزم بذبيحة واحدة عن كل واحد على حدة، جراء تدنيس الأشياء المقدسة، وأرى أن يكون حكم هذه الحالة بالقياس، قال رابي شمعون: ليس هذا ما سألهم عنه رابي عقيبا، وإنما عما هو حكم من يأكل بقية من خمس ذبائح بسهو واحد؟ هل يلزم بذبيحة واحدة عنها جميعاً أم بذبيحة واحدة عن كل واحدة؟ فقالا له: لم نسمع عن مثل هذه الحالة. وقال رابي يهوشوع: لقد سمعت عمن يأكل من ذبيحة واحدة في خمسة أطباق بسهو واحد، بأنه يلزم بذبيحة واحدة عن كل واحد على حدة جراء تدنيس الأشياء المقدسة، وأرى أن يكون حكم هذه الحالة بالقياس.

- قال رابي عقيبا: لقد سألت رابي اليعيزر: ما حكم من يؤدي أعمالاً كثيرة في سبوت كثيرة من نوع العمل نفسه وبسهو واحد؟ هل يلزم بذبيحة خطيئة واحدة عنها جميعاً، أم بذبيحة خطيئة واحدة عن كل واحد من تلك الأعمال على حدة وبالقياس. (انتهى الاقتباس من متن التلمود).

(1) انظر القياس من ص 370-376. من كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي .

(2) انظر كتاب التلمود القسم الخامس المعنون: المقدسات (قداشيم) – المبحث السابع القطع (كريتوت) انظر الفصل الثالث . حول القياس: ترجمة . د مصطفى عبد المعبود الطبعة الأولى 2007 م .

والواضح فإن ما ورد من النصوص التي نسختها عن بعض مواضع القياس، كما هي دون زيادة أو نقصان من متن التَّلْمُود (السنة التشريعية المفصلة لليهود)، إنهم يعرضون الحكم الأساس ثم يقيسون عليه حكماً آخر قريباً منه أو مماثلاً له من وجهة نظرهم، وعند قراءة محتوى النص تجد الكثير من الفرضيات والتعقيدات والغموض، وقد جاء تعريف الشافعي للقياس موافقاً لمضمون النص الأصلي المقتبس من التلمود، بكل عيوبه من الغموض والتعقيدات وركاكة واضحة في تركيب الجمل، كما اننا نجد صعوبة بفهم ما يريد الشافعي أن يوصلك إليه، إذ تجده يستخدم نفس البناء الشكلي لمتن التَّلْمُود في القياس، غير أنك تتوه معه في سبيل الوصول إلى فهم معنى القياس؛ فهو يماثل القياس بالاجتهاد، ويرى للقياس ظاهراً وباطناً ويضرب أمثلة لذلك، ثم يعرف القياس بصورة ضمنية من كون له وجهان كما جاء في قول الشافعي: "إن يكون الشيء في معنى الأصل، فلا يختلف القياس فيه وأن يكون الشيء له في الأصول أشباه، فذلك يلحق بأولاهها به وأكثرها شبهاً فيه وقد يختلف القائسين في هذا..." ثم نراه ينتقل من موضوع إلى آخر ويضرب أمثلة هنا، وهناك ويؤول القرآن الكريم على غير مؤول ليضفي مشروعية على عمله بالقياس على غير هدى وبصيرة. مع العلم أن القياس في كلام الله (القرآن) لا محل له ولا اعتبار في استنباط الأحكام الشرعية، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الزمر: 7).

12-7 الشافعي والاستحسان والرد عليه:

يورد الشافعي الحديث عن الاستحسان⁽¹⁾ بصيغته المعهودة عن طريق السؤال والجواب وأسلوب الحوار المفترض في مخيلته ب (قال وقلت) فضلاً عن طريقته في حشر أكثر من عنوان وموضوع أثناء حديثه حسب تأليف كُتب فكر الطوائف بالعهد القديم. وقد بيّن أن الاستحسان لا يصح بغير قياس ثم أسهب في شرح القياس متناسياً الموضوع الأساس الذي عنونه بباب الاستحسان، فتكلم عن القياس بدلاً عنه، ومن المهم الإشارة إلى بعض ما وجدناه في مواضع هذا الباب، وهي:

- ركاكة البناء اللفظي للجمل والعبارات في أغلب محتوى الموضوع، كما هو في جملة محتوى الكتاب، ومن غريب الكلمات والألفاظ وموقعها في الجمل ما يدل على ضعف لسان قائلها، وعدم انتمائه للعربية، من ذلك: (خابر) (بقيم) (هذا هكذا) (جمع الآلة)،⁽²⁾
- ذكر الشافعي أن دماء وأموال أهل الكفر المقاتلين غير المعاهدين مباحة، وقال الشافعي: ولم يُحظر علينا منها شيء أذكره، فكان ما نلنا من أبدانهم دون الدماء، ومن أموالهم دون كلها: أولى أن يكون مباحاً، فأى ظلم هذا الذي بلغه الشافعي في حق الناس وفي حق الإسلام والمسلمين؟⁽³⁾

(1) . باب الاستحسان في كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي – انظر من ص 387، 420،

(2) . باب الاستحسان في كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي – انظر من ص 389-391 .

(3) . باب الاستحسان في كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي – انظر من ص 394.

- جَوَز الشافعي (نكاح) الأمة الثيب، وهي المرأة المملوكة لسيدها، وهي على ذمة رجل آخر (متزوجة) وساواها في الضمان كـ "النخيل والماشية" قياساً، فهل بقي من القهر والظلم للمرأة أكثر من هذا؟(1)
- أسس الشافعي حكم الدية على العاقلة في القتل الخطأ للحر دون العبد، وأكد على أن دية العبد في ثمنه قياساً، وهذا الحكم مقتبس من كتب الأديان القديمة، مخالف للقرآن الكريم الذي أكد أن النفس بالنفس كمبدأ عام في الجزاء عن الأفعال التي تكون على فاعلها، ولا تزر وزر أخرى.(2)
- أوجد الشافعي حكم دية المرأة لتكون نصف دية الرجل مخالفاً للقرآن الكريم(3).
- تقول الشافعي على الرسول بحكم دية الجنين بغرة عبد أو أمة، وقوم أهل العلم الغرة خمساً من الإبل(4).

8-12 قول الشافعي حول الاختلاف والرد عليه:

على الرغم مما قامت به جماعة التحريف في زرع الخلاف والاختلاف وبث الشقاق والنزاع بين بني الإنسان قديماً وحديثاً بصورة مخفية ومستترة إلا أنها بهذا العنوان أوجدت للخلاف والاختلاف عنواناً بارزاً يعرف به، فأسس له قواعد وأحكام، حسب ما فعله الشافعي في هذا العنوان، إذ ينتابك إحساس بأن الشافعي أوجد هذا الباب من أجل شد الانتباه إلى إثارة قضايا خلافية مهمة كانت تشكل حجر زاوية في المجتمع، فتراه في هذا الباب يخصص له عدداً من الصفحات(5)، ويؤكد من خلاله على وجود الاختلاف قديماً وحديثاً، ويبين أن هناك اختلافاً محرماً، ثم يأخذ كعادته في تغيير المواضيع، وإدخال كلمات لا تدخل في سياق الجمل، ثم ينتقل لتوظيف وتأويل القرآن الكريم لتحسين الموضوع المراد الحديث عنه خلافاً لمقصد النص، فيذكر قوله جَلَّ في علاه: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ (البينة: 4) ثم يضيف قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: 105)، ثم يؤكد الشافعي بهذا الاجتزاء مشروعية الخلاف والاختلاف في الإسلام، على الرغم من أن القرآن الكريم جاء بتعاليم واضحة دقيقة، سهلة الفهم محكمة التنزيل، لا محل للاختلاف فيها نهائياً، ومع ذلك يحاول الشافعي إقناع القارئ بوجود الاختلاف تحت مبرر ما لم يرد فيه كتاب ولا سنة فيأتي بأحكام مخالفة للقرآن الكريم ولمواضيع سهلة لا وجود خلاف عليها ألا في مخيلته، ولعدد من الأمور التي يراها مهمة وتتمثل فيما يلي:

1- جعل الشافعي فهم الحيض والإقراء في عدة المطلقة قضية خلافية مهمة، استفتح بها هذا الباب ومن خلال اجتزائه شطر الآية، ولو قرأت الآية كاملة ستجد دلالتها سهلة الفهم، ولا محل للخلاف في معنى (ثلاثة قروء) بثلاث حيضات، وهي فترة استبراء

- (1) باب الاستحسان في كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي - انظر من ص 396- 398 .
- (2) باب الاستحسان في كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي .انظر من ص 402- 407.
- (3) باب الاستحسان في كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي . انظر ص 411.
- (4) باب الاستحسان في كتاب الرسالة / محمد بن ادريس الشافعي . انظر ص 419.
- (5) . باب الخلاف والاختلاف في كتاب الرسالة: محمد بن ادريس الشافعي انظر من ص 421- 443.

رحم المرأة بعد الطلاق، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: 228).

2-إن الاختلاف محرم فيما ورد فيه نص من الكتاب أو على لسان النبي صلى الله عليه وسلم كما يرى الشافعي.

3-ثم جاء على ذكر التأويل والقياس وإن خالفه فيه غيره، ومذموماً الاختلاف فيما جاءتهم البينات مستدلاً بالقرآن الكريم، بقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ (البينة: 4)، وَقَوْلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: 105) دون وجود وجه أو سبب لما استدل به،⁽¹⁾.

4-جَوَزَ الشافعي وطء (نكاح) سبي وادي أوطاس في ديار حنين بعد أن يستبرئ بحیضة، ففرق بين استبراء المرأة (الأمة تستبرأ بحیضة واحدة والحره بثلاث حیضات)، متقولاً بذلك على النبي، وهو ما يعد مخالفاً للقرآن الكريم ومخالفاً للقيم والأعراف والأخلاق العربية والقيم الإنسانية، ويورد محقق الكتاب حديثاً بهامش إحدى الصفحات عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في سبي أوطاس: "لا توطأ حامل حتى تضع، ولا غير حامل حتى تحيض حیضة" حديث رواه أحمد وأبو داود وغيره، وفي هذا التشريع من الظلم والإجرام ما يعد قمة الفحشاء والمنكر والرسول من هذا القبح بريء.⁽²⁾

5-بعد إسهاب طويل في موضوع الأزواج الذين يؤلون من نسائهم، قال الشافعي: من يمتنع عن إعادة زوجته بعد أربعة أشهر عليه أن يطلقها لأنه لا يحل أن يجامع عنه! وهو قول غريب ومعيّب.

6-أوجد الشافعي بعض أحكام المواريث، مثل الحجب والعول، وهي مقتبسة من التلمود، والقانون الروماني،⁽³⁾ وجعل من اختلاف الدين مانعاً من الإرث، وهذا كله مخالف للقرآن الكريم الذي فصل تقسيم الميراث، كما جاء في سورة النساء، حسب قاعدة واحدة من اتصال الوارث بالمورث عن طريق النسب والمصاهرة، بغض النظر عن الدين.

وبهذا أكون قد أنهيت التعليق على أهم العناوين والمواضيع المختارة من كتاب "الرسالة" للشافعي، وقد اخترت هذه المواضيع لأهميتها مع أن الكتاب احتوى على عناوين كثيرة؛ وبعض المواضيع متداخلة ومكررة، ومضامين بعضها لا تتوافق مع عناوينها، كما أنها تحتوي في سياق بناء الجمل والعبارات على تعقيدات لغوية تصيب قارئها بالإجهاد والشتات الفكري،

(1) باب الخلاف والاختلاف من كتاب الرسالة / محمد بن إدريس الشافعي – انظر ص 421.

(2) باب الخلاف والاختلاف من كتاب الرسالة / محمد بن إدريس الشافعي – انظر ص 423.

(3) . مدونة جوستنيان – عبد العزيز فهمي . 1946م

وتجعل القارئ أكثر اضطراباً، كما تظهر الاستدلال من الأحاديث محل تناقض فاضح وواضح مع بعضها البعض.

وقد قصد الشافعي من هذا كله بناء تشريعات وأحكام تهدم الإسلام من الداخل، وهو ما لن يكون لأن القرآن الكريم جاء سهل القراءة ميسر الفهم سلس الألفاظ والمعاني بديعاً في بنائه اللغوي، حسب ما وصفه الله سبحانه وتعالى قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: 17) وتكررت هذه الآيات: (22، 32، 40) من سورة القمر. ويمكن الرجوع إلى نصوص الذكر الحكيم للتعرف على عظمة هذا الكتاب المبين الواضح عربي غير ذي عوج.

الفصل الثالث عشر

فقه تحريف مدرسة الحديث

مدخل:

لقد أنتج تعدد مذاهب و فرق الفكر الإسلامي السني/ الشيعي موروثاً ضخماً من المؤلفات والمخطوطات في الحديث وأصول الفقه وفقه السيرة (التاريخ) والتفسير والتأويل وعلم الكلام وغيرها، صُنِّف بعضها بالدرجة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث الترتيب كمصدر للتشريع، وفي كثير من الأحيان تجاوزت القرآن الكريم وأصبحت هي الأساس في بعض التشريع والاستدلال والعمل في مجالات الحياة الإسلامية حتى اليوم.

وقد كان ذلك ثمرة جهد من يطلق عليهم فقهاء وأئمة المذاهب والحديث والفرق، الذين أصلوا لهذا الفكر قواعد خاصة أطلقوا عليها مصطلحات أصول الشريعة لمذهبي السنة والشيعية ومنها: (العمل بالكتاب، وسنة النبي القولية والفعلية والتقريرية وفقه الأئمة من أهل البيت) ثم رتبوا قواعد أصول فقه الأحكام من (الإجماع والقياس والناسخ والمنسوخ وخبر الأحاد والاستحسان والمصالح المرسلة والاستصحاب وأقوال الصحابة وأقوال التابعين والأولياء وشرع من قبلنا وأخيراً العرف) وغيرها من المصطلحات الأصولية لاستنباط الأحكام الشرعية والعمل بأحكام الدين.

ولا ننسى فقه السيرة وفقه التأويل وفقه التفسير ودورها في شخصنة القرآن بالمكان والزمان والأشخاص والحوادث ولم يكف ذلك بل أنهم عمدوا إلى قواعد اللغة العربية فجعلوا منها أساس في فهم القرآن واستنباط الحكم الشرعي ومقاصده، وقد برروا العمل بهذه القواعد الفقهية المخترعة من قبلهم والمندسة من العقائد القديمة بالقول إن القرآن الكريم اشتمل على بيان الكليات والعموميات ولم يأتي بتفاصيل كثير من المناسك والشعائر كالصلاة مثلاً، وأن السنة جاءت مفصلة لما أجمل، ومبينة ومقيدة ومطلقة وموضحة ومفسرة،... إلخ، فالعلم بالسنة بمرتبة العلم بالقرآن، وهذا القول يشابه مع قول اليهود عن التلمود: من أنه الشريعة المفصلة والموضحة والمقيدة... إلخ للتوراة بأسفارها المتعددة وهذا يقودنا إلى بعض التساؤلات والإجابات المختصرة عليها في الآتي:

1-13 تساؤلات وأجوبة:

1-1-13 السؤال الأول: هل الرسول أو النبي مؤكل إليه تشريع نص خارج القرآن؟

الجواب: لا؛ لأن لفظ (الرسول) و(النبي) وصف وظيفي لشخص عادي من الناس، يختاره الله سبحانه حسب المشيئة والقدرة والأختيار من قبل الله سبحانه لمن يشاء من عبادة لهذه الوظيفة المحددة بالنبي أو الرسول، حسب جملة من الشروط والآداب المنصوص عليها في آيات القرآن الحكيم، كما في سورة الأحزاب وغيرها.

وقد حدد الله جلّ في علاه المهام والأعمال المكلف بها النبي والرسول حسب ضوابط محددة لا يجوز تجاوزها، ومن ثم فالرسول والنبي ملزم بالاتباع والتقيّد والتنفيد، لما كلف به من الرسالة أو النبوة، وفي الوقت نفسه هو مكلف بإبلاغ القوم أو الناس حسب حدود التكليف الصادر إليه من رب العزة الله جل جلاله بالرسالة المكلف بها أو حسب التكليف الصادر إليه من خلال عمله الوظيفي كنبي أو رسول أو كليهما معاً، وأن أهم مميزات الرسول كثير منها أنه لا ينطق عن هواه في الرسالة المكلف بها حصراً، بل هو مقيد بالوحي الموحى إليه من ربه حسب مفهوم الرسالة المكلف بها، فلا يتكلم إلا بما جاء بالرسالة من العموم والتفاصيل في الحلال والحرام وقواعد الأحكام ومجمل الوصايا والأمثال يحل ويحرم ما أحل الله سبحانه ولا يجوز له مطلقاً سن أي تشريع أو عمل خلافاً لمقتضى الرسالة المكلف بها والتكليف المنوط بوظيفته المحددة كحامل رسالة لا يجوز له مخالفتها، ومن مهام الرسول تبليغ الرسالة بالحكمة والموعظة والحسنة، وكل الأنبياء والرسل جاؤا برسالة واحدة وأن تعددت ألسنتهم وأماكن وجودهم على الأرض، وكل الأنبياء والرسل من البشر والناس لا فرق بينهم وبين بقية الناس إلا بالتقوى، وأن الله سبحانه هو وحده له حق اختيار النبي والرسول، وأن الله سبحانه هو المتفرد بتأييد بعض الأنبياء والرسل بآيات أعجازية توصف بالخارق وأخرى توصف بالعلم حسب ما جاء بالقرآن العظيم، ومن هنا فالناس ملزمون باتباع الرسول حسب القاعد السابقة، كما أنهم ملزمون ومعهم الرسل والأنبياء بالأخذ بالعرف في كل ما لم يرد به من كلام الله (قرآن) خاصةً وإن كان ضمن عموميات كلام الله سبحانه الوارد بآيات كثيرة في القرآن العظيم والمفصل، والتي ننسخ بعض منها على النحو التالي:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ النجم: (3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ الأحزاب (2).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا...﴾ النحل (123).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ...﴾ يونس (109).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ الأنعام (106).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ الحجر (89).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الحج (49).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ الفرقان (51).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الشعراء (115).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الأحزاب (45).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ فاطر (23).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ص (70).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الفتح (8).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ الذاريات (50).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ الملك (26).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ الأنعام (50).
- ق قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ الأعراف (3).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ الزمر (55).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا..... وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف (158).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف (203).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِيَّ إِنِ اتَّبَعِ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾ يونس (15).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ المائدة (67).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ الأعراف (68).

وغيرها من آيات الذكر الحكيم التي حصرت وظيفة النبي والرسول بإبلاغ بالرسالة المكلف بها وبما يوحى إليه من ربه، والأخذ بالعرف بصيغة الأمر حسب قول الله جلّ في علاه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف (199)، فكان العرف احد أهم قاعدة لسن القانون من أجل تنظيم شؤون الحياة بما يتوافق مع عموميات وخصوص القرآن الكريم، وهكذا فقد جاء اجتهاد الإنسان في صياغة الأعراف والقوانين قديماً (قوانين بابل – قوانين روما) وحديثاً القانون المكتوب في جميع فروع الحياة بما يتوافق مع عموم آيات الذكر الحكيم شاهدٌ على فطرة الله ورحمة منه سبحانه للعباد، أما في الحياة العادية للرسول والنبي فهو شخص عادي يعمل ويأكل ويشرب وينام ويصحو ويفرح ويحزن وغير ذلك، ولمزيد من إثراء هذا الموضوع فقد ورد في عنوان آخر (فصل) فقه الرسالة والرسول في الجزء الثاني من هذا المؤلف يمكن الرجوع إليه خشية الأطالة.

13-1-2 السؤال الثاني: هل القرآن الكريم ناقص لكي تكملة السنة والحديث وأقوال أئمة أهل البيت وغيرهم ؟

الجواب (لا) لقد جاء القرآن الكريم كلام الله سبحانه كاملاً مكمل يتحدث عن المستقبل بصيغة الماضي وذلك هو المعجز حقاً، كما أنه يتحدث عن الحاضر المستمر ويربطه بقواعد وثوابت العلم بالفضيلة، وبنفس الوقت يحدثنا عن قواعد الشر والفساد، ومن أبرز خصائص ومميزات القرآن أنه كلام الله سبحانه الموحى به لكل البشر ابتداءً من آدم الأنثى وادم الذكر فهو يخاطب فيهم النفس والروح والعقل والفكر والقلب، كما أنه يخاطب المادة والسماء ويحدثنا عن قواعد الكائنات الحية والمادة، وأوحى الله سبحانه به كرسالة واحدة مع تعدد الأنبياء والرسول كلاً بلسان قومه (شعب)، وأن مشيئته قضت جمع كلامه الموحى على مسيرة الحياة بالألسن المتعدد على لسان عربي مبين وأنزل وحيً على النبي والرسول محمد عليه السلام، فكان هذا القرآن بين دفتيه الكتاب رسالة الله سبحانه، فالقرآن يحوي صحف إبراهيم وموسى، والتوراة، والفرقان، والزبور، والإنجيل، هذا هو القرآن كلام الله سبحانه، والناظر الفاحص إليه بالعقل والفكر والبصيرة يدرك أن القرآن جاء بقواعد عامة وأخرى خاصة نذكر بعضاً منها بالآتي:

- الشعائر والمناسك: جاء القرآن بها مفصلاً فلا يجوز الزيادة ولا يجوز النقص فيها مثل الصلاة والصيام وشعائر الحج والعمرة.
- المحرمات: جاء القرآن بها مفصلاً فلا يجوز الزيادة ولا يجوز تحليل ما حرم الله سبحانه حسب.
- الحلال: الطيب جاء القرآن به بألفاظ متعددة وقواعد عامة وترك للناس العمل بالعرف لتشريع تنظيم العمل به وإستغلاله على وجه تحقيق المنفعة بين الناس في الزمان والمكان .
- العرف: جاء القرآن به كقاعدة أساسية من أجل خلق تشريع ينظم حياة الإنسان وكل ما يدب على الأرض أو في السماء، في الزمان والمكان، وما يؤكد على مصداقية هذا الجواب ما جاء من آيات القرآن الكريم التي تؤكد كمال دين الإسلام فليس فيه نقص، ونورد بعضاً منها في الآتي.

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: 3)
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام (38).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾ الأنعام (154).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكُنَّا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ الأعراف (145).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾ النحل (89).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ النبا (29).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف: 54).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: 37).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: 37).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (النمل: 76).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَنْ جَنَّتْهُمْ بَايَةٌ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ (الروم: 58).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الزمر: 27)، وغيرها من آيات الذكر الحكيم.

13-1-3 السؤال الثالث: هل جاء القرآن غامضاً أو مبهماً حتى يفسر أو يؤول من المفسرين وأئمة أهل البيت:

الجواب: (لا). المعلوم أن القرآن كلام الله سبحانه، فكان كلامه المعبر عن ذاته سبحانه ومن المحال على ذات الله سبحانه وتعالى أن يكون كلامه غامض أو مبهم، فالمخلوق كان كلمة (كن، فكان)، وكذلك كان كلامه في الكتاب، فكان كتاباً محكماً، ومفصلاً، ومبيناً وميسراً، ومدكراً، وبلساً عربياً، وبعدد من محاسن الأوصاف والكمال، فهو نصاً سامي يعلوا ولا يعلى عليه، فلا يصح القول أنه يحتاج للتفسير أو التأويل أو يقال عليه بالنسخ والقياس والإجماع أو الاستحسان أو الإستصحاب أو المصالح المرسلة أو غير ذلك من أصول ومصطلحات الألفاظ المندسة بغرض التحريف من الحق إلى الباطل، والله سبحانه تعالى يصف القرآن بعدد من الأوصاف في آيات القرآن الحكيم نذكر بعض مما تيسر منها:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ﴾ (يس: 2).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (الزخرف: 2).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (الدخان: 2).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِي تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (يوسف: 1).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِي تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ (الحجر: 1).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (الشعراء: 2).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: 195).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿طُسُّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (النمل: 1).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (القصص: 2).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (يس: 12).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (يس: 69).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الزمر: 1).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل: 6).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (لقمان: 2).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (يونس: 1).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفَةٍ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: 42).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف: 4).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الجاثية: 2).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ (النساء: 174).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: 59).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (هود: 6).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل: 103).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ (الطارق: 13).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: 3).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَهْلَ الْأَرْضِ وَالْأَنْبِيَاءِ قَدْ جَاءَكَ مِنْ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ (الأنعام: 126).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: 154).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: 52).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ...﴾ (الأعراف: 145).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف: 174).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس: 37).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...﴾ (فصلت: 44).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: 2).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا...﴾ (الرعد: 37).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا...﴾ (طه: 113).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: 195).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر: 28).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا...﴾ (الشورى: 7).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف: 3).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأحقاف: 12).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: 17).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: 22).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: 32).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: 40).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنَّمَا يَسْرُنَاهُ لِبِلسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (مريم: 97).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنَّمَا يَسْرُنَاهُ لِبِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدخان: 58).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (الفرقان: 33).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا...﴾ (الأنعام: 114).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (الإسراء: 89).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الزمر: 27).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (النمل: 1).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...﴾ (الإسراء: 9).
- قَالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: 7).

ومع هذه الآيات هل يصح القول بتفسير أو تأويل كلام الله في القرآن الكريم ؟
 وهل بقي لتفسير وتأويل مذاهب السنة والشيعية (القرطبي – ابن كثير – كتب أهل البيت من الأئمة في التفسير والتأويل المختلفة – وكتب التفسير والتأويل عن أهل السنة والجماعة، وغيرها) مكان بعد هذه الآيات ؟

ولزيادة التوضيح لإثراء الإجابة على السؤال أعلاه فقد اعتمد مزعوم علم التفسير على بقية العلوم الأخرى من علم الحديث، وعلم أصول الفقه، وعلم الكلام لبيان وتفسير القرآن المبين، ومعلوم أن التفسير يكون للشيء الغامض والمبهم الغير واضح كما أوضحنا أعلاه، لذلك ذهبوا لتفسير القرآن خلافاً لذلك وبمفردات لغوية مترادفة وغيرها، وأدخلوا قواعد النحو واللغة ضمن أصول التفسير، فأحدثوا خللاً كبيراً في فهم كلام الله - سبحانه، وقيدوا القرآن الكريم بالمكان والزمان، والشخص، والأحداث، ثم زادوا على ذلك أن أطلقوا لأنفسهم العنان في تأويل القرآن المحكم والمفصل، كيفما يشاؤون، فكانت الكارثة أعمق في التوظيف السيئ لآيات القرآن الحكيم، الأمر الذي أخرج النص الأساسي عن سياقه الأصلي، فجاء مخالفاً لمقصد النص نفسه، ومخالفاً للعقل، والفطرة السليمة، وما زاد الطين بلة أنهم أطلقوا مقولة أن القرآن المحكم حمّل أوجه، أي أن فهمه متعدّد في المسألة الواحدة، وأعطوا الحق لكل شخص أن يفسره وفقاً لفهمه في الزمان والمكان وهذا الكلام بحد ذاته فخ وقع فيه الكثيرون من المفكرين، ثم جاؤوا بشروط العلم باللغة العربية، وجعلوا من الفقه باللغة حجة على القرآن، والحقيقة أن القرآن الكريم - كلام الله سبحانه هو الحجة على اللغة وليس العكس، واعتبروا هذه مزية حسنة، وهي في الحقيقة الطامة الكبرى في هذا العلم الدخيل والمصطنع، وعلى إثره ظهرت مدارس للتفسير، بتعدّد المذاهب، والفِرَق، والجماعات، وكلّ مذهب أو فرقة قدّم قراءة مختلفة وتفسيراً خاصاً به مختلفاً عن غيره، وبما يوافق مذهبه وفرقته فبدّلوا وحرّفوا وأحدثوا شراً عميقاً في فهم القرآن الذي وصفه الله - سبحانه وتعالى - أنه قرآن كريم ومبين ومفصّل وميسر ومُحكّم ومجيدّ وعظيمٌ وعربيٌّ، وغير ذي عوج، فهل هذه الأوصاف والصفات التي وصف الله - سبحانه وتعالى - بها كلامه نحتاج معها إلى تفسير أو تأويل؟ ومن أمثلة من سلكوا هذا الطريق المعوج المخالف لكلام الله - سبحانه - ما جاء في كتاب التفسير والتأويل في صحيح البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم، وكتاب الكافي، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير، وتفسير الجلالين، وغيرها، تحت مبرراتٍ واهية لا أصل لها غير مزيد من التحريف في اتباع السبل عن طريق الصراط المستقيم.

وأخيراً نوجز القول: إن التفسير لا يكون إلا للشيء الغامض المبهم حسبما سبق بيانه، بخلاف القرآن المبين، الواضح، الميسر، العظيم، الكريم، ذلك هو القرآن بلسان عربي، غير ذي عوج وهو كلام الله الثابت الخالد، الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن عزيز حكيم.

4-1-13 السؤال الرابع: هل قواعد اللغة العربية شرط أساسي لفهم ومعرفه القرآن الكريم؟

وردت الإجابة على هذا السؤال في كثير من آيات القرآن نكتفي بنسخ بعض الآيات للإجابة المختصرة على هذا السؤال لمن كان يذكر ويفقه (يفهم).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِشُبَّانٍ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (مريم: 97).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدخان: 58).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: 17).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: 22).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: 32).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ (القمر: 40).

هذه الآيات تكفي للرد على أئمة المذاهب والفرق والجماعات، الذين زعموا أن العلم الواسع باللغة العربية شرط أساسي للعلم بالقرآن الميسر للذكر، وإذا كان الأمر كذلك، فإن زعم أولئك الذين لم يفقهوا كلام الله دفعهم هذا الزعم لتعقيد المعرفة والفقه والإدكار العقلي لآيات القرآن الكريم والمبين والعربي والميسر، بل عمدوا لتحريف القرآن بما يتناسب مع بعض المفردات اللغوية المبتكرة منهم خلافاً للنص في كتب فكر المذاهب الإسلامي، وهنا فإنني أؤكد على حقيقة ناصعة في جبين الفكر الديني من أن القرآن الكريم حجة على اللغة العربية وأي لغة إنسانية أخرى وليس العكس، حيث أن جماعة التحريف عمدت إلى أن تجعل من إدكار وفقه القرآن يأتي من بوابة العلم باللغة خلافاً لمقصد خطاب القرآن الذي أكد على أن فهم (فقه) القرآن يأتي من خلال العقل والقلب وهو مقصد القرآن بالإدكار ثم الفقه الميسر ثم فقهه باللغة.

13-1-5 السؤال الخامس: هل دعا الإسلام إلى تعدد أنماط حياة الإنسان على الأرض؟

الإجابة: (نعم) ؛ لأن تعدد أنماط الحياة تعبيراً عن طبيعة التنوع الذي أودعه الله في خلق الإنسان، وكل الخلائق الحية، كما تؤكد ذلك كثير من آيات القرآن العظيم ونأتي على ذلك بمثل من بعض آيات القرآن:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: 199).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾ (المائدة: 48).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ...﴾ (فاطر: 28).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس: 19).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ (النحل: 13).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ...﴾ (فاطر: 28).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: 118).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس: 19).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الرّوم: 22).

وهنا تظهر تعدد أنماط الحياة التي أقرها الإسلام: ليشمل تعدد الثقافات وتعدد مناهج الإدارة ومناهج الاقتصاد ومناهج السياسة والحكم، وهذا التعدد من رحمة الله سبحانه للناس في ضوء ما تعارف الناس عليه من قواعد العمل بالعرف والقانون، بما لا يخالف الفضيلة القائمة على الإيمان بالله وحده والاعتقاد بكلام الله سبحانه في القرآن الموصل للخير والحق والعدل والمساواة والحرية بمفهومها الواسع، ومثال على ذلك العمل على إقامة العدل وحرية الاعتقاد الديني وقيام الشورى والديمقراطية في المجتمعات والحكم المدني والنهي عن الفساد، والمحافظة على العهود والمواثيق، والمحافظة على حقوق الإنسان والحريات المدنية على قاعدة واحدة، ونبذ التمييز في الدين والعرق والجنس واللون وإشاعة الحب والسلام بين الشعوب والأمم، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول والأفراد واحترام الحرية الشخصية ونبذ الكراهية والحقد والإرهاب والأصولية.

6-1-13 السؤال السادس: هل أقر الإسلام حرية الأديان والاعتقاد؟

الجواب: (نعم)، فقد دعاء الإسلام إلى حرية الأديان والاعتقاد منذ الأزل، وهو ما زال يؤكد ذلك بكلام الله سبحانه في القرآن الكريم المنزل على جميع رسل الله صلى الله عليه وسلم بمسميات متعددة وبخطاب واضح يقر فيه حرية كل إنسان في اختيار دينه وعقيدته، حسب ما نصت عليه آيات عدة من الذكر الحكيم، نذكر منها:

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَّائِمَةً ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: 54).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 256).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾ (الكهف: 29).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 256).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون: 6).

وفي الوقت نفسه حذر من الفرقة والتفرقة في دين الله سبحانه أو تحريفه أو الاعتقاد بغيره، كما حذر من جعل الدين والعقائد وسيلة للصراعات السياسية والتناحر ما ينتج عنه ثقافة الكراهية والعداء والعصبيات القاتلة في إطار الدين الواحد وكذلك بين الأديان المختلفة،

فالإسلام دين الناس جميعاً، وهو دين اختياري ليس فيه إجبار أو إكراه، حسب ما سبق بيانه، فهو دين ذو تشريع واحد وعقيدة واحدة، جاءت في آيات محددة في القرآن ميسرة للقراءة والإدراك، نسرد بعضاً منها:

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الرّوم: 32).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام: 159).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: 103).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: 3).

13-1-7 السؤال الأخير: من أين جاءت هذه الطوائف والمذاهب والفرق والجماعات الدينية وتلك الآلهة؟

الإجابة: إنّ هذه الطوائف والفرق والمذاهب بكل مسمياتها، لم يكن مجيئها طبيعياً أو فطرياً أو محموداً كما ذكر الشافعي في كتابه الرسالة في باب الاختلاف، وإنما هي نتيجة عمل جماعة التحريف المتصلة بمكر إبليس الذي توعد وأقسم على تحريف كلام الله سبحانه وتوعده بالعود على الصراط المستقيم فخلق نصاً يخالف كلام الله الأعلى (القرآن) الصادر عن الله سبحانه، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف: 16). ومن هنا بدأ أولاً بخلق نص من الكلام نسبه كذباً إلى الله وتقول به على لسان الأنبياء والرسل كذباً، شرع به من الدين ما لم يأذن به الله سبحانه، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف: 16)، ثم صنعوا لهم آلهة بمسميات واشكال مختلفة لتجسيد عقيدة الانتماء فكان هذا الاله يختلف من مكان لآخر ومن زمان لآخر وقد ذكرهم الله سبحانه في آيات القرآن، كما ذكر الله سبحانه في القرآن فأنبياء بعلمه المسبق عن ما ستؤول إليه الأمور من حال الناس في تقسيم الدين فحذرهم بعدداً من الآيات ننسخ لكم بعض منها:

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (الأنعام: 159).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الرّوم: 32).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ (البينة: 4).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ المؤمنون (53).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ المجادلة (19).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ...﴾ البقرة (51).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ ص (5).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ...﴾ الأعراف (152).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْهَيْرَ فَاتَّوَا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ الأعراف (138).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأعراف (30).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ الكهف (4).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ مريم (81).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ الأنبياء (21).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ الفرقان (3).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ الفرقان (43).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يس (74).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...﴾ الزمر (3).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاقِفُونَ﴾ الأنبياء (52).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ الأنعام (74).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ مريم (81).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ الأنبياء (21).

● قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنبياء (22).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يس (74).

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ نوح (23).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَنفَكَّا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الصافات (86).

وكل ما سبق وما سيأتي من عملنا ليس من أجل شيطنة عقائد الآخرين كما قلت مراراً، بل هو دعوة لأخي الإنسان لقراءة هادئة وميسرة وإعمال العقل والفكر في جميع النصوص الدينية المقدسة للعقائد والأديان وأدبيات الطوائف والمذاهب والفرق والجماعات المنضوية فيها مع فكر مذاهب السنة والشيعة وفرقهم وجماعاتهم واعتماد منهج المقارنة ومقابلة كل تلك النصوص المقدسة وفكر الطوائف والمذاهب والفرق والجماعات مع القرآن بحرية مطلقة لمعرفة الحق والحقيقة حول مشروعية هذه الأديان والطوائف والمذاهب والفرق والجماعات المنضوية فيها، وهو ما حاولنا عمله في هذا المؤلف ولو بشيء يسير.

13-2 السنة والشيعة النشأة والتأثير:

نشأت المذاهب الإسلامية بتأثير وعمل جماعة التحريف التي قامت سابقاً بنفس الفعل في صناعة الأديان والعقائد والطوائف والفرق والجماعات الدينية القديمة بكل تفرعاتها، وأول ما صنعتها مذهبين رئيسيين، هما: المذهب السني (أهل السنة والجماعة)، ومذهب الشيعة (الاثني عشرية)، ومنهما تفرخت عدد من المذاهب والفرق والجماعات الأخرى، وتتأرجح طبيعة وحال هذه المذاهب وما تفرع عنها من الفرق والجماعات، ما بين التطرف والوسطية وتكفير الآخر وإباحة الدماء حسب الفتوى، والموقف المعلن من قضية ما أو فقاً لمعتقد الحاكم السياسي أو غيره من المرجعيات الدينية المختلفة، وما يزال تفريخ هذه الطوائف والجماعات وتشظيها قائماً للأسف حتى يومنا هذا.

ومن المذاهب السنية برزت فرق وجماعات التكفير والتشدد المذهبي مثل جماعة السلفيين بكل تفرعاتها، فضلاً عن جماعة الدين السياسي المولودة حديثاً كالأحزاب الإسلامية، والجماعات المذهبية المنضوية تحت روائها وغيرها، وهي جماعات ليس لديها أي برامج علمية في الجوانب الاقتصادية والسياسية ولا تتقبل الاندماج بسهولة مع متغيرات الحياة، وتتسم أفكارها بالأصولية والتكفير للآخر، وجل اهتماماتها: العودة بالناس إلى حياة السلف من حياة البداوة، ونهجها يقوم على إحياء مشروع الخلافة الإسلامية وطاعة ولي الأمر أو الإمام الحاكم وعدم الخروج عليه ما لم يعلن بكفراً بواح، معتمدة على موروث من الفقه والحديث، والتفسير والتأويل والسير المغلوط الذي صنّع لهذا الغرض، فصار هذه الفكر المذهبي نصاً بديلاً عن كلام الله سبحانه في القرآن ويخالفه، ثم أن نظرة أصحاب المذاهب لغيرهم وللفرق المختلفة معهم نظرة عداً وتبديع وتكفير، كما أن نظرتهم للآخرين من الديانات الأخرى، تقوم على فكرة تقسيم الناس إلى دارين، دار حرب ودار إسلام، وينتهجون الولاء والبراء، والعداء والموادعة في العلاقات بين الناس على أساس من التقية، ومع تلبس البعض منهم بالنمط

المدني الشوروي، الديمقراطي وتكوين الأحزاب ودخولهم منظمات المجتمع المدني واتباع أنماط من الحياة الحديثة، فإن ذلك بنظرهم يعد من قبيل التكتيك والتقية مع تسخيرهم للدين في العمل السياسي من أجل الاستحواذ على الحكم والسلطة والمال وتسخيرها في سبيل مصالحهم الخاصة. أما عن حقيقة فكرهم فإن السمة الغالبة عليه هو التطرف والأصولية، لذلك فهم يتعددون ويتشكلون هنا وهناك مذهبياً وسياسياً، مستندين في مشروعية أعمالهم إلى أحاديث العنينة التي خطتها جماعة التحريف وقد انصب جل اهتمامها في تمزيق عقيدة الناس الإيمانية، وتشتيت وعيهم بالعلم والمعرفة والعودة بالحياة إلى نمط حياة عصور البداءة وعصور الظلام والجهل.

وفي الجانب الآخر توزعت مذاهب الشيعة (الاثني عشرية) إلى المذهب الجعفري، والمذهب الإسماعيلي وعدد من الطوائف (العلوية - الدرزية) وغيرهما من المذاهب ذات التوجه الشيعي.

ويأتي المذهب الزيدي والمذهب الأباضي متأرجحاً بين مذاهب الشيعة، ومذاهب السنة (سني/ شيعي) ولكل مذهب فرق وجماعات.

والسمة الغالبة التي تجمع هذا التنوع والتعدد في هذه المذاهب النهج الباطني (التقية) في عقيدتهم، واحتكار السلطة الدينية، وسلطة الحكم السياسي في شخص الأئمة، كون الأمامة حقاً إلهياً مقدساً، كما تجمعها سمة الغلو والتطرف، حسب قالب محدد، وفي ضوء ما يصدر عن مراجعهم الدينية، التي تتحكم بكل تفاصيل حياة الفرد المنتمي لهذه المذاهب والفرق والطوائف، ويعبئ ما يصدر عن مرجعياتهم من فتاوى شيئاً مقدساً، ونظرتهم لغيرهم من مسلمي المذاهب الأخرى نظرة شك وريبة وعدم ثقة فهم حالة من اثنتين: تكفيريين أو ناصبيين، ومن جانب آخر يرى معتنقو المذاهب الإسلامية أن تعدد المذهب واختلافها رحمة وتيسيراً للمسلمين، ولا ندري متى كان الاختلاف رحمة للناس وللمسلمين؟ ويبدو لي أن هناك خلط وعدم تمييز بين الاختلاف في نمط العيش والاختلاف في الدين، فالأول محمود والثاني مذموم ومنهي عنه، وهناك من وظف مفهومي الاختلاف بتلك الصورة الخاطئة وعممه على الدين بشعائره ومناسكه واحكامه لاسيما أن الواقع يقول إن هذا الاختلاف في الدين وتوزيع الناس بين المذاهب أصبح نقمة على المسلمين وعلى غيرهم، وما حال الصراع القائم اليوم بين المذاهب والفرق والجماعات والعنف والإرهاب ألا من كونه نموذجاً للوجه الحقيقي لهذا الاختلاف في الدين والمذهب، فهل هذا الاقتتال الدائر اليوم بين المسلمين هو الرحمة وفقاً لأحاديث العنينة ؟

ولا شك أن الناظر المدقق للأحداث التي مرت خلال القرنين الماضيين، في العالمين العربي والإسلامي يدرك مدى تغلغل الفقه المذهبي الطائفي في الوعي للشخصية المسلمة، أدا ذلك إلى خلق التنافر والعداء والكراهية والإنقسام الحاد في الشخصية المسلمة بسبب التشطي في العقيدة الإيمانية فولد كثيراً من الأعتداءات والصدمات المتكررة ضد بعضهم البعض ثم تطور الحال لحروب مستعرة بين أبنا الدين الواحد والمذهب الواحد، نتج عنه حالة من التيه والانفصام في التفكير والرؤية للمستقبل، كما شكل قيام دول ذات توجه مذهبي سلفي بشبه

الجزيرة العربية وظهور النفط فيها، وقيام الدولة العبرية الدينية على أرض فلسطين، وبروز أهمية الموقع الاستراتيجي للمنطقة العربية في الشرق الأوسط، واندلاع حركات التحرر الوطني من الإستعمار، وتأسيس مشروع الدولة الوطنية، وقيام الثورة الإسلامية في إيران على أساس مذهبي شيعي، كل تلك العوامل أدت إلى ضرورة إبقى منطقة الشرق الأوسط وخاصة الوطن العربي على صفيح ساخن من الأحداث والجهاد بين حين وآخر لأطول فترة ممكنة، لذلك كان من الأهمية العمل على توظيف أجهزة المخابرات الإقليمية والدولية في خلق بورة من الصراع والحروب الدينية المذهبية هنا وهناك وامتدادها للحيز الجغرافي المطلوب لخدمة المشاريع الاقتصادية والسياسية للدول صاحبة المصلحة ودول الأقليم، إذ عمدت هذه الأجهزة بالتعاون مع الداخل لاخترق الفكر المذهبي في العالمين العربي والإسلامي متكئة على الموروث الضخم والغزير لفكر المذاهب الإسلامي الذي سبق أن دسته جماعة التحريف منذ قرون، وفنده جماعة المستشرقين، واستطاعوا من خلال هذا الموروث المتناقض، تغذية دوافع الاقتتال بوسائلهم المعتادة، فتحول الشرق الأوسط والعالم العربي والعالم الإسلامي إلى ساحات مشتعلة بالجهاد.

3-13 حقيقة السنة والشيعية:

وعودة إلى موضوع صناعة المذاهب، ولما يطلق عليه بتسمية أهل السنة والجماعة، وآل البيت أو أهل البيت من الشيعة، يتبادر إلى الأذهان عدد من التساؤلات، أهمها: من أين جاء مصطلح السنة، ومصطلح الشيعة، ومصطلح الحديث؟ وماذا عن مشروعيتها من القرآن الكريم؟ ثم ما هي مشروعية تلك المصطلحات من أحاديثهم؟ للإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها، لابد من البحث عن هذه المصطلحات في القرآن الكريم لما فيه من الفائدة والاختصار وحسب الآتي:

1-3-13 حقيقة مصطلح السنة:

السنة: عرف القرآن الكريم السنة بأنها منهاج الله الواحد أو السيرة الواحدة التي لا تبدل لها ولا تغيير، وهي سنة الله سبحانه وتعالى في الخلق والكون، حسب مقتضيات ومشئئة الخالق حسب ما جاء به القرآن الكريم موضحاً ذلك بآيات عدة، نذكر منها:

1- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 62).

2- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الفتح: 23).

3- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الحجر: 13).

4- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (الإسراء: 77).

- 5- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ (الكهف: 55).
- 6- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (الأحزاب: 38).

ومع ذلك فإن جماعة التحريف قد وظفت هذا اللفظ خلافاً لمقصده حسب ما جاء بالقرآن، كما أن لفظ السنة موجود في الكتب القديمة (1) وألصقته في كتب الفقه والسيرة والحديث على كل أقوال وأعمال وتقارير الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأطلقت عليه (السنة النبوية)، ثم اطلقوا عليه مذهب أهل السنة والجماعة، و اضافوا بسنة آل البيت أو أهل البيت (الشيعية) الذي أخرج على هيئة أحاديث وأصول فقهية، فتنوعت وظيفة السنة، فكانت حسب زعمهم سنة موضحة ومفصلة ومقررة، ومقيدة ومؤكدة، وناسخة ومنسوخة وغير ذلك، ونُسب كل هذا العمل إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو منه بريء.

وهذا العمل في منهج التحريف ليس الأول فقد سبق لجماعة التحريف أن قامت بنفس هذا العمل والدور في الفترة اللاحقة لرسالة موسى صلى الله عليه وسلم، فقد عمدت هذه الجماعة إلى كتابة التلمود والأدعاء بأنه كلام الله تعالى الموحى به لموسي شفاهاً على جبل سيناء، ثم نقله موسى إلى الكهنة والحاخامات وأطلق عليه الشريعة التفصيلية للعهد القديم (التوراة)، ثم قامت هذه الجماعة بتحريف التوراة، وصنعوا منها تورات متعددة وبذلك قسموا اليهود لفرق وجماعات دينية مختلفة متصارعة، ثم انتقلوا لصناعة أديان الهندوس والبوذية وشرعوا لها مذاهب وفرق وجماعات، ثم انتقلوا بهذا التحريف إلى أتباع المسيح، وصنعوا عدداً من الأنجيل ثم قسموهم لعدد من الطوائف (الكاثوليك والبروتستانت) ثم فرق وجماعات أخرى، وذهبوا بالتحريف إلى مذاهب السنة والشيعية، وما زال قطار التحريف يسير حتى اليوم، إذ نرى ابرز محطاته الشاهدة اليوم في كثير من الفرق والجماعات والأحزاب الدينية كان ابرزها (القيانية الأحمدية) و(جماعة التبليغ) و(السلفية) و(جماعة الحشد الشيعي) وأخيراً دين البهائيين وهلم جر.

2-3-13 حقيقة مصطلح الشيعة:

وردت في القرآن الكريم كلمة الشَّيْعَةُ أو شَيْعَةٌ، بمعاني متعددة حسب موقع اللفظ في الآية، كما فيمن ينزعه الله تعالى يوم القيامة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَنُنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيْهَمُ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ (مريم: 69)، أو الجماعة المنتمية للقومية، كما في قصة استغاثة رجل من بني إسرائيل بالنبي موسى عليه السلام، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿... فَاسْتَعَاثُهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى...﴾ (القصص: 15) وجاء لفظ (شيعية) بمعنى الانتماء والاقتراء، كتشيع إبراهيم عليه الصلاة والسلام لنبي الله تعالى نوح عليه الصلاة والسلام، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ (الصافات: 83). وقد أطلقت جماعة

(1) انظر الكنز رابا - الكتاب المقدس للصابئة - ف 17. بعنوان: مواظ ووصايا (هيل الكرامة السنية والمثيل السني... الخ

التحريف هذا اللفظ على من يتشيعون لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وزوجته فاطمة وأبنيهما الحسن والحسين ومن بعدهما نسلهما، حسب ما يطلق عليهم بعدد من الألقاب (الأئمة) (الأوصياء) أو أهل العترة المقدسة (النسب الديني) بقصد خلق جماعة دينية مقدسة، والحقيقة أن هذا العمل كان أيضاً من صناعة جماعة التحريف، فقد سبق وأن قاموا بنفس العمل لدى اليهود والهندوس، وكرروه في صناعة هذا الجماعة تحت أسم شيعة أهل البيت من أجل شق وحدة الدين والأمة وخلق الصراع والأحقاد تحت مبررات عديدة.

13-3-3 حقيقة مصطلح الحديث:

اعتبر الحديث علماً له أقسامه وأئمة ومذاهبه، وبه استطاعت جماعة التحريف تشتيت عقائد وأفكار الناس من المسلمين، فصنعت من الحديث نصاً آخر، زاعمةً أنه نصٌّ من قِبَل الله، تلقاه الرسول أو النبي، أو قاله النبي أو الرسول عن الله سبحانه، أو قاله الإمام الحجة أو الراوي واعتبر نصاً من الدين حسب تأويل خاطئ لقول الله جلَّ في علاه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾، (النجم: 3)، ونفس هذا المبرر قيل في فكرة شرعة كتاب التلمود الشريعة المفصلة لليهود فقالوا بأن التلمود كلام الرب تلقاه موسى بوحي ثم نقله موسى إلى الحاخامات والكهنة وغيره من الكتب لدى اليهود، وكذلك كتب أعمال الرُّسل لدى المسيحيين، وهكذا تكرر هذا القول والمبرر لدى الديانات الأخرى، وهو نفس المبرر في المذاهب الإسلامية فقد وضعوا (نص) الحديث ونسبوه كذباً للنبي لأنه لا ينطق عن هواه بل هو وحي من الله سبحانه حسب تأويل خاطئ للآية بقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، (النجم: 4) ومعلوم أن هذه الآيات من سورة النجم تتكلم عن خصائص ووصف الرسالة (كلام الله) كما تتكلم عن الرسول من الإنسان دون أن يحدد رسول معين فكل الرسل معنيون بهذا الوصف والخطاب من كونهم لا ينطقون خلافاً لمقتضى تكليفهم بوظيفة الرسالة المناطة بهم، بأن يقولون أو ينطقون كلام خارج التكليف المحدد بوظيفة الرسالة، لذلك فقد جعلوا من هذا مبرراً لمشروعية نص الحديث وصنفوا في المرتبة الثانية بعد كلام الله - القرآن العظيم من حيث الاستدلال والتشريع، بل وأحياناً يساوي (القرآن) في التشريع والاستدلال، وأحياناً أخرى يتفوق عليه، وللحديث مساندٌ كثيرة، والمسند هو المرجعية التشريعية، والفكرية للحديث، في المذهب أو الفرقة، أو الجماعة، وبهذه الطريقة شرعوا صناعة الطوائف، والمذاهب، والفِرَق، والجماعات، والأحزاب المتعددة، خلافاً لمقصد كلام الله سبحانه والذي يدعو للاعتصام، وعدم التفرُّق في الدين إلى أديان ومن الأديان إلى طوائف ومذاهب وشيَع وفِرَق وجماعات، فخلقوا مذاهب في دين الإسلام كثيرة منها مذاهب أهل السنة والجماعة، وصنعوا لها مساند، ومن هذه المذاهب، المذهب المالكي (الموطأ)، والمذهب الحنفي، والمذهب الشافعي، والمذهب الحنبلي، ومذاهب أخرى، وفِرَق، وجماعات متصلة فكرياً بهذه المذاهب، كما خلقوا مذاهبَ مضادةٍ لها، وهي ما تسمى بمذاهب آل البيت، أو أهل البيت، وصنعوا لها مساند متصلة في كل مذهب، ومن هذه المذاهب، المذهب الإمامة الاثنى عشري، والمذهب الإسماعيلي، والطائفة العلوية، والطائفة الدرزية، وغيرهما من الفِرَق، والجماعات المنضوية في إطار هذا التقسيم، كما يظهر لنا

مذهبان متأرجحان بين كل المذاهب، وهما: المذهب الزيدي، والمذهب الإباضي، وكل منهما له مسنده الخاص، وتظهر السمة الغالبة في جميع المذاهب اتفاقهم على قاعدة واحدة هي التحريف، ثم التحريف، ثم تعميم هذا التحريف بوضع أصول وقواعد خاصة بالتحريف لكل مذهب على حدا، حسبما يطلق عليه بالجرح والتعديل لمعرفة متون الحديث ورجاله، فقد صنعت هذه المذاهب وما يلحق بها، على غرار ما صنعوا من الطوائف والفرق في العقائد القديمة (اليهود، والمسيحيين)، وعلى ذكر أنواع الأحاديث فقد أطلقوا عليها مسميات معينة، تسمى بالحديث القدسي، الذي تقولوا به كذباً وتحريفاً فاضحاً عن الله سبحانه لفظاً ومعنى، ثم تبعه الحديث المتواتر، وهو الحديث الذي تقولوا به عن الرسول، ونقل إلينا عن جمع غفير باللفظ والمعنى، والحديث الصحيح، والحسن الصحيح، والحديث المشهور، والحديث الآحاد، والحديث العزيز، والحديث الغريب، والمشكل، والناسخ والمنسوخ، والمرسل والمنقطع، والمدلس، والموضوع، والضعيف، والشاذ، وغيرها من التصنيفات وغرائب التسميات، ثم لكي يضيفوا مشروعية لهذا العلم المصطنع جاؤوا بعدد من القواعد التي يستند إليها قيام هذا العلم مثل: معرفة المتن للحديث، والجرح والتعديل للرجال في رواية الأحاديث، ومعرفة طبقات الرواة لرجال الحديث، والحقيقة أنه عند قراءتنا لنص الحديث في كل المذاهب والفرق بالفكر الإسلامي ومقابلة هذا النص بآيات القرآن الكريم في أغلب القضايا التي تنطرقوا إليها سنتكشف هول الفاجعة الصادمة من التناقض الحاصل بين محتوى نص الحديث، والقرآن الكريم، بل جعلوا منها نصوص تتعارض، بل وتتصادم مع كلام الله - سبحانه - في القرآن الكريم، وتهدم حياة المسلمين، وتوصمهم بالإرهاب، وتصنع الكراهية للآخر، وتقسم العالم لدار كفر وإيمان، وحرب وقتال، ونصوص تخدش الحياة والآداب العامة للناس لما تحتوي من كلمات وألفاظ بذئية، ونصوص تحرف الشعائر والمناسك من صلاة وزكاة وصيام والحج والعمرة وغيرها، وقواعد الأحكام، والعبادات للناس، وليبان هذه الحقائق الصادمة أخذنا عدداً من كتب ما يسمى من مساند الحديث (مسند الامام مالك المسمى بالموطأ) (ومسند الإمام زيد) و(صحيح البخاري) و(كتاب الكافي) وسيرة النبي لأبن هشام وغيرهم للدراسة والمقارنة؛ لإثبات هذه الحقيقة التي توصلنا إليها، وليتأكد القارئ بملء بصره، وبصيرته، من هول الكارثة التي صنعها لنا جماعة التحريف في الفكر العربي الإسلامي.

ولمعرفة معنى الحديث وتعريفه علينا الرجوع إلى استخدام هذا اللفظ من خلال الآيات القرآنية العديدة، وقد ارتبطت دلالات الاستشهاد بها من خلال موقع اللفظ في الآية، ونذكر بعض منها على سبيل المثال:

- 1- الآية الأولى: تتحدث عن الحديث الصادر عن كلام الله سبحانه عن يوم القيامة، ووصف بأصدق حديثاً، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً﴾ (النساء: 87).
- 2- الآية الثانية: تتحدث عن الحديث بمعنى الحوار أو الجدل، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: 68).

3- الآية الثالثة: تتحدث عن الحديث المنهي عنه وهو الحديث الذي لا فائدة منه، ويقصد به الحديث: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (لقمان: 6).

4- الآية الرابعة تتحدث عن الحديث الحسن عن الله سبحانه: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر: 23).

5- الآية الخامسة: تتحدث عن الحديث بمعنى الإخبار عن شخص أو عن حدث ما معين حسب الآتي:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (الذاريات: 24).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (النازعات: 15).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ (البروج: 17).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ﴾ (الغاشية: 1).

من هذه الآيات يفهم أن لفظ الحديث يعني الإخبار المسهب المطوّل أو الإخبار عن قصارى القول لحادث ما، أو لقول مرتبط بفعل أو أفعال أو حدث أو أحداث، وقد يحتمل نقل الحديث بخبر صادق أو غير صادق، وغالباً ما يكون معنى الحديث، الإخبار بالكلام عن الحقيقة حسب ما جاء في مدلول نصوص آيات الذكر الحكيم، ومن أصدق من الله حديثاً؟ والله نزل أحسن الحديث، أو بمعنى الإخبار بحكاية أو قصة؛ (هل أتاك حديث...؟) أو بمعنى حديث اللغو، (لهو الحديث)، أو بمعنى الجدل بقصد المخالفة، ممن يخوض تعريضاً بآيات الله، فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره.

غير أن جماعة التحريف ألصقت هذا اللفظ بأقوال وأفعال وتقرير الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهو منها بريء، كما ألصقته برب العزة بتقولهم عن ذات الله سبحانه بالحديث القدسي، وهو محض كذب واقتراء على الله سبحانه معتمدين بذلك على تفاسير وتأويلات جماعة التحريف لبعض آيات القرآن الكريم، ولعل أهم مسند في الحديث كان وما يزال هو مسند مالك المعروف بالموطأ، ومسند مذاهب أهل البيت (الشيعية) ومسند ابن حنبل وصحيح البخاري ومسلم وغيره، ثم أصبح علماً قائماً بذاته، يعرف من خلاله حالة الرواة، والمسند والسند، والمتن، وطالب الحديث، والمحدث والحافظ وصولاً للحجة، والحاكم، ثم أمير المؤمنين في الحديث، الذين أصبحوا أعلام عصرهم حسب زعمهم، ومن أمثالهم: البخاري ومسلم ومالك بن أنس، وابن داود وابن ماجه والنسائي والترمذي وسفيان الثوري وغيرهم من المذاهب السنية⁽¹⁾. ومثلهم من المذاهب الشيعية، ومن أنتمهم أبي عبد الله الحسين، وجعفر الصادق والكليني وغيرهم ممن نسب إليهم رواية الحديث.

(1) انظر كتاب اصول الفقه الإسلامي . د حسن مقبول الأهدل 1996م

وقد قُسمَ الحديث إلى أقسام: الحديث القدسي، الحديث المتواتر، الحديث الصحيح، الحديث الحسن، الحديث المقبول، الحديث المشكل، الحديث الناسخ والمنسوخ، الحديث الضعيف، الحديث المرسل، المعضل والمدلس...، وأصبح هذا العلم فناً يختص به من حيث الضبط، والتصنيف والترتيب، ثم علم الجرح والتعديل لإضفاء مصداقية لعدالة الرواة، فصنفت كثير من المؤلفات في تاريخ الرجال، وتراجم المحدثين والرواة بفقهِ الحديث.

ومن المصنفات بعلم الحديث اخترت قراءة مصنفين لتتضح حقيقة هذه المصنفات التي عملت جماعة التحريف على تشريع نصوص الأحكام والشعائر والمناسك والعبادات والوصايا والحلال والحرام، خلافاً لما جاء به القرآن الكريم، والمصنفان هما: كتاب الكافي الذي يعد على رأس قائمة المرجعية الفقهية للمذهب الشيعي الاثني عشري الجعفري. وصحيح البخاري الذي يعد أهم مرجع تشريعي بعد القرآن الكريم، حسب زعم معظم أهل السنة والجماعة. ومن خلال قراءة محتوى هاذين الكتابين وما أشتمل عليه من الأبواب والمواضيع التي تناولها كلا المرجعين على حدا ومقابلتها بنصوص من آيات القرآن الكريم، سوف نتعرف على مشروعية وضع المذاهب والفرق والجماعات وأهدافها في تخريب الفكر الديني بل والإنساني عامة، فقد تبين أنهما يتفقان في تشريع نص التحريف ولا غير التحريف المناقض لكلام الله سبحانه المبين والمفصل والكريم، وبهذا الفكر المذهبي المقيت الذي به عمدوا لأحلاله بدلاً عن القرآن العظيم والذي كان وما يزال (القرآن) قاعدة أساسية ومهمة في بناء العقل والوعي بالدين قديماً وحديثاً.

13-3-4 حقيقة أصول الفقه الإسلامي:

يُعرف الفقه، في القرآن المبين بمعنى (الفهم)، يقال: فقهَ بمعنى (فهم)، ويفقه (يفهم)، وهكذا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، (التوبة: 122)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾، (طه: 27، 28).

غير أن جماعة التحريف عمدت إلى الفكر الإسلامي لصنع هذا العلم المزعوم، مطلقين عليه علم أصول الفقه، مستخدمين تعاريف لغوية، وأخرى تعاريف اصطلاحية مركبة وغير مركبة، وتعاريف أخرى متعددة للفقه، كما وضعوا له أصولاً، وقواعد، وشروطاً، وخصّصوا هذا العلم لاستنباط الحكم الشرعي، والحكم التكليفي وأقسامه، والواجب وأقسامه، والمندوب وأقسامه، والحرام وأقسامه، والمكروه وأقسامه، والمباح وأقسامه، والنهي وأقسامه، والعزيمة والرخصة، والسبب، والشرط، والمنع، والأهلية في تحمل التكليف، وعوارض الأهلية، وغير ذلك، وانتقلوا إلى إيجاد مصطلحات فقهية تتعلق بالمشروعية حول الدليل، وقسموا وصف الدليل، إلى دليل قطعي الثبوت قطعي الدلالة، وآخر ظني الثبوت ظني الدلالة، سواء أكان من الكتاب (القرآن)، أو السنة (السني - الشيعي) للمذاهب، والفرق، والجماعات، ومنها فكر أهل السنة والجماعة (المذاهب الأربعة)، وكذلك فكر أئمة آل البيت لمذاهب وفرق الشيعة

الجعفرية، ثم عدّدوا أنواع وطبقات السنن من متواترة، ومشهورة، وآحاد، ثم انتقلوا إلى تخصيص طرق استنباط الأحكام بواسطة الإجماع، ويقصد إجماع الفقهاء الذين يبلغون مراتب معينة من علم أصول الفقه وقواعد اللغة، فصنعوا هذه المراتب لهذا الغرض، ثم جاؤوا بالقياس، والناسخ والمنسوخ، والعمل بخبر الآحاد والاستصحاب، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وشرع من قبلنا، وفقه الصحابي وغيرها، ثم أضافوا فقه العبادات، من مناسك وشعائر، مثل الصلّاة والصيام والزكاة والحج، وأفردوا للوضوء والنجاسة، والحيض أبواباً مستقلة، ثم صنعوا فقه المعاملات، وجعلوا من كل معاملات الناس اليومية مقيدة ما بين الحلال والحرام، والمكروه، والمباح، معطلين العمل بالعرف، والأعراف، مستمدين مشروعاتهم من العلوم الأخرى مثل علم الحديث ورجاله، وعلم التفسير والتأويل، وبه وبغيره، من المصطلحات نجحوا في صناعة دينٍ جديد، وهو ما أطلقت عليه بدين المذاهب الحالي، أو بالدين الموجود، وجعلوا منه ديناً ضد الدين، وحرّفوا، وبدّلوا، وأضافوا أحكاماً، وشعائر، ومناسك، وعبادات ما أنزل الله بها من سلطان، وتخالف كلام الله في القرآن المفصل والمبين جملةً وتفصيلاً، وقيل إنّ أول من أسس هذا العلم هو محمد بن إدريس الشافعي، الذي ترك لنا مخطوطةً أطلق عليها (الرسالة)، ووضع فيها أصول هذا العلم، وهي موضع قراءة وفحص، وتدقيقٍ وتعليقٍ لمحتواها، وقد أفردنا لها فصلاً خاصاً في الجزء الأول من هذا المؤلف، ومن المصطلحات الفقهية التي دسّوها بغرض التضخيم والتعقيد، ووجدوا لها تعاريف لغوية، وأخرى اصطلاحية الآتي:

- الشريعة: وهو مصطلح نُسخ من فكر العقائد القديمة، شريعة حمورابي، وشريعة اليهود العهد القديم.
- الحقيقة: لفظ استخدم لدى فِرَق الغنوصيين من اليهود ودس في الفكر الصوفي، وفي العقائد الدينية القديمة.
- الطريقة: لفظ استخدم لدى فِرَق الصوفية، وفي العقائد الدينية القديمة.
- الباطنية: لفظ استخدم لدى الفِرَق اليهودية القديمة ودس في الفكر الصوفي.
- العقيدة: هو حقيقة ما يؤمن به الشخص ويعتقد أنّه الحق.
- الحكم الشرعي والحكم التكليفي والواجب والمندوب، والحرام والمكروه، والمباح، والحكم الوضعي من حيث السبب والشرط، وغيرها من المصطلحات والمفاهيم المصطنعة.

ولن أطيل كثيراً في هذا الموضوع، وبعيداً عن الإسهاب، والدخول في التفاصيل حول هذا العنوان فأنني أحيل القارئ إلى موضوع بنفس هذا العنوان يتحدث عن تحريف الفقه الإسلامي، وقد أخذنا فيه كتاب الرسالة للشافعي كنموذج لبيان عملية التحريف، على اعتبار أن الشافعي هو المؤسس الأول لقواعد أصول الفقه في مذاهب أهل السنة والجماعة، ومن المضحك والغريب أن يعمل أئمة المذاهب المخالفين للشافعي بأصول فقهه المحرف قبل ميلاد الشافعي وهو ما يدل على اتفاقهم على التحريف، وما الأدعاء بالأختلاف المذهبي بينهم ألا كذبة مفضوحة، ومن أهم تلك الأصول الفقهية: الناسخ والمنسوخ والقياس والإجماع والآحاد

والمصالح المرسلة والاستصحاب وأقوال الصحابة والتابعين وفقه المدينة وشرع من قبلنا وغيره،، وكان العرف شبه مغيب لدى الجميع على الرغم من أنه كان يجب أن يكون القاعدة الأولى، لذلك أحيل القارئ للفصل السابق حول تحريف الفقه من هذا الجزء من المؤلف حتى لأطيل.

13-3-5 حقيقة علم الكلام:

مصطلح علم الكلام هو علمٌ وهميٌّ، صُنِعَ لإضفاء الجدل المعرفي في فكر المذاهب الإسلامي، وفي الحقيقة لا يمكن أن نطلق على هذا المصطلح بالعلم، بل هو الهراء بذاته، إذ يُعدُّ من الأعمال التي لا طائل منها، ولا يمكن أن نطلق عليه جدلاً معرفياً، ولا حتى جدلاً سفسطائياً، غير أنه يمكن أن نطلق عليه بالغثاء الذي لا يحبُّ الالتفات إليه، ولا لمواضيعه الرثة، التي تبحث حول التجسيم، والعرش، والكرسي، ورؤية الله، ومسألة الحلول والاتحاد، وغيرها من الهرطقة، ومن الكلام المخالف للقرآن الكريم، والعقل، غير أن الله - سبحانه - أكَّد على مبدأ الجدل، والمعرفة في الخالق، والمخلوقات، وماهية الأشياء من حولنا، على أسس وقواعد من العلم والكتاب المنير، إلا أن ما ورد لدى فقهاء المذاهب الإسلامية المندس حول هذا العنوان أشبه بفجاجة اليهود، عند تقولهم عن الله - سبحانه، فقد اقتبسوا محتوى هذا العنوان من نفس الوعاء الذي غرف منه بعض اليهود، وفق ما وصفهم كلام الله سبحانه في الكثير من الآيات منها، قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، (المائدة: 64)، وَقَالَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾، (آل عمران: 181).

13-3-6 حقيقة الاجتهاد:

تحت هذا العنوان سرد الأصوليين تعريفات متعددة للاجتهاد منها التعريف اللغوي بمعنى بذل الوسع والمجهود أو استفراغ الوسع في أي فعل، وأما التعريف الاصطلاحي فهو بذل الجهد في العلم بالشرع من أجل استنباط الحكم الشرعي من أدلتها التفصيلية في فقه المناسك والشعائر والعبادات والمعاملات، فكان هذا التعريف المعول عليه لدى أهل السنة والجماعة، أما الاجتهاد لدى الشيعة حسب ما جاء من كتاب الكافي الجزء الأول - محمد يعقوب الكليني - وحققه علي أكبر الغفاري - دار الكتب الإسلامية طهران - ومن أحاديث كتاب الحجة والمعنون بعنوانين تفوق العشرات عن وظيفة الإمام وحجيته في الاجتهاد، يتضح لنا تعاريف كثيرة لوظيفة الإمام وهو الركون بالاجتهاد لشخص محدد من أئمة أهل البيت في استنباط الأحكام الشرعية من دون غيرهم من العامة، فلا يجوز لهم الاجتهاد مع وجود الإمام من أهل البيت فهم أعلم الناس بالله وبالقرآن وبالحكم الشرعي وغير ذلك حسب ما جاء بزعمهم،

وكذلك هو الحال في كل مذهب وفرقة وجماعة دينية على حدا سواء، فكلن لهو عقيدة محددة في الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية، مضمنين تلك الاجتهادات والتعاريف بمشروعية من آيات القرآن الكريم ومثال على ذلك: حكم النبي داوود وسليمان، ومن احاديث العنقة ابرزها حديث من اجتهد فأصاب فله أجران، ومن أخطأ فله اجر، وكذلك حديث تأبير أشجار النخيل أو تلقيح النخيل، وحديث معاذ اجتهد رأيي، واجتهاد سعد أبين معاذ في الحكم على يهود بني قريظة بالذبح الجماعي لأسراهم وسبي وبيع ذرائرهم، ثم سردوا للاجتهاد شروط متعددة منها علم المجتهد بمدارك الأحكام من كتاب وسنة وإجماع، ومعرفة الراجح عند ظهور التعارض، والقياس، والاستصحاب، وشرع من قبلنا، والمعرفة بالعام والخاص، والمطلق، والمقيد، ومعرفة سبب النزول، والنص المكي والمدني، والمحكم، والمتشابه، والظاهر، والباطن، ومعرفة التأويل، والمعرفة بالناسخ والمنسوخ في القرآن والسنة، والمعرفة بما يصلح الاحتجاج به من الاحاديث المتعددة، من الحديث الحسن والحسن الصحيح، والمتواتر والحديث القدسي، والحديث الضعيف وغيره، والعلم بمقاصد الشريعة، وشرط العدالة والتقوى بشخص المجتهد، وأخيراً العلم باللغة والنحو على قدرا كافي، ولكل مذهب شرائطه في الاجتهاد، ولا يجوز الاجتهاد من عامة الناس بل يكون الاجتهاد من الخواص، وكما قيل لدى الشيعة من أئمة أهل البيت، وقد قال بهذا التعريف من المتأخرين كلاً من الشافعي و الشوكاني والشاطبي والغزالي وابن القيم الجوزي وأبن تيمية و آخرين، وأما من المتقدمين فهم كثير ومنهم في العصر الحالي: يوسف القرضاوي الذي خاض مع المتقدمين والمتأخرين فقام بتأليف كتاب مخصوص عن الاجتهاد أطلق عليه: كتاب الاجتهاد في الشريعة الإسلامية⁽¹⁾، تكلم فيه عن التعريف بالاجتهاد وشروطه ومجالاته ومراتبه، والاجتهاد في العصر الحديث وفي عصرنا الحالي، ثم اختتم الحديث عن مزالق الاجتهاد المعاصر والرأي في الاجتهاد المعاصر ومدى جديته وجدواه، وهو بذلك يسلك طريق المقلدين ويغرف من بركة المتأخرين محاولاً تجميل الاجتهاد للمقلدين من الذين نهجوا نهجه بل وزادوا عليه.

وهم بذلك التعريف وتلك الشروط وبذريعة الاجتهاد صنعوا التحريف وجعلوا منه قواعد لتحريف حياة ومستقبل أجيال المسلمين، معتمدين على تلك القواعد سائلة الذكر وكذلك تفسير القرآن وتأويله وحصر النص على المكان والزمان وشخصنة النص كذلك المقولات التي تقولوا بها على ان القرآن نزل يوافق عمر أبن الخطاب في بعض الأمور، وانه حمال أوجه، وان السنة هي من فصلت آيات العموم والمطلق بالاحاديث، ومن تلك الاحاديث المستدل بها على الاجتهاد نأخذ نماذج على سبيل المثال: حديث تلقيح النخل (انتم اعلم بشؤون دنياكم) فهذا الحديث المكذوب على النبي لا يقبله عقل، كون فعل تلقيح اشجار النخيل من البديهييات المعروفة لأطفال البادية في ذلك الزمن فكيف بالنبي وهو لا يعلم بتلقيح اشجار النخيل أليس ذلك تقولاً مكذوب عليه ؟ ثم هل يعقل أن يقبل النبي بحكم سعد أبين معاذ في القتل الجماعي لأسارى اليهود من بني قريظة وسبي نسائهم وذرائرهم؟ بالمخالفة للقرآن الكريم في هذا الموضوع وغيره.

(1) انظر كتاب الاجتهاد في الشريعة الإسلامية - د. يوسف القرضاوي - دار القلم - الطبعة الأولى - 1996م.

والحقيقة ان كلام الله سبحانه وتعالى الموحى به لأدم والأنبياء والرسل من نوح إلي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام كان كلام واحد وان تعددت اللغات والشعوب والأمم والقوميات جاء بما يتوافق مع الأرضية المعرفية للبشر والناس مواكباً إياهم في الزمان والمكان، فقد شاء الله سبحانه أن يجمع ذلك الكلام الموحى به من قبل الله سبحانه في كتاب واحد بعد بعثة الرسول محمد عليه السلام فكان القرآن العظيم بلسان عربي مبين، وقد جاء هذا القرآن بتفاصيل المناسك والشعائر التي كانت قائمة من قبل بعثة الرسول محمد عليه السلام والتي لا يقبل معها الاجتهاد لوجود النص المبين والمفصل والمحكم، وليزيل كل الاجتهادات الباطلة والزائفة والمحرفة التي لصقت بالوحي قديماً، كما جاء القرآن ليفضح ذلك التحريف، ويثبت المناسك والشعائر وتفاصيل المحرمات استناداً لآيات محكمات وأخرى متشابهات، فكانت هذه الشعائر والمناسك الواردة في الجزء الثاني من هذا المؤلف (الدين المفقود) مثل الصلاة والصيام والحج والعمرة وبعض أحكام انصبه المواريث وبعض أحكام العقوبات الجزائية، كما جاء بتفاصيل الحرام على التحديد الحصري، ثم جاء بقواعد مفصلة وأخرى عامة لمختلف علوم حياة البشر وعلاقته بمن حوله، وقواعد العلم بالحياة على الأرض وما فيها، وقواعد العلم بالأرض وما فيها، وقواعد العلم بالسماء وما فيها، وكل تلك القواعد العامة تستند على العلم بالعرف الذي أمر به الله سبحانه وتعالى بقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف (199)، وتكمن أهمية العرف في انه الاساس أو الأرضية المتينة لبناء منظومة القانون المنظم لحياة البشر وتطوره المعرفي خلال مسيرة حياته، فكان البابليين أول الناس الذين خطوا نصوص القانون ترجمة لقاعدة العرف، ثم جاء من بعدهم الرومان فصاغوا القانون الروماني ترجمة لقاعدة العرف، وما زال الفكر القانوني يتوسع في حياة البشر فهو وليد العرف والتطور المعرفي للناس في الحياة بحسب حاجياتهم ومتطلباتهم في الزمان والمكان، وهو ما يصدر من تشريعات في مختلف نواحي الحياة، ابتداءً بأعراف الأسرة وقوانينها، ثم تشريع القبيلة العرفي وقوانينها، ثم تشريع المجتمع وقوانينه، وصولاً للتشريع القانوني المكتوب للدولة، وأخيراً صناعة القانون الدولي العرفي .

ألا انه وللأسف الشديد فقد تكررت التحريف التي كانت سائدة قبل بعثة النبي محمد عليه السلام على ضوء ما هو حاصل اليوم من تحريف للشعائر والمناسك والأحكام والحلال والحرام وهو ما هو سائد اليوم من افكار لدى مذاهب السنة والشيعة والفرق والجماعات الدينية المنضوية معهم، فكل مذهب أو فرقة أو جماعة لها مشروعية في الاجتهاد واصدار الفتوى وهو ما زال حاصل حتى اليوم.

الفصل الرابع عشر

فقه تحريف أحاديث المذهب الشيعي (الكافي أنموذجاً)

مدخل:

يتميّز المذهب الشيعي الاثني عشري بغزارة في التأليف فيه، نتيجة للعدد الكبير من المؤلفين الذين اسهبوا في تأليف كتب الحديث والفقه، ومن أشهر تلك المؤلفات: كتاب من لا يحضره الفقيه لابن بأبويه، المتوفى سنة (٣٨١هـ)، وتهذيب الأحكام والاستبصار للشيخ الطوسي المتوفى (سنة ٤٦٠هـ)، ثم جامع الأخبار في إيضاح الاستبصار، ثم كتاب الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي المتوفى سنة (329هـ - 941م). وتقول الروايات انه ولد بقرية (كلين) على بعد (38) كيلو متراً من مدينة "ري" الواقعة في جنوب طهران - إيران، ولم يُعرف تاريخ مولده. يعد كتاب الكافي أحد أهم المراجع الفقهية الرئيسة لمذهب الاثني عشرية وأقدمها.

ويحوي الكافي فقه المذهب الشيعي الجعفري، مع تعليقات نافعة مأخوذة من عدة شروح، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري. وقد قيل في صحة محتوى هذا الكتاب الشيء الكثير لإقناع منتسبي المذهب الشيعي بما ورد فيه من أحكام وشرائع، استناداً إلى روايات أحاديث العنونة التي أسهب في روايتها كثير من الرواة المؤلفين.

ويعتقد البعض أن كتاب الكافي قد جُمع فيه من جميع فنون علوم الدين ما يكفي به المتعلم، ويرجع إليه المسترشد، ويأخذ منه من يريد العلم بالدين، والعمل بالآثار الصحيحة، عن الصادقين عليهم السلام، "وقد تم تأليف هذا الكتاب الكبير في عشرين سنة" حسب الزعم، ويقال: إنه عرض على القائم - في غيبته - فاستحسنه، وقال: "كاف لشيعتنا وقيل: إنه يحتوي على ما لا يحتوي غيره، حتى قيل إن فيه ما يزيد على ما في الصحاح الستة للعام متوناً" وأسانيد "فإن عدد أحاديث الكافي (٩٩١٦١) تسعة وتسعين ألف، ومئة وواحد وستون حديثاً" تقريباً وجملة ما في كتاب البخاري الصحيح (٥٧٢٧) خمسة آلاف وسبعمئة وسبعة وعشرون حديثاً تقريباً. ويتكون كتاب الكافي من ثلاثة أقسام هي: أصول الكافي. فروع الكافي. وروضة الكافي. تتوزع هذه الأقسام على ثمانية أجزاء، ويحتوي كل جزء على كتب فرعية، كما تتضح فيما يلي: (1)

أصول الكافي: فيه جزآن من الكتاب، (الجزء الأول، والثاني):

(1). انظر مقدمة الكافي الجزء الاول / أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ص 5، 6.

الجزء الأول: يحتوي على كتاب العقل والجهل. وكتاب التوحيد. وكتاب الحجة. وكتاب فضل العلم

الجزء الثاني: يحتوي على كتاب الإيمان والكفر. وكتاب الدعاء. وكتاب فضل القرآن. وكتاب العشرة.

فروع الكافي: فيه خمسة أجزاء؛ من الثالث إلى السابع، فيها الروايات التي تتحدث عن فروع الفقه الشيعي ابتداءً من الطهارة، مروراً بالزكاة، والصلاة، والحج وغيرها من أبواب الفقه، واختتم بالوصية والنذور والإيمان.

روضة الكافي: وفيها الجزء الثامن والأخير، وفيه مواضيع متعددة متفرقة ومختلفة. ومن الملاحظ أن هناك تشابهاً كبيراً بين محتوى مجلدات الكافي بأجزائه الثمانية في المذهب الشيعي الجعفري الاثني عشري ومتن التلمود بأقسامه الستة من حيث صياغة العناوين، وتعدد المواضيع وتشعباتها وتناقضاتها، ومن حيث أسلوب الكتابة، كما يتشابهان في المبالغة وفجاجة لغة الخطابة، الجرأة في التقول على الله سبحانه وتعالى، وعلى الرسل والأنبياء.

كما يتشابه مع غيره من مصنفات الفقه في تأويل مقصود آيات القرآن واجتزاء الآيات وتأويلها خلافاً لمقصدها، وتوظيفها بما يتوافق مع رغبة المؤلف وهواه، فضلاً عن إسقاط الخطاب القرآني على الجغرافيا والتاريخ، وعلى اشخاص وحوادث وقضايا خاصة بجماعة محددة من المذهب، أغلبها ذات طابع ديني سياسي، كأحقيتهم في السلطة الدينية والدينية - السلطة السياسية المتعلقة بحق الولاية والإمامة، والإسهاب في استخدام الحديث وتوظيفه في خدمة المذهب وأئمة المذهب، إضافة لحشره اتباع المذهب (كرعاع) بمنطقة رمادية وضبابية من الجهل والعزاء المصحوب بلباس السواد على ماضي من قصص الخرافة المندس في التاريخ العربي حول قصة مكنوبة عن مقتل علي ابن أبي طالب والحسن والحسين ومظلومية فاطمة والزهراء وووووالخ، مماثلة بما دس عن كذب وقصد في سيرة النبي لأبن هشام، وهو عمل مقصود، هدفه جر ماضي من الوهم لحشد الضغينة والحقد على مستقبل الأجيال، ونراه يتكرر في هذا الكتاب في أحاديث الكافي، الذي جعل من شخص المنتسب للمذهب الشيعي يعيش في مآتم دائمة وحزن مستمر زيادة على ذلك بأن جعله يضرب وجهه بيده حتى يدمى، ثم يجبره على دفع ماله بحجة كاذبة حول الخمس، مع الزيادة في تحريف تشريع الفحشاء والفجور في حياته الاجتماعية المتمثلة بإباحة المتعة الجنسية بنساء الاتباع الرعاع دون غيرهم من السادة الأشراف وهذا بحد ذاته يمثل أكبر إهانة بحق المرأة ويخالف كلام الله سبحانه، وفي قراءة محتوى كتاب الكافي الجزء الأول والذي جاء بعدد من الأحاديث ذكرها بقصد استغلال عقل القارئ والقذف به إلى خرافة الجهل حسب ما نوضحه بحديثين وردا في مقدمة الجزء الأول بالتالي:

(أ) روى أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري في كتاب دلائل الإمامة قال: جاء رجل إلى فاطمة عليها السلام،⁽¹⁾ فقال: (يا ابنة رسول الله. هل ترك رسول الله عندك شيئاً تطرفينيه، فقالت: يا جارية هات تلك الحرية فطلبتها، فلم تجدها. فقالت: ويحك اطلبها فإنها تعدل عندي "حسناً" و"حسيناً"، فطلبتها، فإذا هي قد قممتها في قمامتها، فإذا فيها: قال محمد النبي: ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذي جاره. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً، أو يسكت، إن الله يحب الخير، الحليم، المتعفف، ويبغض الفاحش، والظنين).

فهل هذه الحرية التي استرجعت الجارية من القمامة، تعدل حسناً وحسيناً؟
أيضاً من الأحاديث الفجة والتقوليات الكاذبة والجراءة على ذات الله سبحانه وتعالى، حسب هذا الحديث وغيره:

(ب) (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ⁽²⁾ قال أبي جابر بن عبد الله الأنصاري: إن لي إليك حاجة. فمتى يخف عليك أن أخلو بك، فأسألك عنها؟ فقال له جابر: أي الأوقات أحببت، فخلا به في بعض الأيام. فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب؟ فقال جابر: أشهد بالله أنني دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فهنيتها بولادة الحسين، ورأيت في يديها لوحاً "أخضر، ظننته من زمرد، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه لون الشمس، فقلت لها: بأبي وأمي يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فيه اسم أبي واسم بعلي: واسم ابني، واسم الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك، إلخ).

فهل الله تعالى أهدى للنبي لوحاً مكتوباً فيه أسماء أئمة الشيعة !!؟

وهل هناك أكثر جرأة من هذا التقول على الله سبحانه وتعالى، وعلى النبي وعلى أهل بيت النبوة عليهم السلام؟

14-1 الجزء الأول الكافي: التوظيف السياسي للدين:

تتعدد المواضيع الواردة في الجزء الأول والثاني من كتاب الكافي وتكثر العناوين التي تستند إلى أحاديث كثيرة وآيات من القرآن الكريم تم اجتزاؤها وتأويلها خلافاً لمدلولها، ومن أهم تلك المواضيع ما ورد في: كتاب الحجة؛ ويقصد بالحجة الإمامة الدينية والإمامة السياسية في الحكم وأحقية سلاله (آل البيت) فيها من دون الناس؛ وترجع هذه الأحقية في احتكار الدين والدنيا إلى نصوص من فكر المذهب تم صياغتها حسب مفاهيم تعطي فئة محددة الأحقية المقدسة في الحكم والمال؛ لذلك فقد أسهب الكافي في تأليف وحشر عدد كبير من أحاديث العننة، لتبرير مشروعية الحاكمية السياسية لهذه الفئة العصبوية الدينية من الناس، التي

(1) انظر كتاب الكافي الجزء الأول - ص. 6.

(2) انظر مقدمة كتاب الكافي - الجزء الأول. ص. 8.

أطلقت على نفسها آل البيت أو أهل البيت مقتبسين هذا الفقه من إرث العقائد القديمة، ويشمل هذا الجزء على العناوين التالية: كتاب العقل والجهل. كتاب التوحيد. كتاب الحجة(1).

14-1-1 كتاب العقل والجهل:

احتوى كتاب العقل والجهل على كلام يخبر القارئ بخلق العقل، استناداً إلى فكرة بدء الخلق وخلق النور في العهد القديم، ففي الحديث عن أبي جعفر: قال: (لما خلق الله العقل أستنطقه ثم قال له: أقبل فاقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما أني إياك أمر وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أُنثب)، وفكرة الحديث مقتبسة كما قلنا من كتب العهد القديم. (2)

كلا القولين بينهما تشابه من حيث البناء الشكلي، والجرس الصوتي، وكليهما في الحقيقة تقول على الله سبحانه وتعالى الذي أكد أن كلامه لا يكون إلا وحياً أو يرسل رسولاً، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: 51).

وفي موضوع الخلق تحدث القرآن الكريم عن خلق الله لكثير مما يشاهده الإنسان ويعلمه وما لا يعلمه، وعن التدرج المعرفي للعقل في إدراك مخلوقات الله سبحانه وتعالى، كما في قوله جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 164)، وقوله تَعَالَى: ﴿الْخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: 57). ومع ذلك تجد كثيراً من الأحاديث التي ضمنت بهذا الكتاب تتحدث عن الله مباشرة، كمن يروي عن شخص عادي.

ثم نراه يأتينا بأحاديث أخرى يجري مقارنة بالأمثلة بين العقل وجنده، والجهل وجنده، مماثلة لـ "إله النور وإله الظلام" (3).

وسنورد من الأهمية بعض المواضيع التي تناولها كتاب العقل والجهل: كأول المواضيع التي تناولها كتاب الكافي – الجزء الأول، موضوع العقل والجهل، براوية عدد من الرواة وأحاديث العنينة دونها المؤلف في ثلاثة وعشرين باباً، ومن الأحاديث التي أوردتها للدلالة على حجية العقل وبيان الجهل الآتي: -

حديث كتاب الجامعة:

(1). الجزء الاول من كتاب الكافي / ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني . الطبعة الثالثة 1388هـ . دار الكتب الاسلامية . طهران .

(2). انظر العهد القديم . التوراة – سفر التكوين النص: (وقال الله: «ليكن نوراً»، فكان نوراً. 4 ورأى الله النور أنه حسن. وفصل الله بين النور والظلمة. 5 ودعا الله النور نهراً، والظلمة دعاها ليلاً. وكان مساءً وكان صباحاً يوماً واحداً).

(3). راجع افستاء الكتاب المقدس لزرادشت د . خليل عبد الرحمن .

عن محمد، عن يونس، عن أبان، عن أبي شيبه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام، يقول: ظل علم ابن شبرمة عند الجامعة إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخط علي عليه السلام بيده، إن الجامعة لم تدع لأحد كلاماً، فيها علم الحلال والحرام، إن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس، فلم يزدادوا من الحق إلا بعداً، إن دين الله لا يصاب بالقياس. (1)

والمعروف أن كتاب الجامعة جزء من محتوى العهد القديم "توراة العبرانيين" ويحتوي الجامعة على اثني عشر سفرًا، وفيه من الأمثال والمواعظ والوصايا والأحكام الخاصة باليهود.

حديث الناسخ والمنسوخ:

حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن منصور بن حازم، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر؟ فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان، قال: قلت: فأخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله صدقوا على محمد صلى الله عليه وآله أم كذبوا؟ قال: بل صدقوا، قال: قلت: فما بالهم اختلفوا؟ فقال: أما تعلم أن الرجل كان يأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فيسأله عن المسألة فيجيبه فيها بالجواب، ثم يجيبه بعد ذلك ما ينسخ ذلك الجواب، فنسخت الأحاديث بعضها بعضاً. (2)

ومعلوم أن الناسخ من قواعد الشافعي المخالف لهم بالمذهب.

والشاهد من الحديث: الأخذ بالناسخ والمنسوخ في هذا الحديث وفي غيره من أجزاء الكافي، وكذلك العمل بالخاص والعام، وهو علم تفرد بتخريجه الشافعي في كتاب "الرسالة"، وعلى الرغم من اختلاف المذهبين (السنة/الشيعة)، إلا أنهما اتفقا في التحريف، كما اتفقا في الصياغة واختلاق الأسماء المعوجة على اللسان العربي، حسب ما جاء في كتاب "الرسالة" وغيرها، وهي نفس الطريقة المستخدمة في الكافي، مما يؤكد أن كلا المؤلفين خرجا من فكر جماعة واحدة.

14-1-2 كتاب التوحيد:

أسهب محمد الكليني في هذا الكتاب في دس العناوين المختلفة عن التوحيد، حسب مصطلحات قصد من خلالها تضليل الناس عن حقيقة توحيد الخالق، ومن خلال قراءة هذه الأبواب والأحاديث، وبيان القرآن الكريم حول هذه المسألة، سيُتضح كمًا من الزيف والانحراف بعقيدة التوحيد وقد اشتمل هذا الكتاب على عدد من الأبواب وصل (38) باب تقريباً. (3)

(1) انظر كتاب الكافي الجزء الاول . كتاب حجية العقل. من ص 10- 29 .

(2) .انظر كتاب الكافي الجزء الاول – باب اختلاف الحديث . ص 62 . 63.

(3) .انظر كتاب الكافي الجزء الاول كتاب التوحيد وفيه (38) باب وفيه مختلف العناوين والمواضيع المتشعبة والمتداخلة وغيرها من ص 72 – 167.

من أحاديث كتاب التوحيد:

حديث للتعريف بالله:

حدثنا حمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن إسماعيل عن الحسين بن الحسن، عن بكر بن صالح، عن الحسين بن سعيد، قال: سئل أبو جعفر الثاني عليه السلام: يجوز أن يقال لله: إنه شيء؟ قال: نعم، يخرج من الحدين: حد التعطيل وحد التشبيه.

التعريف بالله بأنه شيء وفيه من التحريف للتعريف بالله كشيء خلافاً للقرآن، وهذا التحديد مخالف لما ورد في كلام القرآن الكريم عن نفسه

1- حديث عن كينونة الله

قال عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: جاء رجل إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام من وراء نهر بلخ، فقال: إني أسألك عن مسألة، فإن أجبتني فيها بما عندي، قلت بإمامتك، فقال أبو الحسن عليه السلام: سل عما شئت، فقال: أخبرني عن ربك متى كان؟ وكيف كان؟ وعلى أي شيء كان اعتماده؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أين الآين، بلا أين، وكيف وكيف بلا كيف، وكان اعتماده على قدرته، فقام إليه الرجل فقبل رأسه، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن علياً وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، والقيم بعده بما قام به رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتكم الأئمة الصادقون، وأنتك الخلف من بعدهم.

فالملاحظ أن كل ما ذكر في هذا الحديث تقول وتحريف واضح مع استخدام مفردات لغوية لا دلالة لها.

2- حديث عن كيفية الله

قال علي بن محمد رفعه، عن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أكان الله ولا شيء، قال: نعم كان ولا شيء، قلت: فأين كان يكون؟ قال: وكان متكئاً فاستوى جالساً، وقال: أحلت يا زرارة، وسألت عن المكان إذ لا مكان.

فالحديث فيه من الاستخفاف الواضح بالذات الإلهية وبعقول الناس.

3- حديث آخر للتعريف بالله

قال علي بن محمد، ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الوليد ولقبه شباب الصيرفي، عن داود بن القاسم الجعفري، قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: جعلت فداك ما الصمد؟ قال: السيد المصمود إليه في القليل والكثير.

ويتضح مجيء هذا الحديث بالمخالفة للقرآن الكريم.

ثالثاً: بيان القرآن الكريم حول مسألة توحيد الله تعالى:

الرد على هذه الأحاديث الركيكة في الصياغة والموضوع إجمالاً فهي تتشابه بما خاضه اليهود من التشبيه، فإذا دقت وتفحصت التوراة فإنك ستجد كثير من هذه الالفاظ والأقوال حول

التشبيه، والتجسيم والرؤى، وذهبوا إلى أبعد من ذلك في مخاطبة الله سبحانه وتعالى بلغة فجة لا داعي لسردها مخافة الإطالة.

ولا شك إن هذا الأمر قد خاض فيه بعض الفرق والطوائف الدينية في الفكر الإسلامي أيضاً وكثير من الفلاسفة بمختلف عقائدهم حول ماهية الله جل جلاله فلم يصلوا إلى نقطة التقاء، فما كان منهم غير الجدل العقيم، في الوقت الذي لم يستطع الإنسان اكتشاف نفسه، والكون المحيط به على الرغم من التقدم العلمي الكبير، ذلك أن العلم أبلغ وسيلة لمعرفة الله سبحانه وتعالى، فقد تفرد الله سبحانه بالوحدانية، وشهد لنفسه بذلك قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: 18)، كما أن القرآن الكريم جاء للتعريف بالله سبحانه وتعالى كما ورد في كثير من آيات الذكر الحكيم منها ما ورد بآخر سورة الحشر قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (23) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الحشر (24).

كما أن وحدانية الألوهية التي تفرد الله سبحانه وتعالى بها جاءت جلية واضحة في أكثر من آية في القرآن الكريم، منها: قوله تعالى في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، ومن سورة الرعد قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد: 16). ومن سورة إبراهيم ما جاء حول التفرد بوحداية الوجود لله سبحانه بعد فناء الموجودات والأشياء فلا يبقى إلا هو قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ القصص (88)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (إبراهيم: 48). وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (يونس: 65). قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الزمر: 4).

وهذه الآيات وغيرها مدعى للعلم والمعرفة الجدلية بها قبل التسليم بها، وخلاصة لذلك فقد أفردنا عناوين مستقلة للجدل والمعرفة بذات الله سبحانه والتعريف بالشيء في مقدمة الجزء الثاني من هذا الكتاب بالإمكان الرجوع إليه لمزيد من المعرفة.

14-1-3 كتاب حجية الأئمة:

أسهب الكليني في هذا الكتاب بسرد كثير من العناوين والمواضيع حول الأئمة وحجيتهم معتمداً على أحاديث العنونة المختلفة الأسانيد، حتى وصل إلى توظيف القرآن الكريم وأوله وفسره على هواه، ولكثرة هذه العناوين التي تقدر بمئة وأربعين باباً تقريباً سردها في أربعمئة

صفحة، وحشر فيها ما يقارب ألفي حديث ضمن الجزء الأول من الكافي، فقد وضعت هذه الأحاديث وغيرها لأجل إقناع أتباع المذهب الشيعي بأحقية الولاية في الدين والدنيا، وأحقية الأئمة في الحكم والحاكمية السياسية، وكى لا يصاب القارئ بالملل من كثرة عناوين محتوى الكتاب، سوف أقتبس أهم ما جاء فيها للتعريف بالأئمة، وصفاتهم حسب ما جاء في هذا الجزء من الكافي، وسيتبين وجود التشابه الكبير بين الكافي ومتن التلمود المشناً أيضاً، والتي أسندت لهارون رسول الله صلى الله عليه وسلم وظيفة الكاهن الأكبر، ولنسله من بعده، حيث جعلوا من الكهانة وظيفة دينية ودنيوية مقدسة (سياسية)، كما نصت عليه بالعهد القديم. (1)

وقد جعل الشيعة علي ابن أبي طالب رضي الله نظيراً للنبي هارون، ونسبوا له عدداً من الصفات: الإمام والولي والوصي وكان الإمام الأول بسلم تدرج الأئمة، ومن نسله لزوجته فاطمة كان التدرج في سلم الانتساب الديني المقدس لإمامة الدين والدنيا، وأعتبر ذلك حق ديني مشروع، فأعطوا لأنفسهم التميز في النسب والعرق.

وفي ضوء ذلك فرضوا أحقيتهم في الولاية وأحقيتهم في الأموال من الفيء والأنفال بقدر الخمس مما يغنم من غنائم الحروب، وزادوا عليه مما يستخرج من معادن الأرض المختلفة وغيرها كونهم صفوة الخلق وصفوة النسب وخيار الناس المنتجبين وهم الأوصياء النجباء، وهو إدعاء يتشابه مع إدعاء من سبقهم من اليهود بقولهم: إنهم أبناء الله وأنهم شعب الله المختار أو الشعب المقدس، كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (المائدة: 18)، ونقل هذا الادعاء إلى الفكر الشيعي وهو مخالف للقرآن الكريم الذي أكد على مبدأ المساواة في الخلق بين كل الناس، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرَّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج: 5)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13) فلا فرق بين الناس في الخلق، ولا تمييز بسبب الدين أو اللون أو الجنس أو غيره، كما أشار القرآن للحكم السياسي من كونه وظيفة إنسانية صرفة، وقد أفردنا لها عناوين مستقلة في الجزء الثاني من هذا المؤلف (دين الله ودولة الإنسان) (2).

الأحاديث الدالة على مشروعية حجة الأئمة في الحكم الديني السياسي - والنسب الديني المقدس:

- (1) انظر العهد القديم - التوراة . سفر العدد النص: (8) وقال الرب لهارون: «وهأنذا قد أعطيتك حراسة رفائي، مع جميع أقداس بني إسرائيل لك أعطيتها، حق المسحة ولبنيك فريضة دهرية).
- (2) انظر كتاب الكافي الجزء الاول - كتاب الحجة وفيه أكثر من (130) باب ومائة الأحاديث في (370) صفحة من ص168 - 538. وفيه من الأحاديث المخالفة للقران .

من أحاديث العنقة التي نعرضها لتأكيد صحة ما ذهبنا إليه في توظيف الدين واستغلاله في السياسة، لمصلحة فئة طائفية محددة من الناس بما يخالف كلام الله سبحانه في القرآن الكريم، حسب ما يلي:

1- حديث أنطاعة الأئمة واجب ديني من الله:

قال أحمد بن محمد، عن محمد بن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (نحن قوم فرض الله عز وجل طاعتنا، لنا الأنفال، ولنا صفو المال ونحن الراسخون في العلم، ونحن المحسودون الذين قال الله: " أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله").

وليس ذلك فحسب بله لهم كل شيء الأنفال وصفوة المال وهم الراسخون في العلم.

2- حديث عن أهمية الأئمة في ثبات الأرض من الهزات (ماجة):

قال علي، عن محمد بن عيسى، عن أبي عبد الله المؤمن، عن أبي هراسة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو أن الامام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها، كما يموج البحر بأهله.

3- حديث عن الأئمة خلفاء الله في أرضه وأبوابه التي منها يؤتى:

قال أبو عبد الله عليه السلام: الأوصياء هم أبواب الله عز وجل التي يؤتى منها، ولولا هم ما عرف الله عز وجل، وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه.

4- حديث عن الأئمة نور الله:

قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: "الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة" فاطمة عليها السلام "فيها مصباح" الحسن "المصباح في زجاجة" الحسين "الزجاجة" كأنها كوكب دري" فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا "يوقد من شجرة مباركة" إبراهيم عليه السلام "زيتونة لا شرقية ولا غربية" لا يهودية ولا نصرانية "يكاد زيتها يضيء" يكاد العلم ينفجر بها "ولو لم تمسسه نار نور على نور" إمام منها بعد إمام.

فقد ظهر هذا الحديث وفيه من التأويل والتفسير والتوظيف والسخرية بالقرآن الكريم وبالأسماء التي استشهد بها وبما يخالف القرآن جملةً وتفصيلاً بقوله.

من أحاديث حجية الأئمة

وقد وردت هذه الأحاديث بما فيها من المبالغة والخرافة والكذب وقد عمد أنصار المذهب تأويل وتوظيف وتحريف المقصد من القرآن الكريم بصورة مفضوحة وإبراز الأئمة أنهم حجة الله في الأرض وغيرها من الخرافات حسب بعض الأحاديث المكذوبة في الآتي:

● قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: "وعلامات وبالنجم هم يهتدون" قال: النجم رسول الله صلى الله عليه وآله والعلامات هم الأئمة عليهم السلام. وفي هذا تحريف واضح للقرآن الكريم.

● قال سألت أبا عبد الله الحسين عن قوله تعالى "وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون"، فقال: الآيات هم الأئمة والنذر هم الأنبياء.

● قال الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت له: جعلت فداك "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" فقال: "نحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون، قلت: فأنتم المسؤولون ونحن السائلون؟ قال: نعم، قلت: حقاً علينا أن نسألكم؟ قال: نعم، قلت: حقاً عليكم أن تجيبونا؟ قال: لا ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل، أما تسمع قول الله تبارك وتعالى: "هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب".

● قال علي بن محمد، عن عبد الله بن علي، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن حماد، عن بريد بن معاوية، عن أحدهما عليهما السلام في قوله عز وجل: "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم" فرسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين في العلم، قد علمه الله عز وجل جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله، والذين لا يعلمون تأويله إذا قال العالم فيهم بعلم، فأجابهم الله بقوله: "يقولون آمنا به كل من عند ربنا" والقرآن خاص وعام ومحكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، فالراسخون في العلم يعلمونه.

● قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد عن موسى بن أكيل النميري، عن العلاء بن سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} قال: يهدي إلى الإمام. وفيه تحريف واضح للقرآن الكريم الذي بالتقوّل عليه أنه يهدي للإمام

● وتقول على "علي بن أبي طالب" عن الأئمة المتوسمين: قال محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن أسلم، عن إبراهيم بن أيوب عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: تعالى "إن في ذلك لآيات للمتوسمين" قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله: المتوسم، وأنا من بعده والأئمة من ذريتي هم المتوسمون.

● قال عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن عبد الحميد الطائي، عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: "اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" قال: هم الأئمة.

● قال أحمد بن مهران، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن موسى بن محمد عن يونس بن يعقوب، عن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: {وَأَلَّوْاْ اسْتَقَامُواْ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا} قال: يعني لو استقاموا على ولاية علي

بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده عليهم السلام وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم أسقيناهم ماءً غدقاً، يقول: لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقة هي الإيمان بولاية علي والأوصياء.

● قال محمد بن يحيى عن عبد الله بن محمد بن عيسى عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة عن إسماعيل بن أبي زياد عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إنا أهل البيت) شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم.

● قال الحسين بن محمد بن عامر بإسناده رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من زعم أن الإمام يحتاج إلى ما في أيدي الناس فهو كافر إنما الناس يحتاجون أن يقبل منهم الإمام، قال الله عز وجل: "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها".

● قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إني لأخذ من أحكم الدرهم وإنني لمن أكثر أهل المدينة مالاً ما أريد بذلك إلا أن تطهروا.

بيان القرآن الكريم عن حجية الأئمة الدينية والسياسية:

جاء الرد على تلك الأحاديث من حديقة القرآن الكريم ومن نصوص الآيات التي تشير صراحة إلى عدم اتصال الرسالة والنبوة بالأنساب وصلة القرابة والوراثة، أو ما شابه ذلك، وأن موسى وهارون وداود وعيسى ومحمد هم رسل الله تعالى وأنبيائه، ولا اتصال للرسالة والنبوة بأنسابهم، كما ذهب الفكر الشيعي بأحقية آل البيت أو أهل البيت بتسلسل الإرث النبوي في الأئمة والأوصياء، وهو قول جاء به اليهود الذين بالغوا بالقول: نحن أبناء الله وتقولوا على عيسى أنه ابن الله، وهو أفك عظيم وهو منكر من القول وزوراً، كما ورد ذكر مصحف فاطمة والجامعة، والحقيقة أن مصحف فاطمة من تأليفهم وأن الجامعة كتاب من كتب العهد القديم بتوراة العبرانيين⁽¹⁾، كما سبق إيضاحه وقد دست محتوى هذا الكتاب في المذهب الشيعي، فأصبح من الفكر الباطني للشيعية وتجدر الإشارة إلى أن اتصال الرسالة بين موسى وهارون كان حسب دعاء خاص من سيدنا موسى عليه السلام، وبسبب عقدة (لكنة) لسان النبي موسى، حسب ما صرح به فرعون كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف: 52). ودعاء موسى أن يجعل من هارون وزيراً، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ (طه: 27، 28، 29، 30، 31، 32). ولذلك كان الاستجابة من الله سبحانه لدعاء موسى عليه السلام قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (طه: 42، 43). وبسبب تعنت بني إسرائيل وخذلانهم لموسى الذي جاء على لسانه هذه الآية، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا

(1) انظر العهد القديم – كتاب الجامعة وفيه (12) سفر بكتاب مستقل ضمن العهد القديم و يحوي الأمثال والمواعظ والحكم من فكر اليهود

نَفْسِي وَأَخِيَّ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) (المائدة: 25)، وعلى الرغم من ما عمله موسى لم يبق على درجة الإيمان معه إلا أخاه هارون في نهاية المطاف.

وقد وضح القرآن الكريم عدم اتصال النبوة والرسالة وتسلسلها وانتقالها عبر الأجيال وإنما هي وظيفة ربانية يضعها الله سبحانه حيث يشاء من الناس سواء بشخص محدد أو نسل محدد كآل إبراهيم وآل داود، حسب مشيئته واختياره واسطفائه المنفرد دون أن يكون حقاً دينياً أو حسب نسب عائلي أو غير ذلك كما تبين ذلك الآيات التالية التي تدحض هذا الأداء الكاذب:

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...﴾ (الأنعام: 124).

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (الحج: 75).

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران (33).

• قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾، (آل عمران: 144).

• وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو يصف من خلاله حال الرسول دون تحديد رسول بعينه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: 188).

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (الجن: 20، 21، 22).

4-1-14 الإمامة الدينية والسياسية ليست أصلاً من أصول الدين:

جعل الفكر الشيعي الإمامة أو الولاية السياسية أصلاً من أصول عقيدتهم الدينية المذهبية، مستدلين على مشروعيتها بما تم تأويل وتحريف لآيات القرآن الكريم حسب زعمهم، وبعده غزير من أحاديث العننة دستها جماعة التحريف لخلق جماعات لها ميزات، وحقوق دينية وسياسية ومالية خاصة، الأمر الذي خلق طبقة دينية وسياسية لجماعة معينة، فنشأ بسببه الاستعلاء والتكبر والاحتقار للغير، وتولد معه بالمقابل الحقد والكراهية، ثم النقمة والانتقام والصراع الذي لن ينتهي إن استمر الفكر المذهبي المقيت، وبمجرد تحقيق هذه الأمور على الواقع حسب منهجية إبليس قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (ص: 75، 76).

وبهذا تكون جماعة التحريف قد نجحت بعض الشيء في تنفيذ مشروعها بهدم قيم الإسلام من الداخل، غير أن الهداية الربانية حفظت للمؤمنين إيمانهم ودينهم بحفظ القرآن الكريم الذي

فضح هذا الدس الخبيث، فالقرآن الكريم صرح بذكر الإمامة كصفة من صفات الإيمان والتقوى، والرحمة يعهد بها الله سبحانه وتعالى لمن أراد من المؤمنين، وليست من الحاكمية السياسية نهائياً، وهذا دعاء خليل الله إبراهيم في جعل صفة الإمامة في ذريته، فكان جواب الله تعالى حاسماً "لا ينال عهدي الظالمين" قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: 124)، وذكر الإمامة في وصف كتاب موسى، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً...﴾ (هود: 17) وفي السياق نفسه، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً...﴾ (الأحقاف: 12)، وجاء في دعاء المؤمنين لله سبحانه وتعالى كي يجعلهم قدوة لذريتهم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِمَنْتَقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: 74). هذا ما جاء في القرآن الكريم عن ذكر الإمام أو الإمامة غير أن جماعة التحريف أولت وحرّفت هذه الآيات وأخرجتها عن مدلولها بصورة فاضحة لتوظيفها في الحاكمية السياسية لجماعة محددة من دون الناس.

التوضيح عن الآل وأهل البيت من الجانب الديني والسياسي:

إن الاحتجاج بلفظ (آل) وإطلاقه على آل محمد صلى الله عليه وسلم في سياق الأحاديث المتصلة بالفكر الإسلامي الشيعي/ السني من أجل خلق جماعة دينية سياسية متصلة ب آل محمد أمر غير مقبول حسب منهج القرآن الكريم، فإذا عدنا للقرآن الكريم لن نجد فيه ما يذكر أي (آل) متصلة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، حيث ذكر القرآن الكريم الآل متصلة بالأقوام لغرض التعريف بهم وذكر صفاتهم خيراً أو شراً كالتعريف بآل إبراهيم وآل عمران، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 33) وبآل لوط، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر: 59)، وبآل يعقوب، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْثُنِي وَيَرْثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (مريم: 6)، وبآل داود، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: 13) كما ذكر آل فرعون، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُم الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة: 50)

أما لفظ أهل فقد ذكرها القرآن الكريم بما يزيد عن مائة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم، تتحدث عن أهل الكتاب وأهل المدينة وأهل القرى وغيرها بنفس هذا السياق بغرض التعريف. وورد ذكر (أهل البيت) بعدد قليل من الآيات منها الآية الأولى: قصد منها التعريف أو الإشارة للنساء فقط من دون الرجال، كما في أهل بيت سيدنا إبراهيم عليه السلام، عند مخاطبة الملائكة زوج إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود: 73).

أما الآية الثانية: عن (أهل البيت) فجاءت محددة بالأدب النبوي في مخاطبة نساء النبي، ولم يحدد من هو النبي، أي أن الخطاب خاص بالأنبياء جميعاً موجه لكل نبي كلف بالنبوة،

فعلى أهل بيته الالتزام بحزمة من الإرشادات والآداب التي أملاها الله جل شأنه، للأهمية في خلق شخصية القدوة الحسنة للغير من الناس، كما جاء في سورة الأحزاب، منها، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْراً مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفاً وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الآيات: 28، 29، 30، 31، 32، 33).

والآية الثالثة: قصد بها جبر خاطر نساء المقتول، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ النساء (92) والشاهد إن المقصود بأهل البيت في الآيات السابقة: قصد منها مخاطبة النساء؛ ففي الآية الأولى خص الله سبحانه وتعالى زوجة إبراهيم بمعجزة الإنجاب على الرغم من أنها عجوز وبعلمها (إبراهيم) شيخ طاعن في السن وعلامة تعجبها من بشارة الملائكة لها بالإنجاب، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (هود: 72)، وفي الآية الثانية التي تضمنت عدداً من الإرشادات لأهل بيت النبي، ولم يحدد نبي بعينه، بل كان الخطاب موجهاً لكل الأنبياء من ذرية آدم بما فيهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو ما يفهم من مقاصد ومدلول الخطاب بالقول: "يا أيها النبي" في كثير من آيات القرآن أضف إلى أن هناك نصاً من القرآن خص به كل نبي بالصلاة عليه، بمعنى الدعاء له من الله سبحانه وتعالى، ومن الملائكة وطلب من المؤمنين الصلاة والسلام على النبي بصفته الوظيفية ويقصد به كل نبي تأدباً لهؤلاء النفر من بني الإنسانية الذين اختارهم الله تعالى ليؤدوا مهمة هداية الناس للحق، فحملوا على عاتقهم هذه المهمة وقاموا بها خير قيام فبذلوا فيها أنفسهم، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (الأحزاب: 56).

كما أن فضل الله سبحانه وتعالى كان وما يزال على الناس عظيماً بعطف الصلاة والدعاء منه وملائكته للناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم تأكيداً على رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ (الأحزاب: 43)، وأخيراً الآية الثالثة التي تتحدث عن القتل الخطأ

وفيه عدد من قواعد العقاب المتمثل بتعويض أهل المقتول بدية مسلمة لأهله لجبر الضرر والذي يكون النساء أكثر حزنا وآلم وتضرراً.

وعندما يريد الله سبحانه وتعالى أن يذكر اسم نبي أو يخاطب نبياً باسمه، فإنه يذكره بشكل واضح خلافاً لما تدعي جماعة التحريف بأحقية الأئمة والأوصياء بالانتساب لهذا النبي أو ذاك، وفي القرآن الكريم أسماء عدد من الأنبياء ذكرهم الله تعالى في عدد من الآيات نورد منها حسب ترتيب الأنبياء:

• ذكر إدريس نبي الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (مريم: 56).

• ذكر إبراهيم نبي الله مباشرة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (مريم: 41).

• ذكر إسماعيل، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم: 54).

• ذكر إسحاق، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: 112).

• ذكر موسى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (مريم: 51).

• ذكر هارون قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ (مريم: 53).

• ذكر يحيى عليه السلام، إذ قال: ﴿... أَنَّ اللَّهَ يَبْشِرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: 39).

• ذكر عيسى نبي الله، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (مريم: 30).

• وذكر المولى تعالى نبيّه وحبيبه محمد ليؤكد عدم اتصال وظيفة الرسالة والنبوة من بعده بأحد.

كما ينفي صفة التبني لاحد من الناس، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: 40).

ولا شك أن ما ورد في هذا العدد من آيات الذكر الحكيم يؤكد حقيقة واحدة مفادها أن الرسالة والنبوة وظيفة أو شأن من شؤون الله سبحانه وتعالى، يكلف بها من يشاء من خلقه حسب مشيئته المتفرد بها في كل شيء، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص: 68).

وخلاصة القول: فإن الله تعالى له الحجة البالغة في الاختيار المطلق للأنبياء والرسول ممن يشاء من الناس حسب السبب والإرادة والمشيئة في الاختيار من أجل هداية الناس حسب ما يفهم من دلالات ومقاصد الآيات البينات الواضحات في القرآن الكريم، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأنعام: 149)، ونختتم بهذه الآية التي بدأنا

موضوعنا هذا بقوله سُبْحَانَهُ: ﴿... اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ (الأنعام: 124) وغيرها.

14-1-5 الأنفال والفيء من الغنائم (الخمس):

جاء في الباب الأخير من الجزء الأول من كتاب الكافي عرض عن الخمس والأنفال والفيء من غنائم الحروب في حديث مطول نختصر منه ما يلي: إن الله تبارك وتعالى جعل الدنيا كلها بأسرها لخليفته، حيث يقول للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فكانت الدنيا بأسرها لآدم، وصارت بعده لأبرار ولده وخلفائه، فما غلب عليه أعداؤهم، ثم رجع إليهم بحرب أو غلبة سمي فيئاً، وهو أن يفيئ إليهم بغلبة وحرب، وكان حكمه فيه ما قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ فهو لله وللرسول ولقراة الرسول، فهذا هو الفيء الراجع، وإنما يكون الراجع ما كان في يد غيرهم، فأخذ منهم بالسيف، وأما ما رجع إليهم من غير أن يوجف عليه بخيل، ولا ركاب فهو الأنفال، وهو لله وللرسول خاصة، وليس لأحد فيه الشراكة، وإنما جعل الشراكة في شيء قوتل عليه، فجعل لمن قاتل من الغنائم أربعة أسهم وللرسول سهم، والذي للرسول صلى الله عليه وآله يقسمه على ستة أسهم، ثلاثة له وثلاثة لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما الأنفال فليس هذا سبيلها، كان للرسول عليه السلام خاصة وكانت "فدك" لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصة، لأنه صلى الله عليه وآله فتحها وأمير المؤمنين عليه السلام، لم يكن معهما أحد، فزال عنها اسم الفيء ولزمها اسم الأنفال وكذلك الآجام، والمعادن، والبحار والمفاوز هي للإمام خاصة، فإن عمل فيها قوم بإذن الإمام فلهم أربعة أخماس وللإمام خمس.... انتهى.

هكذا قرر الكافي توسيع دائرة الفيء والأنفال ليشمل الأراضي الزراعية والمعادن المختلفة في باطن الأرض ومما في البحار وغيرها من الفيء والأنفال بسبب حرب أو عن طريق التوسع في الأرض وغيرها، وحدد فيها الأسهم وخصص المستحقين حصراً ووصفاً وجعله حقاً إلهياً مقدساً خصه الله بزعمهم لفئة محددة من الناس دون غيرهم.

ومع النص السابق من الكافي سأضيف لكم بعضاً من أحاديث العنينة التي تم تأليفها والآيات التي تم اجتزاؤها وتأويلها وتفسيرها وتوظيفها بصورة خاطئة في فكر المذهب الشيعي كدليل على مشروعية حقهم الإلهي بهذه الأموال بغرض الاستحواذ على أموال الناس بالباطل، ليس ذلك بل توسعوا بالاستحواذ على الأموال العامة للدولة من المعادن، والثروات الطبيعية لمصلحة جماعة معينة من الناس شرعوا لهم من الدين، ما لم يأذن به الله سبحانه من أجل السيطرة على الموارد المالية والاقتصادية على النحو التالي:

حديث عن الخمس لقراة الرسول وللأئمة:

صَرَّحَ الحسين بن محمد، عن معلي بن محمد، عن الوشاء، عن أبان، عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: "واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة

وللرسول ولذي القربى"، قال: هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله والخمس لله وللرسول ولنا.

حديث عن جعل الأرض وبطون الأودية حقاً خالصاً للرسول وللإمام:

تحدث علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، أو قوم صالحوا، أو قوم أعطوا بأيديهم، وكل أرض خربة وبطون الأودية فهي لرسول الله صلى الله عليه وآله وهو للإمام من بعده يضعه حيث يشاء.

حديث عن مقدار الخمس على مختلف المعادن من الذهب والحديد وغيرها حق لهم دون غيرهم:

قال علي بن إبراهيم بن هشام، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام أنه سئل عن معادن الذهب والفضة والحديد والرصاص والصفير، فقال: عليها الخمس، وحديث آخر للكافي بنفس السياق حول حديث الخمس في كل شيء. الحديث: قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن الحسين بن عثمان، عن سماعة قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخمس فقال: في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير.

حديث عن حلول الزنا بسبب منع الخمس لأهل البيت

روى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن ضريس الكناسي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من أين دخل على الناس الزنا؟ قلت: لا أدري جعلت فداك، قال: من قبل خُمُسنا أهل البيت، إلا شيعتنا الأتبيين، فإنه محلل لهم لميلادهم. حديث عن استحقاق آل البيت لصفوة المال وطاعة الأئمة:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن شعيب، عن أبي الصباح قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال ولنا صفو المال. حديث عن عمّ مات ولا وإرث له فهو لهم من الأنفال:

أجمع عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم ابن محمد، عن رفاعة، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام في الرجل، يموت، لا وإرث له ولا مولى، قال: هو من أهل هذه الآية: "يسألونك عن الأنفال". حديث عن الخمس من الكنوز ومن الذهب والفضة:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام عن الكنز، كم فيه؟ قال: الخمس، وعن المعادن كم فيها؟ قال: الخمس، وكذلك الرصاص والصفير والحديد، وكلما كان من المعادن يؤخذ منها ما يؤخذ من الذهب والفضة. حديث عن الخمس مما يخرج البحر من اللؤلؤ والياقوت والزبرجد:

أفاد محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن محمد بن علي، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عما يخرج من البحر من اللؤلؤ والياقوت

والزبرجد، وعن معادن الذهب والفضة ما فيه؟ قال: إذا بلغ ثمنه ديناراً ففيه الخمس وغيره للأئمة.

الأنفال والفيء ومقدار الخمس في القرآن الكريم:

وعرفت الأنفال والفيء: في القرآن الكريم بأنهما من غنائم الحروب المستولى عليها من المعارك الحربية بين المتحاربين، وسواء كانت هذه الأموال نقدية أو أسلحة أو عتاداً حربياً أو منقولات أو تجهيزات عسكرية، أو منشآت تابعة للقوات المسلحة العسكرية، وما يلحقها من الإمدادات والتموينات من الغذاء والطعام والمؤن والملابس والأراضي وغيرها، فهذه هي الأنفال أو الفيء التي تؤخذ بسبب الحروب.

أما الخمس: فهو مقدار الحصة المستخرجة من هذه الأموال التي يتوجب على ولي الأمر تخصيصها، وصرفها بصورة عاجلة للمحتاجين الأكثر تضرراً من هذه الحروب، وهم المذكورين بالآية: 1 - لِلَّهِ خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ 2 - لِذِي الْقُرْبَى 3 - لِأَيَّتَامَى 4 - لِمَسَاكِين 5- ابْنِ السَّبِيلِ، تخفيفاً عليهم من آثار الحرب ومآسيها التي تخلفها المعارك الحربية، وتطال الإنسان والأرض والحيوان. فهل الله ورسوله يندرجان ضمن الاستحقاق للخمس، حسب تأويل جماعة التحريف؟

وفي تقديرنا أن ذلك محال لأن الله عز وجل ربط هذا الاستحقاق بالله جلّ وعلا صراحة وبشكل مباشر لمقتضيات الرحمة في التشريع، كما ذكر الرسول كوظيفة حسب مقتضيات عدالة التوزيع لهذه الفئات من الناس دون تحديد شخص الرسول بعينه.

كما أن تأثير الحرب على هذه الفئات يكون أكثر فداحة وضرراً، كما أشار الحق سبحانه وتعالى إلى ضرورة إصلاح ذات البين جراء ما تخلفه الحروب من كوارث إنسانية حسب البيان الواضح من الآية، وليس حسب ما جاء به فقهاء الحديث والتفسير والتأويل حول هذه الآيات على حوادث محددة قصد بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم. فكما هو معلوم أن القرآن الكريم كتاب جامع لسيرة الإنسان عبر التاريخ الإنساني منذ الخليقة الأولى وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد مرّ الإنسان بأحداث وحروب كثيرة ومتعددة وكانت غنائم الحروب تمثل رافداً مهماً لاقتصاديات المنتصرين وفي الوقت نفسه تمثلت الهزيمة خسارة وانكسار للطرف الآخر المهزوم، إذ كان غالباً ما يستحوذ الملك على صفوة هذه الغنائم، ثم القادة المحاربون، وقليل منها يذهب للجنود، الأمر الذي جعل من شن الحروب وسيلة للتكسب لصالح فئة معينة من الناس دون غيرهم، فجاء الحق جل شأنه ليضع قواعد محددة لهذه القضية حسب مسيرة حياة الأنبياء والرسل، وليضع حداً للحروب من أجل الاستحواذ على الفيء والأنفال في حياة الإنسان، ومن أجل وقف المتاجرة بالحروب لغرض الاستئثار بغنائمها لصالح فئة معينة، ولتوضيح هذه المسألة أكثر نستعرض الآيات القرآنية التي وردت في القرآن الكريم حول الأنفال والفيء، وفيها الدليل أو مشروعية هذا الحق، قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: 1)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال: 41). وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحشر: 6).

وقد بدأت سورة الأنفال بالتعريف بالأنفال بصيغة السؤال لشيء موجود بين الناس، بمعنى أنه ليس شيئاً جديداً حصل ببعثة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، بل إن الأنفال قديم قدم التاريخ الإنساني، وهذا السؤال كغيره من الأسئلة المعتادة في القرآن الكريم التي يُقصد من إثارتها ذكر قاعدة أو حكم معين، وقد أورد عدداً من الأسئلة.

فإن صيغة السؤال والإجابة جاءت لإثارة أشياء حقيقية موجودة في حياة الشعوب والأمم على الأرض كالأهله واليتامى والمحيط، فهي ليست أشياء جديدة حدثت في حياة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ظهر ذلك من الأسئلة عن الظواهر الطبيعية ك (الأهله) والحاله الاجتماعيه (اليتامى) والحاله البيولوجيه للمرأة عن (المحيط)، إن تلك الأشياء قد لا يكون للشخص المخاطب علم بها، وقد يكون التساؤل من باب إثارتها، وهي من الأمور التي تثار لارتباطها بحياة الناس في كل زمان ومكان، ومنها الأنفال والفيء، فكانت صيغة المخاطب في آيات الذكر الحكيم لكل الرسل والأنبياء، وليس لرسول معين بشخصه. وجاءت الإجابة بأن الأنفال لله سبحانه وتعالى بالمفهوم الواسع للعدل والرحمة، وللرسول كل رسول في كل زمان ومكان بحكم صفته الوظيفية الاعتبارية، كونه شخصاً مكلفاً برسالة الله سبحانه وتعالى، ومتلقياً للوحي (كلام الله)، ومسؤولاً في التوزيع والتقسيم لغنائم الحروب بمقدار الخمس بين الفئات المتحاربة وتوزيعها بصورة متساوية لذوي القربى من المحاربين واليتامى والمساكين وابن السبيل، وغيرهم، فلم تكن هذه الفئات من قرابة الرسول ولا دخل للقرابة في هذه المسألة، بل إنها محددة بالتقاء الجموع المتحاربة بكل زمان ومكان، فيحل الحاكم أو رئيس الدولة أو من يفوضه القانون محل وظيفة الرسول في التقسيم دون القياس على هذا، وكان فرضها للفئات المحددة بالآية بقصد المعالجة لما تخلفه الحرب من مأس على الإنسان.

والتأمل فيما سبق يؤكد لنا في إشارة صريحة للناس من أجل العمل بمقتضى مدلول الآيات، إذ كان من الأولى اتباع عمل الرسول المتصل بما أوحى الله إليه، فلم يكن المخاطب شخصاً معيناً من الرسل، بل موجه لكل الرسل من آدم وحتى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ومن بعده أصحاب الولاية العامة للناس في كل زمان ومكان. ومن ثم فالأمر محصور ومقصود على وظيفة الرسول في هذا الجانب فقط ولا يمتد لغيره ولا يقاس عليه من كونه رسولاً مكلفاً برسالة الله تعالى، ولا يمتد لشخصه ولا لغيره من قرابته على عمود النسب أو المصاهرة أو أي صلة قرابة مهما كانت درجتها؛ فالأنفال والفيء من غنائم الحروب التي يوزع منها بمقدار الخمس، من ما تم السيطرة عليه من الأموال والغذاء والدواء والمأوى (السكن) وغيرها من الجوانب المدنية، وهي ما تعرف بالإغاثات العاجلة، وحدد الخمس منها لمعالجة ما تخلفه الحروب من مأس تكون أضرارها الجسيمة على تلك الفئات من ذوي قربات

المتحاربين والمساكين وغيرهم ولإصلاح ذات البين من المتحاربين، والذين هم أشد الناس ضرراً من كوارث الحروب، حسب ما ذكر بالآية.

والخلاصة التي نخرج بها من تلك التساؤلات والإجابة عليها هو إظهار جوانب التنظيم والتقنين للأنفال والفيء على نحو يفهم منه إزالة اللبس والغموض وتوضيحها للناس جميعاً، بمعنى تعريف الناس بها كخطوط عامة من أجل قيام الإنسان بتشريع قانون ينظم هذه المسألة، حسب هذه القاعدة الثابتة من الوصايا والإرشادات بشأن الفيء والأنفال.

وإذا أخذنا بافتراض التأويل الخاطئ لدى الفكر الشيعي والسني حول الفيء والأنفال، فإن ما أشارت إليه الآية السابقة رقم (41) من سورة الأنفال تجعل الأنفال والفيء فريضة دهرية لموسى وهارون عليهم السلام، ومن خاصيتهم، قال تعالى: (وَمَا أُنزِلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ) فالكلام ذكر (يوم الفرقان) فهذا اليوم تميز بالفرقان في هذه الآية، لأن يوم الفرقان تخص موسى وهارون حسب بيان القرآن الكريم وعند التعرف على الفرقان وعلى من انزل؟ قَالَ تَعَالَى: (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (البقرة: 53)، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ) (الأنبياء: 48)، ومن هنا فمدلول الآيتين يقصد به ارتباط الفرقان بموسى وهارون والخمس ورد بمستهل تلك الآية حسب مفهوم الآية تأويلاً، لذا فإن مقصد ما ذهبت إليه تأويلات الفكر الشيعي فإن استحقاق الفيء والأنفال والخمس يكون من خاصية موسى وهارون فقط دون غيرهما من الناس، إذ إنهما الشخصان المعنيان لمدلول تلك الآيات، غير أن هذه الفرضية خاطئة وإن كان اليهود قد طبقوها، حسب ما جاء في التوراة (1)

ومن هنا فهل يصح القول إن المستحق للخمس من الأنفال والفيء هم نسل موسى وهارون لارتباط خمس الغنائم بيوم التقاء الجمعان من يوم الفرقان المنزل على هارون وموسى، وفقاً لتأويلات الفكر الديني اليهودي؟

طبعاً لا، وهو ما ذهبت إليه جماعة التحريف في الفكر الديني اليهودي فصاغت أحكاماً جعلت الكاهن يستأثر بنصيب من غنائم الحرب بقدر معين حسب ما بيناه سابقاً، وكذلك حرفوا نصوص الاستحقاق في المذهب الشيعي (أهل البيت) وكذلك في المذهب السني تحت مبرر أحقية أهل أو آل البيت لخمس الأنفال والفيء، حسب أحاديث منسوبة للرسول وتأويل آيات القرآن الكريم على نحو مفضوح من أجل الاستحواذ على أموال المحاربين والتوسع للاستيلاء على أموال الناس بالباطل.

(1). انظر العهد القديم - التوراة . سفر العدد النص: (25) وكلم الرب موسى قائلاً: 26 «أحص النهب المسبي من الناس والبهائم، أنت وألعازار الكاهن ورؤوس آباء الجماعة. 27 ونصف النهب بين الذين باشروا القتال الخارجين إلى الحرب، وبين كل الجماعة. 28 وأرفع زكاة للرب. من رجال الحرب الخارجين إلى القتال واحدة. نفساً من كل خمس مائة من الناس والبقر والحمير والغنم. 29 من نصفهم تأخذونها وتعطونها لألعازار الكاهن رقيقة للرب. 30 ومن نصف بني إسرائيل تأخذ واحدة مأخوذة من كل خمسين من الناس والبقر والحمير والغنم من جميع البهائم، وتعطيها للاويين الحافظين شعائر مسكن الرب». 31 ففعل موسى وألعازار الكاهن كما أمر الرب موسى) .

وإذا ما قارنًا بين ما جاء في الفكر الشيعي إجمالاً من كتب آل البيت أو أهل البيت كما يطلقون عليهم، وما ورد في العهد القديم (التوراة) سفر اللاويين وسفر العدد، والقسم الخامس من متن التلمود المشنأ - المقدسات (قداشيم) سجد التشابه كبيراً بينها، غير أن اليهود توسعوا بصورة كبيرة في جباية أموال الناس بالباطل فشملت الجباية كل المواد العينية ابتداءً من الدقيق والزروع والثمار والفواكه والخضروات، وحتى الكبزرة وعجينة الدقيق، وأضافوا لها التقدّمات من كفارات الخطايا ابتداءً من البيضة والدجاجة ثم فرخ الحمام وبكور الحيوانات ومن ذبائح البهائم وغيرها من الأموال النقدية كلها لصالح أوقاف الهيكل والمذبح المقدس ولفئة محددة من بني إسرائيل (نسل هارون وبقية عترتهم المقدسة) دون غيرهم من اليهود، وذلك يتشابه مع المذهب الشيعي الذي توسع في أحقيتهم بالاستحواذ على مقدار الخمس من الأموال، سواء كانت من غنائم الحروب، أو مما في باطن الأرض وما في البحار من ثروات طبيعية تحت مبرر الأنفال والفيء بحكم صلة القرابة بالرسول (بني هاشم)، وهو مبرر مغلوط ومندس عبر رواية من أحاديث العنينة في الفكر الشيعي، فقد استطاعت جماعة التحريف دس هذا العناوين في أكثر من مسند، كمسند البخاري ومسلم والترمذي والشافعي ومسند زيد.

والخلاصة من ما ذكر سابقاً فإن أي تشريعات دينية في هذا الأمر سواء كانت في الفكر الديني اليهودي أو الفكر النصراني أو فكر المذاهب الإسلامية أو في أي فكر ديني آخر يخول لجماعة معينة بذاتها تدعي لنفسها نسباً مقدساً أو حقاً إلهياً في المال أو في الأرض تحت أي مبرر ديني عن طريق دس نص ينسب لدين أو مذهب، فإن ذلك يعد مخالفاً لكلام الله في القرآن الكريم ومعارضاً لمقتضى إرادات الله سبحانه، ووفقاً لما بيناه سابقاً ويعد تعدياً واستحواذاً على أموال الناس بالباطل.

ذلك أن الناس في كل زمان ومكان معنيون بتشريع ضوابط وقوانين حسب ما تقرره سلطاتهم المدنية والتشريعية صياغة تشريعات تقنن ضوابط التعامل مع الأنفال والفيء كإيرادات استثنائية طارئة تدخل ضمن مجموعة إيرادات الدولة العامة في ضوء مدلول آيات القرآن الكريم لمصلحة احتياجات عامة الناس، وأولهم المتضررين من الحروب، ومنهم المذكورين في القرآن الكريم الذي حددهم بأوصافهم لا بأشخاصهم، وما بقي منها تعد موارد خاصة بالدولة تصرف في مشاريع التنمية الاقتصادية.

14-2 الجزء الثاني: التقسيم الديني والسياسي للناس

خصص الجزء الثاني من أصول الكافي لجملة من المواضيع والعناوين موزعة تحت عناوين أربعة، هي: (كتاب الإيمان والكفر. كتاب الدعاء. كتاب فضل القرآن. كتاب العشرة)، بقصد تقسيم الناس لدار إيمان ودار كفر حيث جاء فيها تأويل نصوص القرآن الكريم وتأليف أحاديث متفرقة كدليل على مشروعية هذه العناوين، فجعلها منها أحكاماً شرعية ودينية ملزمة، نبين ذلك بالآتي: (1)

(1) . الجزء الثاني من كتاب الكافي / أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني . الطبعة الرابعة 1388هـ. دار الكتب الإسلامية . طهران

14-2-1 كتاب الإيمان والكفر:

أولاً: ذكر المؤلف موضوعات متفرقة، حشر فيها كثير من الآيات القرآنية التي تم توظيفها وتأويلها بصورة خاطئة، وضم عدداً كبيراً من أحاديث العننة للتعريف بالكفر والإيمان، وضم هذا الكتاب عدداً كبيراً من الأبواب وصلت لمئتي باب تقريباً في هذا العنوان، لا يخلو بعضها من التحقير والاستهزاء بالمؤمنين من الناس، وقد استهل الباب الأول منها بوصف المؤمن بالطين على غرار قول إبليس قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾ (الإسراء: 61)، ومن بين الأبواب التي سردها في هذا الكتاب ما جاء بعنوان التقية والكتمان ويلاحظ من خلال الاطلاع عليها، وما يتخللها من أحاديث ركيكة اللفظ والمعنى، ولخطورة ما جاء في هذا الباب الذي يجعل من الفرد المسلم شخصية مزدوجة ومتناقضة وباطنية، كان لابد من التطرق لبعض تفاصيله في الآتي⁽¹⁾:

14-2-2 كتاب التقية والكتمان:

نال موضوع التقية اهتماماً كبيراً في "الكافي"، فقد رفعها الكافي إلى مرتبة العقيدة الإيمانية بالدين، إذ عرّف التقية بأنها حسنة، وأنها تسعة أعشار الدين، ولا دين لمن لا تقية له، ويقصد بالتقية إخفاء الشيء وإظهار غيره، كإخفاء الإيمان وإظهار الكفر، أو إظهار الحب وإخفاء الكراهية، وغيرها من الأقوال والأفعال، وبما يجعل المسلم مزدوج الشخصية في أفعاله وأقواله، أو كما يقال: ذو وجهين في موقف واحد (انفصام الشخصية)، ودلّل على مشروعية التقية بصناعة أحاديث كثيرة، وتأويله نصوص مجتزأة من القرآن الكريم على غير هدى، ومن تلك الأحاديث التي أوردتها على مشروعية التقية الآتي:

- حديث عن التقية وأنها حسنة، وعكسها سيئة، حسب هذا الحديث:
روى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: "أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا قال: بما بروا على التقية ويدروون بالحسنة السيئة" قال: الحسنة التقية والسيئة الإذاعة.
- حديث عن التقية وأنها تسع أعشار الدين وذكر النبيذ والمسح على الخفين (الحذا) بقصد السخرية:
قال ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عمر الأعجمي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام يا أبا عمر إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفين.
- حديث عن التقية وأنها دين، ولا إيمان لمن لا تقية له:

(1) انظر الجزء الثاني من الكافي حول كتاب الإيمان والكفر وفيه قرابة مئتين باب في (450) صفحة منها أبواب في التقية والكتمان من ص 217-450.

روي عن أحمد بن محمد، عن معمر بن خلاد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن القيام للولاية، فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: التقية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له. ثانياً: بيان القرآن الكريم بشأن التقية:

لم يغفل الخطاب القرآني عن أمر التقية كونها نوع من أنواع المجاملات التي قد يضطر إليه جماعة المؤمنين (دولة) من هيمنة جماعة أو دولة أو دول (تحالف دول) ولا يقصد به الفرد أو الشخص العادي، وقد رخصها الله سبحانه لحفظ الأنفس ولدرء الحروب والبقاء على حالة السلام بين الشعوب والأمم المختلفة، مع التحذير في التماهي فيها حسب هذه الآية، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: 28). فالآية واضحة فهي تتحدث بصيغة المخاطبة للجمع وليس للفرد وهو ما يخص الولاية العامة بين جماعة من المؤمنين وجماعة من الكافرين المعاديين، والاستثناء منها مشروط في حدود ضيقة جداً، وهو خشية الهلاك، ويحذركم الله نفسه في التوسع في ذلك، وقد يندرج العمل بهذه الآية في إطار خطابات المجاملة للأعمال الدبلوماسية، والعمل السياسي بين الدول المهيمنة النافذة على المستويين الإقليمي والدولي، وما يندرج في إطارها من مصالح مشتركة وبين تلك الدول الأقل هيمنة، وليس بين الأفراد من الناس، وما يؤمنون به من الأفكار والمعتقدات، فذلك يندرج ضمن الحقوق الأساسية في حرية الفرد الطبيعي في اعتناق الفكر وحرية الاعتقاد فمن حق كل إنسان اعتناق ما يشاء من الدين، وهو ما يخالف التحريف في تعريف التقية الذي أوصلها الفكر الشيعي إلى مرتبة الدين والإيمان حسب أحاديث العنينة وجعلها عقيدة إيمانية مرتبطة بشخص المؤمن نفسه، وإخراجها عن معناها الحقيقي الذي جاء في القرآن الكريم.

14-2-3 الكتمان لدى الكافي:

عرف الكتمان بأنه إخفاء الشيء وعدم إظهاره أو التستر على الحق والحقيقة بعدم إظهاره أو عدم إذاعتها، وقد استدل على ذلك بعدد من الأحاديث حول مشروعية الكتمان، إذ قصد من الكتمان الحق بصورة عامة وإخفاء أحكام الدين ووصاياه بصورة خاصة، وما بيّن الله سبحانه وتعالى في نصوص القرآن الذي جاء من أجل هداية الإنسان للحق وتعليمهم الفرائض والشعائر والأحكام وحقائق العلوم. ومن الأحاديث التي دلّلت بها الكافي على الكتمان ما يلي:

- حديث كتمان دين الإسلام وهو ما يخالف القرآن الكريم وقيم الإسلام:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن يونس بن عمار، عن سليمان ابن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله. إذا من كتم الدين أعزه الله ومن أذاعه أذله الله.

- حديث تعاليم دين الإسلام بتداوله بين الأئمة دون غيرهم:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت أبا الحسن الرضا عن مسأله فابى وأمسك، ثم قال: لو أعطيناكم كلما تريدون كان شراً لكم، وأخذ برقبة صاحب هذا الأمر، قال أبو جعفر عليه السلام: ولاية الله أسرها إلى جبرائيل عليه السلام، وأسرها جبرائيل إلى محمد صلى الله عليه وآله، وأسرها محمد إلى علي وأسرهما علي إلى من شاء الله، ثم أنتم تضيعون ذلك، من الذي أمسك حرفاً سمعه؟

بيان القرآن حول الكتمان:

جاء القرآن الكريم معارضاً الكتمان بصورة مجملة وخاصة كتمان الحق سواء كان من الدين والإيمان أو من غيره من الحقائق بل وكل من كتم وأخفى الحقائق في الدين، حيث توعّد من يفعل ذلك باللّعن من الله سبحانه وعدم الرضى، حسب ما أنزل الله سبحانه وتعالى من البينات والهدى نسرد بعض من آيات القرآن حول ذلك بالآتي: قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة: 159). قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: 174) وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (النساء: 42).

وما سبق يمثل نموذجين لمجمل ما ورد في كتاب الإيمان والكفر الذي يحوي الكثير من العناوين التي تتضمن كثير من العناوين قصد منها التوظيف السياسي للدين والمذهب، ونكتفي بذلك خشية الإطالة.

14-2-4 كتاب الدعاء والأبواب المشتملة عليه:

أولاً: تضمن هذا الكتاب ما يقارب اثنين وستين باباً بدأها بباب الدعاء والحث عليه، ثم باب أن الدعاء سلاح المؤمن، باب أن الدعاء يرد البلاء والقضاء، باب أن الدعاء شفاء من كل داء، باب أن من دعا استجيب له، باب إلهام الدعاء، باب التقدم في الدعاء، باب اليقين في الدعاء، باب الإقبال على الدعاء، باب الإلحاح في الدعاء والتلبيث، باب تسمية الحاجة في الدعاء، باب الحرز والعودة، باب الدعاء عند قراءة القرآن، باب الدعاء في حفظ القرآن، باب دعوات موجزات لجميع الحوائج وغيرها(1).

ثانياً: الأحاديث الدالة على مشروعية الدعاء:

ذكر المؤلف كمّاً كبيراً من الأحاديث عن الدعاء جعل منها سلاحاً موجهاً ضد المخالفين له، بلغة لا تخلو من سوء اللفظ بالقول، وحَوَّل الدعاء إلى خز عبلات وتمائم وتعاويذ، وأخرجه عن هدف التعبد المبيّن في القرآن الكريم. كما جعل آيات القرآن الكريم أشبه بتمائم تستخدم لمعالجة الأوجاع وعلل الأمراض وطلب الرزق وطرّد الحيوانات والحشرات والبراغيث

(1). انظر الجزء الثاني من كتاب الكافي . كتاب الدعاء وفيه قرابة (60) باب من ص 466- 576.

بقصد السخرية والاستهزاء، دون حياء أو خجل من الله سبحانه وتعالى، ومن تلك الأحاديث ننسخ بعض منها بالآتي:

- حديث عن شروط قبول الدعاء بالصلاة على آل محمد وفيه من الاستخفاف بعقل المتلقي.

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: ما يزال الدعاء محجوباً حتى يصلى على محمد وآل محمد. حديث عن إباحة الدعاء بالفجور والفحشاء: روي عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: إذا دعا أحدكم على أحد قال: اللهم أطرقه ببليّة لا أخت لها وأبح حريمه.

- حديث عن الدعاء بكلام الشعوذة لغرض الشفاء من الأمراض:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الوشاء، عن عبد الله بن سنان عن عون قال: أمرُ يدك على موضع الوجع ثم قل: "بسم الله، وبالله ومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم امسح عني ما أجد" ثم تَمُرْ يدك اليمنى وتمسح موضع الوجع ثلاث مرات.

- حديث عن التقوّل على النبي بحديث الرقية والشعوذة:

حدّث علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه عن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): رقى النبي صلى الله عليه وآله حسناً وحسيناً فقال: "أعيذكما بكلمات الله التامات وأسمائه الحسنی كلها عامة من شر السامة والهامة ومن شر كل عين لامة، ومن شر حاسد إذا حسد" ثم التفت النبي صلى الله عليه وآله إلينا، فقال: هكذا كان يعوذ إبراهيم إسماعيل وإسحاق عليهم السلام.

- حديث عن تقوّل على النبي بحديث عن البراغيث:

حدّث محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة عن أبي الحسن عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض مغازيه، إذا شكوا إليه البراغيث أنها تؤذيهم، فقال: إذا أخذ أحدكم مضجعه فليقل: أيها الأسود الوثاب الذي لا يبالي غلقاً ولا باباً عزمت عليك بأمر الكتاب ألا تؤذيني وأصحابي، إلى أن يذهب الليل ويجيء الصبح بما جاء"، والذي نعرفه إلى أن يؤوب الصبح متى ما أب.

- حديث عن السباع وفيه استهزاء وسخرية بالعقل:

حدّث علي بن محمد، عن ابن جمهور، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا لقيت السبع فقل: "أعوذ برب دانيال والحب من شر كل أسد مستأسد".

الدعاء في القرآن الكريم:

يَبَيِّنُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الدُّعَاءَ بَيَانًا وَاضِحًا جَلِيًّا، إِذْ جَاءَ فِي صَيَغٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ الدُّعَاءِ خَالِيَةٍ مِنَ التَّعْقِيدَاتِ يَفْهَمُ مَعْنَاهَا وَمَحْتَوَاهَا مُبَاشِرَةً دُونَ حَاجَةٍ لِلشَّرْحِ، وَيَتَنَوَّعُ الدُّعَاءُ بِأَهْدَافِهَا وَمَوْجِبَاتِهَا، كَمَا جَاءَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ آيَةٍ، نَذَرُ بَعْضَ مِنْهَا:

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 286).

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران: 193).

• وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: 23).

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: 37).

• وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي﴾ (إبراهيم: 40). وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (السجدة: 16).

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: 88).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف: 55). وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: 180).

• وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء: 110).

• وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر: 14). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: 60).

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم: 41).

هذه الآيات وغيرها من القرآن الكريم التي تذكر الدعاء بمختلف الصيغ السهلة الواضحة للفهم والإدّكار، وتعد الأدعية الواردة في القرآن أفضل النماذج التي يتوجب الأخذ بها للتخاطب مع الله سبحانه، ومن الملاحظ أنك لا تجد دعاء فيه من الضغينة وتمني الشر للآخرين.

14-2-5 كتاب فضل القرآن:

أولاً: تضمن هذا الكتاب الحديث عن فضل القرآن الكريم، وأفرد له قرابة ثلاثة عشر باباً منها: باب في تمثّل القرآن وشفاعته لأهله، باب فضل حامل القرآن، باب من يتعلم القرآن بمشقة، باب من حفظ القرآن ثم نسيه، باب في قراءته، باب البيوت التي يقرأ فيها القرآن، باب ثواب قراءة القرآن، باب قراءة القرآن في المصحف، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن، باب فيمن يظهر العشيّة عند قراءة القرآن، باب في كم يقرأ القرآن ويختم، باب في أن القرآن يرفع كما أنزل، باب فضل القرآن(1).

ثانياً: الأحاديث الدالة على فضل القرآن الكريم:

حشر الكليني عدداً من أحاديث العنعة في هذا الكتاب، فعند قراءتك تجد أنها مخالفة لعنوان الكتاب، كما تجد أن القرآن الكريم حل محل التوراة والإنجيل، كما تم دس بعض المفردات اللغوية في الأحاديث المندسة ظهر ذلك من خلال الكلمات في أصل مزعوم الحديث، مثل (قوَاد) و(دبر) (فرج)، وبما جاء في بعض الأحاديث المختارة فقد صار القرآن كتاب شعوذة لطرد الشياطين، ويدعو للكفر ولا يصح التفاؤل به على الخير، ومن تلك الأحاديث:

- حديث عن حلول القرآن محل التوراة والإنجيل والزبور وعبارات غير مفهومة:

الحديث: روى علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن سعد الإسكافي، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أعطيت السور الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور وفضلت بالمفصل ثماني وستون سورة، وهو مهيم على سائر الكتب والتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والزبور لداود.

- حديث الكافي: وتقوُّله على النبي بما فيه من الألفاظ الشاذة:

الحديث: قال علي، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): حملة القرآن عرفاء أهل الجنة، والمجتهدون قوادو أهل الجنة، والرسل سادة أهل الجنة.

- حديث الكافي: عن القرآن لطرد الشياطين:

عن علي بن الحسين بن الحسن الضرير، عن حماد بن عيسى، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: إنه ليعجبني أن يكون في البيت مصحف يطرد الله عز وجل به الشياطين.

- حديث الكافي: وتقوُّله في عدم التفاؤل بالقرآن:

(1) انظر الجزء الثاني من كتاب الكافي . كتاب فضل القرآن من ص 577- 627.

الحديث: قال عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى، عن بعض رجاله عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لا تتفائل بالقرآن.

- حديث الكافي: وتقول به بأن القرآن يدعو للكفر:

الحديث: روى علي، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أبي (عليه السلام): ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلا كفر.

14-2-6 كتاب العشرة:

أولاً: كتاب العشرة، يقصد به التعايش الاجتماعي بين الناس، وقد حدد الكليني قالباً من النصوص الدينية لكيفية التعامل بين الناس، خصص له أكثر من ثلاثين باباً مضمناً عدداً كبيراً من أحاديث العنعة، بما يتوافق مع مسار التلمود المشناة في أغلب أقسامه، وقد كان لازماً علينا ذكر بعض تلك الأبواب للوقوف عليها لما تحوي من ازدياد الآخر والتهكم على أصحاب الملل والعقائد الأخرى والتحقيق لهم. (1)

ثانياً: الأحاديث الدالة على مشروعية العشرة:

- حديث عن مساواة المرأة بالأنذال وتحقير الأغنياء:

قال عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن موسى بن القاسم قال: سمعت المحاربي يروي عن أبي عبد الله (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ثلاثة مجالستهم تميّت القلب: الجلوس مع الأنذال والحديث مع النساء، والجلوس مع الأغنياء.

- حديث عن السلام بين المسلم والكافر واليهودي والنصراني:

عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: إذا سلم عليك اليهودي والنصراني والمشرک، فقل: عليك.

وهذا حديث بنفس السياق:

قال عن أحدهما، (عليهما السلام) في مصافحة المسلم اليهودي والنصراني، قال، من وراء الثوب، فإن صافحك بيده فاغسل يدك.

ثالثاً: بيان القرآن الكريم حول العشرة:

أرسل الله الرسل لهداية الناس على منهاج القرآن الكريم الذي جاء بالكثير من قواعد الأحكام والوصايا والأوامر والتوجيهات والإرشادات والمواظظ لإصلاح النفس البشرية، وكذلك جاء بالشعائر والمناسك وأمرنا بالتأخي ونشر المحبة والسلام بين الشعوب والأمم بمختلف دياناتهم وأعراقهم. فالإسلام ينظر للإنسان نظرة واحدة، قوامها المساواة في الحقوق

(1) انظر كتاب العشرة في الجزء الثاني من كتاب الكافي وفيه (41) باب من ص 635- 675.

والواجبات ثم ينظر للعمل الصالح كمقياس للتعايش بين الناس مع ضمان حرية المعتقد الديني، وقد نصت على ذلك عدد من الآيات:

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء: 86).

• وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

• وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (النساء: 124).

• وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: 97).

• وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ (الإسراء: 84).

• وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: 7، 8).

• وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام: 135).

• وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: 8).

14-3 الجزء الثالث من الكافي: تحريف الشعائر والمناسك:

اشتمل هذا الجزء من الكافي (من الثالث إلى السابع) على عدد كبير من العناوين، نذكر منها: (كتاب الطهارة. كتاب الحيض. كتاب الجنائز. كتاب الصلاة. كتاب الزكاة). (1)

14-3-1 كتاب الطهارة وكتاب الحيض:

أولاً: يتشابه كتابا الطهارة وكتاب الحيض، مع كتب الطهارة والحيض في المذاهب السنية مع اختلافات بسيطة هنا وهناك في رواية الأحاديث وزيادة ونقص في بعض المواضع، واختلاف بعض المسميات، إلا أن البناء الشكلي والموضوعي لكل هذه الكتب واحد، فنجد مثلاً في كتاب الطهارة والحيض من "الكافي" أنه يحتوي على كم كبير وهائل من الأبواب المتعلقة بالطهارة، والنجاسة للماء، والغسل والسيلان، والبول، والمذي والمني، والوضوء والاستنجاء والمضمضة والمسح على الخفين والسواك، والحيض والنفاس، وغيرها

(1) الجزء الثالث من كتاب الكافي / أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الطبعة الثالثة 1388 هـ . دار الكتب الإسلامية . طهران

من الأبواب التي تقارب سبعة وسبعين باباً وعنواناً، وهو ما يتوافق مع متن التلمود (المشنا)⁽¹⁾ طهاروت (الطهارات) القسم السادس الذي عمم النجاسة على أغلب الأدوات والأواني والأشياء والمتطلبات الحياتية، فقد جاءوا بالبول والسيلان والنفاس على اعتبار أنها من النجاسة، ثم أضيف إليه مصطلح الوضوء، والاستنجاء، والاستجمار، وغيرها الكثير من المصطلحات التلمودية الغريبة على فقه القرآن الكريم.

ويشتمل كتاب الطهارة وكتاب الحيض على عدد كبير من الأبواب والعناوين، حشر فيها الكافي واسهب وسردها يثقل كاهل القاري ولا فائدة ترجوا منها غير زيادة في التعقيد خاصة وهي منسوخة المضمون من عقائد قديمة كما سبق الإشارة إليه (افستا الكتاب المقدس لزراداشت- ومشنا التلمود)، ولذلك كان من الأهمية الإشارة إليها فقط للعلم بها دون الخوض في تفاصيلها الممل ثم ننتقل لبيان القرآن الكريم لهذه الجزئية وعلى النحو التالي: (2)

ثانياً: بيان القرآن الكريم حول النظافة (الطهارة) وكتاب الحيض:

ورد ذكر لفظ النجاسة في القرآن الكريم بآية واحدة، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة 28). فالآية واضحة بتحديد إطلاق لفظ النجاسة على الذي يعبد الأصنام من الناس، ويريد الدخول للمسجد الحرام بمكة، وهي حالة حصرية مقصورة على هذا الفعل، وبسببه ولا يمتد لغيره في المكان على الإطلاق. وجاء ذكر النجاسة في كتب المذاهب الإسلامية الشيعية والسنية في مواضع كثيرة، وتوسعت هذه المذاهب في تعريف النجاسة بالقياس المأخوذ من عموم أفسنا ومشنا التلمود، الذين أسهبوا أيضاً بصورة موسعة في تعميم النجاسة على أمور كثيرة في حياة المجوس واليهود، ومنها نجاسة المرأة في الحيض، والنفساء والنجاسة في لعاب الكلب، والنجاسة في البول، والنجاسة في المني والمذي والسيلان وغيرها، ونجاسة الجنب والنجاسة بجثة الميت وغيرها من النجاسات. ومنه أخذت هذه المصطلحات، وعممت على المذاهب الشيعية والسنية، عن طريق أحاديث العنونة المتعددة وجعلت منه أحكاماً تمنع المؤمنين من تأدية مناسكهم وشعائهم الدينية حسب ما جاء في القرآن الكريم، فجعلوا الحيض مانعاً للمرأة من الصلاة والصيام والطواف حول الكعبة في الحج والعمرة وغير ذلك.

أمّا انتهى للصلاة والطهارة من الجنب وغيرها: فقد بيّنها القرآن الكريم بياناً دقيقاً ومفصلاً في الآية السادسة من سورة المائدة وذكرها بلفظ (الغسل) قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا

(1) انظر كتاب مشنا التلمود القسم السادس طهاروت (الطهارة) . ترجمة د. مصطفى عبد المعبود
(2) انظر كتاب الكافي . الجزء الثالث. كتاب الطهارة وفيه قرابة (40) باب في (74) صفحة من ص 1- 75 . ثم كتاب الحيض وفيه قرابة (25) باب في (35) صفحة من ص 75- 110.

بُوجُوهَكُمْ وَأَيِّدِكُمْ مِنْهُ مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)، فالغسل والتطهر المقصود بهما هنا هو تهئية المؤمن لأداء شعيرة الصلاة فقط، والتطهر لرفع الحدث، وإذا جاء أحد منكم الغائط أو الجنب أو عند ملامسة النساء وليس لإزالة النجاسة حسب ما جاء بفكر المذاهب، فالإنسان على العموم طاهر لذاته، وإن كان جنباً أو غير ذلك، ويبدو أنهم لم يفرقوا بين الطهارة، والنظافة الشخصية فالأولى (الغسل) كشرط لازم لأداء شعيرة مطلوبة، والثانية وهي النظافة الشخصية، هي سلوك شخصي مطلوب على الدوام ولكنها ليست شرطاً.

وذكر الحيض في القرآن الكريم بصيغة الجواب عن سؤال في الآية: قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: 222).

فكان المحيض مانعاً للرجل من وطء المرأة بجماع، وليس مانعاً للمرأة من القيام بشعائر الإسلام من صلاة وصيام والحج وعمره وجميع المناسك والشعائر وقراءة القرآن، إذا فالمرأة طاهرة لأداء المناسك والشعائر الدينية على العموم وإن كان فيها المحيض الذي هو علامة على خصوبتها للإنجاب وبنفس الوقت غير طاهرة للوطء بخلاف ما ذهب إليه جماعة التحريف للأخذ بالقياس في هذه المسألة، وقد استغلت جماعة التحريف هذه الجزئية فأثقلت كاهل المسلمين وبالذات المرأة وعطلت عليها شعائر الإسلام، على غرار تعاليم أفسنا ومشنا التلمود، وقد أوضحنا هذا العنوان بمبحث مستقل من هذا الكتاب.

14-3-2 كتاب الجنائز:

أولاً: ولك أن تنظر إلى الكم الهائل من التعقيدات حول هذا الموضوع من كتاب الجنائز في فكر المذهب الشيعي، الذي وصل إلى ما يزيد عن ثمانين باباً شرعنوا فيه من أحاديث العنينة عن الحلال والحرام حول الجنائز وما يجوز وما لا يجوز بشأن هذا الموضوع وزادوا عليه بعذاب القبر، وكيفية حفر القبر واللحد، والكفن ولك أن تحصي عدد الأبواب لترى مقدرة جماعة التحريف على صياغة التعقيدات، وصبغها بالصبغة الدينية في الأمور الحياتية المعتادة، والمألوفة بين الناس، في كثرة عناوين أبواب موضوعات كتاب الجنائز الذي جاء متوافقاً مع نفس التعقيد الذي في كتاب البخاري مع اختلاف بسيط هنا وهناك في العناوين، وكليهما نسخاً من كتب العقائد القديمة (أفسنا - مشنا التلمود).

ثانياً: الأحاديث الدالة على مشروعية الجنائز:

- حديث عن الميت الذي يترك وحده والشيطان يلعب بجوفه، بما يحمل من التندر والسخرية: قال علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، والحسين بن محمد، عن معلى بن محمد جميعاً، عن الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس من ميت يموت ويترك وحده إلا لعب به الشيطان في جوفه.

- حديث عن المرأة الحايض وعبادة المريض وتمريضه:

حدَّث علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن علي بن أبي حمزة قال: قلت لأبي الحسن (عليه السلام): المرأة تقعد عند رأس المريض وهي حائض في حد الموت؟ فقال: لا بأس أن تمرضه فإذا خافوا عليه وقرب ذلك فلتنتحي عنه وعن قبره فإن الملائكة تتأذى بذلك.

- حديث عن العمامة للميت وذكر الحذاء بقصد السخرية:

روى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عثمان عن حريز: عن زرارة، ومحمد بن مسلم قالاً: قلنا لأبي جعفر (عليه السلام): العمامة للميت من الكفن؟ قال: لا، إنما الكفن المفروض ثلاثة أثواب وثوب تام، لا أقل منه يوارى جسده كله فما زاد فهو سنة إلى أن يبلغ خمسة أثواب فما زاد فهو مبتدع، والعمامة سنة وقال: أمر النبي صلى الله عليه وآله بالعمامة وعمم النبي (صلى الله عليه وآله)، وبعث إلينا الشيخ الصادق (عليه السلام) ونحن بالمدينة لما مات أبو عبيدة الحذاء بدينار وأمرنا أن نشترى له حنوطاً وعمامة ففعلنا.

- حديث عن عدم تعجيل النار للميت حديث فيه من السخرية:

أجمع عدة من أصحابنا، في حديثهم عن سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عن عدة من أصحابنا، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لا يسخن الماء للميت ولا يعجل له النار ولا يحنط بمسك.

- حديث عن كفن الميت كسوته ليوم القيامة وفيه من الخرافة:

عن العلي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن سعد ابن طريف، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: من كفن مؤمناً كان ضمن كسوته إلى يوم القيامة.

- حديث عن المشي بالجنابة وذكر رايماً للحديث باسم عذافر بقصد السخرية:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن عذافر، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: المشي خلف الجنابة أفضل من المشي بين يديها.

- حديث عن الكراهية والحق بين المسلمين

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لما مات عبد الله بن أبي بن سلول حضر النبي صلى الله عليه وآله جنازته فقال عمر لرسول الله (صلى الله عليه وآله): يا رسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟ فسكت، فقال: يا رسول الله ألم ينهك الله أن تقوم على قبره؟ فقال له: ويلك وما يدريك ما قلت إني قلت: "اللهم احش جوفه ناراً واملأ قبره ناراً وأصله ناراً" قال أبو عبد الله عليه السلام فأبدي من رسول الله ما كان يكره.

- حديث برواية النوفلي والسكوني عن الطين:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تطينوا القبر من غير طينه.

- حديث عن خرافة زيارة الميت لأهله كل يوم جمعة:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن المؤمن ليزور أهله فيرى ما يحب ويستتر عنه ما يكره، وإن الكافر ليزور أهله فيرى ما يكره ويستتر عنه ما يحب قال: ومنهم من يزور كل جمعة ومنهم من يزور على قدر عمله.

ثالثاً: القرآن الكريم يبيّن أن الغراب المعلم الأول في دفن جثة الإنسان:

بيّن الله سبحانه وتعالى بآية واحدة في القرآن الكريم ذكر فيها كيفية دفن الموتى من خلال فعل طائر الغراب الذي قام بدفن سوءة (جثة) غراب آخر من جنسه، فكان الغراب معلم الإنسان الأول منذ الخليقة الأولى لبني آدم في هذه الجزئية البسيطة في حدودها الدنيا، قال تعالى: (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) (المائدة: 31).

وضحت هذه الآية مراسيم دفن جثة الإنسان الميت، حين يصبح سوءة بمعنى جثة يجب مواراتها التراب، ولك أن تقارن هذه الآية مع ذلك الكم من غشاء تشريعات الحرام والحلال، وما يجوز وما لا يجوز، حسب أحاديث العنينة، وذكر عذاب القبر، وما اشتمل عليه فكر المذهب الشيعي من تلك الأبواب والمواضيع التي تزيد عن ثمانين باباً حول جنازة دفن جثة الإنسان، الذي اختصرها طائر الغراب بحفر الأرض بمنقاره، ورجليه ليريه كيف يواري سوءة أخيه، دون هذه المبالغة الفجة والمخالفة لمقتضى منهج الله تعالى في التيسير على الناس. وكان فعل الغراب مثلاً ليعلم ابن آدم طريقة الدفن التي اقتضت على فعلين هما: الحفر والدفن للجثة فقط.

إلا أن الإنسان عبر مسيرة حياته أضاف طرقاً وعادات جعل من دفن السوءة (جثة) عملاً يقوم على مراسيم مختلفة بين الناس من مكان لآخر، ومن زمان لآخر حسب ثقافة الشعوب، والبلدان فمنهم من يحرق الجثة، ومنهم من يرمي بالجثة للطيور لتأكلها، ومنهم من يحنطها لتبقى جثة، ومنهم من يتبرع بجثته للتشريح الطبي، والعلمي، ومنهم من يدفنها بمراسيم شعبية وأخرى رسمية، وبنفقات مالية باهظة جداً، ومنهم من يخصص مقبرة لليهود دون غيرهم وآخر للمسيحيين وآخر للمسلمين، وهذا التخصيص لا يقدم في دفن الجثة شيئاً، فيجوز دفن الجثة في أي مكان مخصص للدفن دون اعتبار للجنس والدين واللون، وغيرها من العادات المختلفة، وكل هذه الطرق والعادات ليست من أحكام الدين، وإنما من عادات الناس التي ألفوا على تنظيمها، وهي متعددة بتعدد ثقافات الأمم والشعوب، إلا أن جماعة التحريف حولت هذه العادات إلى نصوص دينية عبر أحاديث العنينة فأصبحت من أصول العقيدة الإيمانية للشعوب والأمم، كما هو حاصل اليوم ومن المفيد الإشارة إلى هذه الأبواب التي تم اقتباس الكثير من عناوينها من متن التلمود.

وفي موضوع القبر، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ (عبس: 21)، ولا يوجد ما يشير للقبر بأنه مكان للعذاب على الإطلاق، بل مكان لتحلل الجسم ليعود لخلقه الأول، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ (طه: 55). وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (الأعراف: 25).

14-3-3 كتاب الصلاة:

أولاً: تضمن كتاب الصلاة عدداً من المواضيع والعناوين وصلت لأكثر من مائة باب، تحدثت عن الصلاة ومشروعيتها وكيفيةها، وأوقاتها وتعددتها وأنواعها وأحكام السهو في الصلاة، وشرَّع عدداً من الصلوات متجاهلين كون الصلاة أهم شعيرة فرضها الله سبحانه وتعالى على الأمم السابقة بالهيئة والكيفية التي بينها القرآن الكريم بياناً واضحاً ومفصلاً، وقد جاء في أغلب كتب فكر المذهب الشيعي الكلام عن الصلاة مساوياً أو متشابهاً مع بقية المذاهب السنية، بمعنى أن مصدر تشريع الصلاة يكاد يكون واحداً بكل المذاهب، مع بعض الاختلافات البسيطة هنا وهناك، والواضح أن جميع ما ورد في كتب المذاهب الإسلامية ركز الجهد لإثبات مشروعية الصلاة وغيرها من الشعائر، حسب أحاديث العنونة وما اجتزئ من آيات القرآن الكريم، بما يتوافق مع مسارهم بإثبات شعائر مغايرة لما جاء به القرآن الكريم حول الصلاة، قصد المؤلف بإيراده هذا الكم الكبير من العناوين والمواضيع والأبواب تشتيت ذهن الناس وإخراج الصلاة عن مسارها الحقيقي من حيث كیفيتها التي حرفوها بتنميطها بقالب معين كالانحاء من قيام تحت مسمى الركوع والسجود بجهة المصلى إلى الأرض ورفع المؤخرة للخلف وهذا خطأ جسيم في هئية الصلاة، حرفوا الصلاة من حيث المواقيت، وحرفوا الصلاة من حيث الكيفية بالجهر بها عبر مكبرات الصوت، وحرفوا الصلاة بتعدد مسمياتها كصلاة الظهر والعصر وصلاة النوافل وصلاة السهو وصلاة الاستخارة وصلاة الخسوف والكسوف وصلاة المطاردة وصلاة العيدين وصلاة التسبيح وصلاة فاطمة الزهراء وصلاة الميت وصلاة التطوع وصلاة الأستسقاء وصلاة طلب الرزق وصلاة الشكر وصلاة الحوائج وصلاة من أراد الدخول بزوجه يوم الزواج وصلاة النوادر وصلاة مساجد الكوفة وصلاة، حتى جعلوا من الصلاة مسخرة واستخفاف وهي في الحقيقة أعظم وأقدم شعيرة فرضها الله سبحانه ورتبها على الوجه الأكمل والهيئة المثلاء، وقد سردوا هذه الصلاة بعناوين وأبواب ما أنزل الله بها من آية في القرآن الكريم، ليجعل ذلك الأمر أكثر تعقيد في الصلاة، وتفقد الصلاة مضمونها بهذه التحريفات التي شرعناها اعتماداً على أحاديث العنونة المتناقضة مع القرآن الكريم، كما يتبين ذلك من الأحاديث التي ننسخ بعض منها بالآتي: (1)

ثانياً: من الأحاديث الدالة على مشروعية الصلاة:

(1) انظر كتاب الكافي الجزء الثالث . كتاب الصلاة وفيه حشر الكافي قرابة (110) باب في (246) صفحة. حشر فيها الكافي كل هذه الابواب والعناوين بقصد تحريف الصلاة واخراجها عن ما جاء في القرآن

- حديث "الكافي" برواية حريز و زرارة عن صلاة الشمس والعيد والمطر والميت ما لم يأذن به الله سبحانه:

قال أبو جعفر (عليه السلام): فرض الله الصلاة وسن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشرة أوجه: صلاة الحضر والسفر وصلاة الخوف على ثلاثة أوجه وصلاة كسوف الشمس والقمر وصلاة العيدين وصلاة الاستسقاء والصلاة على الميت.

- حديث عن المبالغة في وصف الصلاة بقصد السخرية والتندر:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: للصلاة أربعة آلاف حد، وفي رواية أخرى للصلاة أربعة آلاف.

- حديث عن مشروعية صلاة الظهر والعصر بالمخالفة للقرآن الكريم:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ذريح المحاربي قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): متى أصلي الظهر؟ فقال: صل الزوال ثمانية ثم صل الظهر ثم صل سبحتك طالت أو قصرت ثم صل العصر.

- حديث عن الاستهزاء بالصلاة:

قال الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن حماد بن عثمان، عن سعيد بن بيار السابري قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أيتباكي الرجل في الصلاة فقال: بخ بخ ولو مثل رأس الذباب.

- حديث عن كيفية السجود ومماثلة بسجود الوثنيين لاصنامهم:

حدث علي بن إبراهيم، عن يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان قال: رأيت أبا الحسن الثالث (عليه السلام) سجد سجدة الشكر فافتش ذراعيه فألصق جوفه وبطنه بالأرض، فسأله عن ذلك، فقال: كذا نحب.

والحقيقة فإنني أجد تقارباً وتشابهاً كبيراً في طريقة سرد وتعدد الصلاة، وكيفيةها بين كتب المذاهب الإسلامية وكتب العقيدة اليهودية من حيث تشابه الأذان للصلاة عند اليهود والمسلمين حالياً، بينما في الإسلام فقد أقر القرآن الكريم القيام إلى الصلاة بدخول الميقات من دون رفع الصوت بالأذان أو عبر مكبرات الصوت، حيث شرع النداء لصلاة الجمعة فقط وبأي صيغة نداء يتفق عليها أهل البلدة عند الصلاة من يوم الجمعة فقط، وكما هو معلوم فإن الأذان فرض عند القيام بالحج والعمرة فقط والنداء يختلف تماماً عن الأذان حسب ما هو متعارف عليه.

ثالثاً: بيان القرآن الكريم حول الصلاة:

بيّن الله سبحانه الصلاة بياناً واضحاً دقيقاً مفصلاً وجعلها "صلاة واحدة" بأوقاتها متعددة ومعلومة من اليوم والليل ومواقيتها حددت بالظواهر الطبيعية، كالشمس ودخول الليل والنهار أو بالنداء لها كصلاة الجمعة، فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد بيّن الغسل لأداء الصلاة بصورة

مفصلةً فما بالك بالصلاة نفسها، وقد حدد القرآن الكريم مبدأ مشروعية فرض الصلاة كونها شعيرة عظيمة وقديمة فُرضت على الشعوب والأمم القديمة، ثم بيّن القرآن الكريم آداب الصلاة وشروط الصلاة فيها، وكيفيةها بصورة دقيقة من قيام، وركوع وسجود، وحدد الخطوة الأولى فيها بالقيام واقفاً باتجاه القبلة، ثم الركوع وهو قعود المصلي القائم على ركبتيه، نحو الأرض مباشرة من دون انحناء، ثم السجود، وهو انحناء رأس المصلي نحو ذقنه وهو قاعد أو وهو قائم كالصلاة في وقت الحروب، أما الركوع والسجود في الصلاة الحالية والذي تقوم به غالبية المسلمين فتلك صلاة فيها من الخطأ أو قل محرفة أو تم تشويهها من قبل جماعة التحريف بكتب المذاهب والمدون في أحاديث العنينة، فتلك الصلاة تتشابه مع صلاة وطقوس اليهود والوثنيين الهندوس والبوذيين، ففي الركوع يبدأ المصلي بانحناء جسمه ورأسه وهو واقف واضعاً راحة يديه على ركبتيه مبرزاً مؤخرته للخلف، وسمى هذا ركوعاً وهو ليس بركوع، ثم يسجد مباشرة بلصق جبهته وأنفه ويدي المصلي على الأرض ورفع مؤخرته للخلف أيضاً مسمىً ذلك بالسجود، وهو ليس بالسجود المحدد في القرآن الكريم، مخالفين بذلك الركوع والسجود الموضح في القرآن الكريم، وبذلك توافقت المذاهب الإسلامية على إقامة شعيرة الصلاة بالطريقة المحرفة التي أخرجتها جماعة التحريف عن وضعها الموضح في القرآن الكريم، وهو ما يؤكد أن جماعة تحريف العقائد هي من قامت بهذا العمل براً لقسم إبليس الذي أقسم ليقعدن للناس على الصراط المستقيم؛ أي طريق الخير والعبادات والشعائر من أجل تحريفها عبر ما يوسوس به لوكلائه من الإنس والجن، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الأعراف: 16)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: 112). لذا فإن القرآن الكريم يفضحهم من خلال الآيات البينات الواضحات وقد بينها بفصل مستقل من هذا الكتاب - الجزء الثاني.

14-3-4 كتاب الزكاة:

أولاً: ذكر المؤلف الزكاة بنفس طريقة سرده للصلاة، فتناول عنوانين وموضوعات كثيرة تصل إلى خمسين باباً، بيّن تعريف الزكاة، وأنواعها ومقدارها وأوقاتها، وخلط بين الصدقة والزكاة، وما يجب وما لا يجب، موظفاً عدداً كبيراً من أحاديث العنينة، ومجتزئاً بعضاً من نصوص القرآن الكريم، بما يتوافق مع أهدافه في إخراج هذا الفرض الواجب عن مضمونه الحقيقي، وترك الله سبحانه وتعالى الزكاة لتشريع الناس حسب ما تعارفوا عليه بالعرف واستقروا عليه في كل زمان ومكان ثم قاموا بتشريع قوانين وضوابط وفقاً لسلطاتهم المدنية من أجل تنظم طرق فرض الزكاة وجبايتها وتحصيلها، وفقاً للمتغيرات الاقتصادية بمفهومها الواسع، مع ضرورة التفريق بين الزكاة والصدقات، فالزكاة يقصد بها الموارد الضريبية بنطاقها الواسع وما يطرأ عليها من متغيرات ولا تفرض إلا بتشريع، أما الصدقات فتعدُّ موارد

ضريبية استثنائية تؤخذ بسبب نشأتها مكاناً وزماناً وليس بصفة دائمة، كما سنوضحها فيما يلي (1):

ثانياً: من الأحاديث التي تدلُّ على الزكاة:

وهنا نقتبس نماذج من أحاديث العنعة على مشروعية أحكام الزكاة التي يظهر عليها جانب من الترهيب وتضعيف العذاب بثعبان من نار وحية قرعاء، وغيرها من الخرافات، بالإضافة لذكر الأسماء الشاذة لرواة أحاديث العنعة بقصد الاستهزاء كـ (ابن مسكان، ونس، وابن فضال، وابن أذينة، وبريد العجلي، والفضيل، وزرارة) وغيرها من الأسماء والألقاب غير العربية التي تتكرر في أحاديث العنعة، ومن تلك الأحاديث:

- حديث عن الثعبان ينهش مانع الزكاة يوم القيامة:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن مسكان، عن محمد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: "سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة" فقال: يا محمد ما من أحد يمنع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله عز وجل ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب، ثم قال: هو قول الله عز وجل: "سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة" يعني ما بخلوا به من الزكاة. وجاء بتأويل من القرآن خلافاً لمقصده:

- حديث عن مضاعفة العذاب لمانع الزكاة:

وقال ونس، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من ذي زكاة مال نخل أو زرع أو كرم يمنع زكاة ماله إلا قلده الله تربة أرضه يطوق بها من سبع أرضين إلى يوم القيامة.

- حديث عن الحية القرعاء تأكل دماغ مانع الزكاة:

الحديث: قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن علي بن عقبة، عن أيوب بن راشد قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: مانع الزكاة يطوق بحية قرعاء وتأكل من دماغه وذلك قوله عز وجل: "سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة". ويلاحظ توظيف القرآن في هذه الخرافات.

ثالثاً: بيان القرآن الكريم حول الزكاة:

من المهم الإشارة إلى الزكاة من كونها ركيزة مهمة للناس قرنت بالصلاة في كثير من آيات الذكر الحكيم وكون فرضها جاء على الأُمم السابقة مثلها مثل الصلاة لأهميتهما في حياة الإنسان، وجاءت الزكاة في القرآن الكريم بصورة مجملة من غير تحديد لمقدار أو نوع محدد، عدا الثمار من الفواكه والحبوب التي حُدِّد وقت إخراج الزكاة عنها بيوم حصادها، ومنها على

(1) انظر كتاب الكافي الجزء الثالث- كتاب الزكاة وفيه حشر الكافي قرابة (40) باب في (75) صفحة تقريباً من اجل تحريف الزكاة وخرجها عن مسار القرآن وخط بينها وبين الصدقات .

سبيل المثال النخيل والزروع والزيتون والرمان وما تشابه مع غيره من أصناف متنوعة، وقد حدد القرآن الكريم ذلك، فَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام: 141). وقد أفردنا لذلك فصلاً مستقلاً عن الزكاة في الجزء الثاني من هذا المؤلف

14-4 الجزء الرابع من "الكافي" حول بعض الشعائر والمناسك:

جاء هذا الجزء من فروع "الكافي" كغيره من الأجزاء بعنوانين رئيسية، وهي: (كتاب الصدقات. كتاب الصيام. كتاب الحج). وتحت هذه العناوين الرئيسية برزت تقسيمات فرعية أطلق عليها أبواب لموضوعات عديدة نوضح منها في الآتي: (1)

14-4-1 كتاب الصدقات:

أولاً: الصدقات من قبيل العطايا أو من قبيل إخراج المال للغير، ومحلها في كتاب الزكاة لتجانسها معه، وقد ذكر "الكافي" أبواباً متفرقة عن الصدقات وأسهب فيها وأضاف إليها مواضيع ليس منها، وقد ذكر القرآن الكريم مشروعية الصدقات ومستحقها على وجه التحديد، ولم يتطرق إلى تفاصيل كيفية جبايتها وأنواعها، وكل ما ذهب إليه فقهاء المذاهب ومنها هذا المؤلف الذي أظهر الصدقات بكتاب مستقل ذكر فيه أنواع الصدقات، وأضفى عليها تشريعات لتأكيد مشروعيتها بعدد كبير من أحاديث العنينة التي اصطنعتها جماعة التحريف في فكر المذهب الشيعي. (2)

ثانياً: من الأحاديث الدالة على مشروعية الصدقات:

من الأحاديث الكثيرة التي أظهرت تغليظ ومضافة العذاب والعقوبة والتقوّل على الله والرسول، بالأوصاف والألفاظ الواردة بأحاديث العنينة مثل: (أرض القيامة نار، والله يحب إهراق الدماء، وشردتك، وقتل أسرى الحرب) سوف نختار نماذج من أحاديث العنينة استدلل بها الكليني على مشروعية الصدقات بالمخالفة للقرآن الكريم، وهي:

- حديث من الطائفة السامرية لليهود:

عن علي بن إبراهيم رفعة، قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى (عليه السلام) أن لا تقتل السامري فإنه سخي. مع ما فيه من التقوّل على الله سبحانه بذكر مناقب السامري، ووصفه بالكرم بقوله (سخي) ويبدو أن واضع الحديث

- حديث وجوب إهراق الدماء وإطعام الطعام:

(1). الجزء الرابع - الكافي / أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني . الطبعة الثالثة 1388 هـ دار الكتب الإسلامية - طهران

(2). انظر كتاب الكافي الجزء الرابع - كتاب الصدقات - حشر الكافي فيه ما يقارب (46) باب في (60) صفحة من ص 60-2. حرف الكافي المعنى والمضمون الأساسي من التعريف بالصدقات وخط احكام الصدقات بالزكاة كما حشر عناوين كثيرة لا علاقة لها بالصدقات .

روى محمد بن يحيى، عن عبد الله بن محمد، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إن الله تبارك وتعالى يحب إهراق الدماء وإطعام الطعام. وواضح التقول على الله بالباطل.

- حديث التقول على الله وعلى النبي بأنه يقتل الأسرى:

أجمع عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن الحسين بن سعيد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله بأسرى فقدم رجل منهم ليضرب عنقه، فقال له جبرائيل: آخر هذا اليوم يا محمد، فردّه وأخرج غيره حتى كان هو آخرهم فدعا به ليضرب عنقه، فقال له جبرائيل: يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك: إن أسيرك هذا يطعم الطعام، ويقري الضيف ويصبر على النائبة، ويحمل الحملات فقال له النبي صلى الله عليه وآله: إن جبرائيل أخبرني فيك من الله عز وجل بكذا وكذا وقد أعتقتك فقال له: إن ربك يحب هذا؟ فقال: نعم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، والذي بعثك بالحق نبياً لا رددت عن مالي أحدا أبداً.

ثالثاً: ما جاء من القرآن الكريم حول الصدقات:

أورد القرآن الكريم عدداً من الآيات تتحدث عن الصدقات وتبين مصارفها، والصدقات ليس لها مقادير ولا أوقات محددة، وتعتبر هذه الآيات قواعد ملهمة للمشرعين في سنّ قوانين لجباية الصدقات المعروفة اليوم بالهبات والتبرعات والمساعدات العينية أو النقدية، وقد خصص لها عدد من المؤسسات والمنظمات المحلية والدولية للعمل عليها بمختلف دول العالم، والعمل في هذا المجال أصبح اليوم ذو أهمية كبيرة في عدد من الصُعد المختلفة، على الصعيد الإنساني والإغاثات وهو الأغلب وكذلك على الصعيد السياسي وغيره، وسوف أنسخ بعض آيات الصدقات من القرآن الكريم وهي تؤكد على مشروعية الصدقات والآداب فيها بالآتي:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة (60).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿خُذْ مِمَّنْ آمَوَاهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ التوبة (103).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفْ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ الحديد (18).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ التوبة (104).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ...﴾ المجادلة (13).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ البقرة (271).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ البقرة (276).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى...﴾ البقرة (264).
- قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ البقرة (263).

14-4-2 كتاب الصيام:

أولاً: ضمن مؤلف "الكافي" كتاب الصيام بعدد كبير من الأبواب والعناوين وحشر عدد كبير لأحاديث العنونة لإثبات مشروعية الصيام، ولم يتطرق إلى نصوص القرآن الكريم إلا من زاوية بعيدة مجتزئاً بعضاً من الآيات، ويكاد هذا يكون إطاراً عاماً متفقاً عليه بفقهاء المذاهب الإسلامي كلها لدى السنة والشيعية، وذلك بتغيب القرآن الكريم من الاستشهاد به. حيث يتم الاستناد إلى أحاديث العنونة المتصفة بعمومها وخصوصها بالركاكة في اللفظ والمعنى والتي صنعتها جماعة التحريف لتأليف كل كتاب وباب من أبواب عناوين الشعائر والمناسك وقواعد الأحكام التي تتناولها، كما هو الحال في كتاب الصيام وما فيه من الأبواب التي وردت لما يزيد عن (86) باب حشر نصوص من الأحاديث التي اخترناها لكم بالآتي..

ثانياً: من الأحاديث الدالة على مشروعية الصيام:

من أحاديث العنونة الواردة في كتاب الصيام التي شُرِّعَ بها أحكام الصيام خلافاً للقرآن الكريم، وهي لا تخلو من الاستخفاف بشعيرة الصيام، والمفردات اللغوية الركيكة، كما يتضح من قراءات النماذج التالية:

- حديث عن زكاة الأبدان والصيام والعبارات الركيكة:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن إسماعيل بن أبي زياد، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: ألا أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم، كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى قال: الصوم يسود وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطع دابره، والاستغفار يقطع وتينه، ولكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام. وقد احتوى هذا الحديث على صياغة لمفردات لغوية ركيكة وضعيفة.

- حديث عن نتانة رائحة الفم وفيه من التحقير:

قال علي، عن أبيه ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام ما يمنعك من مناجاتي؟ فقال: يارب أهلك عن المناجاة لخوف فم الصائم، فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى لخوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك. والتقول على الله وعلى نبيه موسى.

- حديث عن تقرير عقوبة الجلد بالمخالفة للقرآن:

قال علي بن محمد بن بندار، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن عبد الله بن حماد، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل أتى امرأته وهو صائم وهي صائمة، فقال: إن كان استكرهها فعليه كفارتان وإن كانت طوعته فعليه كفارة وعليها كفارة وإن كان أكرهها فعليه ضرب خمسين سوطاً نصف الحد وإن كانت طوعته ضرب خمسة وعشرين سوطاً وضربت خمسة وعشرين سوطاً. وهو خارج سياق الموضوع وبالمخالفة للقرآن الكريم واضح وجلي.

- حديث عن دخول الماء فرج المرأة وهي صائمة:

روى محمد بن يحيى وغيره، عن محمد بن أحمد، عن السيارى، عن محمد بن علي الهمداني، عن حنان بن سدير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصائم يستنقع في الماء قال: لا بأس ولكن لا ينغمس فيه، والمرأة لا تستنقع في الماء لأنها تحمل الماء بفرجها. وهو حديث فيه من السخرية والاستهزاء.

- حديث عن منع الحائض من الصلاة والصوم:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن الحسن بن راشد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الحائض تقضي الصلاة؟ قال: لا، قلت: تقضي الصوم؟ قال: نعم، قلت: من أين جاء ذا؟ قال: إن أول من قاس إبليس، قلت: والصائم يستنقع في الماء؟ قال: نعم، قلت: فيبل ثوباً على جسده؟ قال: لا، قلت: من أين جاء ذا؟ قال: من ذاك قلت: الصائم يشم الريحان؟ قال: لا لأنه لذة ويكره له أن يتلذذ.

أحاديث من السخرية - بلع الصائم نخامته والذباب الذي يدخل الحلق...

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا بأس بأن يزدرد الصائم نخامته. "الكافي" وفيه من التقلولات بما تبعث على التحقير والازدراء والسخرية من الصيام بحسب هذه الأحاديث.

- حديث عن الذباب يدخل حلق الصائم:

قال علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام أن علياً صلوات الله عليه سئل عن الذباب يدخل حلق الصائم، قال: ليس عليه قضاء، لأنه ليس بطعام.

وحديث مص الخاتم من قبل الصائم:

الحديث: وروى عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في الرجل يعطش في شهر رمضان قال: لا بأس بأن يمص الخاتم.

14-4-3 كتاب الحج والعمرة:

أولاً: الحج والعمرة مجموعة من الشعائر والمناسك بينها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بياناً دقيقاً مفصلاً بالاسم والوصف والكيفية والمكان، طالباً من المؤمنين تعظيم شعائر الله سبحانه وتعالى واجتناب الرجس من الأوثان، وكلمة اجتناب الرجس من الأوثان فيها تحذير مباشر جاءت مخصوص في هذه الشعيرة لحساسيتها التعبدية وبنفس الوقت حبيب التعظيم للشعائر المطلوبة من غير زيادة، حسب ما جاء في سورة الحج، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُقِّقَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُأَسَّيٍ ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (الآيات: 30، 31، 32، 33). وقد تضمن كتاب الحج في الكافي عدداً من الأبواب والعناوين التي استند في تشريعها إلى أحاديث العنينة فكانت غزيرة كما هو في كل المؤلفات التي تضمنها الكافي، بقصد تحريف شعير الحج والعمرة كما في هذا الكتاب، والذي حشر الكافي فيه ابواب موزعة هنا وهناك بقصد التضليل والسخرية من الحج والعمرة وتحويله لشعائر شركية ووثنية، بالإضافة لقيامه بأدخال الخرافات والخزבלات وتحويل مناسك وشعائر الحج والعمرة للأئمة والقبور والأضرحة وغير ذلك، والملاحظ أن جماعة التحريف توسعت كثيراً في شعائر الحج في الفقه الشيعي والفقه السني، وأدخلت شعائر شوهدت الحج، ويكاد أن يكون هذه التوسع متفق عليه في المذهبين دون سند أو آية من القرآن الكريم الذي شرع شعائر الحج بأكثر من آية محذراً في الوقت نفسه من الأوثان ورجسها، ولكن كثيراً مما حذر القرآن أضيفت للحج وتضمنها هذا الكتاب الجزء الرابع من "الكافي" مستنداً في ذلك لأحاديث العنينة، ومن تلك الشعائر التي شرعوا لها دون دليل من القرآن نذكر بعض منها مع بعض الردود بالتالي:

- الحج عن الغير بأن يقوم شخص بالحج عن آخر.
- رخصة الطواف والحج عن الأئمة.
- التلبية أثناء الحج كشعيرة من شعائر الحج، بينما ورد في القرآن الأذان فقط قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: 27).
- الإحرام من أماكن محددة للحج.
- لبس ثياب محددة أثناء أداء شعائر الحج تماثلاً بثياب رجال الدين من العقائد الأخرى.
- حرمة التطيب والتعطر أثناء أداء شعائر الحج.
- نكاح المرأة والنظر إليها بشهوة أثناء أداء شعائر الحج.
- تقبيل الحجر الأسود واستلامه والتبرك به، ونصبو له مكاناً بركن الكعبة وهو رجس من الأوثان.
- الأذكار والدعاء عند استلام أركان البيت (الكعبة).
- الشرب من ماء زمزم كما يفعل الصابئة أثناء تعميدهم بالماء.

● السعي بين الصفاء والمروة بسبعة أشواط خلافاً للقرآن الكريم الذي أوجب الطواف بهما فقط دون الإشارة إلى السعي نهائياً، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 158).

● تحريم طواف المرأة بالبيت الحرام وهي حائض بالمخالفة للقرآن.

● وجوب الوقوف على جبل عرفات خلافاً للقرآن الكريم الذي جوز الإفاضة فقط ولم يشير إلى الوقوف على عرفات نهائياً، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ (البقرة: 198) وهذا التحريف يتوافق مع ما عمله الطائفة السامرية من اليهود بالوقوف بجبل جرزيم المقدس بفلسطين كأحد شعائر الحج لديهم.

● الحج واحد في السنة، خلافاً للقرآن الكريم الذي حدد الحج العمرة

● بأشهر.

● المبيت في أماكن محددة مثل المزدلفة والإقامة بمنى.

● جواز السعي في وادي محسر.

● وجوب رمي ما يسمى بالجمار بسبع حصاة من الأحجار الصغيرة على نصب محدد أيام التشريق.

● جواز أتباع الحج بزيارة المدينة، وزيارة قبر النبي، وقبور البقيع والمشاهد، وقبور الأئمة ونسائهم.

● الصلاة في الروضة، بين المنبر وبيت الرسول. وغيرها من المناسك التي ما أنزل الله بها من دليل.

حشر الكافي هذا الكذب والخرافات والشريكات في (230) باب في أكثر من (400) صفحة بمقدار أكثر من ثلثي الجزء الرابع. (1)

ثانياً: نماذج من أحاديث الكافي عن الحج:

- حديث عن القمل والبقر والبرغوث ثم البيع والشراء للجواري:

أجمع عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن أبان، عن أبي الجارود قال: سأل رجل أبا جعفر (عليه السلام) عن رجل قتل قملة وهو محرم قال: بئس ما صنع؟ قال: فما فداؤها؟ قال: لا فداء لها.

يظهر مدى التحقير والاستخفاف بشعائر الحج بالمخالفة الفاضحة للقرآن الكريم.

- حديث مجهول الرواية بنفس السياق السابق:

(1) انظر كتاب الكافي الجزء الرابع - كتاب الحج - أبي جعفر محمد الكليني. وفيه حشر المؤلف واسهب بذكر مناسك للحج مخالفة للقرآن تضمنها عددا كبير من الابواب وصل إلى قرابة (238) موزعة على أكثر من (400) صفحة من ص 184-403. وفيها ابتذل الكافي في استخدام العبارات والألفاظ المنحطة لتسفيه وتحريف شعيرة ومناسك الحج والعمرة

كما أجمع عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر، عن مثنى بن عبد السلام، عن زرارة، عن أحدهما عليهما السلام قال: سألته عن المحرم يقتل البقرة والبرغوث إذا أراداه؟ قال: نعم.

- وحديث آخر بنفس السياق:

الحديث: قال أحمد بن محمد، عن البرقي، عن سعد بن سعد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن المحرم يشتري الجواري ويبيع؟ قال: نعم.

- حديث عن المحرم الذي يصيب النعامة والحمار الوحشي:

قال إبراهيم عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن محرم أصاب نعامة أو حمار وحش قال: عليه بدنة قلت: فإن لم يقدر على بدنة؟ قال: فليطعم ستين مسكيناً. وفيه من الاستخفاف بعقل القارئ إذ إن المعلوم أن هذه الحيوانات تعيش في الغابات الاستوائية ومكة منطقة جبلية قاحلة قرب صحراء ومكان غير ذي زرع.

والشاهد من الحديث أيضاً: عدم مطابقته للواقع الذي بُيِّن في القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم بأن المكان الذي بنيت فيه الكعبة البيت الحرام بوادٍ غير ذي زرع قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾، والحمار الوحشي والنعامة تعيش في الغابات والحكم بإطعام ستين مسكيناً يعد حكماً يخالف القرآن الكريم بالمرة.

- حديث تعظيم الحجر الأسود ومحاكاته كنصب وثنية:

الحديث: قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا دخلت المسجد الحرام وحاذيت الحجر الأسود فقل: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أشهد أن محمداً عبده ورسوله، أمنت بالله وكفرت بالطاغوت وباللات والعزى وبعبادة الشيطان وبعبادة كل ند يدعى من دون الله، ثم ادن من الحجر واستلمه بيمينك ثم تقول: بسم الله والله أكبر، اللهم أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد عندك لي بالموافاة. كنصب وثني مخالف لقول الله تعالى في القرآن الكريم باجتتاب الرجس من الأوثان حسب الآية التي سبق ذكرها.

- حديث بألفاظ بذنية بقصد السخرية:

أجمع عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كنت في الطواف السابع فأنت المتعوذ، وهو إذا قمت في دبر الكعبة حذاء الباب فقل: اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار، اللهم من قبلك الروح والفرج، ثم استلم الركن اليماني ثم أنت الحجر فاختم به.

يظهر الاستهزاء بالحج بالوقوف على كلمات شاذة ومخلّة بالأداب مثل (دبر الكعبة) (حذاء) (الفرج) في شعيرة يقتضي تعظيمها بالمخالفة للقرآن الكريم.

- وهذا حديث آخر للكافي بنفس السياق:

أجمع عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: من أين أستلم الكعبة إذا فرغت من طوافي؟ قال: (من دبرها)!

- حديث عن حلة العلاقة الجنسية مع صاحبة في الحج:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ذكره، عن ابن بكير، عن عمر بن يزيد قال: حاضت صاحبتى وأنا بالمدينة وكان ميعاد جمالنا وإبان مقامنا وخرجنا قبل أن تطهر، ولم تقرب المسجد ولا القبر ولا المنبر فذكرت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام فقال: مرها فلتغتسل ولتأت مقام جبرائيل عليه السلام فإن جبرائيل كان يجيء فيستأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وإن كان على حال لا ينبغي أن يأذن له قام في مكانه حتى يخرج إليه وإن أذن له دخل عليه، فقلت: وأين المكان؟ فقال: حيال الميزاب الذي إذا خرجت من الباب الذي يقال له: باب فاطمة **بحذاء** القبر إذا رفعت رأسك **بحذاء** الميزاب، والميزاب فوق رأسك والباب من وراء ظهرك، وتجلس في ذلك الموضع وتجلس معها نساء، ولتدع ربها ويؤمن على دعائها، قال: فقلت: وأي شيء تقول؟ قال: تقول: " اللهم إني أسألك بأنك أنت الله ليس كمثلك شيء أن تفعل لي كذا وكذا " قال: فصنعت صاحبتى بالذي أمرني فطهرت إلى آخر الحديث. بمعنى صديقة ثم ذكر كلمة (حذاء) للتحقير من شعائر الحج والاستهزاء بجبريل وبالسيدة فاطمة.

- حديث عن مشروعية شعيرة رمي جمرتي العقبة:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خذ حصًا الجمار ثم ائت الجمرة القصوى التي عند العقبة فارمها من قبل وجهها، ولا ترمها من أعلاها وتقول والحصا في يدك: " اللهم هؤلاء حصياتي فاحصهن لي وارفعهن في عملي " ثم ترمي وتقول مع كل حصاة: " الله أكبر، اللهم ادحر عني (الشيطان...) إلى آخر الحديث)

. وجمرة العقبة نصب يرمز للشيطان بفكر جميع المذاهب شرعوا له مناسك الرجم بالحجارة على ذلك النصب، وإنه لا يصح الحج إلا بالقيام بهذا المنسك الوثني الذي يقام على مدار يومين أو ثلاث وتلك من الأعمال الخارجة عن الحج التي لم ينص القرآن الكريم عليها بل نص على اجتناب الرجس من الأوثان أثناء أداء شعائر ومناسك الحج والمضحك أن هذه العمل المحرف متفق عليه لدى غالبية المذاهب.

- حديث عن عمرة رمضان تعدل حجة:

أجمع عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد، عن حماد بن عثمان، عن الوليد بن صبيح قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بلغنا أن العمرة في شهر رمضان تعدل حجة، فقال: إنما كان ذلك في امرأة وعدّها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: اعتمري في شهر رمضان فهي لك حجة. وهو حكم لم ينص عليه الله تعالى في القرآن الكريم.

- حديث عن الجارية فدية في الحج:

الحديث: روى محمد بن يحيى، عن بنان بن محمد، عن موسى بن القاسم، عن علي بن جعفر، عن أخيه أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن رجل جعل جاريته هدياً للكعبة كيف يصنع؟ فقال: إن أبي أتاه رجل قد جعل جاريته هدياً للكعبة فقال له: قوم الجارية أو بعها... إلى آخر الحديث. وهو فعل مستنسخ من التوراة بجعل الإنسان أحد القرايين التي تقدم من اليهود فداء للرب وفقاً لتوراة العبرانيين سفر العدد.

- حديث الكافي عن الزنا واللواط في الكعبة:

علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن إساف ونائلة وعبادة قريش لهما، فقال: نعم كانا شابين صبيحين وكان بأحدهما تأنيث وكانا يطوفان بالبيت، فصادفا من البيت خلوة فأراد أحدهما صاحبه ففعل فمسخهما الله، فقالت قريش: لولا أن الله رضي أن يعبد هذان معه ما حولهما عن حالهما.

وهذا الحديث يكفي لأظهار مدى الاحتقار والاستهزاء بالحج والبيت الحرام الذي أمر الله تعالى بتعظيمه وتعظيم شعائر الحج إليه فقد كان العرب من عهد إبراهيم يعظمونه ولا يتصور عاقل أن يرضي بعمل فاحشة الزني واللواط بجوف الكعبة، هذا الكلام دس بغرض تحقير الكعبة البيت الحرام والمسلمين معاً علماً أن هذا الحديث ورد في كتاب - سيرة النبي لابن هشام وغيره من كتب المذاهب.

14-5 الجزء الخامس من "الكافي" الجهاد والمعيشة والنكاح:

اشتمل هذا الجزء من "الكافي" على ثلاثة كتب، وهي: كتاب الجهاد. كتاب المعيشة. كتاب النكاح(1).

14-5-1 كتاب الجهاد:

أولاً: جاء تقسيم الجهاد في الكافي مشابهاً للتقسيم في فكر المذاهب السنية، وقد شرع الجهاد لقتال أعداء الدين والحكم أو الحاكمة السياسية، أو لكل من يخالف الحاكم، أو كل من يخرج عن الحاكم فقد وجب جهاده وقتاله في المذهبين (السني والشيعة) كما شرّع الجهاد لنشر الإسلام وقتال الكفار والمنافقين، حسب كثير من الأحاديث، كما يظهر ذلك من مزعوم

(1) الجزء الخامس من كتاب الكافي / أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني . الطبعة الثالثة 1338هـ دار الكتب الإسلامية . طهران .

الرسائل التي تقولوا بها من أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أرسلها لملوك ورؤساء الدول والقبائل والعشائر حول العالم لإبلاغ رسالة الإسلام، وما تضمنته نصوص تلك الرسائل من التهديد والوعيد، حسب ما وردت في سيرة ابن هشام بالقول: (اسلم تسلم) أو التخيير بين الدخول في الإسلام أو الجزية أو الحرب، فكانت هذه هي أهم مبادئ الجهاد حسب زعمهم الكاذب، فضلاً عن أعمال السيف لقتل الأعداء وإقامة الحاكمية السياسية والسبي للنساء والغلمان والغنيمة من الحروب، وكل هذه المبادئ مستوحاة من نصوص التوراة⁽¹⁾ والتي أكدت على أعمال السيف في الخصوم والقتل والسبي وإحراق مدن الأعداء وقتل الأسرى، كما في الكثير من النصوص، وكذلك نص آخر بنفس السياق.⁽²⁾

لذلك حث فكر المذاهب الشيعية على الجهاد لحمل الناس على الإيمان، وتوجيه الجهاد نحو الناصبيين من المسلمين وخاصة العرب، وشرع الجهاد للسبي والغنيمة، وأن هناك دار حرب وكفر ودار إيمان وإسلام حسب مبدأ الولاء والبراء، هذه العناوين وغيرها من عناوين كتاب الجهاد والتي جاءت بصورة واضحة كما ورد في كتاب الجهاد حزمة من الأحاديث عن فضل الجهاد وأن الخير كله تحت ظل السيوف ولا يستقيم حال الناس إلا بالسيف، وأن الجهاد لا يصح إلا بالإمام، وأن الإمام له صفوة المال من الفي والأنفال من سبایا النساء والجارية الفارسة، والدابة الفارسة، قبل أن يخرج له خمس غنائم حروب المجاهدين، وأن أولى الجهاد جهاد مشركي العرب، وأن أفضل عمل بعد الفرائض هو الجهاد والقتال لنيل الشهادة، وأغلب الأحاديث في الكافي شرعت الجهاد لمجرد القتال ولا غير القتال، ومجمل تلك الأحاديث تؤكد أن حياة الناس لا تستقيم إلا بالسيف وحده، وبالسيف نشر الرسول الإسلام والأمر يعود به كما بدأ، ثم يسرد الكافي عدداً من الأحاديث حول تقسيم الناس على الدوام بين دار الإسلام ودار الحرب حسب ما سبق، وبذلك حرصوا على القتال تحت مبرر الجهاد، وطلب الشهادة. كما يظهر من خلال أبواب كتاب الجهاد، وهنا نسرد بعضاً منها لتوضيح حقيقة هذا الزيف والتحريف للجهاد لفظاً ومعنى:

ثانياً: من الأحاديث الدالة على مشروعية الجهاد:

- حديث فضل السيف لتقييم الناس كلهم:

(1). انظر العهد القديم . التوراة . سفر التثنية . النص التالي: (10) حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، 11 فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. 12 وإن لم تسالمك، بل عملت معك حرباً، فحاصرها. 13 وإذا دفعها الرب إليك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. 14 وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغنمتها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إليك. 15 هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. 16 وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إليك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما، 17 بل تحرمها تحريماً: الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، كما أمرك الرب إليك).

(2). انظر العهد القديم . التوراة . سفر العدد. النص التالي: (7) فتجنّدوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر. 8 وملوك مديان قتلهم فوق قتلاهم: أوي وراقم وصور وحرور ورابع. خمسة ملوك مديان. وبلغام بن بعور قتلوه بالسيف. 9 وسبى بنو إسرائيل نساء مدين وأطفالهم، ونهبوا جميع بهائمهم، وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. 10 وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم، وجميع حصونهم بالنار. 11 وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم، 12 وأتوا إلى موسى وألعاзар الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة إلى المحلة إلى عربات موآب التي على أردن أريحا).

أجمع عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عمر بن أبان، عن أبي عبد الله (ع) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الخير كله في السيف وتحت ظل السيف ولا يقيم الناس إلا السيف والسيوف مقاتل الجنة والنار. تقول على النبي عليه الصلاة والسلام ووصف الإسلام بالإرهاب.

- حديث عن الجهاد من أجل الغنيمة:

قال علي، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: جاهدوا تغنموا.

- حديث عن خيول الغزاة والاعتداء:

وبإسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خيول الغزاة في الدنيا خيولهم في الجنة.

وهو يقصد إضفاء الاعتداء والإرهاب على النبي والإسلام واسناد مجهول.

وحديث آخر بنفس السياق عن الخير في السيف وتحت السيف:

وقال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبي حفص الكلبي، عن أبي عبد الله (ع) قال: إن الله عزز بعث رسوله بالإسلام إلى الناس عشر سنين، فأبوا أن يقبلوا حتى أمره بالقتال، فالخير في السيف وتحت السيف والأمر يعود كما بدأ.

- حديث عن أحقية الإمام للجارية الفارهة وصفوة المال من غنيمة القتال:

روى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن بعض أصحابه، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: يؤخذ الخمس من الغنائم فيجعل لمن جعله الله عز وجل ويقسم أربعة أخماس بين من قاتل عليه وولي ذلك قال: وللإمام صفوة المال أن يأخذ الجارية الفارهة، والداية الفارهة، والثوب والمتاع مما يحب ويشتهي، فذلك له قبل قسمة المال وقبل إخراج الخمس، قال: وليس لمن قاتل شيء من الأرضين، ولا ما غلبوا عليه إلا ما احتوى عليه العسكر، وليس للأعراب من الغنيمة شيء وإن قاتلوا مع الإمام لأن رسول الله صلى الله عليه وآله صالح الأعراب أن يدعهم في ديارهم، ولا يهاجروا، على أنه إن دهم رسول الله صلى الله عليه وآله من عدوه، دهم أن يستفزهم فيقاتل بهم وليس لهم في الغنيمة نصيب، وسنة جارية فيهم وفي غيرهم والأرض التي أخذت عنوة بخيل أو ركاب فهي موقوفة متروكة... إلى آخر الحديث.

ثالثاً: بيان القرآن الكريم في الجهاد:

تلك بعض من الأحاديث التي رويت عن طريق العنينة وشرعت للقتال خلف أحد الأئمة من آل البيت وجعلت السيف والخيل أداء لتقويم الناس، وبهما يستقيم العباد ويصلح الدين وتنال الشهادة حسب زعمهم، وحرضت لإذكاء دوامة الحروب بصورة عامة من أجل الاستيلاء على أكبر قدر من الغنائم، على أن تكون صفوة الغنائم للإمام، كما بررت الجهاد نحو قتال العرب ووصمهم بالشرك من أجل إباحة دمائهم. كما ورد في تلك الأحاديث من كتاب الكافي، وهو

تشريع مدسوس مقصود من جماعة التحريف نحو توجيه الحروب بين أبنا الشعب الواحد والأمة الواحدة.

وعند الحديث عن الجهاد والتعريف به: فهو المقاومة والدفاع عن النفس والوطن، وتشريع الجهاد من القرآن الكريم جاء بأوجه مختلفة ليتوافق تماماً مع فطرة المقاومة للظلم والطغيان والفساد والاستعمار وبكل الوسائل الممكنة وهو حق ومبدأ سامي لكل الأفراد والشعوب، وله طرق واساليب متعددة، أبتدأ من المقاومة السلمية والامتناع عن العمل والعصيان المدني، والقول والكتابة والتظاهرات السلمية، وغيرها من أساليب ووسائل مقاومة الغزو والاحتلال والفساد، والوقوف ضد الظلم والعدوان وصولاً للكفاح المسلح الذي يُشرع بعد استنفاد كل مراحل الجهاد (المقاومة) السلمية وأساليبه الشريفة التي هدفها الأسمى نيل الحرية والحقوق واستقلال الأوطان والشعوب والأمم من الغزاة المستعمرين، ومن الاضطهاد والفساد والظلم الداخلي.

إذ إن الجهاد بمعنى المقاومة حق مكفول ومبدأ سامٍ للشعوب والأمم عبر مرحلة التاريخ الإنساني وحتى قيام الساعة، ويجب التفريق بين الجهاد بمعنى المقاومة، وبين الغزو والعدوان أو الاعتداء أو السيطرة والاستعمار الذي دسّ في كتب الفقه الإسلامي، وقد ذكر القرآن الكريم الاعتداء وبيّنه في الكثير من الآيات باعتباره من أعمال الظلم الغشوم والفساد المنهي عنه، في كل مراحل التاريخ الإنساني، وهو عمل لا يلتقي مع الجهاد البتة، وخطاب الجهاد بمعنى المقاومة في القرآن الكريم موجهاً لكل الأنبياء والرسل من أجل تنظيم أمور المقاومة بمعنى جهاد الظالمين والطغاة المفسدين، منذ فجر التاريخ الإنساني ومن أمثلة جهاد الأنبياء والرسل نذكر جهاد سيدنا نوح عليه السلام في قومه ولبت يدعوهم طيلة ألف سنة ألا خمسین عام، ثم جهاد خليل الله إبراهيم لقومه من أجل اخراجهم من عبادة الأصنام، ثم الجهاد الأبرز لسيدنا موسى مع الطاغية فرعون، وهكذا، هذا هو الجهاد في قصص القرآن وليس الجهاد على غرار ما ذهبت إليه جماعة التحريف من تصوير الجهاد بصورة مشوهة، وجعله حالة خاصة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه، وسوقته بتلك الطريقة المشوهة والمخالفة للقرآن الكريم؛ ولأن الجهاد يخص الناس أجمعين كما يفهم من نصوص الذكر الحكيم التي ذكرت الجهاد بصيغ متعددة، منها: صيغة الأمر والاستمرار والوصف وغيرها من الصيغ التي تضمنتها الكثير من الآيات والمخاطب فيها الرسول، دون تحديد رسول أو نبي أو قوم معين:

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التوبة: 88).

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾ (العنكبوت: 69).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ...﴾ (الحج: 78).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: 110).

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: 54).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: 44).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ جَاهِدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (العنكبوت: 6).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿... وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: 24).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿... وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: 218).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: 142).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 95).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: 35).
- وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: 35).
- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿... يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: 54).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ (الأنفال: 72).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: 74).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا...﴾ (التوبة: 16).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (التوبة: 20).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (التوبة: 41).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: 44).

إِذَنْ فالجهاد حسب ما جاء في آيات الذكر الحكيم غير الذي في فقه المذاهب تماماً، أما أعمال السيف والإحراق والتدمير ودار الحرب ودار الإسلام والولاء والبراء، والغزوات والغزو، وتلك المصطلحات الحربية الواردة في فقه المذاهب التي يُقصد منها الاعتداء والعدوان، فقد دست في المذاهب الإسلامية كما في السيرة المدونة عن غزوات الرسول محمد ووصفه بالغازي المعتدي من قبل جماعات التحريف التي قصدت تشويه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث رحمة، ولم يبعث غازياً محارباً، كما يفهم من صيغة الخطاب الموجه له ولغيره من الرسل في قوله الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: 28)، وهذا الخطاب يؤكد بأنه الأنبياء والرسل ليسوا غزاة مُحارِبِينَ كما صورته جماعة التحريف، بل هم دعاء للحق مجاهدين، وما قام به الرسول في يوم بدر ويوم حنين كان تصدياً للعدوان ومقاومة مشروعة للغزاة الذين جاءوا إلى عقر داره وموطنه لاستنصاله والقضاء عليه، وهناك نوع من المقاومة الاستباقية، والتي يطلق عليها اليوم بالحروب الاستباقية أو الجهاد الاستباقي لدرء خطر قادم محقق ووشيك من مكان العدو، حسب المفاهيم العسكرية المعروفة اليوم، وهو قيام القائد أو الملك الغازي بجيشه لغزو دولة أو قوم أو شعب آخر في عقر دارهم، وتغلب على أعمال الغازي الإغارة والاعتداء والقيام بأعمال وحشية، وما يصاحبها من أعمال السلب والنهب والتدمير للأرض والمدن والأوطان والممتلكات وتقتيل الأطفال والنساء الذين يكونون ضحايا هذه الحروب المدمرة وعادةً ما يعقب الغزو الاستيلاء والسيطرة ثم الاستعمار للأرض وانتهاك للعرض. وذلك ما أرادت جماعة التحريف إلصاقه بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبالإسلام والمسلمين. فقد دونت بذلك مجلدات من الكتب عن سيرة الرسول فجعلوا منه غازياً بعد أن وُضعوا فيها عدداً كبيراً من الأحداث والأحاديث الكاذبة لتبين أن عمل الرسول كان غزواً، وهو تشويه واضح للشخصية المضيفة في التاريخ العربي الإسلامي معتمدين على ما جعل مصدراً شبه مقدس في الرواية لهذه الأحداث من سيرة النبي لابن هشام عن ابن إسحاق، والواقدي والطبري وغيرهما مما دُس في كتب السيرة منذ وقت مبكر من التاريخ الإسلامي، وسار على هذا المنهج كثير من الكتاب والمؤرخين العرب والمسلمين في العصور المتعاقبة وكذلك المستشرقين، وحتى يومنا هذا، وما نشاهده من الأعمال الدرامية المتلفزة عن غزوات الرسول ما هي إلا حالة من تلك التشوهات التي ألصقت الغزو والإرهاب بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبالإسلام والمسلمين.

أولاً: تضمن محتوى هذا المؤلف أكثر من مئتي باب وعدداً كبيراً من أحاديث العنينة التي برعت جماعة التحريف في تأليفها في مجالات شتاً في هذا العنوان من أجل تقييد عقل المسلمين عن أعمال فكره في تصريف معيشته في الحياة، وهذا الكتاب يقابل مصنفات ومؤلفات أحاديث جماعة البخاري المسمى بفقہ المعاملات، ومعظم ما جاء في كتاب المعيشة نُقل من التلمود الذي أقتبسها من الأعراف والقوانين الإنسانية البابلية القديمة كقانون أرنمو - لبت عشتار - أشنون (شريعة حمورابي) وغيرها من المدونات بعد أن أضفى عليها مسحة دينية فأخرجت على هيئة نصوص من الدين تضمنت الأحكام والحلال والحرام، وما يجوز ولا يجوز، وأطلقت عليها مصطلحات تلك المدونات كلفظ الشريعة أو الشرائع مدعية أنها قول عن الله تعالى بلسان الرسل أو النبيين أو بلسان أحد الأئمة كما في الفكر الشيعي؛ لأن الإمام عندهم معصوم، كما ورد في هذا الكتاب الذي يتشابه بتفرعاته ومواضيعه مع مشنا التلمود (2).

ثانياً: من الأحاديث الدالة على مشروعية المعيشة:

نقتبس نماذج من الأحاديث التي دلت بها مؤلف هذا العنوان على مشروعية المعيشة، وهي كثيرة، يظهر فيها ألفاظ لغوية ركيكة وفضفاضة في التعبير وعشوائية في طرح الفكرة ومبالغة في تضخيم الأحداث والأفعال وأسماء شاذة لرواة الأحاديث وغيرها من الكلمات المبهمة:

- حديث عن المبالغة والتقوليات المتناقضة:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، وسلمة صاحب السابري، عن أبي أسامة زيد الشحام، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) أعتق ألف مملوك من كدّ يده.

- حديث ما يدل على الاستخفاف والمبالغة:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن علي، عن علي بن عقبة، عن الحسين بن موسى، عن بريد، ومحمد بن مسلم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: من اشترى طعام قوم وهم له كارهون قص لهم من لحمه يوم القيمة.

- حديث براوية النوفلي السكوني وفيه ما يدل على التندر والاستهزاء بعلي ابن أبي طالب:

روى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام): قال: اختصم إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) رجلان اشترى أحدهما من الآخر بغيراً

(1) انظر كتاب الكافي الجزء الخامس - كتاب المعيشة والذي تضمن قرابة (170) باب مختلف العناوين والمواضيع في أكثر من (230) صفحة من ص 65 - 303. أبي جعفر محمد الكليني
(2) انظر مشنا التلمود . القسم الأول . زراعيم (الزراعة) - والقسم الرابع نزريقين . المبحث الأول والثاني والثالث بما يحوي من فصول متفرعة - د. مصطفى عبد المعبود.

واستثنى البائع الرأس والجلد ثم بدأ للمشتري أن يبيعه، فقال للمشتري: هو شريكك في البعير على قدر الرأس والجلد.

- حديث برواية النوفلي السكوني وفيه يتهم الرسول بتحريضه على الغش:

حدّث علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مر النبي (صلى الله عليه وآله) على رجل ومعه ثوب يبيعه، وكان الرجل طويلاً والثوب قصيراً، فقال له: اجلس فإنه أنفق لسلتك.

ثالثاً: بيان القرآن الكريم حول مشروعية المعيشة:

جاء القرآن الكريم لتنظيم هذه المواضيع عن طريق الإرشاد والتوجيه كونها مبادئ عامة لعموم الناس عبر جملة من الوصايا بما يتوافق مع حل البيع والتجارة والعمل، وتحريم الربا وإثبات العقود والمعاهدات، وعدم الغش والنهي عن السرقة وأكل أموال الناس بالباطل وفقاً لقواعد الخير والعدل والرحمة والإحسان، وكل القيم والفضائل الحسنة، وبما يخدم الإنسان ويحقق له الرفاهية في كل زمان ومكان، ولم يأت ذلك نقلاً أو عرضاً فقد صرحت كثير من آيات القرآن الكريم بالدعوة لنبذ الفساد بكل صورته، كالغش والاحتكار والنصب والاحتيال والتزوير والتزييف والكذب والفسق والفجور، والاعتداء على الحقوق الفكرية، والاعتداء على سلامة الجسم، وعلى الممتلكات وعلى الأوطان، ومنعت أكل حقوق الناس والاعتداء عليها وغيرها مما يضر بسلامة الفرد والمجتمع.

ونصت آيات القرآن الكريم على قواعد الأحكام في بعض جرائم الآداب العامة كالزنا والقذف والفواحش والسرقة، وهي محصورة، وترك تنظيم الكثير من تفاصيل حياة الناس ومعيشتهم لاختيارهم، حسب مبادئ ثابتة وراسخة بين الشعوب والأمم قديماً وحديثاً، تمثلت في قيم الفضيلة. إلا إن جماعة التحريف قيدت أفعال الناس وأعمال الفكر وفي تصريف أمور معيشتهم حسب نصوص دينية تحت عدد من العناوين منها العنوان المشهور في الفقه (فقه المعاملات)، وخير دليل على ذلك ما وصل إليه الإنسان اليوم من تقدم كبير في شتى مناحي الحياة، دون الحاجة إلى هذه التشريعات التي خطتها جماعة تحريف الأديان وأثبتت عدم جدية بعضها اليوم.

وقد ذكر الله تعالى ما حلل بقواعد من الآيات واضحة وصريحة من أجل معيشة الناس، واحوالهم المتغيرة كما في الآيات التالية.

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: 15).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة: 168).
- وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: 172).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة: 88).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (النحل: 5).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: 14).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون: 51).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: 105).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء: 29).

وعند التطرق لبيان ما حرم الله سبحانه في معيشة الناس فقد جاءت آيات التحريم ببيان محكم ومفصل ومحدد دون زيادة أو نقصان، بقصد ضبط إيقاع حياة الناس على مبادئ الفضيلة، وقد أفردنا فصلاً كاملاً عن الحلال والحرام في الجزء الثاني من هذا المؤلف ويمكن الرجوع إليه.

14-5-3 كتاب النكاح:

أولاً: المتأمل الفاحص في محتوى هذا الكتاب من الكافي يفضي إلى اكتشاف التشابه الكبير مع مواضيع التلمود (المشنا) قسم النساء، وهو مجلد كامل، يتحدث عن تفاصيل حياة المرأة والأحكام المتعلقة بها وبحياتها، ويلاحظ أن مؤلف هذا الكتاب أخذ على عاتقه صياغة مواضيعه وفقاً للإطار العام لمحتوى قسم النساء من مشنا التلمود في الكثير من التفاصيل، وعلى نحو يتوافق مع الأسلوب والشكل، والاقتراب منه وشرعاً لفريقته تلك بأحاديث العنينة التي استخدمها بوصف العموم على كل النساء، ونظرت له للمرأة بصفة خاصة، وهي نظرة تكاد تكون واحدة، من كونها مخلوق ضعيف وناقص عقل ودين، ولا تصلح إلا للنكاح، وهو بذلك يقلل من قيمة المرأة، فجعلها أقل قيمة من الرجل، والصق بها كل قبح وتشنيع وفجور.

وقد اعتمد مؤلف الكافي على أساليب التلمود نفسها في الاستطراد في بحث المسائل وأسلوب التكرار والإجمال، ومن المهم الإشارة إلى الأبواب الواردة في كتاب الكافي عن النكاح والتي بلغت ما يقارب (190) مائة وتسعين باباً والتي تظهر مدى الانحطاط الأخلاقي المخالف للقرآن الكريم والمخالف لكل القيم وقواعد التعامل الإنساني مع المرأة بالذات، كما يظهر التسفيه بالمرأة والعلاقة القائمة معها بصورة شنيعة، وبهذا الكم الكبير من التحريف الواضح والمفوضوح استطاعة جماعة التحريف لصقه كل هذا الغناء بالمذهب الشيعي بقصد

الانتقام ولا غير الانتقام، على الرغم من أن القرآن الكريم نظم علاقة الرجل بالمرأة حسب آيات من الذكر الحكيم جاءت بصورة دقيقة وواضحة تدحض كل هذا الزيف والتحريف والافتراء على الرسول وعلى الله سبحانه. (1)

من الأحاديث الدالة على مشروعية النكاح:

من المهم اقتباس نماذج من تلك الأحاديث المشرعة للعلاقة بين الرجل والمرأة والنكاح، والتعليق عليها من باب التعريف بالحديث، وذكر الشاهد، بما أمكن، ومنها ننسخ لكم بعض منها في الآتي:

- حديث عن فضل شهوة النساء على شهوة الرجال:

أجمع عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن الحسين ابن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصمغ بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: خلق الله الشهوة عشرة أجزاء فجعل تسعة أجزاء في النساء وجزءاً واحداً في الرجال ولولا ذلك ما جعل الله فيهن من الحياء على قدر أجزاء الشهوة، لكان لكل رجل تسع نسوة متعلقات به.

الشاهد من الحديث: وهنا جاء والتعريف بالشهوة كخلق، ومعلوم أن الشهوة ليست خلقاً وإنما نتيجة طبيعية لفعل وممارسة.

- حديث عن زواج عمر بن الخطاب بأم كلثوم بنت علي غصباً في عهد خلافته:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، وحما، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام في تزويج أم كلثوم فقال: إن ذلك فرج غصناه.

وحديث آخر عن زواج أم كلثوم بعمر ابن الخطاب

قال محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما خطب إليه قال له أمير المؤمنين: إنها صبية قال: فلقي العباس فقال له: مالي أبي بأس؟ قال: وما ذاك؟ قال: خطبت إلى ابن أخيك فردني أما والله لأعورن زمزم ولا أدع لكم مكرمة إلا هدمتها ولأقيم عليه شاهدين بأنه سرق ولأقطعن يمينه فأتاه العباس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر إليه فجعله إليه.

- حديث عن زواج الناصبية - السنية:

عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الناصب الذي قد عرف نصبه وعداوته هل نزوجه المؤمنة وهو قادر على رده وهو لا يعلم برده؟ قال: لا يزوج المؤمنة ولا يتزوج الناصب المؤمنة ولا يتزوج المستضعف مؤمنه.

الشاهد من الحديث ويقصد بالناصبي أو الناصبية الرجل أو المرأة من المذاهب السنية وفيه.

(1) انظر كتاب الكافي الجزء الخامس - كتاب النكاح وفيه حشر المؤلف الكليني قرابة (190) باب في (270) صفحة تقريبا ذكر فيه كثير من عبارات الأبتدال والانحطاط في تسفيه المرأة والعلاقة بين الرجل والمرأة وغير ذلك .

- حديث عن أفضلية زواج اليهودية والنصرانية عن الناصبية - السنية:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: تزوج اليهودية والنصرانية أفضل، أو قال: خير من تزوج الناصب والناصبية.

- حديث عن كره مناكحة الأكراد والسودان والزنج والخرز وفيه من العنصرية المقيتة: قال علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن زياد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إياكم ونكاح الزنج فإنه خلق مُشَوَّهاً. تبدو فيه العنصرية المقيتة.

- حديث عن المرأة ناقصة دين وعقل:

وتقوله على النبي: أجمع عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن سليمان بن جعفر الجعفري، عن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما رأيت من ضعيفات الدين وناقصات العقول أسلب لذي لب منكن. الشاهد من الحديث وفي هذا تحقير للمرأة وتقول على النبي عليه الصلاة والسلام.

- حديث عن التغزل بذوات الأوراك من النساء:

أجمع عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن عبد الله بن المغيرة، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: عليكم بذوات الأوراك فإنهن أنجب.

- حديث عن السخرية والاستهزاء بالنبي:

قال علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، عن هارون بن مسلم، عن بريد بن معاوية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى النبي صلى الله عليه وآله رجل فقال: يا رسول الله إني أحمل أعظم ما يحمل الرجال، فهل يصلح لي أن آتي بعض مالي من البهائم ناقة أو حمارة، فإن النساء لا يقوين على ما عندي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى لم يخلقك حتى خلق لك ما يحتملك من شكلك، فانصرف الرجل ولم يلبث أن عاد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: مثل مقالته في أول مرة فقال له رسول الله: فأين أنت من السوداء العنطنة قال: فانصرف الرجل فلم يلبث أن عاد فقال: يا رسول الله أشهد أنك رسول الله حقاً إني طلبت ما أمرتني به فوقع على شكلي مما يحتملني وقد أقنعتني ذلك.

- حديث عن إلصاق الزنا بمجتمع الرسول بصورة خبيثة من جماعة التحريف:

قال الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي، عن أبان بن عثمان، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل: الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة قال: هم رجال ونساء كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مشهورين بالزنا فنهى الله عز وجل عن أولئك الرجال والنساء والناس اليوم على تلك المنزلة من شهر شيئاً من ذلك أو أقيم عليه الحد فلا تزوجه حتى تعرف توبته.

- حديث عن الخمس مهراً لفاطمة بنت النبي:

أجمع عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن أسباط، عن داود، عن يعقوب بن شعيب قال: لما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً فاطمة عليهما السلام دخل عليها وهي تبكي فقال لها: ما يبكيك فوالله لو كان في أهلي خير منه ما زوجته وما أنا زوجته ولكن الله زوجك وأصدق عنك الخمس ما دامت السماوات والأرض.

الشاهد من الحديث: فهذا التقول كذباً على الرسول.

- حديث عن المبالغة في المهر:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن حريز، عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: تدري من أين صار مهور النساء أربعة آلاف؟ قلت: لا، قال: فقال: إن أم حبيب بنت أبي سفيان كانت بالحبشة فخطبها النبي (صلى الله عليه وسلم) وساق إليها عنه النجاشي أربعة آلاف فمن ثم يأخذون به، فأما المهر فائتتا عشرة أوقية ونش...،

وكذا حديث بنفس السياق من التناقض والمبالغة في المهور:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن معاوية ابن وهب قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشاً والأوقية أربعون درهما والنش نصف الأوقية عشرون درهماً، فكان ذلك خمسمائة درهم، قلت: بوزننا؟ قال: نعم.

- حديث عن رضاعة الطفلة الصغيرة (الجارية) ونكاحها:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إن امرأتي حلبت من لبنها في مكوك (طاسه) فأسقته جاريتي؟ فقال أوجع امرأتك، وعليك بجاريتك، وهو هكذا في قضاء علي عليه السلام وفيه من السخرية.

والشاهد من هذا الحديث الفج: التصريح بإباحة زواج الطفلة الرضيعة التي ما زالت ترضع اللبن، وهو أمر خطير جداً وانتهاك صارخ للأعراف والقيم، ويتجاوز حتى ما جاء في التلمود، ولا يضع أي اعتبار لما جاء في القرآن في تحديد سن النكاح حسب هذا الخطاب الواضح، قَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَابْتَئُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (النساء: 6)، ومدلول هذا الخطاب أن للنكاح سناً معيناً مقروناً بأعمال الإدارة والتصرفات القانونية، وهذا لا يتأتى إلا بعمر لا يقل عن (18) كما هو متعارف عليه في كل القوانين والأعراف الإنسانية.

- حديث عن تحليل نكاح المتعة:

أجمع عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن المتعة، فقال: نزلت في القرآن (فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة فلا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة). وفي هذا اعتماد على التفسير الخاطئ للقرآن الكريم.

الشاهد من الحديث: التقول الكاذب عن تحليل نكاح المتعة - والخطأ في كتابة الآية القرآنية في الحديث أعلاه والصحيح قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: 24). فقد تم اجتزاء الآية التي تتحدث عن تحليل النكاح ابتداء من المحصنات ثم ملك اليمين، وما وراء ذلك من النكاح المحصن غير المسافح، وأن دفع الأجور (المهر) يعتبر فريضة واجبة لإتمام عقد النكاح محصنين غير مسافحين، بقصد تحريف مدلولها لتشريع زواج المتعة، والمقصود من لفظ "الاستمتاع" في قوله تعالى: "فما استمتعتم به منهن" يعود على المحصنات وملك اليمين جميعاً، باستثناء ما تراضيتن به من بعد الفريضة، أي من بعد تحديد فريضة المهر، كما يفهم من مدلول الآية المترابط نسقها بأحكام ووضوح تام، غير أن جماعة التحريف عمدت لاجتزاء الآية وتأويلها وإخراجها عن مدلولها الحقيقي معتمدين على التدليس، والتأويل الخاطئ بما يتوافق مع نزواتهم وشهواتهم في تحليل نكاح المتعة. وهو نكاح لا يمت لأحكام الإسلام بصلة، كما أنه إهانة بالغة بحقوق المرأة، خاصة وقد قنن الإسلام أمور الزواج والنكاح بأحكام مفصلة وحفظ للمرأة كرامتها مثلها مثل الرجل تماماً دون انتقاص.

- حديث عن تحليل نكاح المتعة:

وعن علي إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة قال: جاء عبد الله بن عمير الليثي إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له: ما تقول في متعة النساء؟ فقال: أحلها الله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله فهي حلال إلى يوم القيامة فقال: يا أبا جعفر مثلك يقول هذا وقد حرمها عمر ونهى عنها؟! فقال: وإن كان فعل، قال: إني أعيدك بالله من ذلك أن تحل شيئاً حرمه عمر، قال: فقال له: فأنت على قول صاحبك وأنا على قول رسول الله صلى الله عليه وآله، فهل ألعنك أن القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وأن الباطل ما قال صاحبك، قال: فأقبل عبد الله ابن عمير فقال: يسرك أن نساءك وبناتك وأخواتك وبنات عمك يفعلن، قال: فأعرض عنه أبو جعفر عليه السلام حين ذكر نساءه وبنات عمه.

الشاهد من الحديث: إظهار النبي والخليفة عمر وكأنه مشرع للحلال والحرام في هذا الموضوع بينما المشرع والمحلل والمحرم هو الله سبحانه وتعالى. وقد فصل ما حرم من النكاح حسب الآية رقم (23: من سورة النساء)، ومن جملة الأحاديث التي حلت نكاح المتعة بلا طلاق ولا عدد، وجعلته نكاح بأجر، فهل يوجد احتقار للمرأة أكثر من هذا التشريع الذي يخالف القرآن الكريم، استناداً إلى ما تقولوا به من الأحاديث، ومنها التالي.

- حديث عن عدم تحديد نكاح المتعة:

روى محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن زرارة بن أعين قال: قلت: ما يحل من المتعة؟ قال: كم شئت.

- حديث عن حل نكاح المتعة لأكثر من سبعين من النساء:

قال الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي، عن حماد بن عثمان، عن أبي بصير قال: سئل أبو عبد الله (عليه السلام) عن المتعة أهى من الأربع؟ فقال: لا، ولا من السبعين.

- حديث عن النكاح بالأجر:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، ومحمد بن خالد البرقي، عن القاسم بن عروة، عن عبد الحميد، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) في المتعة قال: ليست من الأربع لأنها لا تطلق ولا ترث وإنما هي مستأجرة.

- حديث عن نكاح المتعة وتأكيده على كونه نكاح بالأجرة ولا يخضع لعدد:

روى الحسين بن محمد، عن أحمد بن إسحاق، عن سعدان بن مسلم، عن عبيد بن زرارة، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكرت له المتعة أهى من الأربع؟ فقال: تزوج منهن ألفاً فإنهن مستأجرات.

- حديث في نكاح المتعة وأن المرأة لا ترث، وعدتها خمسة وأربعين يوماً:

روى محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي بصير قال: لا بد من أن تقول في هذه الشروط: أتزوجك متعة كذا وكذا يوماً بكذا وكذا درهماً نكاحاً غير سفاح على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) وعلى ألا ترثيني ولا أرثك وعلى أن تعتدي خمسة وأربعين يوماً وقال: بعضهم حيضة.

- حديث عن صياغة نكاح المتعة بشرط:

قال محمد بن يحيى، عن عبد الله بن محمد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم قال قلت: كيف يتزوج المتعة؟ قال: تقول: يا أمة الله أتزوجك كذا وكذا يوماً بكذا وكذا درهماً، فإذا مضت تلك الأيام كان طلاقها في شرطها ولا عدة لها عليك.

- حديث عن تحديد مهر المتعة:

حدثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن شعيب بن يعقوب عن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن متعة النساء قال: حلال وإنه يجزأ فيه الدرهم فما فوقه.

- حديث عن مهر المتعة كف من طحين أو غيره:

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن أدنى مهر المتعة ما هو؟ قال: كف من طعام دقيق أو سويق أو تمر. ذلك دليل على الاستهزاء والاحتقار للمرأة.

- حديث عن مهر نكاح المتعة بمسواك على غرار خاتم من حديد لدى السنة:

قال علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أدنى ما تحل به المتعة كف من طعام. وروى بعضهم مسواك.

والشاهد من الأحاديث السابقة: مدى الاحتقار لقيمة العلاقة، ومفهوم العلاقة بين الرجل والمرأة التي نظمها الله سبحانه وتعالى بأجل معانيها وأجمل أوصافها كما ورد في القرآن الكريم. ويكفي القارئ أن يستشهد بعناوين الأبواب التي تدل على مقدار القبح والاحتقار للمرأة على وجه العموم في المذهب الشيعي الذي كال الفجور للنساء كبيرة كانت أم صغيرة دون استثناء، فاستحل بالمتعة فزوجهن متخذاً من أحاديث العننة التي نسبها كذباً لأخيار الناس منهم أبي جعفر وأبي عبد الله الحسين رضى الله عنهما وغيرهم بل ونسب بعض الأحاديث لسيدنا علي بن أبي طالب رضى الله عنه وبعض منها منسوب للرسول صلى الله عليه وسلم، ولتأكيد ذلك اخترت بعضاً من هذه الأحاديث المخالفة لكلام الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم.

- حديث عن نكاح المتعة وفيه زيادة الأجل:

أجمع عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، وأحمد بن أبي نصر، عن أبي بصير قال: لا بأس بأن تزيدك وتزيدها، إذا انقطع الأجل فيما بينكما تقول: استحللتك بأجل آخر برضى منها ولا يحل ذلك لغيرك حتى تنقضي عدتها.

- حديث عن جواز التمتع بنكاح المرأة بساعة واحدة أو بالعددين:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة قال: قلت له: هل يجوز أن يتمتع الرجل بالمرأة ساعة أو ساعتين؟ فقال: الساعة والساعتان لا يوقف على حدهما، ولكن العرد والعردين واليوم واليومين واللييلة وأشباه ذلك. (والعرد: كناية عن مرات الجماع بالمرأة حسب ما أورد المؤلف بحاشية الكتاب).

- حديث عن جواز التمتع بنكاح المرأة ولمرة واحدة:

قال محمد، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن خلف بن حماد قال: أرسلت إلى أبي الحسن (عليه السلام): كم أدنى أجل المتعة، هل يجوز أن يتمتع الرجل بشرط مرة واحدة؟ قال: نعم.

- حديث عن العلاقة مع المرأة بالعرد بمعنى الدخول بها بوطء:

أجمع عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن فضال، عن القاسم بن محمد، عن رجل سماه قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الرجل يتزوج المرأة على عرد واحد، فقال: لا بأس ولكن إذا فرغ فليحول وجهه ولا ينظر.

- حديث عن جواز الرجل التمتع بالمرأة مراراً كثيرة:

روى علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك: الرجل يتزوج المتعة وينقضي شرطها ثم يتزوجها رجل آخر حتى بانث منه ثم يتزوجها الأول حتى بانث منه ثلاثاً وتزوجت ثلاثة أزواج يحل للأول أن يتزوجها؟ قال: نعم كم شاء ليس هذه مثل الحرة، هذه مستأجرة وهي بمنزلة الإماء.

- حديث عن نكاح المتعة للبكور من الفتيات:

روى محمد بن يحيى، عن أحمد وعبد الله ابني محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن زياد بن أبي الحلال قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: لا بأس بأن يتمتع بالبكر ما لم يفض إليها مخافة كراهية العيب على أهلها.

وحديث آخر للكافي بنفس السياق:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن محمد بن أبي حمزة، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (ع) في البكر يتزوجها الرجل متعة؟ قال: لا بأس ما لم يفتضها.

- حديث عن نكاح الطفلة القاصرة مماثلة بزواج عائشة للنبي لدى السنة:

عن علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي عبد الله (ع) قال: قلت: الجارية ابنة كم لا تستصبي؟ ابنة ست أو سبع؟ فقال: لا ابنة تسع لا تستصبي، وأجمعوا كلهم على أن ابنة تسع لا تستصبي إلا أن يكون في عقلها ضعف، وإلا فهي إذا بلغت تسعاً فقد بلغت.

- حديث عن تحليل الفحشاء بحق المرأة

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله (ع): جعلت فداك إن بعض أصحابنا قد روى عنك أنك قلت: إذا أحل الرجل لأخيه جاريته فهي له حلال؟ فقال: نعم يا فضيل، قلت له: فما تقول في رجل عنده جارية له نفيسة، وهي بكر أحل لأخيه ما دون فرجها أله أن يفتضها؟ قال: لا، ليس له إلا ما أحل له منها، ولو أحل له قبله منها لم يحل له ما سوى ذلك، قلت: أرأيت إن أحل له ما دون الفرج فغلبنه الشهوة فافتضها؟ قال: لا ينبغي له ذلك: قلت: فإن فعل أكون زانياً؟ قال: لا ولكن يكون خائناً ويغرم لصاحبها عشر قيمتها، إن كانت بكرة وإن لم تكن بكرة فنصف عشر قيمتها، قال الحسن بن محبوب: وحدثني رفاعة، عن أبي عبد الله (ع) مثله إلا أن رفاعة قال: الجارية النفيسة تكون عندي، وفي حينه أجمع عدة

من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن عبد الكريم عن أبي جعفر (ع) قال: قلت له: الرجل يحل لأخيه فرج جاريته؟ قال: نعم له ما أحل له منها.

وفي السياق نفسه: عن علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير قال: أخبرني قاسم بن عروة، عن أبي العباس البقباق قال: سأل رجل أبا عبد الله، ونحن عنده عن عارية الفرج، فقال: حرام، ثم مكث قليلا ثم قال: لكن لا بأس بأن يحل الرجل الجارية لأخيه.

- حديث عن الرجل تكون لولده جارية يريد أن يطأها:

أجمع عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نصر، عن داود بن سرحان قال: قلت لأبي عبد الله (ع): رجل تكون لبعض ولده جارية وولده صغار؟ فقال: لا يصلح أن يطأها حتى يقومها قيمة عدل ثم يأخذها ويكون لولده عليه ثمنها.

- حديث عن المملوكة تتزوج بغير إذن سيدها:

أجمع عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن داود بن الحصين، عن أبي العباس قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الأمة تتزوج بغير إذن أهلها، قال: يحرم ذلك عليها وهو الزنا، وقال الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن بعض أصحابه، عن أبان، عن فضل بن عبد الملك قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الأمة تتزوج بغير إذن مواليها قال: يحرم ذلك عليها وهو زنا وحكمه حرام.

- حديث عن تحليل النكاح للرجل الذي يزوج عبده أمته ثم يشتهيها:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: إذا زوج الرجل عبده أمته ثم اشتهاها، قال له: اعتزلها فإذا طمئت وطأها ثم يردها عليه إذا شاء.

- حديث عن الرجل يشتري الجارية ولها زوج حر أو عبد وله الخيار في التفريق بينهما:

علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بكير بن أعين، وبريد بن معاوية، عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) قالوا: من اشترى مملوكة لها زوج فإن بيعها طلاقها، فإن شاء المشتري فرق بينهما وإن شاء تركهما على نكاحهما.

- حديث بالتقوّل على النبي حول الرجل يشتري الجارية الحامل فيطؤها فتلد عنده:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على رجل من الأنصار وإذا وليدة عظيمة البطن تختلف فسأل عنها، فقال: اشتريتها يا رسول الله وبها هذا الحبل، قال: أقربتها؟ قال: نعم، قال: أعتق ما في بطنها، قال: يا رسول الله وبما استحق العتق؟ قال: لأن نطفتك غدت سمعه وبصره ولحمه ودمه.

- حديث حول الجارية يقع عليها غير واحد في طهر واحد فيعرف ولدها بأبيه عن طريق السهم والقرعة:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، ومحمد ابن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إذا وقع الحر والعبد والمشرک بامرأة في طهر واحد فادعوا الولد أقرع بينهم فكان الولد للذي يخرج سهمه. ففي هذا الحديث مماثلة بما نسب من نكاح العرب في الجاهلية.

- حديث بالتقوّل على النبي وإظهاره بأنه رجل شهواني:

قال الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي، عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) امرأة فأعجبته فدخل على أم سلمة وكان يومها، فأصاب منها وخرج إلى الناس ورأسه يقطر، فقال: أيها الناس إنما النظر من الشيطان فمن وجد من ذلك شيئاً فليأت أهله.

- من أحاديث "الكافي": في كيفية النكاح وأوقاته وعلاقة الزوجة بزوجها:

أجمع عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن علي، عن الحكم بن مسكين، عن عبيد بن زرارة قال: كان لنا جار شيخ له جارية فارهة قد أعطى بها ثلاثين ألف درهم فكان لا يبلغ منها ما يريد وكانت تقول: اجعل يدك كذا بين شفري فإني أجد لذلك لذة، وكان يكره أن يفعل ذلك فقال لزرارة: اسأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن هذا فسأله فقال: لا بأس أن يستعين بكل شيء من جسده عليها ولكن لا يستعين بغير جسده عليها.

- حديث عن منع الكلام عند الوطء فإنه يورث الخرس:

عن علي بن محمد بن بندار، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن عبد الله بن القاسم، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): اتقوا الكلام عند ملتقى الختانين فإنه يورث الخرس

- حديث عن النكاح في ليالي الهلال وما يؤدي ذلك لمرض الجنون والصرع:

وعنه، عن أبيه، عن ذكره، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، عن أبيه، عن جده (عليهما السلام) قال: إن فيما أوصى به رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) قال يا علي لا تجمع أهلك في أول ليلة من الهلال، ولا في ليلة النصف، ولا في آخر ليلة، فإنه يتخوف على ولد من يفعل ذلك الخبل فقال علي (عليه السلام) ولم ذاك يا رسول الله؟ فقال: إن الجن يكثرون غشيان نساءهم في أول ليلة من الهلال، وليلة النصف في آخر ليلة أما رأيت المجنون يصرع في أول الشهر وفي آخره وفي وسطه. فهذا من الكذب والخرافة.

- حديث فيه من الاستهزاء بالقبلة عند الوطء:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيوب الخزاز، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إذا دخلت بأهلك فخذ بناصيتها واستقبل القبلة وقل: اللهم بأمانتك أخذتها وبكلماتك استحللتها فإن قضيت لي منها ولداً فاجعله مباركاً تقياً من شيعة آل محمد ولا تجعل للشيطان فيه شركاً ولا نصيباً.

- حديث الوطء بمشاركة الشيطان:

أجمع عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب عن الحلبي قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) في الرجل: إذا أتى أهله فخشى أن يشاركه الشيطان قال: يقول: (بسم الله) ويتعوذ بالله من الشيطان.

وحديث آخر للكافي بنفس السياق حول نطفة الرجل ونطفة الشيطان:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في النطفتين اللتين للآدمي والشيطان إذا اشتراكا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ربما خلق من أحدهما وربما خلق منهما جميعاً.

- حديث عن وطء الصديقة والجارية:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن عبد الرحمن بن الحجاج رفعه قال: بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله) قاعد إذ جاءت امرأة عريانة حتى قامت بين يديه، فقالت: يا رسول الله إني فجرت فطهرني قال: وجاء رجل يعدو في إثرها وألقى عليها ثوباً، فقال: ما هي منك؟ فقال: صاحبتني يا رسول الله خلوت بجاريتي فصنعت ما ترى، فقال: ضمها إليك، ثم قال: إن الغيرة لا تبصر أعلى الوادي من أسفله.

- حديث عن تحليل سجود المرأة لزوجها:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطية، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن قوماً أتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالوا: يا رسول الله إنا رأينا أناساً يسجد بعضهم لبعض فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.

- حديث عن الكافي وتقلبه عن المرأة أنها لعبة:

وقال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنما المرأة لعبة، من اتخذها فلا يضيعها.

- حديث "الكافي" في كون المرأة من ضلع أعوج نقلاً عن ما ورد من سفر التكوين: (1)

قال أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن تركته انتفعت به وإن أقمته كسرته. وفي حديث آخر: استمتعت به.

وحديث آخر للكافي بنفس السياق:

أجمع عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن أبان الأحمر، عن محمد الواسطي قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): إن إبراهيم (عليه السلام) شكاً إلى الله

(1). انظر العهد القديم. التوراة - سفر التكوين. (2) من 21-25.

عز وجل ما يلقي من سوء خلق سارة، فأوحى الله تعالى إليه إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن أقمته كسرته وإن تركته استمعت به، اصبر عليها.

- حديث "الكافي" في احتقار النساء وأن أكثرهن من أهل النار:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) النساء فقال: يا معاشر النساء تصدقن ولو من حليكن ولو بتمررة ولو بشق تمررة، فإن أكثركن حطب جهنم إن كن تكثرن اللعن، وتكفرن العشيرة فقالت امرأة من بني سليم لها عقل: يا رسول الله أليس نحن الأمهات الحاملات المرضعات، أليس منا البنات المقيمات والأخوات المشفقات فرق لها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: حاملات والدات مرضعات رحيمات، لولا ما يأتين إلى بعولتهن ما دخلت مصلية منهن النار.

- من أحاديث "الكافي" عن قلة صلاح النساء على العموم:

أجمع عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن عمرو بن مسلم، عن الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الناجي من الرجال قليل، ومن النساء أقل وأقل، قيل: ولم يا رسول الله؟ قال: لأنهن كافرات الغضب مؤمنات الرضا.

- حديث الكافي عن ندرة الصلاح في المرأة:

حدثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: مثل المرأة المؤمنة مثل الشامة في الثور الأسود.

- حديث عن شيطنة النساء وأنها من جنود إبليس:

حدثنا محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن ابن سنان، عن بعض أصحابه، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما لإبليس جند أعظم من النساء والغضب.

- حديث الكافي في تأديب النساء وما يجب أن يتعلمن وما لا يجب أن يتعلمنه:

علي بن إبراهيم، عن أبيه عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا تنزلوا النساء بالغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور.

- حديث الكافي عن عدم تعليم النساء سورة يوسف لما فيها من الفتن:

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن أسباط، عن عمه يعقوب بن سالم رفعه قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): لا تعلموا نساءكم سورة يوسف ولا تقرأوهن إياها فإن فيها الفتن وعلموهن سورة النور فإن فيها المواعظ.

- حديث الكافي وفيه منع المرأة من ركوب الخيل:

حضر ركوب المرأة على السروج: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن محمد بن علي، عن إسماعيل بن يسار، عن منصور بن يونس، عن إسرائيل، عن يونس، عن أبي إسحاق، عن الحارث الأعور قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لا تحملوا الفروج على السروج فتهيجوهن للفجور.

- حديث الكافي في ترك طاعة النساء وأن مخالفتن بركة:

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أطاع امرأته أكبه الله على وجهه في النار، قيل: وما تلك الطاعة؟ قال: تطلب منه الذهاب إلى الحمامات والعرسات والعيادات والنياحات والثياب الرقاق.

وحديث آخر للكافي بنفس السياق:

عن أبي عبد الله الجاموراني، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن صندل عن ابن مسكان، عن سليمان بن خالد قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إياكم ومشاورة النساء فإن فيهن الضعف والوهن والعجز.

- حديث الكافي: وت قوله على النبي بما يفيد الهرج والكذب والاستشهاد بنص نسبه للتوراة كذباً:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن أبي العباس الكوفي، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن عمرو بن عثمان، عن عبد الله الدهقان، عن درست، عن عبد الحميد، عن أبي إبراهيم (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): تزوجوا إلى آل فلان فإنهم عفوا، فعفت نسائهم ولا تزوجوا إلى آل فلان فإنهم بغوا فبغت نسائهم، وقال: مكتوب في التوراة (أنا الله قاتل القاتلين ومفقر الزانين أيها الناس لا تزنوا فتزني نسائكم كما تدين تدان). وهذا النص لا وجود له في توراة العبرانيين نهائياً.

- حديث الكافي حول الشؤم في المرأة والدابة والدار:

عن عثمان بن عيسى، عن خالد بن نجيج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تذاكروا الشؤم عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: الشؤم في ثلاث: في المرأة والدابة والدار فأما شوم المرأة فكثرة مهرها وعقم رحمها.

14-6 الجزء السادس: تأصيل الأعمال المدنية بالدين حسب قاعدة الحلال والحرام:

يشمل هذا الجزء من "الكافي" عناوين وأبواباً متفرقة من المصنفات الدينية في المذهب الشيعي، مبينة أحكام الحلال والحرام وما يجوز، وما لا يجوز وقد صُنِّفَ محتوى هذا الجزء بتسعة من (الكتب)، تضمن أغلبها ما يطلق عليه بفقهِ المعاملات وهي: كتاب العقيقة، وكتاب

الطلاق، وكتاب العتق، وكتاب التدبير والكتابة، وكتاب الصيد، وكتاب الذبائح وكتاب الأطعمة، وكتاب الأشربة، وكتاب الزي والتجمل والمروعة، وكتاب الدواجن. (1)

وقد بلغ مجموع أبواب هذا الجزء ما يقارب (394) باباً، تضمن كل كتاب عدداً من الأبواب، مدعمة بأحاديث العنينة كمشروعية دينية لها ثم يقوم بإجتزأ آيات القرآن الكريم وتأويلها خلافاً لمقصدها، ويلاحظ أنه تم تصنيف هذه الأبواب تصنيفاً يتوافق مع متن التلمود بأقسامه المتعددة، وبما يتوافق مع مزاج المؤلف على الرغم من أن أغلب هذه الأعمال من أعمال الناس المعتادة، نظمها العرف والأعراف في المجتمعات البشرية القديمة على مسيرة التاريخ الإنساني وكثيراً من ما دون في هذه الأبواب تضمنها نصوص قوانين بابل القديمة وقانون روما وغيرهما، ولمزيد من التوضيح سوف أسرد بعضاً مما جاء في عناوين هذا الجزء من الكافي خشية الإطالة على القارئ.

14-6-1 كتاب الدواجن:

أولاً: المثير للسخرية أن يكون للدواجن كتاب فقه مستقل في المذهب الشيعي، وقد أخرج الكليني فيه قرابة أربعة عشر باباً مع حزمة من الأحاديث التي صاغها عن الدجاج وغيرها من الحيوانات، ومن الأبواب في هذا الكتاب: باب ارتباط الدابة والمركوب، باب نواذر في الدواب، باب آلات الدواب، باب اتخاذ الإبل، باب الغنم، باب سمة المواشي، باب الحمام، باب إرسال الطير، باب الديك، باب الورشان، باب الفاختة والصلصل، باب الكلاب، باب التحريش بين البهائم.

ثانياً: من أحاديث "الكافي" على المشروعية لأبواب كتاب الدجاج:

وهي أحاديث يلاحظ في محتواها الاستخفاف بعقل القارئ وفيها التقليد لمتن التلمود، ومنها الآتي:

- حديث نسل حمام إسماعيل بن إبراهيم وفيه من السخرية:

وعن علي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، عن الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: هذه الحمام (حمام الحرم) هي من نسل حمام إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام التي كانت له.

- حديث الحمام وعلاقتها بقتل الحسين:

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اتخذوا الحمام الراعية في بيوتكم فإنها تلعن قتلة الحسين بن علي عليهما السلام ولعن الله قاتله.

- حديث الكافي وفيه عن ذكر الكلاب واتصالهم بالجن:

(1) كتاب الكافي الجزء السادس - أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني - الطبعة الثالثة 1338 هـ دار الكتب الإسلامية. طهران

أجمع عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شمون، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن مسمع، عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الكلاب من ضعة الجن فإذا أكل أحدكم الطعام وشيء منها بين يديه فليطعمه أو ليطرده فإن لها أنفس سوء.

والخلاصة: فإني تاركي كتاب الأطعمة وفيه (125) باب في قرابة (136) صفحة تضمن عدد كبير من الأحاديث حول المأكولات وأنواعها وما يجوز وما لا يجوز، ثم كتاب الأشربة وفيه (55) باب في قرابة (38) صفحة حشر الكليني أنواع متعددة من الشراب المنقوع والنبذ والخل والخمر وغیره، ثم كتاب الزي والتجميل والمروءة، وفيه حشر الكليني واسهب في (70) باب ضمنها في (99) صفحة شرح أنواع الثياب والعطور والطيب والخواتم والتزين والتجمل مستدلاً على ذلك بأحاديث العنعة، وقد رأينا تركها كون ذلك ليس ذات أهمية من الدين وخشية الأطالة دون فائد(1).

14-6-2 كتاب العقيدة:

أولاً: يقصد بالعقيدة الذبيحة التي تقدم في اليوم السابع لختان المولود، وفيه أفرد الكليني عدداً من الأبواب وحشر أحاديث ليدلل على مشروعية العقيدة في الدين، وقد ضمن هذا (42) باب في (52) صفحة محاولاً التدليل أن العقيدة جزء من الدين وهي في الحقيقة مما تعارف الناس عليه ومؤيدة بأحاديث العنعة الكثيرة والآيات القرآنية المجتزأة وتأويلها على غير مدلولها:

ثانياً: بعض الأحاديث الدالة على مشروعية العقيدة والختان مع التعليق.

- حديث عن وجوب ختان الذكور وهذا العمل جريمة بشعة نص عليها اليهود: (2)

حدثنا علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اختنوا أولادكم لسبعة أيام فإنه أطهر وأسرع لنبات اللحم وإن الأرض لتكره بول الأغلف.

- حديث عن وجوب ختن الإناث وهذه جريمة في حق النساء:

قال عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن هارون بن الجهم، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله هاجرت فيهن امرأة يقال لها: أم حبيب وكانت خافضة تخفض الجواري، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله قال لها: يا أم حبيب العمل الذي كان في يدك هو في يدك اليوم؟ قالت: نعم يا رسول الله إلا أن يكون حراماً ففتنهاني عنه،

(1) انظر كتاب الكافي الجزء السادس منه . كتاب الأطعمة من ص 242 - 378. وكتاب الأشربة من ص 380 - 435. وكتاب الزي والتجميل والمروءة من ص 436-535.

(2) انظر العهد القديم - التوراة . سفر التكوين. النص: (11 فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم 12 ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم) ونصوص كثيرة أخرى .

قال: لا بل حلال فادني مني حتى أعلمك، قالت: فدنوت منه فقال: يا أم حبيب إذا أنت فعلت فلا تنهكي أي لا تستأصلي وأسمي فإنه أشرق للوجه وأحظى عند الزوج.

14-6-3 كتاب الطلاق والأبواب المشتملة عليه:

أولاً: يأتي الحديث عن الطلاق بأنواعه في هذا الكتاب من طلاق الحر وطلاق العبيد والأبواب المدونة تظهر هذا الكم الكبير من العناوين المختلفة والمتناقضة وقد عمد مؤلفه إلى إضافة أحكام كثيرة عن الطلاق خلافاً لما قرر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم. وقد أوضحنا الطلاق حسب ما بين الله تعالى بفصل مستقل في الجزء الثاني من هذا المؤلف.

ثانياً: بعض من أحاديث "الكافي" حول الطلاق والأسباب الموجبة له:

- حديث عن جواز طلاق الزوجة بسبب استنقاصها من على ابن أبي طالب:

قال عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام أنه كانت عنده امرأة تعجبه وكان لها محباً فأصبح يوماً وقد طلقها واغتم لذلك، فقال له بعض مواليه: جعلت فداك لم طلقته؟ فقال: إني ذكرت علياً عليه السلام فتنقصته فكرهت أن ألصق جمرة من جمر جهنم بجلدي.

- حديث الكافي بعدم جواز طلاق المملوك لزوجه وحشر الآية خطأ:

قال محمد، عن أحمد، عن ابن فضال، عن مفضل بن صالح، عن ليث المرادي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العبد هل يجوز طلاقه؟ فقال: إن كانت أمتك فلا، إن الله عز وجل يقول: "عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء، وإن كانت أمة قوم آخرين أو حرة جاز طلاقه.

- حديث الكافي عن قتل المرتد عن الدين وتطليق زوجته:

وعنه، عن العلاء، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن المرتد فقال: من رغب عن الإسلام وكفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله بعد إسلامه فلا توبة له وقد وجب قتله وبانت منه امرأته، ويقسم ما ترك على ولده.

14-6-4 كتاب العتق والتدبير والكتابة:

أولاً: العتق ويقصد به تحرير الإنسان من العبودية، وقد جاء الكافي كغيره من كتب المذاهب ليكرس حالة العبودية والرق ويضيف عليها مشروعية دينية ظهر ذلك جلياً بعناوين كثيرة منها نكاح العبيد، فجاء نقلاً عن فكر العقائد القديمة في اليهودية وكذلك شريعة حمورابي وفقه القانون الروماني وغيره، وقد أورد المؤلف في هذا الكتاب خمسة عشر باباً عن العتق.

ثانياً: من أحاديث "الكافي" حول العتق:

من أحاديث العنعة في هذا الكتاب التي جاء بها المؤلف لتكريس العبودية، تماثلاً مع نص التوراة وشريعة حمورابي والقانون الروماني، وقد أسهب "الكافي" في إبقى العبودية وتكريسها في المجتمع من خلال هذه الأحاديث.

- حديث عن تحرير نصف العبد والنصف الآخر يبقى حر وفيه من السخرية:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قضى أمير المؤمنين عليه السلام في عبد كان بين رجلين فحرر أحدهما نصيبه وهو صغير وأمسك الآخر نصفه حتى كبر الذي حرر نصفه، قال: يقوم قيمة يوم حرر الأول وأمر المحرر أن يسعى في نصفه الذي لم يحرر حتى يقضيه. وفيه من السخرية بأدمية الإنسان.

- حديث الكافي عن بيع الإنسان بدينه وهي جريمة ضد الإنسانية:

قال الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي، عن حماد بن عثمان، عن عمر بن يزيد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن أم الولد تباع في الدين؟ قال: نعم في ثمن رقبتها.

- حديث الكافي حول وضع القيد للعبد وأنه بمنزلة الحيوان:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي جميلة، عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سأل رجل يتخوف إباق مملوكه أو يكون المملوك قد أبق أيقيده أو يجعل في رقبته راية (١)؟ فقال: إنما هو بمنزلة بغير تخاف شراده فإذا خفت ذلك فاستوثق منه ولكن أشبعه واكسه، قلت: وكم شبعه؟ فقال: أما نحن فنرزق عيالنا مدين من تمر.

- حديث الكافي حول تلك الورثة للعبيد واستخدام لفظ مبتذل (دبرها):

قال محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن عبد الله بن هلال، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن جارية مدبرة أبقت من سيدها مدة سنين كثيرة ثم جاءت من بعد ما مات سيدها بأولاد ومتاع كثير وشهد لها شاهدان أن سيدها قد كان دبرها في حياته، من قبل أن تأبق قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: أرى أنها وجميع ما معها فهو للورثة، قلت: لا تعتق من ثلث سيدها؟ قال: لا، لأنها أبقت عاصية لله ولسيدها فأبطل الإباق التدبير.

والخلاصة: وعن ما جاء في القرآن الكريم حول الرق والعبيد، فقد خصصنا فصل مستقل في الجزء الثاني من الكتاب أوضحنا فيه موقف القرآن الحازم من القضاء على ظاهرة العبودية في المجتمعات بصورة مباشرة وحازمة، ويكفي قول الله سبحانه في هذه الآية المختصر من سورة البلد ذات الدلالة القوية في هذا الشأن: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَ رَقَبَةٍ﴾ البلد (13).

14-6-5 كتاب الصيد :

أولاً: تضمن هذا الكتاب سبع عشر باباً، منها ما ورد في كتاب الصيد بالجوارح والفهود والكلاب وغيرها، وذكر منها باب صيد الكلب والفهد، باب صيد البزاة والصقور وغير ذلك، باب صيد كلب المجوس وأهل الذمة، وباب الصيد بالسلاح، باب المعراض، باب ما يقتل الحجر والبندق، وغيره ومعلوم أن البندقية سلاح حديث فهل كان قد اخترع بعهد الكليني؟؟!!

ثانياً: ومن أحاديث "الكافي" الدالة على الصيد:

- حديث عن عدم أكل صيد الكلب الأسود:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الكلب الأسود البهيم لا يؤكل صيده لأن رسول الله صلى الله عليه أمر بقتله.

- حديث عن عدم أكل صيد المجوسي:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كلب المجوسي لا تأكل صيده إلا أن يأخذه المسلم فيعلمه ويرسله، وكذلك البازي، وكلاب أهل الذمة وبزاتهم حلال للمسلمين أن يأكلوا صيدها.

- حديث عن الصيد بالحجر والبندقية ومعلوم أن البندقية سلاح حديث لم يكن موجوداً بعهد أبا عبد الله الحسين!!!:

عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عما قتل الحجر والبندق أيؤكل منه؟ قال: لا.

- حديث الكافي المضحك وفيه يأمر بعدم أكل نوع من السمك لأنها سيئة الخلق:

وعن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي، عن حماد بن عثمان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك الحيتان ما يؤكل منها؟ فقال: ما كان له قشر، قلت: جعلت فداك ما تقول في الكنعت، فقال: لا بأس بأكله، قال: قلت له: فإنه ليس له قشر؟ فقال: لي بلى ولكنها سمكة سيئة الخلق تحتك بكل شيء وإذا نظرت في أصل أذننها وجدت لها قشراً.

- حديث الكافي المضحك عن عدم أكل الفُبَّرة نوع من الطيور لأنها تسبح:

أجمع عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد عن أبي عبد الله الجاموراني، عن سليمان الجعفري قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: لا تقتلوا الفُبَّرة ولا تأكلوا لحمها فإنها كثيرة التسبيح، تقول في آخر تسبيحها: لعن الله مبغضي آل البيت عليهم السلام.

ثالثاً: بيان القرآن الكريم حول الصيد:

بَيَّن القرآن الكريم حلة كل صيد طيب، وعمم الصيد على كل ما علمتم من الجوارح والكلاب المدربة للناس أجمعين منذ بداية حياة الإنسانية علي الأرض، وذكر سبحانه هذا الباب في قوله تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (المائدة: 4)، وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرماً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (المائدة: 96).

14-6-6 كتاب الذبائح:

أولاً: هذا الكتاب جاء في خمسة عشر باباً عن أحكام الذبح، كما أن هذا الكتاب يتوافق كثيراً مع المبحث الثالث: الذبائح الدنيوية (حولين) من القسم الخامس المقدسات (قداشيم) من ترجمة متن التلمود (المشنا) وقد حاول المؤلف استنساخه وإضفاء التشريع الفقهي عليه من المذهب الشيعي فأسهب في عدد أبوابه وأحاديث مشروعتها.

ثانياً: من أحاديث "الكافي" الدالة على الذبائح:

تطرق فيها إلى الذبح وعدم قبول ذبيحة اليهودي والنصراني، بما يوحي من العنصرية المقيتة المخالفة للقرآن الكريم، وأورد مؤلف الكتاب ما يزيد عن ستين حديثاً من أحاديث العننة، نذكر بعض منها

- حديث عن تعدد طرق ووسائل الذبح:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن زيد الشحام قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل لم يكن بحضرته سكين أذبج بقصبة؟ فقال: اذبج بالقصبة وبالجر وبالعظم وبالعود إذا لم تصب الحديد، إذا قطع الحلقوم وخرج الدم فلا بأس.

- حديث عن الذبح بطريقة الطعن:

قال: حدثني حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن أحمد بن الحسن الميثمي، عن أبان، عن إسماعيل الجعفي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بغير تردى في بئر كيف ينحر؟ قال: تدخل الحربة فتطعنه بها وتسمى وتأكّل.

- حديث الكافي وفيه النهي من أكل ذبيحة اليهود والنصارى:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن أبي المغراء، عن سماعة عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: سألته عن ذبيحة اليهودي والنصراني، فقال: لا تقربوها.

14-7 الجزء السابع وفيه تحريف واضح لأصول وأحكام الدين:

احتوى الجزء السابع من "الكافي" على عددٍ من الكتب وكل كتاب عدداً من العناوين، رتبها المؤلف في عدد من الكتب نذكر منها:

- 1-كتاب الوصايا وفيه قرابة خمسة وأربعين باباً.
 - 2-كتاب المواريث وفيه قرابة تسعة وستين باباً.
 - 3-كتاب الحدود وفيه قرابة ست وستين باباً.
 - 4-كتاب الديات وفيه قرابة اثنين وستين باباً.
 - 5-كتاب الشهادات وفيه قرابة ثلاثة وعشرين باباً.
 - 6-كتاب القضاء والأحكام وفيه قرابة الثمانية عشرة باباً.
 - 7-كتاب الإيمان والنذور والكفارات وفيه قرابة الثمانية عشر باباً.
- ولا أبلغ القول: إن هذا الجزء يتطابق مع متن التلمود (المشنا) القسم الرابع (الأضرار) في كثير من المباحث التي يحتويها، وقد أسنّسخ المؤلف الإطار العام للمحتوى، والبناء الشكلي والموضوعي، وأضاف إليها الصبغة الإسلامية للمذهب الشيعي، مدعماً تلك المواضيع بأدلة على صحة مشروعيّتها بأحاديث العنّنة، واجتزأ بعضاً من آيات القرآن الكريم، كما اجتزأ بعضاً من مواضع القانون الروماني، ويتضح لنا ذلك في الآتي: (1)

14-7-1 كتاب الوصايا:

أولاً: اشتمل هذا الكتاب على أحكام الوصية في خمسة وأربعين باباً، وأدخل في الوصية ما ليس فيها، وفي عدد كبير من أحاديث العنّنة بالإضافة لتوظيف آيات قرآنية للتدليل على مشروعية هذا الكتاب، بالمخالفة للمعنى الحقيقي للوصية في القرآن المفصّل الذي حدد عقد الوصية بدقة،

ثانياً: من أحاديث "الكافي" الدالة على مشروعية الوصايا:

- حديث عن جواز الوصية من دون تعدي الثلث:

وعن حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن ابن أبي عمير، عن مرّازم، عن عمار الساباطي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: الميت أحق بماله ما دام فيه الروح يبين به قال: نعم فإن أوصى به فإن تعدى فليس له إلا الثلث.

- حديث عن دية قتل الخطأ والوصية ما دون الثلث وتكرار الراوي النوفلي والسكوني:

قال علي إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): من أوصى بثلث ماله ثم قتل خطأ فإن ثلث دينه داخل في وصيته

(1) كتاب الكافي الجزء السابع: أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني 1338هـ دار الكتب الإسلامية . طهران

- حديث عن استحقاق الوصية للشيعة:

قال محمد بن جعفر الرزاز، عن محمد بن عيسى، ومحمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد، عن محمد ابن عيسى بن عبيد، عن الحسن بن راشد قال: سألت العسكري (عليه السلام) بالمدينة عن رجل أوصى بمال في سبيل الله؟ فقال: سبيل الله شيعتنا.

14-7-2 كتاب المواريث:

أولاً: اشتمل كتاب المواريث على خمسة وستين باباً حشر فيه المؤلف عدداً من الأبواب والمواضيع غير المتصلة بالموضوع مستنداً بالأحاديث المخالفة للقرآن الكريم على غير هدى وبصيرة، كما عمل على توظيف وتفسير وتأويل القرآن بالمخالفة للقرآن.

ثانياً: أحاديث مشروعية كتاب المواريث:

ومن خلال العودة للقرآن الكريم لبيان الموارث سنجد أن الله سبحانه وتعالى بيّن المواريث بياناً سهلاً مرناً واضحاً خلافاً لما جاء به الكليني في "الكافي" من الحشر المبالغ، والمخالف للقرآن الكريم والمستنسخ من التلمود خاصة، العول والحجب والرد ومنع الوصية واستنقص حق المرأة في الميراث، واستثنائات الأخ الأكبر بنصيب أكبر، وجعل من اختلاف الدين مانع من المواريث، وجاء بقواعد جديدة في المواريث لم يذكرها القرآن، ومن تلك الأحاديث التي أوردها الكافي لإثبات ما ذهب إليه لتثبيت المواريث حسب ما ذهب إليه نذكر ما يلي:

- حديث لأيجاد قاعدة جديدة في المواريث:

عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا التفت القرابات فالسابق أحق بميراث قريبه فإن استوت قام كل منهم مقام قريبه.

- حديث عن السيف كأداة في تقويم فرائض المواريث بين الناس وحشر الطلاق:

عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يستقيم الناس على الفرائض والطلاق إلا بالسيف.

- حديث الكافي وفيه تقرير الأب الأكبر بنصيب من التركة:

عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن ربعي بن عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا مات الرجل فسيفه وخاتمته ومصحفه وكتبه ورحله وراحلته وكسوته لأكثر ولد، فإن كان الأكبر ابن فلأكبر من الذكور.

- حديث الكافي يقرر على لسان علي بن أبي طالب قاعدة جديدة في المواريث:

قال الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي، عن حماد بن عثمان قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن رجل ترك أمه وأخاه قال: يا شيخ تريد على الكتاب؟ قال: قلت: نعم، قال: كان علي عليه السلام يعطي المال الأقرب فالأقرب، قال: قلت: فالأخ لا يرث شيئاً؟ قال: قد أخبرتك أن علياً عليه السلام كان يعطي المال الأقرب فالأقرب.

- حديث الكافي يقرر فيه حرمان النساء من المواريث:

قال علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن محمد بن حمران، عن زرارة عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئاً.

- حديث يقرر أن عقيدة الدين مانع من المواريث:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل، وهشام، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: فيما روى الناس عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لا يتوارث أهل ملتين.

وحديث آخر للكافي بنفس السياق السابق:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن محمد بن قيس قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لا يرث اليهودي ولا النصراني المسلم، ويرث المسلم اليهودي والنصراني.

- حديث عن عدم التوارث بين الحر والعبد:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن أبي نجران، عن محمد بن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يتوارث الحر والمملوك.

- حديث الكافي وفيه يقرر أن الإمام يرث من لا وإرث له:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن بعض أصحابنا، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: الإمام وإرث من لا وإرث له.

14-7-3 كتاب الحدود:

أولاً: احتوى هذا الكتاب على ست وستين باباً في الحدود والتي تم تعريفها بالحد أو الحدود بالمخافة للقرآن الكريم وتعريفها الحقيقي هي العقوبات الجزائية، وهي من المواضيع التي أثارت جدلاً كبيراً في العالمين العربي والإسلامي بل والعالم، لما لها من أهمية بالغة في تقنين التشريعات الجنائية وقانون العقوبات (الجزاء الجنائي) وقد دُعمت هذه الأبواب بعدد كبير من أحاديث العنونة التي استند إليها المؤلف على مشروعية العقوبات المقررة على الناس، وفي قراءة فاحصة ومقارنة لمحتوى هذا الكتاب سنجد أنه يتشابه إلى حد ما مع القسم

الرابع من مجلد ترجمة متن التلمود (نزيقين) الأضرار⁽¹⁾، ويبدو أن جماعة التحريف اقتبست منه الكثير من العقوبات ودستها للفقهاء الإسلامي السني/ الشيعي ثم أضافت إليها تلك الأحاديث لإكسابها مشروعية دينية، ودين الإسلام منها بريء فالقرآن الكريم بيّن وفصل قواعد العقوبات المتعلقة بالفساد والقتل والزنا وقذف المحصنات، وعقوبة السارق كما حدد مبدأ المساواة في تطبيق العقوبة على السواء بين الناس جميعاً دون تفرقة في الجنس أو الدين، ومن الملاحظ أن جماعة التحريف قامت بدور كبير في دس الكثير من العقوبات الجديدة لأفعال تصل عقوبتها للقتل في الكثير من هذه الأبواب، مثل قتل الزاني المتزوج رجلاً أو امرأة رجماً بالحجارة، وقتل شارب الخمر إذا تكرر منه الشرب لأكثر من أربع مرات، وقتل وإحراق من يفعل اللواط، وقتل المرتد عن الدين والحكم بمفارقته لزوجته وتوزيع تركته، وقتل الساحر وقتل عاق والديه، وغيرها من العقوبات البشعة التي تخالف كلام الله سبحانه في القرآن المبين.

لقد احتوى هذا الكتاب على الكم الكبير من ما سمي بالحدود (العقوبات) التي دست في الفقه الإسلامي، وأصبحت هذه العقوبات اليوم مواد مدرجة في قانون العقوبات في أغلب الدول العربية والإسلامية، وحرفوا لها مصطلح فقهي (حدود الله) كحق محض لله لا يجوز التنازل عنه ولو عفى المجني عليه كعقوبة الرجم حتى الموت حداً، وعقوبة الجلد في شرب الخمر حداً، وعقوبة القتل للمرتد حداً، وعقوبة قتل الساحر حداً، وعقوبة الحراة حداً، وعقوبة قطع يد السارق حداً، ولا يقتل المسلم بكافر ولا يقتل الحر بعبد، وغيرها من التشوهات التي تسيء للإسلام وهو منها بريء وهو ما نحاول توضيحه وقد خصصنا فصل مستقل في الجزء الثاني يمكن الرجوع إليه خشية الأطالة.

ثانياً: من أحاديث "الكافي" الدالة على مشروعية الحدود المخالفة للقرآن:

استخدمت هذه الجماعة كثيراً من أحاديث العننة من أجل ليّ العدول بالحقيقة عن الحق المبين في القرآن الكريم، غير إنها وقعت في فخ مفضوح حول تعريف الحدّ وتعريف المحصن، وتعريف الكبائر، بتلك الأحاديث الركيكة التي تحوي الكثير من العقوبات المخالفة للقرآن الكريم فضلاً عن الكلام البذيء المستخدم في بعض التعريفات والجمال، ومن هذه الأحاديث:

- حديث عن عقوبة الرجم حتى الموت لجريمة الزنا:

حدثني محمد بن يحيى، وغيره، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الرجم حد الله الأكبر والجلد حد الله الأصغر فإذا زنى الرجل المحصن يرمم ولم يجلد.

- حديث الكافي وت قوله على الله بنص لم يأت في القرآن (رجم الشيخ والشيخة حداً):

(1) انظر القسم الرابع من متن التلمود الأضرار (نزيقين) المبحث الرابع المحكمة العليا (السهندرين) والمبحث الخامس الجلدات . د مصطفى عبد المعبود .

وبإسناده، عن يونس، عن عبد الله سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الرجم في القرآن قول الله عز وجل: إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة فإنهما قضيا الشهوة.

- حديث عن إحصان زواج المتعة وفيه التلاعب بالألفاظ والحكم معاً:

علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام، وحفص بن البختري عن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام في الرجل يتزوج المتعة أتحصنه؟ قال: لا إنما ذاك على الشيء الدائم عنده.

- حديث عن حد الغلام الزاني بالمرأة الكبيرة:

علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن ابن محبوب، عن أبي أيوب الخزاز، عن سليمان بن خالد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في غلام صغير لم يدرك ابن عشر سنين زنى بامرأة قال: يجلد الغلام دون الحد وتجلد المرأة الحد كاملاً، قيل له: فإن كانت محصنة؟ قال: لا ترجم لأن الذي نكحها ليس بمدرك ولو كان مدركاً رجمت.

وحديث عن كيفية تنفيذ حد الرجم حتى الموت: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تدفن المرأة إلى وسطها ثم يرمي الإمام ثم يرمي الناس بأحجار صغار.

- حديث عن الزنا بذات محرم ضرب بالسيف حداً:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن أبي أيوب قال: سمعت بكير ابن أعين يروي عن أحدهما عليهما السلام قال: من زنى بذات محرم حتى يواقعها ضرب ضربة بالسيف أخذت منه ما أخذت وإن كانت تابعتة ضربت ضربة بالسيف أخذت منها ما أخذت، قيل له: فمن يضربهما وليس لهما خصم؟ قال: ذاك على الإمام إذا رفعاً إليه.

- حديث عن حد القتل بمن يفعل الكبائر لمرات عدة:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن صفوان، عن يونس، عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: أصحاب الكبائر كلها إذا أقيم عليهم الحد مرتين قتلوا في الثالثة.

- حديث عن القتل والحرق حداً لعقوبة اللواط:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن يوسف بن الحارث عن محمد بن عبد الرحمن العرزمي، عن أبيه عبد الرحمن، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام قال: أتني عمر برجل وقد نكح في دبره فهم أن يجلده فقال للشهود: رأيتموه يدخله كما يدخل الميل في المكحلة؟ فقالوا: نعم، فقال لعلي عليه السلام: ما ترى في هذا؟ فطلب الفحل الذي نكحه فلم يجده، فقال علي عليه السلام: أرى فيه أن تضرب عنقه، قال: فأمر به فضربت عنقه، ثم قال: خذوه فقد بقيت له عقوبة أخرى، قالوا: وما هي؟ قال: ادعوا بطن من حطب فدعا بطن من حطب فلف فيه ثم أخرجه فأحرقه بالنار، قال: ثم قال: إن لله عباداً لهم في أصلابهم أرحام

كأرحام النساء قال: فما لهم لا يحملون فيها؟ قال: لأنها منكوسة، في أدبارهم غدة كغدة البعير فإذا هاجت هاجوا وإذا سكنت سكنوا.

- حديث عن حد السحاق بين النساء:

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمد بن أبي حمزة، وهشام، وحفص، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه دخل عليه نسوة فسألتنه امرأة منهن عن السحاق، فقال: حدها حد الزاني فقالت المرأة ما ذكر الله عز وجل ذلك في القرآن؟ فقال: بلى، قالت وأين هو؟ قال: هن أصحاب الرس.

- حديث عن الحد في ناكح البهيمة:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن إسحاق بن جرير، عن سدير عن أبي جعفر عليه السلام في الرجل يأتي البهيمة قال: يحد دون الحد ويغرم قيمة البهيمة لصاحبها لأنه أفسدها عليه وتذبح وتحرق وتدفن إن كانت مما يؤكل لحمه، وإن كانت مما يركب ظهره غُرم قيمتها وجلد دون الحد وأخرجها من المدينة التي فعل بها فيها إلى بلاد أخرى حيث لا تعرف فيبيعها فيها كيلا يعير بها.

- حديث عن الحد على شارب الخمر:

قال علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: كيف كان يجلد رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: فقال: كان يضرب بالنعال ويزيد كلما أتى بالشارب ثم لم يزل الناس يزيدون حتى وقف على ثمانين، أشار بذلك علي عليه السلام على عمر فرضي بها.

- حديث عن قتل شارب الخمر حداً:

قال علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن المعلى، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أتى بشارب الخمر ضربه ثم إن أتى به ثانية ضربه، ثم إن أتى به ثالثة ضرب عنقه.

- حديث عن قطع يد السارق ببيضة دجاج حداً:

قال علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قطع أمير المؤمنين عليه السلام في بيضة، قلت: وما بيضة؟ قال: بيضة قيمتها ربع دينار، وقلت: هو أدنى حد السارق فسكت.

- حديث عن الحكم على النباش:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن آدم بن إسحاق، عن عبد الله بن محمد الجعفي قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام وجاءه كتاب هشام بن عبد الملك في رجل نبش امرأة فسلبها ثيابها ثم نكحها فإن الناس قد اختلفوا علينا ههنا فطائفة قالوا: اقتلوه، وطائفة قالوا: أحرقوه؟

فكتب إليه أبو جعفر عليه السلام: أن حرمة الميت كحرمة الحي، حده أن تقطع يده لنبشه وسلبه الثياب ويقام عليه الحد في الزنى إن أحصن رجم وإن لم يكن أحصن جلد مائة.

- حديث عن الحكم بقطع أطراف يد الطفل الذي يسرق:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا سرق الصبي عفي عنه فإن عاد عزّر، فإن عاد قطع أطراف الأصابع، فإن عاد قطع أسفل من ذلك، وقال: أتى علي عليه السلام بغلام يشك في احتلامه فقطع أطراف الأصابع.

- حديث عن حد الجلد لشارب الخمر من غير المسلمين:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الوشاء، عن عاصم بن حميد، عن محمد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قضى أمير المؤمنين عليه السلام أن يجلد اليهودي والنصراني في الخمر والنبذ المسكر ثمانين جلدة إذا أظهروا شربه في مصر من أمصار المسلمين وكذلك المجوسي ولم يعرض لهم إذا شربوها في منازلهم وكنائسهم حتى يصيروا بين المسلمين.

- حديث عن قتل المرتد عن الدين ويفرق من زوجته وتقسم تركته:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد جميعاً، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن المرتد فقال: من رغب عن الإسلام وكفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وآله بعد إسلامه فلا توبة له وقد وجب قتله وبانت منه امرأته ويقسم ما ترك على ولده.

- حديث بقتل الساحر حداً:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ساحر المسلمين يقتل وساحر الكفار لا يقتل، قيل: يا رسول الله ولم لا يقتل ساحر الكفار؟ قال: لأن الكفر، أعظم من السحر ولأن السحر والشرك مقرونان.

وهذه الأحاديث جزء يسير مما اشتمل عليه كتاب الحدود بمعنى العقوبات التي تخالف القرآن الكريم من حيث اللفظ والمضمون فالحد أو الحدود يقصد فيها معنى آخر غير ما ذهب به "الكافي" التي استنسخ هذه الأحكام من التوراة والتلمود وركبها في فقه المذهب الشيعي بالمخالفة الصريحة للقرآن الكريم.

ثالثاً: بيان التعريف بالحدود في القرآن الكريم:

الحدود، جمع لمفرد "حد"، والحدود المبينة في القرآن الكريم لها معانٍ ومدلولات واضحة ومحددة، فتعريف الحد هو: بلوغ الشيء حده ولا يتجاوز لغيره وقد جاء ذكر الحد في القرآن الكريم حسب موضع الآية التي ذُكرَ فيها، ولا يقصد بالحد بمعنى العقوبة إطلاقاً بل يطلق الحد بأغلب آيات القرآن على بعض حقوق النساء من طلاق، كما يطلق الحد أو الحدود

على مقدار الشعائر والمناسك لبعض الشعائر والمناسك التعبدية وغيرها ونوضح بعض منها على النحو الآتي:

1- حدود الإمساك عن الأكل والشراب ليلة الصيام وعدم الجماع أثناء الاعتكاف في المساجد، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 187).

2- الحدود في الحقوق الأسرية في المجتمع الإنساني كحق الطلاق، وما يلحقه من حقوق مثل المعاملة بالمعروف يتبعها الإنفاق على المطلقة أو تسريحها بإحسان، والإحسان أعم وأشمل من المعروف، ولا ينبغي أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله، وحدود الله هنا يقصد عدم تجاوز ما حدد الله تعالى في حالة الطلاق وعدم التعدي في استخدام حق الطلاق، والتعسف والجور فيه حفاظاً على مكانة العشرة التي كانت قائمة بين الزوجين قبل الطلاق، واستمرارها لما بعد الطلاق لما كان بينهما من الفضل والأسرار الزوجية، فلا يكون الطلاق سبباً في الفجور بالخصومة، فتلك حدود الله التي لا ينبغي تجاوزها، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا إِلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ إِيَّاهُ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: 229).

3- حدود الله التي يجب إقامتها بالعلاقة بين المطلقين إن أرادا التراجع ظناً منهما أن يقيما حدود الله في العلاقة بينهما قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَتَّخِجَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 230).

4- الحدود في عدة طلاق المطلقة وأحصي العدة تلك حدود الله وعدم إخراجها وقت العدة من بيتها إلا أن تأتي بفاحشة مبينة، وتلك حدود الله قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (الطلاق: 1).

5- حدود الله في الوصية وتوزيع الميراث عن المتوفى قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء: 13، 14).

6-حدود الله في الظهار، وهو قول الرجل لزوجته أنتِ علي كظهر أمي أي يساوي أمه بزوجه في حرمة النكاح فذلك قول وعمل أشد من الطلاق وفي حالة الرجعة فيه، فقد أوجب الله سبحانه وتعالى فيه تحرير رقبة دون أن يشترط الدين أو الجنس وصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يجد فإطعام ستين مسكيناً وتلك حدود الله: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المجادلة: 3، 4).

وهذه الآيات تظهر المعنى الواضح والحقيقي للحد والحدود، وليس بمعنى الجزاء أو العقوبة عن فعل الجريمة والتجريم حسب ما حرفته جماعة التحريف في فقه المذهبين الشيعي/ السني.

14-7-4 كتاب الديات:

أولاً: يشتمل كتاب الديات على ستين باباً، حشر فيها الكافي عدداً كبيراً من العناوين، دعمها بأحاديث العننة ليدلل على مشروعية الأبواب التي تضمنها كتاب الديات بالمخالفة للقرآن الكريم، ومن الملاحظ أن "الكافي" اقتبس الكثير والكثير من عناوين القسم الرابع من متن التلمود، مجلد (نزيقين) الأضرار، ومن مباحثه المتفرقة جاء بكثير مما دون في هذا الكتاب.

ثانياً: الأحاديث التي تدلل على مشروعية الديات:

عند استعراض الكم الهائل من أحاديث العننة التي أسند الكليني إليها مشروعية صحة أحكام المواضيع كونها تشريعاً دينياً واجباً بما لها من التحليل والتحريم، وهو تشريع يخالف كلام الله سبحانه وكأن جماعة التحريف صنعت ديناً ضد القرآن الكريم وها هو القرآن اليوم يفضح هذه الأحكام والأحاديث ويبين أن فرض الديات متروك تقديرها للسلطة العامة للناس بكل زمان ومكان، ولولي دم المقتول كحالة خاصة، مع اشتراك سلطة المجتمع في تقنين أحكام هذه العقوبة، حفاظاً على سلامة المجتمعات من تفشي الجريمة، ومن تلك الأحاديث المحرفة ننسخ بعض منها بالآتي:

- حديث حكم التغليظ والمبالغة في العقوبة:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال أمير المؤمنين عليه السلام في الخطأ شبه العمد أن يقتل بالسوط أو بالعصا أو بالحجارة: إن دية ذلك تغلظ وهي مائة من الإبل فيها أربعون خلفه ما بين ثنية إلى بازل عامها وثلاثون حقة وثلاثون بنت لبون، والخطأ يكون فيه ثلاثون حقة وثلاثون ابنة لبون وعشرون ابنة مخاض وعشرون ابن لبون ذكر وقيمة كل بغير من الورق مائة وعشرون درهماً أو عشرة دنانير ومن الغنم قيمة كل ناب من الإبل عشرون شاة.

- حديث حد القاتل العمد:

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام أن ثلاثة نفر رفعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام واحد منهم أمسك رجلاً وأقبل آخر فقتله والآخر يراهم ففضى في الرؤية أن تشمل عيناه وفي الذي أمسك أن يسجن حتى يموت كما أمسكه وقضى في الذي قتل أن يقتل.

- حديث قتل الأصل فرعه - أحد الوالدين.

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يقتل الأب بابه إذا قتله ويقتل الابن بأبيه إذا قتل أباه.

- حديث حد من قتل مملوك متعمداً:

حدثنا علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال في الرجل يقتل مملوكه متعمداً قال: يعجبني أن يعتق رقبة ويصوم شهرين متتابعين ويطعم ستين مسكيناً ثم تكون التوبة بعد ذلك.

وحديث آخر للكافي بنفس السياق السابق حول قتل العبد:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يقتل حر بعبد وإن قتله عمداً ولكن يغرم ثمنه ويضرب ضرباً شديداً إذا قتله عمداً، وقال: دية المملوك ثمنه.

- حديث قتل النصراني لمسلم:

قال عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن ضريس الكناسي، عن أبي جعفر عليه السلام في نصراني قتل مسلماً فلما أخذ أسلم، قال: اقتله به، قيل: وإن لم يسلم قال: يدفع إلى أولياء المقتول [فإن شاءوا قتلوا وإن شاءوا عفوا وإن شاءوا استرقوا، وإن كان معه مال دفع إلى أولياء المقتول] هو وماله.

- حديث قتل الثور والحمار وفيه من الاستخفاف بالرسول وأصحابه:

الحديث: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبي الخزرج، عن مصعب بن سلام التميمي، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليهما السلام أن ثوراً قتل حماراً على عهد النبي صلى الله عليه وآله فرفع ذلك إليه وهو في أناس من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر فقال: يا أبا بكر اقض بينهم، فقال: يا رسول الله بهيمة قتلت بهيمة ما عليها شيء فقال: يا عمر اقض بينهما فقال مثل قول أبي بكر، فقال يا علي اقض بينهم فقال: نعم يا رسول الله إن كان الثور دخل على الحمار في مستراحه ضمن أصحاب الثور وإن كان الحمار دخل على الثور في مستراحه فلا ضمان عليهما قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله يده إلى السماء فقال: الحمد لله الذي جعل مني من يقضي بقضاء النبيين.

- حديث مشروعية القسامة:

قال علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: في القسامة خمسون رجلاً في العمد وفي الخطأ خمسة وعشرون رجلاً وعليهم أن يحلفوا بالله.

ثالثاً: موقف القرآن الكريم مما ورد في كتاب الدِّيَات:

لقد جاءت آيات القرآن الكريم لتتطرق عليهم بالحق، فتدحض كيد ما يصنعون لأنها قد أرست قواعد أساسية في الجزاء والعقوبة لجميع الناس دون استثناء ودون تمييز في الدين أو الجنس أو اللون أو غير ذلك حسب ما نوضحه في الآتي:

● قاعدة العدل في تطبيق وتنفيذ القصاص على جميع الناس دون تمييز بين الناس في الدين والجنس واللون، وذلك يمثل استمراراً للحياة بأمان ويحد من انتشار جرائم القتل والاعتداء في المجتمعات قال جل في علاه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: 179).

● قاعدة العدل في الجزاء العادل بين الناس على نفس القاعدة السابقة من العدالة دون تمييز في الدين أو الجنس أو اللون، وقد جعل لوليه سلطاناً، وهم ورثته في الدم، وتشارك الولاية العامة مع الولاية الخاصة، وهو ما يسمى بالحق العام بما يضمن عدم تفشي القتل بين الناس وبما يضمن المساواة في تطبيق العقوبة، فالآيات القرآنية عندما تتكلم عن القتل فإنها تتكلم عن عموم قتل النفس، دون تمييز كما سبق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ (الإسراء: 33).

● قاعدة المساواة في الجزاء من الجريمة بين كل البشر من الناس حسب ما جاء على مسار الهداية الربانية مع إعطاء المجني عليه حق العفو: قال سبحانه: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَيْنَهُمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المائدة: 45).

● قاعدة المماثلة في تطبيق العقوبة مع حق العفو، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٍ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِغَدٍ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: 178).

● قاعدة الجزاء في القتل الخطأ، وعقوبتها تحرير رقبة ثم دية مسلمة، ولم يحدد مقدارها، فمقدارها متروك للناس في كل زمان ومكان مع حق العفو، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ

رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (النساء: 92).

● قاعدة الجزاء الأخروي في قتل النفس المؤمنة، وهذا الجزاء لا تسقطه عقوبة الدنيا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 93).

وهكذا فإن نصوص القرآن الحكيم في القصاص والديات جاءت على العموم إجمالاً، من تمييز في الدين والجنس واللون سواء كان مملوكاً أو حراً إلا عند المماثلة في الاقتتال الجماعي حسب الآية، وثُرِكت للناس تقدير الديات والتعويضات، حسب ما يتفق عليه الناس في كل زمان ومكان وحسب ما تخول لهم سلطتهم في سن تشريعات حاكمة من القانون.

14-7-5 كتاب القضاء والأحكام - الحاكمية السياسية للإمام:

أولاً: لم يبدع الكافي في هذا الكتاب كثيراً، مثلما أبدع اليهود بمتن التلمود (المشنا) (1) بالقسم الرابع، فقد سعى اليهود لإيجاد نظام التقسيم في درجات التقاضي ابتداء من المحكمة الأدنى ثم المحكمة العليا وانتهاء بمجلس القضاء، مع بيان اختصاصات كل درجة من درجات التقاضي وإن كان كل ذلك مستوحاة من المادة رقم (5) من مدونة حمورابي، (2)، وأمّا ما تضمنه كتاب القضاء والأحكام، فقد حشر الكليني في هذا العنوان عدداً من الأبواب وصلت إلى ثمانية عشر باباً وقرابة خمسين حديثاً من أحاديث العنينة، وقد أضاف الكليني أقصوصة من الخيال في أحاديث العنينة قصد الإساءة للخليفين عمر وعلي رضي الله عنهما، كما أظهر الخليفة علي بن أبي طالب، وهو أعلم بالقضاء من غيره وأعلم بقضاء بني إسرائيل حسب ما روي عن الخليفة علي بقصة دانيال المحرفة والمقتبسة عن قصة لفاف استير بالعهد القديم من التوراة، تلك الفتاة اليهودية الحسنة (استير) (3) التي دسها خفية ابن عمها موردخاي اليهودي في مباراة لاختيار زوجة لملك فارس احشوريوش ملك الفرس، ونجاح الفتاة اليهودية الحسنة بالاختبار وتتويجها زوجة للملك ودور استير اليهودية في إنقاذ شعبها من الإبادة الجماعية التي دبرها وزير الملك الأول هامان بن همدان الأجاجي، وهي قصة بسفر من أسفار التوراة إذ تبدو أنها قصة ركيكة وملينة بالأكاذيب، وأظهر الكليني أن علي بن أبي طالب عالم بقصة دانيال النبي الذي لديه سفر كامل في التوراة، وخلط بين القصتين برواية كاذبة للخليفة علي رضي الله عنه وهو من هذا الكذب بريء، وما نسب إليه بهذا الكتاب، وهو ما يؤكد الدس اليهودي عبر جماعة التحريف في المذاهب والمذهب الشيعي على وجه الخصوص، ومن تلك الأحاديث نسرد حديث شخصنة الحكومة بالإمام من آل البيت:

(1). انظر متن التلمود القسم الرابع . المبحث الرابع الأضرار (نزقين) مجلس القضاء الأعلى (سهندرين) . د مصطفى عبد المعبود .

(2) انظر شريعة حمورابي المادة (5) ترجمة محمود الأمين الطبعة الأولى 2007م لندن .

(3) انظر العهد القديم – التوراة – كتاب استير وفيها عشرة أسفار (اجزاء).

حديث الكافي: أجمع عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى، عن أبي عبد الله المؤمن عن ابن مسكان، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اتقوا الحكومة، فإن الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين لنبي أو وصي نبي. ثالثاً: بيان القرآن الكريم من القضاء والأحكام:

المعلوم أن القضاء نظام له خصوصيته، يختار من كل أمة أو شعب حسب ما تخول به أنظمتهم، وليس نظاماً دينياً كما ذهب الكليني بمؤلفه هذا الكافي كتاب القضاء، ذلك أن القضاء والعدل يستمد آدابه وقيمه من وصايا وأوامر الدين وقواعد الفضيلة المتعارف بها بين الناس من أجل إقامة العدل والمساواة وقول الحق منذ قدم الحياة الإنسانية، وبقدر غرس تلك القيم وفطرة الناس عليها يقع على الإنسان والسلطة عاتق إقامة القضاء في الدولة، فقد كان هذا العمل من فعل الإنسان في كل زمان ومكان دون تمييز بين الناس في الدين أو عرق، والقضاء والعادل من صفة الله سبحانه وتعالى، إليكم بعض من آيات الله البينات نستدل بها على إقامة العدل والقضاء به على وجه العموم دون تحديد شكل أو نوع وطبيعة نظام السلطة القضائية:

• قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿... وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ (النساء: 58).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿... وَمَنْ يَأْمُرْ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: 76).
• وهذا أمر صريح من الله تعالى بإقامة العدل، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: 90).

• وآية أخرى يضرب بها المولى جل شأنه مثلاً على إقامة العدل بين طائفتين من المؤمنين: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَبْغِي تَقِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: 9).

• وفي الدعوة للعدل، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَى إِلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 8).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (النمل: 78).
• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاتَيْنَاهُمْ بَنَاتٍ مِنَ الْأُمَمِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (الجاثية: 17).

ومن هذا الخطاب المتنوع في القرآن الكريم وهذه الآيات تمثل قواعد ملهمة للمشرعين في سن القوانين لإقامة العدل بين الناس من خلال الخطاب الموجه للناس وليس لجماعة بعينها وليس هناك أبلغ من قول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عن العدل والقضاء بين الناس دون تمييز في الدين أو اللون والجنس.

أولاً: وقد جاءت فكرة كتاب الإيمان والنذور والكفارات من متن التَّلْمُود (المشنا) (1) والذي يتناول أمور الحلف ومشروعيته والتحقق من صدق الحالف من عدمه، وأحكام كفارات الإيمان وأنواع الإيمان، فمنها يمين اللغو واليمين الكاذبة في حالي العمد والخطأ وعقوبتهما، والحلف في النزاعات، والقضايا المالية والوديعة والحلف أمام المحكمة، وتحديد الأشياء التي لا يجوز الحلف عليها، وأحوال حلف الأصم والأبكم والأبله والصغير والحراس وغيره، ولا نرى farkاً كبيراً بين التَّلْمُود ومحتوى هذا الكتاب، فكان تشابه محتوى هذه الأبواب ليس من قبيل الصدفة أو من قبيل القول بأن الشريعة واحدة، فهذا قول غير صحيح، بل هو عمل منظم لجماعات التحريف، عبر مراحل التاريخ الإنساني، فراها تشرع للحلال والحرام خلافاً لما شرع الله سبحانه في كتابه الحكيم، استناداً إلى أحاديث العنينة كما هو الحال في كتاب الإيمان والنذور وكفارتها وغيره.

ثانياً: من أحاديث "الكافي" الدالة على مشروعية كتاب الإيمان والنذور وكفاراتها:

- حديث الكافي وتقول على النبي عيسى حول عدم الحلف بالله كاذباً أو صادقاً:

عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اجتمع الحواريون إلى عيسى عليه السلام فقالوا له: يا معلم الخير أرشدنا، فقال لهم: إن موسى نبي الله أمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين، وأنا أمركم أن لا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين.

- حديث عن الحالف كاذباً يعتبر كافراً والحالف صادقاً آثم:

أجمع عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن يحيى بن إبراهيم، عن أبيه عن أبي سلام المتعبد أنه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول لسدير: يا سدير من حلف بالله كاذباً كفر، ومن حلف بالله صادقاً آثم إن الله عز وجل يقول: "ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم".

- حديث عن الديك المسبح بين السماء والأرض، وهذا من فكر اليزيديين والزرادشت بشأن تقديس الديك:

قال علي، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً، عن ابن أبي عمير عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن شيخ من أصحابنا يكنى أبا الحسن، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى خلق ديكاً أبيضاً عنقه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، له جناح في المشرق وجناح في المغرب، لا تصيح الديوك حتى يصيح فإذا صاح خفق بجناحيه ثم قال: سبحان الله سبحان الله العظيم الذي ليس كمثله شيء قال: فيجيبه الله تبارك وتعالى فيقول: لا يحلف بي كاذباً من يعرف ما تقول.

- حديث عن جواز الحلف كذباً (تقية):

(1). انظر كتاب التَّلْمُود. القسم الرابع الأضرار (نزقين) - المبحث السادس شفعوت (الإيمان) والمكون من ثمانية فصول.

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار، عن يونس، عن بعض أصحابه، عن أحدهما عليهما السلام في رجل حلف تقية قال: إن خفت على مالك ودمك فاحلف ترده بيمينك فإن لم تر أن ذلك يرد شيئاً فلا تحلف لهم.

ثالثاً: بيان القرآن الكريم حول الإيمان والنذور والكفارات:

جاء القرآن الكريم بخطاب إرشادي توجيهي يستند إلى قواعد الفطرة الإنسانية والآداب وأخلاقيات المجتمعات الإنسانية في كل زمان ومكان، ليرسي تلك القواعد كأعراف ما تلبث أن تتحول لقواعد قانونية ملزمة التنفيذ من قبل أفراد المجتمع الإنساني حسب مقتضيات الحاجة والمنفعة ومصلحة الإنسان بدرجة رئيسية، وهو ما نحن عليه اليوم في كل المجتمعات الإنسانية التي عملت على صياغة تشريعات قانونية، بشأن حلف اليمين وأقسامه بمختلف نواحي الحياة، مثل حلف اليمين عند الإدلاء بالشهادة حول وقائع معينة، وحلف اليمين لتقلد منصب سياسي أو عسكري أو قضائي أو غيره، حسب ما تمليه التشريعات القانونية المنظمة لذلك، وتختلف من دولة لأخرى، ولكنها لا تخرج عن المبادئ العامة التي أرساها الإسلام عن الإيمان، كون الآيات الإرشادية في القرآن تخاطب كل الناس دون استثناء، وتبين أحوال أداء اليمين بصورة موجزة ومفهومة، كيمين "اللغو"، واليمين الموكدة حسب الآية "عقدتم" بمعنى استوثقتهم، للتأكيد في حلف اليمين وإيقاعه، مبيناً في الوقت نفسه كفارات الإيمان، وذلك بالإنفاق على المساكين وتحرير رقبة؛ يقصد تحرير شخص من العبودية، فجعل من اليمين أداة لقيمة مجتمعية، وكفارتها لمعالجة قضية اجتماعية ذات أهمية لفئة من الناس في إطار المجتمع، قال جل في علاه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: 89). ويظهر الخطاب الإرشادي أكثر صرامة وأكثر إلزاماً للتأكيد على عدم نقض الإيمان والوفاء بالعهد، ويعد هذا الخطاب إحدى قواعد الأخلاق في المجتمع الإنساني وخاصة المسلمين، قال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (النحل: 91). ونهى الله أن يكون اسمه عرضة للإيمان حتى لا يستغل مقام الله وقديسيته فيها، فقال الله جل في علاه: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 224) ويفهم من مدلول الآية ألا يكون اليمين باسم الله جل جلاله حالة تطلق دون البر والصلاح، وقد سنت تشريعات تنظم عقوبات عن حلف اليمين والحنث باليمين في أيامنا هذه في كثير من التشريعات على مستوى دول العالم.

مثال على شرعية القسم باليمين:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا

نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْإِثْمِينَ (106) فَإِنْ عَثَرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (المائدة: 107).

ولعظمة القسم فقد أقسم الله: فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَغْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ (الواقعة: 75، 76). وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ (الحاقة: 38، 39). وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ (المعارج: 40). وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: 1، 2). وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ (التكوير: 15). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ (الانشقاق: 16). وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (البلد: 1).

وبهذا أوضح الله سبحانه الإيمان في القرآن الكريم والمعني من خطاب القرآن هم جميع الناس، وليسوا أتباع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كما صورته جماعة التحريف التي جعلت من الإسلام ديناً خاصاً بفئة محددة من الناس بينما هو دين الناس جميعاً من عهد آدم وزوجه وإلى أن تقوم الساعة.

14-8 الجزء الثامن، روضة "الكافي":

أطلق الكليني على الجزء الثامن من مؤلف "الكافي" روضة "الكافي"، ويتكون من أربعمئة باب تقريباً، الكثير منها مكررة، وجاء هذا الجزء على غير عادة الأجزاء السبعة الأخرى، والغريب أنه افتتح هذا الجزء بخطبة موجهة إلى أصحابه، دونت بمقدمة هذا الجزء واختتمه أيضاً بخطبة ومن تلك الخطبة ننسخ بعض مقطعات منها براوية متصلة لأبي عبد الله الحسين حيث وصفه أصحابه بالعصابة، وكرر هذا اللفظ (العصابة) مرات عدة، وقد صنف هذا الكتاب (روضة الكافي) كوحدة واحدة ثم خصه بفهرس متعدد العناوين، فجعل كل عنوان منفصلاً عن الآخر، وحشر أحكام الحلال والحرام، وما يجوز وما لا يجوز، ووهب صك الإيمان والتقوى لمن آمن بجماعته (العصابة)، وألصق الكفر والفسوق والعصيان لمن هم دون ذلك، ثم أول وفسر بعض آيات القرآن بصورة مفصولة، خلافاً لمدلولاتها، محرراً الغاية الأساسية من مقاصدها على نحو فاضح وجريء، وهي سنة اتباعها "الكافي" وجماعة التحريف بكل العقائد عبر العصور، ثم زاد بذكر أن للقرآن ظاهر وباطن، وأوله وفسره بما يخالف القرآن نفسه، واختصاراً للجهد والوقت فمن المهم التركيز على الأهم والمفيد في محتوى الكتاب، وسأقتبس منه بعضاً من عناوينه وسطوره مع التعليق عليه، بما أمكن، وسوف أجمع المواضيع المتشابهة والمتجانسة ليسهل على القارئ معرفة محتوى (الكتاب) ببسر وسهولة؛ وهو الجزء الثامن والأخير ومقارنة كل ذلك مع القرآن الكريم (كلام الله سبحانه).

14-8-1 روضة الكافي من أحاديث حول أفضلية الشيعة:

- حديث الكافي المطول عن فضل الشيعة الإمامية عن كل الناس:

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمرو بن أبي المقدام قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: خرجت أنا وأبي حتى إذا كنا بين القبر والمنبر إذا هو بأناس من الشيعة فسلم عليهم ثم قال: إني والله لأحب رياحكم وأرواحكم فأعينوني على ذلك بورع واجتهاد واعلموا أن ولايتنا لا تنال إلا بالورع والاجتهاد ومن ائتم منكم بعبد فليعمل بعمله، أنتم شيعة الله وأنتم أنصار الله وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون والسابقون في الدنيا والسابقون في الآخرة إلى الجنة، قد ضمناً لكم الجنة بضمن الله عز وجل وضمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والله ما على درجة الجنة أكثر أرواحاً منكم فتنافسوا في فضائل الدرجات، أنتم الطيبون ونسألكم الطيبات كل مؤمنة حوراء عيناء وكل مؤمن صديق، ولقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: لقبر: يا قنبر ابشر وبشر واستبشر، فوالله لقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله وهو على أمتة ساخط إلا الشيعة. ألا وإن لكل شيء عزاً وعز الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شيء دعامة ودعامة الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شيء ذروة وذروة الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شيء شرفاً وشرف الإسلام الشيعة. ألا وإن لكل شيء سيداً وسيد المجالس مجالس الشيعة. ألا وإن لكل شيء إماماً وإمام الأرض أرض تسكنها الشيعة،..... إلى آخر الحديث.

- حديث الكافي عن فرج الشيعة بالقتل وظهور الحسني واليماني والشامي:

وعنه، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن يعقوب السراج قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): متى فرج شيعتكم؟ قال: فقال إذا اختلف ولد العباس ووهى سلطانهم وطمع فيهم من لم يكن يطمع فيهم وخلعت العرب أعنتها ورفع كل ذي صيصية صيصيته وظهر الشامي وأقبل اليماني وتحرك الحسني وخرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة بتراث رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: ما تراث رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: سيف رسول الله ودرعه وعمامته وبرده وقضيبه ورايته ولامته وسرجه حتى ينزل مكة فيخرج السيف من غمده ويلبس الدرع وينشر الراية، والبردة والعمامة ويتناول القضيب بيده ويستأذن الله في ظهوره فيطلع على ذلك بعض مواليه فيأتي الحسني فيخبره الخبر فيبتدر الحسني إلى الخروج، فيثب عليه أهل مكة فيقتلونه ويبعثون برأسه إلى الشامي فيظهر عند ذلك صاحب هذا الأمر فيبایعه الناس ويتبعونه. ويبعث الشامي عند ذلك جيشاً إلى المدينة فيهلكهم الله عز وجل دونها ويهرب يومئذ من كان بالمدينة من ولد علي (عليه السلام) إلى مكة فيلحقون بصاحب هذا الأمر ويقبل صاحب هذا الأمر نحو العراق ويبعث جيشاً إلى المدينة فيأمن أهلها ويرجعون إليها.

- حديث الكافي: بأفضلية الشيعة وهلاك مخالفهم:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن سيار أبي عمرة، عن أبي مريم الثقفي: عن عمار بن ياسر قال: بينا أنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الشيعة الخاصة الخالصة منا أهل البيت، فقال عمر: يا رسول الله عرفناهم حتى نعرفهم، فقال رسول (صلى الله عليه وآله): ما قلت لكم إلا وأنا أريد أن أخبركم ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنا الدليل على الله عز وجل وعلي نصر الدين ومنارة أهل البيت وهم المصابيح الذين يستضاء بهم، فقال عمر: يا رسول الله فمن لم يكن قلبه موافقاً لهذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما وضع القلب في ذلك الموضع إلا ليوافق أو ليخالف فمن كان قلبه موافقاً لنا أهل البيت كان ناجياً ومن كان قلبه مخالفاً لنا أهل البيت كان هالكا.

حديث الكافي حول تأويل وتحريف القرآن الكريم:

الحديث: قال جماعة، عن سهل، عن محمد، عن أبيه [عن أبي محمد]، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عز وجل: "والشمس وضحيها" قال: الشمس رسول الله صلى الله عليه وآله به أوضح الله عز وجل للناس دينهم، قال: قلت: "القمر إذا تليها"؟ قال: ذاك أمير المؤمنين (عليه السلام) تلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونفته بالعلم نفثا قال: قلت: "والليل إذا يغشيها"؟ قال: ذاك أئمة الجور الذين استبدوا بالأمر دون آل الرسول (صلى الله عليه وآله) وجلسوا مجلساً كان آل الرسول أولى به منهم فغشوا دين الله بالظلم والجور فحكى الله فعلهم فقال: "والليل إذا يغشيها" : قال: قلت: "والنهار إذا جليها"؟ قال: ذلك الإمام من ذرية فاطمة (عليها السلام) يسأل عن دين رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيجليه لمن سألته فحكى الله عز وجل قوله فقال: "والنهار إذا جليها".

- حديث عن دين ودولة آدم ودولة إبليس تقول فج على الله:

قال محمد بن أبي عبد الله، ومحمد بن الحسن جميعاً، عن صالح بن أبي حماد، عن أبي جعفر الكوفي، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن الله عز وجل جعل الدين دولتين دولة لآدم (عليه السلام) ودولة لإبليس فدولة آدم هي دولة الله عز وجل فإذا أراد الله عز وجل أن يعبد علانية أظهر دولة آدم وإذا أراد الله أن يعبد سراً كانت دولة إبليس، فالمذيع لما أراد الله ستره مارق من الدين.

- حديث عن خرافة الحوت والزلازل:

عنه، وعن صالح عن بعض أصحابه، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن الحوت الذي يحمل الأرض أسر في نفسه أنه إنما يحمل الأرض بقوته فأرسل الله تعالى إليه حوباً أصغر من شبر وأكبر من فتر فدخلت في خياشيمه فصعق، فمكث بذلك أربعين يوماً ثم إن الله عز وجل رؤوف به ورحمه وخرج فإذا أراد الله عز وجل بأرض زلزلة بعث ذلك الحوت إلى ذلك الحوت فإذا رآه اضطرب فترلزت الأرض.

- حديث عن خرافة ذوالفقار (سيف) نزل من السماء دليل على لصق الإرهاب بالرسول:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن محمد بن أشيم عن صفوان بن يحيى قال: سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن ذي الفقار سيف رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: نزل به جبرائيل (عليه السلام) من السماء وكانت حلقة فضة. ما جاء بروضة الكافي من أحاديث وفيها الحضور القوي للفكر اليهودي:

- حديث الكافي وت قوله على الله والنبي موسى وسماعات التوراة.

قال علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن علي بن عيسى رفعه قال إن موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته: يا موسى إني أنا الله فوق العباد والعباد دوني وكل لي داخرون فاتهم نفسك على نفسك ولا تأتمن ولدك على دينك إلا أن يكون ولدك مثلك يحب الصالحين. يا موسى اغسل واغتسل واقترب من عبادي الصالحين. يا موسى كن إمامهم في صلاتهم وإمامهم فيما يتشاجرون واحكم بينهم بما أنزلت عليك فقد أنزلته حكماً بيناً وبرهاناً نيراً ونوراً ينطق بما كان في الأولين وبما هو كائن في الآخرين.

أوصيك يا موسى وصية الشفيق المشفق بابن البتول عيسى ابن مريم صاحب الأتان والبرنس والزيت والزيتون والمحراب ومن بعده بصاحب الجمل الأحمر الطيب الطاهر المطهر، يا موسى أنت عبدي وأنا إلهك، لا تستذل الحقيير الفقير ولا تغبط الغني بشيء يسير وكن عند ذكري خاشعاً وعند تلاوته برحمتي طامعاً واسمعني لاذة التوراة بصوت خاشع حزين، اطمئن عند ذكري وذكر بي من يطمئن إلى واعبدني ولا تشرك بي شيئاً وتحرم مسرتي، إلى آخر الحديث.

- حديث عن خرافة شجرة الخرنوبة التي تتكلم مع سليمان:

شجرة الخرنوبة وحديث سليمان عليه السلام: روى ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل أوحى إلى سليمان بن داود (عليهما السلام) أن آية موتك أن شجرة تخرج من بيت المقدس يقال لها: الخرنوبة قال: فنظر سليمان يوماً فإذا الشجرة الخرنوبة قد طلعت من بيت المقدس، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخرنوبة، قال: فولى سليمان مدبراً إلى محرابه فقام فيه متكئاً على عصاه فقبض روحه من ساعته، الخ

- حديث الكافي عن الحسين وأنه أشبه الناس بموسى بن عمران عليه السلام:

عنه، عن صالح، عن محمد بن عبد الله، عن عبد الملك بن بشير، عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) قال: كان الحسن (عليه السلام) أشبه الناس بموسى بن عمران ما بين رأسه إلى سرتة وإن الحسين (عليه السلام) أشبه الناس بموسى بن عمران ما بين سرتة إلى قدمه.

- حديث الكافي عن وراثة صحف إبراهيم وموسى وعيسى:

قال أحمد بن محمد بن أحمد الكوفي، عن علي بن الحسن التيمي، عن علي بن أسباط، عن علي بن جعفر قال: حدثني معتب أو غيره قال: بعث عبد الله بن الحسن إلى أبي عبد الله (عليه السلام) يقول لك أبو محمد: أنا أشجع منك وأنا أسخى منك وأنا أعلم منك فقال لرسوله:

أما الشجاعة فوالله ما كان لك موقف يعرف فيه جنبك من شجاعتك وأما السخاء فهو الذي يأخذ الشيء من جهته فيضعه في حقه وأما العلم فقد أعتق أبوك علي بن أبي طالب (عليه السلام) ألف مملوك فسم لنا خمسة منهم وأنت عالم، فعاد إليه فأعلمه ثم عاد إليه فقال له: يقول لك أنت رجل صحفي، فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): قل له: إي والله صحف إبراهيم وموسى وعيسى ورتتها عن آبائي عليهم السلام.

14-8-2 روضة الكافي وخرافة المهدي المنتظر:

جاءت فكرة المهدي المنتظر أو المخلص والتي دونت بنصوص أغلب العقائد والفكر الديني القديم، وغيرها من العقائد، وهذه الفكرة نشأت في ذهن الإنسان البدائي الأولى وتعاقبت هذه الفكرة المندسة، لاستشعار الحاجة للخلاص من الظلم والاضطهاد، وإحلال السلام على الأرض، وقد قيل عنها كثير من الحكايات والخرافات، ثم تحولت إلى عقيدة دينية كما في ديانة اليهود والتصريح بعودة إيليا بالتوراة⁽¹⁾ وكذلك في الزرادشت، ورجوع المسيح عيسى لدى المسيحيين ولكل عقيد مخلص خاص بها، وقد نقلت من تلك الموروثات إلى المذهبين السني والشيعي الذي تحدث عن ظهور القائم وظهور السفيناني واليماني، من أجل عودة الإمام المهدي كما سبق.

ومن هذه الخرافات وغيرها تشربوا الأفكار المشحونة بالكراهية ضد الآخر، فكانت مادة مستترة للحروب على فترات من تاريخ الصراع والحروب التي استعدوا لها واختلقوا حول مكان وأسماء المعركة الأخيرة الفاصلة بين من يمثل الخير والشر مثل: معركة هرمجدون المزعومة على نهر الفرات في بابل⁽²⁾، والسؤال لماذا بلاد بابل (العراق) بالذات؟ وهل لتحديد المكان هذا ارتباط بالانتقام الذي يسعى إليه اليهود من العراق ومن حضارة بابل؟ أسئلة كثيرة مشروعة حول هذا الموضوع. وهكذا جعلوا يعدّون العدة للخروج للمعارك بهذه الخرافات وجلبوا الناس تعد العدة لمعارك الخلاص الوهمية، مستخدمين النصوص الدينية الممزوجة بالخرافة والتضليل لقيام أكثر من معركة والمشاركة فيها، وفي السياق نفسه فإن السعي ما زال مستمراً نحو سباق التسلح وامتلاك الأسلحة الفتاكة لأسباب وأكاذيب تحكيها جماعة التحريف وما زال سعيها مستمراً لتدمير العالم، حسب تنبؤات دينية قديمة كاذبة ومن أحاديث العنينة وخرافة المهدي الواردة في روضة الكافي وغيره.

- حديث عن بعث القائم (المهدي المنتظر) نقمة على الناس:

وعنه، عن صالح، عن محمد بن عبد الله بن مهران، عن عبد الملك بن بشير، عن عثيم بن سليمان، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إذا تمنى أحدكم القائم فليتمنه في عافية فإن الله بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) رحمة ويبعث القائم نقمة.

- حديث عن علامات قبل قيام القائم:

(1) انظر العهد القديم - كتاب ملاخي . النص: (5) «هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف، 6 فيرد قلب الآباء على الأبناء، وقلب الأبناء على آبائهم. لنلا آتي وأضرب الأرض بلعن».

(2) انظر العهد القديم - التوراة - رؤيا يوحنا اللاهوتي النص: 16 فجمعهم إلى الموضع الذي يدعى بالعبرانية «هرمجدون».

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبي أيوب الخزاز، عن عمر بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة والسفياني والخسف وقتل النفس الزكية واليماني، فقلت: جعلت فداك إن خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات أنخرج معه؟ قال: لا، فلما كان من الغد تلوت هذه الآية "إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين" فقلت له: أهي الصيحة؟ فقال: أما لو كانت خضعت أعناق أعداء الله عز وجل

- حديث عن الناصب لأهل البيت:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال عن علي بن عقبة، عن عمر بن أبان، عن عبد الحميد الوابشي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: إن لنا جار ينتهك المحارم كلها حتى أنه ليرتك الصلاة فضلاً عن غيرها؟ فقال سبحان الله وأعظم ذلك إلا أخبركم بمن هو شر منه؟ قلت: بلى قال: الناصب لنا شر منه، أما إنه ليس من عبد يذكر عنده أهل البيت فيرق لذكرنا إلا مسحت الملائكة ظهره وغفر الله له ذنوبه كلها، إلا أن يجئ بذنب يخرج من الإيمان وإن الشفاعة لمقبولة وما تقبل في ناصب وإن المؤمن ليشفع لجاره وما له حسنة، فيقول: يا رب جاري كان يكف عني الأذى فيشفع فيه، فيقول الله تبارك وتعالى: أنا ربك وأنا أحق من كافأ عنك فيدخله الجنة وما له من حسنة وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً فعند ذلك يقول أهل النار: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم.

- حديث عن تقسيم الناس لثلاثة طبقات عربي ومولى وعلج:

قال عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن جهم بن أبي جهيمة، عن بعض موالي أبي الحسن (عليه السلام) قال: كان عند أبي الحسن موسى عليه السلام رجل من قريش فجعل يذكر قريشاً والعرب فقال له أبو الحسن (عليه السلام) عند ذلك: دع هذا، الناس ثلاثة: عربي ومولى وعلج فنحن العرب وشيعتنا الموالي ومن لم يكن على مثل ما نحن عليه فهو علج فقال القرشي: تقول هذا يا أبا الحسن فأين أفخاذ قريش والعرب؟ فقال أبو الحسن (عليه السلام): هو ما قلت لك.

- حديث عن عمل القائم بالناصب من ضرب الأعناق ودفع الجزية:

عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن الأحول، عن سلام بن المستنير قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يحدث إذا قام القائم عرض الإيمان على كل ناصب فإن دخل فيه بحقيقة وإلا ضرب عنقه أو يؤدي الجزية كما يؤديها اليوم أهل الذمة ويشد على وسطه الهميان ويخرجهم من الأمصار إلى السواد.

- حديث الكافي يروي عن موقف إبليس من تولى علي بن أبي طالب الولائية بغدير خم:

قال محمد بن يحيى، عن أحمد بن سليمان، عن عبد الله بن محمد اليماني، عن مسمع ابن الحجاج عن صباح الحذاء، عن صباح المزني، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما

أخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيد علي (عليه السلام) يوم الغدير صرخ إبليس في جنوده صرخة فلم يبق منهم أحد في بر ولا بحر إلا أتاه فقالوا: يا سيدهم ومولاهم ماذا دهاك فما سمعنا لك صرخة أوحش من صرختك هذه؟ فقال لهم: فعل هذا النبي فعلاً إن تم لم يعص الله أبداً... إلى آخر الحديث.

من أحاديث أبي عبد الله الحسين عليه السلام ووصم أتباعه بالعصاة:

رسالة أبي عبد الله الحسين جاءت مستوحاة من تأثير فكر عقائد المسيحيين الخاص بأعمال الرسل لنشر بشارة المسيح والإنجيل إلى أقاصي الأرض، مثل رسالة بولس وبطرس، حسب ما نسب لأبي عبد الله الحسين، وهو من هذا الرسالة بري رضي الله عنه، فقد وصف جماعته المؤمنة بالعصاة بأكثر من موضع بأول افتتاح كتاب الروضة الجزء الثامن من "الكافي" الصفحة (2) كما أسلفنا ولفظ عصاة غير لفظ جماعة أو عصابة أو طائفة، فهذا اللفظ كرره الكليني بقصد وتعمد أكثر من مرة، ولا يمكن أن يكون القصد منه حسن النية لكون كلمة (عصاة) تستخدم بصورة شائعة في التصرفات المخلة بالنظام، والسكينة العامة، كعصاة اللصوص، وعصاة القراصنة، وسوف أقتبس بعض من تلك الرسالة التي يظهر فيها هذا الوصف "العصاة" من مبتدأها في الآتي:

الحديث.. محمد بن يعقوب الكليني، قال: حدثني علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضال، عن حفص المؤذن، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، وعن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن محمد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه كتب بهذه الرسالة إلى أصحابه وأمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها، فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها. قال: وحدثني الحسن بن محمد، عن جعفر بن محمد بن مالك الكوفي، عن القاسم بن الربيع الصحاف، عن إسماعيل بن مخلص السراج، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: خرجت هذه الرسالة من أبي عبد الله (عليه السلام) إلى أصحابه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاسألوا ربكم العافية، وعليكم بالدعة والوقار والسكينة، وعليكم بالحياء والتنزه عما تنزه عنه الصالحون قبلكم، وعليكم بمجاملة أهل الباطل، إلخ.

- وقال: أيتها العصاة المرحومة المفلة إن الله أتم لكم ما آتاكم من الخير، إلخ.
- وإياكم أيتها العصاة المرحومة المفضلة على من سواها، إلخ.
- وقال: اتقوا الله أيتها العصاة وإن استطعتم ألا يكون منكم محرر الإمام، إلخ.
- واعلموا أيتها العصاة أن السنة من الله قد جرت في الصالحين، وغيرها.

ثم اختتم هذا الجزء من كتاب الروضة "الكافي" بمثل ما ابتدأ به من وصف جماعته المؤمنة بالعصاة بعنوان ما "لاحق": فقد وعدنا في بداية هذا المجلد أن نورد رسالة أبي عبد الله (عليه السلام) إلى أصحابه بتمامه في آخره، وقد حان أن نفي بما وعدناه حسب ما جاء في الآتي:

الحديث: علي، عن أبيه، عن ابن فضال، عن حفص المؤذن، عن أبي عبد الله عليه السلام، وعن ابن بزيع، عن محمد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كتب بهذه الرسالة إلى أصحابه وأمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها وكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها، وعن ابن سماعة عن جعفر بن محمد بن مالك الكوفي عن القاسم بن الربيع الصحاف عن إسماعيل بن مخلد السراج قال: خرجت هذه الرسالة من أبي عبد الله (عليه السلام) إلى أصحابه: بسم الله الرحمن الرحيم (أما بعد فاسألوا الله ربكم العافية، وعليكم بالدعة والوقار والسكينة، وعليكم بالحياء والتتزه عما تنزه عنه الصالحون قبلكم، وعليكم بمجاملة أهل الباطل، تحملوا الضيم منهم، وأياكم ومماضتهم دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستموهم وخالطتموهم وناز عتموهم الكلام فإنه لا بد لكم من مجالستهم ومخالطتهم ومنازعتهم الكلام بالتقية التي أمركم الله أن تأخذوا بها وقال: أيتها العصابة الحافظ الله لهم أمرهم عليكم بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله، إلخ.

وقال: أيتها العصابة المرحومة المفلحة إن الله تعالى أتم لكم ما آتاكم من الخير، إلخ. أيتها العصابة المرحومة المفضلة على من سواها اتقوا الله، إلخ. واعلموا أيتها العصابة أن السنة من الله قد جرت في الصالحين فاتقوا الله، إلخ. أيتها العصابة الناجية إن أتم الله لكم ما أعطاكم، إلخ. وقال: أيتها العصابة الحافظ الله لهم أمرهم عليكم بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله، إلخ.

فهل يعي المسلمون ليقروا ما بين السطور؟ وهل تكرر لفظ (العصابة) بريء؟

إن أعمال جماعة التحريف ما زال مستمرة وقد حان الوقت لإعمال العقل والقلب السليم الذي خاطبه الله سبحانه الناس لفهم مخاطر هذه الجماعة (جماعة التحريف) في كل العقائد والمذاهب على مر التاريخ الإنساني، وقد حان الوقت لتخليص المجتمع الإنساني من هذا الزيف والتحريف، وإعادة قراءة الفكر الإسلامي على هدى وبصيرة وتعقل والله المستعان.

الفصل الخامس عشر

فقه تحريف أحاديث السنة (صحيح البخاري أنموذجاً)

مدخل:

قُسِّمَ كتاب صحيح البخاري أو صُنِّفَ إلى قرابة سبعة وتسعين كتاباً، وفي كل كتاب عدد من الأبواب، وقد عمد البخاري إلى التقسيم النوعي لعناوين كتابه، بغرض تشتيت ذهن القارئ وجعل رواية أحاديث العنونة فيه متصلة الإسناد للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، بخلاف "الكافي" الذي كان أغلب روايات أحاديث العنونة فيه تتصل بأحد الأئمة أو بعدد من الأئمة، ونادراً ما جاء سند الاتصال بقول الحديث للنبي، كما أن تقسيم "الكافي" مرن وسهل إلى حد ما، وكليهما يتوافقان في المحتوى الموضوعي للمادة المقدمة، مع بعض التغيير في الشكل أو الاختلاف هنا وهناك، إلا أن الهدف واحد وهو التحريف، وقبل الخوض في هذا الكتاب تعالوا معي للتعريف بشخصية البخاري، والبحث عن مولده وموطنه، ولغته ووفاته وشيوخه،، إلخ.

التعريف بالبخاري:

شدني الركب الذي سار فيه جمع كبير من الباحثين للتعريف بشخصية محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (194 - 256هـ)، الأسطورة في رواية علم الحديث، والبحث عن المخطوط الأصلي لكتابه المسمى (كتاب صحيح البخاري)⁽¹⁾، وقبل أن أبدأ بالتعريف بالبخاري تساءلت في نفسي، وماذا يهمني من شخص البخاري أو شخص الكليني أو شخص (س) أو (ص) من الناس طالما وأنا أبحث عن الموضوع أو المادة التي قدمها البخاري أو غيره، ولذلك فلا يهمني أن يكون البخاري شخصاً حقيقياً أو شخصية مجازية أو مستعارة طالما وبين يدي مادة ملموسة أستطيع تفحصها، ودراستها، ومقارنة مواضيعها بكلام الله سبحانه (القرآن الكريم) وهو لب الموضوع في معرفة البخاري، ومسلم وأبي عبدالله الحسين، والشافعي، وجعفر الصادق وابن حنبل، والأشعري والترمذي وابن ماجه، وداود والنووي والنسائي وغيرهم من قائمة فكر المذاهب الإسلامي!

ومن أجل قراءة فاحصة لمحتوى كتاب صحيح البخاري، والرد عليه بالمقابلة مع آيات القرآن الكريم والتعليق المقتضب عليه بما أمكن فقد اهتمت إلى ترتيب جديد لبعض مواضيع محتوى كتاب صحيح البخاري ولملمة العناوين المبعثرة في عناوين متقاربة مع بعضها، واعتمدت على وضع العناوين المتقاربة والمتجانسة، وصنفتها بمسمى يندرج ضمنها عدد من تلك العناوين، تسهياً للرد ومقابلة محتواها مع القرآن الكريم، وتسهياً للقارئ للاطلاع ولما فيه تحقيق الفائدة المرجوة من ذلك، وقد اعتمدت النسخ الإلكتروني من نسخة صادرة عن دار

(1) انظر كتاب صحيح البخاري. نهاية أسطورة الطبعة الأولى 2017م / رشيد أيلال . الفصل الثالث والفصل الخامس

ابن كثير للنشر: بيروت: 1987م، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا جزاه الله خير الجزاء والنسخة تحوي قرابة (7124) من أحاديث صحيح البخاري⁽¹⁾، جاءت بعناوين حَوّت ألف وخمسمئة باب وعنوان تقريباً، مع نسخة ورقية أخرى لصحيح البخاري صدرت عن دار السلام – الطبعة الثانية 1999م،⁽²⁾ وقد جاء في تعريف محتوى هذه النسخة من أنها تحتوي على (97) مصنف كتاب، و(7563) حديثاً، حسب ما ضبطه الحافظ، منها (2602) أحاديث مكررة، وجاء بالقول بمقدمة ترجمة هذه النسخة أن البخاري استخرج هذه الأحاديث من أصل ستمائة ألف حديث، وأنه لم يضع حديثاً إلا بعد أن كان يصلي ركعتين، ثم يتيقن من صحة الحديث، وقد أخذ في تصنيف هذا الكتاب (صحيح البخاري) ستة عشرة سنة، وأنه كتبه عن ألف وثمانين نفس من الناس الملتزمين بالإيمان قولاً وعملاً، أما تلاميذه فهم كثر ويصل عددهم إلى تسعين ألف رجل تقريباً، حسب ما جاء في التعريف بالبخاري بمقدمة هذه النسخة المطابقة للنسخة الأميرية لصحيح البخاري حسب ما جاء بالتعريف والترجمة للكتاب، ومن الملاحظ أن هناك اختلافاً في أرقام الأحاديث في النسخة الالكترونية لكتاب صحيح البخاري الصادرة عن دار ابن كثير والنسخة الورقية الصادرة عن دار السلام، وهذا الاختلاف لا يؤثر على موضوع الحديث محل الدراسة وموقعه في العنوان المدوّن فيه، لذا سوف أنسخ الحديث محل الدراسة والمقارنة من دون إعطاء رقم لظهور الاختلاف في الترقيم بين النسختين وسوف اكتفي بنسخ الحديث كما هو من النسخة الالكترونية للتسهيل.

وما يهمننا هو موضوع الحديث في كلا النسختين ومن النسخة الالكترونية اخترت لكم الأحاديث لمقابلتها بالقرآن الكريم والتعليق عليها من أجل زيادة الفائدة المعرفية، وفضح التحريف الحاصل فيها، كما أنني لم أقم بالبحث في كل الأبواب المعنونة في صحيح البخاري، بل أخذت بعض منها وارتباطها بالموضوع مباشرةً تسهيلاً للقارئ وخشية الإطالة، ومن أجل الوصول للحقيقة من أقصر طريق.

ومن الملاحظ أن البخاري كغيره استخدم أسماء غريبة وشاذة عن العربية لرواة أحاديثه منهم، مثلاً: (الاعمش، الأعرج. أبي هريرة، ابن عيينة، الزناد، خيثمة، قزعة، أبو الأسود، حرمي، النوفلي، السكوني، الحذاء، الحنظلي، حيوة، شريح، مجاشع، جهضم) وغيرها الكثير من الأسماء، كما استخدم مفردات وألفاظ غريبة وهابطة المعنى، توحى بالاستحغار والاستهزاء، فضلاً عن دس مفضوح لكثير من الخرافات والخزعبلات، وهذا العمل كان السمة الغالبة لدى غالبية كتب الحديث والفكر المذهبي الإسلامي بشقيه السني والشيوعي، ومنها صحيح البخاري المكوّن من الكتب والعناوين الآتية:

- كتاب: بدء الوحي. - كتاب: سترة المصلي. - كتاب: الكسوف.
- كتاب: الحج. - كتاب: الإجارة. - كتاب: الشركة.

(1) . نسخة الكترونية على الشبكة المعلومات الالكترونية قابلة للنسخ / مصطفى ديب البغا .
(2) . نسخة ورقية من كتاب صحيح البخاري / مؤسسة الحرمين الخيرية . مكتبة دار السلام الرياض. الطبعة الثانية 1999م

- كتاب: الجزية والموادعة.
- كتاب: النفقات.
- كتاب: الاستئذان.
- كتاب: استتابة المرتدين.
- كتاب: الإيمان.
- كتاب: مواقيت الصلاة.
- أبواب سجود القرآن.
- أبواب العمرة.
- كتاب: الحوالات.
- كتاب: الرهن.
- كتاب: بدء الخلق.
- كتاب: الأطعمة.
- كتاب: الدعوات.
- كتاب: الإكراه.
- كتاب: العلم كتاب الوضوء.
- كتاب: الأذان.
- أبواب تقصير الصلاة.
- أبواب الإحصار وجزاء الصيد.
- كتاب: الكفالة.
- كتاب: العتق.
- كتاب: الأنبياء.
- كتاب: العقيقة.
- كتاب: الرقاق.
- كتاب: الحيل.
- كتاب: الغسل.
- كتاب: الجماعة والإمامة.
- أبواب التهجد.
- أبواب فضائل المدينة.
- كتاب: الوكالة.
- كتاب: الهبة وفضلها.
- كتاب: المناقب.
- الذبائح والصيد.
- كتاب: القدر.
- كتاب: التعبير.
- كتاب: الحيض.
- كتاب: صفة الصلاة.
- أبواب التطوع.
- كتاب: الصوم.
- كتاب: المزارعة.
- كتاب: الشهادات.
- كتاب: فضائل الصحابة.
- كتاب: الأضاحي.
- كتاب: الإيمان والنذور.
- كتاب: الفتن.
- كتاب: التيمم.
- كتاب: الجمعة.
- أبواب العمل في الصلاة.
- كتاب: صلاة التراويح.
- كتاب: المساقاة (الشرب).
- كتاب: الصلح.
- كتاب: المغازي.
- كتاب: الأشربة.
- كتاب: كفارات الإيمان.
- كتاب: الأحكام.
- كتاب: الصلاة.
- أبواب صلاة الخوف.
- أبواب السهو.
- كتاب: الاعتكاف.
- كتاب: الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس.
- كتاب: الشروط.
- كتاب: التفسير.
- كتاب: المرضى.
- كتاب: الفرائض.
- كتاب: التمني.
- الصلاة في الثياب.
- كتاب: العيدين.

- كتاب: الجنائز. - كتاب: البيوع. - كتاب: الخصومات.
- كتاب: الوصايا. - كتاب: فضائل القرآن. - كتاب: الطب.
- كتاب: الحدود. - كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة. - أبواب القبلة.
- كتاب: الوتر. - كتاب: الزكاة. - كتاب: السلم.
- كتاب: اللقطة. - كتاب: الجهاد والسير. - كتاب: النكاح.
- كتاب: اللباس. - كتاب: المحاربين من أهل الكفر والردة. - كتاب: التوحيد.
- أبواب المساجد. - كتاب: الاستسقاء. - أبواب صدقة الفطر.
- كتاب: الشفعة. - كتاب: المظالم. - كتاب: الخمس.
- كتاب: الطلاق. - كتاب: الأدب. - كتاب: الديات.

ومن هذا الكم من الكتب، فقد أعدت فهرست بعض محتوى صحيح البخاري كما سبق القول من خلال تجميع المواضيع المتجانسة مع بعضها، وجمع كل مجموعة في مبحث مستقل يضم عدداً من الكتب، ثم نستعرض بعض أبوابها، ونختار بعض الأحاديث، ثم نبين موقف القرآن الكريم من المحتوى الذي قدمه البخاري مع بعض التعليقات التعريفية المختصرة ما أمكن، مع الإشارة إلى أن البخاري كرر الحديث الواحد في أكثر من باب ثم جاء بعناوين كثيرة لأبواب متعددة لا صلة لها بمحتوى العنوان الأصلي، كما أنه كان يكرر الحديث بمناسبة ومن غير مناسبة.

التوظيف السياسي للدين:

أورد البخاري عدداً من المصنفات (كتاب) التي دونها حسب هذا الجدول ابتداءً بباب الأحكام والخصومات، والمظالم وغيرها من العناوين، وصبغها بنصوص من أحاديث العنينة لإضفاء المشروعية الدينية عليها، وقسمها للحلال والحرام بنفس ما ذهب إليه التلمود والكافي، وهي في الحقيقة من العرف والأعراف التي تكونت عبر مراحل من التجارب الإنسانية، ومنها هذه الكتب والعناوين المضمنة في التصنيف الآتي:

- كتاب الأحكام أو الحكام. - كتاب الحوالات. - كتاب اللباس. - كتاب الديات.
- كتاب الخصومات (القضاء). - كتاب الكفالة. - كتاب الأطعمة. - كتاب فضل المدينة.
- كتاب المظالم. - كتاب الوكالة. - كتاب العقيدة. - كتاب الآداب.

- كتاب الصلح.
- كتاب المزارعة.
- كتاب الأشربة.
- كتاب الاستئذان (السلام).
- كتاب البيوع.
- كتاب المساقاة.
- كتاب المرضي.
- كتاب فضل المدينة.
- كتاب السلم.
- كتاب.
- كتاب الطب.
- كتاب الشفعة.
- كتاب الشركة.
- كتاب الذبائح.
- كتاب الديات.
- كتاب الرهن.
- كتاب العيدين.
- كتاب الشروط.
- كتاب المكاتب.
- كتاب الأضاحي.
- كتاب الإجارة.
- كتاب الهبة.
- كتاب اللقطة.

وقد أورد البخاري هذا العدد من الكتب، وجعلها ضمن منظومته التشريعية الدينية وصنفها بكتب وأبواب تزيد عن سبعمئة باب، حشر فيها أكثر من ألف وثلاثمائة حديث تقريباً من أحاديث العنقة، وهي تعادل ثلث كتاب صحيح البخاري من أجل التأكيد على مشروعية تلك العناوين على اعتبار أنها من أحكام الحلال والحرام والواجب والمندوب والمباح وغيرها، وهي في الحقيقة جزء من أعراف الناس المعتادة والمتغيرة في حياتهم اليومية، بل ذهب إلى التدخل في تفكيرهم واعتقاداتهم بغير ما أنزل الله سبحانه وزاد البخاري أن دسَّ أحاديث تتعلق بتوظيف الدين في مصلحة الإمام والحكام أو في مصلحة جماعة معينة من الناس، وشرع لنظام البيعة لاختيار الحاكم السياسي بنص ديني من فقه الحديث وربط الحاكم برباط من الدين أو ارتباطه بعصبوية النسب القرشي في المذاهب السنية، وهو ما يعد تكريساً للفئوية والعصبوية السياسية في نظام الحكم السياسي الديني في المجتمعات والشعوب العربية والإسلامية، وتكريساً للعنصرية السياسية في الحاكم ونظام الحكم المسمى (ال خليفة، الإمام، الولي، الوصي، المرشد) حسب نظرية الحق الإلهي (الثيوقراط).

والمعلوم أن بعض محتوى هذه الكتب المصنفة من البخاري قد اعتاد الناس على العمل بها منذ بداية الحياة البشرية الأولى، وظهرت في مدونات وتشريعات، ونقوش وآثار الحضارات الإنسانية القديمة، ومن أبرز تلك الحضارات حضارة بابل التي برزت فيها أول مدونات في القانون (قانون أرونمو - قانون لبت عشتار - وفانون أشنون) وكذلك شريعة حمورابي، الذي دَوَّن فيها أغلب عناوين هذه الكتب ضمن المسئلة القانونية لمدونته الشهيرة، إذ تعد تلك المسئلة أعلى قيمة حضارية معبرة عن تطور العرف، وصولاً إلى صياغة مواد قانونية منظمة وأمرة في حياة الإنسان القديم وما زالت تمثل قواعد لقوانين اليوم، وبتقديري فقد كان لليهود دور كبير في اقتباس الكثير من هذه العناوين، والموضوعات لكتبهم المقدسة مثل المدارس والتلمود اللذين أضفوا عليه صبغة دينية، ثم عمدوا لصبغها بمسحة دينية مقدسة في الحلال والحرام والواجب والمباح والمندوب والقياس والأمر والنهي بصورة مكثفة، ثم زادوا أن وسعوا دائرة التحريم، فتوسعت دائرة الخلاف فيما بينهم على اختلاف مدارسهم وطوائفهم

وفرقهم من الكهنة والحاخامات، وقد أوجدوا خلافات في المسألة الواحدة وقرروا أكثر من حكم فيها، فظهر التلمود مثلاً ككتاب لليهود أدعى مناصروه أنه الشريعة التفصيلية والمقيدة والمفسرة للتوراة من أجل تنظيم حياة اليهود بمختلف المجالات، وعلى ضوءه تم توظيف العقيدة اليهودية في مصلحة الحاخامات والكهنة والرهبان من سلالة محددة من آل هارون واللاويين وغيرهم، وليس فقط في الجانب الديني بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك في توظيف الدين في مصالحهم السياسية، وهو ما أظهر عقيدة اليهود بالعنصرية الدينية والسياسية، بالإضافة لما اقتبسوا من الألواح الأثني عشر للقانون الروماني، وليس ذلك بل جرى صبغ عقيدة المسيحيين بهذه الشرائع، فظهرت بها الكنيسة المسيحية بشقيها البروستانت والكاثوليك وما تفرع عنهما من طوائف كثيرة، تولد عنها أفكاراً وعقائد متصارعة، جلُّ مهمما تسخير الناس بأسم الرب لمصلحة البابوات والرهبان، والقساوسة، ومن هذا الوعاء الكبير لدى العقائد القديمة وغيره دست جماعة التحريف هذه العناوين في فكر المذاهب الإسلامي بشقيه السني / الشيعي، مشرعين من خلالها الحلال والحرام والواجب والمباح والمندوب والقياس والأجماع والناسخ والمنسوخ وغيرها، فتولدت المذاهب وتولد بينها الاختلافات الفقهية، بل أنهم زرعوا الخلاف بين المذهب الواحد والمسألة الواحدة، وظهرت المذاهب والفرق والجماعات الدينية الإسلامية مختلفة ومتصارعة، ثم عملوا على توظيف الدين سياسياً لمصلحة جماعات عصبوية وعنصرية، ومن ثم حصلت النزاع والفرقة ثم التكفير والتمزق والاقتتال وهي ما تتخذها بعض الجماعات الدينية منهجاً أساسياً في حياتنا المعاصرة اليوم، في وقت استطاع الفكر الإنساني أن يقدم أنموذجاً راقياً في أنظمة الحكم السياسي المختلفة ابتداءً بنظام الحكم الرئاسي (النظام الرئاسي في الولايات المتحدة الأمريكية) ونظام الحكم البرلماني (بريطانيا) والأنظمة الديمقراطية التي أعطت للإنسان قسطاً كبيراً من حريته في اختيار مؤسسات الحكم المدني بمختلف الأنظمة السياسية، وهو غاية ومقصد منهاج الله سبحانه وتعالى في الخلق، وسنته التي فطر الناس عليها، ومن المعلوم أن كلام الله سبحانه وتعالى قد جاء على لسان الرسل والأنبياء جميعاً الذين جاؤوا ليبينوا لنا حقيقة كلام الله سبحانه أبتدأ من (صحف إبراهيم وموسى، وتوراة موسى، وفرقان هارون وموسى، وزبور داوود، وإنجيل عيسى، والتي احتواها القرآن الكريم) فكان القرآن دليل منهاج حياة الأقوام السابقة واللاحقة، وفيه كل قواعد وأحكام الشعائر والمناسك والعبادات وقواعد الحلال وقواعد مفصلة للحرام بصيغ متعددة وعلى سبيل افعول ولا تفعل، ولتكون دلالات إرشادية للناس لسن التشريعات المنظمة (القانون) لحياة الشعوب والأمم على مسيرة الحياة في الحضارات الإنسانية المتعاقبة، وحسب الأرضية المعرفية والتطور المعرفي في الحياة من وقت لآخر.

فقد جاء القرآن الكريم كتاباً جامعاً لكلام الله سبحانه، بآيات ذات دلالة إرشادية من أجل العمل بالعرف كمصدر أساس، واعتبر العرف أم التشريعات في حياة الأمم والشعوب، وهو ما أكد عليه القرآن الكريم بشكل واضح وصريح، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: 199) ومن العرف جاءت تجارب الإنسان على نحو من الاعتياد والتكرار والأجماع للأفعال والأقوال التي أصبحت قوانين تنظم حياة الإنسان بمراحل

تطوره المعرفي والفكري كما في الحضارات الإنسانية القديمة حسب ما اشرنا إليه سابقاً، وظهرت أنظمة الحكم المختلفة وظهرت معها النظريات الاقتصادية بشقيها الرأسمالي والاشتراكي والشيوعي بالإضافة للنظريات السياسية المختلفة، مثل نظرية الحق الإلهي في الحكم والتي تعتبر بتقديري أقدم نظرية مارسها الإنسان في الحكم ثم نظام الحكم الملكي ونظام الحكم الرئاسي / الجمهوري، ونظام الحكم البرلماني وغيرها من الأنظمة والمبادئ والنظم السياسية المختلفة، والمتشعبة حسب رؤية المفكرين من الشعوب والأمم المختلفة التي تتوافق كثيراً على أن الشورى- الديمقراطية تعد أرقى أنظمة الحكم السياسي للإنسان في الحياة، وهو ما يتوافق مع منهج الله سبحانه، بل يأمر به الله سبحانه وتعالى بصورة ضمنية في كثير من آيات القرآن الكريم، كما جاء الكلام من القرآن حول الشورى في دولة سبأ المشار إليه بالقرآن الكريم مشيداً بنظام الشورى كنظام صالح لكل زمان ومكان، وحث القرآن الكريم على العلم والعمل بمجمل الفضائل الحسنة، وقيم العدالة والحرية والمساواة، وحرية الاعتقاد، وحقوق الإنسان والمساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق المدنية مع المحافظة على تمييز الأنثى عن الذكر، كما يدعو القرآن الكريم لرفاهية الإنسان على الأرض. وحتى لا أطيل في هذا الكم من العناوين أحيل القارئ لكتاب البخاري، وسوف أنقل بعضاً من تلك العناوين والكتب والأحاديث لوضع القارئ على الحقيقة مستشهداً بأبرز الأحاديث المتصلة بعناوين الكتاب، مبتدئاً بإظهار أهم الكتب التي تناولت توظيف الدين في المصالح السياسية لجماعات الدين السياسي. وقد سبق تكريس هذا النهج من جماعة التحريف في العقيدة المسيحية فخلقوا هيمنة كبيرة ومقدسة للكنيسة على مجمل حياة الناس السياسية والاقتصادية، والفكرية نتج عن ذلك ثورة أطاحت بعقيدة الكنيسة الدينية وحررت الإنسان من هيمنة وتسلط الدين السياسي، على حياة الناس، بل وذهبت أبعد من ذلك إلى أن خلقت فكراً مناقضاً لقيم الدين الحقيقي تمثل في خلق التيارات الإلحادية واللا دينية، وبالمقابل خلقت الجماعات اليمينية المتطرفة وهو ما يندرج بموجة صراع مستقبلي بدأت بواورها تتنامى، وحتى لا تتكرر هذه المآسي في المجتمعات الإنسانية المقبلة جراء الفكر المذهبي المتناقض، وخاصة في المجتمع العربي والإسلامي بسبب حالة الانقسام الحاد في هذا الفكر المضاد للقرآن الكريم أرتأينا أن نبين للقارئ الكريم حجم التحريف الذي وقع علينا في الفكر المذهبي، وخوفاً على شبابنا من الانزلاق نحو التطرف المذهبي المتشدد كما هو حاصل اليوم يقابله انزلاق آخر لشباب نحو هاوية الإلحاد بفعل التناقض العقائدي في خطاب المذاهب، والفرق والجماعات الدينية ضد بعضها البعض وضد خطاب القرآن، فكان لزاماً علينا تقديم هذا المؤلف الذي يقوم على المقارنة والمقابلة وفهم (فقه) نص فكر المذاهب مع القرآن الكريم من غير تفسير ولا تأويل القرآن، وهدفنا الأسمى الوصول إلى الحقيقة من طريق واحد، وليس غير الحقيقة، ولذلك سوف أختار بعضاً من هذه الكم الكبير من الكتب والعناوين المصنفة بكتاب صحيح البخاري ضمن الفقه المذهبي السني لاستعراض أهم الأحاديث التي استدلت بها البخاري على المشروعية الدينية في حياتنا، وعلى النحو التالي:

ما جاء بصحيح البخاري عن كتاب الأحكام (الحاكمية للدين السياسي):

أورد البخاري عدداً من الأحاديث سوف ننسخ بعض منها والمتصلة بهذا العنوان لنبين كيف أستطاع البخاري توظيف الدين في مصلحة الحاكم وجعل من الإمام الحاكم بمنزلة النبي في الدين والدنيا، وعلى النحو الآتي:

حديث البخاري: حدثنا عبدان، أخبرنا عبد الله عن يونس عن الزهري أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني).

الشاهد من الحديث: ربط طاعة الحاكم بماتلة بطاعة الرسول خلافاً لمنهج الله في القرآن ذلك أن طاعة الرسول بما يحمل من رسالة الله سبحانه هو الواجب ومن صميم الدين، بينما طاعة الحكم اخضعها القرآن لحكم الشورى.

حديث البخاري: حدثنا إسماعيل، حدثني مالك عن يحيى بن سعيد، قال أخبرني عبادة بن الوليد أخبرني أبي عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المنشط والمكره وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

الشاهد من الحديث: غير بالرواية العملية عن النبي وذكر البخاري هذه الرواية بقصد التضييل وجاء بقول (ننازع الأمر أهله) بقصد جعل أمر الحكم فتوي عصوي سلالي بالمخالفة للقرآن الكريم الذي أكد على الشورى قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الشورى (38)..

حديث البخاري: وت قوله على النبي بعنصرية الحكم السياسي في قريش. حدثنا أحمد بن يونس حدثنا عاصم بن محمد سمعت أبي يقول قال بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان. وحديث البخاري في بنفس السياق:

حدثني محمد بن المثنى، حدثنا غندر، حدثنا شعبة عن عبد الملك سمعت جابر بن سمرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يكون اثنان عشر أميراً فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي إنه قال كلهم من قريش.

الشاهد من الحديث: تقول البخاري الكاذب على النبي بعنصرية الحكم السياسي في قريش وهو ما يخالف منهج القرآن الكريم في التأكيد على حكم الشورى بذكره بسورة الشورى وذكر قصة حكم دولة سباء في القرآن كشاهد على ذلك حسب الآية المستدل بها سابقاً.

حديث البخاري: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد عن الجعد عن أبي رجاء عن بن عباس يرويه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية.

الشاهد من الحديث: حديث عن تكريس الظلم والطغيان في المجتمع والخنوع والاستسلام لما يكون من ظلم الخليفة أو الحاكم الغير رشيد، ومعلوم أن القرآن الكريم رفض ظلم الحكام كما في قصة فرعون قَالَ تَعَالَى: ﴿اذهب إلى فرعون إِنَّهُ طَغَى﴾ طه (43) ووصفه بالفساد والفساد آفة مدمرة قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ القصص (4). كما أن هلاك الأمم أمثالنا والتي كانت تعيش في الأرض كان بسبب الفساد ما يتوجب جهاده الحاكم الفاسد الظالم والجهاد بمعنى مقاومة الظلم والفساد، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا...﴾ المائدة (33). وليس الصبر والخنوع له كما تفعل بعض الجماعات الدينية.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما أن أعرابياً بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام فأصابه وعك، فقال أفلني بيعتي فأبى ثم جاءه فقال أفلني بيعتي فأبى، فخرج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كالكبير تنفي خبثها وتنصع طيبتها.

الشاهد من الحديث: عن أقصوصة الأعرابي (شخص من البدو الرحل) الذي رجع عن البيعة ورفض الرسول إعادة بيعته وأشار إلى طرده خارج المدينة وهذا التقول الكاذب يتنافى مع اخلاق النبي وكل الأنبياء حسب وصف القرآن الكريم قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء (107).

كتاب الخصومات (القضاء):

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث قال حدثني سعيد بن أبي سعيد سمع أبا هريرة رضى الله تعالى عنه، قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد.

الشاهد من الحديث: وفيه تقول على النبي باللد في الخصومة مخالفاً للقرآن الكريم الذي أورد صفات الأنبياء والرسول التي تقوم على المحبة والرحمة، ومنها صفة النبي محمد عليه الصلاة والسلام قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: 159).

كتاب المظالم:

جاء البخاري بعددٍ من الأبواب والأحاديث التي تظهر الجزاء المضاعف. حديث البخاري: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه رضى الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ من

الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين، قال الفربري قال أبو جعفر بن أبي حاتم قال أبو عبد الله هذا الحديث ليس بخراسان في كتاب بن المبارك أملاّت عليهم بالبصرة.

الشاهد من الحديث: وفيه يتقول على النبي بما يتناقض مع حقيقة العدل الإلهي في الجزاء السيئة بسيئة مثلها. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الشورى (40).

حديث البخاري: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل في بني إسرائيل يقال له جريج يصلي، فجاءته أمه فدعته فأبى أن يجيبها فقال أجيبها أو أصلي ثم أتته فقالت اللهم لا تمته حتى تراه المومسات، وكان جريج في صومعته فقالت امرأة لأفتتن جريجاً فتعرضت له، فكلمته فأبى فأنتت راعياً فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً فقالت هو من جريج فأتوه وكسروا صومعته فأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال من أبوك يا غلام قال: الراعي قالوا نبني صومعتك من ذهب قال لا من طين.

الشاهد من الحديث: التقول على النبي بحديث فيه من التندر والسخرية وهو دس من الفكر اليهودي (الاسرائيليات).

كتاب الشهادات:

حديث البخاري: حدثنا بن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر قال أخبرني زيد عن عياض بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل قلن بلى قال فذلك من نقصان عقلها. الشاهد من الحديث: التقول على النبي بتحقيق عقل المرأة في الشهادة وذلك بالمخالفة للقرآن الكريم.

كتاب بدء الخلق والوحي والعلم والإيمان والتوحيد:

ويضم هذا العنوان في صحيح البخاري ستة كتب، تم جمعها لكونها متجانسة مع بعضها مع تعدد عناوين المحتوى سرد فيها البخاري قرابة مئتين باب ومثله من أحاديث العنونة في عدداً من الكتب المصنفة ككتاب بدء الخلق. وكتاب بدء الوحي. وكتاب العلم. وكتاب الإيمان. وكتاب التوحيد. وكتاب القدر، وحتى لا نطيل على القارئ نذكر بعضاً منها مختصرين بقدر الإمكان وعلى النحو الآتي:

كتاب بدء الخلق:

حديث البخاري: حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم، فقال: (اقبلوا

البشرى يا بني تميم). قالوا: قد بشرتنا فأعطنا مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم). قالوا قد قبلنا يا رسول الله قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر قال: (كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض). فنادى مناد ذهبت ناقتك يا ابن الحصين فانطلقت، فإذا هي يقطع دونها السراب فوالله لوددت أني كنت تركتها.

الشاهد من الحديث: وت قوله عن الرسول حول وصف ذات الله وعرشه وذكر الناقة وما في ذلك من السخرية وركاكة اللفظ والمعنى في الاستشهاد .

حديث البخاري: حدثنا هبة بن خالد، حدثنا همام عن قتادة. وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، وهشام قال حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر يعني رجلاً بين الرجلين، فأتيت بطست من ذهب مليء حكمة وإيماناً، فشق من النحر إلى مرق البطن ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيماناً وأتيت بدابة بيضاء دون البغل وفوق الحمار البراق فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا قيل من هذا؟ قال جبريل قيل من معك قيل محمد قيل وقد أرسل إليه قال نعم قيل مرحباً...، ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه أذان الفيل في أصلها أربعة أنهار، نهران باطنان ونهران ظاهران، فسألت جبريل فقال أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران النيل والفرات، ثم فرضت على خمسون صلاة فأقبلت حتى جئت موسى فقال ما صنعت قلت فرضت على خمسون صلاة قال أنا أعلم بالناس منك عالجبت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق فارجع إلى ربك فسله فرجعت فسألته فجعلها أربعين ثم مثله ثم ثلاثين ثم مثله فجعل عشرين ثم مثله فجعل عشرين ثم مثله فجعلها خمسين فأتيت موسى فقال ما صنعت قلت جعلها خمسة فقال مثله قلت سلمت بخير، فنودي إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنه عشرًا) وقال همام عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (في البيت المعمور).

الشاهد من الحديث: لصق خرافة المعراج وشق بطن الرسول، وهي خرافة اقتبست من قصة معراج الكاهن الزرداشتي (آرادا فيرزدا ناماك)،⁽¹⁾ والقصة تحكي بحسب رواية الكاهن بعد عودة روحه لجسده حسب زعمه وتكلم أن روحه صعدت للسماء فاستقبلها الملك سرواش والإله أدور ومشيا على جسر جينفات العظيم (الصراط)، وقال: رأيت أرواح الموتى في الجنة وهم في رغد من العيش والنور والإشراق يشع من وجوههم، ورأيت موكب أرواح الكرماء الساطع وأرواح أخرى في ثياب مزينة بخيوط فضية وذهبية وأرواح على جبال من نور، وعلى قصور ومقاعد ذهبية، وغيرها من مشاهد الجنة الكثيرة وفي مشهد آخر قال: ومن جسر جينفات رأيت أرواح الأتمين على هيئة عاهرة عارية قدرة، ورأيت إنساناً كأفعى، ورأيت

(1) انظر أفسنا الكتاب المقدس للزرداشتيين . قصة المعراج الزرداشتي للكاهن (آرادا فيرزدا ناماك) / ترجمة . خليل عبد الرحمن . الطبعة الثانية 2008م

إنساناً يسلخ جلد رأسه وآخر يزعق من الجوع والعطش، ورأيت امرأة معلقة من صدرها وأخرى معلقة من لسانها في الجحيم وأخرى حفرت الجبل بنهديها، وأخرى معها مشط حديدي تمشط به جسدها ونهودها، ورأيت نساء ورجالاً معلقين بأرجلهم، وغيرها من المناظر القبيحة والمظلمة، وبعدها نقلت إلى مكان النور مكان الإله أورمازد والمقدسين الخالدين وقال "لي" أهلاً وسهلاً بك أيها النبيل الصالح فيراز رسول المازدياسنيين! عد إلى العالم المادي وأخبر الأحياء هناك بكل صدق عما رأيت، وعرفت هنا وعندما تكلم الإله أورمازدا أصابني الذهول لأنني رأيت نوراً ولم أر جسداً ولكنني سمعت صوتاً ففهمت بأن هذا هو أورمازد الخالق في العالم الروحي...، هكذا دست جماعة التحريف هذه الأقصوصة الخرافية عن المعراج والتي ما زال الكثير من المسلمين يحتفلون بها كمناسبة دينية سنوية، وكدليل على مشروعية فرض خمس صلوات في اليوم والليلة بالمخالفة الصريحة لما جاء في القرآن الكريم.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن أبي مسلمة عن مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إلى المشرق فقال (ها إن الفتنة ها هنا، إن الفتنة ها هنا من حيث يطلع قرن الشيطان). وحديث آخر للبخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل والفدايين أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم). وحديث آخر للبخاري: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن إسماعيل قال حدثني قيس عن عقبة بن عمرو أبي مسعود قال: أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده نحو اليمن فقال (الإيمان يمان هنا هنا إلا إن القسوة وغلظة القلوب في الفدايين عند أصول أذنان الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر).

والشاهد من الأحاديث السابقة وغيرها أنها لا صلة لها بالعنوان الرئيس ولمزيد من التوضيح نسرد التالي هو التركيز على أن الفتنة ستأتي من جهة المشرق والتقول على الرسول بمعرفة غيب المستقبل وماذا سيكون في مستقبل الأيام وهذا القول يخالف القرآن الكريم، وفيه من الجفأة والتعميم كما يظهر جانب من الاتهام والفجور بالخصومة، والرسول منه بريء، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107) كما أن القول كذباً على الرسول بوصف بعض العرب بالإيمان (اليمن) وشيطة الآخرين أو انهم قساة، غلاظ القلوب أو أنهم أذئاب، أو أنهم في قبيلتي ربيعة ومضر، وهو تقول مكذوب ويخالف ما جاء في القرآن الكريم الذي أكد على تفرد الله سبحانه بعلم الغيب قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام (59) وغيرها كثير.

حديث البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب عن خالد عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (فقدت أمة من بني إسرائيل لا

يدري ما فعلت، وإنني لا أراها إلا الفأر إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشرب وإذا وضع لها ألبان الشاة شربت)، فحدثت كعباً فقال أنت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقوله؟ قلت نعم قال لي مرار، فقلت أفقرأ التوراة؟

الشاهد من الحديث: في التقوّل المكذوب على النبي بوصف بعض بني إسرائيل بالفأرة وهو تقول بغيض وفيه من إنكاء الحقد والعنصرية المقيته ومخالف للقرآن قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات (13). ولا صلة له ببداء الخلق.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن يوسف حدثنا الأزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم، إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط فإذا قضي أقبل، فإذا ثوب بها أدبر فإذا قضي أقبل حتى يخطر بين الإنسان وقلبه، فيقول أذكر كذا وكذا حتى لا يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً، فإذا لم يدر ثلاثاً صلى أو أربعاً سجد سجدتي السهو.

حديث البخاري عن ضراط الشيطان أثناء النداء للصلاة وفيه السخرية بالقارئ وبرسول الله عليه السلام.

حديث البخاري: حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال قال حدثني عتبة بن مسلم قال أخبرني عبيد بن حنين قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم (إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في أحد جناحيه داء والآخر شفاء).

الشاهد من الحديث: تقوّل المكذوب على النبي حول الذباب وقذارته وأنها دواء ولا صلة له ببداء الخلق.

ويختتم البخاري كتاب بدء الخلق بحديث عن قذارة الذباب، وفي هذا التقوّل شاهداً على مدى الانحطاط الفكري الذي وصلت إليه جماعة التحريف للسخرية والاستخفاف بعقول العرب والمسلمين، على الرغم من أن كل هذه الأحاديث لا تمت بصلة إلى العنوان الرئيس لكتاب بدء الخلق، والغريب أن هناك أشخاص مازالوا يجادلون بصحة الدواء بجناحي الذباب حتى اليوم، مع العلم أن هذه اللغة المنحطة مرتبطة ببعض عناوين أسفار العهد القديم، ومن خلال كثرة هذه الأحاديث فأن البخاري تعمد ذكرها، كما تعمد خلط العناوين هبوطاً وصعوداً، ودس عناوين تظهر الاستخفاف والاستهزاء، كما في ضراط إبليس، وغمس الذباب في الشراب والطعام، وهو أمر مستقذر لدى عامة الناس.

ما جاء من القرآن الكريم حول بدء الخلق:

عند قراءتنا لآيات الذكر الحكيم التي تناولت بدء الخلق سنجد القرآن الكريم يفضح البخاري وجماعة التحريف حول ما دسسته من أحاديث العننة في هذا الموضوع، خاصة وقد

تحدث القرآن الكريم عن هذا الموضوع بأسلوب لا يحتاج إلى تعليق أو توضيح، إذ ذكر القرآن الكريم لفظ (خلق) بأكثر من مائة وخمسين آية، ولفظ (خالق) بأكثر من اثنتي عشرة آية، ولفظ (يخلق) بأكثر من ثماني عشرة آية، وسوف نذكر منها ما تيسر من دون تعليق.

• وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَا تَوَفَّكُونَ﴾ (يونس: 34).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الروم: 11).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الروم: 11).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿أَمَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ...﴾ (النمل: 64).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 29).

• وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ (البقرة: 164).

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: 190).

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ...﴾ (الأعراف: 54).

• وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ (إبراهيم: 32).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: 104).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ثَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج: 5).

• وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (النور: 45).

• وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يس: 36).

وعلى هذه الآيات وغيرها التي نسخنا البعض اليسير منها بما تدل على عظمة فعل الخلق من عظمة المخلوقات التي تتحدث عنها آيات القرآن، وهو ما يعجزنا عن إضافة أي تعليق لبيان القرآن المبين الصادر عن الله سبحانه للتعريف ببداية الخلق بصورة أجمالاً.

كتاب بدء الوحي:

أظهر صحيح البخاري الرسول محمد عليه الصلاة والسلام أشبه بمشعوذ بغار حراء الواقع بقمة أحد جبال مكة الذي يرتفع لأكثر من ثلاثمائة متر ويحتاج لأكثر من ساعة لبلوغ مكان الغار، حيث أظهروا النبي وجهه يتصبب من العرق، وجسمه يرتجف وهو يستقبل الوحي أو أثناء رؤيته لملائكة السماء بالغار، وسماعه أصواتهم وغير ذلك من الأمور التي صورها البخاري حسب ما تقول به من الأحاديث عن بدء الوحي، ومن تلك الأحاديث نذكر التالي:

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول) قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليتفصد عرقاً.

الشاهد من الحديث: تقول على النبي عند الوحي بإظهاره كمشعوذ يتفصد عرقاً وذكر صلصلة الجرس.

ما جاء في القرآن الكريم حول الوحي:

أوحى الله سبحانه وتعالى للسماء والملائكة والرسول ولبعض الناس، وكذلك للنحل وللمن شاء الله تعالى أن يوحى، وقد جاء القرآن الكريم بآيات تصف هذه المشاهد ببيد الألفاظ والمعاني خلافاً لما أرادت جماعة التحريف أن تتفوله به على الرسول بأحاديث العننة التي أرادت من خلالها حصر بدء الوحي بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والحقيقة فإن بدء الوحي كان منذ الخليقة الأولى للبشر، وليس كما قالت هذه الأحاديث التي شبهت الرسول بالكهنة والمشعوذين بوصف حاله عند تلقي الوحي. ومن الآيات التي أخبرت عن موضوع الوحي كثيرة سوف ننسخ بعض منها في الآتي:

• الوحي من الله سبحانه وتعالى للسماء: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت: 12).

•الوحي من الله تعالى للملائكة: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال: 12).

•الوحي من الله تعالى للأنبياء والرسل، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (النساء: 163).

•الوحي من الله تعالى لجماعة من الناس (الحواريين): قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة: 111).

•الوحي من الله إلى أم موسى: قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص: 7).

•كلام الله تعالى لا يكون إلا وحياً قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: 51) كما كلم موسى في آية أخرى.

•الوحي من الله تعالى للنحل قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ (النحل: 68).

هكذا كان الوحي في القرآن الكريم ولك أن تقارن بين كلام الله تعالى وأحاديث البخاري.

كتاب العلم:

تضمن كتاب العلم خمسين باباً تقريباً، يحوي ما يقارب سبعين حديث من أحاديث العنونة التي لا تمت بأية صلة للموضوع الرئيس، وليبيان ما قام به البخاري من تضخيم العناوين وعددها مع اختلافها عن المواضيع التي وردت فيها وحصر العلم بقصص سامجة وخرافات وغيرها نذكر بعض من الأحاديث المشتملة في كتاب العلم:

حديث البخاري: حدثنا إسماعيل، قال حدثني أخي عن بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين فأما أحدهما فبثنته وأما الآخر فلو بثنته قطع هذا البلعوم.

الشاهد من الحديث عن أبي هريرة وما فيه من تقوّل على النبي يحمل دلالة خطيرة من التشكيك لإضفاء مصداقية على الشيء المكذوب نفسه، فهو يعمل بالمقولة أكذب ثم أكذب حتى يصدقك الناس.

حديث البخاري: حدثنا أبو النعمان عارم بن الفضل قال حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال: تخلف عنا النبي صلى الله عليه وسلم في

سفرة سفرناها فأدركنا (وقد أرهقنا الصلاة) ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنأدى بأعلى صوته (ويل للأعقاب من النار). مرتين أو ثلاثاً.

الشاهد من الحديث: هو تقوُّله على النبي، ويل للأعقاب من النار بما لا علاقة له بكتاب العلم وهو قولاً فيه من الاستخفاف والأعقاب هي من جزء من القدم أسفل الساق .

حديث البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي). فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال (هي النخلة) وهناك حديث آخر مثله.

الشاهد من الحديث وتقوُّله على النبي عن (لغز) ورق النخل، ومعلوم أن شجرة النخلة لا ورق لها ولا صلة له بالعلم، وإنما قصد من هذه الأحاديث والألغاز السخرية لا غير.

حديث البخاري: حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، قال حدثني مالك عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس قال: أقبلت راكباً على حمار أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمنى إلى غير جدار فمررت بين يدي بعض الصف وأرسلت الأتان ترتع فدخلت في الصف فلم ينكر ذلك علي.

الشاهد من الحديث هو السخرية من الصلاة، كما أن لفظ الأتان كثيراً ما يستخدم في عبارات اليهود في تلمودهم وغير ذلك وهناك عيد مخصص للحمير – الأتان عند بعض اليهود.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن العلاء قال، حدثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء كرهها فلما أكبر عليه غضب ثم قال للناس (سلوني عما شئتم). قال رجل من أبي؟ قال (أبوك حذاقة). فقام آخر فقال من أبي يا رسول الله؟ فقال (أبوك سالم مولى شيبه) فلما رأى عمر ما في وجهه قال يا رسول الله إنا نتوب إلى الله عز وجل.

الشاهد من الحديث وتقوُّل على النبي وتشبيهه بعراف ومشعوذ ولا علاقة للحديث بموضوع العلم.

حديث البخاري: حدثنا صدقة، أخبرنا ابن عيينة عن معمر عن الزهري عن هند عن أم سلمة وعمرو ويحيى بن سعيد عن الزهري عن هند عن أم سلمة قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال (سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزائن أيقظوا صويحبات الحجر فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة).

الشاهد من الحديث: هو التقوُّل على النبي وعلى ذات الله سبحانه للتعجب بنزول الفتن من قبل الله سبحانه وهو قولاً منكراً وزوراً.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن سلام، قال أخبرنا أبو معاوية قال حدثنا هشام عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة قالت: جاءت أم سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن الله لا يستحيي من الحق فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم (إذا رأت الماء). فغطت أم سلمة تعني وجهها وقالت يا رسول الله وتحتلم المرأة؟ قال (نعم تربت يمينك فيم يشبهها ولدها).

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي وعن أهل بيته عن احتلام المرأة بقصد السخرية من النبي ومن المرأة.

ولمزيد من إثراء الموضوع من كل هذه الأحاديث:

الملاحظ أن أغلب هذه الأحاديث وغيرها من الأحاديث التي وردت في هذا الكتاب لا تمت للموضوع الأساس بصلة كما أشرنا سابقاً، وكأن البخاري أراد من هذه الأحاديث تفريغ المعنى الحقيقي للعلم في القرآن الكريم، وجعل العلم من خلال هذه الأحاديث وغيرها أشبه بخزعبلات، يستخف بها عقل القارئ كما هو واضح في هذه الأحاديث. ففي الحديث الأول يتحدث أبي هريرة أن هناك أحاديث مخفية لو قالها لقطع بلعومه، وحديث المسح على الأعقاب من أجل الوضوء، وحديث النخلة التي لا تتساقط ورقها ومعلوم أن النخل لا ورق لها بل لها سعف النخل، وحديث ذكر الحمار في الصلاة (الأتان) وحديث يرفع العلم بكثرة الفواحش، وحديث السؤال: من أنا يصور الرسول كعراف أو مشعوذ وحديث وعظ النساء وأخذ حلهم بحجة الصدقة، وحديث الحجاب للنساء من النار ولمن تقدم ثلاثة من الأولاد ولم يحدد نوع التقديم، هل يقصد قرابين أم غير ذلك، وحديث الفتن التي تنزل من السماء، ويقصدون بذلك أن الله سبحانه وتعالى ينزل الفتن من السماء لظلم الناس، تعالى الله عما يقولون، وحديث احتلام المرأة وإصاق السؤال على زوجة الرسول بقصد الاستخفاف والاستهزاء، وهناك أحاديث أخرى يخجل المرء من قراءتها، وإذا دققنا في اللغة والألفاظ التي استخدمت في هذا الكتاب سنجد أنها تتشابه كثيراً مع اللغة والألفاظ المستخدمة في أسفار التوراة والتلمود، وتكررت في الكافي وغيرها من كتب فكر المذاهب.

ما جاء في القرآن الكريم حول العلم:

ولكي نتضح لك أهمية العلم في القرآن الكريم حسب منهج الله سبحانه وتعالى، فقد ورد مصطلح (العلم) في القرآن الكريم بصيغ متعددة تزيد عن أربعمئة آية، منها (تعلمون) و(يعلمون) و(اعلموا) و(اعلم)، إلخ. والمقصود بالعلم هنا ليس علم البخاري والكافي وغيره، بل علم الله سبحانه وتعالى الذي كان المتلقي الأول له آدم عليه السلام (وعلم آدم الأسماء كلها) فكان هذا العلم بالشيء ومادة الشيء وفلسفة مادة الشيء والعلم بالروح والنفس والكون والمجرات والأفلاك والنجوم، والكواكب والسموات والفضاء الشاسع اللامتناهي في الكبر، وعلوم الطبيعة؛ كعلم الفيزياء، والكيمياء وعلم الأحياء، وعلوم الحساب، وعلم الذرة وعلم الفضاء وعلم الاتصالات والبرمجيات وعلم النقل الجوي، والبري والبحري وغيرها الكثير من

العلوم والمعارف، والقوانين المنظمة لها وصولاً إلى العلم بخلق الإنسان وأسرار خلقه، والحكمة من خلقه، وعلاقته بمن حوله من المخلوقات، وكل هذه المسميات تندرج ضمن التعريف بالعلم الذي أوتينا منه الشيء القليل. ومن خلال سرد عدد من آيات الذكر الحكيم المبينات الواضحات في بيان العلم يتضح لك مدى إسفاف البخاري بشأن العلم، وجعله محصوراً في خزعات وخرافات، من أجل وأد العقل العربي والإسلامي في الخرافات، سوف انسخ آية ذات دلالة حول العلم قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة (31). ومن ثمة احيل القاري لعنوان مستقل حول العلم في الجزء الثاني خشية الأطالة .

كتاب الإيمان:

تضمن كتاب الإيمان ما يقارب (42) باباً، ذكر البخاري فيها أكثر من خمسين حديثاً، للدلالة على مشروعية الإيمان، ومن قراءة تلك الأبواب والأحاديث ستجد أن غالبيتها ليس له علاقة بعنوان الكتاب، فقد حرف البخاري المعنى الحقيقي للإيمان الذي جاء بآيات القرآن الكريم من خلال حشر هذه الأبواب والأحاديث، نورد بعض من الأحاديث على النحو الآتي:

حديث البخاري: حدثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بني الإسلام على خمس شهادات، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان).

والشاهد من الحديث: أن البخاري جعل من هذه الشعائر أركاناً، والركن في البناء هو الشيء الثابت الذي لا يتبدل ولا يتغير ولا خيار فيه، بينما أغلب هذه الشعائر تؤدي بشروط، فمثلاً: الحج إذا لم يستطع المسلم الحج، فلا حج عليه، ومن لا يملك مالاً فلا زكاة عليه فكيف تكون هذه الشعائر أركاناً للإسلام؟

والحقيقة إن الإسلام يضم إلى جانب تلك الشعائر كل قيم الفضيلة من العلم والإيمان والعمل، والعدل والحق والحرية والخير والحب والجمال والسلام ونصرة المظلوم والإخاء الإنساني وحقوق الإنسان. فالإسلام باختصار جملة الفضائل التي يحب الله سبحانه وتعالى العمل بها لخدمة الإنسان أياً كان على وجه الأرض دون الاعتبار لجنسه ولونه ودينه ولغته، وليس بتلك الشعائر والمناسك وحدها (صلاة وصيام وزكاة وحج) التي حصر البخاري الإسلام بها وأطلق عليها أركان الإسلام.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد المسندي قال حدثنا أبو روح الحرمي بن عمارة قال حدثنا شعبة عن وافر بن محمد قال سمعت أي يحدث عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول

الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله).

والشاهد من الحديث: إن هذا الحديث وتقوله بلصق الإرهاب بالنبي من خلال قتاله للناس وإكراههم على دخول الإسلام وهو ما يخالف القرآن الكريم الذي أكد على حرية الاعتقاد، قَالَ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: 29).

حديث البخاري: الحديث: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن). قيل أيكفرن بالله؟ قال (يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط).

الشاهد من الحديث: في تقوله على النبي باحتقار المرأة وإصاق الكفر والجحود بها وقد تكرر هذا الحديث في كتب البخاري والرد عليه مسبقاً، ويظهر مدى التلاعب بالألفاظ في التعريف بالكفر وإصاقه بالنساء، وهذا ليس من الإسلام في شيء بل اقتبس مضمونه من عقائد اليهود، ومن قصة المعراج الزرادشتي للكهنة فيرازا بكتاب "أفستا المقدس" للمجوس، وهي قصة تكررت بشخص جدد في الكتاب المقدس للصابئة، الذي صبغ النساء بكفر العشرة، وهو حديث مغلوط وظالم للنساء، فالمرأة في الإسلام كالرجل في العلاقات الإنسانية والحقوق المدنية بل هن أكثر وُدّاً وحبّاً ووفاء، وقد اعطاء الإسلام المرأة ميزة أعلى مكانة من الرجل.

ما جاء في القرآن الكريم عن الإيمان:

جاء مفهوم الإيمان في القرآن الكريم، ليفضح البخاري في الكثير من المواقف والمحطات، وإذا أحصينا ذكر ألفاظ الإيمان في القرآن سنجد أنها ذكرت في أكثر من ثلاثمائة آية، بصيغ كثيرة، منها (الإيمان، آمن، آمنوا، يؤمن، يؤمنون، تؤمنون)، وقد بين القرآن الكريم حقيقة الإيمان بصورة واضحة وصريحة، بكونه حقيقة اعتقادية بوحداية الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء وليس كمثل شيء، ومما جاء في هذا الموضوع ننسخ بعضاً من الآيات المرتبطة بهذا الموضوع، وهذه الآيات بتقديري تجيب عن أسئلة كثيرة حول الإيمان والتعريف به ولا تحتاج لشرح منى لعظمة ودقة البيان وبلاغة المعاني التي تصورها نصوص هذه الآيات كما في:

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (البقرة: 108).

- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران: 177).
- قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الروم: 56).
- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 13).
- قَالَ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (البقرة: 208).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ (البقرة: 257).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: 285).
- قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: 16).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أُنْزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: 53).
- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أُوحِيتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة: 111).
- قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه: 82).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت: 56).
- قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: 3).
- وكفى بهذا بياناً عن الإيمان.

كتاب التوحيد (والرد على الجهمية وغيرها):

جاء ترتيب هذا الكتاب آخر عنوان من عناوين مؤلف صحيح البخاري، وقد اشتمل على أكثر من خمسين باباً، منها: باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾، باب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾، باب قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، وقوله الله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، باب قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾، باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، باب ميزان الأعمال والأقوال يوم القيامة.

ومن الأحاديث المشتملة في هذا العنوان من كتاب التوحيد وهي مائة وثمانين حديث تقريباً، أغلبها إن لم تكن كلها لا صلة لها بعنوان الكتاب، والحقيقة فإن لفظ التوحيد يعني الإيمان بوحداية الله سبحانه وتعالى، وقد جاء في القرآن الكريم تعريف الإيمان بالله تعالى بلفظ واضح وصريح كما أسلفنا، وهو عكس الكفر، إلا أن البخاري يسعى للتلاعب بالألفاظ، كما يتبين من خلال الأحاديث التالية:

حديث البخاري: حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا مغيرة حدثنا شقيق بن سلمة قال: قال عبد الله كنا نصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم فنقول السلام على الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله هو السلام، ولكن قولوا التحيات لله، الصلوات، والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الشاهد من الحديث: التقوُّل الكاذب على النبي بالتشهد بحضرة الله سبحانه وتعالى الواردة بقصة المعراج الكاذبة وقد سبق أن تطرقنا إليها مراراً، وحرف هذا القول بصلاة المسلمين في الصلاة ليحل محل ذكر الله في الصلاة وهي لب ومقصد الصلاة قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه (14). وهو ما يقوله ويردده المسلمين في شعيرة الصلاة حتى اليوم وفيه تحريف لمعاني الصلاة في قالب جامد ومحدد لا يتغير بالمخالفة للقرآن الكريم.

حديث البخاري: حدثنا بن أبي الأسود حدثنا حرمي حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال يلقي في النار وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس وعن معتمر سمعت أبا عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال يلقي فيها {وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} حتى يضع فيها رب العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض ثم تقول قد قد بعزتكم وكرمك، لا تزال الجنة تفضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة.

الشاهد من الحديث: التقوُّل على النبي وعلى الله سبحانه وتعالى بوضع قدمه في النار، وهي تقول قد قد، وفي رواية أخرى قط قط، والحديث قصد منه التشبيه والسخرية والاستهزاء والغلطة في التعذيب وهذا منكر من القول على ذات الله سبحانه وتعالى.

حديث البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا جرير عن منصور عن سالم عن كريب عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله فقال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً.

الشاهد من الحديث: التقوُّل على النبي بمشاركة الشيطان الإنسان في وطء المرأة.

حديث البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله قال ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية. الشاهد من الحديث: تقوله على النبي وعلى ذات الله سبحانه وتقوله بخرافة المسيح الدجال الأعور.

حديث البخاري: حدثنا إسحاق، حدثنا عفان حدثنا وهيب، حدثنا موسى بن عقبة حدثني محمد بن يحيى بن حبان عن بن محيريز عن أبي سعيد الخدري في غزوة بني المصطلق أنهم أصابوا سبايا فأرادوا أن يستمتعوا بهن، ولا يحملن فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن العزل، فقال ما عليكم ألا تفعلوا فإن الله قد كتب من هو خالق إلى يوم القيامة، وقال مجاهد عن قزعة سمعت أبا سعيد، قال، قال صلى الله عليه وسلم ليست نفسا مخلوقة إلا الله خالقها. الشاهد من الحديث: التقول الفاحش على النبي بإباحة الاستمتاع (نكاح) سبايا الحروب من النساء الأسيرات بالمخالفة للقرآن قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُتَخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال (67).

حديث البخاري: حدثنا خلاد بن يحيى حدثنا عيسى بن طهمان قال سمعت أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه يقول نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش، وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تقول إن الله أنكحني في السماء. الشاهد من الحديث: التقول الفج والفاحش والمنكر على النبي وعلى ذات الله سبحانه وتعالى ويظهر البخاري تلاعبه بالكلمات بالقول (أنكحني في السماء) والكذب من وجود آية الحجاب للنساء.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن وأصل عن المعرور، قال سمعت أبا ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن سرق، وإن زنى، قال وإن سرق وإن زنى. الشاهد من الحديث: تقوله على النبي بتصريح فعل الزنا والسرقه وغيرها بقصد التساهل في عمل المنكر في المجتمع وهذا يخالف القرآن كلياً.

حديث البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى يؤذيني بن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار.

الشاهد من الحديث: تقوله على النبي بوصف الله سبحانه بالدهر بالمخالفة للقرآن الكريم قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ) الأعراف (180)، كما أنه يتكلم عن الله مباشرةً بالمخالفة لما جاء في القرآن قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ الشورى (51).

حديث البخاري: حدثنا زهير بن حرب، حدثنا بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة فقال: هذه خديجة أتتك بإناء فيه طعام أو إناء فيه شراب فاقرئها من ربها السلام وبشرها ببیت من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

الشاهد من الحديث: أن أبو هريرة يروي عن الله مباشرةً بوصف بيت خديجة من القصب بلا صخب في الجنة بالمخالفة لما جاء في القرآن حسب الآية في الحديث السابق حول عدم العلم بالغيب .

حديث البخاري: حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن منصور عن أمه عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن ورأسه في حجري وأنا حائض. الشاهد من الحديث: التقول عن عائشة رضي الله عنها وفيه من الاستهزاء بالرسول والقرآن: (وقد تكرر مثل هذه الأحاديث التي تتحدث عن الحياة الخاصة للنبي وذكر (النحر والفخذ والحجر والحيض والرسول، ونساء الرسول "خاصة عائشة") وهو ما يعتبر إحياءات بذنية بحق أهل بيت النبي في الأمور الخاصة.

كتاب القدر:

أورد البخاري في هذا العنوان عدداً من الأبواب، وكثيراً من هذه الأحاديث لا صلة له بعنوان الكتاب، ويظهر مدى السخرية من أول حديث خطه في هذا العنوان، وكذلك استخدامه لغريب الألفاظ والمعاني والتقول الفاضح على الرسول، ومنها:

حديث البخاري: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال وكل الله بالرحم ملكاً فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال أي رب ذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد، فما الرزق، فما الأجل فيكتب كذلك في بطن أمه.

الشاهد من الحديث: تقوله الفاضح والفاحش والبذي على النبي حول الملك الموكل في رحم المرأة أثناء الممارسة الجنسية، وهذا الحديث يكفي للحكم على كتاب البخاري المسخ بالسقوط المدوي لدى قوماً يعقلون ويفقهون.

حديث البخاري: حدثني محمود بن غيلان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن بن طاووس عن أبيه عن بن عباس قال ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله كتب على بن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين

النظر، وزنا اللسان المنطق والنفس تتمنى وتشتي، والفرج يصدق ذلك، أو يكذبه وقال شبابه حدثنا ورقاء عن بن طلوس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بالدعوى للرذيلة وحظ الإنسان المقدر من الزنا.

كتاب التفسير وفصائل القرآن الكريم والسنة وخبر الأحاد:

يتحدث هذا العنوان عن القرآن الكريم وخبر الأحاد ويضم أربعة كتب من صحيح البخاري وهي: كتاب التفسير. كتاب فضائل القرآن. وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. وكتاب أخبار الأحاد. وكتاب التفسير. وسوف أحاول إيجازها على النحو التالي:

فقد بلغ تعداد الأبواب التي قام البخاري بتأليفها في تلك الكتب ما يقارب أربعمئة باباً تقريباً فضلت عدم ذكرها حتى لا يصاب القارئ بالأجهاد من ما حشر من عناوين ركيكة وضعف المحتوى ولا علاقة لها بعنوان الموضوع، ثم حشر عدداً من أحاديث العنونة لما يقارب من (خمسئة حديثاً أغلبها مكررة ومخالفة لما جاء في القرآن الكريم، ومن الملاحظ أن البخاري فسر القرآن الكريم على هواه واجتزأ الآيات على غير هدى، ووظف نصوص القرآن الكريم خلافاً لمدلولها، وهو بذلك وضع قواعد وأساس التفاسير للقرآن بقصد تحريف القرآن ثم جاء من بعده المفسرين القرطبي وأبن كثير وغيرهم كثير فساروا على نهجه، والمعلوم أن القرآن الكريم لا يفسر من قبل بشر ولا يؤول، بل إن القرآن الكريم لا يحتاج لتفسير لكونه ليس غامضاً وهو ميسر للذكر ويبين بعضه بعضاً، وقد يسره الله سبحانه وتعالى للذكر والفهم بالقلب، ويذكر بالعقل، فهو يفهم بوضوح ألفاظه وبيان معانيه. وفي هذا المبحث حدد البخاري وقائع وشخصيات أحاديثه ونسج حوادث وقصصاً لأناس من خياله، ودسها بتفسير القرآن نقلاً من العقائد القديمة، وأسقط القرآن عند الاستدلال على الجغرافية والتاريخ بحسب سبب النزول والمناسبة وعلى وقائع محددة بذاتها، حسب المكان والزمان المحدد ثم استخدم الناسخ والمنسوخ، وعمل بخبر الأحاد والقياس وغيره من أجل وضع كلامه من أحاديث العنونة محل كلام الله سبحانه وتعالى (القرآن) في الاستدلال على مجمل الشعائر والمناسك وقواعد الأحكام وغيرها وهو بذلك يقصد التحريف لما جاء في القرآن، وهو بتقديري قد نجح هو وغيره نوعاً ما في صنع دين جديد بهيئته الحالية ضد الدين الحقيقي الذي ارتضاه الله سبحانه للناس جميعاً، وهذا العمل لا يقوم به فرد البخاري بل عمل منظم لجماعة التحريف عبر مراحل من الزمن، وهو بذلك كغيره من رواة أحاديث العنونة ثم زاد بالتفسير فكان راوي حديث عن النبي ومفسر للقرآن عن النبي، وجاء المفسرين فقاموا بالدور نفسه وزادوا عليه بتحريفات أكثر، وكأنما كان عملهم خرج من حجرة واحدة خلال فترة من الزمن، فנסجوا كل هذا الفكر من فقه وتفسير وأحاديث وسيرة مع بعض الاختلاف في العناوين، والشخصيات كالبخاري، والشافعي، "والكافي"، والقرطبي، وابن كثير، وابن حنبل، وغيرهم كثير فتراهم جميعاً اجتمعوا على إطفاء نور الله، والله يأبى إلا أن يتم نوره، ولنقف عند نماذج من تلك

الأحاديث لنبيين لكم حجم العمل في تحريف منهج الله المبين في القرآن الكريم، ومن الأحاديث المشتملة في كتاب تفاسير القرآن الكريم:

حديث البخاري: حدثنا مسدد عن يحيى بن سعيد عن حميد عن أنس قال: قال عمر وافقت الله في ثلاث أو وأقنني ربي في ثلاث، قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم صلى وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب قال وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نساءه فدخلت عليهن قلت إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله صلى الله عليه وسلم خيراً منكن حتى أتيت إحدى نساءه قالت يا عمر أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فأنزل الله {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ} الآية، وقال بن أبي مريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني حميد سمعت أنساً عن عمر.

الشاهد من الحديث: تقوله على النبي من أن القرآن ينزل موافقاً لطلب عمر بن الخطاب وقد ورد عدداً من هذه الأحاديث، ومعلوم أن الخطاب عن مقام إبراهيم كان قديم بعهد بناء الكعبة والحجاب لا يتعلق بثياب المرأة وأن القرآن آيات ذات دلالة عظيمة لا يشخصن، غير أن جماعة التحريف كثير ما شخصنة آيات القرآن ومن أمثلة ذلك حديث الأفك عن عائشة، والحديث عن زيد، سورة الفيل وقصة ابره، وقصة اصحاب الجنة، وغيرها كثير.

حديث البخاري: حدثنا يحيى بن قرعة حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار عن بن عمر قال بينا الناس بقاء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

الشاهد من الحديث: تقوله على النبي عن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بالمخالفة للقرآن الكريم والمعلوم أن القبلة تم تحديدها عقب بناء الكعبة (المسجد الحرام) بعهد سيدنا إبراهيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ...﴾ البقرة (144).

حديث البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن بن المنكدر سمعت جابراً رضي الله تعالى عنه قال: كانت اليهود تقول إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ}.

الشاهد من الحديث: تقوله فيه من الوقاحة على النبي في رواية جابر عن قول نسبه لليهود الذي يجمع المرأة من دبرها فإن ولدها يخلق أحول وهو ما يخالف طبيعة مكان الخلق لدى المرأة الأم ثم يوظف الآية بصورة خاطئة.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن يوسف عن سفيان عن ميسرة عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه: كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام.

الشاهد من الحديث: تقوله على النبي برواية أبي هريرة عن إجبار الناس للدخول في الإسلام والسلاسل في أعناقهم وهو قول لا يخالف القرآن في حرية الدين.

حديث البخاري: حدثني عبد الله بن منير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن هو بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا هذه الآية **{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.**

الشاهد من الحديث: تقوله على النبي بذكر الشجاع الأقرع (ثعبان) وتفسيره المخالف للقرآن الكريم

حديث البخاري: حدثنا محمد بن بشار حدثنا بن مهدي حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي العالية قال حدثني بن عم نبيكم يعني بن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى. حديث البخاري: وتقوله على النبي بذكر يونس بن متى مرات عدة للمقارنة دون سبب.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن يوسف حدثنا ورقاء عن بن أبي نجيح عن مجاهد عن بن عباس **{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ}** قال هم نفر من بني عبد الدار. الشاهد من الحديث: تقوله البخاري برواية عن نفسه في حديثه هذا وتحريفه تفسير القرآن الكريم خلافاً لمقصده.

حديث البخاري: حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت كهينة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم: هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ **{وَأَنذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ} وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا {وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}.**

الشاهد من الحديث: تقوله على النبي بذبح كبش الموت يوم القيامة وتوظيف القرآن الكريم خلافاً لمقصد الآية بغرض الاستخفاف بآيات القرآن.

حديث البخاري: حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو أسامة قال هشام حدثنا عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول أتهب المرأة نفسها، فلما أنزل الله تعالى {ثَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ} قلت ما أرى ربك إلا يسارع في هواك.

الشاهد من الحديث: تقوله بالتدليس والتأويل وشخصنة آيات القرآن على النبي وأهل بيته وهو تحريف واضح.

حديث البخاري: حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عفريتاً من الجن تفلت عليّ البارحة أو كلمة نحوها ليقطع عليّ الصلاة فأمكنني الله منه وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي} قال روح فردّه خاسئاً.

الشاهد من الحديث: تقوله على النبي بربط عفريت من الجن بسارية المسجد وفي هذا القول من الاستخفاف ومخالف للقرآن قَالَ سُبْحَانَهُ: {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتَهُمَا إِنَّهُ يَرَائِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} الأعراف (27)..

حديث البخاري: حدثنا طلق بن غنام حدثنا زائدة عن الشيباني قال سألت زراً عن قوله تعالى {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى} قال أخبرنا عبد الله أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح. الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي وفيه من الاستهزاء والسخرية بجبريل ومعلوم أن جبريل عدواً لليهود حسب الفكر الديني لليهود.

حديث البخاري: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن بن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهدوا. الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي وفيه سخرية من آية انشقاق القمر كما ورد في القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} (القمر: 1).

حديث البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وأقروا إن شئتم {وَوَظِلٍّ مَمْدُودٍ}.

الشاهد من الحديث: وتقولُه على النبي من صيغ المبالغة والسخرية بالقرآن الكريم بوصف شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ومعلوم أن الرسول والنبي لا يعلم الغيب وقد تكرر الرد على مثل هذه الأحاديث المنسوبة للنبي.

حديث البخاري: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن لي أسماء، أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب سورة الجمعة.

الشاهد من الحديث: وتقولُه بالاستهزاء بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم من كونه ماحي وحاشر وعاقب مخالفًا للقرآن الكريم.

حديث البخاري: حدثني محمد أخبرنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون، قال: أربعون يوماً، قال: أبيت قال: أربعون شهراً، قال: أبيت قال أربعون سنة، قال: أبيت، قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة.

الشاهد من الحديث: وتقولُه على النبي بتفسيره (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً) وفيه من الاستهزاء الفاضح بيوم البعث وتشبيهه بنبات البقل (الفجل).

حديث البخاري: حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا معن قال حدثني مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه.

الشاهد من الحديث: وتقولُه على النبي عن التهويل والمبالغة من يوم البعث مخالفًا للقرآن الكريم وقد خصصنا عنوان عن الآيات التي تتحدث عن يوم البعث في الجزء الثاني.

من الأحاديث المشتملة في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة وخبر الآحاد:

حديث البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبيننا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي قال أبو هريرة فقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تلغونها أو ترغونها أو كلمة تشبهها.

الشاهد من الحديث: والتقولُ ببعث النبي بالرعب (الإرهاب) وجوامع الكلام، وفيه من ركافة الألفاظ والكلمات غير المفهومة.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا أبو عمر الصنعاني من اليمن عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله، اليهود والنصارى قال فمن.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بجعل المسلمين جماعة من دون الناس وفيه من الفرقة والترصد عدم قبول الآخر والعيش معه وسوء الضن به.

حديث البخاري: حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن عمرو مولى المطلب عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له أحد فقال هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة وإنني أحرّم ما بين لابتيها، تابعه سهل عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحد.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بروايات كثيرة وفيه من السخرية بالنبي بذكر جبل أحد واصدار حكم التحريم على المكان.

حديث البخاري: حدثنا عمرو بن علي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا مالك عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي. الشاهد من الحديث: التقول على النبي عن روضة من الجنة في مكان ما بين بيت الرسول ومسجده وخرافة الحوض واستخفاف بمكانة الجنة.

حديث البخاري: حدثنا أحمد بن محمد أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم عن بن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في صلاة الفجر ورفع رأسه من الركوع قال اللهم ربنا ولك الحمد في الأخيرة ثم قال اللهم العن فلانا وفلانا فأنزل الله عز وجل {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ}.

الشاهد من الحديث: التقول على النبي بالملاعنة للناس خلافاً لوظيفة الأنبياء والرسول المبينة في القرآن بالدعوى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} النحل (125).

حديث البخاري: حدثني محمد بن بشار حدثنا عثمان بن عمر أخبرنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ} الآية.

الشاهد من الحديث: تقوله على النبي بالتمويه دفاعاً عن اليهود لما أحدثوا من تحريف بالتوراة وغيرها:

كُتِبَ الطهارة والنجاسة والوضوء:

أسهب البخاري في حشر أكبر عدد من الأبواب والأحاديث، فضم هذا العنوان عدد أربعة كتب، هي: كتاب الوضوء وفيه (74) باب و(112) حديث، وكتاب الغسل وفيه (30) باب و(81) حديث. وكتاب الحيض وفيه (30) باب و(39) حديث. وكتاب التيمم وفيه (14) باب و(8) حديث. ولحصر هذه الأعداد - من الأبواب ما يقارب من (148) باب - ومن الأحاديث ما يقارب من (240) حديث، وقد ذهب البخاري بها مذهب التلمود، حسب ما جاء بقسم طهارات (الطهارة) الذي اقتبس منه الكثير وأدرج ألفاظاً غريبة على مقدمات القيام لأداء الصلاة، مثل: الوضوء والاستنجاء والاستجمار وغيرها، وحشر عدداً من الأبواب دس فيها عدداً كبيراً من أحاديث العننة لإضفاء مشروعية عمله بالتقولا عن النبي، كما سعى البخاري بإبراده هذا العدد من الأحاديث للتعقيد وتحريف منهج الله المبسط للناس في هذه المسائل، كما احتوت بعض من هذه الأحاديث على السخرية والاستهزاء ومنها ما هو مكرر، وتضمن بعضها ألفاظاً ركيكة ومنحطة ومقتبسة من عقائد اليهود (سفر حزقيال) ⁽¹⁾ نسبها للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، والنبي بريء منها، خاصةً وقد أصبحت بعض هذه الأحاديث مادة استخدمت في أعمال درامية وصور ورسومات مسيئة للنبي محمد عليه الصلاة والسلام في بعض الصحف وأحدثت ضجة إعلامية ومظاهرات ومواجهات وأعمال عنف راح ضحيتها أناس أبرياء بسبب فتنة البخاري وجماعة التحريف.

ومن تلكم الأحاديث البالغ عددها قرابة (240) والمدونة في أكثر من ثلاثين صفحة من كتاب صحيح البخاري سوف ننسخ بعضاً منها لفضح التقولات المضمنة بتلك الأحاديث المزعومة كذباً للنبي محمد عليه السلام وهو منها بري، ثم نأتي بآية واحدة فقط من القرآن الكريم في سطرين ونصف تبين التهيئة للقيام للصلاة عند حلول ميقاتها ولك أن تدرك حجم المقارنة في حجم تحريف جماعة البخاري للحديث.

حديث البخاري: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ، قال رجل من حضرموت ما الحدث يا أبا هريرة قال فسأه أو ضراط.

الشاهد من الحديث: عن الفسأ والضراط في الصلاة وقصد به الاستهزاء بالصلاة وبالرسول.

حديث البخاري: حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنا أنس بن عياض عن عبيد الله عن محمد بن يحيى بن حبان عن واسع بن حبان عن عبد الله بن عمر قال ارتقيت فوق ظهر بيت حفصة لبعض حاجتي فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته مستدبر القبلة مستقبل الشام.

(1) انظر العهد القديم - التوراة. كتاب حزقيال النص: (15 فقال لي: «انظر. قد جعلت لك خثي البقر بدل خراء الإنسان، فتصنع خبزك عليه»). .

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي عن كيفية التبرز وفيه السخرية من النبي ومن القبله وغير ذلك.

حديث البخاري: حدثنا عبد الرحمن بن يونس قال حدثنا حاتم بن إسماعيل عن الجعد قال سمعت السائب بن يزيد يقول ذهبت بي خالتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن في بن أختي وجع فمسح رأسي ودعا لي بالبركة ثم توضأ فشربت من وضوئه ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة.

حديث البخاري: وتقوله على النبي ووصفه بأعمال الشعوذة والشيء المستقذر بشرب ماء أغتسل فيه (الوضوء).

حديث البخاري: حدثنا خالد قال وحدثنا سليمان عن يحيى بن سعيد قال سمعت أنس بن مالك قال جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد فزجره الناس فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم فلما قضى بوله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذنوب من ماء فأهريق عليه.

الشاهد من الحديث: وتقوله بالتبول بمسجد النبي من الناس وكثيراً ما جاء هذا الحديث بصيغ ومناسبات متعددة قصد منه السخرية من النبي ومن المسجد.

حديث البخاري: حدثنا آدم قال حدثنا شعبة قال أخبرنا أبو التياح يزيد بن حميد عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي قبل أن يبني المسجد في مراتب الغنم.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بالسخرية من الصلاة في مراتب (حظائر) الغنم.

حديث البخاري: حدثنا أبو النعمان قال: حدثنا حماد بن زيد عن غيلان بن جرير عن أبي بردة عن أبيه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فوجدته يستن بسواك بيده: يقول أع أع والسواك في فيه، كأنه يتهوع.

الشاهد من الحديث: وصف المشهد بهذه الطريقة لمزيد من السخرية بالنبي بذكر لفظ (أع أع)، ولا قيمة للحديث من أصله.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثني عبد الصمد قال حدثني شعبة قال حدثني أبو بكر بن حفص قال سمعت أبا سلمة يقول دخلت أنا وأخو عائشة على عائشة فسألها أخوها عن غسل النبي صلى الله عليه وسلم فدعت بإناء نحواً من صاع فاغتسلت وأفاضت على رأسها وبيننا وبينها حجاب، قال أبو عبد الله قال يزيد بن هارون وبهز والجدي عن شعبة قدر صاع.

الشاهد من الحديث: مشهد تمثيلي مسرحي من زوج النبي عائشة عن كيفية الغسل أمام أبي سلمة وأخ عائشة وفيه من السخرية الفاضحة والأذية لأهل بيت النبي وقد تكرر أذية الرسل والأنبياء كما في قصة رسول الله موسى قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الصف (5).

حديث البخاري: حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة قال: قلت لأنس أو كان يطيقه قال كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين وقال سعيد عن قتادة إن أنساً حدثهم تسع نسوة.

الشاهد من الحديث: وتقوله الكاذب والفاضح ومس الجوانب الشخصية لحياة النبي حول الفحولة الجنسية وأنه كان يجمع إحدى عشر من نسائه في الساعة الواحدة وفي رواية أخرى في غسلة واحدة، وهذا الحديث فيه من التشويه الكبير ضد النبي وقد استخدم مادة درامية ودعائية وإعلانية في تمثيلية ورسوم تسيء للنبي من قبل بعض الصحف والقنوات الغربية وما زال حتى اليوم.

حديث البخاري: حدثنا قبيصة قال حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت كنت أغتسل أنا والنبي صلى الله عليه وسلم من إناء واحد كلانا جنب وكان يأمرني فاتزر فيباشرنى وأنا حائض وكان يخرج رأسه إلى وهو معتكف فأغسله وأنا حائض. وحديث آخر للبخاري: حدثنا أبو النعمان قال حدثنا عبد الواحد قال: حدثنا الشيباني قال: حدثنا عبد الله بن شداد قال: سمعت ميمونة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض ورواه سفيان عن الشيباني.

الشاهد من الحديثين: تقوله على النبي من مباشرة نسائه (وطء) وهن حائضات بالمخالفة للقرآن الكريم قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة (222).

حديث البخاري: حدثنا محمد بن سنان قال: حدثنا هشيم قال وحدثني سعيد بن النضر قال: أخبرنا هشيم قال أخبرنا سيار قال: حدثنا يزيد هو بن صهيب الفقير قال: أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأیما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغام ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي حول نصره بالرعب واستحلاله لغنائم الحروب وخطه لعددٍ من العناوين بالمخالفة للقرآن الكريم.

ما جاء في القرآن الكريم حول الغسل للصلاة:

بيّن القرآن الكريم كيفية التهيئة للقيام للصلاة عند حلول ميقاتها بآية واحدة من سورة المائدة، تختصر كل ذلك الغناء الذي جاء به البخاري في كتبه المتعددة من كتاب الطهارة،

وكتاب الوضوء، وكتاب التيمم، وكتاب المحيض، وما تحوي من مائة الأبواب ومثلها من أحاديث العنونة وذكر الفاظ دخيله على القرآن مثل (الوضوء - الأستنجاء - الأستجمار) وغيرها من الألفاظ الهابطة بقصد تحريف كلمات القرآن السهلة المبسطة حسب ما جاء بلفظ هذه الآية التي تغني عن كل تلك الكتب: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: 6).

كتاب الصلاة

عمد البخاري لتشتيت شعيرة الصلاة، وجعلها تضم خمسة عشر كتاباً وهذه الكتب هي: كتاب الصلاة. كتاب المواقيت. كتاب الأذان. كتاب الجمعة. كتاب صلاة الخوف. كتاب صلاة التراويح. كتاب صلاة الوتر. كتاب صلاة الاستسقاء. كتاب صلاة الكسوف. كتاب سجود القرآن. كتاب تقصير الصلاة. كتاب التهجد. كتاب فضل الصلاة. كتاب العمل في الصلاة. كتاب السهو.

وقد احتوى العدد الضخم من الكتب على ما يقارب على (440) باباً في مختلف العناوين، حشر فيها البخاري أكثر من ثمانمائة حديث من أحاديث العنونة، وبهذا العدد الكبير من العناوين والأحاديث، زاد البخاري في تعقيد شعيرة الصلاة وتنوعها إذ قصد من ذلك تشتيت ذهن المسلم في أهم شعيرة تعبدية (الصلاة)، وخلق حالة من الصعوبة في فهم تلك العناوين، وما تحوي من الكلمات والألفاظ الغريبة على اللسان العربي وأهمل الاستدلال بالقرآن لمشروعية الصلاة وأقامتها متعللاً بعدم ذكر القرآن تفاصيل الصلاة وهذا محض كذب وأقتراء، لذلك عمد لتحريف الصلاة بأحاديثه وكان من أولى الأحاديث المستدل بها على مشروعية الصلاة وتحديدتها بخمس صلوات في اليوم واللييلة ذلك الحديث المكذوب برواية البخاري عن النبي والمقتبس من خرافة المعراج المنقول من التراث الديني الزرادشتي، بالإضافة للكثير من الأحاديث المروية حول كيفية الصلاة كحديث (صلوا كما رايتموني أصلي) وتعداد أنواع الصلوات ومناسباتها وبذلك حرف البخاري الصلاة شكلاً وموضوعاً، فحرف الركوع إلى إنحنى وحرف السجود إلى لصق الجبهة على الأرض ورفع المؤخرة للخلف بالمخالفة للقرآن الكريم قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ الإسراء (107) وجعل مضمون الصلاة بقالب جامد محكوم بنصوص من تشريعات أحاديثه بالمخالفة لآيات القرآن الكريم ، وبالعودة لآيات القرآن الكريم الذي أكد على جعل الصلاة وحدة واحدة لا تتجزأ مضبوطة بمواقيت محددة قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرُ لِلذَّاكِرِينَ﴾ هود (114)، وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء (78)، وزاد بذكر مسميات الصلوات زيادة في التوضيح فذكر: (الفجر - العشاء - الليل)، وذكر صلاة الجمعة قَالَ اللَّهُ جَلَّ

في غلّاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ...﴾ الجمعة (9)، غير أن جماعة التحريف ومنهم البخاري عمد لتحريف الصلاة وجعلها صلوات متعددة ولمناسبات مختلفة وخارجة عن المواقيت المحددة بالقرآن الكريم، ومن ما حرف البخاري وجماعته بمختلف المذاهب حول الصلاة مثل: صلاة الظهر وصلاة العصر وصلاة السنن وصلاة التراويح وصلاة الإستخارة وصلاة الشمس وصلاة القمر (الخشوف والكسوف) وصلاة الضحى وصلاة الميت وصلاة المطر (الأستسقاء) وصلاة تحية المسجد وصلاة الدخول على الزوجة ليلة العرس وصلاة طلب الحاجة وصلاة العيدين وصلاة التطوع، وكل هذه الصلوات لا مشروعية لها من القرآن الكريم، الذي ضبط أيقاع الصلاة بمواقيت محددة وزاد أن عرفها بأسمائها دون زيادة أو نقص، كما حدد كيفيتها من قيام وركوع وسجود وحدد عدد الركعات لكل صلاة، وزاد أن عرف الصلاة من كونها أقدم شعيرة فرضت على الناس عبر التاريخ الإنساني، وأنها تقام لله وحده سبحانه لا لغيره قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ طه (14). وليس كما جاء بأحاديث البخاري المكذوب عن الصلاة .

ولمعرفة التحريف المتعمد من جماعة التحريف عبر البخاري حول شعيرة الصلاة سوف أحاول الأستدلال على حجم التحريف الكبير والواضح من خلال الحديث عن كتاب الأذان للصلاة فكان هذا الكتاب أكبر مصنف في صحيح البخاري عن كتاب الصلاة ذاتها، والذي حشر فيه البخاري ما يقارب من (166) باب وبعناوين مختلفة ثم حشر ما يزيد عن (270) حديث من أحاديث العنينة حول الأذان موهماً المسلمين أن الأذان شرع في القرآن للصلاة ومعلوم أن الأذان لم يشرع للصلاة وإنما شرع للحج والعمرة وجاء بأية واحدة فقط في القرآن ذكرت الأذان وذكرت سببه المرتبط به ولا يمتد لغيره ولا يقاس عليه، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ الحج (27) وعليك أخي القاري الكريم أن تقف أمام هول حجم هذا التزوير والتحريف المهول والمفجع لجماعة البخاري في جزئية صغيرة فما بالك بالمواضيع الكبيرة، ولذا سوف أقوم بنسخ بعض الأحاديث مختصرة بقدر الإمكان من العناوين التي أوردها البخاري حول تحريف الصلاة، ومن أجل وصول المعلومة المفيدة ببسر وسهولة وعلى النحو التالي:

حديث البخاري: حدثنا محمد بن عرعة قال حدثني عمر بن أبي زائدة عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة حمراء من آدم ورأيت بلالاً أخذ وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت الناس يبتدرون ذاك الوضوء فمن أصاب منه شيئاً تمسح به ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه ثم رأيت بلالاً أخذ عنزة فركزها وخرج النبي صلى الله عليه وسلم في حلة حمراء مشمراً صلى إلى العنزة بالناس ركعتين ورأيت الناس والدواب يمرون من بين يدي العنزة.

الشاهد من الحديث: تقوله على النبي بالصلاة باتجاه العنزة بالمخالفة للقرآن الكريم الذي حدد المسجد الحرام - البيت الحرام قبله للصلاة وذكر التمسح (التبرك) بالماء المستقذر الذي

يأتي من بعد الاستخدام في الغسل(الوضوء) ثم صور النبي بحلة حمراء وهو من ثياب الكهان والقسواسة، ثم ذكر الدواب تمر من عنده على نحو يعكس حالة من التحقير للنبي وللصلاة.

حديث البخاري: حدثنا مسدد عن خالد قال حدثنا سليمان الشيباني عن عبد الله بن شداد عن ميمونة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وأنا حذاءه وأنا حائض وربما أصابني ثوبه إذا سجد قالت وكان يصلي على الخمرة.
الشاهد من الحديث: تقوُّله على أهل بيت النبي بذكر لفظ الحذاء والحيز والخمرة (تلاعب بالألفاظ بقصد الاستهزاء) بالصلاة.

حديث البخاري: حدثنا مالك بن إسماعيل قال: حدثنا زهير قال: حدثنا حميد عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى نخامة في القبلة فحكها بيده، ورؤي منه كراهية أو رؤي كراهيته لذلك وشدته عليهن وقال: إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربه أو ربه بينه، وبين قبلته، فلا يبرز في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه ورد بعضه على بعض قال أو يفعل هكذا.
الشاهد من الحديث: تقوُّله على النبي عن المخاط والبصاق والنخامة (تحقير للصلاة وللقبلة) وفي ذلك عدد من الأحاديث، منها.

حديث البخاري: حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة عن أبي التياح عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في مرايض الغنم ثم سمعته بعد يقول كان يصلي في مرايض الغنم قبل أن يبنى المسجد.

وحديث آخر للبخاري بنفس السياق: حدثنا صدقة بن الفضل قال أخبرنا سليمان بن حيان قال حدثنا عبيد الله عن نافع قال رأيت بن عمر يصلي إلى بغيره وقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يفعله.

الشاهد من الحديث: وتقوُّله على النبي من أنه كان يصلي في مرايض الغنم وذكر عمر ابن الخطاب كذلك للتأكيد على التحقير لشعيرة الصلاة.

حديث البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال: حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن بن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة قالت: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم زاد إبراهيم بن المنذر حدثنا بن وهب أخبرني يونس عن بن شهاب عن عروة عن عائشة قالت: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحبشة يلعبون بحرابهم.
الشاهد من الحديث: وتقوُّله على النبي عن لعب الحبشة بمسجد الرسول بغرض التحقير والسخرية من المساجد.

حديث البخاري: حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا سفيان قال: حفظناه من الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم، واشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء، ونفس في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي بخزعبلات عن فيح جهنم بالصيف والشتاء ولا علاقة لذلك بالصلاة.

حديث البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذاناً كف عنهم وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم، قال: فخرجنا إلى خيبر فانتبهنا إليهم ليلاً، فلما أصبح ولم يسمع أذاناً ركب وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال: فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: محمد والله محمد والخميس، قال: فلما رأيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الله أكبر الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم {فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ}. الشاهد من الحديث: وتقول على النبي وأنه رجل حرب وقد غزا اليهود وهم آمنون بقصد اظهار مظلومية لليهود وتشويه النبي.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سمياً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء.

الشاهد من الحديث: برواية الزناد والأعرج وأبي هريرة وهذا أسماء دخيلة على اللسان العربي كما سبق القول، وتقولهم على النبي بإحراق بيوت الذين لا يصلون في المساجد مخالف للقرآن الكريم الذي أكد على حرية الدين وجعل من الانتماء للدين يقوم على حرية الاختيار فما بالك الصلاة وغيرها من الشعائر سواء أداها بالمسجد أو في مكان آخر.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا قال الإمام {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} فقولوا: آمين فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه، تابعه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ونعيم المجر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

الشاهد من الحديث: وتقولُه على النبي بتشريع قول أمين وهي مقولة مقتبسة من طقوس العقائد القديمة اليهود والنصارى والمسيحيين، وهي مقولة لا تقدم ولا تأخر بشي غير التقليد.

حديث البخاري: حدثنا معاذ بن فضالة قال حدثنا هشام عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: لأقربن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يقيت في الركعة الأخرى من صلاة الظهر، وصلاة العشاء وصلاة الصبح بعد ما يقول سمع الله لمن حمده فيدعو للمؤمنين ويلعن الكفار.

الشاهد من الحديث وحديث البخاري وأبي هريرة وتقولهما على النبي بالملاعنة للآخرين من الكفار تقولاً فيه من الزور والبهتان على أخلاقية النبي الذي بعث رحمة للعالمين وليس لعنة على العالمين كما يصوره البخاري وأبو هريرة.

حديث البخاري: حدثنا معلى بن أسد قال حدثنا وهيب عن عبد الله بن طاووس عن أبيه عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة وأشار بيده إلى أنفه واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا نكفت الثياب والشعر.

الشاهد من الحديث: وتقولُه على النبي بتحريف السجود بنفس سجود اليهود وسجود الوثنيين والتصاق جباههم على الأرض، بالمخالفة لسجود القرآن الذي بيّن كيفية السجود للأذقان حسب ما ذكرنا في الآية السابقة ونعيدها للفائدة قال سبحانه: ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ الإسراء (107).

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر.

الشاهد من الحديث: وتقولُه على النبي وعن تقديم القرابين يوم الجمعة مماثلة لما يقدمه اليهود والوثنيين من قرابين عند صلاتهم حسب ما جاء بكتبهم القديمة: (البدنة والبقرة والكبش المقرن والدجاجة وأخيراً البيضة) وهذا لا مشروعية له من القرآن الكريم وبقصد التحقير لصلاة الجمعة.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن كثير عن سفيان حدثنا منصور والأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال أتيت بن مسعود فقال إن قريشاً أبطأوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام فجاء أبو سفيان

فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وإن قومك هلكوا فادع الله، فقرأ {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} ثم عادوا إلى كفرهم فذلك قوله تعالى: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى} يوم بدر قال أبو عبد الله وزاد أسباط عن منصور فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فأطبقت عليهم سبعاً، وشكا الناس كثرة المطر قال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن رأسه فسقوا الناس حولهم.

الشاهد من الحديث:: وتقوله على النبي بهذا الحديث مستوحا من قصة فرعون وطلبه لموسى أن يرفع عنه العذاب (الرجس وغيره) مع التفسير الخاطئ للقرآن الكريم:

حديث البخاري: حدثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب قال أخبرنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل القتل حتى يكثر فيكم المال فيفيض.

الشاهد من الحديث:: وتقوله على النبي بعلم الغيب الذي انفرد به الله سبحانه وتعالى حول العلم بالساعة وهذا الحديث مكرر في الكثير من كُتب المذاهب ويعتبر احد علامات ظهور المهدي وقد سبق الرد عليه وأن الله سبحانه المتفرد بعلم الغيب.

حديث البخاري: حدثنا مسدد قال حدثنا أبو الأحوص قال حدثنا منصور عن أبي وائل عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقيل ما زال نائماً حتى أصبح ما قام إلى الصلاة فقال بال الشيطان في أذنه.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي يبول الشيطان في أذن المسلم النائم عن الصلاة وفيه من التندر والسخرية.

حديث البخاري: حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله قال أخبرنا نافع عن بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم سجدتين قبل الظهر وسجدتين بعد الظهر وسجدتين بعد المغرب وسجدتين بعد العشاء وسجدتين بعد الجمعة فأما المغرب والعشاء ففي بيته وحدثتني أختي حفصة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي سجدتين خفيفتين بعد ما يطلع الفجر وكانت ساعة لا أدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فيها وقال بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن نافع بعد العشاء في أهله تابعه كثير بن فرقد وأيوب عن نافع.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بتشريع جديد للصلاة بسجود فقط خلافاً للقرآن الكريم وهو ما يعني تحريف لكيفية الصلاة وتشويهه لها.

حديث البخاري: حدثنا مسلم بن إبراهيم أخبرنا شعبة حدثنا عباس الجريري هو بن فروخ عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر. الشاهد من الحديث: عن أبي هريرة بوصية من خليله الذي لم يذكر اسمه بتشريع شعائر الصوم وصلاة الضحى بغير ما جاء بآيات من القرآن الكريم.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن زيد بن رباح وعبيد الله بن أبي عبد الله الأغر عن أبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي عن أفضلية الصلاة في مساجد محددة بالمخالفة للقرآن الكريم .

وأخيراً نحيل القارئ للفصل الخاص حول شعيرة الصلاة من هذا المؤلف في الجزء الثاني وفيه تفصيل ببيان القرآن الكريم المفصل حول الصلاة من قيام وركوع وسجود ومواقيت وغيره ببسر وسهولة حسب آيات القرآن الكريم.

كتاب الصيام:

وفيه عمد البخاري لتشويه شعيرة الصيام وبالأخص صيام شهر رمضان فصنف الصيام في عدداً من الكتب هي: كتاب الصوم. وكتاب فضل ليلة القدر. وكتاب الاعتكاف. وقد تضمن هذا العنوان عدداً من الكتب حول الصيام وليلة القدر والاعتكاف في رمضان، وشمل عدداً من الأبواب بلغت سبعين باباً تقريباً، حشر فيها البخاري مائة وأربعين حديثاً من أحاديث العنقة للتدليل على مشروعية تحريف وتشويه شعيرة الصيام خلافاً للقرآن الكريم، وإليك ننسخ بعضاً من أحاديث العنقة.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن أمرؤ قتله أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها.

الشاهد من الحديث: تقوله على النبي عن مشروعية الصيام بتحريف آداب الحج والعمرة لأداب الصيام، ثم حرف مساواة الرائحة النتنة برائحة المسك برواية أبي الزناد والأعرج وأبي هريرة وغيرها من الروايات والأسماء الغريبة على اللسان العربي والقصد من الحديث الاستهزاء بشعيرة الصيام والحث على القذارة أثناء الصيام، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ

يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿البقرة (197)﴾، وفي الصيام رخص للصائم الرفث للنساء قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ...﴾ ﴿البقرة (187)﴾ وفي هذا يظهر البخاري التلاعب بالفاظ وتعابير القرآن من آية لأخرى.

حديث البخاري: حدثنا يحيى بن بكير قال حدثني الليث عن عقيل عن بن شهاب قال أخبرني سالم أن بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فافطروا فإن غم عليكم فاقدروا له، وقال غيره عن الليث حدثني عقيل ويونس لهلال رمضان..... وحدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له.

الشاهد من الحديث: وتقولُه على النبي بربط صيام رمضان لرؤية القمر مخالفاً للقرآن الكريم الذي فرض صيام شهر رمضان لمن شهد (حضر) الرمض (الدفى) يقصد بداية التغيير المناخي بدخول فصل الصيف حسب ما أوضحنا في فصل الصيام بالجزء الثاني من هذا الكتاب.

حديث البخاري: حدثنا سليمان بن حرب قال عن شعبة عن الحكم عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل ويباشر وهو صائم، وكان أملككم لأربه وقال قال بن عباس {مَارِبٌ} حاجات قال طاووس {غَيْرُ أُولِي الإِرْبَةِ} الأحق لا حاجة له في النساء.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي حول مشروعية التقبيل والمباشرة من النبي وقت الصيام ومخالفة القرآن الكريم مع ملاحظة ذكر البخاري أولى الإربة دون شاهدا من ذلك !!

حديث البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن الآخر وقع على امرأته في رمضان فقال أتجد ما تحرر رقبة قال لا قال فتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال لا قال أفتجد ما تطعم به ستين مسكيناً قال لا قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر وهو الزنبيل قال أطعم هذا عنك قال عليّ أحوج منا ما بين لابتيها أهل بيت أحوج منا قال فأطعمه أهلك.

الشاهد من الحديث: وتَقُولُه على النبي بتشريعه عقوبة الإفطار بنهار رمضان كعقوبة المظاهر لزوجته بالمخالفة للقرآن الكريم وهذه عادة البخاري وغيره للتلاعب بأحكام القرآن الكريم قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَمْ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة (3).

حديث البخاري: حدثنا إسحاق الواسطي حدثنا خالد عن الشيباني عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهو صائم فلما غربت الشمس قال لبعض القوم يا فلان، قم فاجدح لنا فقال يا رسول الله لو أمسيت قال أنزل فاجدح لنا قال يا رسول الله فلو أمسيت قال أنزل فاجدح لنا قال إن عليك نهراً قال: أنزل فاجدح لنا فنزل فجدح لهم فشرب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال إذا رأيتم الليل قد أقبل من ها هنا فقد أفطر الصائم.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بلهجة بدو الصحراء وفيها التندر (أجدح) والسخرية أثناء الإفطار من الصيام.

حديث البخاري: حدثنا معاذ بن فضالة حدثنا هشام عن يحيى عن أبي سلمة أن عائشة رضي الله تعالى عنها حدثته قالت: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهراً أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله، وكان يقول خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا وأحب الصلاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما دووم عليه، وإن قلت وكان إذا صلى صلاة داوم عليها.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي حول مشروعية صيام شهر شعبان مخالف للقرآن الكريم الذي أوجب صيام شهر رمضان.

حديث البخاري: حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب حدثنا عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجا الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال: فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي حول مشروعية صيام يوم عاشوراء مماثلة لليهود مخالفاً للقرآن الكريم الذي أكد على مشروعية كل الشعائر بما جاء من القرآن وليس مماثلة من هواء.

حديث البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر حدثنا أبو سهيل عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي حول مشروعية ليلة القدر في رمضان بالمخالفة للقرآن الكريم الذي بين أن ليلة القدر ليلة كونية لا علاقة لها برمضان بل هي مخصوصة بأنزال الملائكة والروح والأمر فيها ويقصد أوامر السماء وحركة الكون وجاء ذكرها بسورة القدر وبداية سورة الدخان، وقد خصصنا بحث مستقل عن ليلة القدر بفصل الصيام بالجزء الثاني من هذا الكتاب.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يبأشرنى وأنا حائض وكان يخرج رأسه من المسجد وهو معتكف فأغسله وأنا حائض.

الشاهد من الحديث: وتقول الكاذب والمفصوح على النبي وهو معتكف بمباشرة زوجته وهي حائض بالمخالفة للقرآن الكريم (حيث تكرر هذا الحديث كثيراً)، قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿.... وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ البقرة (187).

حديث البخاري: حدثنا قتيبة حدثنا يزيد بن زريع عن خالد عن عكرمة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت اعتكفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من أزواجه مستحاضة فكانت ترى الحمرة والصفرة فربما وضعنا الطست تحتها وهي تصلي.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي وهو معتكف وعلى أهل بيت النبي عن الحيض والحمرة والصفرة والطست كلام فيه من الأبتذال والتندر والسخرية من الاعتكاف والصلاة.

وعن حقيقة شعيرة الصيام وصيام شهر رمضان وصيام الكفارات والاعتكاف بشهر رمضان فقد أفردنا لهذا العنوان فصلاً كاملاً ضمن محتوى الجزء الثاني من هذا المؤلف يمكن الرجوع إليه لما فيها من اليسر والسهولة بعيد عن تعقيدات وتحريف البخاري وجماعة التحريف.

كتاب الزكاة

كتاب الزكاة وكتاب صدقة الفطر وكذلك الفئ والأنفال والخمس والصدقات، وقد خلط البخاري بين الزكاة والصدقة وجاء بأكثر من أربعين باباً، تحوي أكثر من عشرات العناوين حول الزكاة والصدقة، بصورة مشتتة ثم حشر عدداً من أحاديث العنينة لتدليل على مشروعية تلك الأبواب من الزكاة والصدقة، ثم حرف وعدد شروط الزكاة في المال وشخص المكلف ثم عدد أنواع الزكاة وعروض الزكاة وحدد الأنصبة فمن زكاة الأبل والغنم والبقر وزكاة الورق وزكاة التمر وزكاة كسب التجارة وزكاة المزروعات وزكاة السر والعلن، ثم عرج على أبل الصدقات وأسهب فيها ثم حرف الصدقات بما يخالف القرآن الكريم، فذكر صدقة الفطر وعددها صاع من شعير وصاع من تمر وصاع وصاع من زبيب وصدقة السر والعلن وصدقة، وقد ضمن تلك العناوين والأبواب المشتتة أحاديث العنينة حشرها البخار للتدليل على مشروعية الأبواب والعناوين التي قام بتأليفها خلافاً للقرآن الكريم فكانت ما يقارب (111) حديثاً، كرر كثيراً منها تحت تلك الأبواب، لأضفاء مشروعية على تحريفاته للزكاة والصدقات ومن تلك الأحاديث ننسخ بعض يسير منها على النحو الآتي:

حديث البخاري: حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد أن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج حدثه أنه سمع أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يقول قال النبي صلى الله عليه

وسلم تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقها تطؤه بأخفافها وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقها تطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها وقال ومن حقها أن تحلب على الماء، قال ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبتها لها يعار فيقول يا محمد فأقول لا أملك لك شيئاً قد بلغت ولا يأتي ببعير يحمله على رقبتة له رغاء فيقول يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغت.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي حول مشروعية الزكاة بالدوس بإخفاف الإبل وأظلاف الغنم يوم القيامة، والبخاري يصور لنا عقوبة منع الزكاة في الآخرة بمشهد درامي تصويري هزلي يخالف قيم وتعاليم القرآن حول السموء بخطاب الزكاة كلفظ عام ترك الله سبحانه وتعالى للناس تشريعه حسب أحوالهم الاقتصادية المتغيرة من زمان لآخر.

حديث البخاري: حدثنا عمر بن محمد بن الحسن الأسدي حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالتمر عند صرام النخل فيجيء هذا بتمرّة وهذا من تمرّة حتى يصير عنده كوما من تمر فجعل الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما يلعبان بذلك التمر فأخذ أحدهما تمرّة فجعله في فيه فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخرجها من فيه فقال أما علمت أن آل محمد صلى الله عليه وسلم لا يأكلون الصدقة.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي حول تخصيص آل محمد (يقصد علي وأولاده فقط) مماثلة بآل هارون في التقدّمات والعطايا، وهذا الحديث ينمي عن عدم المعرفة بالزكاة وفيه من العنصرية المقيته بتخصيص نفقة معينة (الفي والأنفال والخمس) بأسم شخص من دون الناس كما فعل اليهود.

حديث البخاري: حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا محمد بن جهم بن إسماعيل بن جعفر عن عمر بن نافع عن أبيه عن بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي حول زكاة الفطر (النفس) أقتبس من التلمود ولا أصل ومشروعية لها من القرآن.

ما جاء من القرآن حول الزكاة والصدقات نحيل القاري الكريم إلى الجزء الثاني – فصل الزكاة والصدقات، خشية الأطالة.

كتاب مناسك الحج والعمرة:

جاء البخاري بعدد من الكتب حول شعيرة الحج والتي منها كتاب الحج. كتاب العمرة. كتاب المحصر. كتاب جزاء الصيد، وقد أكد الحق سبحانه وتعالى في القرآن الكريم على

تعظيم شعائر الحج محذراً من الشرك بالله سبحانه وتعالى ومن الرجس والأوثان عند القيام بمناسك وشعائر الحج، لما لهذه المناسك والشعائر من خصوصية أثناء القيام بها، ألا أن البخاري حشر عدد من الأبواب التي شملها هذه الكتب فبلغ (150) باباً تقريباً، وبهذه الأبواب عمد البخاري لتحريف الحج والعمرة ودس عدداً من الشعائر والمناسك الوثنية بالمخالفة الفاضحة للقرآن بحجة السنة، وقد اشتمل هذا المبحث على (320) حديثاً تقريباً، من أحاديث العنينة التي استدل بها على مشروعية تحريف الحج والعمرة ودس المناسك الوثنية في شعيرة الحج والعمرة رغم تحذير الله سبحانه في آيات القرآن الكريم، ولوضع القارئ على الحقيقة والدور الذي قام به البخاري في تغيير شعائر ومناسك الحج خلافاً للقرآن الكريم، نورد من تلك بعض من تلك الأحاديث للتدليل على مشروعية التحريف على النحو التالي:

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن بن شهاب عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتتنظر إليه وجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر فقالت يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع.

الشاهد من الحديث: افتتح البخاري من أول كتاب الحج بتقوُّله الفاضح حول دليل مشروعية الحج لامرأة ورجل يتبادلان نظرة الأعجاب والحب (المعاكسة) بحضرة النبي الذي يحاول صرف نظر الرجل عن التحديق بالمرأة.

حديث البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا زياد بن سعد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة. الشاهد من الحديث: وتقوُّله على النبي وهو يتنبأ بخراب الكعبة من ذو السويقتين (الحبشة) وفيه من التحقير والتمييز العنصري، ومعلوم أن علم الغيب بعلم الله سبحانه.

حديث البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا طلحة بن يحيى حدثنا يونس عن الزهري عن سالم عن بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه كان يرمي الجمرة الدنيا بسبع حصيات يكبر على إثر كل حصاة ثم يتقدم حتى يسهل فيقوم مستقبل القبلة فيقوم طويلاً ويدعو ويرفع يديه ثم يرمي الوسطى ثم يأخذ ذات الشمال فيسهل ويقوم مستقبل القبلة فيقوم طويلاً، ويدعو ويرفع يديه ويقوم طويلاً ثم يرمي جمرة ذات العقبة من بطن الوادي ولا يقف عندها ثم ينصرف فيقول هكذا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يفعله.

الشاهد من الحديث: وتقول بالرواية على النبي حول مشروعية رمي جمار العقبة (نصب الشيطان) وهي من عقائد الوثنيين، وهذا الحديث المكذوب يشرعن مناسك شركية لتحريف الحج والعمرة.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عابس بن ربيعة عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك. الشاهد من الحديث: وتقول على النبي حول تقديس الحجر الأسود وهي من عقيدة الوثنيين، وهذا الحديث يشرعن مناسك وثنية قصد منه تحريف الحج والعمرة.

حديث البخاري: حدثنا أبو الوليد حدثنا ليث عن بن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله تعالى عنهما قال لم أر النبي صلى الله عليه وسلم يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين.

وحديث آخر: حدثنا مسدد حدثنا خالد بن عبد الله حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال طاف النبي صلى الله عليه وسلم بالبيت على بعير كلما أتى الركن أشار إليه بشيء كان عنده وكبر تابعه إبراهيم بن طهمان عن خالد الحذاء. الشاهد من الحديث: وتقول على النبي حول طقوس وثنية في الحج (الركن اليماني من الكعبة) وكثيراً ما ذكر الحذاء برواية البخاري. الشاهد من الحديث: وتقول على النبي حول طقوس وثنية في الحج (الركن اليماني من الكعبة) وكثيراً ما ذكر الحذاء برواية البخاري بقصد السخرية.

حديث البخاري: حدثنا أبو عاصم عن بن جريج عن سليمان الأحول عن طاووس عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يطوف بالكعبة بزمام أو غيره فقطعه. الشاهد من الحديث: وتقول على النبي حول الطواف بزمام تشبيه الحاج بالدواب بقصد التحقير لشعيرة الطواف.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا فضيل حدثنا موسى بن عقبة أخبرني كريب عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة فطاف وسعى بين الصفا والمروة ولم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة. الشاهد من الحديث: وتقول على النبي حول تحريف منسك الطواف بالصفاء والمروة وتحويله إلى سعي مخالفاً القرآن الكريم قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة (158).

حديث البخاري: قال عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري قال أنس بن مالك كان أبو ذر رضي الله تعالى عنه يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقفي وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال جبريل.

الشاهد من الحديث: وتقولُه على النبي بذكر لفظ هابط ومنحط (فرج) ثم ذكر ماء زمزم تأسى بفكر الصابئية ومعراج الزرادشت بقصد تحريف الحج والعمرة.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت قدمت مكة وأنا حائض ولم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة قالت فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افعلي كما يفعل الحاج غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري.

الشاهد من الحديث: وتقولُه على النبي حول الحيض مانع من طواف المرأة في الحج وبذلك عطلوا منسك الطواف على المرأة بالمخالفة للقرآن الكريم الذي جعل المحيض مانع من وطء الزوج لزوجته حصراً وقصراً.

حديث البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عمرو حدثنا محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه كنت أطلب بعيراً لي وحدثنا مسدد حدثنا سفيان عن عمرو سمع محمد بن جبير عن أبيه جبير بن مطعم قال أضللت بعيراً لي فذهبت أطلبه يوم عرفة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفة فقلت هذا والله من الحمس فما شأنه ها هنا.

الشاهد من الحديث: وتقولُه على النبي وفيه من التشبيه والتندر والتحقير للنبي صلى الله عليه وسلم.

حديث البخاري: حدثنا محمد أخبرنا عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يسوق بدنة قال اركبها قال إنها بدنة قال اركبها قال فلقد رأيته راكبها يسائر النبي صلى الله عليه وسلم والنعل في عنقها تابعه محمد بن بشار.

الشاهد من الحديث: وتقولُه على النبي وفيه من الإيحاء بالألفاظ البذيئة بقوله اركبها للبدنة والبدنة من شعائر الله في الحج.

حديث البخاري: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن بن جريج عن عطاء قال سمعت بن عباس رضي الله تعالى عنهما يخبرنا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الأنصار سماها بن عباس فنسيت اسمها ما منعك أن تحجي معنا قالت كان لنا ناضح فركبه أبو فلان

وابنه لزوجها وترك ناضحاً ننضح عليه قال فإذا كان رمضان اعتمر في فيه فإن عمرة في رمضان حجة أو نحو ما قال.

الشاهد من الحديث: وتلاعبه بالألفاظ المنحطة كسابقها بقوله (ناضح، فركبه، فلان، وتشريعه لعمرة بر رمضان كحجة).

حديث البخاري: حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج حدثنا الأوزاعي حدثني عطاء بن أبي رباح عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم.

الشاهد من الحديث: وتقول له على النبي حول زواج الرسول في الحج قصد ضمناً بعدم تعظيم مناسك الحج من قبل الرسول وبالمخالفة للقرآن قال الله جل في علاه: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ...﴾ البقرة (197).

حديث البخاري: حدثنا أحمد بن يونس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن سالم عن عبد الله رضي الله تعالى عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يلبس المحرم من الثياب فقال لا يلبس القميص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرنس ولا ثوباً مسه زعفران ولا ورس وإن لم يجد نعلين فليلبس الخفين وليقطعهما حتى يكونا أسفل من الكعبين.

الشاهد من الحديث: وتقول له على النبي بتحريف ثياب محددة للحاج وغيره بالمخالفة للقرآن الكريم الذي جعل الحج كله على الاستطاعة قال الله تعالى: ﴿...وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران (97).

وأخيراً فقد جاء القرآن بتفصيل دقيق حول شعيرة الحج والعمرة محدد بمدة محددة من السنة الشمسية فجعل الله سبحانه الحج بأشهر ترتبط هذه الأشهر بمنع صيد البر وجعل الحج والعمرة بهذا التوقيت من السنة وحدد شعائر ومناسك الحج بدقة لكل المناسك محذراً من الرجس من الأوثان، وقد حددنا لهذا العنوان فصل خاص ضمن محتوى الجزء الثاني من هذا المؤلف.

ما جاء في صحيح البخاري حول فقه المرأة:

أورد البخاري حول هذا العنوان كتاب النكاح. كتاب الطلاق. كتاب النفقات وجاء في هذه الكتب ما يقارب من (140) باباً تقريباً، شمل عدداً من الأبواب المتفرقة حول النكاح والطلاق والنفقات، وهو ما يسمى بحقوق المرأة في الإسلام أو فقه الأسرة في الإسلام، وقد نقل البخاري محتوى هذا العنوان من كتب العقائد القديمة، حيث عمل من خلاله على تقديم صورة مشوهة عن المرأة، بالمخالفة للقرآن الكريم على الجملة، فقد حشر البخاري ما يزيد عن (250) حديثاً من أحاديث العنينة، ليدلل بها على مشروعية التحريف حول فقه المرأة خلافاً لما بيّنه القرآن الكريم من أحكام ووصايا تتعلق بحقوق المرأة بصفة عامة وكزوجة بصفة خاصة وغيرها من الحقوق ومن هذه الأحاديث التالي:

حديث البخاري: حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي، حدثنا الأعمش قال حدثني عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد قال دخلت مع علقمة والأسود على عبد الله فقال عبد الله كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شباباً لا نجد شيئاً فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي بتشريع الصيام بدلاً عن النكاح وهو ما يخالف القرآن الكريم والفطرة الإنسانية.

حديث البخاري: حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال حدثني أخي عن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أكل منها ووجدت شجراً لم يؤكل منها في أيها كنت ترتع بعيرك قال في التي لم يرتع منها تعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرة غيرها.

الشاهد من الحديث: في قوله على النبي وأهل بيته باستخدام الإيحاءات الجنسية وكثيرة مثل هذه الأحاديث محشورة ومكررة بصحيح البخاري.

حديث البخاري الطويل: حدثنا قتيبة حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد الساعدي قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله جئت أهب لك نفسي،..... فأمر به فدعي فلما جاء قال: ماذا معك من القرآن، قال: معي سورة كذا وسورة كذا عددها، فقال تقروهن عن ظهر قلبك قال: نعم قال: اذهب فقد ملكتها بما معك من القرآن.

الشاهد من الحديث: تقول البخاري كذباً على النبي وجعل القرآن صداق الزواج بالمخالفة للقرآن قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ النساء (4)، ثم ذكر لفظ يستخدم لدى الزواج عند اليهود كتوبيات أو قريب منه كـ(التملك) بالمخالفة لآيات القرآن الكريم الذي حدد صيغة العلاقة على هيئة ميثاق غليظ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ النساء (21) وما زال صيغة الزواج حتى يومنا هذا على هذا التحريف المندس من الفكر الديني اليهودي.

حديث البخاري: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله قال حدثني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي حول أفضلية نكاح المرأة وهو حديث مقتبس من التلمود⁽¹⁾ مع تغيير طفيف .

(1) انظر كتاب التلمود - قسم النساء . ترجمة مصطفى عبد المعبود .

حديث البخاري: آدم حدثنا شعبة عن سليمان التيمي قال: سمعت أبا عثمان النهدي عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بتحقيق المرأة والتقليل من شأنها، اقتداء بعقيدة اليهود والزرادشت وقد تكرر هذا الحديث.

حديث البخاري: عبد العزيز بن عبد الله قال حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المرأة كالضلع، إن أقمتها كسررتها، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بتحقيق المرأة وجعلها وعاء للاستمتاع وأنها من ضلع وهذا القول مقتبس من سفر التكوين بتوراة العبرانيين وقد تكرر الرد والاستشهاد به في موضع آخر عند الرد على كتاب الكافي

حديث البخاري: حدثنا محمد أخبرنا عبدة عن هشام عن أبيه عن عائشة {وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِطُوا فِي الْيَتَامَى} قالت اليتيمة تكون عند الرجل وهو وليها فيتزوجها على مالها ويسيء صحبتها، ولا يعدل في مالها فليتزوج ما طاب له من النساء سواها مثنى وثلاث ورباع. الشاهد من الحديث:: وتقوله على النبي حول التحريف الفاضح لتعدد النكاح بالمخالفة للقرآن الكريم وتأويل وتفسير خاطئ للنص

حديث البخاري: حدثنا محمد بن سلام حدثنا بن فضيل حدثنا هشام عن أبيه قال: كانت خولة بنت حكيم من اللائي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت: عائشة أما تستحي المرأة أن تهب نفسها، للرجل فلما نزلت {تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ} قلت: يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، رواه أبو سعيد المؤدب ومحمد بن بشر وعبدة عن هشام عن أبيه عن عائشة يزيد بعضهم على بعض.

الشاهد من الحديث: والتقؤل على النبي وأهل بيته في تحريف واضح لمدلول الآية وتحقير المرأة وشخصنة الآية بالنبي محمد عليه السلام.

حديث البخاري: حدثنا علي، حدثنا سفيان قال: عمرو عن الحسن بن محمد عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع قالاً: كنا في جيش فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا، وقال بن أبي ذئب حدثني إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال، فإن أحبا أن يتزيدا أو يتتاركا، فما أدري أكان لنا خاصة أم للناس عامة؟ قال أبو عبد الله وبينه علي عن النبي صلى الله عليه وسلم: إنه منسوخ.

الشاهد من الحديث: والتقؤل على النبي بالاستمتاع بالنساء أثناء الحرب، أو ما يعرف اليوم بنكاح الجهاد، وهو مخالف للقرآن الكريم.

حديث البخاري: حدثنا قبيصة بن عقبة، حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن عروة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وهي ابنة ست سنين وبنى بها وهي ابنة تسع ومكثت عنده تسعاً.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بنكاح الصغيرات، والقاصرات وهذا الحديث مقتبس من التلمود⁽¹⁾ الذي جوز نكاح الصغيرات اللاتي بعمر ثلاث سنوات ويوم، وهو مخالف للقرآن الكريم.

حديث البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن عبد الله بن دينار عن بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال كنا نتقي الكلام والانبساط إلى نساءنا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم هيبة أن ينزل فينا شيء فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم تكلمنا وانبسطنا. الشاهد من الحديث: وفيه يصرح الراوي بارتياحه بالحديث للنساء بوفاة النبي وانقطاع الوحي.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصوم المرأة وبعها شاهد إلا بإذنه. الشاهد من الحديث: وتقول على النبي بالمخالفة للقرآن الكريم حول حق المرأة وحريتها في الاعتقاد وذكر وصف البعل خطأ بتصنيفه كزوج

حديث البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا بن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح.

وحديث آخر للبخاري بنفس السياق: حدثنا محمد بن عرعة حدثنا شعبة عن قتادة عن زرارة عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي حول إجبار الزوجة للفراش بنص ديني، بالمخالفة لتعاليم الدين والفطرة.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجمعها في آخر اليوم.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بقول قبيح بحق المرأة وتشبيهها بالعبد.

حديث البخاري: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث عن بن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر: إن بني هشام بن المغيرة

(1) انظر التلمود - قسم النساء . ترجمة د. مصطفى عبد المعبود

استأذنوا في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد بن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما هي بضعة مني يربيني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بحق تعدد الزوجات بالمخالفة للقرآن الذي أقر بعدم تعدد الزواج وهناك خلط لدى البخاري وجماعته بين الزواج والنكاح.

حديث البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عندها وفي البيت مخنث، فقال المخنث لأخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية إن فتح الله لكم الطائف غدا أدلك على ابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخلن هذا عليكن. الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي حول المخنث ببيت النبي، قصد من هذا الحديث الاستهزاء والتحقير بالنبي وباهل بيته.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن الوليد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سيار عن الشعبي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا دخلت ليلاً فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فعليك بالكيس الكيس تابعه عبيد الله عن وهب عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكيس. الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي حول الكيس لطلب الولد وفيه من اللفظ البذي.

حديث البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الرحمن بن غسيل عن حمزة بن أبي أسيد عن أبي أسيد رضي الله تعالى عنه قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط، حتى انتهينا إلى حائطين فجلسنا بينهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اجلسوا ها هنا، ودخل وقد أتى بالجونية فأنزلت في بيت في نخل في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل، ومعها دايتها حاضنة لها فلما دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم قال: هبي نفسك لي قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة، قال فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن فقالت أعوذ بالله منك، فقال: قد عذت بمعاذ ثم خرج علينا فقال: يا أبا أسيد اكسها رازقيتين وألحقها بأهلها.

الشاهد من الحديث: والتقول على شخص نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم بإطلاق لفظ (السوقي) عليه ثم يقول على النبي بأن لا هم له غير معاقرة النساء.

حديث البخاري: حدثنا أزهر بن جميل، حدثنا عبد الوهاب الثقفي حدثنا خالد عن عكرمة عن بن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: أتردين عليه حديثه قالت نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقبل الحديقة وطلقها تطليقة، قال أبو عبد الله: لا يتابع فيه عن بن عباس. الشاهد من الحديث: في مشروعية الطلاق وقد جعل مضمون هذا الحديث في نص ضمن قانون الأسرة (1) بالمخالفة للقرآن الكريم.

حديث البخاري: حدثنا آدم حدثنا شعبة، حدثنا جبلة بن سحيم سمعت بن عمر يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم: الشهر هكذا وهكذا يعني ثلاثين ثم قال: وهكذا وهكذا يعني تسعا وعشرين يقول مرة ثلاثين ومرة تسعا وعشرين. الشاهد من الحديث: في تقوله على النبي بقول ألفاظ مبهمة، مثل: هكذا وهكذا لتفسر كيفما يراد بالمخالفة للقرآن الذي حدد الشهر بثلاثين يوم.

حديث البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن زينب بنت أبي سلمة أخبرته عن أمها أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة من أسلم يقال لها سبيعة كانت تحت زوجها توفي عنها، وهي حبلى فخطبها أبو السنابل بن بعكك فأبت أن تنكحه فقال: والله ما يصلح أن تنكحيه حتى تعتدي آخر الأجلين فمكثت قريباً من عشر ليال ثم جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: انكحي.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بمخالفة للقرآن الكريم حول المعتده من وفاء عليك أن تقف على الأسماء وألفاظ الشاذة الهابطة مثل (بعكك، تنكحيه، انكحي) وكثير ما يستخدمها البخاري في أحاديثه.

وفي الأخير احيل القاري الكريم إلى فصل خاص عن فقه المرأة لبيان وفيه تفاصيل عن حقوق المرأة وذكر تفاصيل من آيات القرآن الكريم حول الكثير من الحقوق والأحكام.

كتاب فقه المواريث والوصية:

جاء البخاري بكتاب الوصايا (الوصية) فكان تعداده قرابة (36) باب و(40) حديث. وكتاب الفرائض (المواريث) وتعداده قرابة (31) باب و(50) حديث، حشر البخاري كل تلك الأحاديث بقصد التحريف في طريقة انتقال التركة بين المورث والورثة، على نحو يخالف القرآن ويتوافق مع ما جرى من تحريف لهذا الموضوع في العقائد القديمة في شريعة العهد القديم والتلمود، فعمد البخاري لتعطل الوصية للورثة وقلص حقوق النساء ومنع حقوق مترتبة على التركة وغيرها، ثم حشر الوقف في أحكام المواريث على الرغم من أن الوقف لا مشروعية له في القرآن فهو لفظ أقتبس من العهد القديم، ثم زاد أن جعل الدين مانع من التوريت بين الأصول والفروع بالمخالفة للقرآن الكريم الذي أكد على أستحقاق الأثر بسبب الوصية والقربى بالولادة والقربى بالنسب والمصاهرة دون إثارة العقيدة، ومن خلال الاطلاع

(1) انظر قانون الاحوال الشخصية اليمني رقم (20) لسنة 1992م وتعديلاته . بالمواد (72- 73- 74)

على عناوين الأبواب سوف تتضح مدى التحريف الذي تعمد به البخاري في المواريث مستخدماً الناسخ والمنسوخ وهذا التحريف للأسف لا زال هو السائد حتى اليوم، ومن الأحاديث المستدل بها على تحريف مشروعية المواريث والمخالفة للقرآن الكريم، ننسخ بعض منها على النحو التالي.

حديث البخاري: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لو غض الناس إلى الربع لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الثلث والثلث كثير أو كبير.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي حول تقدير الوصية بالثلث وفي حديث آخر ولغير وارث وهو ما يخالف القرآن الكريم صراحة قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ البقرة (180).

حديث البخاري: حدثنا محمد بن يوسف عن ورقاء عن بن أبي نجيح عن عطاء عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع.

الشاهد من الحديث: وتقوله حول إبطال الوصية بحكم الناسخ والمنسوخ مخالفاً للقرآن الكريم ثم شرع بتقرير أنصبة قد حددها القرآن الكريم الذي أكد على عقد الوصية شكلاً وموضوعاً بحسب الآية التالية: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ المائدة (106).

حديث البخاري: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا وهيب حدثنا بن طاووس عن أبيه عن بن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فهو لأول رجل ذكر. الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي حول إلحاق الفرائض بأهلها فما بقي لأول ذكر وهذا مخالف للقرآن من كون القرآن جعل الأنثى الأساس عند تقسيم الأنصبة وليس الذكر، لذلك ترك ما تبقى من الأنصبة للسلطة المخولة في الزمان والمكان، فهي الأولى في تقدير الاستحقاق المتبقي من الأنصبة.

حديث البخاري: حدثنا أبو عاصم عن بن جريج عن بن شهاب عن علي بن حسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بمنع الإرث لاختلاف الدين بالمخالفة للقرآن الكريم الذي جعل سبب التوارث قائم على علاقة النسب بالولادة والمصاهرة بالزواج وبعدم الوصية دون أن يكون اختلاف الدين مانع من الإرث.

وأخيراً: فقد تم تقديم المواريث بصورة مفصلة بعنوان مستقل (فصل) فقه المواريث في الجزء الثاني من هذا الكتاب خشية الأتالة.

كتاب العبيد (الرق)

ويتضمن كتابين، هما: كتاب العتق، وتجدر الإشارة إلى أهمية محتوى هذا الكتاب لما له من أهمية بالغة في حياة المجتمعات والشعوب الإنسانية والتأثير الخطير في تقسيم المجتمعات، وإيجاد الفوارق الطبقيّة القائمة على العرق والجنس واللون ودور الإسلام في محاربة هذا الخطر الذي يتهدد المجتمعات منذ عصر ما قبل التاريخ، وعلى ذلك سوف أحاول تسليط الضوء على هذا الكتاب بالمختصر المفيد، والذي حاول البخاري لي عنق الحقيقة فسار على طريقة شريعة حمورابي وشريعة العهد القديم في تكريس العبودية بصورة صارخة وفاضحة حسب ما نوضحه في الآتي:

بلغ عدد الأبواب في العتق والعبيد عشرين باباً تقريباً، عدد البخاري أنواع الرق والرقيق والأيمان والعبد والعبيد والجارية والجواري وغيرها من المصطلحات المشينة بحقوق الإنسان كالتطاول بالقول عبدي أو أمّتي، أو خادمي أو خادمتي وغيره، وقد أورد البخاري خمسة وأربعين حديثاً يدلّ بها على مشروعية تحريف عناوين الأبواب التي ذكرها بكتابه، في التّقول على النبي، قصد من خلالها ترسيخ العبودية في المجتمع الإسلامي عبر عدد من أحاديث العنينة المقتبسة من العقائد القديمة، لاسيما عقيدة اليهود وشريعة حمورابي وقانون روما حسب ما سبق ذكره، مخالفاً بذلك كلام الله الذي يدعو لمعالجة هذه المعضلة من جذورها، فالقرآن أكد على تحرير الإنسان من الرق والعبودية، كما بحث على المساواة والحرية بين الناس جميعاً وهذه الأحاديث الكاذبة المخالفة للقرآن الكريم لا تمت بصلة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو منها بري ومنها نسرد بعضاً في الآتي:

حديث البخاري: حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال أعتق رجل منا عبداً له عن دبر فدعا النبي صلى الله عليه وسلم به فباعه قال جابر مات الغلام عام أول.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي ببيع عبداً كان قد أعتق ثم دعاه النبي وباعه، فيموت ذلك العبد كمدّاً (قهرًا) بسبب ذلك الفعل من النبي، والله سبحانه يخاطب الأنبياء والرسل وكل الناس قال سبحانه وتعالى: ﴿فَكُنْ رَقَبَةً﴾ (البلد (13))، ذلك تقولاً شنيعاً بحق النبي من البخاري بحديثه المزعوم.

حديث البخاري: حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة عن موسى عن بن شهاب قال حدثني أنس رضي الله تعالى عنه أن رجلاً من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه فقال: لا تدعون منه درهماً.

الشاهد من الحديث: وتقول المذبذب على النبي برفض عرض تحرير عبد بفداء. حديث البخاري: حدثنا علي بن الحسن أخبرنا عبد الله أخبرنا بن عون قال: كتبت إلى نافع فكتب إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية، حدثني به عبد الله بن عمر وكان في ذلك الجيش.

وحديث آخر للبخاري بنفس السياق:

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن محمد بن يحيى بن حبان عن بن محيريز قال رأيت أبا سعيد رضي الله تعالى عنه فسألته، فقال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبياً من سبي العرب فاشتبهنا النساء، فاشتدت علينا العزبة وأحببنا العزل، فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما عليكم ألا تفعلوا ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة.

الشاهد من الحديثين أعلاه: وتقول المذبذب على النبي بأنه رجل حرب يشن حروبه على الأمنين وأنعامهم تسقى من بني المصطلق، فقتلهم هو وأصحابه ثم في الحديث الثاني ذكر قولاً شنيع ونسبه للنبي وأصحابه حول سبي النساء لاشتبهائهم للممارسة الجنسية مفضلين، العزل (قذف الشهوة) خارج رحم الأسيرات السبايا من النساء، والنبي يوافقهم على ذلك، هكذا يريد البخاري لصق الفجور بالنبي محمد عليه السلام وبأصحاب النبي وبالمجتمع المسلم.

حديث البخاري: حدثنا بشر بن محمد أخبرنا يونس عن الزهري سمعت سعيد بن المسيب يقول قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبد المملوك الصالح أجران والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك.

الشاهد من الحديث: وتقول المذبذب على النبي بأنه يفضل حياة العبيد ويحث عليها قصد بذلك البخاري التحقير بالنبي وبالمجتمع المسلم خلافاً لمنهج القرآن الكريم.

هذه بعض الأحاديث في هذا الكتاب الذي جاء متوافق مع العهد القديم من التوراة والتلمود، وبعض من ما ورد في شريعة حمورابي وقانون روما حول العبيد، غير أن القرآن الكريم جاء في عدد من آيات الذكر الحكيم يؤكد على الحرية والمساواة بين الناس بصفة عامة، ويدعو إلى تحرير الإنسان من الرق والعبودية بعدد من الطرق وقد أوردنا عنوان (فصل) عن هذا الموضوع في الجزء الثاني يمكن الرجوع إليه خشية الأطلاة.

كتاب الحدود:

تعتمد البخاري كغيره تحريف التعريف اللفظي والموضوعي للحد والحدود وحرفوا الحد بمعنى العقوبة الجزائية للفعل المجرم وهو خطأ مقصود، والمعلوم أن الحد وجمعها حدود جاء بتعريف آخر للحد: وهو ذلك الشيء المحدد بذاته والمستغرق للشيء كاملاً بحيث لا يتجاوز حده لغيره، وقد ورد ذكر الحد والحدود في الكثير من آيات القرآن الحكيم التي تحدد مقدار الالتزام ببعض الشعائر والمناسك والعبادات وبعض قواعد الأحكام وحقوق المرأة، خاصة حقوق المرأة المطلقة حسب حدود معينة حسب بعض الآيات بالآتي:

• قَالَ تَعَالَى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمَ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ البقرة (229).

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ الطلاق (1).

• قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة (230).

• قَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة (97).

غير أن البخاري ومعه جماعة التحريف جاءوا بخلاف ذلك من خلال التوظيف الخاطي للحدود والخلط بينها وبين العقوبات الجنائية، يظهر ذلك من خلال سرد الأبواب التي أظهرها البخاري في تعريف المفهوم العملي من الحدود وجعل من الحد حق محض خالص لله، ثم تقصد التفرقة بين الناس عند تطبيق الحدود من خلال تقسيمهم إلى حر وعبد، وكذلك المرأة، والأمة في إقامة الحد أو الحدود حسب ما جاء في تلك الأبواب المعنونة والتي حشرها وحشر معها عدداً من أحاديث العنعنة لإضفاء مشروعية تحريف المعنى الحقيقي من الحدود، ومن تلك الأبواب نقتبس بعض منها في الآتي: الضرب بالجريد والنعال حداً لشارب الخمر، قطع يد السارق، الرجم للمحصن من زنا وغيرها بحسب مشروعية من أحاديث العنعنة ننسخ بعض منها بالآتي:

حديث البخاري: حدثنا حفص بن عمر حدثنا هشام عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا آدم، حدثنا شعبة حدثنا قتادة عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب في الخمر بالجريد والنعال، وجلد أبو بكر أربعين.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي وعلى أبي بكر بشأن تطبيق الحد على شارب الخمر بضربه بالجريد والنعال والجلد وهذا الحد لا مشروعية له من القرآن الكريم ولا توجد آية من القرآن تحرم الخمر.

حديث البخاري: حدثني إبراهيم بن المنذر حدثنا أبو ضمرة حدثنا موسى بن عقبة عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قطع النبي صلى الله عليه وسلم يد السارق في مجن ثمنه ثلاثة دراهم.

وحديث آخر للبخاري بنفس السياق حول قطع يد السارق ببيضة حداً:

حديث البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا الأعمش قال سمعت أبا صالح قال سمعت أبا هريرة قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده.

وحديث آخر للبخاري بنفس السياق حول قطع يد امرأة بحد السرقة:

حديث البخاري: وحدثنا إسماعيل بن عبد الله قال حدثني بن وهب عن يونس عن بن شهاب عن عروة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قطع يد امرأة قالت عائشة وكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتأبى وحسنت توبتها.

الشاهد من الأحاديث: التقول المكذوب على النبي بشأن قطع اليد من سرق بثلاثة دراهم حداً، وقطع يد السارق بسرقة بيضة، وتنفيذ قطع اليد على امرأة برواية عائشة وهذه الأحاديث المنكرة الكاذبة عن النبي والمخالفة لآيات القرآن الكريم الذي جاء بآية تمثل قاعدة عملية من قواعد التشريع العقابي والجنائي قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ المائدة (38)، وقد تم شرح هذه القاعدة الجنائية في آيات أخرى من سورة يوسف بصورة مفصلة قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَيْتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ يوسف (70) وغيرها من الآيات التي تليها.

حديث البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن الزهري عن عبيد الله عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال عمر لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله إلا وإن الرجم حق على من زنى وقد أحسن إذا قامت البينة أو كان الحمل أو الاعتراف، قال سفيان كذا حفظت إلا وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي وعمر بتأكيد قيام عقوبة القتل رجماً بالحجارة حداً في مستقبل أجيال المسلمين وإنكارهم لهذا الحد

حديث البخاري: حدثني عبد الله بن محمد الجعفي حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال سمعت يعلي بن حكيم عن عكرمة عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما أتى ماعز بن مالك النبي صلى الله عليه وسلم قال له لعلك قبلت أو غمرت أو نظرت، قال: لا يا رسول الله، قال: أنكثها (لا يكني) قال نعم فعند ذلك أمر برجمه.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي بتنفيذ القتل رجماً بالحجارة حداً لمن يزني وهو متزوج ولفظ (نكتها) بالمخالفة للقرآن قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النور (2) وهذه العقوبة مكررة في العهد القديم لعقوبات كثيرة نقلها البخاري من التوراة(1).

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة أنه سمعه يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها، ولا يثرب ثم إن زنت فليجلدها ولا يثرب، ثم إن زنت الثالثة فليبيعها ولو بحبل من شعر، تابعه إسماعيل بن أمية عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. الشاهد من الحديث: وتقول على النبي في التمييز العنصري الفاضح بالجلد حداً وبيع الأمة المتكرر زناها بحبل من شعر بالمخالفة الفاضحة لآيات القرآن.

وأخيراً: ولتوضيح ذلك فقد أفردنا عنواناً مستقلاً في هذا الموضوع ضمن الجزء الثاني من هذا المؤلف تحدثنا فيه عن قواعد العقوبات الجزائية في القرآن تحت مسمى (فقه العقوبات).

ما جاء في صحيح البخاري حول الجهاد والخمس والجزية والمغازي:

وفيه أربعة كتب، وهي: كتاب الجهاد والسير. كتاب فرض الخمس. كتاب الجزية. كتاب المغازي، ومن خلال هذه الكتب وصم البخاري النبي محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه ومجتمعه بالحرب والإرهاب والقتال وقسم العالم لدار حرب ودار إسلام وغير ذلك من المصطلحات التي أخرجت مفاهيم الجهاد بمعنى المقاومة الشريفة للفساد والمعتدين والاستعمار والجهاد بمعنى المقاومة الوطنية والجهاد من أجل الحق والعدل والفضيلة والحرية وحرية المعتقد وحرية الفكر فأخرج البخار الجهاد عن مساره الحقيقي حسب ما جاء بكلام الله سبحانه في القرآن الكريم.

وعن الأبواب المشتملة في كتاب الجهاد والسير: ذكر البخاري عدداً من الأبواب بلغت مائة وتسعة وتسعين باباً حول الجهاد في الإسلام وعرفه بأنه الغزو والإغارة والعنف

(1) انظر العهد القديم – التوراة – سفر التثنية (5) فأخرج ذلك الرجل أو تلك المرأة، الذي فعل ذلك الأمر الشرير إلى أبوابك، الرجل أو المرأة، وارجمه بالحجارة حتى يموت). ونص آخر من سفر التثنية . (21) يخرجون الفتاة إلى باب بيت أبيها، ويرجمها رجال مدينتها بالحجارة حتى تموت، لأنها عملت قباحة في إسرائيل بزناها في بيت أبيها. فتنزع الشر من وسطك).

والبطش، والاقْتتال وقتل الناس الأمنين أو المستأمنين وإخضاعهم للدين بالقوة، والقتال من أجل الغنائم والفيء والأنفال والخمس والسبي وانتهاك الأعرض وقتل المقاتلين وسبي النساء وأسرهن من أجل المعاشرة الجنسية، وبيعهن جوارى وعبيداً وغيره، وجعل من الجهاد وسيلة لخدمة الإمام أو الحاكم مهما كان ظلمه ما لم يصرح بكفر بواح، هكذا أراد البخاري وغيره من أئمة الحديث وفقه السيرة وفكر المذاهب تعريف الجهاد والسير، وعرفه أيضاً فقهاء المذاهب الآخرين من السنة والشيعة بنفس تلك التعريفات المخالفة لكلام الله سبحانه وتعالى. ومن أبواب الجهاد والسير التي حرف من خلالها البخاري المعنى الحقيقي للجهاد، والتي سيتضح لنا ذلك وبصورة أولية من خلال استعراض عناوين الأبواب المشتملة عليه هذه الكتب، حيث بلغ عدد الأحاديث التي ضمها البخاري بكتاب الجهاد والسير (294) حديثاً تقريباً جاءت مخالفة للقرآن الكريم وفيها الكثير من التكرار والغموض واستخدام ألفاظ وأسماء غريبة وشاذة عن اللسان العربي كما هو المعتاد بكتبهم السابقة، نذكر بعض منها في الآتي:

حديث البخاري: حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا شابة بن سوار الفزاري حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء رضي الله عنه يقول أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل مقنع بالحديد، فقال يا رسول الله أقاتل وأسلم قال أسلم ثم قاتل، فأسلم ثم قاتل فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل قليلاً وأجر كثيراً.

الشاهد من الحديث: وتقولُه على النبي بالحث على القتال من أجل الاقْتتال وكأنما الإسلام له باب واحد وهو باب القتال من أجل الاقْتتال.

حديث البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا عبد الوهاب حدثنا خالد عن عكرمة أن بن عباس قال له ولعلي بن عبد الله: انتيا أبا سعيد فاسمعا من حديثه فأتيناه وهو وأخوه في حائط لهما يسقيانه فلما رأنا جاء فاحتبى وجلس، فقال كنا ننقل لَيْن المسجد لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين، فمر به النبي صلى الله عليه وسلم ومسح عن رأسه الغبار، وقال ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار.

الشاهد من الحديث: وتقولُه على النبي بعلم الغيب في مقتل عمار بن ياسر ومعلوم أن الله وحده المتفرد بعلم الغيب حسب نصوص آيات الذكر الحكيم قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الأنعام (59).

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن موسى بن عقبة عن سالم أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتبه قال كتب إليه عبد الله بن أبي أوفي رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف تابعه الأويسى عن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة.

الشاهد من الحديث: وتقولُه على النبي بجعل بوابة العبور للجنة عبر السيف والاقْتتال بالمخالفة للقرآن جملة وتفصيلاً.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد.

الشاهد من الحديث: وتقولهم الفج على النبي وعلى ذات الله بأنه يضحك للقتل برواية هذه الأسماء الغربية (أبي الزناد- والأعرج- وأبي هريرة).

حديث البخاري: حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا الحسين قال حدثني يحيى قال حدثني أبو سلمة قال حدثني بسر بن سعيد قال حدثني زيد بن خالد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا.

الشاهد من الحديث: ونقول على النبي حول تجهيز غازي ومعلوم أن الغازي هو المعتدي والله سبحانه يمنع الاعتداء من خلال هذه الآيات وغيرها قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ الأعراف (55). قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المائدة (87). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة (190).

حديث البخاري: حدثنا عمرو بن عباس حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن أبي إسحاق عن عمرو بن الحارث قال ما ترك النبي صلى الله عليه وسلم إلا سلاحه وبغلة بيضاء وأرضا جعلها صدقة. وحدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير وقال يعلي حدثنا الأعمش، درع من حديد وقال معلى حدثنا عبد الواحد حدثنا الأعمش وقال: كان رهنه درعاً من حديد.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي أنه رجل حرب لم يورث غير أدوات حربية منها درعه المرهون لدى اليهود، وهناك أحاديث كثيرة تظهر النبي مديناً لليهود، وظهور اليهود في أغلب أحاديث البخاري لها دلالة مقصودة بالدس من الأسرائيليات، والدرع والسيف والشعر والعمامة والحذاء وغيرها من المقتنيات التي تظهر هنا وهناك في بعض المتاحف للنبي محمد عليه السلام ونرى بعض السذج يتبرك قالَ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران (144). قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة (134).

حديث البخاري: حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي يا مسلم: هذا يهودي ورائي فاقتله. وحديث آخر للبخاري بنفس السياق: حدثنا سعيد بن محمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح عن الأعرج قال: قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الأعين، حمر الوجوه ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر.

وحديث آخر للبخاري بنفس السياق: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري حدثنا سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله رواه عمر وابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وحديث آخر للبخاري بنفس السياق: حدثنا مسدد حدثنا يحيى بن سعيد عن يحيى بن سعيد الأنصاري قال حدثني أبو صالح قال سمعت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي ما تخلفت عن سرية، ولكن لا أجد حمولة ولا أجد ما أحملهم عليه، ويشق عليّ أن يتخلفوا عني ولوددت أني قاتلت في سبيل الله فقتلت ثم أحييت ثم قتلت ثم أحييت.

وحديث آخر للبخاري بنفس السياق: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب فبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي قال أبو هريرة وقد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم تنتثلونها. **الشاهد من الأحاديث:** تقولهم على النبي بإخبار عن علم الغيب بمستقبل قتال المسلمين لليهود والترك والله وحده هو من يعلم الغيب وقد سبق الرد على ذلك مراراً، كما أن هذه الأحاديث وغيرها قصد من دسها في المذاهب الإسلامية والأديان بث الفرقة والاختلاف ودعوى للقتال والاقتتال لمستقبل أجيال من بني الإنسانية وفيه من خرافة نطق الحجر والأستخفاف بالقارئ، وفي الحديث الآخر جاء بالتقول على النبي بأنه يقاتل الناس لإكراههم على دخول الإسلام بالقوة وأنه ينصر بالرعب والخوف وأنه بعث بجوامع الكلم. والتقول على النبي في الترغيب بالقتل من أجل الاقتتال، والتقول على النبي بانتصاره بالرعب وذكر لفظ غريب عن العربية بقوله (تنتثلونها) وغيره.

حديث البخاري: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن بن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بخرافة قرية النمل وفيها الكثير من التندر والاستخفاف بالأنبياء وبالقاري.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن موسى بن عقبة عن نافع عن بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال حرق النبي صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير. الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بإحراق نخل يهود بني النضير ولصق الفساد بالنبي.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا يحيى بن أبي زائدة عن أبيه عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطاً من الأنصار إلى أبي رافع فدخل عليه عبد الله بن عتيك بيته ليلاً فقتله وهو نائم.

حديث آخر للبخاري: حدثني عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من لكعب بن الأشرف فقال محمد بن مسلمة أتحب أن أقتله، قال نعم قال فأذن لي فأقول، قال قد فعلت. (وأحاديث مطولة أخرى بنفس السياق تقول البخاري بها عن القتل والغدر والاغتيال...).

الشاهد من الحديثين: وتقوله على النبي بأعمال الغدر والاغتيال بحسب قصة اغتيال أبي رافع وغيرها من حوادث الأغتيالات التي نسبة للنبي كاغتيال كعب الأشرف من اليهود حسب ما في الحديث الثاني بقصد تشويه النبي عن حقيقة الرسالة ودعوة الناس بالحكمة.

حديث البخاري: حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم عن أبي أمية هو بن سهل بن حنيف عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد وهو بن معاذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قريباً منه، فجاء على حمار فلما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا إلى سيدكم فجاء فجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له إن هؤلاء نزلوا على حكمك قال فإني أحكم أن تقتل المقاتلة وأن تسبي الذرية، قال لقد حكمت فيهم بحكم الملك، وفي رواية أخرى بحكم الله. الشاهد من الحديث: تقول البخاري المكذوب عن النبي بحكم سعد في يهود بني قريظة، بأن كان حكم سعد ترجمة لحكم الله وهو تقولاً قصد منها تشويه المسلمين والنبي ووصمهم بالإرهاب والقتل وإظهار اليهود انهم تعرضوا للإبادة العرقية على يد المسلمين والنبي.

وأخيراً: ولبيان حقيقة الجهاد وتعريف الجهاد فقد خصصنا عنوان لهذا الموضوع ضمن هذا المؤلف الجزء الثاني أوضحنا من خلاله تعريف وشرح الجهاد بصورة مفصلة حسب ما جاء بالقرآن الكريم تحت عنوان فقه الجهاد.

كتاب فرض الخمس:

سوف نذكر جميع الأبواب التي شملها هذا الكتاب، ومن خلالها يتضح مدى اتفاق جماعة التحريف وبصمة اليهود في هذا الموضوع لدى البخاري والكافي، وكأنما خرجا من حجرة واحدة مع اختلاف التاريخ وبعض مسند الرواية للحديث، وقد بلغت أحاديث البخاري التي وردت على مشروعية فرض الخمس قرابة (61) حديثاً، وقد رأينا أن نذكر نماذج منها للتعريف بها من زاوية المذهب السني، على اعتبار أن المذهب الشيعي جعل الخمس والفيء والأنفال حقاً أساسياً لآل أو أهل البيت فقط دون غيرهم، وعند البخاري تعتمد إظهار الخمس كحق متصل بنسب النبي بالمخالفة للقرآن الكريم، ثم حشر عناوين وأبواب وأحاديث لا تتصل بصلة بالمواضيع المثارة قاصداً منه تنويه القارئ كعادته ومن أهم هذه المواضيع والعناوين والأحاديث نقتبس لكم بعضاً منها حسب التالي.

حديث البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن بن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أخبرته أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه فقال أبو بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر قالت وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير وفدك وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك، وقال لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ فأما صدقته بالمدينة فدفعتها عمر إلى علي وعباس، وأما خير وفدك فأمسكها عمر، وقال هما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتا لحقوقه التي تعرفون ونوابه وأمرهما إلى من ولي الأمر، قال فهما على ذلك إلى اليوم.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي وعلى فاطمة وعلى أبي بكر في قصة أرض فدك وخير بغرض إظهار أن النبي لا يورث إلا من أرض مستولى عليها بحرب شنها مثل معركة خيبر مع اليهود المزعومة بحسب مدلول الحديث ولو فرضنا صحة هذا الكذب فأين الفيء من المعارك الأخرى؟ ولماذا انحصر الأمر على أرض فدك اليهود؟ وهل هذا الدس المفضوح من أجل إيجاد مظلمة لليهود في المستقبل؟ مع أن القرآن عرف الخمس والفيء والأنفال بآيات القرآن بصورة واضحة، ثم شرع البخاري في أحاديث أخرى أن الأنبياء والرسول لا يتوارثون، وأن آيات الوصية والمواريث لا تنطبق على النبي وأهل بيته وهو قولاً فيه تشنيع بالنبي ومخالف للقرآن الذي جاء بآيات في المواريث والوصية والأنصبة تخاطب الناس جميعاً وعلى قاعدة واحدة سواء كان نبي أو رسول أو واحد من الناس.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقتسم ورثتي ديناراً ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة.

الشاهد من الحديث: التقوّل المكذوب عل النبي بنفي التوريث والعمل بالوصية بكل ما يملك بعد موته على لسان النبي بالحديث، ثم يأتي في حديث آخر يلغي الوصية ويقصرها على الثلث والثلث كثير ولغير وارث.

حديث البخاري: حدثني أحمد بن المقدم حدثنا الفضيل بن سليمان حدثنا موسى بن عقبة قال أخبرني نافع عن بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها وكانت الأرض لما ظهر عليها لليهود، وللرسول وللمسلمين فسأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم على ذلك ما شئنا فأقروا حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تيماء وأريحا.

الشاهد من الحديث: وتقوّل على النبي وعلى عمر ابن الخطاب بشأن اليهود عامة ويهود خيبر خاصة وإجلانهم والهدف الرئيسي إيجاد مظلمة لليهود بطردهم وتشويه الرسول والمسلمين بعدم التعايش مع الآخر، هذا مع فرض صحة وجود اليهود في أرض العرب في ذلك التاريخ.

حديث البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جويرية عن نافع عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال هنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان.

الشاهد من الحديث: وتقوّل الفاضح على النبي وأهل بيت النبي وأن الفتنة تخرج من مسكن عائشة ومنها يطلع قرن الشيطان.

حديث البخاري: حدثني محمد بن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب عن حميد بن هلال عن أبي بردة قال أخرجت إلينا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبداً وقالت في هذا نزع روح النبي صلى الله عليه وسلم وزاد سليمان عن حميد عن أبي بردة قال أخرجت إلينا عائشة إزاراً غليظاً مما يصنع باليمن وكساء من هذه التي يدعونها الملبدة.

الشاهد من الحديث: وتقوّل على أم المؤمنين ولفظ (نزع روح النبي) والنزع عذاب كما في الآية قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ (القمر، 20) وغيرها وهناك خلط بين الروح والنفس لدى البخاري.

المعلوم أن الجزية عقوبة مالية تفرض بسبب نشوب الحروب والمعارك من الطرف المنتصر على الطرف المهزوم، وقد ظهرت منذ بدء التاريخ الإنساني، ألا أن البخاري وجماعة التحريف حرفوا المقصد من الجزئية وجعلوها فريضة على غير المسلم في ظل عيشه وحياته المشتركة مع المسلمين في وطن واحد وهو ما يعد إخلال بالحقوق المدنية، بالمقابل منعوا عنه الزكاة، وقد بلغ عدد الأحاديث في أبواب كتاب الجزية قرابة (30) حديثاً، بالمخالفة للآية (29) من سورة التوبة وهو ما سوف نوضحه من خلال عناوين الأبواب والأحاديث التالي:

حديث البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال: سمعت عمر قال كنت جالساً مع جابر بن زيد وعمرو بن أوس فحدثهما بجمالة سنة سبعين عاماً حج مصعب بن الزبير بأهل البصرة عند درج زمزم، قال كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة، فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر.

حديث آخر للبخاري: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة أنه أخبره أن عمر بن عوف الأنصاري وهو حليف لبني عامر بن لؤي وكان شهد بدرًا، أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما،..... الخ.

الشاهد من الحديثين: الرواية عن النبي وعن عمر بفرض الجزية على الناس من أهل البحرين وأهل فارس (مجوس هجر)، وهذا القول يخالف القرآن الكريم جملةً وتفصيلاً.

ما جاء من القرآن الكريم حول الجزية:

أورد الحق سبحانه وتعالى آية واحدة في القرآن الكريم من سورة التوبة عن الجزية قال جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: 29).

وما يفهم ويفقه من بيان مدلول هذه الآية أن الجزية عقوبة مالية مؤقتة بسبب نشوب المعارك الحربية بين المتقاتلين، وتفرض غالباً على الدولة المهزومة ولا تمتد لغيرها من الأشخاص في مناحي الحياة الأخرى، وهي عقوبة قديمة كانت تتخذها أغلب الجيوش المتحاربة منذ قدم التاريخ البشري، ومن نافلة القول: إن اليهود توسعوا بفرض الجزية بعد أن صبغوها بالصبغة الدينية واستخدموها في شتى مناحي الحياة في السلم والحرب، على الشعوب

من الأموريين والآشوريين والكنعانيين، وغيرهم⁽¹⁾، ولذلك نجد مدلول الآية يربط الجزية بوقائع القتال من الذين أوتوا الكتاب الذين يقاتلون ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله، إذ لا يقصد منها الاعتداء كما صورها البخاري ولذاتها وبسببها، بل هي حالة خاصة ترتبط بحالة قيام الحرب فقط، على اعتبار أن الإيمان بالدين أو الكفر يستند على قاعدة الحرية في الاعتقاد، غير أن المذاهب استنسخوا واقتبسوا من تراث العقائد القديمة تشريعات وأحاديث عن الجزية عبر هذا الكم من العناوين والأحاديث ونسبوا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده وهم منها براء، وعمدوا لتعميم الجزية على حياة الإنسان العادي وهو خطأ جسيم ومقصود من البخاري وجماعته.

كتاب المغازي:

أظهر البخاري وغيره النبي محمد غازياً ومحارباً يقود المعارك ويسبي النساء ويقتل الأطفال والشيوخ ويحرق المزروعات ويأخذ الجزية وعدد له غزوات وسرايا، فأظهر النبي بكل مظاهر الفساد في الأرض من خلال الأحاديث الواردة في هذا الكتاب وغيره خلافاً لمقصد بعثته ورسالته المتصفة بالرحمة والدعوى إلى الله سبحانه ومنع الاعتداء، ومن الأبواب المشتملة في كتاب المغازي حشر البخاري قرابة (90) باباً أضافه إلى (470) حديثاً تقريباً من أحاديث العننة، وهو عدد كبير لعنوان يعد خطأ من أساسه، إذ يظهر هذا العنوان الرسول بالغازي والمحارب، والمقاتل الموصوم بالإرهاب والرعب والخوف، خلافاً لوظيفة الرسول الحقيقية المتمثلة بإبلاغ رسالة الله سبحانه وتعالى، بما تحمل من الدعوى بالحكمة والهداية والرحمة، والنور للناس جميعاً، فكانت هذه هي وظيفة الرسل والأنبياء على الدوام وليس الغزو والحرب والسبي الذي أراد البخاري إظهاره في شخص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، كما أصّلت جماعة التحريف هذه المغازي في كتاب سيرة النبي لابن هشام، وفي كتاب المغازي للبخاري الذي ورد فيه عدد كبير من أحاديث العننة المكررة بما يؤكد أنهم جميعاً خرجوا من حجرة واحدة، من أجل تحريف سيرة النبي والتاريخ العربي، فحرفوا على النبي كثير من الغزوات والمغازي والسرايا والبعوث والأغارات، ومعلوم أن الغزوا والغزاة والسرايا من أعمال الاعتداء والغازي معتدي والغازي مستعمر والقرآن الكريم نزل على الرسول محمد عليه السلام مشدداً على منع الاعتداء في كثير من الآيات ألا ان البخاري جاء بأحاديث تخالف هذا الواقع وسوف نوضح ذلك بالآتي:

حديث البخاري: حدثني عبد الله بن محمد حدثنا وهب حدثنا شعبة عن أبي إسحاق كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقل له كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة، قال: تسع عشرة، قيل كم غزوت أنت معه قال: سبع عشرة، قلت: فأيهم كانت أول، قال العشير أو العسيرة فذكرت لقتادة فقال: العشيرة.

(1) . العهد القديم – سفر يشوع . النص: (10 فلم يطردوا الكنعانيين الساكنين في جازر . فسكن الكنعانيون في وسط أفرام إلى هذا اليوم، وكانوا عبيدا تحت الجزية.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بحصر تعداد غزوات وسرايا النبي وإظهار حياته كلها بالغزوا والسرايا والإغارات على الآخرين.

حديث البخاري: وعن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في أسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء الننتين لتركتهن له.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بتلفظ كلمات نابية (نتن) بحق الأسارى.

حديث البخاري: حدثنا إسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق أخبرنا بن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال حاربت النضير وقريظة، فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فأمنهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود المدينة. وحديث آخر للبخاري: حدثنا موسى، حدثنا جرير بن حازم عن حميد بن هلال عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: كأي أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم، موكب جبريل حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة.

وحديث آخر للبخاري: حدثنا الحجاج بن منهال أخبرنا شعبة، قال أخبرني عدي أنه سمع البراء رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان اهجم أو هاجهم، وجبريل معك وزاد إبراهيم بن طهمان عن الشيباني عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قريظة لحسان بن ثابت اهجم المشركين فإن جبريل معك

وحديث آخر للبخاري: حدثنا آدم، حدثنا الليث عن نافع عن بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزلت {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ}.

الشاهد من الأحاديث أعلاه: وتقوله على النبي والصحابة وجبريل وإظهار مظالم اليهود وتهجيرهم قسراً بسبب الدين والعصبية القومية، وكذلك من حيث تعرضهم للقتل وأسر نسائهم وأولادهم لبيعوا في الأسواق، وأن الملك جبريل كان مشاركاً لهم في تلك الأفعال، والتقؤل على النبي بحرق نخل اليهود ودس تأويل خاطئ للقرآن الكريم بقصد إظهار الرسول بأعمال الفساد في الأرض.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه

وسلم في غزاة ونحن ستة نفر بيننا بغير نعتقه فنقبت أقدامنا ونقبت قدمي وسقطت أظفاري وكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا، وحدث أبو موسى بهذا ثم كره ذاك قال ما كنت أصنع بأن أذكره كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي بغزوة ذي الرقاع من أجل تعقب بغير شارد في الصحراء ويقصد منه الاستخفاف بعقل القارئ.
ما جاء من القرآن حول المغازي والغزوات والسرايا:

المغازي: مفردها غزوة والغزو مصدر غزا، والفاعل منه غازي، والغازي هو المعتدي بقواته المسلحة على غيره، بغرض الاستيلاء على الأرض والمال، وما ينتج من هذا الغزو من حروب وخراب للمدن والممتلكات والأوطان، وتأثيرها السيء على الناس أطفالاً ونساءً وثكلى وعلى الحياة برمتها. ومن خلال هذه الأبواب والعناوين وأحاديث العنينة المحشورة في كتاب البخاري، وسيرة النبي لابن هشام برواية جماعة ابن إسحاق حول تشريع الغزو وجعله عادة متجذرة، وسمة متأصلة لسيرة النبي والمسلمين والإسلام في التاريخ الإسلامي والتاريخ الإنساني أيضاً.

كما أن منهاج الدين الحنيف الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل يقوم في الأساس على الرحمة والحكمة والموعظة الحسنة، ويقوم على قيم الخير والعدل والحرية بين الناس، وهو ما أراد البخاري طمسه وتغييبه عن وعي وإدراك الناس على الجملة، بمثل هذه الغثاء من المغازي والغزو والاقتيال والعنف، والرعب والإرهاب وإصاقه بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبالأنبياء والرسل وبالإسلام دين الهداية لله رب العالمين، خاصة وقد ذكرت آيات عديدة في القرآن الكريم تمنع الاعتداء والإغارة والغزو وغيره وقد سبق الرد على نفس هذا العنوان أننا ردنا على كتاب الكافي ولأهمية الموضوع نرد بآيات القرآن الكريم بالآتي:

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ البقرة (190).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المائدة (87).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ الأعراف (55).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتِ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ البقرة (194).

ولم يكن عمل جماعة التحريف مقتصرًا على إصااق الإرهاب بالمسلمين والإسلام بل امتد عملها من قبل لتحريف كلام الله في التوراة، فجاءت التوراة محشورة بكم هائل من القتال، والعنف والإرهاب بصورة واضحة، ولك أن تقرأ التوراة في سفر الخروج وسفر العدد وسفر

التثنية وغيرها وستجد كل هذا الغناء، ومنه دست جماعة التحريف بفكر المذاهب الإسلامي كل هذا الغناء – في كتاب البخاري وغيره.

كتاب المرتدين وكتاب الإكراه والحيل وكتاب الفتن:

ويضم هذا العنوان سبعة كتب، هي: كتاب استتابة المرتدين. كتاب المحاربين وكتاب الإكراه. وكتاب الحيل. وكتاب التعبير (الرؤيا). وكتاب الفتن. وكتاب التمني.

وكل كتاب تضمن عدداً من الأبواب تصل إلى أكثر من مائة باب، وكثيراً من أحاديث العنونة للتدليل على مشروعية مضمون تلك الكتب والأبواب، ومن عناوين تلك الأبواب سوف أختار نماذج من كل كتاب، محاولاً الاختصار ما أمكن تسهيلاً للقارئ لمعرفة الحقيقة.

ما جاء في صحيح البخاري حول كتاب المرتدين عن الدين:

ورد في هذا الكتاب (8) أبواب، ومنها: باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهما، باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف، وألا ينفر الناس عنه، باب ما جاء في المتأولين.

ومن الأحاديث التي بلغت قرابة (21) حديثاً، حشر فيها البخاري كل ما هو مخالف لكلام الله سبحانه في القرآن الكريم حسب ما أختارنا لكم في الآتي:

حديث البخاري: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله، قال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه قال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

وحديث آخر البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا الشيباني حدثنا يسير بن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئاً قال سمعته يقول وأهوى بيده قبل العراق يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية.

وحديث آخر للبخاري: حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل، حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال أتى علي رضي الله تعالى عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك بن عباس، فقال: لو

كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه.

وحديث آخر للبخاري: حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن أخبرنا عبد الله أخبرنا شعبة عن هشام بن زيد بن أنس بن مالك قال: سمعت أنس بن مالك يقول مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: السام عليك فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك، فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول، قال السام عليك قالوا يا رسول الله إلا نقتله قال: لا، إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم.

الشاهد من الأحاديث أعلاه: تظهر مدى تقوُّل البخاري على النبي بقتال المرتدين يعطي مصداقية لارتداد المسلمين عن الإسلام وحركة الردة في عهد النبي وعهد أبي بكر، وهو دس خبيث قصد منه الإشارة الضمنية إلى أن الردة لم تكن حكراً على بني إسرائيل وهم بين أظهرهم حيث لم يبق مع موسى إلا أخيه هارون كما تبين الآيتان: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: 25) كما طلب نفر من بني إسرائيل لموسى أن يجعل لهم إلهاً، قَالَ جَلَّ فِي عُلَاه: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف: 138) وعلى إثر ذلك ألصق البخاري وغيره بالمسلمين الردة وحروب الردة كما في أحاديث العننة وسيرة ابن هشام وغيره، وحول الحرق بالنار وأنها من عذاب الله فهو إياها خبيث من البخاري مع جوازية قتل المرتد عن الدين بما يخالف القرآن في حرية الدين، وحول الروايات وما يتقوُّلون به على النبي بعلم الغيب ووصم أهل العراق بالفرقة والبغض والكراهية والنبي بريء من هذا القول، ومعلوم أن اليهود حاقدون على العراق بسبب سبيهم من ملك بابل (العراق) وقد دسوا هذا الحديث وغيره كثير حقدا منهم على بابل - العراق، وعن التحية بين النبي واليهود وأظهار النبي وهو بسوء اخلاق في معرض رده على سلام اليهودي بما يخالف القرآن الكريم قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء: 86).

ما جاء في صحيح البخاري حول كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة:

ورد في هذا الكتاب عدد من الأبواب كسابقه من الكتب والعناوين لنفس الغاية والهدف الذي يسعى إليه البخاري وجماعة التحريف إلى لصق الإرهاب والتطرف والأصولية بالإسلام والمسلمين وتقسيم العالم إلى دار حرب ودار كفر ودار إسلام، وهو ما سوف نحاول إظهاره من خلال نسخ بعض العناوين والأحاديث المخالفة للقرآن الكريم الذي يدعو للسلام بين الأمم والشعوب، ابتداء بباب لم يسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا، ثم باب سمر النبي أعين المحاربين وغيرها من الأبواب، بما شملت من الأحاديث الدالة على مشروعية المحاربين، بلغ عددها (57) حديثاً تقريباً، منها:

حديث البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير قال: حدثني أبو قلابة الجرمي عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قدم على النبي صلى الله عليه وسلم نفر من عكل فأسلموا فاجتووا المدينة فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها، ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا الإبل، فبعث في آثارهم فأتى بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بتحريف عقوبة الفساد في الأرض على قصة ملفقة متناقضة وهي تتضمن جرائم جنائية تتعلق بالاعتداء على النفس ولا تصل لجزاء الفساد (الحرابة).

حديث البخاري: حدثنا محمد بن الصلت أبو يعلى حدثنا الوليد حدثني الأوزاعي عن يحيى عن أبي قلابة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قطع العرنيين ولم يحسمهم حتى ماتوا.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي بقطع العرنيين أي (وريد الدم) كناية إهراق دماء المرتدين، وهو ما يخالف القرآن بحرية الدين.

ما جاء في صحيح البخاري حول كتاب الإكراه:

ورد في هذا الكتاب خمسة أبواب حول الإكراه، وليس من الغريب أن نجد للكراهية كتاب مستقل في مصنف صحيح البخاري، فمحتوى صحيح البخاري يحوي الكثير من الكراهية والحد والفتن للإسلام والمسلمين ولغير المسلمين بالمخالفة للقرآن الكريم ولقيم الدين الذي يدعوا للحب والتسامح والسلام والعيش المشترك بين الناس بغض النظر عن الدين والجنس واللون، ومن الأبواب التي تدعو للكراهية في هذا الكتاب ما سوف نختار لكم بعض منه في الآتي: باب من أختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، كما شمل الكتاب خمسين حديثاً من الأحاديث الدالة على مشروعية الكراهية، منها:

حديث البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا الليث عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداهم يا معشر يهود أسلموا تسلموا فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم، فقال ذلك أريد، ثم قالها الثانية فقالوا قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة فقال اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإنني أريد أن أجليكم فمن وجد منكم بماله شيئاً فليبيعه وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بإخراج اليهود كرهاً، لإظهار مظلمة لليهود، وإظهار النبي غير قابل للعيش المشترك مع أهل العقائد الأخرى، وذلك يخالف قيم الإسلام، وهي قيم خالدة منذ الخليقة الأولى للبشرية وقد تكرر هذا الحديث من قبل البخاري في أكثر من كتاب وتكرر الرد عليه.

ما جاء في صحيح البخاري حول كتاب الحيل:

كثيرة هي عبارات وألفاظ التحايل في أحاديث البخاري غير أنه من الملفت والغريب أن نجد كتاباً مستقلاً باسم الحيل، وهذا بحد ذاته أمر فيه من الجراءة والتقول على الله سبحانه وعلى النبي بصورة علنية وفاضحة، وقد ورد فيه عدد من الأبواب لأثبات مشروعية الحيل في فكر المذاهب والفقه الإسلامي، ومنها ننسخ بعض من تلك الأبواب في الآتي: باب الحيلة في النكاح، باب ما يكره من احتيال المرأة مع الزوج والضرائر، وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، باب ما يكره من الاحتيال في الفرار من الطاعون، باب في الهبة والشفعة، باب احتيال العامل ليهدي له. كما بلغ عدد الأحاديث الدالة على مشروعية كتاب الحيل (27) حديثاً بما يخالف كلام الله سبحانه ويخالف قواعد العرف والأخلاق والسلوك الاجتماعي، ويظهر البخاري في هذا الكتاب وهو يشرع للرديلة والمنكر بكل فجاجة ننسخ منها التالي:

حديث البخاري: حدثنا مسدد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله قال حدثني نافع عن عبد الله رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار، قلت لنافع ما الشغار قال ينكح ابنة الرجل وينكحه ابنته بغير صداق، وينكح أخت الرجل وينكحه أخته بغير صداق، وقال بعض الناس إن احتال حتى تزوج على الشغار فهو جائز والشرط باطل وقال في المتعة، النكاح فاسد والشرط باطل وقال بعضهم المتعة والشغار جائز والشرط باطل.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي في زواج الشغار ونكاح المتعة والتناقضات الواردة فيهما وبالمخالفة للقرآن الكريم الذي بيّن الزواج والنكاح تفصيلاً وقد أوضحناه بفصل مستقل في الجزء الثاني من هذا المؤلف.

كتاب التعابير والرؤيا:

حشر البخاري قرابة أربعين باباً تقريباً في هذا الكتاب، منها: باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة، باب الحلم من الشيطان، فإذا حلم فليبصق عن يساره، وليستعذ بالله عز وجل. وفيه تسعة وخمسين حديثاً من الأحاديث الدالة على مشروعية أبواب كتاب التعابير والرؤيا والتي تخالف القرآن الكريم، ومنها ننسخ هذا الحديث.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثني بن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها، وليحدث بها وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره.

الشاهد من الحديث: الاستشهاد بالحديث ونسبه للنبي كذباً وهو يخالف قواعد العلوم الحديثة وعلم النفس.

ليس من المستغرب أن يكون للبخاري كتاب منفرد للفتن وصحيح البخاري ملي بالفتن والكذب على الله والنبي إن لم يكن معظمه كتاب فتنة وتفريق بين الناس وتحريف لكلام الله سبحانه، والفاحص المدقق لمحتوى هذا العنوان (كتاب الفتن) يدرك حجم الفتن التي توقعها وتمناها البخاري للمسلمين وللإسلام بل وللناس جميعاً، وقد ورد في كتاب الفتن ثلاثة وعشرين باباً تقريباً، ومن خلال عناوين هذا الكتاب يظهر البخاري العلم بالغيب لمستقبل الإسلام والمسلمين فيأتي بعدد من الأبواب منها باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: سترون بعدي أموراً تتكرونها، وباب قول النبي صلى الله عليه وسلم: هلاك أمتي على يدي أغيلة سفهاء، وباب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ويل للعرب من شر قد اقترب»، وباب ظهور الفتن، وباب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان، وباب خروج النار، وباب ذكر الدجال. وباب لا يدخل الدجال المدينة. أضف إلى أنه حشر عدداً من أحاديث العننة المخالفة لكلام الله سبحانه بالقرآن المبين إذ وصلت تلك الأحاديث لـ (76) حديثاً تقريباً من أحاديث الفتن والتنبي بالغيب وما يعلم الغيب ألا الله سبحانه، ومنها ننسخ بعض من تلك الأحاديث المزعومة على النحو التالي:

حديث البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا بشر بن السري حدثنا نافع بن عمر عن بن أبي مليكة قال: قالت أسماء عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أنا على حوضي أنتظر من يرد عليّ، فيؤخذ بناس من دوني فأقول أمتي، فيقول لا تدري مشوا على القهقري قال بن أبي مليكة اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي عن الحوض والشفاعة، وهو مقتبس من فكر عقيدة المسيحيين، وما نسب إلى عيسى كمخلص يتحمل خطايا البشرية.

حديث البخاري: حدثنا مسدد عن عبد الوارث عن الجعد عن أبي رجاء عن بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج عن السلطان شبراً مات ميتة جاهلية.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي حول تكريس الخنوع والاستسلام لظلم الحاكم السياسي، لاسيما أنه لم يحدد نوع الخروج خاصة وأن الخروج على الظلم حق مكفول للإنسان، حسب تطور النظام السياسي والذي أصبح اليوم الخروج في المظاهرات والعصيان المدني حقاً من الحقوق المدنية المكفولة دستورياً وتنظمها قوانين خاصة عملاً بحرية التعبير أما الخروج بالقوة المسلحة فلا يجوز لما فيه من هلاك الحرث والنسل، وتقدير الخروج المسلح يرجع الرأي به لأغلبية سكان البلد/ المدينة / الدولة حسب تشريع.

حديث البخاري: حدثنا عياش بن الوليد أخبرنا عبد الأعلى، حدثنا معمر عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يتقارب الزمان وينقص العلم، ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج، قالوا يا رسول الله أيما هو، قال: القتل القتل وقال شعيب

ويونس والليث وابن أخي الزهري عن الزهري عن حميد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الشاهد من الحديث: في تقوُّله على النبي بعلم الغيب والتبشير بالفتن للإسلام والقتل للمسلمين، وتكرر هذا الحديث كثيراً ومثل هذه الأحاديث دست بقصد من أجل زعزعة استقرار الفرد المسلم والمجتمع المسلم بل والشعوب المسلمة والناس أجمعين في مستقبل الأجيال القادمة.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن.

الشاهد من الحديث: وتقوُّله على النبي بدعوى الرضا بالواقع وخلق شخصية الفرد المسلم الإيمانية وفيه من الخنوع ولصق الفتن بمستقبل المجتمعات المسلمة:

حديث البخاري: حدثنا خالد حدثنا مسعر عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الشعثاء عن حذيفة قال: إنما كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان.

الشاهد من الحديث: وتقوُّله على حياة صحابة النبي بالنفاق في حياة الرسول، وبعد وفاته بالكفر بعد الإيمان وهو ما يخالف وصف القرآن في الكثير من الآيات قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غُلَاهُ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح 29).

حديث البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني سليمان عن ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه.

وحديث آخر للبخاري: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال سعيد بن المسيب أخبرني أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى.

وحديث آخر للبخاري: حدثنا سعد بن حفص حدثنا شيبان عن يحيى عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق. ومن هذه الأحاديث،

وحديث آخر للبخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن نعيم بن عبد الله المجرم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال.

الشاهد من الأحاديث: وتقولاته على النبي بعلم أحداث المستقبل (الغيب) وعن خرافة الدجال والقحطاني وخروج نار، وغير ذلك، والذي أوضح في أكثر من آية بأن الله سبحانه وتعالى هو وحده المتفرد بعلم الغيب، وهذه الأحاديث وغيرها نقلت من العقائد القديمة لتشويه الإسلام ونشر الخوف والرعب بين الناس وكررت في الكثير من كتب البخاري قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الأنعام (59).

قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلْمِهِ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف (188).

كتاب التمني:

ورد في كتاب التمني تسعة أبواب، منها: باب ما جاء في التمني، ومن تمنى الشهادة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: «ليت كذا وكذا»، باب ما يجوز من اللوء، وغيرها من الأبواب. والأحاديث الدالة على مشروعية أبواب كتاب التمني بلغ عددها ثلاثة وثلاثين حديثاً، ننسخ منها الآتي:

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا فكان أبو هريرة يقولهن ثلاثاً أشهد بالله.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بتمني القتل والافتتال من أجل الموت، وقد تكرر هذا الحديث مراراً بما يخالف منهج الله سبحانه في الحياة ووظيفة الأنبياء والرسول في الدعوة والبلاغ والأنداز وليس كما يتمنى البخاري.

كتاب الأنبياء والصحابة:

ويضم هذا العنوان الكتب التالية: كتاب أحاديث الأنبياء. كتاب المناقب. كتاب فضائل الصحابة. كتاب أحاديث النساء فقد أورد البخاري عدداً من الأبواب تقارب خمسين باباً، كما أسهب البخاري بذكر أحاديث مقتبسة من العقائد القديمة، وهي لا تمت للموضوع بصلة، ننقل بعض منها في الآتي: حديث التقول بالكذب على نبي الله إبراهيم. حديث الخضر وموسى. أحاديث كثيرة في وصف هيئة موسى وعيسى. حديث الدجال وبني إسرائيل. حديث عن

الأمثلة: ثلاثة نفر من بني إسرائيل (أبرص وأقرع وأعمى). حديث انطباق الغار بصخرة على باب على ثلاثة نفر. حديث عن إحدى بغايا بني إسرائيل التي تسقي الكلب، وهو يلهث من العطش. حديث الرجل الذي قتل (99) نفساً وذهب إلى الراهب يبحث عن توبة. حديث البقرة. وحديث المرأة التي تدخل النار بسبب هرة، وغيرها من الأحاديث التي أوردتها البخاري في هذا الكتاب وهي من الأسرائيليات ومن فكر العقيدة اليهودية، فقد بلغ عددها قرابة مائة وخمسين حديثاً، ومنها ننسخ لكم بعض منها على النحو التالي:

حديث البخاري: حدثنا سعيد بن تليد الرعيني أخبرنا بن وهب قال أخبرني جرير بن حازم عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثاً حدثنا محمد بن محبوب حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ثنتان منهن في ذات الله عز وجل قوله {إِنِّي سَقِيمٌ} وقوله {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا} وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه قال: أختي فأتى سارة فقال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري، وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال ادعي الله ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته فقال إنكم لم تأتونني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان، فأخدمها هاجر فأتته وهو يصلي فأومأ بيده مهتئاً، قالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر قال أبو هريرة تلك أمكم يا بني ماء السماء.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي محمد وعلى نبي الله إبراهيم بالكذب والافتراء وهذا القول ورد في نصوص كثيرة مقتبسة من سفر التكوين؛⁽¹⁾ في التوراة، والحديث يظهر التحقير والتقول البذي بحق أهل بيت سيدنا إبراهيم عليه السلام.

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد الجعفي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم عن بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي في الإعراض عن دخول مدائن وآثار نبي الله هود وصالح وقوم تبع وسبأ وكندة وأوسان ومعين وحمير، بما لها من دلالة رمزية لأصول العرب وتاريخها الممتد من الأحقاف والتتابع وحضرموت حتى تبوك من بلاد العرب القديمة وما زالت آثارهم باقية حتى اليوم وهناك كثير من الأحاديث في هذا العنوان.

(1) انظر العهد القديم - سفر التكوين: النص (2) وقال إبراهيم عن سارة امرأته: «هي أختي». فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة. ونص آخر من سفر التكوين: (3) فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل وقال له: «ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها، فإنها متزوجة ببعل».

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد الجعفي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا بنو إسرائيل لم يخزن اللحم ولولا حواء لم تكن أنثى زوجها الدهر. الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي وينسب الخيانة لحواء وهذا الأسم حروفه اليهود في سفر التكوين⁽¹⁾ العهد القديم على اعتبار أنها أم لكل حي وهو منكر من القول وزورا.

حديث البخاري: حدثنا يحيى بن جعفر حدثنا وكيع عن شعبة عن عمرو بن مرة عن الهمداني عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام. الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بوصم المرأة بالنقص والسخرية وتشبيهها بنوع من الطعام (الثريد).

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود عليه السلام القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ولا يأكل إلا من عمل يده رواه موسى بن عقبة عن صفوان عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي من أن النبي داود عليه السلام قرأ القرآن أثناء تعامله مع دوابه (الحمير، الخيل، البغال وغيرها) قصد منه التحقير والسخرية من القرآن الكريم الذي أنزل على النبي محمد عليه السلام.

حديث البخاري: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال حدثني سعيد بن المسيب قال: قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة {وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَدُرِّتُهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ}.

الشاهد من الحديث: والتقول على النبي بخرافة مس الشيطان لكل من يولد من البشر باستثناء مريم والنبي عيسى، ثم ينسب البخاري نصاً من الآية لقول أبي هريرة.

حديث البخاري: حدثنا إسحاق أخبرنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن صالح عن بن شهاب أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم بن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة

(1). انظر العهد القديم - سفر التكوين . النص (20) ودعا آدم اسم امرأته «حواء» لأنها أم كل حي.

خيراً من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة واقروا إن شئتم {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا}.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بخرافة عودة عيسى صلى الله عليه وسلم، بتفسير خاطئ للآية من القرآن الكريم وهذه التنبؤات من فكر العهد الجديد .

حديث البخاري: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد أخبرنا الأوزاعي حدثنا حسان بن عطية عن أبي كبشة عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بالتحدث عن بني إسرائيل برواية (الضحاك، مخلد، الأوزاعي، وكبشة) ذكر أسماء لرواة فيها من التحقير.

كتاب الإيمان وكتاب النذور وكتاب الآداب:

ويضم هذا العنوان عدداً من الكتب التالية: كتاب الإيمان والنذور. كتاب كفارات الإيمان. كتاب الدعوات (الدعاء). كتاب الرقاق (أهوال الموت). كتاب الجنائز.

فقد أوجد البخاري أبواباً تحت هذه العناوين تزيد عن ثلاثمائة باب، حشر فيها ما يقارب (623) حديثاً من أحاديث العنونة للتدليل على مشروعية هذه الأبواب التي تخالف منهج الله سبحانه وحرف الكلام عن مواضعه، وأدعو القارئ الكريم لتصفح بقية العناوين والأحاديث إن أراد ذلك، بالعودة إلى كتاب البخاري الموجود على الصفحة الالكترونية في عدد من مواقع المكتبات الالكترونية أو من النسخة الورقية سألقة الذكر، خشية الأطالة، غير أننا نورد نبذة مختصرة من أحاديث البخاري بقدر الإمكان.

كتاب الإيمان والنذور:

من الأحاديث المستدل بها على مشروعية كتاب الإيمان والنذور نذكر منها وهي تخالف القرآن الكريم ننسخ لكم بعض منها في الآتي:

حديث البخاري: حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام هو بن يوسف عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بوجود أهوال ومآسي تدمي لها القلب، وتبكي لها العين وهذا الحديث من أحاديث كثيرة للبخاري قصد بها العلم بالغيب وذم الإسلام وزرع الخوف في نفوس المسلمين، وهو مخالف لمنهج الله سبحانه وتعالى الذي أكد على أن الرسالة والنبوة ما هي إلا رحمة للعالمين، والأنبياء والرسل بشارة النور والخير والرحمة والفضيلة دائماً وأبداً.

حديث البخاري: حدثنا آدم حدثنا شعبة عن أبي بشر قال سمعت سعيد بن جبير عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له إن أختي نذرت أن تحج وإنها ماتت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان عليها دين أكنت قاضيه قال نعم قال: فاقض الله فهو أحق بالقضاء.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بمساواة الحج بحالة الدين وجوز الحج عن الغير بالمخالفة وقد جعلت شعيرة الحج قائمة على الاستطاعة.

كتاب كفارات الإيمان:

من الأحاديث المستدل بها على مشروعية كتاب كفارات الإيمان والمخالفة لكلام الله سبحانه وتعالى ولا تمت لعنوان الموضوع بصلة في الكثير منها حيث نذكر بعض منها في الآتي:

حديث البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن الزهري قال سمعته من فيه عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلكت قال ما شأنك، قال وقعت على امرأتي في رمضان، قال تستطيع أن تعتق رقبة، قال لا قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين، قال: لا، قال فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً قال لا قال أجلس فجلس فأتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر، والعرق المكتل الضخم قال خذ هذا فتصدق به قال أعلى أفقر منا، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال أطعمه عيالك.

حديث البخاري: حديث البخاري وتقوله على النبي عن كفارة إفطار يوم من رمضان عمداً والتي حدد القرآن الكريم كفارته بفدية إطعام مسكين، عن كل يوم بينما البخاري جعله حكم كفارته الأفطار كحكم الذين يظاهرون من نسائهم، وهو يخالف القرآن الكريم ولا صلة لهذا الحديث بعنوان الكتاب.

حديث البخاري: حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن مسلم عن أبي غسان محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن علي بن حسين عن سعيد بن مرجانة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى فرجه بفرجه.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بالفاظ بذينة فذكر العضو والفرج بقصد السخرية.

حديث البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن هشام بن حجير عن طاووس سمع أبا هريرة قال: قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كل تلد غلاماً يقاتل في سبيل الله، فقال له صاحبه، قال: سفيان يعني الملك قل: إن شاء الله فنسي فطاف بهن فلم تأت امرأة منهن بولد إلا واحدة بشق غلام فقال أبو هريرة يرويه قال لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً في حاجته وقال مرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو استثنى وحدثنا أبو الزناد عن الأعرج مثل حديث أبي هريرة.

الشاهد من الحديث: برواية أبي هريرة وآخرين وتقولهما على النبي محمد والنبي سليمان الذي يطء تسعين امرأة في ليلة واحدة وقد تكرر هذا الفحشاء من القول في صحيح البخاري كثيراً.

بيان القرآن الكريم حول كتابي الإيمان والنذور وكفارتها:

بيّن الحق سبحانه وتعالى بعدم نقض الإيمان كما بيّن كفارة اليمين بصورة موجزة وواضحة خلافاً لتعقيدات البخاري وأحاديثه، وقد أوضحنا ذلك في عناوين مستقلة في هذا المؤلف الجزء الثاني.

كتاب الدعوات (الدعاء).

من الأحاديث المستدل بها على أبواب كتاب الدعاء ننسخ بعض من تلکم الأحاديث وفيها مخالفة صريحة للقرآن الكريم، والتي تصور النبي أشبه بمشعوذ يقوم بالتمائم والتمسح والبصق برذاذ اللعاب جهة اليمين وجهة الشمال وغيرها من الحركات، حسب مشروعية من تلکم الأحاديث في الآتي:

حديث البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث قال حدثني عقيل عن بن شهاب أخبرني عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه نفث في يديه، وقرأ بالمعوذات ومسح بهما جسده.

الشاهد من الحديث: والتقول على النبي وتشبيهه بمشعوذ يمسح على جسده برذاذ اللعاب عند النوم وهو ما يفعله بعض السذج في أيامنا هذه.

حديث البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا مالك عن بن شهاب عن أبي عبد الله الأغر وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي وعلى ذات الله سبحانه وتعالى بنزوله إلى السماء الدنيا بالثلث الأخير من الليل، وهو ما يعني تحجيم الله جل جلاله بالمكان والزمان، ومعلوم أن الليل لا يكون على الأرض كاملة فما يكون ليل في مكان ووقت محدد من الأرض يقابله نهار في مكان ووقت آخر من الأرض في نفس المكان والوقت بمعنى آخر أن الليل والنهار لا ينقطع عن الأرض نهائياً بل يكونان مستمران.

حديث البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبدة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ في المسجد فقال رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها في سورة كذا وكذا.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بعبارات مبهمة والتشكيك بحذف آيات من القرآن ولفظ كذا وكذا.

كتاب الرقاق (أهوال الموت):

أطلق البخاري لفظ الرقاق على أهوال الموت، وحشر فيه (170) حديثاً، للتدليل على مشروعية الأبواب التي صنفها في هذا الكتاب، ومن هذه الأحاديث نختار التالي.

حديث البخاري: حدثنا المكي بن إبراهيم أخبرنا عبد الله بن سعيد هو بن أبي هند عن أبيه عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ، قال عباس العنبري حدثنا صفوان بن عيسى عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه سمعت بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله. الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بجعل الفراغ نعمة، لتكريس الخمول والالتكامل وعدم الاهتمام بالعلم والعمل.

حديث البخاري: حدثني يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن مرداس الأسلمي قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة، قال أبو عبد الله يقال: حفالة وحثالة الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بوصف أجيال المسلمين بالحثالة وهو كلام خطير

حديث البخاري: حدثنا آدم حدثنا بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن ينجي أحداً منكم عمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة سدوا، وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبغوا. الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بعدم الاهتمام بإعمال الخير والإحسان مع ظهور لفظ شاذ (الدلجة) وزرع اليأس.

حديث البخاري: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن خالد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده، كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة، فأتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم إلا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة، قال بلى، قال تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال ألا أخبرك بإدامهم قال إدامهم بلام ونون، قالوا وما هذا قال، ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفاً.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بالسخرية من يوم القيامة واستشهاده باليهود، مستهزئاً بأوصاف القرآن الكريم لحال الأرض والسماء، فجاء البخاري ليصف الأرض بخبزة

وإدَام، وهي وجبة طعام يأكلها الإنسان، ولمحاكاة هذه الآية بسخرية قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: 104):

حديث البخاري: حدثني عبد العزيز بن عبد الله قال حدثني سليمان عن ثور بن زيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم. الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بالتهويل لوصف يوم القيامة على جميع الناس بالمخالفة لآيات القرآن في وصف هذا المشهد، في آخر الجزء الثاني من هذا المؤلف.

حديث البخاري: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن الحسن بن ذكوان حدثنا أبو رجاء حدثنا عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين.

الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بالتلفظ بالجهنميين وبعلم الغيب وهو قولاً منكر على النبي وتنبى بعلم الغيب مخالف لآيات القرآن السابقة.

حديث البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا نافع بن عمر عن بن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو قال النبي صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبداً. الشاهد من الحديث: وتقوله على النبي بخرافة الحوض يوم القيامة وكثير من الخرافات التي دسها البخاري وغيره.

كتاب الجنائز:

بلغ عدد أحاديث البخاري في هذا الكتاب قرابة (150) حديثاً، جاء بها للتدليل عن مشروعية أبواب الجنائز، وطريقة الدفن والصلاة، وغيرها من الطقوس. وحشر فيها عدداً من الأحاديث التي لا تتصل بالمواضيع المثارة، ومن تلك الأحاديث:

حديث البخاري: حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن هشام عن أم الهذيل عن أم عطية رضي الله تعالى عنها قالت ضفرنا شعر بنت النبي صلى الله عليه وسلم تعني ثلاثة قرون وقال وكيع قال سفيان ناصيتها وقرنيها.

الشاهد من الحديث: وتقوله بالسخرية على أهل بيت النبي بلفظ (ثلاثة قرون) و(ناصرتها) و(قرنها).

حديث البخاري: حدثنا يحيى، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن طاوس عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر بقبرين يعذبان فقال إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشي

بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة فقالوا يا رسول الله لم صنعت هذا، فقال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي بخرافة عذاب القبر وغرس عود رطب لتخفيف العذاب وكثيرا من أحاديث القبر وعذاب القبر وهذه محض خرافات جاء بها البخاري في الكثير من الأحاديث بقصد التهويل والتخويف وزرع الرعب بين الناس والمسلمين .

حديث البخاري: حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه أنه سمع أبا سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين يذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق.

الشاهد من الحديث: وتقول على النبي بتكلم الجنازة، وهو حديث يجمع بين السخرية والخرافة.

وعن الجنازة فقد تم الرد على ذلك في عنوان مستقل أوضحنا فيه من أن طائر الغراب كان المعلم الأول للإنسان في دفن جثة (سواة) أخيه قال الله سبحانه: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ المائدة (31).

الفصل السادس عشر

تأكيد مشروعية التحريف في الفكر الإسلامي - كتاب (الملل والنحل انموذج) (1)

مقدمة:

جاء في ترجمة مؤلف كتاب الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم أحمد أبو الفتح الشهرستاني الشافعي الذي صححه وعلق عليه الأستاذ، المحامي الشرعي/ أحمد فهمي محمد الطبعة الأولى 1946م، مكتبة الحسين بقوله: ولد الشهرستاني ببلدة شهرستان بين نيسابور وخوارزم سنة (479هـ) وزعم أنه انتقل لبغداد سنة (510هـ) وأقام فيها ثلاث سنوات، ووصفه بأنه من فلاسفة الإسلام وإمام في علم الكلام والأديان، ويُعد لقب (إمام) أعلى مرتبة علمية وفقهية، أطلقت في تاريخ الفكر الإسلامي مثله مثل الإمام أبي حنيفة، والإمام الشافعي، والإمام جعفر، والإمام ابن حنبل، والإمام البخاري، وغيرهم من أئمة الحديث والتفسير والفقه، ومن بينهم الإمام الشهرستاني إذ وصف بترجمة لهذا المؤلف إماماً لعلم جديد، هو علم الملل والنحل وعلم الكلام، والفلسفة، وكان يلقب بالأفضل، وقد وصفه ياقوت بالفيلسوف المتكلم كامل العقل، ويعد هذا الكتاب من أفضل الكتب التي ألفت في هذا الموضوع لأنه جمع بين الأديان والمذاهب والفرق والآراء الفلسفية المتعلقة بما وراء الطبيعة، التي عرفت في عصر المؤلف، كما جاء في ترجمة الكتاب ذكر سلسلة من مؤلفاته، وعدد من معلميه، مثل: أحمد الخوافي، وعلي نصر القشيري وغيرهما. وقد أشاد به السبكي في كتاب طبقات الشافعية بقوله: (هو عندي خير كتاب صنف في هذا الباب)، ووصفه محيي الدين بن عربي في فتوحاته (لا يجوز النظر في كتاب الملل والنحل لأحد من القاصرين، وأما صاحب الكشف فينظر فيه ليعرف من أي وجه تفرقت أقوالهم...). وأضاف محقق الكتاب في تعريف الشهرستاني أوصافاً ومحاسناً تفوق الخيال من أصناف العلم بالحديث والسير وعلم الكلام والفلسفة. وكالعادة قدمه المؤلف بعبارات جزيلة وضخمة وبنفس القلب المعتاد الذي سبق أن قيل بحق صناعة الشافعي والكليني وابن إسحاق والبخاري وابن حنبل، وغيرهم من أئمة المذاهب والفقه والحديث، وما يعيننا من هذا كله هو مادة الكتاب وقراءة محتواه الذي ابتدأه بخمس مقدمات، هي باعتقادي أهم المواضيع التي وردت فيه، نفند منها بالمقابلة مع آيات القرآن بالآتي:

المقدمة الأولى: في بيان أقسام أهل العالم جملة مرسله:

جاءت هذه المقدمة في كتاب الشهرستاني بالطريقة والأسلوب الذين اعتمدهما الشافعي في كتابه الرسالة، وكتاب سيرة النبي لأبن هشام في التعريف بالعالم فذهب الشهرستاني بالأخذ بالرأي في تقسيم العالم بحسب الأقاليم السبعة، ثم عدل عن ذلك التقسيم إلى تقسيم العالم بحسب

(1) . كتاب الملل والنحل / أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني - علق عليه أبو عبدالله السعيد المنذوه - الطبعة الأولى 1994م - مؤسسة الكتب الثقافية ج 1. 2.

الأقطار الأربعة (شرق وغرب - شمال وجنوب)، ثم عدل عن ذلك التقسيم إلى تقسيم العالم بحسب كبار الأمم الأربعة (العرب - العجم - الروم - الهند)، ثم عدل عن ذلك التقسيم وأستقر الشهرستاني على تقسيم العالم بحسب الآراء والمذاهب وأهل الديانات والملل، وأهل الأهواء والنحل، وأقر الشهرستاني على نفسه أن هذا التقسيم الأخير كان غرضه في تأليف هذا الكتاب (1)، وهو أقرار صريح وخطير عن مشروع الرجل نحو تأصيل مشروعية التقسيم العنصري الديني والطائفي للناس والمسلمين، والمجوس واليهود والمسيحيين الذي أكد على أنهم انقسموا إلى فرق تزيد عن السبعين ومثل ذلك حصل بالمسلمين، ثم قام بشرعة هذا الانقسام بالحديث المكذوب عن النبي: (ستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة الناجية منهم واحدة)، وهذا الحديث يخالف كلام الله سبحانه وتعالى جملة وتفصيلاً، فلا يمكن للرسول أياً كان هذا الرسول أن يخالف كلام الله ويقول قولاً يخالف القرآن الذي نهى عن الافتراق والاختلاف في الدين، ودعاء للاعتصام والألفة والمحبة والإخوة فيه فذلك عين التناقض، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: 103)، وآيات أخرى كثيرة سوف نذكرها لاحقاً، فكيف يستقيم هذا الخطاب الإلهي للناس مع حديث مروي كذباً عن الرسول يتنبأ ويجزم بتفرق أتباعه لثلاثة وسبعين فرقة؟ ومن أين جاء بتسمية أمتي؟ ولفظ الأمة ذكر في آيات كثيرة ولا تنسب الأمة لأشخاص: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي غَلَاهُ: ﴿بَلِّغْ أُمَّةً قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة (134). ثم نأتي لما قرر الشهرستاني هو وجماعته، أن كل ما دون الفرقة الناجية في النار بالقول (إلا واحدة)، وهو ما يعد تناقضاً بين دعوة الله سبحانه للاعتصام في الدين بصريح آياته، ومضمون هذا الحديث المنسوب للرسول كذباً ليقرر واقع لحال التفرقة بين الناس في الدين ثم يقرر مآلها في علم الغيب إلى الجنة أو النار، ومعلوم أن العلم بالغيب أمر خاص بالله سبحانه وحده ولا يظهر على غيبه أحداً، لذلك ولغيره فمعاذ الله أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد نطق بذلك الأفك، فهل هذا الأمر غفل عنه الشهرستاني أم أن الأمر مقصود لإضفاء مشروعية في تقسيم الناس لأديان ومذاهب وفرق وجماعات مذهبية مختلفة ومتناقضة ومتقاتلة مع بعضها كما هو حال اليوم، ويعتبر هذا التقول بالحديث المزعوم دليل على مشروعية تفريخ المزيد من الفرق والجماعات المذهبية لمزيد من الانقسام والشتات بين أبناء الدين الواحد الذي يدعوا للاعتصام والوحدة حسب الآية، والغريب أنك تجد من يريد أن يقتعك بصدق هذا الغناء من المنتطعين والمتشددین مذهبياً هذه الأيام وتلك هي الطامة الكبرى.

المقدمة الثانية: في تعيين قانون يبني عليه تعدد الفرق الإسلامية:

أراد الشهرستاني في هذه المقدمة أن يضع قواعد من القوانين يشرع بها للفرقة والاختلاف، فميز كل فرقة عن الفرقة الأخرى بعدد من الصفات، بحجة التسهيل في حصرها

(1) انظر كتاب الملل والنحل / أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني - مؤسسة الكتب الثقافية ج 1. 2 ص 9.

وتفنيدها حسب قواعد الاختلاف التي يريد أصباغها لكل فرقة على حدة فوضع بذلك أربع قواعد هي: الأولى: في الصفات والتوحيد. والثانية في القدر والعدل. والثالثة في الوعد والوعيد. والرابعة في السمع والعقل والرسالة والإمامة. ثم قسم الفرق الإسلامية إلى أربع فرق كبيرة، هي: القدرية. والصفائية. والخوارج. والشيعة⁽¹⁾، ولم يذكر (مذهب أهل السنة والجماعة من الحنفية - الحنابلة - والشافعية - والمالكية - الأشاعرة - وغيرهم) وهذا يعد فضيحة بحق الشهرستاني الذي ذهب لحصر مذاهب و فرق وجماعات لا وجود لها في الخارطة المذهبية باستثناء الشيعة، مع أن هذه المذاهب والفرق المزعومة (أهل السنة والجماعة) كانت الأولى في الظهور حسب التاريخ المزعوم في تأسيس تلك المذاهب، وعلى ما يبدو أن تحريف وصناعة هذه المذاهب والفرق (أهل السنة والجماعة) لم تكن قد حرفت يوم تأليف الشهرستاني لهذا المؤلف (كتاب الملل والنحل)، أو أن الشهرستاني أعتمد بنقل بعض فرق اليهود المتصفة بتلك الصفات التي أراد بها صبغها بالفرق المزعومة، ثم ذهب الشهرستاني ليشترط على نفسه ألا يتعصب لأحد منهم، وهو كمن يكذب ثم يصدق كذبه فيبني عليها الحقيقة وهي بالأصل كاذبة، وهو ما قام به فعلاً، فوضع مشروعية التقسيم على قواعد من الاختلاف لهذه الفرق، من أجل التمزيق والاختلاف، كما كانت تطمح جماعة التحريف وتأمل أن يتحقق، وفعلاً تحقق لها بعض من آمالها، ففسدوا هذه الأفكار لصناعة المذاهب والفرق والجماعات في الفكر الإسلامي، وأصبحت تلك الأفكار دستور للفرقة والاختلاف وتفريخ مزيد من الجماعات المذهبية وما زال التفريخ قائم حتى اليوم.

المقدمة الثالثة: في بيان أول شبهة وقعت في الخليفة

أورد الشهرستاني في هذه المقدمة أن أول شبهة كانت من إبليس، وسطر مضمون هذه الشبهة من شروح الأنجيل الأربعة، وما ذكر من التوراة على شكل مناظرات بين إبليس والملائكة، وتحدث بلسان إبليس عن سبعة أسئلة وجهها إبليس للملائكة، ثم ردت الملائكة على أسئلة إبليس، بما يدحض تلك الأسئلة، وفي نهاية هذه المقدمة التي أظهرت تحريفاً وتزويراً واضحاً لما ادعى، والحقيقة أن هذه المناظرات والحوارات لا وجود لها في شروح كتب الأنجيل ولا في التوراة، مع العلم أن إبليس جاء ذكره بكتاب العهد القديم (توراة العبرانيين) مرّة وبأسم (عازئيل) بسفر اللاويين وظهر بصورة التمجيد والتبجيل والبركة والمساواة بينه وبين الرب (الله) بالفداء كما ورد بالنص⁽²⁾، وذكر آخر بغير أسمه بأسم (البعليم)⁽³⁾ ولتغطية فرية الشهرستاني ربط أعمال الفرق وأفكارها بانحراف إبليس من أجل خلط الأفكار حسب ما

(1) انظر المصدر السابق اعلاه ص 11. 12. من كتاب الملل والنحل .

(2) .انظر العهد القديم - سفر اللاويين: النص .(ويلقي هارون على التيسين قرعتين: قرعة للرب وقرعة لعازئيل) ونص: (أما التيس الذي خرجت عليه القرعة لعازئيل فيوقف حيا أمام الرب، ليكفر عنه ليرسله إلى عازئيل إلى البرية. 11) ونص آخر من نفس المصدر السابق: (26) والذي أطلق التيس إلى عازئيل يغسل ثيابه ويرحض جسده بماء، وبعد ذلك يدخل إلى المحلة).

(3) انظر العهد القديم - التوراة - سفر القضاء: النص (فصرخ بنو إسرائيل إلى الرب قائلين: «أخطأنا إليك لأننا تركنا إلهنا وعبدنا البعليم».

جاء في آخر هذه المقدمة، ونحن هنا لا نبري إبليس بل ننتقد الشهرستاني لقيامه بنفس وظيفة إبليس بصورة فاضحة.

المقدمة الرابعة: في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية

أورد المؤلف في هذه المقدمة حديث العنينة المشهور للقصة المفبركة الكاذبة عن شخصية مصطنعة أطلقوا عليها تسمية "ذي الخويصرة التميمي" إذ زعموا أنه اعترض على قسمة الرسول لغنائم الحرب، فقال للرسول "اعدل يا محمد" ثم كان الرد المزعوم عن الرسول بالقول: "سيخرج من ضئضى هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، إلخ". وقد سبق منا الإشارة لتفنيد هذا التقول (الحديث) الذي ورد في أغلب مساند أئمة المذاهب، فنسبوا هذا الحديث كذباً إلى الرسول، وحديث ذي الخويصرة التميمي وغيرها من الأحاديث التي وضعت للفتن لمستقبل المسلمين، وهي في الحقيقة أحاديث كاذبة من صنع جماعة التحريف، صُنعت بهدف شرعة المزيد من الفتن والفرقة والاختلاف لمستقبل أجيال المسلمين والناس أجمعين وتخالف كلام الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الذي أكد على تفرد الله سبحانه بالعلم بالغيب من دون غيره من الرسل والأنبياء أو احد من الناس وقد تكرر الرد على هذه الموضوع في ردنا على مصنفات الحديث ونعيده مراراً لفضح التحريف فيه حسب ما جاء من آيات كثيرة في القرآن الكريم تفصح ما ورد بمقدمة الشهرستاني وجماعته في هذه الجزئية التي ننسخ بعض من آيات القرآن بما يدحض مزاعمهم بعلم الغيب بالآتي:

- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿عَالَمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ الجن (26).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ الأنعام (59).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ النمل (65).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فاطر (38).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هود (123).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النحل (77).
- قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ الزمر (46).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
الحجرات (18).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ الحشر (22).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿..... قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ البقرة (33).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ...﴾ آل عمران (179).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ الأنعام (50).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف (188).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ يونس (20).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ هود (31).

فهل بعد هذه الآيات من القرآن العظيم مكان لحديث ذي الخويصرة التميمي المزعوم زوراً وكذباً على النبي ليستشهد به الشهرستاني وجماعته في مصنفات أحاديث المذاهب بعلم الغيب؟، ولم يكتفي الشهرستاني بذلك التحريف بل أضاف عدداً من الخلافات التي اصطنعها هو وجماعته مقتبساً إياها من كتاب سيرة النبي لابن هشام والطبري والواقدي والمصنفات الأخرى لفكر مذاهب العننة، ومن هذه الخلافات المصطنعة التي عددها الشهرستاني وقصد منها تشويه الرسول وصحابة الرسول والعرب والإسلام، فسرد الخلاف المزعوم في مرض الرسول وإمرة جيش أسامة، والخلاف المزعوم في موت الرسول، والخلاف المزعوم في موضع دفنه، والخلاف المزعوم في سقيفة بني ساعدة، والخلاف المزعوم في قتال مانعي الزكاة والردة، والخلاف المزعوم في تنصيب أبي بكر على عمر بالخلافة، والخلاف المزعوم في أمر الشورى على بيعة عثمان، والخلاف المزعوم بزمان علي بن أبي طالب، والخلاف المزعوم في قتال الخوارج، والقدرية والمرجئة والجبرية وشرح تلك الخلافات شرحاً مسهباً.

وذكر الشهرستاني أن هذه الخلافات وغيرها أدت لأنقسام آخر كانت بحسب الزعم أحدهما الاختلاف في الإمامة، والثاني: الاختلاف في الأصول، ثم ذكر الاختلاف في الإمامة على وجهين: أحدهما القول بأن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار، والثاني: القول بأن الإمامة تثبت بالنص والتعيين⁽¹⁾، وذكر الإمام والإمامة والخلاف فيه من قبل الشهرستاني يؤسس لأنقسام المسلمين وهو ما حدث فعلاً وظهر مصطلح الإمامة والإمام في الحكم بالدين والدنيا بفكر مذاهب الشيعة والذي سلط الشهرستاني جهداً كبيراً في تشتيت هذه الجماعة لفرق كثيرة عن غيرها من فرق المسلمين، وكل ما زعمه الشهرستاني في هذا الموضوع، يخالف القرآن في اتباع منهج الشورى في الحكم وقد ضرب الله سبحانه مثلاً على ذلك بذكر سبأ المثالية في حكم الشورى إذ بلغت من مكانتها ما تتساوى بالنبي سليمان قدراً في المكانة والتمكين: قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاهُ: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ التَّمَل (23)، وعن دليل آخر لفقه الشورى عملياً من القرآن: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ التَّمَل (32)، وعن مشروعية العمل بالشورى قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ الشورى (38)، ومع كل ذلك حاول الشهرستاني وجماعته طي صفحة الحق، والعمل على إثارة الاختلاف والأنقسام والزعم بوجود هذا الاختلاف في زمن وجود النبي ومع أصحاب النبي وهو ما يتنافى مع مجتمع الرسول محمد عليه السلام الذي نجح في خلق مجتمع فاضل يندم فيه وجود بؤادر ذلك الخلاف حسب وصف هذه الآية ومع التمعن بقراءتها ندرك حقيقة إنتفاء وجود تلك الخلافات المزعومة: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح (29).

والحقيقة فإن هذه الفرق كانت مصطنعة، ودُست من جماعة التحريف مع اختلاف المسميات فأضافوا فيها البدع والخلافات التي ظهرت هنا وهناك، وأضافوا إليها بعض الحجج وصبغوها بالفكر الإسلامي من أجل إضفاء المشروعية الدينية لوجودها.

المقدمة الخامسة: في السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب وفيها إشارة إلى مناهج الحساب: (2)

وفي هذه المقدمة تحدث الشهرستاني عن مناهج مؤلفه بتحديد مراتب التقسيم والتصنيف وذكر من المرتبة الأولى إلى المرتبة السابعة وبقرة محتوى تلك المراتب التي ذكر فيها الحساب والأصل والشكل من الأصل والمطموس والمعوج والمقعد ولا تجد لهذه المصطلحات

(1) انظر كتاب الملل والنحل / أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني . من ص 16- 26.

(2) انظر كتاب الملل والنحل/ أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني من ص 26- 28.

أي أهمية أو سبب أو استشهاد في محض مقدمته الخامسة سالفه الذكر غير الحشر الذي لا قيمة له (1).

ثم جاء الشهرستاني بذكر الفرق والمذاهب فذكر في صدر الباب الأول وبعنوان بارز (المسلمون) متقصداً جعل المسلمون أحد فرقة المزعومة، ثم ينتقل للفصل الثاني، والثالث، والرابع، والخامس، والسادس، وأخيراً السابع فيسرد تعداد فرقه التي حاول صناعة بعض منها ولم يحالفه الحظ ببقية الفرق، والشهرستاني كغيره من جماعة التحريف الذين يسعون إلى تقسيم الناس إلى أديان ثم إلى فرق ومذاهب وجماعات، ومن خلال فرز أسماء الفرق التي كان الشهرستاني يطمح إلى صناعتها على أرض واقع الإسلام حسب ما جاء في كتابه هذا الملل والنحل بالآتي:

- المعتزلة	- الواصلية	- الهذيلية	- النظامية	- الحابطية	- البشرية	- المعمرية
- الهاشمية	- الثمامية	- الهشامية	- الجاخطية	- الخياطية	- الجبائية	- البهشمية
- الجبرية	- الجهمية	- النجارية	- المغيرية	- الصفاتية	- الأشعرية	- المشبهة
- الكرامية	- الخوارج	- الازارق	- النجدات	- العاذرية	- البيهسية	- العجاردة
- الصلتية	- الحمزية	- الخلفية	- الشعبية	- الميونية	- الاطرافية	- الجازمية
- الثعالبة	- الرشيدية	- الشيبانية	- المكرمية	- المعلوماتية	- الاباضية	- الحفصية
- الحارثية	- اليزيدية	- الصفرية	- المرجئة	- اليونسية	- العبيدية	- الغسانية
- المجهولية	- الثوبانية	- التومنية	- الصالحية	- الشيعة	- الكيسانية	- المختارية
- الهاشمية	- الحارثية	- البيانية	- الرزامية	- الزيدية	- النعمانية	- السليمانية
- الصالحية	- الإمامية	- الباقرية	- الجعفرية	- النواسية	- الافطحية	- الشمطية
- الموسوية	- المفضلية	- الإسماعلية	- النصيرية	- الغالية	- السبئية	- الكاملية
- العلبائية	- الكيالية	- الخطابية	- الضرارية	- الجارودية	- المرادية	- الاثنا عشرية
- اليونسية	- المنصورية	- الاسحاقية				

ومن الملاحظ أن عدد الفرق التي ذكرها الشهرستاني في كتابه كانت بعدد من (87) فرقة، وبذلك نرى الشهرستاني قد تجاوز العدد الذي ذكر في حديث العنعة (ستفترق أمتي لبضع وسبعين فرقة) وحديث آخر حدد الرقم (73) فرقة كلها في النار إلا واحدة، بخلاف

(1) انظر نفس المصدر السابق ص. 26. ص 27.

المذاهب والفرق التي لم يذكرها حسب ما سبق الإشارة إليه، وعند قراءة أدبيات وعقائد هذه الفرق والجماعات، فإنك تشعر بالاستخفاف بالعقل والفكر من خلال المواضيع التي تناولتها وأختلقتها تلك الفرق كمبرر وحجج من أجل الانتماء إليها.

وبما أن تقسيم دين الإسلام إلى أديان ومذاهب وفرق وجماعات حسب أحاديث العنينة والقلقلة في فقه الحديث ما زال قائم حتى يومنا هذا حسب ذلك الحديث المزعوم سالف الذكر، فإن تفريخ الفرق والجماعات والمذاهب ما زال قائماً أيضاً حتى عصرنا هذا، وما ظهور البهائية كدين جديد وفرقة الوهابية وفرقة القاديانية وجماعة الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ والقاعدة وداعش وحزب الله وغيرهما من المذهبيين السنة / الشيعة إلا دليل على استمرار جماعة التحريف في صناعة هذا الشتات العقائدي الأصولي المتطرف، وهو ما صورته القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها تلك الفرق التي تتبع السبل بدلاً عن اتباع الصراط المستقيم فتفرق بهم عن سبيله فكانت كل فرقة أو شيعة أو حزب بما لديهم فرحون ونجد آيات القرآن خير من يصف هذا المشهد بالآتي:

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: 153).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف (108).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ النساء (115).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء (167).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ الأحزاب (67).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ الشورى (13).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ الأنعام (159).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ الروم (32).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ آل عمران (103).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ آل عمران (105).

ومع كل هذه الآيات التي تؤكد على وحدة الدين والأعتصام به من كونه السبيل الوحيد للنجاة والفوز في الدنيا والآخرة، فإنه لا مانع أيضاً من حرية العقيدة والانتماء لدين آخر وفق ما تذكره هذه الآيات:

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ فِي عِلَاه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾ الكهف (29).

• قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿... وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة (217).

• قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ....﴾ المائدة (54).

• قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ الحج (17).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون (6).

وفي الوقت نفسه أكد الإسلام أيضاً على تعدد وأختلاف الناس في شرائع الحياة وتنوعها في العادات والتقاليد حسب أعرافهم في الزمان والمكان، وقد بيّن القرآن ذلك بعدداً من الآيات ننسخ بعض منها بالآتي:

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿..... لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ المائدة (48).

• قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هود (119).

وعن أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين، فإن مؤلف الكتاب، عمد بمكر خبيث فذهب لتمجيدهم من خلال التعريف بهم تحت عدد من العناوين والمسميات فذكر: أهل الكتاب والأميين. واليهود والنصارى، ثم أسهب بذكر اليهود خاصة. ولم يتطرق لبيان تعداد المذاهب

والفرق والجماعات التي انقسموا عليها في إطار اليهودية والمسيحية، واكتفى بذكر بعض الطوائف بصورة مقتضبة وباستحياء شديد، بعد أن مجد عقيدة اليهود وأظهر مناقبهم، ويظهر التأثير اليهودي واضح عند قراءتك لمحتوى عناوين المواضيع المتعلقة باليهود، فذكر حصراً طوائف اليهود (العنانية، العيسوية. المقاربة واليودعانية. السامرة) بكونها أشهر الطوائف، وترك الباقي هماً حسب قوله، على الرغم من ذكره لمذهب أو طائفة (الربانيون والقراؤون) عند مشابھتهم بالمعتزلة والمجبرة والمشبّهة على سبيل المماثلة فقط، ولم يذكر هاتين الطائفتين ضمن التقسيم الرئيسي الذي أشار إليه، على الرغم أن هاتين الطائفتين من كبار طوائف اليهود، وهذا الإهمال متعمد لكي لا ينكشف الهدف من تأليف هذا الكتاب، وهو بدرجة رئيسة زرع نظائر لهذه الطوائف والفرق في الفكر الإسلامي، حسب ما هو حاصل الآن، وذكر تعريف مقتضب لطوائف النصارى بصورة سردية من دون تفاصيل مبيّناً أنهم تفرقوا أيضاً إلى (72) فرقة، الرقم المعروف بالانقسام ومنهم ذكر: (الملكانية والنسطورية، واليعقوبية) وتشعبت منها (الأليانية، والبليارسية، والمقدانوسية، والسبالية، والبوطينوسية، والبولية)، وهذه أسماء غريبة لم نكن قد سمعنا بها، إذ لم يتطرق إلى ذكر المذاهب والطوائف الرئيسية، مثلاً كالبروتستانت، والكاثوليك وغيرهما من الطوائف التي كانت حاضرة بتاريخ تأليف الكتاب، ونراه يعرج في آخر الكتاب لذكر العرب مكاناً وزماناً، ويتقول على آدم بقصة مجهولة المصدر ومن الخرافة، وملخص تلك القصة، أن آدم أضاع زوجته ووجدها بجبل عرفات، وطلب آدم بناء البيت المعمور فأنزلت الملائكة (بيتاً) على شكل سرادق،،،، إلخ، وهذه القصة تخالف القرآن الكريم الذي ذكر هذا الحدث ووصفه وصفاً دقيقاً فذكر خليل الله إبراهيم أنه هو من بناء البيت الحرم ببكة وليس آدم وابنه حسب ما حرفة الشهرستاني: قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ الحج (26)، ونص آخر حول بناء البيت من قبل خليل الله إبراهيم وأبنه إسماعيل قَالَ جَلَّ فِي غَلَاه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ البقرة (127). ثم تطرق إلى تسفيه العرب ودمهم بأقبح الأوصاف مقلدا الشافعي وجماعة ابن إسحاق بسيرة ابن هشام وغيرهم، من كونهم عبدة الأصنام وعبدة النيران مشبههم بوثنية المجوس والهند وغيره من الكلام المندس المخالف للقرآن الكريم. (1)

واختتم الكتاب بالإسهاب الممل حول فلاسفة اليونان في الملل والنحل من دون مناسبة، ولا سبب وجيه يتصل بهم، واصفاً أحوال فلاسفة اليونان والمعرفة اليونانية بإسفاف، مُلقياً عليهم الكثير من التقولات، في حين أن الفكر الفلسفي اليوناني كان وما يزال من أفضل ما إبداع الإنسان من فكري وجدل في الشيء وماهية الشيء فبرز من مدرسة أثينا وروما أروع المفكرين وأنبل الفلاسفة وكتاب القانون الذين أسسوا مناهج في البحث والمعرفة والفلسفة، فكان وما زال ذلك الفكر العظيم حيّ حتى يومنا هذا، فقد مثل أرضية فكرية غنية في العلوم والمعرفة الإنسانية، ومن هذه العلوم خرجت عددٌ من العلوم الإنسانية والعلمية في شتى مناحي الحياة ولا تمت بصلة للمل والنحل، الذي حشرها الشهرستاني في كتابه بغرض الترمويه عن

(1) انظر كتاب الملل والنحل / أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. ج1. من الباب الأول وحتى الباب السابع .

هدفه الأساسي في إضفاء المشروعية التاريخية لتقسيم المسلمين إلى مذاهب و فرق و جماعات متقاتلة و متناحرة و ليس غير هذا القصد الذي كان يريدہ. (1)

وأخيراً: فإن الهدف الأساس من تأليف هذا الكتاب بتقديری: و كما صرح به المؤلف نفسه هو من أجل شرعنة تقسيم المسلمين إلى مذاهب و فرق و جماعات، و إضفاء المشروعية التاريخية على وجود وصحة هذه المذاهب، و الفرق و الجماعات، فعمدوا إلى تأليف هذا الكتاب تحت مسمى الملل و النحل – باسم شخصية الشهرستاني و جعلوا منه إمام في هذا المؤلف لإضفاء التبجيل و التعظيم لشخصية المؤلف كغيره من المؤلفات بهدف جعل هذه المذاهب و الفرق و الجماعات حقيقة من الواقع منذ تلك الحقبة من التاريخ العربي الإسلامي، و إضفاء المشروعية التاريخية لوجودها، من أجل أن يمتد آثارها لواقعنا الحاضر، و ما زال عملها مستمراً حسب عقيدة و منهجية سيد الفساد و الإفساد في الأرض الموصوف بكلام الله سبحانه في وصف عمله قال الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَا تَنبَهُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ صدق الله العظيم (الأعراف: 16، 17).

ولكن الله سبحانه و تعالى غالباً على أمره و لو كره الكافرين.

(1) انظر كتاب الملل و النحل / أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني . ج 2. من الباب الأول و حتى الباب الرابع .



المؤلف في سطور:

- الاسم: جميل عبده شرف القدسي.
- المهنة: محامي.
- من مواليد: 1970م.

الدِّين بين العَقْلِ والنَّقْلِ

هذا الكتاب:

ينذر بحوار عقلائي هادئ نسعى من خلاله إلى بعث حركة إصلاح في الفكر الديني، وخاصة الفكر الديني الإسلامي من أجل الوصول إلى حقيقة الدين الموجود ودحضه (دين المذاهب والفرق والجماعات والأحزاب الدينية السياسية) واستعادة الدين المفقود الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل إلى واقع حياتنا.

المؤلف